تاريخ الحرب البيلوبونيسية

ثوسيديدس

ترجمة : علي مولا



تاريخ الحرب البيلوبونيسية

ثوسيديديس

ترجمة : علي مولا

ديسمبر 2004 [الكتاب الإلكتروني رقم 7142]آخر تحديث: 7 سبتمبر 2021

لغة: إنجليزي

إصدار : ألبرت إمري وديفيد ويدجر

تاريخ الحرب البيلوبونيسية

تأليف : ثوسيديدس 431 قبل الميلاد

بإذن من THIRLWALL CONNOP، مؤرخ اليونان.

- **محتويات**

الكتاب الأول

الفصل الأول

حالة اليونان منذ أقدم العصور حتى بداية الحرب البيلوبونيسية

لقد كتب ثوسيديديس، وهو أثيني، تاريخ الحرب بين البيلوبونيزيين والأثينيين، منذ اللحظة التي اندلعت فيها، وكان يعتقد أنها ستكون حربًا عظيمة وأكثر جدارة بالسرد من أي حرب سبقتها. ولم يكن هذا الاعتقاد بلا أساس. فقد كانت استعدادات الطرفين المتحاربين في كل جانب في حالة مثالية للغاية؛ وكان بوسعه أن يرى بقية العرق اليوناني يتخذ موقفًا في الشجار؛ وأولئك الذين تأخروا في القيام بذلك كانوا يفكرون في الأمر على الفور. والواقع أن هذه كانت أعظم حركة عرفها التاريخ حتى الآن، ليس فقط اليونانيون، بل وجزء كبير من العالم البربري . لقد كدت أقول عن البشرية. فرغم أن أحداث العصور القديمة البعيدة، وحتى تلك التي سبقت الحرب مباشرة، لم يكن من الممكن التأكد منها بوضوح بسبب مرور الوقت، إلا أن الأدلة التي توصلت إليها من خلال التحقيق في أقدم ما يمكن عمليًا أن تجعلني أثق، تشير جميعها إلى الاستنتاج بأنه لم يكن هناك شيء على نطاق واسع، سواء في الحرب أو في الأمور الأخرى.

على سبيل المثال، من الواضح أن البلاد التي تسمى الآن هيلاس لم يكن بها في العصور القديمة سكان مستقرون؛ بل على العكس من ذلك، كانت الهجرات تحدث بشكل متكرر، وكانت القبائل المختلفة تهجر منازلها بسهولة تحت ضغط الأعداد الكبيرة. بدون التجارة، بدون حرية الاتصال سواء عن طريق البر أو البحر، لا يزرعون أراضيهم إلا بما تتطلبه ضرورات الحياة، محرومين من رأس المال، لا يزرعون أراضيهم أبدًا (لأنهم لم يتمكنوا من معرفة متى قد يأتي الغازي ويستولي عليها بالكامل، وعندما يأتي لم يكن لديهم أسوار تمنعه)، معتقدين أن الضروريات اليومية للرزق

يمكن توفيرها في مكان واحد وكذلك في مكان آخر، لم يهتموا كثيرًا بتغيير مساكنهم، وبالتالي لم يبنوا المدن الكبيرة ولم يبلغوا أي شكل آخر من أشكال العظمة. كانت أغنى التربة دائمًا أكثر عرضة لهذا التغيير من قبل السادة؛ مثل المنطقة التي تسمى الآن ثيساليا، وبيوتيا، ومعظم البيلوبونيز، باستثناء أركاديا، والأجزاء الأكثر خصوبة من بقية هيلاس. ولقد ساعدت جودة الأرض على توسع أفراد معينين، وبالتالي خلقت الفصائل التي أثبتت أنها مصدر خصب للخراب. كما أنها دعت إلى الغزو. وعلى هذا فإن أتيكا، التي كانت تتمتع منذ فترة بعيدة بالحرية من الفصائل، لم تغير سكانها قط. وهنا لا يسعني إلا أن أؤكد على تأكيدي بأن الهجرات كانت السبب في عدم حدوث نمو مماثل في أجزاء أخرى. فقد لجأ أقوى ضحايا الحرب أو الفصائل من بقية اليونان إلى الأثينيين كملاذ آمن؛ وفي فترة مبكرة، عندما أصبحوا مواطنين، تضخم عدد سكان المدينة الكبير بالفعل إلى حد أن أتيكا أصبحت في النهاية أصغر من أن تستوعبهم، واضطروا إلى إرسال مستعمرات إلى إيونيا.

وهناك سبب آخر يساهم إلى حد كبير في إقناعي بضعف العصور القديمة. فقبل حرب طروادة لم يكن هناك أي إشارة إلى أي عمل مشترك في اليونان، ولا حتى إلى انتشار هذا الاسم على نطاق واسع؛ بل على العكس من ذلك، لم يكن هناك مثل هذا الاسم قبل زمن هيلين بن ديوكاليون، بل كانت البلاد تُعرف بأسماء القبائل المختلفة، وخاصة البيلاسجيين. ولم يكن الأمر كذلك إلا بعد أن أصبح هيلين وأبناؤه أقوياء في فثيوتيس، ودُعوا كحلفاء إلى المدن الأخرى، حتى اكتسبوا تدريجيًا اسم الهيلينيين واحدًا تلو الآخر من هذا الارتباط؛ على الرغم من مرور وقت طويل قبل أن يلتصق هذا الاسم بجميع الناس. وأفضل دليل على ذلك هو ما قدمه هوميروس. فقد ولد بعد حرب طروادة بفترة طويلة، ولم يسمهم جميعًا بهذا الاسم في أي مكان، ولا حتى أيًا منهم باستثناء أتباع أخيل من فثيوتيس، الذين كانوا الهيلينيين الأصليين: في قصائده يطلق عليهم دانانس، وأرجيفس، وآخيون. وهو لا يستخدم حتى مصطلح البرابرة، ربما لأن اليونانيين لم يكونوا قد تميزوا بعد عن بقية العالم باسم مميز

واحد. ويبدو بالتالي أن المجتمعات اليونانية العديدة، التي لا تشمل فقط أولئك الذين اكتسبوا الاسم أولاً، مدينة بعد مدينة، كما فهموا بعضهم البعض، بل وأيضاً أولئك الذين اعتبروه فيما بعد اسماً للشعب بأكمله، كانت قبل حرب طروادة محرومة بسبب افتقارها إلى القوة وغياب العلاقات المتبادلة من إظهار أي عمل جماعي.

ولقد كان من المستحيل أن يتحدوا في هذه الحملة إلا بعد أن أصبحوا أكثر دراية بالبحر. وأول شخص نعرفه من خلال التقليد أنه أنشأ أسطولاً بحرياً هو مينوس. فقد سيطر على ما يسمى الآن بالبحر الهيليني، وحكم جزر سيكلاديز، التي أرسل إليها المستعمرات الأولى، فطرد الكاريين وعين أبنائه حكاماً لها؛ وهكذا بذل قصارى جهده للقضاء على القرصنة في تلك المياه، وهي خطوة ضرورية لتأمين الإيرادات لاستخدامه الخاص.

ففي العصور الأولى، كان الهيلينيون والبرابرة الذين يقطنون السواحل والجزر، مع شيوع الاتصالات البحرية، يميلون إلى التحول إلى قراصنة، تحت قيادة أقوى رجالهم؛ وكانت دوافعهم خدمة جشعهم ودعم المحتاجين. فكانوا يهاجمون المدن غير المحمية بالأسوار، والتي تتألف من مجموعة من القرى، فينهبونها؛ والواقع أن هذا أصبح المصدر الرئيسي لرزقهم، ولم يكن مثل هذا الإنجاز ليلحق به أي عار حتى الآن، بل كان يجلب لهم بعض المجد. ومن الأمثلة على ذلك الشرف الذي ما زال بعض سكان القارة ينظرون به إلى اللصوص الناجحين، ومن خلال السؤال الذي نجد الشعراء القدامى في كل مكان يصورون الناس وهم يسألون المسافرين. "هل هم قراصنة؟". وكأن أولئك الذين يُطرح عليهم هذا السؤال لن يكون لديهم أدنى فكرة عن رفض الاتهام، أو أن المحققين لن يوبخوهم على ذلك. وكان نفس النهب سائداً أيضاً على البر.

وحتى اليوم ما زال كثير من أهل اليونان يتبعون نفس الأسلوب القديم، مثل أهل أوزولا لوكريان، وأيتوليان، وأكارنانيان، وتلك المنطقة من القارة؛ وما زالت عادة حمل السلاح مستمرة بين هؤلاء القوم، منذ عاداتهم القديمة في القراصنة. فقد اعتاد أهل اليونان في الماضي حمل السلاح، لأن مساكنهم كانت غير محمية، وكان تواصلهم مع بعضهم البعض غير آمن؛ بل إن حمل السلاح كان جزءًا من حياتهم اليومية كما كان الحال مع البرابرة. والحقيقة أن الناس في هذه الأجزاء من اليونان ما زالوا يعيشون على الطريقة القديمة، وهو ما يشير إلى وقت كان فيه نفس أسلوب الحياة شائعًا على قدم المساواة بين الجميع. وكان الأثينيون أول من وضعوا أسلحتهم جانبًا، وتبنوا أسلوب حياة أكثر سهولة ورفاهية؛ والواقع أن شيوخهم الأثرياء لم يتوقفوا إلا مؤخرًا عن ارتداء الملابس الداخلية المصنوعة من الكتان، وربط شعرهم برباط من الجراد الذهبي، وهي الموضة التي انتشرت بين أقاربهم من أهل أيونيا، وسادت لفترة طويلة بين شيوخهم هناك. وعلى العكس من ذلك، كان أهل لاكيديمون أول من تبنوا أسلوباً متواضعاً في اللباس، يتفق إلى حد كبير مع الأفكار الحديثة، وكان الأثرياء يبذلون قصارى جهدهم لدمج أسلوب حياتهم مع أسلوب حياة عامة الناس. كما كانوا يضربون المثل في التنافس عراة، فيخلعون ملابسهم علناً ويدهنون أنفسهم بالزيت أثناء تمارينهم الرياضية. وفي السابق، حتى في المسابقات الأوليمبية، كان الرياضيون الذين يتنافسون يرتدون أحزمة حول بطونهم؛ ولم يمض سوى بضع سنوات منذ توقف هذه الممارسة. وحتى يومنا هذا، يرتدي بعض البرابرة، وخاصة في آسيا، أحزمة عندما تُعرض جوائز الملاكمة والمصارعة. وهناك العديد من النقاط الأخرى التي قد تظهر فيها أوجه الشبه بين حياة العالم اليوناني القديم وحياة البرابرة اليوم.

أما فيما يتصل بمدنهم، ففي وقت لاحق، في عصر تزايدت فيه تسهيلات الملاحة وزاد فيه عرض رأس المال، نجد أن الشواطئ أصبحت موقعاً لمدن مسورة، وأن البرزخ أصبحت مأهولة لأغراض التجارة والدفاع ضد جيرانها. ولكن المدن القديمة،

بسبب انتشار القرصنة على نطاق واسع، بُنيت بعيداً عن البحر، سواء على الجزر أو القارة، ولا تزال قائمة في مواقعها القديمة. ذلك أن القراصنة كانوا ينهبون بعضهم بعضاً، بل وينهبون كل سكان الساحل، سواء كانوا من البحارة أو غيرهم.

"كان أهل الجزيرة أيضاً من القراصنة العظام. وكان أهل الجزيرة من الكاريين والفينيقيين، الذين استعمروا معظم الجزر، كما أثبتته الحقيقة التالية. فخلال تطهير ديلوس من قبل أثينا في هذه الحرب، تم استخراج جميع القبور في الجزيرة، ووجد أن أكثر من نصف نزلاء المقابر كانوا من الكاريين: وقد تم التعرف عليهم من خلال أسلوب الأسلحة المدفونة معهم، ومن خلال طريقة الدفن، التي كانت هي نفسها التي يتبعها الكاريون حتى الآن. ولكن بمجرد أن شكل مينوس أسطوله البحري، أصبح الاتصال عن طريق البحر أسهل، حيث استعمر معظم الجزر، وبالتالي طرد المجرمين. وبدأ سكان الساحل الآن في الاهتمام بشكل أوثق باكتساب الثروة، وأصبحت حياتهم أكثر استقرارًا؛ حتى أن بعضهم بدأ في بناء أسوار لأنفسهم بقوة ثرواتهم المكتسبة حديثًا. لأن حب الكسب من شأنه أن يوفق بين الضعفاء وهيمنة الأقوى، ومكن امتلاك رأس المال الأقوى من إخضاع المدن الصغيرة. وفي مرحلة لاحقة إلى حد ما من هذا التطور، ذهبوا في الحملة ضد طروادة.

ولقد كان السبب الذي مكن أجاممنون من رفع السلاح، في رأيي، هو تفوقه في القوة، أكثر من يمين تينداريوس، التي ألزمت الخاطبين باتباعه. والواقع أن الرواية التي أوردها أولئك البيلوبونيزيون الذين تلقوا أكثر الحكايات مصداقية هي التالية. أولاً وقبل كل شيء، عندما وصل بيلوبس إلى سكان محتاجين من آسيا بثروات هائلة، اكتسب قوة هائلة حتى أن البلاد، على الرغم من غرابته، سُميت باسمه؛ وقد رأى القدر أن هذه القوة مناسبة لزيادة قوتها بشكل ملموس في أيدي أحفاده. فقد قُتل يوريستيوس في أتيكا على يد هيراكليدس. وكان أتريوس شقيق أمه؛ وعندما انطلق يوريستيوس في رحلته، سلم ميسينيا والحكومة إلى أقاربه، الذين تركوا والده بسبب

وفاة خريسيبوس. ومع مرور الوقت وعدم عودة يوريستيوس، امتثل أتريوس لرغبات الميسينيين، الذين تأثروا بالخوف من هيراكليدس . فضلاً عن ذلك، بدت قوته كبيرة، ولم يهمل في استمالة ود العامة . وتولى صولجان ميسينيا وبقية ممالك يوريستيوس. وهكذا أصبحت قوة أحفاد بيلوبس أعظم من قوة أحفاد برسيوس. وفي كل هذا نجح أجاممنون. وكان لديه أيضاً أسطول بحري أقوى كثيراً من معاصريه، حتى أنني أرى أن الخوف كان عنصراً قوياً بقدر الحب في تشكيل الحملة الكونفدرالية. وتتجلى قوة أسطوله البحري في حقيقة مفادها أن أسطوله كان أكبر أسطول بحري، وأن أسطول الأركاديين كان من نصيبه؛ وهذا على الأقل ما يقوله هوميروس، إذا اعتُبِرت شهادته كافية. فضلاً عن ذلك، ففي روايته لنقل الصولجان، يسميه "الإمبراطور"

من العديد من الجزر، ومن كل ملك أرغوس.

لقد كانت قوة أجاممنون قوة قارية؛ ولم يكن بوسعه أن يسيطر على أي جزيرة باستثناء الجزر المجاورة (وهذه الجزر لن تكون كثيرة)، إلا من خلال امتلاك أسطول.

ومن هذه الحملة نستطيع أن نستنتج طبيعة المشاريع السابقة. صحيح أن ميسينيا كانت مكاناً صغيراً، وربما كانت العديد من مدن ذلك العصر تبدو غير مهمة نسبياً، ولكن أي مراقب دقيق لن يشعر بالرضا عن رفض التقدير الذي قدمه الشعراء والتقاليد لحجم الأسلحة. فأنا أفترض أنه إذا خرب لاكيدايمون، وتركت المعابد وأساسات المباني العامة، فمع مرور الوقت سيكون هناك ميل قوي لدى الأجيال القادمة لرفض قبول شهرتها كمثال حقيقي لقوتها. ومع ذلك، فإنهم يشغلون خمسي بيلوبونيز ويقودون البلاد كلها، ناهيك عن حلفائهم العديدين من الخارج. ومع ذلك، بما أن المدينة ليست مبنية بشكل مضغوط ولا مزينة بالمعابد الفخمة والمباني العامة، بل تتكون من قرى على الطراز القديم في اليونان، فسيكون هناك انطباع بعدم الكفاية. ولكن إذا ما تعرضت أثينا لنفس الكارثة، فإنني أتصور أن أي

استنتاج من المظهر الذي يظهر للعين من شأنه أن يجعل قوتها ضعف قوتها الحقيقية. ومن ثم فليس لنا الحق في أن نشكك في ذلك، أو أن نكتفي بفحص المدينة دون أن نفكر في قوتها؛ ولكننا نستطيع أن نستنتج بأمان أن الأسلحة التي نتحدث عنها تفوقت على كل ما سبقها، لأنها لم ترق إلى مستوى الجهود الحديثة؛ وإذا كان بوسعنا أن نقبل هنا أيضاً شهادة قصائد هوميروس، التي نرى فيها أن هذه الأسلحة كانت بعيدة كل البعد عن أن تضاهي أسلحتنا، دون أن نأخذ في الاعتبار المبالغة التي قد يشعر الشاعر بأنه مرخص له باستخدامها. فقد صورها على أنها تتألف من ألف ومائتي سفينة؛ وكان عدد السفن البويتية مائة وعشرين رجلاً، وعدد السفن التي يملكها فيلوكتيتس خمسين رجلاً. وأتصور أنه كان يقصد بذلك أن ينقل لنا الحد الأقصى والحد الأدنى من السفن: وعلى أية حال، فهو لا يحدد عدد السفن الأخرى في كتالوجه. إن هؤلاء كانوا جميعاً مجدفين ومحاربين، وهذا ما نراه من روايته لسفن فيلوكتيتس، حيث كان جميع الرجال على المجداف من رماة الأقواس. ومن غير المحتمل أن يكون العديد من الجنود الإضافيين قد أبحروا، إذا استثنينا الملوك والضباط الكبار؛ وخاصة أنهم كانوا مضطرين إلى عبور البحر المفتوح وهم يحملون ذخيرة الحرب، في سفن ليس لها أسطح، ولكنها كانت مجهزة على الطريقة القديمة للقراصنة. لذا فإذا أخذنا متوسط أكبر السفن وأصغرها، فإن عدد أولئك الذين أبحروا سيبدو ضئيلاً، ويمثلون، كما فعلوا، القوة الكاملة لليونان. ولم يكن هذا راجعاً إلى ندرة الرجال بقدر ما كان راجعاً إلى المال. فقد دفعت صعوبة المعيشة الغزاة إلى تقليص أعداد الجيش إلى الحد الذي يسمح له بالعيش على أرض البلاد أثناء استمرار الحرب. حتى بعد النصر الذي حققوه عند وصولهم - ولا بد أن النصر كان موجودًا، وإلا لما أمكن بناء تحصينات المعسكر البحري أبدًا - لا يوجد ما يشير إلى استخدام قوتهم بالكامل؛ بل على العكس من ذلك،"يبدو أنهم تحولوا إلى زراعة خيرسونوس والقرصنة بسبب نقص الإمدادات. وهذا هو ما مكن الطرواديين حقًا من الحفاظ على الميدان ضدهم لمدة عشر سنوات؛ حيث جعل تشتت العدو منهم دائمًا ندًا للفرقة التي تركوها وراءهم. لو كانوا قد أحضروا الكثير من الإمدادات معهم، وصمدوا في

الحرب دون تشتت للقرصنة والزراعة، لكانوا قد هزموا الطرواديين بسهولة في الميدان، حيث كان بإمكانهم الصمود في مواجهتهم مع الفرقة العاملة. باختصار، لو تمسكوا بالحصار، لكان الاستيلاء على طروادة قد يكلفهم وقتًا أقل ومتاعب أقل. ولكن كما أثبت نقص المال ضعف الحملات السابقة، لذلك من نفس السبب حتى الحملة المذكورة، والتي كانت أكثر شهرة من سابقاتها، يمكن الحكم عليها بناءً على الأدلة على ما أحدثته من ضرر أقل من شهرتها والرأي الحالي عنها الذي تشكل تحت تعليم الشعراء.

وحتى بعد حرب طروادة، كانت اليونان لا تزال مشغولة بالهجرة والاستيطان، وبالتالي لم تتمكن من الوصول إلى الهدوء الذي يجب أن يسبق النمو. تسببت العودة المتأخرة للهيلينيين من إيليوم في العديد من الثورات، ونشأت الفصائل في كل مكان تقريبًا؛ وكان المواطنون الذين طردوا إلى المنفى هم الذين أسسوا المدن. بعد ستين عامًا من الاستيلاء على إيليوم، طرد الثيساليون سكان بيوتيا الحديثين من آرني، واستقروا في بيوتيا الحالية، التي كانت تسمى سابقًا كادميس؛ على الرغم من وجود انقسام لهم هناك قبل ذلك، انضم بعضهم إلى الحملة إلى إيليوم. بعد عشرين عامًا، أصبح الدوريون والهيرقليديون أسياد البيلوبونيز؛ لذلك كان لا بد من بذل الكثير من الجهود ومرور سنوات عديدة قبل أن تتمكن اليونان من الوصول إلى هدوء دائم لا يزعجه النزوح، وتبدأ في إرسال المستعمرات، كما فعلت أثينا في إيونيا ومعظم الجزر، والبيلوبونيزيون في معظم إيطاليا وصقلية وبعض الأماكن في بقية اليونان. تم تأسيس كل هذه الأماكن بعد الحرب مع طروادة.

ولكن مع نمو قوة هيلاس، وتزايد أهمية اكتساب الثروة، وتزايد عائدات الولايات، تم تأسيس الأنظمة الاستبدادية بوسائلها في كل مكان تقريبًا - حيث كان الشكل القديم للحكم هو الملكية الوراثية ذات الامتيازات المحددة - وبدأت هيلاس في تجهيز الأساطيل وتطبيق نفسها بشكل أوثق على البحر. يقال إن الكورنثيين كانوا أول من

اقترب من النمط الحديث للهندسة المعمارية البحرية، وأن كورنثوس كانت أول مكان في هيلاس حيث تم بناء القوادس؛ ولدينا أمينوكليس، صانع السفن الكورنثي، الذي صنع أربع سفن للساميين. يعود تاريخ هذه الحرب إلى ما يقرب من ثلاثمائة عام عندما ذهب أمينوكليس إلى ساموس. مرة أخرى، كانت أقدم معركة بحرية في التاريخ بين الكورنثيين والكورسيريين؛ كان هذا منذ حوالي مائتين وستين عامًا، ويعود تاريخها إلى نفس الوقت. كانت كورنثوس، التي أقيمت على برزخ، منذ زمن بعيد، مركزًا تجاريًا؛ كانت كورنثوس في السابق تسلك طرقاً برية في كل الاتصالات تقريباً بين الإغريق داخل وخارج بيلوبونيز، وكانت أراضيها هي الطريق السريع الذي كانت تمر عبره. وكانت تمتلك موارد مالية ضخمة، كما يتبين من لقب "الغنية" الذي أطلقه الشعراء القدامى على هذه المنطقة، وهذا مكنها، عندما أصبحت حركة المرور عبر البحر أكثر شيوعاً، من الحصول على أسطولها البحري والقضاء على القرصنة؛ وبما أنها كانت قادرة على تقديم سوق لكلا الفرعين من التجارة، فقد اكتسبت لنفسها كل القوة التي توفرها الإيرادات الكبيرة. وبعد ذلك، اكتسب الإيونيون قوة بحرية عظيمة في عهد كورش، أول ملك للفرس، وابنه قمبيز، وبينما كانوا في حرب مع الأول سيطروا لفترة على البحر الأيوني. كما كان بوليكراتيس، طاغية ساموس، يمتلك أسطولاً بحرياً قوياً في عهد قمبيز، والذي استولت به على العديد من الجزر، ومن بينها رينيا، التي كرسها لأبولون الديلي. وفي نفس الوقت تقريبًا، هزم الفوقيون القرطاجيين في معركة بحرية أثناء تأسيسهم لمرسيليا. وكانت هذه أقوى الأساطيل البحرية. وحتى هذه الأساطيل، على الرغم من مرور العديد من الأجيال منذ حرب طروادة، يبدو أنها كانت تتألف في الأساس من السفن القديمة ذات الخمسين مجدافًا والقوارب الطويلة، ولم يكن لديها سوى عدد قليل من القوادس. والواقع أنه لم يتسنَ للطغاة الصقليين والكورسيريين الحصول على عدد كبير من القوادس إلا بعد فترة وجيزة من الحرب الفارسية ووفاة داريوس خليفة قمبيز. فبعد هذه الحرب لم تكن هناك أساطيل بحرية ذات شأن في اليونان حتى حملة زركسيس؛ وربما كانت إيجينا وأثينا وغيرهما تمتلكان بضع سفن، لكنها كانت في الأساس ذات خمسين

مجدافًا. وفي نهاية هذه الفترة تقريبًا، مكنت الحرب مع إيجينا واحتمال الغزو البربري ثيميستوكليس من إقناع الأثينيين ببناء الأسطول الذي قاتلوا به في سلاميس؛ وحتى هذه السفن لم تكن لها أسطح مكتملة.

إن الأساطيل البحرية التي كانت بحوزة اليونانيين خلال الفترة التي اجتزناها كانت من النوع الذي وصفته. ولم يمنعها صغرها من أن تكون عنصراً من عناصر القوة العظمى بالنسبة لأولئك الذين يزرعونها، سواء من حيث الإيرادات أو السيادة. وكانت الأساطيل البحرية هي الوسيلة التي تم بها الوصول إلى الجزر وتقليص مساحتها، وكانت الجزر الصغيرة هي الفرائس الأسهل اصطياداً. ولم تكن هناك حروب برية، على الأقل كانت تلك التي اكتسبت بها القوة؛ فلدينا صراعات حدودية معتادة، ولكننا لا نسمع شيئاً عن حملات بعيدة بهدف الفتح بين اليونانيين. ولم يكن هناك اتحاد بين المدن الخاضعة لدولة عظيمة، ولا اتحاد تلقائي بين أنداد للحملات المتحالفة؛ بل كانت المعارك التي دارت هناك تتألف من مجرد حرب محلية بين جيران متنافسين. وكان أقرب اقتراب من التحالف هو الحرب القديمة بين خالكيذا وإريتريا؛ وكان هذا شجاراً انحازت فيه بقية الأسماء اليونانية إلى حد ما.

ولقد تنوعت العقبات التي واجهت النمو الوطني في مناطق مختلفة. فقد كانت قوة الأيونيين تتقدم بخطوات سريعة، حتى اصطدمت ببلاد فارس، بقيادة الملك كورش، الذي لم يتوقف عن التقدم بعد أن خلع كروسوس عن عرشه واستولى على كل شيء بين نهر هاليس والبحر، إلا بعد أن دمر مدن الساحل؛ ولم يبق إلا الجزر ليخضعها داريوس والأسطول الفينيقي.

"ومرة أخرى، حيثما وجد الطغاة، كانت عادتهم في توفير احتياجاتهم الشخصية فقط، والتطلع فقط إلى راحتهم الشخصية وتوسيع نفوذ أسرهم، تجعل من الأمن الهدف الأعظم لسياساتهم، وتمنع أي شيء عظيم قد يأتي منهم؛ على الرغم من أن كل واحد منهم كان يدير شؤونه مع جيرانه المباشرين. وكل هذا لا ينطبق إلا على الوطن

الأم، لأنه في صقلية بلغوا قوة عظيمة للغاية. وهكذا نجد لفترة طويلة في كل مكان في اليونان أسبابًا تجعل الدول على حد سواء غير قادرة على الاتحاد لتحقيق أهداف وطنية كبرى، أو على القيام بأي عمل قوي من جانبها.

ولكن في النهاية جاء الوقت الذي تمكن فيه لاكيدايمون من القضاء على طغاة أثينا والطغاة الأقدم في بقية هيلاس، باستثناء الطغاة في صقلية؛ فبالرغم من أن هذه المدينة عانت من الانقسامات لفترة غير مسبوقة بعد استيطان الدوريين، سكانها الحاليين، إلا أنها حصلت في فترة مبكرة جدًا على قوانين جيدة، وتمتعت بالحرية من الطغاة التي لم تنقطع؛ فقد احتفظت بنفس شكل الحكم لأكثر من أربعمائة عام، حتى نهاية الحرب الأخيرة، وبالتالي كانت في وضع يسمح لها بترتيب شؤون الدول الأخرى. وبعد سنوات قليلة من خلع الطغاة، اندلعت معركة ماراثون بين الميديين والأثينيين. وبعد عشر سنوات، عاد البرابرة بأسطولهم لإخضاع هيلاس. وفي مواجهة هذا الخطر العظيم، تولى اللاكيدايمونيون قيادة اليونانيين المتحالفين بحكم قوتهم المتفوقة؛ ولقد قرر الأثينيون أن يهجروا مدينتهم، فهدموا بيوتهم، وألقوا بأنفسهم في سفنهم، وتحولوا إلى شعب بحري. وبعد أن صدَّ هذا التحالف البربري، انقسم بعد فترة وجيزة إلى قسمين، ضم الأول اليونانيين الذين ثاروا على الملك، وكذلك أولئك الذين ساعدوه في الحرب. وفي نهاية القسم الأول وقفت أثينا، وعلى رأس القسم الثاني لاكيدايمون، وكانت الأولى البحرية، والثانية القوة العسكرية الأولى في اليونان. وظل التحالف متماسكًا لفترة قصيرة، إلى أن تشاجر اللاكيدايمونيون والأثينيون وخاضوا حربًا ضد بعضهم البعض مع حلفائهم، وهي المبارزة التي انجر إليها كل اليونانيين عاجلاً أم آجلاً، وإن كان بعضهم قد يظل محايدًا في البداية. وعلى هذا فإن الفترة بأكملها من الحرب الميدية إلى هذه اللحظة، مع بعض فترات السلم، كانت تنفقها كل قوة في الحرب، إما مع منافسيها، أو مع حلفائها المتمردين، وبالتالي وفرت لهم التدريب المستمر في الأمور العسكرية، وتلك الخبرة التي يتم تعلمها في مدرسة الخطر.

ولم تكن سياسة لاكيدايمون تتلخص في فرض الجزية على حلفائها، بل كانت تهدف فقط إلى ضمان خضوعهم لمصالحها من خلال إنشاء حكومات أوليجاركية بينهم؛ أما أثينا، على العكس من ذلك، فقد حرمت سفنها بالتدريج، وفرضت بدلاً من ذلك مساهمات نقدية على كل السفن باستثناء خيوس ولسبوس. ووجدت كلتا الدولتين أن مواردهما لهذه الحرب على حدة تفوق مجموع قوتهما عندما ازدهر التحالف سليماً.

وبعد أن عرضت الآن نتائج تحقيقاتي في العصور الأولى، فإنني أعترف بأن تصديق كل التفاصيل الدقيقة أمر صعب. فالطريقة التي يتعامل بها أغلب الناس مع التقاليد، حتى تقاليد بلادهم، هي قبولها جميعًا كما وردت إليهم، دون تطبيق أي اختبار نقدي على الإطلاق. لقد تصور عامة الناس في أثينا أن هيبارخوس كان طاغية عندما سقط على أيدي هارموديوس وأريستوجيتون، دون أن يعرفوا أن هيبياس، أكبر أبناء بيسيستراتوس، كان في الحقيقة أعظم، وأن هيبارخوس وتيسالوس كانا شقيقيه؛ وأن هارموديوس وأريستوجيتون اشتبها في نفس اليوم، بل وفي نفس اللحظة المحددة للجريمة، بأن المعلومات قد نقلت إلى هيبياس من قبل شركائهما، واستنتجا أنه قد تم تحذيره، ولم يهاجماه، ومع ذلك، لم يرغبا في أن يتم القبض عليهما ويخاطرا بحياتهما من أجل لا شيء، فانقضا على هيبارخوس بالقرب من معبد بنات ليو، وقتلاه بينما كان ينظم موكب الباناثينيين.

إن هناك العديد من الأفكار الأخرى التي لا أساس لها من الصحة والتي تنتشر بين بقية اليونانيين، حتى في الأمور المتعلقة بالتاريخ المعاصر، والتي لم تطمسها الأزمنة. على سبيل المثال، هناك فكرة مفادها أن كل ملك من ملوك لاكيديمونيا له صوتان، والحقيقة أن لديهم صوتًا واحدًا فقط؛ وأن هناك جماعة من بيتاني، وهذا غير موجود على الإطلاق. إن عامة الناس لا يبذلون أي جهد في البحث عن الحقيقة، ويقبلون على الفور أول قصة تصل إليهم. ولكن في المجمل، أعتقد أنه يمكن الاعتماد

على الاستنتاجات التي توصلت إليها من الأدلة التي استشهدت بها بأمان. ومن المؤكد أنهم لن يزعجهم لا أشعار الشاعر التي تظهر مبالغة في حرفته، ولا مؤلفات المؤرخين التي تجتذبهم على حساب الحقيقة؛ لأن الموضوعات التي يعالجونها بعيدة عن متناول الأدلة، وأن الزمن حرم معظمهم من القيمة التاريخية بتتويجهم في منطقة الأساطير. وإذا ما ابتعدنا عن هذه الأمور، فإننا نستطيع أن نكتفي بأننا قد استفدنا من أوضح البيانات، وتوصلنا إلى استنتاجات دقيقة بقدر ما يمكن توقعه في مثل هذه الأمور القديمة. أما فيما يتعلق بهذه الحرب، فبالرغم من ميل الأطراف المشاركة في الصراع إلى المبالغة في تقدير أهميتها، وعودتهم بعد انتهائها إلى إعجابهم بالأحداث السابقة، فإن فحص الحقائق سوف يظهر لنا أنها كانت أعظم كثيراً من الحروب التي سبقتها.

"فيما يتعلق بالخطب التي وردت في هذا التاريخ، فقد ألقيت بعضها قبل بدء الحرب، وبعضها الآخر أثناء اندلاعها؛ وقد سمعت بعضها بنفسي، وبعضها الآخر سمعته من جهات مختلفة؛ وكان من الصعب في كل الأحوال أن أحفظها حرفيًا في الذاكرة، لذا فقد اعتدت أن أجعل المتحدثين يقولون ما كنت أعتقد أنه مطلوب منهم في المناسبات المختلفة، مع الالتزام قدر الإمكان بالمعنى العام لما قالوه حقًا. وفيما يتعلق بسرد الأحداث، فبعيدًا عن السماح لنفسي باستخلاصه من أول مصدر يقع بين يدي، لم أثق حتى في انطباعاتي الخاصة، بل إنها تستند جزئيًا إلى ما رأيته بنفسي، وجزئيًا إلى ما رآه الآخرون بالنسبة لي، حيث يتم اختبار دقة التقرير دائمًا بأشد الاختبارات صرامة وتفصيلاً. وقد كلفتني استنتاجاتي بعض الجهد بسبب عدم وجود تطابق بين روايات نفس الأحداث من قِبَل شهود عيان مختلفين، والتي نشأت أحيانًا عن ذاكرة غير كاملة، وأحيانًا بسبب تحيز غير مبرر لجانب أو آخر. إن غياب الرومانسية في تاريخي من شأنه، كما أخشى، أن يقلل من أهميته إلى حد ما؛ ولكن إذا اعتبره الباحثون الذين يرغبون في معرفة دقيقة بالماضي كمساعدة لتفسير المستقبل، والذي لابد وأن يشبهه في مجرى الأمور البشرية إذا لم يعكسه، فسأكون

راضيًا. وفي النهاية، لقد كتبت عملي، ليس كمقال من المفترض أن يحظى باستحسان اللحظة، بل كممتلكات دائمة.

لقد كانت الحرب الميدية أعظم إنجاز في العصور الماضية، ولكنها وجدت حلاً سريعاً في عملين بحريين وبريين. ولقد طالت الحرب البيلوبونيسية إلى حد كبير، ورغم طولها، إلا أنها كانت قصيرة لا توازيها مصائب في اليونان. فلم يسبق قط أن تم الاستيلاء على مدن كثيرة وتدميرها، هنا على يد البرابرة، وهنا على يد الأطراف المتصارعة (حيث كان السكان القدامى يُنقلون أحياناً لإفساح المجال للآخرين)؛ ولم يحدث قط مثل هذا القدر من النفي وسفك الدماء، الآن في ساحة المعركة، والآن في صراع الفصائل. لقد توقفت فجأة القصص القديمة عن الأحداث التي تناقلتها التقاليد، والتي لم تؤكدها التجربة إلا بشكل ضئيل، عن كونها لا تصدق؛ فقد حدثت زلازل ذات مدى وعنف غير مسبوقين؛ وحدثت كسوفات للشمس بمعدل لم يسجل في التاريخ السابق؛ وحدثت موجات جفاف شديدة في أماكن مختلفة، ثم حدثت المجاعات، ثم ذلك الطاعون الأكثر كارثية وفتكا. لقد واجهوا كل هذا مع الحرب الأخيرة، التي بدأت بين الأثينيين والبيلوبونيزيين بحل الهدنة التي دامت ثلاثين عامًا بعد غزو إيوبية. أما عن سبب خرقهم للمعاهدة، فأجيب أولاً بسرد أسباب شكواهم ونقاط الخلاف، حتى لا يضطر أحد إلى السؤال عن السبب المباشر الذي دفع اليونانيين إلى حرب بهذا الحجم. إن السبب الحقيقي في اعتقادي هو السبب الذي كان مخفيًا عن الأنظار رسميًا. إن نمو قوة أثينا، والقلق الذي أثارته هذه القوة في لاكيدايمون، جعل الحرب حتمية. ومع ذلك، فمن الجيد أن نذكر الأسباب التي ادعى كل من الجانبين أنها أدت إلى حل المعاهدة واندلاع الحرب.

الفصل الثاني

أسباب الحرب - قضية إبيدامنوس - قضية بوتيديا

تقع مدينة إبيدامنوس على يمين مدخل الخليج الأيوني. ويسكن جوارها شعب التاولانتيون، وهو شعب إيليري. والمكان عبارة عن مستعمرة من كورسيرا، أسسها فاليوس، ابن إراتوكليدس، من عائلة هيراكليدس، الذي كان قد تم استدعاؤه لهذا الغرض من كورنثوس، الوطن الأم، وفقًا للعادات القديمة. وانضم إلى المستعمرين بعض الكورنثيين، وآخرون من العرق الدورياني. والآن، مع مرور الوقت، أصبحت مدينة إبيدامنوس عظيمة ومكتظة بالسكان؛ ولكن عندما سقطت فريسة للفصائل الناشئة، كما يقال، من حرب مع جيرانها البرابرة، أصبحت ضعيفة للغاية، وفقدت قدرًا كبيرًا من قوتها. وكان آخر عمل قبل الحرب هو طرد النبلاء من قبل الشعب. وانضم الحزب المنفي إلى البرابرة، وشرع في نهب من في المدينة عن طريق البحر والبر؛ ولما وجد الإبيدامانيون أنفسهم في ضائقة شديدة، أرسلوا سفراء إلى كورسيرا يتوسلون إلى وطنهم الأم ألا يسمح لهم بالهلاك، بل أن يصلحوا الأمور بينهم وبين المنفيين، وأن يخلصوهم من الحرب مع البرابرة. وجلس السفراء في معبد هيرا كمتوسلين، وقدموا الطلبات المذكورة أعلاه إلى الكوسيريين. لكن الكوسيريين رفضوا قبول توسلهم، وطُردوا دون أن يفعلوا شيئًا.

وعندما وجد الإبيدامانيون أنه لا يمكن توقع أي مساعدة من كورسيرا، كانوا في مأزق بشأن ما يجب عليهم فعله بعد ذلك. لذا أرسلوا إلى دلفي وسألوا الإله عما إذا كان ينبغي لهم تسليم مدينتهم إلى الكورنثيين والسعي للحصول على بعض المساعدة من مؤسسيهم. وكان الجواب الذي أعطاهم إياه هو تسليم المدينة ووضع أنفسهم تحت حماية الكورنثيين. وهكذا ذهب الإبيدامانيون إلى كورنثوس وسلموا المستعمرة طاعة لأوامر العراف. وأظهروا أن مؤسسهم جاء من كورنثوس، وكشفوا عن إجابة الإله؛ وتوسلوا إليه ألا يسمح لهم بالهلاك، بل أن يساعدوهم. ووافق الكورنثيون على

القيام بذلك. ولأنهم اعتقدوا أن المستعمرة تنتمي إليهم بقدر ما تنتمي إلى الكورنثيين، فقد شعروا أنه من الواجب عليهم أن يتولوا حمايتهم. فضلاً عن ذلك، فقد كرهوا الكورنثيين لاحتقارهم للوطن الأم. وبدلاً من أن تحظى كورنثوس بالتكريمات المعتادة التي تمنحها كل مستعمرة أخرى للمدينة الأم في التجمعات العامة، مثل الأولوية في تقديم القرابين، وجدت نفسها تُعامَل بازدراء من قِبَل قوة لا يمكن مقارنتها في ثروتها بأي من أغنى المجتمعات في اليونان، والتي كانت تمتلك قوة عسكرية عظيمة، والتي لم تستطع أحيانًا كبت فخرها بالمكانة البحرية العالية لجزيرة تعود شهرتها البحرية إلى أيام سكانها القدامى، الفياقيين. وكان هذا أحد أسباب العناية التي أغدقتها بأسطولها، الذي أصبح فعالاً للغاية؛ بل لقد بدأوا الحرب بقوة تتألف من مائة وعشرين سفينة.

ولقد دفعت كل هذه المظالم أهل كورنثوس إلى الحرص على إرسال المساعدة الموعودة إلى إبيدامنوس. فأعلن عن الحاجة إلى مستوطنين متطوعين، وأرسلت قوة من الأمبراشيين، واللوكادينيين، والكورنثيين. وساروا براً إلى أبولونيا، وهي مستعمرة كورنثية، وتجنبوا الطريق البحري خوفاً من مقاطعة أهل كورنثوس لهم. وحين سمع أهل كورنثوس بوصول المستوطنين والقوات إلى إبيدامنوس، واستسلام المستعمرة لكورنثوس، تعرضوا لإطلاق النار. وعلى الفور أبحروا بخمس وعشرين سفينة، وتبعتهم سفن أخرى على الفور، وأمروا أهل إبيدامنوس بوقاحة باستقبال النبلاء المنفيين . (ولابد أن نفترض أن المنفيين الإبيداميين قد أتوا إلى كورنثوس، وأشاروا إلى قبور أسلافهم، وناشدوا أقاربهم إعادة هذه القبور) . وطرد الحامية الكورنثية والمستوطنين. ولكن أهل إبيدامنوس لم يصغوا إلى كل هذا. فبدأ أهل كورسيرا عملياتهم ضدهم بأسطول مكون من أربعين شراعًا. وأخذوا معهم المنفيين، بهدف إعادتهم إلى بلادهم، كما حصلوا على خدمات الإليريين. وجلسوا أمام المدينة، وأصدروا إعلانًا مفاده أنه يجوز لأي من السكان الأصليين، والأجانب، أن يغادروا دون أن يصابوا بأذى، وإلا فإنهم سيعاملون كأعداء. وعند رفضهم، شرع أهل كورسيرا في

محاصرة المدينة، التي تقع على برزخ؛ وعندما تلقى أهل كورنثوس معلومات عن حصار إبيدامنوس، جمعوا عتادهم وأعلنوا مستعمرة لإبيدامنوس، مع ضمان المساواة السياسية الكاملة لكل من يختار الذهاب. وكان بإمكان أي شخص غير مستعد للإبحار على الفور، بدفع مبلغ خمسين دراخمة كورنثية، أن يحصل على نصيب في المستعمرة دون مغادرة كورنثوس. وقد استفادت أعداد كبيرة من الناس من هذا الإعلان، حيث كان بعضهم على استعداد للبدء مباشرة، بينما دفع آخرون الغرامات اللازمة. وفي حالة اعتراض أهل كورسيرا على مرورهم، طُلب من عدة مدن إقراضهم قافلة. واستعدت ميجارا لمرافقتهم بثماني سفن، وبالي في كيفالونيا بأربع سفن؛ وأبداوروس بخمس سفن، وهيرميون بواحدة، وترويزن باثنين، ولوكاس بعشر، وأمبراسيا بثمانية. وطُلب من أهل طيبة وفليسيان المال، ومن أهل إليان بهياكل السفن أيضًا؛ بينما زودت كورنث نفسها بثلاثين سفينة وثلاثة آلاف من المشاة الثقيلة.

ولما سمع أهل كورسيرا باستعداداتهم، جاءوا إلى كورنثوس برفقة مبعوثين من لاكيدايمون وسكيون، فأقنعوهم بمرافقتهم، وطلبوا منها استدعاء الحامية والمستوطنين، لأنها لا علاقة لها بإبيدامون. ولكن إذا كان لها أي مطالب، فقد كانوا على استعداد لإحالة الأمر إلى التحكيم من قبل المدن في بيلوبونيز التي يجب اختيارها بالاتفاق المتبادل، وأن تظل المستعمرة في يد المدينة التي قد يعينها المحكمون. وكانوا على استعداد أيضًا لإحالة الأمر إلى أوراكل في دلفي. وإذا ما استُدعيت الحرب على الرغم من احتجاجاتهم، فسوف يضطرون هم أنفسهم بسبب هذا العنف إلى البحث عن أصدقاء في أماكن لا يرغبون في البحث عنهم فيها، وإفساح المجال حتى للعلاقات القديمة لضرورة المساعدة. وكانت الإجابة التي تلقوها من كورنثوس هي أنه إذا سحبوا أسطولهم والبرابرة من إبيدامون، فقد يكون التفاوض ممكنًا؛ ولكن بينما كانت المدينة لا تزال محاصرة، كان الذهاب إلى المحكمين أمراً غير وارد. ورد أهل كورسيرا بأن كورينث إذا سحبت قواتها من إبيدامنوس فإنهم

سوف يسحبون قواتهم، أو أنهم على استعداد للسماح للطرفين بالبقاء على الوضع الراهن، مع إبرام الهدنة حتى يمكن إصدار الحكم.

ولما صم أهل كورنثوس آذانهم عن كل هذه المقترحات، وعندما جهزوا سفنهم ودخل حلفاؤهم، أرسلوا منادياً أمامهم ليعلنوا الحرب، وأبحروا بخمس وسبعين سفينة وألفي جندي من المشاة الثقيلة إلى إبيدامنوس لمحاربة الكورسيريين. وكان الأسطول تحت قيادة أريستوس بن بليخاس، وكاليكراتيس بن كالياس، وتيمانور بن تيمانثيس؛ وكانت القوات تحت قيادة أرخيتيموس بن يوريتيموس، وإيسارخيداس بن إيسارخوس. وعندما وصلوا إلى أكتيوم في إقليم أنكتوريوم، عند مصب خليج أمبراشيا، حيث يوجد معبد أبولو، أرسل الكورسيريون منادياً في قارب خفيف ليحذرهم من الإبحار ضدهم. وفي غضون ذلك شرعوا في تجهيز سفنهم، التي كانت جميعها مجهزة للعمل، وكانت السفن القديمة مدعومة بما يجعلها صالحة للإبحار. وعند عودة الرسول دون أي رد سلمي من الكورنثيين، وبعد أن أصبحت سفنهم مأهولة بالركاب، أبحروا إلى البحر للقاء العدو بأسطول مكون من ثمانين شراعًا (كانت أربعون منها محاصرة لإبيدامنوس)، وشكلوا صفوفًا ودخلوا في المعركة، وحققوا نصرًا حاسمًا، ودمروا خمس عشرة سفينة من سفن الكورنثيين. وفي نفس اليوم، أجبر المحاصرون إبيدامنوس على الاستسلام؛ وكان الشرط هو بيع الأجانب، وإبقاء الكورنثيين أسرى حرب، إلى أن يتم تقرير مصيرهم بطريقة أخرى.

وبعد المعركة أقام أهل كورسيرا غنائمهم في لوكيم، أحد رؤوس كورسيرا، وقتلوا كل أسراهم باستثناء أهل كورسيرا، الذين احتجزوهم كأسرى حرب. وبعد أن هُزم أهل كورسيرا في البحر، عاد أهل كورسيرا وحلفاؤهم إلى ديارهم، وتركوا أهل كورسيرا أسياد البحر في تلك الأنحاء. وأبحروا إلى لوكاس، إحدى مستعمرات كورسيرا، ونهبوا أراضيهم، وأحرقوا سيلين، ميناء الإيليين، لأنهم زودوا كورنثوس بالسفن والأموال. وظل أهل كورسيرا أسياد البحر طيلة الفترة التي تلت المعركة تقريبًا، وتعرض حلفاء

كورسيرا للمضايقات من قبل السفن الحربية الكوسيرية. وفي نهاية المطاف، أيقظت كورنثوس من عذابات حلفائها، فأرسلت السفن والقوات في خريف الصيف، فشكلوا معسكراً في أكتيوم وحول كيميريوم في ثسبروتس لحماية لوكاس وبقية المدن الصديقة. ومن جانبهم شكل أهل كورسيرا معسكراً مماثلاً في لوكيم. ولم يقم أي من الطرفين بأي تحرك، لكنهما ظلا في مواجهة بعضهما البعض حتى نهاية الصيف، وكان الشتاء على الأبواب قبل أن يعود أي منهما إلى وطنه.

ولقد قضت كورنثوس، التي أغضبتها الحرب مع أهل كورسيرا، العام بأكمله بعد الاشتباك والذي تلاه في بناء السفن، وبذل قصارى جهدها لتشكيل أسطول فعال؛ حيث تم استقطاب المجذفين من البيلوبونيز وبقية اليونان من خلال الإغراءات المالية الضخمة. ولقد شعر أهل كورسيرا بالفزع إزاء أنباء استعداداتهم، حيث لم يكن لديهم حليف واحد في اليونان (لأنهم لم ينضموا إلى التحالف الأثيني أو اللاكديموني)، فقرروا التوجه إلى أثينا من أجل الدخول في تحالف ومحاولة الحصول على الدعم منها. ولقد علمت كورنثوس بنواياهم أيضًا، فأرسلت سفارة إلى أثينا لمنع انضمام الأسطول الأثيني إلى الأسطول الكوسيري، وبالتالي إعاقة احتمالات قيامها بإدارة الحرب وفقًا لرغباتها. ولقد تم عقد جمعية، وظهر المدافعون المنافسون: وتحدث أهل كورسيرا على النحو التالي:

"أيها الأثينيون! عندما يأتي شعب لم يقدم أي خدمة أو دعم مهم لجيرانه في الماضي، والذي قد يزعم أنه يستحق مقابل ذلك، أمامهم كما نأتي الآن أمامكم لطلب مساعدتهم، فقد يُطلب منهم بشكل عادل تلبية بعض الشروط الأولية. يجب عليهم أولاً أن يظهروا أنه من المناسب أو على الأقل من الآمن تلبية طلبهم؛ ثانيًا، أن يحتفظوا بإحساس دائم باللطف. ولكن إذا لم يتمكنوا من إثبات أي من هذه النقاط بوضوح، فلا ينبغي لهم أن ينزعجوا إذا واجهوا رفضًا. يعتقد أهل كورسيرا الآن أنه من خلال التماسهم للمساعدة يمكنهم أيضًا إعطاؤكم إجابة مرضية على هذه النقاط،

ولذلك أرسلونا إلى هنا. لقد حدث أن سياستنا تجاهكم فيما يتعلق بهذا الطلب، اتضح أنها غير متسقة، وفيما يتعلق بمصالحنا، أصبحت في الأزمة الحالية غير مناسبة. "إننا نقول غير متسقين، لأن قوة لم تكن في تاريخها الماضي على استعداد للتحالف مع أي من جيرانها، تجد نفسها الآن تطلب منهم التحالف معها. ونقول غير مناسبين، لأن حربنا الحالية مع كورنثوس تركتنا في وضع من العزلة التامة، وما بدا ذات يوم بمثابة احتياط حكيم برفض إشراك أنفسنا في تحالفات مع قوى أخرى، خشية أن نتورط أيضًا في مخاطر من اختيارهم، أثبت الآن أنه حماقة وضعف. صحيح أننا في الاشتباك البحري الأخير طردنا الكورنثيين من شواطئنا بمفردنا. لكنهم جمعوا الآن تسليحًا أكبر من البيلوبونيز وبقية اليونان؛ ونحن، إذ ندرك عجزنا التام عن التعامل معهم دون مساعدة خارجية، وحجم الخطر الذي يترتب على الخضوع لهم، نجد أنه من الضروري أن نطلب المساعدة منكم ومن كل قوة أخرى. ونحن نأمل أن نعذر إذا تخلينا عن مبدأنا القديم المتمثل في العزلة السياسية الكاملة، وهو المبدأ الذي لم يتم تبنيه بأية نية شريرة، بل كان نتيجة خطأ في الحكم.

"الآن هناك العديد من الأسباب التي تجعلك تهنئ نفسك على هذا الطلب الذي تم تقديمه إليك في حالة امتثالك. أولاً، لأن مساعدتك ستقدم لقوة هي نفسها غير مؤذية، لكنها ضحية لظلم الآخرين. ثانيًا، لأن كل ما نقدره أكثر هو على المحك في الصراع الحالي، وترحيبك بنا في ظل هذه الظروف سيكون دليلاً على حسن النية الذي سيبقى دائمًا الامتنان الذي ستحتفظ به في قلوبنا. ثالثًا، باستثناء أنفسكم، نحن أعظم قوة بحرية في اليونان. علاوة على ذلك، هل يمكنك أن تتخيل ضربة حظ أكثر ندرة في حد ذاتها، أو أكثر إحباطًا لأعدائك، من أن القوة التي كنت تقدر انضمامها فوق الكثير من القوة المادية والمعنوية قد تقدم نفسها بدعوة ذاتية، وتسلم نفسها بين يديك دون خطر ودون تكلفة، وأخيرًا تضعك في طريق اكتساب شخصية عالية في نظر العالم، وامتنان أولئك الذين ستساعدهم، وزيادة كبيرة في القوة لأنفسكم؟ "قد تبحث في التاريخ كله دون أن تجد أمثلة كثيرة لشعب اكتسب كل هذه المزايا

دفعة واحدة، أو أمثلة كثيرة لقوة جاءت في طلب المساعدة وكانت في وضع يسمح لها بمنح الشعب الذي تطلب تحالفه معه قدرًا من الأمان والشرف بقدر ما ستحصل عليه. ولكن سيقال إننا لن نكون مفيدين إلا في حالة الحرب. ونجيب على هذا بأن أي شخص منكم يتصور أن تلك الحرب بعيدة، فهو مخطئ بشكل خطير، ولا يرى حقيقة أن لاكيدايمون ينظر إليكم بغيرة ويرغب في الحرب، وأن كورينثوس قوية هناك - تذكروا أن هذا هو عدوكم، ويحاول حتى الآن إخضاعنا تمهيدًا لمهاجمتكم. وهذا ما تفعله لمنعنا من الاتحاد بسبب عداوة مشتركة، ومنعها من امتلاكنا، وأيضًا لضمان بدء هجومكم بإحدى طريقتين، إما عن طريق شل قوتنا أو جعل قوتها خاصة بها. والآن أصبحت سياستنا هي أن نكون معها مسبقًا - أي أن تقدم كورسيرا عرضًا للتحالف وأن تقبله؛ في الواقع، يتعين علينا أن نضع خططًا ضدها بدلاً من الانتظار لإحباط الخطط التي تضعها ضدنا.

"إذا أكدت لك أن قبول مستعمرة تابعة لها في التحالف ليس أمرًا صحيحًا، فأعلمها أن كل مستعمرة تُعامل معاملة حسنة تكرم الدولة الأم، لكنها تنفصل عنها بسبب الظلم. لأن المستعمرين لا يُرسَلون على أساس فهم أنهم سيكونون عبيدًا لأولئك الذين يبقون وراءهم، بل ليكونوا مساوين لهم. ومن الواضح أن كورنثوس كانت تؤذينا. عندما دُعيت لإحالة النزاع حول إبيدامنوس إلى التحكيم، اختارت متابعة شكواها بالحرب بدلاً من محاكمة عادلة. وليكن سلوكهم تجاهنا نحن أقاربهم تحذيرًا لك حتى لا تضللك خداعهم، ولا تستسلم لطلباتهم المباشرة؛ فالتنازلات للخصوم لا تنتهي إلا إلى اللوم الذاتي، وكلما تجنبتها بصرامة كلما زادت فرصة الأمان.

"إذا قيل إن استقبالك لنا سيكون خرقًا للمعاهدة القائمة بينك وبين لاكيدايمون، فإن الإجابة هي أننا دولة محايدة، وأن أحد الأحكام الصريحة في تلك المعاهدة هو أنه من حق أي دولة يونانية محايدة الانضمام إلى أي جانب تريده. ومن غير المقبول أن يُسمح لكورنثوس بالحصول على رجال لأسطولها ليس فقط من حلفائها، بل وأيضًا

من بقية اليونان، حيث لا يوجد عدد قليل منهم من رعاياك؛ بينما سيتم استبعادنا من التحالف المفتوح لنا بموجب المعاهدة، ومن أي مساعدة قد نحصل عليها من جهات أخرى، وسيتم اتهامك بالفساد السياسي إذا امتثلت لطلبنا. من ناحية أخرى، سيكون لدينا سبب أكبر للشكوى منك، إذا لم تمتثل له؛ "إذا ما لقينا نحن الذين نتعرض للخطر ولا نعدكم أعداءً لكم ردًا من جانبكم، بينما لا تواجه كورنثوس، التي هي المعتدية وعدوتكم، أي عائق من جانبكم فحسب، بل يُسمح لها أيضًا بجلب المواد اللازمة للحرب من الدول التابعة لكم. لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك، بل يجب أن تمنعوها من تجنيد الرجال في مملكتكم، أو أن تقدموا لنا أيضًا أي مساعدة قد تعتقدون أنها مناسبة".

"ولكن سياستكم الحقيقية هي أن تمنحونا التأييد والدعم المعلنين. إن مزايا هذا المسار، كما افترضنا في بداية خطابنا، عديدة. نذكر واحدة ربما تكون الرئيسية. هل يمكن أن يكون هناك ضمان أوضح لحسن نيتنا من حقيقة أن القوة التي هي في عداوة معك هي أيضًا في عداوة معنا، وأن هذه القوة قادرة تمامًا على معاقبة الانشقاق؟ وهناك فرق كبير بين رفض التحالف مع قوة داخلية وقوة بحرية. يجب أن يكون مساعيك الأولى هي منع وجود أي قوة بحرية باستثناء قوتك؛ وإذا فشل ذلك، فيجب تأمين صداقة أقوى قوة موجودة. وإذا كان أي منكم يعتقد أن ما نحث عليه مناسب، لكنه يخشى التصرف بناءً على هذا الاعتقاد، خشية أن يؤدي ذلك إلى خرق المعاهدة، فيجب أن تتذكر أنه من ناحية، مهما كانت مخاوفك، فإن قوتك ستكون هائلة في مواجهة خصومك؛ "ومن ناحية أخرى، مهما كانت الثقة التي تستمدها من رفضك استقبالنا، فإن ضعفك لن يثير أي خوف من عدو قوي. ويجب أن تتذكر أيضًا أن قرارك لا يقل أهمية عن قرار أثينا، وأنك لا تتخذ أفضل التدابير لمصالحها، إذا كنت في الوقت الذي تراقب فيه الأفق بقلق استعدادًا لاندلاع الحرب التي تقترب منك، تتردد في الانضمام إلى جانبك إلى مكان يحمل انضمامه أو ابتعاده عواقب وخيمة على حد سواء. فهو يقع في مكان مناسب للملاحة الساحلية في اتجاه

إيطاليا وصقلية، حيث يمكنه منع مرور التعزيزات البحرية من هناك إلى بيلوبونيز، ومن بيلوبونيز إلى هناك؛ وهو في جوانب أخرى مكان مرغوب فيه للغاية. ولتلخيص ما سبق، وباختصار قدر الإمكان، مع مراعاة الاعتبارات العامة والخاصة، دع هذا يظهر لك حماقة التضحية بنا. "تذكر أن هناك ثلاث قوى بحرية كبيرة في اليونان - أثينا وكورسيرا وكورنثوس - وإذا سمحت لاثنتين من هذه القوى الثلاث بأن تصبحا قوة واحدة، وكورنثوس تؤمن لنا نفسها، فسوف تضطر إلى الحفاظ على البحر ضد الأسطول المتحد لكورسيرا وبيلوبونيز. ولكن إذا استقبلتنا، فسوف يكون لديك سفننا لتدعمك في الصراع".

كانت هذه هي كلمات أهل كورسيرا. وبعد أن انتهوا، تحدث أهل كورنثوس على النحو التالي:

"إن هؤلاء الكورسيريين في الخطاب الذي سمعناه للتو لا يقتصرون على مسألة قبولهم في تحالفكم. إنهم يتحدثون أيضًا عن كوننا مذنبين بالظلم، وأنهم ضحايا حرب غير مبررة. ويصبح من الضروري أن نتطرق إلى هاتين النقطتين قبل أن ننتقل إلى بقية ما لدينا لنقوله، حتى يكون لديكم فكرة أكثر صحة عن أسباب مطالبتنا، ويكون لديكم سبب وجيه لرفض التماسهم. وفقًا لهم، كانت سياستهم القديمة في رفض جميع عروض التحالف سياسة اعتدال. لقد تم تبنيها في الواقع لأغراض سيئة، وليس من أجل الخير؛ والواقع أن سلوكهم يجعلهم لا يرغبون بأي حال من الأحوال في وجود حلفاء ليشهدوا عليها، أو يخجلون من طلب موافقتهم. فضلاً عن ذلك فإن موقعهم الجغرافي يجعلهم مستقلين عن غيرهم، وبالتالي فإن القرار في الحالات التي يلحقون فيها أي ضرر لا يقع على عاتق القضاة المعينين بالاتفاق المتبادل، بل يقع على عاتقهم، وذلك لأنه في حين نادراً ما يقومون برحلات إلى جيرانهم، فإنهم يتعرضون باستمرار لزيارات السفن الأجنبية التي تُرغم على الرسو في كورسيرا. وباختصار، فإن الهدف الذي يعرضونه على أنفسهم، في سياستهم الخادعة المتمثلة

في العزلة التامة، ليس تجنب المشاركة في جرائم الآخرين، بل تأمين احتكار الجريمة لأنفسهم . ترخيص الاعتداء حيثما أمكنهم ذلك، والاحتيال حيثما أمكنهم التهرب، والتمتع بمكاسبهم دون خجل. ومع ذلك، إذا كانوا رجالاً صادقين كما يتظاهرون، فكلما قل نفوذ الآخرين عليهم، كلما كان بوسعهم أن يضعوا صدقهم في ضوء أقوى من خلال إعطاء وأخذ ما هو عادل.

"ولكن لم يكن هذا سلوكهم تجاه الآخرين أو تجاهنا. لقد كان موقف مستعمرتنا تجاهنا دائمًا موقفًا من الغربة والآن أصبح موقفًا عدائيًا؛ لأنهم يقولون: "لم نرسل لنُعامل معاملة سيئة". ونحن نرد بأننا لم نجد المستعمرة مهينة من قبلهم، بل وجدناها رئيسة لهم ويجب أن يُنظر إليها باحترام مناسب. على أي حال، فإن مستعمراتنا الأخرى تكرمنا، ونحن محبوبون جدًا من قبل مستعمرينا؛ ومن الواضح أنه إذا كانت الأغلبية راضية عنا، فلا يمكن أن يكون لدى هؤلاء سبب وجيه لعدم الرضا الذي يقفون فيه بمفردهم، ونحن لا نتصرف بشكل غير لائق في شن الحرب ضدهم، ولا نشن الحرب ضدهم دون تلقي استفزاز واضح. علاوة على ذلك، إذا كنا مخطئين، فسيكون من الشرف لهم أن يستسلموا لرغباتنا، ومن المخزي لنا أن ندوس على اعتدالهم؛ "ولكن في كبريائهم واستغلالهم للثروة أخطأوا ضدنا مراراً وتكراراً، ولم يكن ذلك أكثر عمقاً مما حدث عندما استولىوا على إبيدامنوس، اعتمادنا، الذي لم يتخذوا أي خطوات للمطالبة به في محنته عند مجيئنا لتخفيفه، والآن يتم احتجازهم بقوة السلاح.

"أما فيما يتعلق بزعمهم بأنهم أرادوا أن يتم تقديم المسألة أولاً للتحكيم، فمن الواضح أن التحدي القادم من الطرف الآمن في موقف مهيمن لا يمكن أن يحظى بالتقدير المستحق فقط لمن يضع نفسه على قدم المساواة مع خصمه، قبل اللجوء إلى السلاح، في الأفعال وكذلك الأقوال. في حالتهم، لم يكن ذلك قبل أن يحاصروا المكان، ولكن بعد أن أدركوا أخيرًا أنه لا ينبغي لنا أن نتحمل ذلك بهدوء، فكروا في

كلمة التحكيم الزائفة. ولم يكتفوا بسوء سلوكهم هناك، ويظهرون هنا الآن ويطالبونك بالانضمام إليهم ليس في التحالف ولكن في الجريمة، وقبولهم على الرغم من عداوتهم لنا. ولكن عندما وقفوا بثبات كان ينبغي لهم أن يقدموا لك مبادرات، وليس في وقت تعرضنا فيه للظلم وهم في خطر؛ ولا حتى في الوقت الذي ستسمح فيه لأولئك الذين لم يسمحوا لك قط بمشاركتهم في سلطتهم بالمشاركة في حمايتك، وستتحمل قدرًا متساويًا من اللوم من جانبنا مع أولئك الذين لم يكن لك يد في جرائمهم. كلا، كان ينبغي لهم أن يتقاسموا سلطتهم معك قبل أن يطلبوا منك تقاسم ثرواتك معهم.

"إذن، فقد ثبتت صحة المظالم التي نشكو منها، وعنف وجشع خصومنا. ولكن لا يمكنك قبولها بشكل عادل، وهذا ما عليك أن تتعلمه. قد يكون صحيحًا أن أحد أحكام المعاهدة هو أنه يحق لأي دولة، لم يرد اسمها في القائمة، الانضمام إلى أي جانب تريده. لكن هذه الاتفاقية ليست مخصصة لأولئك الذين يهدفون إلى الإضرار بالقوى الأخرى، بل لأولئك الذين لا تنشأ حاجتهم إلى الدعم عن حقيقة الانشقاق، والذين لن يؤدي انضمامهم إلى جلب القوة المجنونة بما يكفي لقبولهم الحرب بدلاً من السلام؛ وهذا سيكون الحال معك، إذا رفضت الاستماع إلينا. لأنك لا تستطيع أن تصبح مساعدًا لهم وتظل صديقًا لنا؛ إذا انضممت إلى هجومهم، فيجب أن تشارك في العقوبة التي يفرضها المدافعون عليهم. ومع ذلك، لديك أفضل حق ممكن في الحياد، أو إذا فشلت في ذلك، فيجب عليك على العكس من ذلك الانضمام إلينا ضدهم. كورنثوس على الأقل في معاهدة معك؛ "إنكم لم تتفقوا قط مع كورسيرا على الهدنة. ولكن لا تضعوا مبدأ مفاده أن الانشقاق يجب أن يكون تحت رعاية. فهل سجلنا نحن صوتنا ضدكم في انشقاق الساميين، في حين انقسمت بقية القوى البيلوبونيسية على نحو متساوٍ بشأن مسألة ما إذا كان ينبغي لها أن تساعدهم؟ كلا، لقد قلنا لهم في وجوههم أن لكل قوة الحق في معاقبة حلفائها. ولكن إذا جعلتم من سياستكم استقبال ومساعدة كل المخالفين، فستجدون أن العديد من الدول

التابعة لكم ستنتقل إلينا، وأن المبدأ الذي تؤسسونه لن يفرض علينا ثقلاً أكبر من ثقله عليكم.

"هذا إذن ما يخولنا القانون اليوناني أن نطالب به كحق. ولكن لدينا أيضًا نصيحة لنقدمها ومطالبات بامتنانك، والتي، نظرًا لعدم وجود خطر من إيذائك، لأننا لسنا أعداء، ونظرًا لأن صداقتنا لا تصل إلى حد التواصل المتكرر، فنقول إنه يجب تصفيتها في المرحلة الحالية. عندما كنت في حاجة إلى سفن حربية للحرب ضد الإيجينيين، قبل الغزو الفارسي، زودتك كورنثوس بعشرين سفينة. لقد مكنك هذا التحول الجيد، والخط الذي اتخذناه بشأن قضية ساموس، عندما كنا سببًا في رفض البيلوبونيزيين مساعدتهم، من غزو إيجينا ومعاقبة ساموس. وتصرفنا على هذا النحو في الأزمات عندما اعتاد الرجال، إن وجد، في جهودهم ضد أعدائهم على نسيان كل شيء من أجل النصر، واعتبار من يساعدهم صديقًا، حتى لو كان حتى الآن عدوًا، ومن يعارضهم عدوًا، حتى لو كان حتى الآن صديقًا؛ إنهم في الواقع يسمحون لمصالحهم الحقيقية أن تعاني من انشغالهم المفرط بالنضال.

"وزنوا هذه الاعتبارات جيداً، ودع شبابكم يتعلمون ما هي من شيوخهم، ودعهم يقررون أن يفعلوا بنا كما فعلنا بكم. ولا ينكرون عدالة ما نقوله، بل يجادلون في حكمته في حالة الحرب. ليس فقط أن الطريق الأكثر استقامة هو الأكثر حكمة بشكل عام؛ ولكن مجيء الحرب، التي استخدمها أهل كورسيرا كعامل إزعاج لإقناعكم بارتكاب الخطأ، لا يزال غير مؤكد، ولا يستحق الأمر أن تنجرف معها إلى اكتساب عداوة كورنثوس الفورية والمعلنة. بل كان من الحكمة أن تحاولوا مقاومة الانطباع غير المواتي الذي خلقه سلوككم تجاه ميجارا. لأن اللطف الذي تظهره في الوقت المناسب له قوة أكبر في إزالة المظالم القديمة مما قد تبرر وقائع القضية. ولا تنخدعوا باحتمال تحالف بحري كبير. إن الامتناع عن كل الظلم للقوى الأخرى من الدرجة الأولى هو برج قوة أعظم من أي شيء يمكن اكتسابه بالتضحية بالهدوء

الدائم من أجل ميزة مؤقتة ظاهرة. "لقد حان دورنا الآن للاستفادة من المبدأ الذي وضعناه في لاكيدايمون، والذي ينص على أن لكل قوة الحق في معاقبة حلفائها. ونحن الآن نطالب بالحصول على نفس الشيء منكم، ونحتج على مكافأتكم لنا على الاستفادة منكم بتصويتنا من خلال إيذائنا بتصويتكم. بل على العكس من ذلك، ردوا لنا المثل بالمثل، متذكرين أن هذه هي الأزمة ذاتها التي يكون فيها من يقدم المساعدة صديقًا للغاية، ومن يعارض هو عدو للغاية. وبالنسبة لهؤلاء الكورسيريين - لا تقبلوهم في تحالف رغمًا عنا، ولا تكونوا مساعدين لهم في الجريمة. افعلوا ذلك، وسوف تتصرفون كما يحق لنا أن نتوقع منكم، وفي الوقت نفسه استشيروا مصالحكم الخاصة على أفضل وجه."

وكانت هذه كلمات أهل كورنثوس.

وبعد أن استمع الأثينيون إلى كليهما، انعقدت جمعيتان. ففي الأولى كان هناك ميل واضح إلى الاستماع إلى تمثيلات كورنثوس؛ وفي الثانية، تغير الشعور العام وقرروا التحالف مع كورسيرا، مع بعض التحفظات. وكان التحالف دفاعياً وليس هجومياً. ولم يتضمن خرقاً للمعاهدة مع البيلوبونيز: فلم يكن من الممكن إلزام أثينا بالانضمام إلى كورسيرا في أي هجوم على كورنثوس. ولكن كان لكل من الطرفين المتعاقدين الحق في الحصول على مساعدة الطرف الآخر ضد الغزو، سواء كان لإقليمه أو لإقليم حليف. فقد بدأ الشعور الآن بأن اندلاع الحرب البيلوبونيزية لم يكن سوى مسألة وقت، ولم يكن أحد على استعداد لرؤية قوة بحرية بهذا الحجم الذي ضحى به كورسيرا لكورنثوس؛ ولو كان بوسع الطرفين السماح للطرفين بإضعاف بعضهما البعض من خلال الصراع المتبادل، فلن يكون ذلك إعداداً سيئاً للصراع الذي قد تضطر أثينا إلى خوضه ذات يوم مع كورنثوس والقوى البحرية الأخرى. وفي الوقت نفسه، بدا أن الجزيرة تقع في مكان مناسب على الممر الساحلي المؤدي إلى إيطاليا وصقلية. وعلى هذا الأساس، قبلت أثينا كورسيرا في تحالف معها، وبعد رحيل

الكورنثيين بعد فترة وجيزة، أرسلت عشر سفن لمساعدتهم. وكان يقود هذه السفن لاكيديمونيوس، ابن سيمون، وديوتيموس، ابن سترومبيكوس، وبروتيس، ابن إبيكليس. وكانت تعليماتهم هي تجنب الاصطدام بأسطول كورنثيين إلا في ظروف معينة. وإذا أبحرت هذه السفن إلى كورسيرا وهددت بالهبوط على ساحلها، أو في أي من ممتلكاتها، كان عليهم بذل قصارى جهدهم لمنعها. وكانت هذه التعليمات مدفوعة بالقلق من تجنب خرق المعاهدة.

وفي هذه الأثناء أكمل أهل كورنثوس استعداداتهم وأبحروا إلى كورسيرا بمائة وخمسين سفينة. ومن بين هذه السفن زودت إليس بعشر سفن، وميجارا باثنتي عشرة، ولوكاس بعشر سفن، وأمبراسيا بسبع وعشرين سفينة، وأناكتوريوم بواحدة، وكورنثوس نفسها بتسعين سفينة. وكان لكل من هذه الفرق أميرال خاص بها، وكان الأميرال الكورنثي تحت قيادة زينوكليدس، ابن أوثيكليس، مع أربعة من رفاقه. وبعد أن أبحروا من لوكاس، وصلوا إلى جزء من القارة مقابل كورسيرا. ورسوا في ميناء شيميريوم، في إقليم ثيسبروتس، الذي تقع فوقه، على مسافة ما من البحر، مدينة إيفيرا، في منطقة إليان. وعند هذه المدينة تصب بحيرة آخيروس مياهها في البحر. وقد استمدت اسمها من نهر آخيرون، الذي يتدفق عبر ثيسبروتس ويسقط في البحيرة. وهناك أيضًا يتدفق نهر تيميس، ويشكل الحدود بين ثيسبروتس وكاسترين؛ "وبين هذه الأنهار يرتفع نهر كيميريوم. وفي هذا الجزء من القارة، رسا الكورنثيون الآن، وشكلوا معسكرًا. وعندما رأى أهل كورسيراهم قادمين، جهزوا مائة وعشر سفن، بقيادة ميكياديس، وأيسيميدس، ويوريباتوس، وتمركزوا في إحدى جزر سيبوتا، حيث كانت السفن الأثينية العشر موجودة. وفي نقطة لوكيم، نشروا قواتهم البرية، وألفًا من المشاة الثقيلة الذين جاءوا من زاكينثوس لمساعدتهم. ولم يكن الكورنثيون على البر الرئيسي بدون حلفائهم. وتدفق البرابرة بأعداد كبيرة لمساعدتهم، وكان سكان هذا الجزء من القارة حلفاء قدامى لهم.

ولما اكتملت استعدادات الكورنثيين، أخذوا مؤونة تكفيهم لثلاثة أيام، وأبحروا من كيميريوم ليلاً، على أهبة الاستعداد للقتال. وأبحروا مع الفجر، فرأوا أسطول كورسيرا في البحر قادماً نحوهم. وحين أدرك كل منهما الآخر، شكل الجانبان تشكيلاً للمعركة. وعلى الجناح الأيمن للكورسيراپين كانت السفن الأثينية، وكان بقية الخط مشغولاً بسفنهم الخاصة التي تشكلت في ثلاثة أسراب، كل منها كان تحت قيادة أحد الأدميرالات الثلاثة. وكان هذا هو التشكيل الكورنثي. وكان التشكيل الكورنثي على النحو التالي: على الجناح الأيمن كانت السفن الميجارية والأمبراسيوتية، وفي الوسط بقية الحلفاء بالترتيب. أما الجناح الأيسر فكان يتألف من أفضل البحارة في البحرية الكورنثية، لمواجهة الأثينيين والجناح الأيمن للكورسيراپين. وبمجرد رفع الإشارات على الجانبين، انضموا إلى المعركة. كان لدى كل من الجانبين عدد كبير من المشاة الثقيلة على ظهر السفينة، وعدد كبير من الرماة ورماة السهام، وكان التسليح القديم غير الكامل لا يزال سائداً. كانت المعركة البحرية عنيدة، وإن لم تكن ملحوظة بعلميتها؛ بل كانت أشبه بمعركة برية. كلما هاجم كل منهما الآخر، كان حشد السفن وتكدسها يجعل من الصعب على الإطلاق التحرر منها؛ فضلاً عن ذلك، كانت آمالهم في النصر تكمن بشكل أساسي في المشاة الثقيلة على ظهر السفينة، الذين وقفوا وقاتلوا في نظام، بينما ظلت السفن ثابتة. لم يحاولوا اختراق الخط؛ باختصار، كان للقوة والشجاعة نصيب أكبر في القتال من العلم. ساد الصخب في كل مكان، وكانت المعركة مشهدًا من الفوضى؛ وفي الوقت نفسه، كانت السفن الأثينية، بمهاجمتها للكورسيريين كلما تعرضت للضغط، تعمل على تنبيه العدو، على الرغم من أن قادتهم لم يتمكنوا من الانضمام إلى المعركة خوفًا من تعليماتهم. عانى الجناح الأيمن من الكورنثيين أكثر من غيرهم. "وهزمهم أهل كورسيرا، وطاردوهم في فوضى إلى القارة بعشرين سفينة، وأبحروا إلى معسكرهم، وأحرقوا الخيام التي وجدوها فارغة، ونهبوا كل ما فيها. وهكذا هُزم أهل كورسيرا وحلفاؤهم في هذه المنطقة، وانتصر أهل كورسيرا. ولكن حيث كان أهل كورسيرا أنفسهم، على اليسار، حققوا نجاحًا ساحقًا؛ حيث ضعفت قوات أهل كورسيرا القليلة بسبب افتقارها إلى السفن العشرين التي

كانت تطاردهم. ولما رأى الأثينيون أن أهل كورسيرا يعانون من الضغط الشديد، بدأوا أخيرًا في مساعدتهم بشكل أكثر وضوحًا. صحيح أنهم في البداية امتنعوا عن مهاجمة أي سفن؛ ولكن عندما أصبح الهزيمة واضحة، وبدأ أهل كورسيرا في التقدم، حان الوقت أخيرًا حيث بدأ الجميع في التحرك، واختفى كل التمييز، ووصل الأمر إلى هذه النقطة، حيث رفع أهل كورسيرا وأثينيا أيديهم ضد بعضهم البعض.

وبعد الهزيمة، لم يكتف الكورنثيون بضرب السفن التي عطلوها وسحبها، بل ركزوا اهتمامهم على الرجال الذين ذبحوهم أثناء إبحارهم، ولم يبالوا كثيراً بأسرهم. بل إن بعضهم قُتِلوا عن طريق الخطأ، بسبب جهلهم بهزيمة الجناح الأيمن. ولأن عدد السفن على الجانبين، والمسافة التي قطعوها في البحر، جعل من الصعب عليهم، بعد انضمامهم، التمييز بين المنتصرين والمهزومين؛ فقد أثبتت هذه المعركة أنها أعظم كثيراً من أي معركة سابقة، على الأقل بين اليونانيين، بسبب عدد السفن التي شاركوا فيها. وبعد أن طارد الكورنثيون الكورنثيين إلى البر، ركزوا اهتمامهم على حطام السفن وضحاياها، الذين نجحوا في الاستيلاء على معظمهم ونقلهم إلى سيبوتا، حيث تلتقي القوات البرية التي قدمها حلفاؤهم البرابرة. "إن سيبوتا، كما يجب أن نعلم، هي ميناء صحراوي لثسبروتس. وبعد أن انتهت هذه المهمة، استجمعوا قواهم من جديد وأبحروا ضد أهل كورسيرا، الذين تقدموا من جانبهم لملاقاتهم بكل سفنهم الصالحة للخدمة والمتبقية لهم، مصحوبين بالسفن الأثينية، خوفًا من أن يحاولوا النزول في أراضيهم. وبحلول هذا الوقت كان الوقت قد تأخر، وكان الجميع قد أشادوا بالهجوم، عندما بدأ أهل كورسيرا فجأة في التراجع. لقد لاحظوا عشرين سفينة أثينية تبحر، وقد أرسلها الأثينيون بعد ذلك لتعزيز السفن العشر، الذين خافوا، كما اتضح بحق، من هزيمة أهل كورسيرا وعجز حفنة سفنهم عن حمايتهم. وهكذا رأى أهل كورسيرا هذه السفن أولاً. لقد اشتبهوا في أنها من أثينا، وأن السفن التي رأوها لم تكن كلها، بل كان هناك المزيد منها خلفهم؛ وبالتالي بدأوا في التراجع. "ولكن الكورسيرايين لم يروا السفن، فقد كانوا يتقدمون من نقطة لم يتمكنوا من رؤيتها

جيدًا، وتساءلوا لماذا كان الكورنثيون يتراجعون إلى الوراء، عندما رآهم بعضهم، وصاحوا بأن هناك سفنًا في الأفق أمامهم. وعند هذا تراجعوا أيضًا؛ لأن الظلام كان قد حل، وكان انسحاب الكورنثيين قد أوقف الأعمال العدائية. وهكذا انفصلوا عن بعضهم البعض، وتوقفت المعركة مع حلول الليل. كان الكورسيرايون في معسكرهم في لوكيم، عندما شقت هذه السفن العشرون القادمة من أثينا، بقيادة جلاوكون، ابن ليغروس، وأندوكيدس، ابن ليوجوراس، طريقها عبر الجثث وحطام السفن، وأبحرت إلى المخيم، بعد فترة وجيزة من رؤيتها. كان الليل قد حل الآن، وخشي الكورسيرايون أن تكون السفن معادية؛ لكنهم سرعان ما عرفوا هويتهم، ووصلت السفن إلى المرسى.

وفي اليوم التالي أبحرت السفن الأثينية الثلاثون، مصحوبة بجميع السفن الكورسيراية الصالحة للإبحار، وأبحرت إلى ميناء سيبوتا، حيث ترسو السفن الكورنثية، لترى ما إذا كانت ستدخل في مواجهة. وانطلق الكورنثيون من البر وشكلوا خطًا في البحر المفتوح، لكنهم لم يتحركوا أبعد من ذلك، لأنهم لم يكونوا ينوون شن الهجوم. فقد رأوا التعزيزات تصل مباشرة من أثينا، وواجهوا هم أنفسهم العديد من الصعوبات، مثل ضرورة حراسة السجناء الذين كانوا على متنها، ونقص جميع الوسائل اللازمة لإعادة تجهيز سفنهم في مكان صحراوي. وكان ما كانوا يفكرون فيه أكثر هو كيفية تنفيذ رحلة العودة إلى الوطن؛ فقد خشوا أن يعتبر الأثينيون أن المعاهدة قد انحلت بسبب الاصطدام الذي حدث، فيمنعونهم من المغادرة.

"وبناء على ذلك، قرروا وضع بعض الرجال على متن قارب، وإرسالهم بدون عصا المناصر إلى الأثينيين، كتجربة. وبعد أن فعلوا ذلك، تحدثوا على النحو التالي: "إنكم تخطئون، أيها الأثينيون، ببدء الحرب وخرق المعاهدة. لقد انشغلتم بمعاقبة أعدائنا، ووجدنا أنكم تضعون أنفسكم في طريقنا بالسلاح ضدنا. والآن إذا كانت نواياكم هي منعنا من الإبحار إلى كورسيرا، أو أي مكان آخر قد نرغب فيه، وإذا كنتم مع خرق

المعاهدة، فاصطحبونا أولاً نحن الموجودين هنا وعاملونا كأعداء". كان هذا ما قالوا، فصاحت كل الأسلحة الكورسيرية التي كانت في متناول السمع على الفور لأخذهم وقتلهم. لكن الأثينيين أجابوا على النحو التالي: "نحن لا نبدأ الحرب، أيها البيلوبونيزيون، ولا نخرق المعاهدة؛ لكن هؤلاء الكورسيرين حلفاؤنا، وقد أتينا لمساعدتهم. لذا إذا كنتم تريدون الإبحار إلى أي مكان آخر، فلن نضع أي عقبة في طريقكم؛ ولكن إذا كنت تنوي الإبحار ضد كورسيرا، أو أي من ممتلكاتها، فسوف نبذل قصارى جهدنا لمنعك.

وبعد أن تلقوا هذا الجواب من الأثينيين، بدأ الكورنثيون في الاستعداد لرحلتهم إلى الوطن، وأقاموا غنائمهم في سيبوتا، على القارة؛ بينما جمع أهل كورسيرا حطام السفن والجثث التي حملتها إليهم التيارات والرياح التي ارتفعت في الليل وشتتها في جميع الاتجاهات، وأقاموا غنائمهم في سيبوتا، على الجزيرة، منتصرين. وكانت الأسباب التي ادعاها كل جانب لادعاء النصر هي التالية. كان الكورنثيون منتصرين في معركة بحرية حتى الليل؛ وبعد أن تمكنوا من حمل معظم حطام السفن والجثث، أصبحوا في حوزتهم ما لا يقل عن ألف أسير حرب، وأغرقوا ما يقرب من سبعين سفينة. وكان أهل كورسيرا قد دمروا حوالي ثلاثين سفينة، وبعد وصول الأثينيين جمعوا حطام السفن والجثث من جانبهم؛ كما رأوا الكورنثيين يتراجعون أمامهم، ويتراجعون إلى الوراء عند رؤية السفن الأثينية، وعند وصول الأثينيين يرفضون الإبحار ضدهم من سيبوتا. وهكذا ادعى كل من الجانبين النصر.

"استولى الكورنثيون في رحلة العودة إلى الوطن على أنكتوريوم، التي تقع عند مصب خليج أمبراسيا. وقد استولى الكورنثيون على المكان بالخيانة، حيث كان أرضًا مشتركة بين الكورنثيين والكورنثيين. وبعد أن أقاموا مستوطنين كورنثيين هناك، عادوا إلى ديارهم. وكان ثمانمائة من الكورنثيين عبيدًا؛ فباعوهم؛ واحتجزوا مائتين وخمسين في الأسر، وعاملوهم باهتمام كبير، على أمل أن يتمكنوا من نقل بلادهم

إلى كورنثوس عند عودتهم؛ وكان معظمهم، كما حدث، من الرجال ذوي المكانة العالية في كورنثوس. وبهذه الطريقة حافظت كورنثوس على وجودها السياسي في الحرب مع كورنثوس، وغادرت السفن الأثينية الجزيرة. وكان هذا هو السبب الأول للحرب التي خاضتها كورنثوس ضد الأثينيين، أي أنهم قاتلوا ضدهم مع الكورنثيين في وقت المعاهدة.

وبعد ذلك مباشرة تقريباً، نشأت خلافات جديدة بين الأثينيين والبيلوبونيزيين، وساهمت بنصيبها في الحرب. وكانت كورنثوس تخطط لشن هجمات انتقامية، وكانت أثينا تشك في عدائها. وصدرت الأوامر إلى البوتياديين، الذين يسكنون برزخ باليني، وهي مستعمرة كورنثية، لكنها حليفة لأثينا، بهدم الجدار المطل على باليني، وإعطاء الرهائن، وطرد القضاة الكورنثيين، وعدم استقبال الأشخاص الذين ترسلهم كورنثوس سنوياً لخلافتهم في المستقبل. وكان هناك خوف من أن يقنعهم بيرديكاس والكورنثيون بالثورة، وقد يجتذب ذلك بقية الحلفاء في اتجاه تراقيا للثورة معهم. وقد اتخذ الأثينيون هذه الاحتياطات ضد البوتياديين فور انتهاء معركة كورسيرا. ولم تكن كورنثوس في النهاية معادية علناً فحسب، بل إن بيرديكاس، ابن الإسكندر ملك المقدونيين، أصبح عدواً بعد أن كان صديقاً وحليفاً قديماً له. فقد أصبح عدواً له بعد أن دخل الأثينيون في تحالف مع أخيه فيليب ودرداس، اللذين كانا في تحالف ضده. وفي حالة الذعر التي انتابته، أرسل إلى لاكيدايمون ليحاول إشراك الأثينيين في حرب مع البيلوبونيزيين، وكان يحاول كسب كورنثوس من أجل إحداث ثورة بوتيديا. كما قدم اقتراحات إلى الخلقيديين في اتجاه تراقيا، وإلى البوتييديين، لإقناعهم بالانضمام إلى الثورة؛ لأنه كان يعتقد أنه إذا تمكن من جعل هذه الأماكن الواقعة على الحدود حليفة له، فسيكون من الأسهل عليه مواصلة الحرب بتعاونهم. وعلى الرغم من كل هذا، ورغبة في استباق ثورة المدن، تصرف الأثينيون على النحو التالي. وكانوا في ذلك الوقت يرسلون ثلاثين سفينة وألف جندي من المشاة الثقيلة إلى بلاده تحت قيادة أركستراتوس، ابن ليكوميدس، وأربعة من رفاقه. وأصدروا

تعليماتهم إلى القادة بأخذ رهائن من أهل بوتيديان، وهدم السور، والحذر من ثورة المدن المجاورة.

وفي غضون ذلك، أرسل البوتياديون مبعوثين إلى أثينا على أمل إقناعهم بعدم اتخاذ أي خطوات جديدة في شؤونهم؛ كما ذهبوا إلى لاكيدايمون مع الكورنثيين لتأمين الدعم في حالة الحاجة. وبعد فشلهم بعد مفاوضات مطولة في الحصول على أي شيء مرضٍ من الأثينيين؛ وعجزهم، على حد قولهم، عن منع السفن المتجهة إلى مقدونيا من الإبحار ضدهم أيضًا؛ وبعد تلقيهم وعدًا من حكومة لاكيدايمون بغزو أتيكا، إذا هاجم الأثينيون بوتيديا، دخل البوتياديون أخيرًا، الذين حظوا بهذه الحظوة في ذلك الوقت، في تحالف مع الخلقيديين والبوتيين، وثاروا. "وحث بيرديكاس الكالسيديين على التخلي عن مدنهم الواقعة على الساحل وهدمها، والاستقرار في الداخل في أولينثوس، لجعل تلك المدينة الواحدة مكانًا قويًا: وفي الوقت نفسه، أعطى أولئك الذين اتبعوا نصيحته جزءًا من أراضيه في ميجدونيا حول بحيرة بولبي كمكان للإقامة أثناء استمرار الحرب ضد الأثينيين. وبناءً على ذلك، هدموا مدنهم، وانتقلوا إلى الداخل واستعدوا للحرب. ووجدت السفن الثلاثين التابعة للأثينيين، التي وصلت قبل الأماكن التراقية، أن بوتيديا وبقية المدن في حالة ثورة. ورأى قادتهم أنه من المستحيل تمامًا مع قوتهم الحالية شن حرب ضد بيرديكاس والمدن المتحالفة أيضًا، فاتجهوا إلى مقدونيا، وجهتهم الأصلية، وبعد أن استقروا هناك، خاضوا الحرب بالتعاون مع فيليب وإخوة ديرداس، الذين غزوا البلاد من الداخل.

وفي الوقت نفسه، كان أهل كورنثوس، مع ثورة بوتيديا والسفن الأثينية على ساحل مقدونيا، قلقين على سلامة المكان وظنوا أن الخطر يقع عليهم، فأرسلوا متطوعين من كورنثوس ومرتزقة من بقية بيلوبونيز، بلغ عددهم الإجمالي ألف وستمائة من المشاة الثقيلة وأربعمائة من القوات الخفيفة. وتولى أريستوس، ابن أديمانتوس، الذي كان دائمًا صديقًا مخلصًا لأهل بوتيديا، قيادة الحملة، وكان حب معظم الرجال

من كورنثوس له هو السبب الرئيسي وراء تطوعهم. ووصلوا إلى تراقيا بعد أربعين يومًا من ثورة بوتيديا.

كما تلقى الأثينيون على الفور نبأ ثورة المدن. وعندما علموا أن أريستيوس وتعزيزاته في طريقهم، أرسلوا ألفي جندي مشاة ثقيل من مواطنيهم وأربعين سفينة ضد الأماكن المتمردة، تحت قيادة كالياس، ابن كاليادس، وأربعة من رفاقه. وصلوا إلى مقدونيا أولاً، ووجدوا أن قوة من ألف رجل أُرسلت أولاً، أصبحت للتو أسيادًا على ثيرمي وتحاصر بيدنا. وبناءً على ذلك، انضموا أيضًا إلى الاستثمار، وحاصروا بيدنا لفترة. بعد ذلك، توصلوا إلى اتفاق وعقدوا تحالفًا قسريًا مع بيرديكاس، تسارعت وتيرة ذلك التحالف بسبب دعوات بوتيديا ووصول أريستيوس إلى ذلك المكان. ثم انسحبوا من مقدونيا، وذهبوا إلى بيريا، ومنها إلى ستريبسا، وبعد محاولة فاشلة في هذا المكان الأخير، واصلوا مسيرتهم براً إلى بوتيديا بثلاثة آلاف من المشاة الثقيلة من مواطنيهم، بالإضافة إلى عدد من حلفائهم، وستمائة فارس مقدوني، أتباع فيليب وبوسانياس. وأبحروا مع هؤلاء سبعين سفينة على طول الساحل. وتقدموا بمسيرات قصيرة، وفي اليوم الثالث وصلوا إلى جيجونوس، حيث عسكروا.

وفي هذه الأثناء كان البوتياديون والبيلوبونيزيون مع أريستوس يعسكرون على الجانب المطل على أولينثوس على البرزخ، في انتظار الأثينيين، وقد أقاموا سوقهم خارج المدينة. وقد اختار الحلفاء أريستوس قائدًا لجميع المشاة؛ بينما أعطيت قيادة سلاح الفرسان إلى بيرديكاس، الذي ترك على الفور تحالف الأثينيين وعاد إلى تحالف البوتياديين، بعد أن أوفد إيولاوس قائدًا له: كانت خطة أريستوس هي الاحتفاظ بقواته على البرزخ، وانتظار هجوم الأثينيين؛ وترك الخلقيديين وحلفائهم خارج البرزخ، ومائتي فارس من بيرديكاس في أولينثوس للعمل على مؤخرة الأثينيين، بمناسبة تقدمهم ضده؛ وبالتالي وضع العدو بين نارين. وبينما أرسل كالياس القائد الأثيني وزملاؤه الحصان المقدوني وعدد قليل من الحلفاء إلى أولينثوس لمنع أي تحرك من

تلك المنطقة، قام الأثينيون أنفسهم بتفكيك معسكرهم وزحفوا نحو بوتيديا. وبعد أن وصلوا إلى البرزخ ورأوا العدو يستعد للمعركة، شكلوا صفوفهم ضده، وسرعان ما اشتبكوا معه. وهزم جناح أريستوس، مع الكورنثيين وقوات مختارة أخرى، الجناح المعارض له، وتبعوه لمسافة كبيرة في المطاردة. لكن بقية جيش البوتياديين والبيلوبونيزيين هزموا على يد الأثينيين، ولجأوا إلى التحصينات. وعندما عاد أريستوس من المطاردة، أدرك هزيمة بقية الجيش. ولأنه كان في حيرة من أمره بشأن أي من المجازفتين يختار، إما الذهاب إلى أولينثوس أو إلى بوتيديا، فقد قرر أخيرًا سحب رجاله إلى أصغر مساحة ممكنة، وشق طريقه بالركض إلى بوتيديا. ولم يخلو الأمر من صعوبة، فقد تمكن من خلال عاصفة من الصواريخ من عبور البحر عبر حاجز الأمواج، وأنقذ معظم رجاله، رغم أن بعضهم فقد. وفي الوقت نفسه، تقدمت قوات المساعدة التابعة لأهل بوتيديان من أولينثوس، التي تبعد حوالي سبعة أميال عن بوتيديان، عندما بدأت المعركة ورفعت الإشارات، مسافة قصيرة لتقديم المساعدة؛ وتجمعت الخيول المقدونية لمنعهم. ولكن عندما أعلنوا النصر بسرعة للأثينيين وتم إسقاط الإشارات، تراجعوا إلى داخل الجدار؛ وعاد المقدونيون إلى الأثينيين. وبالتالي لم يكن هناك سلاح فرسان موجود على أي من الجانبين. وبعد المعركة، أقام الأثينيون غنائم، وأعادوا قتلاهم إلى البوتيديان بموجب هدنة. وكان البوتيديان وحلفاؤهم قد قتلوا ما يقرب من ثلاثمائة رجل؛ بينما قتل الأثينيون مائة وخمسين من مواطنيهم، وقائدهم كالياس.

"وبعد ذلك، قام الأثينيون ببناء حواجز على الجدار على جانب البرزخ، وأقاموا عليها تحصينات. أما الجدار على جانب باليني فلم يكن به تحصينات. ولم يعتقد الأثينيون أنهم أقوياء بما يكفي للاحتفاظ بحامية في البرزخ والعبور إلى باليني وإقامة حواجز هناك؛ فقد خافوا أن يستغل البوتياديون وحلفاؤهم انقسامهم لمهاجمتهم. وفي غضون ذلك، علم الأثينيون في ديارهم بعدم وجود حواجز في باليني، فأرسلوا بعد فترة من الوقت ألف وستمائة من المشاة الثقيلة من مواطنيهم تحت قيادة فورميو،

ابن أسوبيوس. وعندما وصل إلى باليني، أقام مقره في أفيتيس، وقاد جيشه ضد بوتيديا في مسيرات قصيرة، ودمر البلاد أثناء تقدمه. ولم يجرؤ أحد على مواجهته في الميدان، فقام ببناء حواجز على الجدار على جانب باليني. وهكذا أصبحت بوتيديا أخيرًا محاصرة من الجانبين، ومن البحر من قبل السفن التي تعاونت في الحصار. ولما رأى أريستيوس أن الحصار قد اكتمل، ولم يكن لديه أي أمل في إنقاذها إلا في حالة حدوث أي تحرك من جانب البيلوبونيز، أو أي طارئ آخر غير محتمل، نصح الجميع باستثناء خمسمائة شخص بمراقبة الرياح والإبحار خارج المكان، حتى تدوم مؤنهم لفترة أطول. وكان على استعداد ليكون هو نفسه واحدًا من أولئك الذين بقوا. ولما عجز عن إقناعهم، ورغب في التصرف وفقًا للبديل التالي، ووضع الأمور في الخارج في أفضل وضع ممكن، أفلت من حراسة الأثينيين وأبحر. وظل بين الخلقيديين، واستمر في شن الحرب؛ وعلى وجه الخصوص نصب كمينًا بالقرب من مدينة السيرميليين، وقطع العديد منهم؛ كما اتصل ببيلوبونيز، وحاول التوصل إلى طريقة ما يمكن من خلالها جلب المساعدة. وفي هذه الأثناء، بعد الانتهاء من استثمار بوتيديا، استخدم فورميو بعد ذلك ألف وستمائة رجل في تدمير خالكيذيكي وبوتيكا: واستولى أيضًا على بعض المدن.

الفصل الثالث

مؤتمر الاتحاد البيلوبونيزي في لاكيدايمون

كان للأثينيين والبيلوبونيزيين سببًا سابقًا للشكوى ضد مجموعة التعاون: وكانت معامل كورنثوس من أن مستعمرتها بوتيديا، والمواطنين الكورنثيين والبيلوبونيزيين داخلها، كانوا محاصرين؛ وهي موجودة الآن ضد وهي البيلوبونيزيين من سميت حراك مدينة تابعة لها، عضوًا في تحالفها ومساهمًا فيها، على الثورة، وجاءت وقاتلت ضدها علانية إلى جانب البواديين. على الرغم من كل هذا، لم تندلع الحرب بعد: كانت هناك هدنة لحفظ الوقت؛ لأن هذا كان مشروعًا خاصًا من جانب كورنثوس.

ولكن حصار بوتيديا وضع حداً لقاعسها؛ لقد كان بداخلها رجال: بالإضافة إلى ذلك، كانت تخشى على المكان. فاستدعت حلفاءها على الفور إلى لاكيديمون، وجاءت وهاتهمت بصوت عالٍ للغاية بانتهاك المعاهدة والعدوان على حقوق البيلوبونيز. ومعها، أولياء الإيجينيون، الذين لم يمثلهم أحد المبتدئين ابتداءً من القادمين، لأول مرة أقل عدد من المدافعين عن الحرب إلحاحاً، مؤكدين أنها لم تجسدوا بالاستقلال الذي ضمنته لهم المعاهدة. وبعد أن مدوا الاستدعاء إلى أي من التحالف معهم ومن بينهم قد يكونوا معًا من العدوان الأثيني، عقد اللاكيديمون جمعهم الشائع، ودعوهم للتحدث. وهناك العديد منهم تقدموا ووجهوا ضغوطهم المختلفة؛ ومن بينهم المجاريون، في قائمة طويلة من المظالم، لفتوا اختيارهم بشكل خاص إلى حقيقة استبعادهم من مساهمات الإمبراطورية الأثينية وسوق الداخلية، في تحدي للمعاهدة. وآخر من تقدم من أهل كورنثوس، وبعد أن سمحوا لمن سبقوهم بإثارة اللاكديمونيين، وتبعهم يدلاب بهذا المعنى:

"أيها الإغريق! الثقة تشعر أنها تشعر بها في دستوركم برامجكم الاجتماعية تدفعكم إلى قبول أي تأملات من جانبنا بالإضافة إلى القوى الأخرى بقدر الشك. ومن هنا ينبع

معتدلكم، ولكن من هنا أيضا المعرفة محدودة إلى حد ما التي توقفت عنها في التعامل مع السياسة الخارجية. ارتفع صوتنا وتكرارًا لتحذيركم من الضربات التي ستوجهها إلينا، ومرة بعد مرة، أفضل من بذل الجهد للتأكد من خصائصنا، اكتفوا بالشك في أن تحددين مستوحين من مصلحة خاصة القيام بذلك حتى بدأنا بالملم تحت وطأتها؛ ليس لدينا أصل في الانقسام بينهم، لأنهم أعظم منهم ما يمكن تقديمها، لذلك من الإساءة الأثينية والإهمال الإغريقي الآن إذا كانت هذه هي برونزية قد تم تحقيقها في الظلام، ولم أكنم غير ذلك وندرك على الحقائق، ومن واجبنا أن ننيركم إننا لا نحتاج إلى خطب طويل في مثل هذه الحالات حيث نرى العبودية تُنجز بعضنا، والتأمل في الآخرين خصوصًا حلفائنا. استعداد المعتدلين قبل ساعة الحرب. أو ما معنى استقبالهم لكورسيرا بالاحتيال، وفرضهم ضدنا بالقوة؟ تريد حصار بوتيديا؟. أحد هذه الاختلاسات في مكان لأي عمل ضد المدن التراقية؛ في حين أن البعض الآخر كان ليساهم ببحرية ضخمة للغاية في خدمة البيلوبونيزيين؟

"إنك المسؤول عن كل هذا. تحسن من سمح لهم بتحصين مدينتهم بعد المساعدة الطبية، ثم بناء السوار الحربي بعد ذلك. وأنت الذي لا تزال تحرمهم من الحرية، ليس فقط أولئك الذين استعبدوهم، بل الناجحين الذين كانوا ينقذونك حتى الآن. إنك مسؤول عن كل هذا. المؤلف الحقيقي لشعب ما ليس هو الفاعل البسيط، بل القوة التي تسمح بأدوات تخفيف ذلك؛ خاصة إذا كانت تلك القوة تطمح إلى تحريرنا واشتراكنا، ولم نتمكن من تسهيل الاجتماع، وحتى الآن لم يتم تحديد هدفنا لنا أن نستمر في التحقيق في أخطائنا، بل يجب أن نبحث في وسائلنا الدفاعية. لقد تمكن المعتدون من المبدعين المتقدمين لمعارضة ترددانتا بالتهديد جانباً وشرعوا في العمل الثقة في فكرة أن فظاظتك في الإدراك تمنعك من ملاحظتها؛ لكن هذا لا شيء مقارنة بالدافع الذي ستتوفر عليه المعرفة لاستخدامها ولكنك لا تؤثر على التدخل. أنتم، أهل لاكيديمون، من بين جميع اليونانيين، وحدكم غير فاعلين، وداعون عن أنفسكم ليس باليام بأي شيء ولكن بالتظاهركم على التخصيص والمساهمة؛ أنتم

وحدكم تنتظرون حتى تصبح قوة المعاناة ضعف حجمها الأصلي، أفضل من سحقه في طفولته. ومع ذلك، تاريخ العالم أن يقول إنكم يجب الاعتماد عليكم؛ ولكن في حالتكم، نخشى أن يكون ذلك قد قال أكثر من الحقيقة. نحن نعلم أن الميديين كان لديهم الوقت ليأتوا من أقاصي الأرض إلى بيلوبونيز، دون أن يتقدموا أي قوة من قوتكم بهذا الاسم لملاقاته. لكن هذا كان عدوًا بعيدًا. الموجودة في أي مكان قريب، ومع ذلك فإنك لا تتجاهل تماما؛ "إنك تتمنى أن تتصرف في مواجهة الجنوب في موقف دفاعي آخر من هجومي، وأن تجعل من الأمر مسألة حظ من خلال الصراع إلى أن تصبح عميقا بكثير مما كانت عليه في البداية. ومع ذلك، أدركت أن الصخرة التي سحقتها البرابرة كانت هو نفسه، وإذا لم تدمرنا تمامًا عدوتنا الحالية وتكرارًا، لذلك مدينون لذلك لأخطائهم أكثر من حمايتك؛ والواقع أن من لم يكن سببًا السابقًا في دمار بعض، الذين دفعهم إيمانهم إلى إهمال الترشيح.

"نأمل ألا يعتبر أي منكم كلمات اللوم هذه الكلمات عدائية؛ فالرجال يلومون الأصدقاء الذين يخطئون، ويوجهون ديمات إلى الجريمة الذين أخطأوا في حقهم. فضلا عن ذلك، ونعتبر أننا نتمتع بنفس الحق الذي شاهد به أي شخص آخر في أخطاء جارنا، وخاصة عندما نتأمل التناقض بين الشخصيتين الوطنيتين؛ وهو كبير لا ينقطع عنه إلا قليلاً، حيث لم تفكروا قط في نوع الخصوم الذين ستواجهونهم في الأثينيين، ومدى اختلافهم التام عنكم بعبقرية بما لديك، نتيجة لنقص تام في الجامعة، وعندما تريد التصرف، فإنك لم تلجأ إلى أبعد من الحد.ومرة أخرى، فإنهم مغامرون بما في ذلك قدرتهم، وجرئون بما في ذلك حكمهم، وفي الخطر يكون متفائلين؛ هي محاولة القيام بما لا يقل عن ما تبرره قوتك، وعدم الثقة حتى فيما يتعلق بحكمك، والتصور أنه لا يوجد خلاص من الخطر علاوة على ذلك على ذلك، هناك سرعة في جانبهم مقابل التسويق من جانبك؛ فهم لا يبدأ مطلقًا أبدًا، وأنت لا تشعر بالانزعاج أبدًا: لأنك أتمنى بغيابهم في كل مكان مكتسباتهم، وأنت تخشى من تقدمك أن تستهدف ما خلفتهم خلفك للخطر. مشهورون في تطبيق النجاح، وببطيئون في السماء عننكسة.

نعم ينفقون أجسادهم بلا تذمر في قضية بلادهم؛ ويحرصون على توظيف عقولهم في خدماتها. إن البناء الذي لم يعتبرها في رأيهم مختلف، والنجاح في المشروع فشل نسبيا. وسرعان ما يتم تعويض النقص الناتج عن فشل أي مشروع بآمال جديدة؛ لأنهم وحدهم قادرون على تسمية الشيء المأمول به شيء ما حصلوا عليه، وذلك بفضل السرعة التي اشتركوا بها وفقا لقرارهم. وبالتالي فإنهم يعملون في وشهرة أيامهم، مع فرص ضئيلة، حيث ينشغلون دائمًا في الحصول على ما يريدون: إن باختصارهم فقط عن حفل العشاء، بما في ذلك ما يتطلبه الأمر، وعدم العمل إلا بشكل أقل سوءًا من السلام الذي يوفره الحياة الهادئة. وإذا وصفناهم بكلمة واحدة، يحق لنا القول المناسب وولدوا في هذا العالم لكي لا يرتاحوا هم أنفسهم ولا يمنحوا الآخرين أي راحة.

"إن الداخلية هي خصمكم. ومع ذلك، أيها اللاكديمونيون، ما زلتم تماطلون وفشلون في رؤية أن السلام يدوم أخفاء مع الذين لا يحرصون على استخدام سلطتهم بعد أكثر من توضيح تصميمهم على عدم الخضوع للظلم. على العكس من ذلك، مثالكم في التعامل العادل يأخذ على عاتق القائل بأنه إذا لم يؤذوا الآخرين، فلا داعي للمخاطرة ببث روايتكم في منع الآخرين من إيذائكم الآن، وبالتأكيد يمكن أن تنجحوا في مثل هذه السياسة حتى مع جار مثلكم؛ ولكن في الحالة الحالية، كما أظهرنا للتو، فإن عاداتكم متوسطة مقارنة أبعادها كما هو الحال في الفن، وكذلك في السياسة، أن أسعارها تسود دائما؛ إلا أن الجديد قد يكون تمكينات غير المضطربة، فإن ضرورات منع العمل يجب أن تكون غير متوفرة بتحسين التقنيات يوجدها إلى أبعد مما يوجدكم أنتم على طريق الإبداع.

"هنا، على الأقل، دعوا مماطلتكم تنتهي. أما الآن، فساعدوا حلفائكم وبوتيديا على وجه الخصوص، كما وعدتم، بغزو سريع لأتيكا، ولا تضحوا بأصدقائكم وأقاربكم لأعدهم اللدودين، ودفعوا مشاركتنا في البقاء إلى تحالف آخر. لن يدين الآلهة الذين

تلقوا قسمنا، ولا الرجال الذين شهدوا ذلك لا يمكن لومها على المعاهدة على الشعب الذي يضطره الفرار للبحث عن علاقات جديدة، بل على القوة التي فشلت في مساعدتها ولكن إذا اعترفتم فقط، فلنقف إلى جانبكم؛ سيكون من غير الطبيعي بالنسبة لنا أن نتغير ، ولن نجتمع إلى الأبد بمثل هذا الحليف الملائم، واختراع المسار الصحيح، واجتهدوا في عدم تأليف الهيب لوبونيز تحت سيادتك بالتقليد عن التي كانت تحت ريادة أسلافك."

"كانت هذه كلمات أهل كورنثوس. كان هناك مبعوثون أثينيون حاضرين في لاكيدايمون في مهمة أخرى. وعندما سمعتوا الخطب شعروا وسم مدعوون للحضور أمام اللاكيديمونيين. لم يكن هدفهم تقديم الدفاع عن أي من التهم التي وجهتها مدن ضدهم، بل توضيح أن الأمر ليس مسألة يمكن إنشاءها قررها على عجل، بل إنها تتطلب قراءةًا من الدراسة. كانت هناك أيضًا ضرورية لها في قوة الاختيار لأثينا، وتنشيط ذاكرة النسختين وتنوير جهل الشباب، من فكرة نصا أن كلماتهم قد تكون في حثهم على تفضيل الثقة على الحرب. لذلك جاءوا إلى اللاكيديمونيين وقالوا أيضًا، إذا لم يكن هناك طعام، أرادوا أن ينضموا إلى جمعهم بدعوتهم إلى التقدم الأثينيون، وتحدثوا على النحو التالي:

"لم يكن هدفنا الرئيسي هنا الجدال مع حلفائكم، بل الاهتمام بالأمور التي أرسلتها لنا دولتنا من أجلها. ومع ذلك، فإن حديثة الصراخ الذي تعينه ضدنا قد ينتصر علينا للتقدم. ليس مكافحة رؤساء المدن (في الواقع، لستم القضاة الذين يمكنهم أو يمكنهم التفوق أمامهم) ولكن يمنعكم من اتخاذ مسار الخسارة في قضايا ذات أهمية كبيرة من خلال الاستسلام بسهولة لأقنعة حلفائكم، كما أن نظهر من خلال مراجعة واجبنا حيث نملك عادلاً في ثرواتنا، وأن بلدنا له مطالبات بالاعتبار : نحن نؤيد صوتنا، ولكن ليس لتجربة جمهورنا. ولكن يجب أن نشير إلى حرب الميد والتاريخ المعاصر، على الرغم من أننا سئمنا من طرح هذا الموضوع "لقد خاطرنا في تنفيذ

تلك الحرب كثيرًا لتحقيق بعض الأهداف: لقد فاهم في النتائج السيئة، فلا تحاولوا أن ترمونا من كل نصيب من الخير الذي قد يعود علينا بالمجد. ومع ذلك، لن نروي القصة إلا قليلاً من جانب العداء بقدر ما سنرويها للشهادة ضده، ولكن ستظهر، إذا كنتم غير حكيمين إلا أنه لا يمكن إلا الدخول في الصراع مع اللاهوت، أي نوع من الخصوم من الاعتراف بأن إثباته الباطنة. نحن نؤكد لكم في ماراثون أننا في أمريكا اللاتينية، ونواجهنا البرابرة بمفردنا. وعندما جاءوا للمرة الثانية، ولم ينجحوا من مواجهتهم ببراً، صعدنا على متن سفننا مع كل شعبنا، وانضممنا إلى المعركة في سلاميس. وقد منعه هذا من غيره على دول البيلوبونيز الموحدة، فرديها بأس طوله؛ عندما كان سفنه المتعددة في اليابان أي جيش للدفاع عن النفس بشكل تلقائي. وأفضل دليل على ذلك هو ما قدمه الغازي بنفسه. وبعد هزيمته في البحر، اعتبر أن قوته لم تعد كما كانت من قبل، فتراجع بأسرع ما يمكن مع الجزء الأكبر من جيشه.

"كانت هذه النتيجة التي توصلنا إليها، وقد سجلت بوضوح أن أسطول هيلاس كان يعتمد على إطلاق سراحها. لقد ساهمنا في هذه النتيجة ثلاثة عناصر مفيدة، وهي عدد كبير للغاية من السفن، والقائد الأكثر فاعلية، والوطني الأكثر ثباتًا. ولم يكن هناك عدد كبير من السفن أقل من ثلاثة أرباع مائة؛ وكان القائد ثيميستوكليس، الذي كان من خلاله بشكل قاطع أن المعركة المضيق، الخلاص المعترف به لقضيتنا والواقع أن هذا كان سببًا لاستقبالكم لتكريمات لم تمنح إلى الأبد زائرًا أجنبيًا "ولما لم نتلق أي تعزيزات من الخلف، ورأينا كل شيء أمامنا للتعامل معنا بالفعل، وكانت لدينا، بعد أن هجرنا مدينتنا، وبعد التضحية بماتنا (وأيضا من هجران دلالة أو حرمانهم من خدمتنا بالارتباط)، أن نلقي أنفسنا في سفننا ونواجه الخطر". دون أن نفكر في الاستياء من إهمالكم لمساعدتنا. لذلك نؤكد لنا أننا بقدر ما نمنحنا. لأنكم كان لديكم مصلحة تقاتلون من أجلها؛ وكانت المدن التي غادرت تموها ما زالت لا تحتوي على أعداد كبيرة منكم، ولديها أمل في تدبيرها مرة أخرى؛ ويكون مجيئكم مدفوعًا بالخوف على أنفسكم بقدر ما كان دافعًا لنا؛ على أية حال، لم يعمروا إلى

الأبد حتى لم يتبق لدينا ما نخسره. إلا أننا لم نترك وراءنا مدينة لم تعد مدينة، وخاطرنا بحياتنا من أجل مدينة لا يوجد لها إلا في أمل يائس، وبالتالي تحملنا نصيبنا في خلاصكم وفي خلاصنا. ولكن لو كنا قد قلنا الآخرين، وسمحنا للمخاوف على محاكمنا أن تجبرنا على الاستسلام لانضمامنا إلى الميديين قبل مجيئك، أو لو كنا قد سمحنا لخرابنا أن يحطم روحنا ويمنعنا من الشحن إلى سفننا، فإن ضعفك البحري كان معركة بحرية غير ضرورية، ولم ينجح في تحقيق ذلك أهدافك بالسلام.

"إننا أيها الإسكندريون، لا نستحق، لا بسبب وطنيتنا التي أظهرتنا في تلك الإمبراطورية، ولا بسبب حكمة نصائحنا، أن نستحق عدم شعبيتنا الشديدة بين اليونانيين، ولا على الأقل لا شعبيتنا لإمبراطوريتنا. لقد اكتسبنا تلك الإمبراطورية ليس بوسائل عنيفة، ولكن لأنكم لم تكونوا راغبين في مواصلة الحرب ضد البرابرة حتى النهاية، وانضم إلينا الحلفاء وطلبوا منا تولي القيادة، وقد اضطررنا إلى دفع إمبراطوريتنا إلى حالنا الراهن؛ على الرغم من أن كل شيء وصل بعد ذلك، وعندما كرهنا الجميع، وعندما تمرد البعض عليهم إخضاعهم، وعندما يكونوا أصدقاءهم الذين كنتم معهم يوم، وأصبحوا موضوعًا للشك والكراهية، بدا أنه لم يعد يرغب في إمبراطوريتنا؛ وأن كل منا سوف يغادر في أيديكم ولا يستطيع أحد أن يتشاجر مع شعب ليصبح أفضل لأن يصبح مريضا لمصالحه في الأمور المتعلقة بأية حال.

"أنتم، على أية حال، أيها اللاكديمونيون، استخدمتم هيمنتكم لتسوية الدول في البيلوبونيز على النحو الذي يرضيكم. ولو كنتم في الفترة التي رجحتها قد صمدتم حتى نهاية الأمر، وجلبتم الكارهة في قيادتكم، وأنا على يقين من أنكم كنتم لتثيرون غضب التحالف، ولأُجبِرتم على الاختيار بين حكومة قوية أو خطر على أنفسكم، ويترتب على ذلك أنه لم يكن عملاً جماهيريًا للغاية، أو مخالفًا للممارسة الشائعة للبشرية، أن يكون إمبراطورية عُرضت علينا، ورفضنا عنها تحت ضغط ثلاثة من الدوافع القوية، الخوف والشرف ولم نكن منهم وضعنا مثال، لأن القانون كان دائما

على أن يكون ضعيفا للأقوى.فضلا عن ذلك، فقد اخترنا أن نتعاون بمكانتنا، وهذا ما كنتم تؤمنون به حتى الآن، عندما تقومون بحساباتكم لتبنون صرخة العدالة. وهي بعين الاعتبار التي لم تتعاون معها لطرحها لعرقلة طموحه عندما تتاح له الفرصة لكسب أي شيء بالقوة والاستحقاق لكل من، حتى لو ولم يكن متفوقاً على طبيعة الإنسان إلى الحد الذي يرفض الهيمنة، إلا أنه يجب أن يحتج بالعدالة أكثر مما يجبرهم ويضطرهم.

"إننا نتصور أن اعتدالنا سيتجلى على نحو أفضل في التعامل مع الآخرين الذين ينبغي أن يتأثروا في موقفنا؛ ولكن حتى إنصافنا قد يحجزنا للاحتياط للإدانة بخلاف الموافقين. إن تنازلنا عن حقوقنا في محاكمات العقود مع حلفائنا، وقررنا أن نقررها بموجب قوانين محايدة في الداخل، قد أكسبنا وصفة التقاضي ولا أحد بالسؤال عن سبب عدم توجيه هذا اللوم إلى القوى الكبرى الأخرى، التي شاركت رعاياها بقدر أقل من الاعتدال والسر هو أنه حيث يمكن استخدام القوة، لا تكون هناك حاجة ولكن رعايانا متمكنون من التعامل معنا على قدم لتتمكن من أن تهزم أي شخص كانت تعارض مع مفاهيمهم عن العدالة، سواء كانت ناشئة عن حكم قانوني أو من القوة التي تسمح لها بالعظيم لنا إمبراطورتنا، تجعلهم ينسون أن تغفر لهم أن يحتفظوا بمعظم ثرواتهم، وأن لا تتأخر أكثر من أخذ جزء منها، مما لو كنا قد ألقينا القانون جانبا منذ البداية وشبعنا جشعنا علانية "لو فعلنا ذلك لما جادلوا في أن ضعيفة لا يمكن أن يتحرر المجال للقوي. تسعى إلى معاناة الناس ينشأ عن الظلم أكثر من الظلم الجحيم؛ فالظلم الأول مثل الخداع من قبل الشخص ماساوٍ، والظلم الثاني مثل الإجبار من قبل الشخص الأعلى. وعلى كل حال فقد تمكنوا من تحمل ما هو أسوأ من هذا من جانب الميديين، ومع ذلك يدركون أن حكمنا قاسٍ، وهذا أمر متأخر، لأن التأخير يثقل كاهل المهزومين دائمًا. وهذا أمر مؤكد على الأقل. وإذا ما كنتم في الإطاحة بنا تسعى إلى مكاننا، للاستمتاع بالمزيد من الشعبية بسرعة التي اكتسبتموها من الخوف منا، إذا كانت سياساتكم اليوم مصممة على تحديد مع

العينة التي قدمتموها لها خلال فترة قصيرة من قيادتكم ضد الميديين. فليس فقط أن حياتكم في المنزل تنظم متطلباتها ولا تتفق مع نظيراتها في البلدان الأخرى، بل إنكم تعتمدون في الخارج على عدم الاشتراكون بموجب هذه التعليمات وتقرر التي تعترف بها بقية اليونان."

"خذوا الوقت الكافي إذن في اتخاذ قراركم، لأن الأمر ذو أهمية كبيرة؛ ولا تقنعوا بآراء آراء الآخرين بحيث يتوصلوا إلى أنفسكم، بل تضعوا في اعتباركم تأثيراً مفيداً للصدفية في الحرب، قبل أن تنخرطوا فيها. ومع ذلك، تصبح عموماً مسؤولية مرتكبي الحوادث، حوادث الحوادث لا ننجوا منها أي منا، ويجب أن نجازف بحدوثها في الظلام. إنه خطأ شائع في الحرب أن تبدأ من النهاية النهائية، وأننا لا نخلق الجديد، وننتظر كورثنا لنقرر الأمر ولم نخطئ بعد بأي حال من الأحوال، ولا أنتم كذلك، بقدر ما إذاً، في حين لا يزال الأمر متروكاً لنا أن نختار، في الحال، لن نطلبوا المعاهدة، أو تنقضوا قسمكم، بل أن تحلوا خلافاتنا بحكمة لاتفاقنا الخط الذي تختاره، فسنحاول ألا نتأخر في صدكم."

"كانت هذه هي كلمات الأثينيين. وبعد أن استمعت أهل لاكيدايمون إلى الاتفاق مع الحلفاء ضد الأثينيين، وملاحظاتهم، طلبوا من الجميع يكفي، وتشاوروا فيما بينهم كما تهم المتنافسة أمامهم. وأفضت آراء الأغلبية كلها إلى نفس النتيجة؛ وهي أن الأثينيين كانوا معتدين صريحين، ولابد من إعلان الحرب على الفور ولكن أرشيداموس، ملك لاكيديمون، اختراق، كان معروفًا بأنه حكيم ومعتدل في الوقت نفسه، وجاء الخطاب التالي:

"لم أعش لفترة طويلة، أيها الإسكندريون، دون أن أخوض حرباً كثيرة، وأرى أن من بينكم من كلهم في نفس عمري، لن يسقطوا في سوء الحظ الشائع في الشوق إلى الحرب بسبب الخبرة أو بسبب الخبرة لصلحها وسلامتها. هذه الحرب التي ستناقشها الآن ستكون واحدة من أعظم الحروب، إذا ما نظرنا إليها بعقلانية في

الصراع مع البيلوبونيزيين وجيرانا، تكون قوتنا من نفس النوع، ومن ثم تأتي بسرعة في النقاط المختلفة لكن الصراع مع شعب يعيش في أرض بعيدة، ويعلم أيضًا أنه غير بالبحر، وهو في القمة مستوى من المبتدئين في كل قسم آخر؛ مع كافة الوحدات الخاصة والعامة، والسفن، والخيول، والمشاة القوية، وسكان لا يمكن لأي مكان يوناني آخر أن يبيضهم، وأخيرًا عدد من الحلفاء - ما الذي يبرر لنا أن نبدأ مثل هذا الصراع بتهور؟ ولندفع باسم دون المواهب "هل الخلل في سفننا؟ هناك أقل شأناً؛ أما إذا أردنا أن نتدرب ونصبح نداً لهم، فلابد أن يتدخل الزمن. هل ينتقل الخلل في أموالنا؟ هناك لا يعاني من خلل أكبر بكثير. نحن لا نملكها في خزانتنا، ولا نستعد للمساهمة من أموالنا الخاصة. ويشعر بأنه يستحق أن تفوقنا في قوات البحرية والسكان، وهو ما يمكننا من غزوهم لحسابها. ولكن الأثينيين لديهم الكثير من الآخرين في إمبراطورهم، ويمكنهم أن ينضموا ما يريدون عن طريق البحر. ومرة أخرى، إذا حاولنا تمرد تحالفهم، لدينا جميعا دعمهم بأس طول، وقمنا بحشدهم من سكان الجنوب. إذن، ما الذي سيكون عليه حربنا؟ فما لم يحصلوا على هزيمتهم في البحر، أو حرمانهم من ات التي تغذي أسطولهم البحري، فلن نواجه سوى الكارثة. وفي غضون ذلك، سنكون ملزمين بمواصلة شرفنا، وخاصة إذا كان الرأي هو بدأنا بالشجار. فلابد لنا من أن نفرح بالأمل المميت في انتهاء الحرب بسرعة بتدمير أراضيهم" أخشى أن نترك هذا الأمر إرثًا لأطفالنا؛ فمن غير المحتمل أن تصبح الروح الأثينية عبدة لأرضها، أو أن تستسلم للتجربة الأثينية للحرب.

"لا أقصد أن أطلب منكم أن تكونوا غير مبالين إلى الحد الذي يسمح بإيذاء حلفائكم، وأن تمتنعوا عن كشف مكائدهم؛ ولكنني أطلب منكم ألا تحملوا السلاح على الفور، بل أن ترسلوا رسميا وتحزروهم بلهجة لا توحي حرب ولا توحي بالخضوع، وأن تستغلوا هذه الفترة جناحة في إتقان المواهب لدينا.سوف تكون الوسيلة،كاملة،تتقن حلفاء،يونانيين أو بربريين،لا يهم،لأجل يضيفون إضافة إلى قوتنا البحرية أو المالية ـأقول يونانيين أو بربريين،لأن تحقق النجاح على النجاح، الكارثة التي تلحقها مثل

هذه الزيادة بكل من وهم مثلنا هدف لخطط الأثينيين . وثانياً تنمية مواردنا المالية.وإذا استمعوا إلى سفارتنا، وهذا أفضل كثيراً؛ ولكن إذا لم يفعلوا، فبعد عامين أو ثلاثة مهارة، سوف نبدأ قوياً مادياً، ومن ثم سيتمكنوا من تحقيق ذلك مناسباً ذلك الوقت، قد يكون مشهد مواهبنا، المدعمة البلغارية لا تقل أهمية، قد يكون لهم مستعدين للاستسلام، في حين لا تزال أرضهم لم تمس، وقد تجهزهم بالأفكار اللازمة لتحقيق المزايا التي لم تُدمر بعد. فالضوء الوحيد الذي يمكنك رؤيته من خلال أرضهم هو ضوء رهينة في أيديهم، لأن قيمة الرهينة كلما كانت أفضل عملية زراعة. يجب عليك أن تُدخِر هذا طوال فترة طويلة من العام، ولا تجعلهم يائسين، وبالتالي لن تعاني من المعاناة. لأنه إذا لم نتمكن من الاستعداد، فقد عجلنا بالرحيل بفضل حلفائنا، فسنضطر إلى تفعيلها بشكل كبير، ويجب أن نحرص على ألا نجلب العار والحيرة بقوة على البيلوبونيز. من الالتهابات غير الطبيعية، سواء كانت من المجتمع أو الأشخاص؛ لكن الحرب التي تشنها تحالفات من أجل مصالح طائفية، والتي لا توجد وسيلة للتنقل بتقدمها، لا تقبل بسهولة اتفاقية موثوقة.

"ولا ينبغي لأحد أن يعتقد أنه من الرائع أن يتوقف عدد من الحلفاء قبل أن يهاجموا مدينة واحدة. إن الأثينيين لديهم حلفاء كثيرين مثل حلفاءنا، ويحققون مدفوعاتهم الجزية، والحرب ليست أهم أهمية لما هي هامة للأموال، وهو ما يجعل أسلحة مفيدة. وهذا صحيح أكثر من أي وقت مضى في الصراع بين قوة قارية وقوة بحرية، دعونا نملك المال، ونسمح لأنفسنا بالانجراف وراء حديث حلفائنا قبل أن نفعل ذلك: بما في ذلك سنتحمل النصيب الأكبر من المسؤوليات عن العواقب سواء كانت جيدة أو سيئة، فلنا أيضًا الحق في المسألة المتعلقة بها.

"إن البداء والتسويف، وهما من أكثر جوانب شخصيتنا تعرضًا لانتقاداتهم، لا ينبغي أن تخجل. إلا خضنا الحرب دون الإبداع، فلن يؤدي إلى تعجيل بدايتها إلا إلى تأخير يقررا: علاوة على ذلك، كانت مدينتنا حرة ومشهورة الوقت. إن الصفة التي يدينونها

ليست في الحقيقة سوى حكيم؛ فبفضلنا لها، لا نصبح وحدنا وقحين في الإبداع ونستسلم أقل من الآخرين في كل شيء؛ ولا ننجف ونتساءل ونشجعها على حكمتنا؛ ولا نقتنع أكثر بمحاولات الإثارة بالاتهام إذا انزعجنا، وحساسنا بالنظام الذي نريده كذلك. نحن محاربون لأن ضبط النفس يحتوي على الجناح الرئيسي، والشرف الشجاع "إننا حكماء وتعلمنا القليل من المعرفة بحيث لا نستخف بالقوانين، وبقدر كبير من ضبط النفس بحيث لا نعارضها، ولهذا السبب تربينا على". ألا تتمتع بخبرة كبيرة بالأمور غير المستخدمة . مثل المعرفة التي قد تمنحنا نقداً زائفاً لخطط المعاناة من الناحية الأخرى، ولكن فشلوا في مهاجمتها بنفسها النجاح في الممارسة العملية. ولكننا تعلمنا أن نعتبر أن مخططات خططنا ليست مختلفة عن مخططاتنا، وأن نزوات الصدفة لا يمكن تحديدها بالحساب. وفي الممارسة العملية، نبني دائمًا إبداعاتنا ضد القوى النضالية أن تتطور بشكل جيد؛ والواقع أنه من الصواب أن نعلق آمالنا ليس على المشاركين بأخطائه، بل على سلامةنا. ولا ينبغي لنا أن نعتقد أن هناك فرقاً يجتمعون بين الإنسان والإنسان، بل أن شيك أن التفوق يتوقف على أن ينجح في صرامة. لذا، فلا يجب علينا أن نتخصص في هذه الحركات التي نتميز بها نحن أسلافنا، والتي استفدنا منها دائماً". - بل يجب أن نتخذ خطوة بخطوة. هذا ما يمكننا القيام به بشكل خاص من خلال قوتنا. أما بالنسبة للأثينيين، فأرسل عموماً إلى مسألة بوتيديا، وأرسل إلى ويرجع إلى ما أثبتها الحلفاء، خاصة وأنهم مستعدون للتعويض عن الساقي؛ ويحظر القانون اتخاذ إجراء ضد موجه ضد مرتكب خطأ. وفي الوقت نفسه، لا تغفلوا عن التكيف للحرب.
""

كانت هذه كلمات أرشيداموس. ثم تقدم أخيرًا ستينااليداس، أحد الأيفور في ذلك العام، وتحدث إلى أهل لاكيدايمون على النحو التالي:

"لا أدعى لينين أفهم الحديث الطويل الذي ألقاه الأثينيون. لقد تحدثوا كثيرًا في مدحهم، وئام لم ينكروا في أي مكان يؤذنون حلفائنا والبيلوبونيز. ومع ذلك، إذا استدعوا بشكل جيد ضد الميديين، ولكنهم أساءوا إلينا الآن، فإنهم يستحقون عقابًا مضاعفًا لسببين". توقفوا عن كونهم طيبين ولأنهم أصبحوا أشرارًا لدينا حلفاء جيدون لا ينبغي لنا أن نتوجه عنهم للأثينيين، ولا يجب علينا أن نقرر الأمر من خلال التمثيل والكلام، لأنه لا يتم تحرير الأذى بنا بأي شيء سوى الكلام، بل نقدم مساعدة فورية وقوية ولا ينبغي لنا أن نقول إنه من المناسب لنا أن نتداول وتحت وطأة الظلم؛ فالتداول الطويل مناسب لحد ما لما كشفوه من الظلم "صوّتوا، أيها الإسبرطيون". للحرب، كما يقتضي شرف إسبرطة، ولا يسمحوا بالمزيد من التوسع لأثينا، ولا يخونوا حلفائنا حتى المحاربين، بل نتقدم مع الآلهة ضد المعتدين".

"وبهذه الكلمات، أصبح مرشدًا، قرر الأمر على جمعية اللاكيديمونيين. وقال إنه لا يستطيع تحديد أي الهتافات كانت أعلى (فطريقة اتخاذهم للقرار هي الهتافات وليس التصويت)؛ والحقيقة أنه تم منعهم من إعلان رأيهم علنًا، وبالتالي زيادة حماسهم للحرب. بل على ذلك، قال: ""أيها اللاكيديون الذين توصلوا إلى أن المعاهدة قد تم التوصل إليها وأن مذنبة، اتركوا ربعكم واذهبوا إلى هناك"، مشيرًا إلى مكان معين؛ ""كل من رأي مخالف، هناك""". الذين توصلوا إلى أن المعاهدة قد تم تقليصها، وتوصلوا إلى التحالف، وقرروا أن رأيهم هو أنها مذنبة بالظلم، ويريدون الاتصال بجميع الحلفاء وطرح الأمر للتصويت؛ حتى يقرروا ذلك، على أن يقرروا ذلك حصلوا على وجهتهم، عاد المندوبون إلى ديارهم على السجن؛ وقد قرره بعد ذلك، حين أرسل المبعوثين الأثينيون أهدافهم مهمة. وقد هذه المبادرة من الجمعية، التي حكمت تلك المعاهدة قد انتهكت، في السنة الرابعة عشرة من الهدنة التي دامت ثلاثين عاما، والتي تم الاشتراك فيها بعد قضية أوبيا.

صوت اللاكيديمون على أن المعاهدة قد تم خلاصها، وأن الحرب يجب أن تُعلن، ليس لأنهم مقتنعون بأسباب الحلفاء، بل لأنهم يخشون نمو قوة الأثينيين، بعد أن رأوا أن معظم اليونانيين يؤيدون الحلفاء بالفعل.

الفصل الرابع

من نهاية الحرب الفارسية إلى بداية الحرب البيلوبونية - التقدم من التفوق إلى الإمبراطورية

ولقد كانت الظروف التي أدت إلى تأثيرها في الباطن هي التالية: فبعد عودة الميديين من أوروبا، بعد أن هزمهم الإغريق بحراً وبراً، وبعد أن هُلِك الجوع الذين فروا بسفنهم إلى ميكالي، رحل ليوتيخيدس ملك اللاكديمونيين، وقائد الإغريق في ميكالي، إلى ديارهم مع حلفائهم. من البيلوبونيز. ولكن الأثينيين ما زالوا يخلصونهم من أيونيا وهيلسبونت، الذين ثاروا على الملك، ظلوا في المدينة وحصاروا سيستوس، التي لم تكن تحت تأثير الميديين. وبعد أن قضوا أمامها، أصبح الشتاء المكان بعد إخلائه من قبل البرابرة؛ وبعد ذلك أبحر بعيدًا إلى هيل عنسبونت إلى مدنهم. وفي غضون ذلك، شرع الشعب الأثيني، بعد رحيل البرابرة عن بلادهم، في نقل أطفالهم وزوجاتهم، وكل ما تركوه من المشاهير، من الأماكن التي أودعوها فيها، وأعدوا من جديد بناء مدينتهم وأسوارها. فلم يبق من محيط المدينة إلا أجزاء معزولة، الجزء الأكبر من المنازل في حالة خراب؛ على الرغم من بقاء عدد قليل منها، حيث أقام نبلاء الفرس مقارهم.

ولما أدركت أهل لاكدامونيون ما كنتم فعلتم، أرسلوا سفارة إلى الداخل. ويفضل ألا تكون الداخلية أو أي مدينة أخرى تملكها سوريا؛ واذا لم تكن غير مسموحوا هنا في المقام الأول بتحريض من حلفائهم، الذين كانوا متكاملين بالكامل باستثناء قوة أسطولها الذي اكتسبته حديثا وشجاعة التي شاركت فيها في الحرب مع الميديين. وتوسلوا لا تزال لا تمتنع عن بناء الأسوار بنفسها، بل وأن تنضم رسميًا إلى هدم الأسوار التي لم تكن تستقبل المدن التي تقع في أقصى شبه جزيرة بيلوبونيز. ولم يعلنوا النتيجة لنصيحتهم الحقيقية، أو الشكوك التي لم تكن تحملها ضد الأثينيين؛ بل زعموا أن البرابرة لن تجدوا في حالة الغزو الثالث في أي مكان قوي، مثل الذي

كان له الآن في طيبة، سجلاتهم؛ وأن البيلوبونيز ستكون كافية للجميع للتراجع والهجوم. وبعد أن تتحدث أهل لاكيدايمون بهذه الطريقة، وقرر الأثينيون على الفور تأجيلهم على نصيحة ثيميستوكليس، وأجابوا أنهم أرسلوا سفراء إلى أسبرطة للقيام بذلك. وأمر ثيميستوكليس الأثينيين وفره بسرعة إلى لاكيدايمون، ولكن ليس هناك حاجة إلى اختيارهم، بل انتظارهم حتى يرفعوا سورهم إلى الارتفاع الذي يمكن الدفاع عنه. وفي الوقت نفسه، كان على سكان المدينة جميعًا أن يعملوا في بناء السور، الأثينيون وزوجاتهم وأطفالهم، دون إهمال أي مبنى، خاص أو عام، وفيه قد يكون مفيدًا للعمل، بل هدموه جميعًا. وبعد منح هذه التعليمات، وقال انه سيتولى مسؤولية جميع الأمور الأخرى هناك، وترك. وعندما وصل إلى لاكيدايمون، لم يستفسر من السلطات، بل حاول كسب الوقت واختلاق الأعذار. "وعندما سأله أحد من الحكومة عن سبب عدم حضوره في الجمعية، كان يقول إنه يستمع إلى الذين ما زالوا في الداخل بسبب بعض المهام؛ ومع ذلك، كان ينتظر وصولهم ذلك بسرعة، ويتساءل لماذا لم يصلوا بعد. في البداية، صدق أهل لاكيديمون بكلمات ثيميستوكليس، بسبب صداقتهم له؛ ولكن عندما وصلوا، تمكنوا بوضوح أن العمل جارٍ ويحقق بالفعل بعض الارتقاء، لم يعرفوا كيف ينكرون ذلك وإدراكًا لهذا، أخبرهم أن الشائعة واضحة، ولا يجب الموثوقة بها؛ والذين يمكن الموثوق بهم بتقاريرهم أن يقولوا لذلك. حاملو الأخبار إلى الجدار قد يصلون إلى أعلى؛ ويخشى أنه عندما يسمع اللاكيديمونيون الحقائق، فقد رفضوا السماح لهم بالرحيل."فقام الأثينيون باحتجاز المبعوثين لرسالته، وعقد ثيميستوكليس التواصل مع اللاكيديمونيين، وأخبرهم أخيرًا صراحةً أن الأخيرة أصبحت الآن محصنة بما يكفي للدفاع عن سكانها؛ وأن أي سفارة لاكيديمونيون أو تحالفهم في إرسالها ببساطة يجب أن تعترف في المستقبل أن الناس الذين سيذهبون أصلاً مستعدون للتعلم بين مصالحهم الخاصة والمصالح العامة، وعندما رأى الأثينيون أنه من المفضل عن مدينتهم وركوب في سفنهم، يغامرون بهذه الخطورة دون استشارةتهم؛ ومن ناحية أخرى، حيثما تشاوروا مع اللاكيديمونيين، لذلك لا يضاهون في وأعلموا أنهم رأوا الآن من المناسب أن يكون

لمدينتهم سور، وأن هذا من التنوير أن يكون أكثر فائدة للمواطنين اليونانيين؛ لأنه بدون قوة عسكرية كان من المستحيل تقديم مشورة أو عادلة للتعليم المشترك.ويجب ملاحظة أن ذلك يستتبع إما أن يكون جميع الأعضاء اتحادًا بلا جدران، أو أن يعتبر خطوة صحيحة بشكل صحيح.

ولم يبد أهل لاكيدايمون أي علامات صريحة ضد الأثينيين لما سمعوه. سعياً إلى أن تبرز لم تكن مدفوعاً برغبة في عرقلة حكومتهم، بل بالإضافة إلى ذلك: بالإضافة إلى ذلك، كانت مشاعر أسبرطة في ذلك الوقت مريحة بشكل غير عادي تجاهها بسبب الوطنية التي اخترعتها في الصراع مع الميديين. ومع ذلك، فإن هزيمة رغباتهم لم تكن من الكون إلا أنها تأثرت بشكل سري. غادر مبعوثو كل دولة إلى ديارهم دون التعامل.

"وبهذا الشكل بنى الأثينيون أسوار مدينتهم في وقت قصير. يجتمع يومنا هذا، ما تاكرون البناء يشير إلى سرعة تنفيذه؛ وقد وُضِعَت الأساسات من حجارة من مختلف الأنواع، وفي بعض الأماكن لم تكن مصنَّعة أو مُركَّبة، بل وُضِعَت بالترتيب الذي عملتها به شبكات مختلفة ؛ كما وُضِعَت العديد من الأعمدة من المقابر، والأحجار الكريمة مع سائرة. وقد امتدت حدود المدينة من كل نقطة من محيطها؛ لذلك فقد وضعتوا أيديهم على كل شيء بلا استثناء في عجلة من أمرهم، كما أقنعتهم ثيميستوكليس بإكمال أسوار بيرايوس من قبل، في عام توليه كأركون؛ تأثرت في الوقت نفسه بالجمال حيث ضمت ثلاثة مساهمات طبيعية، وبالبداية نجحها الأثينيون في اكتساب القوة من خلال التحول إلى شعب بحري، وقد تجرأوا على تمكينهم من التمسك بالبحر، ثم بدأوا في الوضع الراهن أسس وتعلم كان نصيحته هي جعلهم يبنون أسواراً بهذا السمك الذي لا يزال يميزه حول بيرايوس، حيث كانت اللاتينيات تُرفع بواسطة عربتين تلتقيان. ولم يكن هناك بين الأطراف التي تجلت على هذا النحو أن طالب ولا ملاط، بل كانت هناك حجارة ضخمة منحوتة مربعة

ومثبتة مع بعضها البعض، ومضغوطة على بعضها من الخارج بالحديد والرصاص. وقد تم الانتهاء من نصف الارتفاع الذي كان يعتزمه. لفترة قصيرة هي أنها حجمها وسمكها يصد هجمات المعاناة؛ ويعتقد أن هذا الأسوار يمكن الدفاع عنه بشكل جزئي بواسطة حارس صغير من المعوقين، وأنه يتم تحرير الباقي للخدمة في الأطول. لقد استغرقت معظم الوقت. لقد رأيت، كما أعتقد، أن المشاهير عن طريق البحر كان أسهل لجيش الملك من المشاهير عن طريق البر: كما كان يعتقد أن بيريايوس أكثر قيمة من المدينة العليا؛ والواقع أنه كان يحسن الأثينيين دائمًا، إذا جاء يوم يجدون أنفسهم تحت ضغط طويل من البراق، بالزول إلى بيرايوس وتحدي العالم بأسهم. وبالتالي، فقد أكمل الأثينيون بناء سورهم، وبدأوا في بناء البيانات الأخرى فورًا وفكر الميديين.

وفي تلك الأثناء، أُرسل بوسانياس، ابن كليومبروتوس، من لاكيدايمون كقائد أعلى لليونانيين، ومعه عشرون سفينة من البيلوبونيز. وأبحر معه الأثينيون بثلاثين سفينة، وعدد من الحلفاء الآخرين. فشنوا حملة ضد قبرص، واستولوا على معظم الجزيرة، ثم ضد بيزنطة، التي كانت في أيدي الميديين، وأجبروها على الاستسلام. وقد وقع هذا الحدث بينما كان الإسبرطيون لا يزالون متفوقين. ولكن عنف بوسانياس كان قد بدأ بالفعل يثير استياء اليونانيين، وخاصة الأيونيين والسكان المحررين حديثًا. فلجأ هؤلاء إلى الأثينيين وطلبوا منهم، باعتبارهم أقارب لهم، أن يصبحوا زعماء لهم، وأن يوقفوا أي محاولة للعنف من جانب بوسانياس. وقبل الأثينيون مبادراتهم، وقرروا إحباط أي محاولة من هذا القبيل وتسوية كل شيء آخر حسبما قد تتطلبه مصالحهم. وفي غضون ذلك استدعى اللاكيديمونيون بوسانياس للتحقيق في التقارير التي وصلت إليهم. فقد وجه إليه اليونانيون الذين وصلوا إلى أسبرطة اتهامات عديدة وخطيرة؛ ويبدو أن سلوكه كان أقرب إلى تقليد الطاغية منه إلى سلوك القائد. ولقد

حدث أن استدعوه في الوقت الذي دفعت فيه الكراهية التي أثارها الحلفاء إلى التخلي عنه، باستثناء الجنود من البيلوبونيز، والوقوف إلى جانب الأثينيين. وعند وصوله إلى اللاكيديمون، وُجِّهت إليه اللوم بسبب أفعاله القمعية الخاصة، ولكن بُرِّئ من أخطر التهم وأُعلن أنه غير مذنب؛ ولابد أن نعلم أن تهمة الميديزم كانت واحدة من أهم التهم الموجهة إليه، والتي يبدو أنها كانت من أقوى التهم التي وُجِّهت إليه. ولكن اللاكيديمونيين لم يعيدوه إلى قيادته، بل أرسلوا دوركيس وبعض الآخرين بقوة صغيرة؛ ولما أدركوا ذلك انسحبوا، ولم يرسل اللاكديمونيون أحداً ليخلفهم. فقد خافوا على من خرجوا أن يتدهور حالهم إلى ما يشبه ما حدث في عهد باوسانياس؛ فضلاً عن ذلك فقد رغبوا في التخلص من الحرب الميدية، وكانوا راضين عن كفاءة الأثينيين في تولي المنصب، وعن صداقتهم لهم في ذلك الوقت.

ولقد نجح الأثينيون في الوصول إلى السيادة بفضل العمل الطوعي الذي قام به الحلفاء نتيجة لكرههم لبوسانياس، فحددوا المدن التي كان ينبغي لها أن تساهم بالمال ضد البرابرة، والسفن التي كان ينبغي لها أن تساهم بالمال ضد البرابرة، وكان هدفهم المعلن هو الانتقام لمعاناتهم من خلال تخريب بلاد الملك. وكان هذا هو الوقت الذي أنشأ فيه الأثينيون لأول مرة منصب "أمناء الخزانة في هيلاس". وكان هؤلاء الضباط يتلقون الجزية، كما كانت تسمى الأموال التي ساهموا بها. وقد حددت الجزية في البداية بأربعمائة وستين تالنت. وكانت الخزانة المشتركة في ديلوس، وكانت المؤتمرات تعقد في المعبد. وقد بدأت سيادتهم بحلفاء مستقلين عملوا وفقًا لقرارات مؤتمر مشترك. وقد تميزت هذه السيادة بالتعهدات التالية في الحرب والإدارة خلال الفترة الفاصلة بين حرب ميديا والحرب الحالية، ضد البرابرة، وضد حلفائهم المتمردين، وضد القوى البيلوبونيسية التي كانت ستتصادم معهم في مناسبات مختلفة. إن عذري في سرد هذه الأحداث، والخوض في هذا الاستطراد، هو أن هذا المقطع من التاريخ قد أغفله كل من سبقوني، الذين اقتصروا إما على التاريخ اليوناني قبل الحرب الميدية، أو على الحرب الميدية نفسها. صحيح أن هيلانكوس قد

تطرق إلى هذه الأحداث في تاريخه الأثيني؛ ولكنه كان موجزًا إلى حد ما وغير دقيق في تواريخه. فضلاً عن ذلك، فإن تاريخ هذه الأحداث يحتوي على شرح لنمو الإمبراطورية الأثينية.

أولاً حاصر الأثينيون إيون الواقعة على نهر ستريمون واستولوا عليها من الميديين، واستعبدوا سكانها، تحت قيادة سيمون، ابن ميلتيادس. بعد ذلك استعبدوا سكيروس، الجزيرة الواقعة في بحر إيجة، والتي تضم سكان دولوبيا، واستعمروها بأنفسهم. تلا ذلك حرب ضد كاريستوس، حيث ظلت بقية أوبيا محايدة، وانتهت بالاستسلام بشروط. بعد ذلك تركت ناكسوس الاتحاد، واندلعت حرب، واضطرت إلى العودة بعد حصار؛ كانت هذه أول حالة يتم فيها كسر الاشتباك بسبب إخضاع مدينة حليفة، وهي سابقة تبعتها بقية المدينة بالترتيب الذي حددته الظروف. من بين جميع أسباب الانشقاق، كان السبب المرتبط بمتأخرات الجزية والسفن، والفشل في الخدمة، هو السبب الرئيسي؛ كان الأثينيون قساة وصارمين للغاية، وكانوا يهاجمون أنفسهم بتطبيق عقاب الضرورة على الرجال الذين لم يعتادوا على العمل المتواصل، بل ولم يكونوا في الواقع مستعدين له. وفي بعض النواحي الأخرى، لم يكن الأثينيون الحكام الشعبيين القدامى كما كانوا في البداية؛ وإذا كان لديهم أكثر من نصيبهم العادل من الخدمة، فقد كان من السهل عليهم بالمثل تقليص أي شخص يحاول مغادرة الاتحاد. وكان الحلفاء هم من يتحملون اللوم في هذا؛ فقد دفعت الرغبة في التخلص من الخدمة معظمهم إلى ترتيب دفع نصيبهم من النفقات نقدًا بدلاً من السفن، وبالتالي تجنب الاضطرار إلى مغادرة منازلهم. وهكذا بينما كانت أثينا تزيد من أسطولها البحري بالأموال التي ساهموا بها، كانت الثورات دائمًا تجدهم بلا موارد أو خبرة في الحرب.

ثم ننتقل إلى الأحداث التي جرت على البر والبحر عند نهر يوريميدون، بين الأثينيين وحلفائهم والميديين، عندما انتصر الأثينيون في المعركتين في نفس اليوم بقيادة

سيمون بن ملتيادس، واستولوا على الأسطول الفينيقي بأكمله، الذي كان يتألف من مائتي سفينة، ودمروه. وبعد فترة من الوقت حدث انشقاق التاسيين، بسبب الخلافات حول الأسواق على الساحل المقابل لتراقيا، وحول المناجم التي كانت بحوزتهم. فأبحر الأثينيون بأسطول إلى ثاسوس، وهزموهم في البحر ونفذوا عملية إنزال على الجزيرة. وفي نفس الوقت تقريبًا، أرسلوا عشرة آلاف مستوطن من مواطنيهم وحلفائهم للاستيطان في المكان الذي كان يُدعى آنذاك إنيا هودوي أو الطرق التسع، والذي أصبح الآن أمفيبوليس. ولقد نجحوا في الاستيلاء على إنيا هودوي من الأدونيين، ولكنهم عندما تقدموا إلى داخل تراقيا انقطعت بهم السبل في درابيسكوس، وهي بلدة للأدونيين، على أيدي التراقيين المجتمعين، الذين اعتبروا استيطان مكان إنيا هودوي عملاً عدائياً. وفي الوقت نفسه، بعد هزيمة الثاسيين في الميدان ومعاناتهم من الحصار، ناشدوا لاكيدايمون، وطلبوا منها مساعدتهم بغزو أتيكا. وبدون أن تخبر أثينا، وعدت بذلك وخططت للقيام بذلك، ولكن حدث الزلزال، الذي صاحبه انفصال الهيلوتس والثوريات والأيثيين من البيرويشيين إلى إيثومي، منعهم من ذلك. وكان معظم الهيلوتس من نسل الميسينيين القدامى الذين استعبدوا في الحرب الشهيرة؛ ولهذا السبب أصبحوا جميعًا يُطلق عليهم اسم الميسينيين. "وبينما كان اللاكيدايمونيون منخرطين في حرب مع المتمردين في إيثومي، حصل الثاسيون في السنة الثالثة من الحصار على شروط من الأثينيين بهدم أسوارهم، وتسليم سفنهم، والاتفاق على دفع الأموال المطلوبة على الفور، والجزية في المستقبل؛ والتخلي عن ممتلكاتهم في القارة مع المنجم.

وفي الوقت نفسه، وجد اللاكيديمونيون أن الحرب ضد المتمردين في إيثومي من المرجح أن تستمر، فاستعانوا بحلفائهم، وخاصة الأثينيين، الذين جاءوا بقوة تحت قيادة سيمون. وكان السبب وراء هذا الاستدعاء العاجل يكمن في مهارتهم المزعومة في عمليات الحصار؛ فقد علم الحصار الطويل اللاكيديمونيين عجزهم في هذا الفن، وإلا لكانوا قد احتلوا المكان بالهجوم. ونشأ أول شجار علني بين اللاكيديمونيين

والأثينيين من هذه الحملة. وعندما فشل الهجوم في احتلال المكان، بدأ اللاكيديمونيون في الخوف من الطابع الثوري والمغامر للأثينيين، ونظروا إليهم باعتبارهم من أصل أجنبي، فبدأوا يخشون أنه إذا بقوا، فقد يغريهم المحاصرون في إيثومي بمحاولة إجراء بعض التغييرات السياسية. وبناءً على ذلك، طردوهم وحدهم من الحلفاء، دون أن يعلنوا عن شكوكهم، بل قالوا فقط إنهم لم يعودوا بحاجة إليهم. "ولكن الأثينيين، مدركين أن طردهم لم يكن بسبب أشرف من الاثنين، بل بسبب الشكوك التي كانت قد تولدت لديهم، غادروا المكان غاضبين للغاية، ومدركين أنهم لم يفعلوا شيئًا يستحق مثل هذه المعاملة من اللاكديمونيين؛ وفي اللحظة التي عادوا فيها إلى ديارهم، قطعوا التحالف الذي عقدوه ضد الميديين، وتحالفوا مع أرغوس عدو أسبرطة؛ حيث أقسم كل من الطرفين المتعاقدين نفس القسم وعقد نفس التحالف مع الثيساليين.

وفي غضون ذلك، لم يتمكن المتمردون في إيثومي من إطالة أمد المقاومة التي دامت عشر سنوات أخرى، فاستسلموا للاكيدايمون؛ وكانت الشروط هي أن يغادروا البيلوبونيز في أمان، وألا تطأ أقدامهم هذه المنطقة مرة أخرى: وأي شخص قد يُعثر عليه هناك بعد ذلك سيكون عبدًا لآسره. ولابد أن نعرف أن اللاكيدايمونيين كانوا قد تلقوا نبوءة قديمة من دلفي، مفادها أنهم يجب أن يطلقوا سراح المتضرع إلى زيوس في إيثومي. وهكذا خرجوا مع أطفالهم وزوجاتهم، وبعد أن استقبلتهم أثينا بسبب الكراهية التي كانت تشعر بها الآن تجاه اللاكيدايمونيين، تم العثور عليهم في ناوبكتوس، التي انتزعتها مؤخرًا من لوكريان أوزوليان. وتلقى الأثينيون إضافة أخرى إلى تحالفهم في الميجاريين؛ الذين تركوا التحالف اللاكيدايموني، منزعجين من حرب حول الحدود التي فرضتها عليهم كورنثوس. احتل الأثينيون ميجارا وبيجاي، وبنوا للميجاريين أسوارهم الطويلة من المدينة إلى نيصيا، حيث وضعوا حامية أثينية. وكان هذا هو السبب الرئيسي وراء كراهية أهل كورنثوس المميتة لأثينا.

وفي هذه الأثناء، كان إيناروس، ابن بسماتيكيوس، ملك الليبيين على الحدود المصرية، والذي كان مقره في ماريا، المدينة الواقعة فوق فاروس، قد تسبب في ثورة في مصر كلها تقريبًا ضد الملك أرتحشستا، وتولى قيادة الثورة، ودعا الأثينيين لمساعدته. وبعد أن تخلوا عن حملة قبرصية كان من المقرر أن يشاركوا فيها مع مائتي سفينة من سفنهم وحلفائهم، وصلوا إلى مصر وأبحروا من البحر إلى النيل، واستولوا على النهر وثلثي ممفيس، ووجهوا أنفسهم إلى مهاجمة الثلث المتبقي، والذي يُدعى القلعة البيضاء. وكان بداخلها الفرس والميديون الذين لجأوا إليها، والمصريون الذين لم ينضموا إلى التمرد.

وفي هذه الأثناء، كان الأثينيون ينزلون بأسطولهم إلى هاليا، فواجهتهم قوة من الكورنثيين والإبيداوريين؛ وانتصر الكورنثيون. وبعد ذلك اشتبك الأثينيون مع أسطول البيلوبونيز قبالة سيكروفاليا؛ وانتصر الأثينيون. وبعد ذلك اندلعت الحرب بين إيجينا وأثينا، وكانت هناك معركة كبيرة في البحر قبالة إيجينا بين الأثينيين والإيجيينيين، حيث ساعد كل منهما حلفاؤه؛ وظل النصر للأثينيين، الذين استولوا على سبعين سفينة من سفن العدو، ونزلوا في البلاد وبدأوا حصارًا تحت قيادة ليوقراطس، ابن ستروبوس. وعند هذا، أرسل البيلوبونيزيون، راغبين في مساعدة الإيجينيين، إلى إيجينا قوة من ثلاثمائة من المشاة الثقيلة، الذين كانوا يخدمون من قبل مع الكورنثيين والإيبيدوريين. وفي الوقت نفسه احتل الكورنثيون وحلفاؤهم مرتفعات جيرانيا، وزحفوا إلى الميجاريين، معتقدين أن أثينا لن تتمكن من مساعدة الميجاريين، في غياب قوة كبيرة في إيجينا ومصر، دون رفع الحصار عن إيجينا. ولكن الأثينيين، بدلاً من تحريك جيش إيجينا، جمعوا قوة من الرجال المسنين والشباب الذين تركوا في المدينة، وزحفوا إلى الميجاريين تحت قيادة ميرونيدس. وبعد معركة متعادلة مع الكورنثيين، انفصل الجيشان المتنافسان، وكان كل منهما يعتقد أنه انتصر. ولكن الأثينيين، على الرغم من كل شيء، كانوا الأفضل، وعند رحيل الكورنثيين أقاموا غنائمهم. وتحت تحريض من شيوخ مدينتهم، قاموا بإعداد

استعداداتهم، وبعد حوالي اثني عشر يومًا جاءوا وأقاموا غنائمهم منتصرين. وبعد أن خرج الأثينيون من ميجارا، قطعوا الطريق على المجموعة التي كانت تعمل على رفع الكأس، واشتبكوا مع بقية المجموعة وهزموها. وفي أثناء انسحاب الجيش المهزوم، اندفعت فرقة كبيرة، أخطأت الطريق وضغط عليها الملاحقون، إلى حقل يقع على أرض خاصة، محاطة بخندق عميق، ولم يكن هناك مخرج. ولما عرف الأثينيون المكان، حاصروا جبهتهم بمشاة ثقيلة، ووضعوا القوات الخفيفة في دائرة، ورموا بالحجارة كل من دخل. وتلقت كورنثوس ضربة شديدة هنا. واستمر الجزء الأكبر من جيشها في الانسحاب إلى دياره.

وفي ذلك الوقت بدأ الأثينيون في بناء الأسوار الطويلة على البحر، تلك التي تطل على فاليروم وتلك التي تطل على بيرايوس. وفي الوقت نفسه قام الفوكيون بحملة ضد دوريس، الموطن القديم لللاكيديمونيين، والتي تضم مدن بوم وكيتينيوم وإرينيوم. وكانوا قد استولوا على إحدى هذه المدن عندما جاء اللاكيديمونيون بقيادة نيكوميديس، ابن كليومبروتوس، الذي كان قائداً للملك بليستواناكس، ابن بوسانياس، الذي كان لا يزال قاصراً، لمساعدة الدوريين بألف وخمسمائة من المشاة الثقيلة الخاصة بهم، وعشرة آلاف من حلفائهم. وبعد إجبار الفوكيين على استعادة المدينة بشروط، بدأوا انسحابهم. وكان الطريق عبر البحر، عبر خليج كريسا، يعرضهم لخطر التوقف من قبل الأسطول الأثيني؛ حيث بدا أن الطريق عبر جيرانيا غير آمن، حيث كان الأثينيون يسيطرون على ميجارا وبيجاي. لأن الممر كان صعبًا، وكان دائمًا تحت حراسة الأثينيين؛ وفي هذه الحالة، تلقى اللاكيديمونيون معلومات تفيد بأنهم يعتزمون الاعتراض على مرورهم. لذا فقد قرروا البقاء في بيوتيا، والتفكير في أي طريق سيكون الأكثر أمانًا للسير. وكان لديهم أيضًا سبب آخر لهذا القرار. فقد حصلوا على تشجيع سري من حزب في أثينا، الذي كان يأمل في وضع حد لحكم الديمقراطية وبناء الأسوار الطويلة. وفي الوقت نفسه، سار الأثينيون ضدهم بكل قواتهم وألف أرجيفي ووحدات من بقية حلفائهم. وكان مجموعهم أربعة عشر ألفًا. وقد دفعهم

إلى السير فكرة مفادها أن اللاكيديمونيين كانوا في حيرة من أمرهم بشأن كيفية تنفيذ مرورهم، وكذلك الشكوك في محاولة للإطاحة بالديمقراطية. كما انضم بعض الفرسان إلى الأثينيين من حلفائهم الثيساليين؛ ولكن هؤلاء انضموا إلى اللاكيديمونيين أثناء المعركة.

دارت المعركة في تاناغرا في بيوتيا. وبعد خسائر فادحة من كلا الجانبين، أُعلن النصر للاكيديمونيين وحلفائهم. وبعد دخولهم منطقة ميجاريد وقطع أشجار الفاكهة، عاد اللاكيديمونيون إلى ديارهم عبر جيرانيا والبرزخ. وبعد اثنين وستين يومًا من المعركة، سار الأثينيون إلى بيوتيا تحت قيادة ميرونيدس، وهزموا البيوتيين في معركة أونوفيتا، وأصبحوا سادة بيوتيا وفوسيس. وهدموا أسوار التاناغرايين، وأسروا مائة من أغنى رجال لوكريين أوبونتيان كرهائن، وأكملوا بناء أسوارهم الطويلة. وتبع ذلك استسلام الإيجينيين لأثينا بشروط؛ حيث هدموا أسوارهم، وتخلوا عن سفنهم، ووافقوا على دفع الجزية في المستقبل. أبحر الأثينيون حول البيلوبونيز بقيادة تولميدس، ابن تولماوس، وأحرقوا ترسانة لاكيدايمون، واستولوا على خالكيذا، وهي مدينة تابعة للكورنثيين، وفي نزولهم على سيكيون هزموا السكيونيين في معركة.

وفي الوقت نفسه كان الأثينيون في مصر وحلفاؤهم لا يزالون هناك، وواجهوا كل تقلبات الحرب. أولاً، أصبح الأثينيون سادة مصر، وأرسل الملك ميجابازوس الفارسي إلى لاكيدايمون بالمال لرشوة البيلوبونيزيين لغزو أتيكا وبالتالي سحب الأثينيين من مصر. ولما وجد أن الأمر لم يحرز أي تقدم، وأن المال كان يهدر، استدعى ميجابازوس مع بقية المال، وأرسل ميجابازوس، ابن زوبيروس الفارسي، مع جيش كبير إلى مصر. وعندما وصل عن طريق البر هزم المصريين وحلفاءهم في معركة، وطرد اليونانيين من ممفيس، وأخيرًا حبسهم في جزيرة بروسوبيتس، حيث حاصرهم لمدة عام وستة أشهر. "وأخيرًا، قام بتجفيف القناة من مياهها، وتحويلها إلى قناة أخرى، وترك سفنهم في العراء وربط معظم الجزيرة بالبر الرئيسي، ثم سار سيرًا على الأقدام واستولى

عليها. وهكذا باءت مغامرة اليونانيين بالفشل بعد ست سنوات من الحرب. ومن بين كل ذلك الجيش الضخم، وصل عدد قليل من المسافرين عبر ليبيا إلى قورينا بأمان، لكن معظمهم هلكوا. وهكذا عادت مصر إلى خضوعها للملك، باستثناء أميرتايوس، ملك المستنقعات، الذي لم يتمكنوا من أسره من حدود المستنقع؛ وكان سكان المستنقعات أيضًا أكثر المصريين حربًا. وخُدع إيناروس، ملك ليبيا، المؤلف الوحيد للثورة المصرية، وأسروه وصلبوه. وفي الوقت نفسه، أبحرت فرقة إغاثة مكونة من خمسين سفينة من أثينا وبقية الاتحاد إلى مصر. ورسوا على الشاطئ عند مصب النيل في منديسيا، في جهل تام بما حدث. وبعد أن هاجمتها القوات من البر، ومن البحر بواسطة الأسطول الفينيقي، دُمرت أغلب السفن، وأُنقذت السفن القليلة المتبقية بالتراجع. وكانت هذه نهاية الحملة الكبرى التي شنها الأثينيون وحلفاؤهم على مصر.

وفي الوقت نفسه، أقنع أوريستيس، ابن إشيكراتيداس، ملك ثيساليا، المنفي من ثيساليا، الأثينيين بإعادته إلى عرشه. فأخذ الأثينيون معهم البويوتيين والفوسيين حلفائهم، وساروا إلى فارسالوس في ثيساليا. وأصبحوا سادة البلاد، وإن كانوا في المنطقة المجاورة مباشرة للمعسكر فقط؛ حيث لم يتمكنوا من الذهاب إلى أبعد من ذلك خوفًا من سلاح الفرسان الثيسالي. لكنهم فشلوا في الاستيلاء على المدينة أو تحقيق أي من الأهداف الأخرى لبعثتهم، وعادوا إلى ديارهم مع أوريستيس دون أن يحققوا أي شيء. وبعد فترة وجيزة من ذلك، صعد ألف من الأثينيين في السفن التي كانت في بيجاي (يجب أن نتذكر أن بيجاي كانت ملكهم الآن)، وأبحروا على طول الساحل إلى سيكيون تحت قيادة بريكليس، ابن زانثيبوس. وبعد أن هبطوا في سيكيون وهزموا السكيونيين الذين هاجموهم، أخذوا معهم على الفور الآخيين وأبحروا عبرها وهاجموا أونيادي في أكارنانيا وحاصروها. ولكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها، فعادوا إلى ديارهم.

وبعد ثلاث سنوات، عُقِدَت هدنة بين البيلوبونيزيين والأثينيين لمدة خمس سنوات. وبعد أن تحرر الأثينيون من الحرب الهيلينية، قاموا بحملة إلى قبرص مع مائتي سفينة تابعة لهم وحلفائهم، تحت قيادة سيمون. وقد أُرسِل ستون من هذه السفن إلى مصر بناءً على طلب أميرتايوس، الملك في المستنقعات؛ وحاصرت بقية السفن كيتيوم، إلا أنهم اضطروا إلى الانسحاب منها بسبب وفاة سيمون وندرة المؤن. وأبحروا قبالة سلاميس في قبرص، وحاربوا الفينيقيين والقبارصة والقيليقيين براً وبحراً، وبعد أن انتصروا في كلا العنصرين غادروا ديارهم ومعهم السرب العائد من مصر. وبعد ذلك خرج اللاكديمونيون في حرب مقدسة، واستولوا على معبد دلفي، ووقع في أيدي الدلفيين. وبعد انسحابهم مباشرة، خرج الأثينيون، وأصبحوا أسياد المعبد، ووضعوه في أيدي الفوسيين.

وبعد فترة من الوقت، وبعد أن وقعت أوركومينوس وخيرونيا وبعض الأماكن الأخرى في بيوتيا في أيدي المنفيين البويوتيين، سار الأثينيون ضد الأماكن المعادية المذكورة أعلاه بألف من المشاة الثقيلة الأثينيين والوحدات المتحالفة، تحت قيادة تولمايس، ابن تولماوس. واستولوا على خيرونيا، واستعبدوا سكانها، وتركوا حامية وبدأوا في العودة. وفي طريقهم هاجمهم المنفيون البويوتيون من أوركومينوس في كورونيا، وهُزم بعض المنفيين اللوكريين واليوبيانيين، وغيرهم ممن كانوا على نفس طريقة التفكير، وقُتل بعضهم، وأسر آخرون. وأخلى الأثينيون بيوتيا بأكملها بموجب معاهدة تنص على استعادة الرجال؛ وعاد البويوتيون المنفيون، واستعادوا مع بقية السكان استقلالهم.

وبعد ذلك بفترة وجيزة اندلعت ثورة أوبيا من أثينا. وكان بريكليس قد عبر بالفعل بجيش من الأثينيين إلى الجزيرة، عندما وصلته أنباء تفيد بأن ميجارا ثارت، وأن البيلوبونيزيين كانوا على وشك غزو أتيكا، وأن الميجاريين قطعوا الطريق على الحامية الأثينية، باستثناء قِلة لجأوا إلى نيصايا. وكان الميجاريون قد أدخلوا

الكورنثيين والسيكوسيين والإبيداوريين إلى المدينة قبل أن يثوروا. وفي غضون ذلك أعاد بريكليس جيشه على عجل من أوبيا. وبعد ذلك سار البيلوبونيزيون إلى أتيكا حتى إليوسيس وثريوس، وخرّبوا البلاد تحت قيادة الملك بليستواناكس، ابن بوسانياس، ثم عادوا إلى ديارهم دون أن يتقدموا إلى الأمام. ثم عبر الأثينيون مرة أخرى إلى جزيرة وابية تحت قيادة بريكليس، واستولوا على الجزيرة بأكملها: تم الاستقرار في كل شيء باستثناء هيستيا حسب الاتفاق؛ وطردوا الهستياييين من منازلهم، واحتلوا أراضيهم بأنفسهم.

بعد عودتهم من أيوبويا، أبرموا هدنة مع الأسبرطيين وحلفائهم لمدة ثلاثين سنة، متنازلين عن المواقع التي كانوا يحتلونها في بيلوبونيز—نيسايا، بيغاي، تروزين، وأخايا. في السنة السادسة من الهدنة، اندلعت الحرب بين الساميين والمليسيين حول بريني. وبعد هزيمتهم في الحرب، جاء المليسيون إلى أثينا بشكاوى شديدة ضد الساميين. وانضم إليهم بعض الأشخاص من ساموس نفسها، الذين أرادوا تغيير الحكومة. وفقًا لذلك، أبحر الأثينيون إلى ساموس بأربعين سفينة وأسسوا ديمقراطية؛ أخذوا رهائن من الساميين، خمسين صبيًا وخمسين رجلًا، وأقاموا بهم في لمونس، وبعد ترك حامية في الجزيرة عادوا إلى بلادهم. ولكن بعض الساميين لم يبقوا في الجزيرة، بل فروا إلى القارة. باتفاق مع أقوى الأشخاص في المدينة، وتحالف مع بيسوثنيس، ابن هيستاسبيس، الساتراب في ساردیس، جمعوا قوة من سبعمائة مرتزق، وتحت غطاء الليل عبروا إلى ساموس. كانت خطوتهم الأولى الانقلاب على العامة، وأمسكوا بمعظمهم؛ ثم سرقوا رهائنهم من لمونس؛ وبعدها ثاروا، وتخلوا عن الحامية الأثينية مع قادتها إلى بيسوثنيس، واستعدوا على الفور لحملة ضد ميليتوس. انضم إليهم أيضا البيزنطيون".

إذا كنت بحاجة إلى المزيد من الترجمة أو المساعدة في شيء آخر، فأنا هنا دائماً.

"وبعد أن سمع الأثينيون الخبر أبحروا بستين سفينة إلى ساموس. وانطلقت ست عشرة منها إلى كاريا للبحث عن الأسطول الفينيقي، ثم إلى خيوس ولسبوس حاملة أوامر التعزيز، فلم يشتبكوا قط؛ ولكن أربعاً وأربعين سفينة تحت قيادة بريكليس وتسعة من رفاقه خاضوا معركة قبالة جزيرة تراجيا ضد سبعين سفينة سامية، منها عشرون سفينة نقل، حيث كانت تبحر من ميليتوس. وظل النصر في أيدي الأثينيين. وبعد أن تعززوا بعد ذلك بأربعين سفينة من أثينا، وخمس وعشرين سفينة من خيوس ولسبوس، نزل الأثينيون إلى البر، ولأنهم كانوا متفوقين على البر فقد حاصروا المدينة بثلاثة أسوار؛ كما حاصروها من البحر. وفي غضون ذلك استولى بريكليس على ستين سفينة من السرب المحاصر، وغادر على عجل إلى كونوس وكاريا، بعد أن وردت أنباء عن اقتراب الأسطول الفينيقي لمساعدة الساميين؛ ولقد غادر ستيساجوراس وغيره الجزيرة ومعهم خمس سفن لإحضارهم. ولكن في غضون ذلك قام الساميون بهجوم مفاجئ، وهاجموا المعسكر الذي وجدوه غير محصن. وبعد أن دمروا سفن المراقبة، ودخلوا في اشتباكات مع أولئك الذين كانوا ينطلقون لملاقاتهم وهزموهم، ظلوا أسيادًا لبحارهم لمدة أربعة عشر يومًا، ونفذوا ما أرادوا. ولكن عند وصول بريكليس، تم إغلاقهم مرة أخرى. وبعد ذلك وصلت تعزيزات جديدة - أربعون سفينة من أثينا مع ثوسيديدس وهاجنون وفورميو؛ وعشرين مع تليبوليموس وأنتيكليس، وثلاثون سفينة من خيوس ولسبوس. وبعد محاولة قصيرة للقتال، عجز الساميون عن الصمود، فتم تقليص عددهم بعد حصار دام تسعة أشهر واستسلموا بشروط؛ فهدموا أسوارهم، وأعطوا رهائن، وسلموا سفنهم، ورتبوا لدفع نفقات الحرب على أقساط. كما وافق البيزنطيون على الخضوع كما كان من قبل.

الفصل الخامس

المؤتمر الثاني في لاكيدايمون - الاستعدادات للحرب والمناوشات الدبلوماسية - سايلون - بوسانياس - ثيميستوكليس

وبعد ذلك، وإن لم يكن بعد سنوات عديدة، نصل أخيرًا إلى ما رويناه بالفعل، وهو شئون كورسيرا وبوتيديا، والأحداث التي كانت بمثابة ذريعة للحرب الحالية. وقد حدثت كل هذه الأعمال التي قام بها اليونانيون ضد بعضهم البعض والبربريين في الفترة الفاصلة بين انسحاب زركسيس وبداية الحرب الحالية والتي دامت خمسين عامًا. وخلال هذه الفترة نجح الأثينيون في وضع إمبراطوريتهم على أسس أكثر صلابة، ودفعوا قوتهم المحلية إلى ارتفاع كبير جدًا. وعلى الرغم من إدراك اللاكديمونيين الكامل لهذا الأمر، إلا أنهم عارضوه لفترة وجيزة فقط، لكنهم ظلوا غير نشطين خلال معظم الفترة، حيث كانوا في الماضي بطيئين في الذهاب إلى الحرب إلا تحت ضغط الضرورة، وفي الحالة الحالية تعرقلهم الحروب في الداخل؛ حتى لم يعد من الممكن تجاهل نمو القوة الأثينية، وأصبح اتحادهم هو هدفًا لتعدياتها. "ثم شعروا أنهم لم يعد بوسعهم أن يتحملوا ذلك، ولكن الوقت قد حان لكي يلقوا بأنفسهم وأرواحهم على القوة المعادية، ويحطموها، إذا استطاعوا، ببدء الحرب الحالية. ورغم أن أهل لاكيديمون قد اتخذوا قرارهم بشأن حقيقة خرق المعاهدة وذنب الأثينيين، إلا أنهم أرسلوا إلى دلفي وسألوا الإله عما إذا كان من الجيد لهم أن يذهبوا إلى الحرب؛ وكما ورد، تلقوا منه الإجابة بأنه إذا وضعوا كل قوتهم في الحرب، فإن النصر سيكون لهم، ووعدهم بأنه سيكون معهم، سواء استدعوا أو لم يستدعوا. ومع ذلك، فقد أرادوا استدعاء حلفائهم مرة أخرى، وأخذ أصواتهم بشأن مدى ملاءمة شن الحرب. وبعد وصول سفراء الحلفاء وانعقاد المؤتمر، عبر الجميع عن آرائهم، وكان معظمهم يندد بالأثينيين ويطالبون ببدء الحرب. وخاصة أهل كورنثوس. لقد سبق لهم أن قاموا من تلقاء أنفسهم بجولات استطلاعية مفصلة في المدن لإقناعها بالتصويت لصالح الحرب، خوفًا من أن يأتي الوقت متأخرًا جدًا لإنقاذ بوتيديا؛ وكانوا حاضرين أيضًا في هذه المناسبة، وتقدموا في المرتبة الأخيرة، وألقوا الخطاب التالي:

"أيها الحلفاء، لم يعد بوسعنا أن نتهم أهل لاكدامونيا بالفشل في أداء واجبهم: فهم لم يصوتوا لصالح الحرب فحسب، بل جمعونا هنا من أجل هذا الغرض. ونحن نقول

إن هذا واجبهم، لأن السيادة لها واجباتها. فبالإضافة إلى إدارة المصالح الخاصة بشكل منصف، يتعين على القادة أن يظهروا اهتمامًا خاصًا بالرفاهية العامة في مقابل التكريمات الخاصة التي يمنحها لهم الجميع بطرق أخرى. أما نحن، فلا يحتاج كل من تعامل بالفعل مع الأثينيين إلى تحذير مسبق ليكونوا على حذر منهم. ويتعين على الدول الواقعة في الداخل والخارج من طريق المواصلات أن تفهم أنه إذا أهملت دعم القوى الساحلية، فإن النتيجة ستكون الإضرار بعبور منتجاتها للتصدير واستقبال وارداتها من البحر في مقابل ذلك؛ "ويجب ألا يكونوا حكامًا مهملين فيما يقال الآن، وكأن الأمر لا علاقة له بهم، بل يجب أن يتوقعوا أن تضحية القوى على الساحل سوف يتبعها ذات يوم امتداد الخطر إلى الداخل، ويجب أن يدركوا أن مصالحهم الخاصة متورطة بعمق في هذه المناقشة. ولهذه الأسباب يجب ألا يترددوا في استبدال السلام بالحرب. إذا ظل الحكماء هادئين، بينما لم يتعرضوا لأذى، فإن الرجال الشجعان يتخلون عن السلام من أجل الحرب عندما يتعرضون للأذى، ويعودون إلى التفاهم في فرصة مواتية: في الواقع، إنهم ليسوا في حالة سُكر بسبب نجاحهم في الحرب، ولا يميلون إلى تحمل الأذى من أجل الهدوء المبهج للسلام. في الواقع، فإن التردد من أجل مثل هذه الملذات، إذا بقيت خاملاً، هو أسرع طريقة لفقدان حلاوة الراحة التي تتشبث بها؛ بينما تصور ادعاءات باهظة الثمن من النجاح في الحرب هو نسيان مدى جوفاء الثقة التي تشعر بها بالبهجة. فإذا نجحت العديد من الخطط السيئة التخطيط بسبب سوء فهم الخصم، فإن العديد من الخطط الأخرى التي تبدو جيدة التخطيط تنتهي إلى العار. إن الثقة التي نبني بها خططنا لا تبرر مطلقًا تنفيذها؛ فالمضاربة تتم في أمان، ولكن عندما يتعلق الأمر بالعمل، فإن الخوف يسبب الفشل.

"إذا طبقنا هذه القواعد على أنفسنا، فإن إشعال الحرب الآن سيكون تحت ضغط الضرر، مع وجود أسباب كافية للشكوى؛ وبعد أن نعاقب الأثينيين، سنكف عن ذلك في الوقت المناسب. لدينا العديد من الأسباب لتوقع النجاح - أولاً، التفوق في العدد

والخبرة العسكرية، وثانيًا طاعتنا العامة التي لا تتغير في تنفيذ الأوامر. سنعمل على زيادة القوة البحرية التي يمتلكونها من مواردنا السابقة، ومن الأموال الموجودة في أوليمبيا ودلفي. إن القرض من هذه الموارد يمكّننا من إغواء بحارتهم الأجانب بعرض رواتب أعلى. لأن قوة أثينا أكثر ارتزاقية منها وطنية؛ بينما لن تتعرض قوتنا لنفس المخاطر، لأن قوتها تكمن في الرجال أكثر من المال. إن هزيمة واحدة في البحر من المرجح أن تؤدي إلى دمارهم: إذا صمدوا، في هذه الحالة سيكون لدينا المزيد من الوقت لممارسة أنفسنا في الأمور البحرية؛ وبمجرد أن نصل إلى المساواة في العلم، فلا داعي للتساؤل عما إذا كنا سنتفوق عليهم في الشجاعة. إن المزايا التي نتمتع بها بطبيعتنا لا يمكن اكتسابها عن طريق التعليم؛ في حين أن تفوقهم في العلوم يجب أن يزيله ممارستنا. إن الأموال اللازمة لهذه الأغراض سوف يتم توفيرها من خلال مساهماتنا: لا شيء يمكن أن يكون أكثر وحشية من اقتراح أنه بينما لا يتعب حلفاؤهم أبدًا من المساهمة في عبوديتهم، يجب أن نرفض إنفاق الكنز للانتقام والحفاظ على الذات والذي بسبب هذا الرفض سوف نخسره لجشع الأثينيين ونرى استخدامه لتدميرنا.

"إننا لدينا أيضاً وسائل أخرى لشن الحرب، مثل تمرد حلفائهم، وهي الطريقة الأكثر أماناً لحرمانهم من عائداتهم، التي تشكل مصدر قوتهم، وإنشاء مواقع محصنة في بلادهم، وعمليات مختلفة لا يمكن التنبؤ بها في الوقت الحاضر. فالحرب من بين كل الأشياء لا تسير وفقاً لقواعد محددة، بل تعتمد في المقام الأول على نفسها في إيجاد الحلول لمواجهة الطوارئ؛ وفي مثل هذه الحالات، فإن الطرف الذي يواجه الصراع ويحافظ على هدوئه سيحظى بأكبر قدر من الأمان، أما الطرف الذي يفقد أعصابه بسبب ذلك فسيواجه كارثة مماثلة. ولنتأمل أيضاً أنه لو كان الأمر مجرد عدد من النزاعات على الأراضي بين الجيران المتنافسين، لكان من الممكن تحملها؛ ولكن لدينا هنا عدو في أثينا يضاهي تحالفنا بأكمله، وأكثر من يضاهي أي عضو من أعضائه؛ لذا ما لم نتخذ موقفاً موحداً ضدها كجسم وكجنسيات فردية ومدن فردية،

فإنها ستهزمنا بسهولة مقسمين ومتفرقين. إن هذا الغزو، مهما بدا فظيعاً، لن يكون له، كما يجب أن نعلم، أي غاية أخرى غير العبودية الخالصة؛ وهي الكلمة التي لا يستطيع أهل بيلوبونيز حتى سماعها همساً دون خجل، أو رؤية مثل هذه الدول تسيء معاملتها دون خجل. وفي الوقت نفسه، سيكون الرأي إما أننا كنا محقين في هذا، أو أننا تحملنا ذلك من باب الجبن، وكنا أبناءً منحطين لأننا لم نضمن لأنفسنا الحرية التي منحها آباؤنا لهيلاس؛ ولأننا سمحنا بإقامة دولة طاغية في هيلاس، على الرغم من أننا نعتقد أنه من واجبنا في الدول الفردية أن نسحق الحكام الوحيدين. ونحن لا نعرف كيف يمكن أن نعتبر هذا السلوك خالياً من ثلاث من أخطر العيوب: الافتقار إلى الحس، أو الشجاعة، أو اليقظة. لأننا لا نفترض أنك لجأت إلى احتقار العدو الذي أثبت أنه قاتل في كثير من الحالات - وهو الشعور الذي أصبح يُطلق عليه بعد أن دمره عدد كبير من الناس ليس احتقاراً بل حقيراً.

"ولكن لا فائدة من التأمل في الماضي أكثر مما قد يخدم الحاضر. يجب علينا أن نوفر للمستقبل من خلال الحفاظ على ما يمنحنا إياه الحاضر ومضاعفة جهودنا؛ فمن الطبيعي أن نكتسب الفضيلة كثمرة للعمل، ويجب ألا تغيروا هذه العادة، حتى لو كان لديكم ميزة طفيفة في الثروة والموارد؛ لأنه ليس من الصحيح أن ما تم اكتسابه في حالة الاحتياج يُفقد في حالة الوفرة؛ لا، يجب أن نتقدم بجرأة إلى الحرب لأسباب عديدة؛ لقد أمرنا الإله بذلك ووعدنا بأن يكون معنا، وستنضم بقية اليونان إلى النضال، من ناحية الخوف ومن ناحية المصلحة. ستكونون أول من يكسر معاهدة يحكم الإله، عندما ينصحنا بالذهاب إلى الحرب، بأنها قد انتهكت بالفعل، ولكن بدلاً من ذلك ستدعمون معاهدة تم انتهاكها: في الواقع، لا يتم كسر المعاهدات بالمقاومة ولكن بالعدوان.

"إن موقفكم، من أي جهة تنظرون إليه، يبرر لكم الذهاب إلى الحرب؛ ونحن نوصي بهذه الخطوة لصالح الجميع، مع الأخذ في الاعتبار أن هوية المصلحة هي أضمن

الروابط، سواء بين الدول أو الأفراد. لذا، لا تتأخروا في مساعدة بوتيديا، المدينة الدوريانية التي حاصرها الأيونيون، وهو ما يمثل انقلابًا تامًا في ترتيب الأشياء؛ ولا تتأخروا في تأكيد حرية الباقين. فمن المستحيل علينا أن ننتظر أكثر من ذلك عندما لا يعني الانتظار سوى كارثة فورية لبعضنا، وإذا علمنا أننا تشاورنا ولكننا لا نجرؤ على حماية أنفسنا، فإن ذلك سيكون بمثابة كارثة في المستقبل القريب لبقية الناس. لا تتأخروا أيها الحلفاء، بل اقتنعوا بضرورة الأزمة وحكمة هذه النصيحة، وصوتوا لصالح الحرب، غير عابئين بأهوالها المباشرة، ولكن تطلعوا إلى ما هو أبعد من ذلك إلى السلام الدائم الذي سيخلفه. إن السلام يكتسب استقرارًا جديدًا من الحرب، ولكن رفض التخلي عن الهدوء من أجل الحرب ليس طريقة أكيدة لتجنب الخطر. "يجب علينا أن نؤمن بأن المدينة الطاغية التي تأسست في اليونان قد تأسست ضد الجميع على حد سواء، ببرنامج إمبراطورية عالمية، جزء منها تم تحقيقه، والجزء الآخر قيد التأمل؛ دعونا إذن نهاجمها ونحد منها، ونفوز بالأمن المستقبلي لأنفسنا والحرية للهيلينيين الذين أصبحوا الآن عبيدًا".

"كانت هذه كلمات أهل كورنثوس. وبعد أن استمع أهل لاكيدايمون إلى كل ما دار، وأبدوا رأيهم، أخذوا تصويت كل الدول المتحالفة الحاضرة بالترتيب، الكبيرة والصغيرة على حد سواء؛ وصوتت الأغلبية لصالح الحرب. وبعد أن قرروا ذلك، كان من المستحيل عليهم أن يبدأوا الحرب على الفور، بسبب افتقارهم إلى الاستعداد؛ ولكنهم قرروا أن الوسائل اللازمة يجب أن تحصل عليها الدول المختلفة، وألا يكون هناك أي تأخير. وبالفعل، على الرغم من الوقت الذي استغرقته الترتيبات اللازمة، لم يمض سوى أقل من عام قبل غزو أتيكا، وبدء الحرب علانية.

"وقد قضت هذه الفترة في إرسال سفارات إلى أثينا مكلفة بتقديم الشكاوى، من أجل الحصول على أفضل ذريعة ممكنة للحرب، في حالة عدم اهتمامها بها. وكانت أول سفارة لاكيدايمونية لإصدار الأمر للأثينيين بطرد لعنة الإلهة؛ والقصة كما يلي: في

الأجيال السابقة كان هناك أثيني يدعى سايلون، منتصر في الألعاب الأولمبية، من أصل طيب ومكانة قوية، تزوج ابنة ثياجينس، وهو من ميجارا، وكان في ذلك الوقت طاغية ميجارا. وكان سايلون هذا يستفسر في دلفي؛ عندما أمره الإله بالاستيلاء على أكروبوليس أثينا في المهرجان الكبير لزيوس. وبناءً على ذلك، حصل على قوة من ثياجينس وأقنع أصدقاءه بالانضمام إليه، وعندما جاء المهرجان الأولمبي في بيلوبونيز، استولى على الأكروبوليس، بقصد تنصيب نفسه طاغية، معتقدًا أن هذا هو المهرجان الكبير لزيوس، وأيضًا مناسبة مناسبة للمنتصر في الألعاب الأولمبية. ولم يفكر قط في ما إذا كان المهرجان الكبير المقصود سيقام في أتيكا أم في مكان آخر، ولم يعرض عليه العراف حل هذه المسألة. ذلك أن الأثينيين لديهم أيضاً مهرجان يُدعى مهرجان زيوس ميليشيوس العظيم أو الرحيم، أي مهرجان الدياسيا. ويحتفل به خارج المدينة، ولا يضحي الشعب كله بضحايا حقيقيين، بل بعدد من القرابين غير الدموية الخاصة بالبلاد. ومع ذلك، فقد تصور أنه اختار الوقت المناسب، فحاول. وبمجرد أن أدرك الأثينيون ذلك، تدفقوا جميعاً من الريف، وجلسوا وحاصروا القلعة. ولكن مع مرور الوقت، سئموا من عمل الحصار، فغادر معظمهم؛ وتركت مسؤولية الحراسة إلى تسعة أركونات، مع سلطات كاملة لترتيب كل شيء وفقاً لحكمهم السليم. ولابد أن نعرف أن معظم الوظائف السياسية كانت في ذلك الوقت من قِبَل الأركونات التسعة. وفي الوقت نفسه، كان سايلون ورفاقه المحاصرون في محنة بسبب نقص الطعام والماء. "وبعد ذلك هرب سايلون وأخوه، ولكن الباقين كانوا في ضائقة شديدة، بل ومات بعضهم من الجوع، فجلسوا متضرعين عند المذبح في الأكروبوليس. وعندما رأى الأثينيون الذين أوكلت إليهم مهمة الحراسة، أنهما على وشك الموت في المعبد، أقاموهما على أمل ألا يلحق بهما أذى، وأخرجوهما وقتلوهما. وعندما مروا لجأوا إلى مذابح الإلهات الرهيبات، تم قتلهم على الفور. وبسبب هذا الفعل، تم اعتبار الرجال الذين قتلوهما ملعونين ومذنبين ضد الإلهة، هم وذريتهم. وبناءً على ذلك، طرد الأثينيون هؤلاء الملعونين، ثم طردهم مرة أخرى

كليومينس من لاكيدايمون وفصيل أثيني؛ فطردوا الأحياء، وأخذوا عظام الموتى؛ وهكذا طردوا. ورغم كل هذا، عادوا بعد ذلك، ولا يزال ذريتهم في المدينة."

"إن هذه هي اللعنة التي أمرهم أهل لاكيدايمون بطردها. وكان الدافع الأساسي وراء ذلك، كما زعموا، هو حرصهم على شرف الآلهة؛ ولكنهم كانوا يعرفون أيضاً أن بريكليس، ابن زانثيبوس، كان مرتبطاً باللعنة من جانب أمه، وكانوا يعتقدون أن نفيه من شأنه أن يعزز بشكل ملموس مخططاتهم في أثينا. ولم يكن ذلك لأنهم كانوا يأملون حقاً في تحقيق ذلك؛ بل كانوا يعتقدون أنهم بذلك يخلقون تحيزاً ضده في نظر مواطنيه بسبب شعورهم بأن الحرب سوف تنجم جزئياً عن سوء حظه. ولأنه كان أقوى رجل في عصره، وكان رجل الدولة الأثيني الرائد، فقد عارض أهل لاكيدايمون في كل شيء، ولم يكن يقبل أي تنازلات، بل كان يحث الأثينيين على الحرب دائماً.

وقد رد الأثينيون على ذلك بإصدار أوامرهم إلى اللاكيديمونيين بطرد لعنة تايناروس. وكان اللاكيديمونيون قد أخرجوا ذات يوم بعض توسلات الهيلوت من معبد بوسيدون في تايناروس، وقادوهم بعيدًا وقتلوهم؛ ويعتقدون أن الزلزال العظيم الذي ضرب أسبرطة كان انتقامًا لهم. كما أمرهم الأثينيون بطرد لعنة إلهة البيت النحاسي؛ ويروي التاريخ التالي قصة ذلك. فبعد أن استدعى الأسبرطيون بوسانياس اللاكيديموني من قيادته في مضيق الدردنيل (وهذا هو أول استدعاء له)، ومحاكمته وتبرئته، وعدم إرساله مرة أخرى بصفته العامة، أخذ سفينة شراعية تابعة لهرميون على مسؤوليته الخاصة، دون إذن اللاكيديمونيين، ووصل إلى مضيق الدردنيل بصفته شخصًا خاصًا. لقد جاء ظاهريًا من أجل الحرب اليونانية، ولكن في الحقيقة لمواصلة مؤامراته مع الملك، والتي بدأها قبل استدعائه، وكان يطمح إلى حكم اليونان. كان الظرف الذي مكنه أولاً من إلزام الملك، ووضع بداية للخطة بأكملها، هو هذا. لقد تم القبض على بعض علاقات وأقارب الملك في بيزنطة، بعد الاستيلاء عليها

من الميديين، عندما كان هناك لأول مرة، بعد عودته من قبرص. أرسل هؤلاء الأسرى إلى الملك دون علم بقية الحلفاء، وكانت الرواية أنهم فروا منه. تمكن من ذلك بمساعدة جونجيلوس، وهو إريتري، كان قد وضعه مسؤولاً عن بيزنطة والسجناء. كما أعطى جونجيلوس رسالة إلى الملك، وكان محتواها على النحو التالي، كما اكتشف بعد ذلك: "بوسانياس، قائد أسبرطة، حريصًا على تقديم معروف لك، يرسل إليك هؤلاء أسرى حربه. "أقترح أيضًا، بموافقتك، أن أزوج ابنتك، وأن أخضع لك إسبارطة وبقية اليونان. وأستطيع أن أقول إنني أعتقد أنني قادر على القيام بذلك، بتعاونك. وبناءً على ذلك، إذا كان أي من هذا يرضيك، فأرسل رجلاً آمنًا إلى البحر حتى نتمكن من إجراء مراسلاتنا من خلاله في المستقبل."

"هذا كل ما تم الكشف عنه في الكتابة، وسر زركسيس بالرسالة. أرسل أرتابازوس، ابن فارناكيس، إلى البحر مع أوامر بإحلال ميجاباتيس، الحاكم السابق في ولاية داسكيليون، وإرسال رسالة إلى بوسانياس في بيزنطة بأسرع ما يمكن، والتي عهد بها إليه؛ لإظهاره الخاتم الملكي، وتنفيذ أي مهمة قد يتلقاها من بوسانياس بشأن أمور الملك بكل عناية وإخلاص. عند وصوله، نفذ أرتابازوس أوامر الملك، وأرسل الرسالة، التي تضمنت الإجابة التالية: "هكذا يقول الملك زركسيس لبوسانياس. بالنسبة للرجال الذين أنقذتهم لي عبر البحر من بيزنطة، فإن التزامًا لك محفوظًا في بيتنا، مسجلاً إلى الأبد؛ وأنا راضٍ عن مقترحاتك. لا تدع الليل أو النهار يمنعك من الوفاء بجدية بأي من وعودك لي؛ "لا ينبغي أن يعيقهم شيء من الذهب أو الفضة، ولا من حيث عدد القوات، حيثما يكون وجودهم ضروريًا؛ ولكن مع أرتابازوس، الرجل المحترم الذي أرسله إليك، قم بتقديم أهدافي وأهدافك بجرأة، كما قد يكون ذلك في صالح شرفنا ومصلحتنا".

كان بوسانياس يحظى قبل ذلك بتكريم كبير من جانب اليونانيين باعتباره بطل بلاتيا، ولكن بعد تلقيه هذه الرسالة أصبح أكثر فخرًا من أي وقت مضى، ولم يعد

بوسعه أن يعيش على النمط المعتاد، فخرج من بيزنطة مرتديًا زيًا ميديًا، ورافقه في مسيرته عبر تراقيا حرس شخصي من الميديين والمصريين، واحتفظ بمائدة فارسية، ولم يكن قادرًا على احتواء نواياه، ولكن سلوكه كشف عن تفاهات في ما بدا أنه طموحه سيحققه يومًا ما على نطاق أوسع. كما جعل من الصعب الوصول إليه، وأظهر طباعًا عنيفة للغاية تجاه الجميع دون استثناء حتى أن أحدًا لم يستطع الاقتراب منه. والواقع أن هذا كان السبب الرئيسي وراء انتقال الاتحاد إلى الأثينيين.

ولقد أثار هذا السلوك المذكور، الذي وصل إلى مسامع أهل لاكدامون، استدعائه للمرة الأولى. وبعد رحلته الثانية على متن سفينة هيرميون، دون أوامر منهم، قدم أدلة على سلوك مماثل. فلما حاصره الأثينيون وطردوه من بيزنطة، لم يعد إلى أسبرطة؛ ولكن وصلته أنباء تفيد بأنه استقر في كولوناي في طروادة، وأنه كان يتآمر مع البرابرة، وأن إقامته هناك لم تكن لغرض جيد؛ ولم يعد الأفيال يترددون الآن، فأرسلوا إليه رسولاً ومنجلاً مع أوامر بمرافقة الرسول وإلا أعلنوه عدواً عاماً. وكان حريصاً على تجنب الشكوك، واثقاً من أنه يستطيع إبطال التهمة بواسطة المال، فعاد مرة أخرى إلى أسبرطة. وفي البداية ألقاه الأفيال في السجن (الذين تمكّنهم سلطاتهم من فعل ذلك بالملك)، وسرعان ما تورط في الأمر وخرج مرة أخرى، وعرض نفسه للمحاكمة على أي شخص يرغب في إجراء تحقيق بشأنه.

ولم يكن لدى الإسبرطيين أي دليل ملموس ضده ـ لا من أعدائه ولا من الأمة ـ من النوع الذي لا يقبل الشك المطلوب لمعاقبة أحد أفراد الأسرة المالكة، وكان في ذلك الوقت يشغل منصباً رفيعاً؛ حيث كان وصياً على العرش لابن عمه الأول الملك بليسترخوس، ابن ليونيداس، الذي كان لا يزال قاصراً. ولكن بسبب احتقاره للقوانين وتقليده للبرابرة، فقد أثار الكثير من الشكوك حول عدم رضاه عن الأمور المعمول بها؛ فتم استعراض جميع المناسبات التي انحرف فيها بأي شكل من الأشكال عن

العادات المنتظمة، وتذكروا أنه تعهد بكتابة البيت الشعري التالي على الحامل الثلاثي في دلفي، الذي كرسه اليونانيون باعتباره باكورة غنائم الميديين:

بعد هزيمة الميديين، أقام بوسانياس العظيم هذا النصب التذكاري، لكي يتم مدح فويبوس.

"في ذلك الوقت، قام اللاكديمونيون على الفور بمحو البيت الشعري، ونقشوا أسماء المدن التي ساعدت في الإطاحة بالبربري وقدموا القربان. ومع ذلك، فقد اعتبروا أن بوسانياس قد ارتكب هنا جريمة خطيرة، والتي، إذا فسرناها على ضوء الموقف الذي اتخذه منذ ذلك الحين، اكتسبت أهمية جديدة، وبدا أنها تتفق تمامًا مع مخططاته الحالية. علاوة على ذلك، أُبلغوا أنه كان يتآمر حتى مع الهيلوتس؛ وهذا كان صحيحًا بالفعل، لأنه وعدهم بالحرية والمواطنة إذا انضموا إليه في التمرد وساعدوه في تنفيذ خططه حتى النهاية. حتى الآن، لم يثق الإيفورز في الأدلة حتى الهيلوتس أنفسهم، ولم يوافقوا على اتخاذ أي خطوة حاسمة ضده؛ وفقًا لعاداتهم المعتادة تجاه أنفسهم، أي التباطؤ في اتخاذ أي قرار لا رجعة فيه في مسألة مواطن إسبرطي دون دليل لا يقبل الجدل. وأخيرًا، يقال إن الشخص الذي كان سيحمل إلى أرتابازوس الرسالة الأخيرة للملك، وهو رجل من أرجيلوس، وكان في يوم من الأيام الخادم المفضل والأكثر ثقة لبوسانياس، تحول إلى مخبر. وقد فزعه التفكير في أن أيًا من الرسل السابقين لم يعد أبدًا، بعد أن زور الختم، حتى إذا وجد نفسه مخطئًا في تخميناته، أو إذا طلب بوسانياس إجراء بعض التصحيحات، فقد لا يتم اكتشافه، فقام بإلغاء الرسالة، ووجد الملحق الذي اشتبه فيه، وهو أمر بقتله.

"وبعد أن اطلعوا على الرسالة، شعر الأيفوريون الآن بمزيد من اليقين. ومع ذلك، كانوا يرغبون في سماع بوسانياس يسلم نفسه بآذانهم. وبناءً على ذلك، ذهب الرجل بتعيين إلى تايناروس كمتوسل، وهناك بنى لنفسه كوخًا مقسمًا إلى نصفين بحاجز؛ أخفى داخله بعض الأيفوريين وأطلعهم على الأمر برمته بوضوح. فجاءه بوسانياس

وسأله عن سبب موقفه كمتوسل؛ فوبخه الرجل على الأمر الذي كتبه بشأنه، وأعلن واحدًا تلو الآخر عن بقية الظروف، وكيف أن من لم يعرضه أبدًا لأي خطر، بينما كان يعمل وسيطًا بينه وبين الملك، كان لا يزال يستحق المكافأة بالموت مثله كمثل الكثير من خدمه. واعترف بوسانياس بكل هذا، وأمره ألا يغضب بشأن الأمر، وأعطاه تعهدًا برفعه من المعبد، وتوسل إليه أن ينطلق في أسرع وقت ممكن، وألا يعيق العمل الذي بين يديه.

استمع إليه الجنود باهتمام، ثم انصرفوا دون أن يتخذوا أي إجراء في تلك اللحظة، ولكنهم بعد أن تأكدوا أخيرًا من الأمر، كانوا يستعدون لاعتقاله في المدينة. ويقال إنه عندما كان على وشك أن يُعتقل في الشارع، رأى من وجه أحد الجنود ما كان قادمًا من أجله؛ وأعطى له آخر أيضًا إشارة سرية، وكشفها له من باب اللطف. انطلق راكضًا إلى معبد إلهة البيت النحاسي، الذي كان سياجه قريبًا، ونجح في الاحتماء قبل أن يقبضوا عليه، ودخل غرفة صغيرة كانت تشكل جزءًا من المعبد، لتجنب التعرض للطقس، واستلقى هناك ساكنًا. ابتعد الجنود للحظة في مطاردته، ثم نزعوا سقف الغرفة، وبعد أن تأكدوا من وجوده بالداخل، حبسوه، وحاصروا الأبواب، وظلوا أمام المكان، فأصابوه بالجوع. وعندما وجدوه على وشك الموت، كما كان في الغرفة، أخرجوه من المعبد، بينما كانت أنفاسه لا تزال في داخله، وبمجرد إخراجه مات. وكانوا يعتزمون إلقائه في كايداس، حيث يلقون المجرمين، لكنهم قرروا في النهاية دفنه في مكان قريب. ولكن إله دلفي أمر بعد ذلك اللاكيديمونيين بنقل القبر إلى مكان وفاته . حيث يرقد الآن في الأرض المقدسة، كما تنص على ذلك نقش على أحد النصب التذكارية. وبما أن ما حدث كان لعنة عليهم، فقد أمروا بإعادة جسدين بدلاً من جسد واحد إلى إلهة البيت النحاسي. لذا فقد صنعوا تمثالين من النحاس، وكرسوهما كبديل لبوسانياس. ورد الأثينيون بأن أمروا اللاكيديمونيين بطرد ما أعلنه الإله نفسه أنه لعنة.

ولنعد إلى مذهب بوسانياس. فقد تبين أثناء التحقيق أن ثيميستوكليس متورط في هذه القضية؛ فأرسل أهل لاكيدايمون مبعوثين إلى الأثينيين وطلبوا منهم معاقبته كما عاقبوا بوسانياس. ووافق الأثينيون على ذلك. ولكن ثيميستوكليس كان قد نبذ من المجتمع، وكان يقيم في أرجوس، وكان معتاداً على زيارة أجزاء أخرى من بيلوبونيز. ولذلك أرسلوا مع أهل لاكيدايمون، الذين كانوا على استعداد للانضمام إلى ملاحقته، أشخاصاً يحملون تعليمات باصطحابه أينما وجدوه. ولكن ثيميستوكليس علم بنواياهم، ففر من بيلوبونيز إلى كورسيرا، التي كانت ملزمة تجاهه. ولكن أهل كورسيرا زعموا أنهم لا يستطيعون المجازفة بإيوائه على حساب إهانة أثينا ولاكيدايمون، فنقلوه إلى القارة المقابلة. ولما طارده الضباط الذين كانوا يتابعون تحركاته، ولم يعرف إلى أين يتجه، اضطر إلى التوقف عند منزل أدميتوس ملك مولوسيا، رغم أن علاقتهما لم تكن ودية. ولم يكن أدميتوس موجوداً بالمنزل، بل إن زوجته، التي توسلت إليه، أمرته بأخذ طفلهما بين ذراعيه والجلوس بجانب الموقد. وبعد فترة وجيزة، دخل أدميتوس، وأخبره ثيميستوكليس من هو، وتوسل إليه ألا ينتقم من ثيميستوكليس في المنفى بأي معارضة قد تواجهها طلباته من ثيميستوكليس في أثينا. والواقع أنه كان الآن أدنى كثيراً من أن ينتقم؛ فالانتقام أمر مشرف فقط بين أنداد. فضلاً عن ذلك، فإن معارضته للملك لم تؤثر إلا على نجاح طلبه، وليس على سلامة شخصه؛ فإذا سلمه الملك إلى المطاردين الذين ذكرهم، والمصير الذي كانوا يقصدونه له، فإنه بذلك يحكم عليه بالموت المؤكد.

"استمع الملك إليه ورفعه مع ابنه، بينما كان يجلس معه بين ذراعيه بعد أن استخدم أقوى أساليب التوسل، ولم يمض وقت طويل حتى وصل الإسكندريون، حتى رفض التخلي عنه مقابل أي شيء يمكنهم قوله، بل أرسله براً إلى البحر الآخر إلى بيدنا في ممتلكات الإسكندر، حيث كان يرغب في الذهاب إلى الملك الفارسي. وهناك التقى بتاجر على وشك الانطلاق إلى إيونيا. وصعد على متن السفينة، وحملته عاصفة إلى السرب الأثيني الذي كان يحاصر ناكسوس. وفي حالة من الذعر -ولحسن

الحظ لم يكن معروفًا لأهل السفينة- أخبر الربان من هو ولماذا يطير، وقال إنه إذا رفض إنقاذه، فسوف يعلن أنه يأخذه مقابل رشوة. وفي غضون ذلك، كان سلامتهم تتلخص في عدم السماح لأي شخص بمغادرة السفينة حتى يحين وقت مناسب للإبحار. وإذا امتثل لرغباته، فقد وعده بمكافأة مناسبة. فتصرف السيد كما أراد، وبعد أن ظل بعيدًا عن متناول السرب لمدة يوم وليلة، وصل أخيرًا إلى أفسس.

وبعد أن كافأه ثيميستوكليس بهدية من المال، بمجرد أن تلقى بعضًا منه من أصدقائه في أثينا ومن كنوزه السرية في أرغوس، انطلق ثيميستوكليس إلى الداخل مع أحد الفرس من الساحل، وأرسل رسالة إلى الملك أرتحشستا، ابن أحشويروش، الذي تولى العرش للتو. وكان محتواها كما يلي: "أنا ثيميستوكليس، أتيت إليك، أنا الذي ألحقت بمنزلك ضررًا أكبر من أي من اليونانيين، عندما اضطررت للدفاع عن نفسي ضد غزو والدك - ومع ذلك، فإن الضرر تجاوز بكثير الخير الذي قدمته له أثناء انسحابه، والذي لم يجلب لي أي خطر ولكنه جلب الكثير له. "في الماضي، أنت مدين لي بالكثير" - هنا ذكر التحذير الذي أرسله سلاميس إلى زركسيس للتراجع، وكذلك العثور على الجسور سليمة، وهو ما كان مستحقًا له، كما تظاهر زورًا - "في الوقت الحاضر، قادر على تقديم خدمة عظيمة لك، أنا هنا، يطاردني اليونانيون بسبب صداقتي لك. ومع ذلك، أرغب في مهلة عام، عندما أكون قادرًا على إعلان أهداف مجيئي شخصيًا".

ويقال إن الملك وافق على نيته، وأمره أن يفعل ما قاله. فاستغل هذه الفترة في إحراز ما استطاع من تقدم في دراسة اللغة الفارسية وعادات البلاد. وعندما وصل إلى البلاط في نهاية العام، نال هناك مكانة عالية لم يسبق لأي يوناني أن نالها من قبل أو بعد ذلك؛ ويرجع هذا جزئيًا إلى أسلافه الرائعة، وجزئيًا إلى الآمال التي عقدها على تحقيق إخضاع هيلاس له، ولكن بشكل أساسي بسبب الدليل الذي قدمته التجربة يوميًا على قدرته. فقد كان ثيميستوكليس رجلاً أظهر علامات عبقرية لا تقبل الشك؛

بل إنه يستحق في هذا الخصوص إعجابنا غير العادي الذي لا مثيل له. فبفضل قدرته الفطرية، التي لم تتشكل ولم تكملها الدراسة، كان في الوقت نفسه أفضل قاضٍ في تلك الأزمات المفاجئة التي لا تقبل إلا القليل من المداولات أو لا تقبلها على الإطلاق، وأفضل نبي للمستقبل، حتى في أبعد احتمالاته. كان هذا الرجل قادراً على شرح كل ما يدخل في نطاق ممارسته، ولم يكن خالياً من القدرة على إصدار حكم مناسب في الأمور التي لم يكن لديه خبرة فيها. كما كان قادراً على التنبؤ بشكل ممتاز بالخير والشر الذي يكمن في المستقبل غير المنظور. وفي النهاية، سواء نظرنا إلى مدى قواه الطبيعية، أو قلة تطبيقه، فلا بد أن نسمح لهذا الرجل الاستثنائي بتجاوز جميع الآخرين في القدرة على مواجهة الطوارئ بشكل حدسي. كان المرض هو السبب الحقيقي لوفاته؛ على الرغم من وجود قصة عن إنهاء حياته بالسم، عندما وجد نفسه عاجزًا عن الوفاء بوعوده للملك. ومهما كان الأمر، فهناك نصب تذكاري له في سوق ماغنيسيا الآسيوية. كان حاكمًا للمنطقة، وقد منحه الملك ماغنيسيا، التي كانت تجلب خمسين تالنتًا في السنة، مقابل الخبز، ولامبساكوس، التي كانت تعتبر أغنى منطقة في إنتاج النبيذ، مقابل النبيذ، وميوس مقابل المؤن الأخرى. ويقال إن أقاربه نقلوا عظامه إلى المنزل وفقًا لرغباته، ودُفنت في أرض أتيكا. وقد تم ذلك دون علم الأثينيين؛ حيث يحظر القانون دفن الخارج عن القانون في أتيكا بتهمة الخيانة. وهكذا تنتهي قصة بوسانياس وثيميستوكليس، اللاكديموني والأثيني، أشهر رجلين في عصرهما في اليونان.

ولنعد إلى أهل لاكيدايمون. فقد سبق أن روينا تاريخ سفارتهم الأولى، والأوامر التي حملتها، والرد الذي أثارته بشأن طرد الأشخاص الملعونين. ثم أعقبتها سفارتهم الثانية، التي أمرت أثينا برفع الحصار عن بوتيديا واحترام استقلال إيجينا. وفوق كل ذلك، فقد أعطتها هذه السفارة فهمًا واضحًا للغاية بأن الحرب قد تتجنبها بإلغاء مرسوم ميجارا، الذي يستبعد الميجاريين من استخدام الموانئ الأثينية وسوق أثينا. ولكن أثينا لم تكن راغبة في إلغاء المرسوم، أو في قبول مقترحاتهم الأخرى؛ فقد

اتهمت الميجاريين بدفع زراعتهم إلى الأرض المقدسة والأرض غير المسورة على الحدود، وإيواء العبيد الهاربين. وأخيرًا وصلت سفارة تحمل الإنذار النهائي لأهل لاكيدايمون. وكان السفراء هم رامفياس وميليسيب وأجيساندر. ولم يأت أحد على ذكر أي من الموضوعات القديمة؛ بل كان الأمر ببساطة على هذا النحو: "إن لاكيدايمون يرغب في استمرار السلام، ولا يوجد سبب يمنعه من ذلك، إذا كنت تريد أن تترك الهيلينيين مستقلين". وبناءً على ذلك، عقد الأثينيون جمعية، وعرضوا الأمر على نظرهم. وتقرر مناقشة جميع مطالبهم مرة واحدة وإلى الأبد، وإعطائهم إجابة عليها. وكان هناك العديد من المتحدثين الذين تقدموا وأبدوا دعمهم لأحد الجانبين، وحثوا على ضرورة الحرب، أو إلغاء المرسوم وحماقة السماح له بالوقوف في طريق السلام. ومن بين هؤلاء تقدم بريكليس، ابن زانثيبوس، أول رجل في عصره في أثينا، وكان الأكثر قدرة على تقديم المشورة والعمل على حد سواء، وقدم النصيحة التالية:

"إن هناك مبدأ واحد، أيها الأثينيون، أتمسك به في كل شيء، وهو مبدأ عدم التنازل للبلبونيزيين. إنني أعلم أن الروح التي تلهم الرجال أثناء إقناعهم بخوض الحرب لا تظل قائمة دائمًا؛ وأن القرارات تتغير مع تغير الظروف. ومع ذلك، أرى أنه الآن كما في السابق، نفس النصيحة تقريبًا، مطلوبة مني؛ وأطرحها على أولئك منكم الذين يسمحون لأنفسهم بالاقتناع، لدعم القرارات الوطنية حتى في حالة الانتكاسات، أو التنازل عن كل الفضل لحكمتهم في حالة النجاح. لأن مسار الأشياء يكون أحيانًا تعسفيًا مثل خطط الإنسان؛ والواقع أن هذا هو السبب الذي يجعلنا نلوم الصدفة عادةً على أي شيء لا يحدث كما توقعنا. لقد كان من الواضح من قبل أن لاكيدايمون كان لديه خطط ضدنا؛ والآن أصبح الأمر أكثر وضوحًا. تنص المعاهدة على أننا سنخضع خلافاتنا للتسوية القانونية بشكل متبادل، وأننا سنحتفظ في الوقت نفسه بما لدينا. ولكن أهل لاكيديمون لم يقدموا لنا مثل هذا العرض قط، ولم يقبلوا منا أي عرض من هذا القبيل قط؛ بل على العكس من ذلك، فإنهم يرغبون في تسوية الشكاوى بالحرب بدلاً من التفاوض؛ وفي النهاية نجدهم هنا يتنازلون عن نبرة

الاحتجاج ويتبنون نبرة الأمر. ويأمروننا برفع الحصار عن بوتيديا، والسماح لإيجينا بالاستقلال، وإلغاء مرسوم ميجارا؛ ويختتمون بإنذار نهائي يحذرنا من ترك اليونانيين مستقلين. وآمل ألا يخطر ببال أحد منكم أننا سنخوض حربًا من أجل تافه إذا رفضنا إلغاء مرسوم ميجارا، الذي يظهر أمام شكواهم، والذي من المفترض أن ينقذنا إلغاؤه من الحرب، أو أن يترك أي شعور باللوم الذاتي يتردد في أذهانكم، وكأنكم ذهبتم إلى الحرب لسبب تافه. حسنًا، هذه التفاهة تحتوي على ختم واختبار قراركم بالكامل. إذا تراجعتم، فسوف تضطرون على الفور إلى تلبية بعض المطالب الأكبر، حيث تم تخويفكم وإجباركم على الطاعة في المقام الأول؛ في حين أن الرفض الحازم سيجعلهم يفهمون بوضوح أنه يجب عليهم معاملتكم على قدم المساواة. لذا اتخذ قرارك على الفور، إما بالخضوع قبل أن يتم إيذائك، أو إذا كان علينا أن نخوض الحرب، كما أعتقد شخصيًا، أن نفعل ذلك دون الاهتمام بما إذا كان السبب الظاهري كبيرًا أم صغيرًا، مصممًا على عدم تقديم التنازلات أو الموافقة على حيازة غير مستقرة لممتلكاتنا. لأن جميع المطالبات من المساواة، التي يتم حثها على جار كأوامر قبل أي محاولة للتسوية القانونية، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، لها معنى واحد فقط، وهو العبودية.

"أما فيما يتصل بالحرب وموارد أي من الطرفين، فإن المقارنة التفصيلية لن تظهر لك مدى نقص أثينا. ذلك أن أهل البيلوبونيز، الذين يشتغلون شخصياً بزراعة أراضيهم، من دون أموال خاصة أو عامة، يفتقرون أيضاً إلى الخبرة في الحروب الطويلة عبر البحار، وذلك بسبب الحد الصارم الذي يفرضه الفقر على هجماتهم على بعضهم البعض. والقوى من هذا النوع عاجزة تماماً عن تدبير أسطول أو إرسال جيش في كثير من الأحيان: فهي لا تستطيع تحمل غيابها عن ديارها، والنفقات من أموالها الخاصة؛ فضلاً عن أنها لا تملك السيطرة على البحر. ولابد أن نتذكر أن رأس المال يحافظ على استمرار الحرب أكثر من المساهمات الإجبارية. والمزارعون فئة من الرجال أكثر استعداداً للخدمة شخصياً من المال. وهم على ثقة من أن الأول سوف ينجو من الأخطار، ولكنهم ليسوا على يقين من أن الثاني لن يستنفد قواه قبل الأوان،

وخاصة إذا استمرت الحرب لفترة أطول مما يتوقعون، وهو ما قد يحدث على الأرجح.
"إن البيلوبونيزيين وحلفائهم قد يكونون قادرين على تحدي اليونان كلها في معركة واحدة، ولكنهم عاجزون عن خوض حرب ضد قوة تختلف في طبيعتها عن قوتهم، وذلك بسبب افتقارهم إلى مجلس واحد ضروري لاتخاذ إجراءات سريعة وقوية، واستبدالهم بمجلس يتألف من أعراق مختلفة، حيث تتمتع كل ولاية بأصوات متساوية، وكل منها تضغط على أهدافها الخاصة، وهي حالة لا تؤدي عمومًا إلى أي إجراء على الإطلاق. إن الرغبة الكبرى لدى البعض هي الانتقام لأنفسهم من عدو معين، والرغبة الكبرى لدى الآخرين هي إنقاذ جيوبهم. ولأنهم بطيئون في التجمع، فإنهم يخصصون جزءًا صغيرًا جدًا من وقتهم للنظر في أي هدف عام، ومعظم ذلك الوقت لمتابعة أهدافهم الخاصة. وفي الوقت نفسه، يتخيل كل منهم أنه لن يلحق أي ضرر بإهماله، وأن من شأن شخص آخر أن يعتني بهذا أو ذاك نيابة عنه؛ وبالتالي، فإن نفس الفكرة التي يتبناها الجميع على حدة، تؤدي إلى تدهور القضية المشتركة بشكل غير محسوس.

"لكن النقطة الأساسية هي العوائق التي سيواجهونها بسبب نقص المال. فالبطء في وصوله سيتسبب في تأخير؛ لكن فرص الحرب لا تنتظر أحداً. مرة أخرى، لا ينبغي لنا أن نشعر بالفزع إزاء احتمال قيامهم بإقامة تحصينات في أتيكا، أو في أسطولهم البحري. سيكون من الصعب على أي نظام تحصينات إنشاء مدينة منافسة، حتى في وقت السلم، وبالتأكيد، أكثر من ذلك بكثير، في بلد العدو، حيث تكون أثينا محصنة ضدها تمامًا كما هي ضد أثينا؛ في حين أن مجرد موقع قد يكون قادرًا على إلحاق بعض الأذى بالبلاد من خلال الغارات والتسهيلات التي قد يوفرها للفرار، لكنه لا يمكنه أبدًا منعنا من الإبحار إلى بلادهم وإقامة التحصينات هناك، والانتقام بأسطولنا القوي. لأن مهارتنا البحرية أكثر فائدة لنا للخدمة على الأرض، من مهارتهم العسكرية للخدمة في البحر. لن يجدوا اكتسابًا سهلاً للدراية بالبحر. "إذا كنتم تمارسون هذه المهنة منذ الغزو الميدي ولم تصلوا بها إلى الكمال بعد، فهل هناك أي فرصة لإنجاز

أي شيء ملموس من قبل السكان الزراعيين الذين لا يبحرون، والذين سيمنعهم أيضًا الوجود الدائم لأسراب المراقبة القوية من أثينا؟ قد يخاطرون بالاشتباك مع سرب صغير، مما يشجع جهلهم بالأعداد؛ لكن ضبط النفس من قبل قوة قوية سيمنعهم من التحرك، وبسبب نقص الممارسة، سيزدادون خرقًا، وبالتالي أكثر جبنًا. يجب أن نضع في اعتبارنا أن الملاحة البحرية، تمامًا مثل أي شيء آخر، هي مسألة فنية، ولن يُسمح بأخذها أحيانًا كمهنة لأوقات الفراغ؛ على العكس من ذلك، فهي دقيقة للغاية لدرجة أنها لا تترك الفراغ لأي شيء آخر.

"حتى لو حاولوا المس بالأموال في أوليمبيا أو دلفي، وحاولوا إغواء بحارتنا الأجانب بإغراء الحصول على أجور أعلى، فإن هذا لن يشكل خطرًا كبيرًا إلا إذا لم نتمكن من مواجهتهم من خلال إبحار مواطنينا والأجانب المقيمين بيننا. ولكن في الواقع، بهذه الوسيلة نكون دائمًا ندًا لهم؛ والأفضل من ذلك كله، أن لدينا فئة أكبر وأعلى من البحارة المحليين بين مواطنينا مقارنة ببقية اليونان. وبغض النظر عن خطورة مثل هذه الخطوة، لن يوافق أي من بحارتنا الأجانب على أن يصبح خارجًا عن القانون من بلاده، وأن يخدم معهم وآمالهم، من أجل بضعة أيام من الأجر المرتفع.

"أعتقد أن هذا وصف عادل إلى حد ما لموقف البيلوبونيزيين؛ فموقف أثينا خالٍ من العيوب التي انتقدتها لديهم، وله مزايا أخرى خاصة به، لا يمكنهم أن يظهروا أي شيء يعادلها. إذا زحفوا ضد بلادنا فسوف نبحر ضد بلادهم، وعندها سنجد أن خراب أتيكا بالكامل لا يضاهي خراب جزء من البيلوبونيز؛ لأنهم لن يتمكنوا من تعويض النقص إلا من خلال معركة، بينما لدينا الكثير من الأراضي في الجزر والقارة. إن سيادة البحر أمر عظيم حقًا. فكر للحظة. لنفترض أننا من سكان الجزر؛ هل يمكنك أن تتخيل موقفًا أكثر مناعة؟ حسنًا، يجب أن يكون هذا هو تصورنا لموقفنا في المستقبل، قدر الإمكان. إذا تجاهلنا كل تفكير في أرضنا ومنازلنا، فيجب علينا حراسة البحر والمدينة بيقظة. "إن أي انزعاج قد نشعر به تجاه الأول يجب أن يدفعنا إلى خوض معركة مع

التفوق العددي للبلوبونيزيين. ولن يعقب النصر إلا معركة أخرى ضد نفس التفوق: أما الهزيمة فتتضمن خسارة حلفائنا، مصدر قوتنا، الذين لن يظلوا هادئين بعد يوم من عجزنا عن الزحف ضدهم. ولا ينبغي لنا أن نبكي على خسارة المنازل والأراضي، بل يجب أن نبكي على خسارة أرواح الرجال؛ لأن المنازل والأراضي لا تكسب الرجال، بل تكسبهم الرجال. ولو كنت أعتقد أنني أستطيع إقناعك، لكنت طلبت منك أن تخرج وتدمرهم بيديك، وأن تثبت للبلوبونيزيين أن هذا لن يجعلك تستسلم على أي حال."

"لدي العديد من الأسباب الأخرى التي تجعلني آمل في نتيجة مواتية، إذا وافقتم على عدم الجمع بين مخططات الفتح الجديد وإدارة الحرب، وامتنعتم عن إشراك أنفسكم عمدًا في مخاطر أخرى؛ والواقع أنني أخشى أخطاءنا أكثر من حيل العدو. ولكن هذه الأمور سوف يتم شرحها في خطاب آخر، حسبما تتطلبه الأحداث؛ ففي الوقت الحالي، أطرد هؤلاء الرجال بالإجابة بأننا سنسمح لميجارا باستخدام سوقنا وموانئنا، عندما يعلق اللاكيديمونيون أعمالهم الأجنبية لصالحنا وحلفائنا، حيث لا يوجد شيء في المعاهدة يمنع أيًا منهما؛ وأننا سنترك المدن مستقلة، إذا وجدناها مستقلة عندما أبرمنا المعاهدة، وعندما يمنح اللاكيديمونيون مدنهم استقلالاً لا ينطوي على الخضوع لمصالح اللاكيديمونيين، ولكن كما قد يرغب كل منكما على حدة؛ وأننا على استعداد لتقديم الرضا القانوني الذي تحدده اتفاقياتنا، وأننا لن نبدأ الأعمال العدائية، لكننا سنقاوم أولئك الذين يبدأونها. "إن هذا الجواب يتفق مع حقوق أثينا وكرامتها في آن واحد. ولابد أن ندرك تمام الإدراك أن الحرب ضرورة؛ ولكن كلما قبلناها بسهولة، كلما قل حماس خصومنا، وأن المجتمعات والأفراد يكتسبون أعظم المجد من أعظم المخاطر. ألم يقاوم آباؤنا الميديين ليس فقط بموارد تختلف تمام الاختلاف عن مواردنا، بل حتى عندما تخلوا عن هذه الموارد؛ وبالحكمة أكثر من الحظ، وبالجرأة أكثر من القوة، ألم يهزموا البرابرة ويطوروا شؤونهم إلى ذروتها

الحالية؟ لا ينبغي لنا أن نتخلف عنهم، بل يجب أن نقاوم أعداءنا بأي طريقة وبكل الطرق، وأن نحاول نقل قوتنا إلى أجيالنا القادمة دون أي عائق".

كانت هذه هي كلمات بريكليس. وقد اقتنع الأثينيون بحكمة نصيحته، فصوّتوا كما أراد، وأجابوا أهل لاكيديمون بما أوصى به، سواء في النقاط المنفصلة أو في النقاط العامة؛ ولم يفعلوا شيئًا بناءً على الإملاء، لكنهم كانوا مستعدين لتسوية الشكاوى بطريقة عادلة وغير متحيزة بالطريقة القانونية، التي نصت عليها شروط الهدنة. وعلى هذا فقد غادر المبعوثون ديارهم ولم يعودوا مرة أخرى.

كانت هذه هي الاتهامات والخلافات القائمة بين القوى المتنافسة قبل الحرب، والتي نشأت مباشرة عن القضية التي وقعت في إبيدامنوس وكورسيرا. ومع ذلك، استمرت العلاقات على الرغم من هذه الاتهامات والخلافات، واستمرت الاتصالات المتبادلة. واستمرت العلاقات دون رسل، ولكن ليس دون شكوك، حيث كانت هناك أحداث كانت تعادل خرقًا للمعاهدة وسببًا للحرب.

الكتاب الثاني

الفصل السادس

الآن بدأت الحرب بين الأثينيين والبيلوبونيزيين والحلفاء من كلا الجانبين. فقد توقفت كل الاتصالات الآن باستثناء تلك التي تتم عن طريق البشائر، وبدأت الأعمال العدائية واستمرت دون توقف. ويتبع التاريخ الترتيب الزمني للأحداث حسب الصيف والشتاء.

"لقد دامت الهدنة التي دامت ثلاثين عامًا والتي تم الدخول فيها بعد غزو إيفويا أربعة عشر عامًا. ففي العام الخامس عشر، في السنة الثامنة والأربعين من ولاية كريسيس كاهنة في أرغوس، وفي عهد إينيسياس في أسبرطة، وفي الشهر الأخير قبل شهرين من ولاية بيثودوروس في أثينا، وبعد ستة أشهر من معركة بوتيديا، في بداية الربيع، قامت قوة طيبة التي يزيد عدد أفرادها قليلاً عن ثلاثمائة جندي، تحت قيادة حكامها البويوتيين، بيثانجيلوس، ابن فيليدس، وديمبوروس، ابن أونيتوريدس، في حوالي الساعة الأولى من الليل، بدخول بلاتيا، وهي مدينة في بيوتيا متحالفة مع أثينا. وقد فتح لهم البوابات رجل بلاتياني يُدعى ناوكليدس، الذي دعاهم مع حزبه إلى الدخول، وكانوا يعتزمون قتل مواطني الحزب الآخر، ونقل المدينة إلى طيبة، وبالتالي الحصول على السلطة لأنفسهم. ولقد تم ترتيب هذا الأمر عن طريق يوريماكوس، ابن ليونتيادس، وهو شخص ذو نفوذ كبير في طيبة. ذلك أن بلاتيا كانت على خلاف دائم مع طيبة؛ ولقد توقعت طيبة أن الحرب على الأبواب، فأرادت أن تفاجئ عدوها القديم في وقت السلم، قبل أن تندلع الأعمال العدائية بالفعل. ولقد كان هذا هو السبيل الذي جعلهم يدخلون بسهولة دون أن يلاحظهم أحد، حيث لم يكن هناك حراس. وبعد أن نصب الجنود أسلحتهم في السوق، أراد أولئك الذين دعوهم إلى الدخول أن يشرعوا في العمل على الفور ويذهبوا إلى بيوت أعدائهم. ولكن الطيبيين رفضوا القيام بذلك، لكنهم قرروا إصدار إعلان مصالحة، وإذا أمكن التوصل إلى تفاهم ودي مع المواطنين. وبناءً على ذلك، دعا مناديهم كل من يرغب في العودة إلى مكانه

القديم في اتحاد مواطنيه إلى حشد السلاح معهم، لأنهم اعتقدوا أن المدينة سوف تنضم إليهم بسهولة بهذه الطريقة.

ولما أدرك أهل بلاتيا وجود أهل طيبة داخل بواباتهم، واحتلالهم المفاجئ للمدينة، استنتجوا في فزع أن عدداً أكبر مما كان عليه في الواقع، وأن الليل حال دون رؤيتهم. وبناءً على ذلك، توصلوا إلى اتفاق، وقبلوا الاقتراح، ولم يتحركوا؛ خاصة وأن أهل طيبة لم يستخدموا أي عنف ضدهم. ولكن بطريقة أو بأخرى، اكتشفوا أثناء المفاوضات قلة عدد أهل طيبة، وقرروا أنه يمكنهم بسهولة مهاجمتهم والتغلب عليهم؛ لأن غالبية أهل بلاتيا كانوا يكرهون الثورة على أثينا. وعلى أي حال، فقد قرروا محاولة ذلك. فحفروا خلال الجدران المشتركة للمنازل، وتمكنوا من الالتقاء ببعضهم البعض دون أن يُرى أحد أثناء مرورهم في الشوارع، حيث وضعوا عربات خالية من الحيوانات فيها، لتكون بمثابة متاريس، ورتبوا كل شيء آخر على النحو الذي بدا مناسبًا للمناسبة. وعندما فعلوا كل ما تسمح به الظروف، راقبوا الفرصة وخرجوا من منازلهم لمواجهة العدو. كان الليل لا يزال دامسًا، رغم أن الفجر كان على الأبواب: ففي ضوء النهار كان من المتصور أن هجومهم سيواجه رجالًا مليئين بالشجاعة وعلى قدم المساواة مع مهاجميهم، بينما في الظلام سيقع الهجوم على القوات المذعورة، والتي ستكون أيضًا في وضع غير مؤاتٍ بسبب معرفة عدوها بالمكان. لذا قاموا بالهجوم على الفور، ووصلوا إلى أماكن قريبة بأسرع ما يمكن.

ولما وجد أهل طيبة أنفسهم محاصرين، سارعوا إلى صد كل الهجمات التي شنت عليهم. وتمكنوا من صد المهاجمين مرتين أو ثلاث مرات. ولكن الرجال صاحوا وهاجموهم، وصرخت النساء والعبيد من المنازل وقذفوهم بالحجارة والبلاط؛ فضلاً عن أن المطر كان ينهمر بغزارة طوال الليل؛ لذا فقد استسلموا أخيراً، واستداروا وفروا عبر المدينة. وكان معظم الهاربين يجهلون تماماً الطرق الصحيحة للخروج، وهذا، مع الطين، والظلام الناجم عن وجود القمر في الربع الأخير، وحقيقة أن

مطارديهم يعرفون طريقهم ويمكنهم بسهولة منع هروبهم، أثبت أنه قاتل لكثيرين. كانت البوابة الوحيدة المفتوحة هي تلك التي دخلوا منها، وقد أغلقها أحد سكان بلاتيا بضرب رمح في الحاجز بدلاً من الترباس؛ حتى أنه لم يعد هناك أي وسيلة للخروج. وطاردهم الآن في جميع أنحاء المدينة. ولقد صعد بعضهم إلى السور وألقوا بأنفسهم من فوقه، وكانت النتيجة في أغلب الحالات مميتة. وقد تمكنت مجموعة من الناس من العثور على بوابة مهجورة، وحصلت على فأس من امرأة، وقطعت السور؛ ولكن عندما لاحظهم الناس سرعان ما نجح عدد قليل منهم في الخروج. أما الآخرون فقد انقطعت بهم السبل في أجزاء مختلفة من المدينة. واندفعت المجموعة الأكثر عدداً وتماسكاً إلى مبنى كبير بجوار سور المدينة: وكانت الأبواب على جانب الشارع مفتوحة، وتصور أهل طيبة أنها أبواب المدينة، وأن هناك ممراً يؤدي إلى الخارج. ولما رأى أهل بلاتيا أعداءهم في فخ، تشاوروا الآن فيما إذا كان ينبغي لهم إشعال النار في المبنى وإحراقه كما هو، أو ما إذا كان هناك أي شيء آخر يمكنهم القيام به به؛ حتى وافق هؤلاء وبقية الناجين الطيبيين الذين وجدوا يتجولون في المدينة على الاستسلام غير المشروط لأنفسهم وأسلحتهم لأهل بلاتيا.

وبينما كان هذا هو مصير المجموعة في بلاتيا، فقد تلقى بقية أهل طيبة الذين كان من المقرر أن ينضموا إليهم بكل قواتهم قبل بزوغ الفجر، تحسبًا لحدوث أي خطأ في الجثة التي دخلت، أخبار الحادث على الطريق، واندفعوا إلى الأمام لنجدتهم. كانت بلاتيا على بعد ثمانية أميال تقريبًا من طيبة، وقد تأخرت مسيرتهم بسبب المطر الذي هطل في الليل، حيث كان نهر أسوبس قد ارتفع ولم يكن من السهل عبوره؛ لذلك، اضطروا إلى السير في المطر، وعرقلهم عبور النهر، فوصلوا متأخرين جدًا، ووجدوا المجموعة بأكملها إما مقتولين أو أسرى. وعندما علموا بما حدث، شكلوا على الفور خطة ضد أهل بلاتيا خارج المدينة. ولأن الهجوم كان في وقت السلم، وكان غير متوقع تمامًا، فقد كان هناك بالطبع رجال وماشية في الحقول؛ وكان أهل طيبة يرغبون، إن أمكن، في الحصول على بعض الأسرى لتبادلهم مع مواطنيهم في المدينة،

إذا ما أتيحت لهم فرصة أسرهم أحياء. كانت هذه هي خطتهم. ولكن أهل بلاتيا شكوا في نواياهم قبل أن تتشكل، وشعروا بالفزع على مواطنيهم خارج المدينة، فأرسلوا رسولاً إلى أهل طيبة، يوبخونهم على محاولتهم عديمة الضمير للاستيلاء على مدينتهم في وقت السلم، ويحذرونهم من أي اعتداء على من هم خارج المدينة. وإذا تجاهلوا التحذير، هددوا بقتل الرجال الذين في أيديهم، لكنهم أضافوا أنه عند انسحاب أهل طيبة من أراضيهم، فسوف يسلمون الأسرى إلى أصدقائهم. هذا هو وصف أهل طيبة للأمر، ويقولون إنهم حصلوا على يمين. أما أهل بلاتيا، من ناحية أخرى، فلا يعترفون بأي وعد بالاستسلام الفوري، بل يجعلونه مشروطًا بالمفاوضات اللاحقة: وهم ينكرون اليمين تمامًا. ومهما يكن من أمر، فعند انسحاب أهل طيبة من أراضيهم دون ارتكاب أي ضرر، سارع أهل بلاتيا إلى الاستيلاء على كل ما لديهم في البلاد وقتلوا الرجال على الفور. وكان عدد الأسرى مائة وثمانين؛ كان يوريماكوس، الشخص الذي تفاوض معه الخونة، واحدًا منهم.

وبعد أن فعل أهل بلاتيا ذلك، أرسلوا رسولاً إلى أثينا، وأعادوا القتلى إلى أهل طيبة بموجب هدنة، ورتبوا الأمور في المدينة على النحو الذي بدا أفضل لمواجهة الطوارئ الحالية. وفي الوقت نفسه، بعد أن تلقوا نبأ الحادث فور وقوعه، قبضوا على الفور على جميع أهل بيوتيا في أتيكا، وأرسلوا رسولاً إلى أهل بلاتيا ليمنعهم من المضي قدماً مع أسراهم الطيبيين دون تعليمات من أثينا. وبطبيعة الحال، لم تصل أخبار وفاة الرجال؛ فقد غادر الرسول الأول بلاتيا بمجرد دخول أهل طيبة إليها، والثاني بعد هزيمتهم وأسرهم مباشرة؛ لذا لم تصل أخبار لاحقة. وهكذا أرسل الأثينيون الأوامر على الرغم من جهلهم بالحقائق؛ وعندما وصل الرسول وجد الرجال مقتولين. وبعد ذلك سار الأثينيون إلى بلاتيا وأحضروا المؤن، وتركوا حامية في المكان، وأخذوا أيضًا النساء والأطفال ومن هم أقل كفاءة من الرجال.

وبعد حادثة بلاتيا، انتهكت المعاهدة بفعل علني، واستعدت أثينا على الفور للحرب، كما فعل لاكيدايمون وحلفاؤها. وقرروا إرسال سفارات إلى الملك وإلى أي من القوى البربرية الأخرى التي يمكن لأي من الطرفين أن يتطلع إليها طلبًا للمساعدة، وحاولوا التحالف مع الدول المستقلة في الداخل. وبالإضافة إلى البحرية الموجودة، أصدرت لاكيدايمون أوامر للدول التي أعلنت دعمها لها في إيطاليا وصقلية ببناء سفن يصل عددها إلى خمسمائة سفينة، على أن يتم تحديد حصة كل مدينة حسب حجمها، كما أمرت الدول بتوفير مبلغ محدد من المال. وحتى تصبح هذه السفن جاهزة، كان عليها أن تظل محايدة وأن تسمح للسفن الأثينية الفردية بالدخول إلى موانئها. ومن جانبها، قامت أثينا بمراجعة اتحادها القائم، وأرسلت سفارات إلى الأماكن الأكثر مباشرة حول البيلوبونيز - كورسيرا، وكيفالينيا، وأكارنانيا، وزاكينثوس - مدركة أنه إذا كان من الممكن الاعتماد على هذه الأماكن، فإنها تستطيع خوض الحرب في جميع أنحاء البيلوبونيز.

وإذا كان الجانبان قد غذوا آمالهم الجريئة وبذلوا أقصى ما لديهم من قوة في الحرب، فقد كان هذا أمرًا طبيعيًا. فالحماسة تكون دائمًا في أوجها عند بدء أي مشروع؛ وفي هذه المناسبة بالذات كانت كل من بيلوبونيز وأثينا مليئتين بالشباب الذين جعلتهم قلة خبرتهم حريصين على حمل السلاح، بينما وقفت بقية اليونان في حالة من التوتر والإثارة في مواجهة الصراع بين مدنها الرئيسية. وفي كل مكان كانت تُتلى التنبؤات وتُنشد النبوءات من قبل الأشخاص الذين يجمعونها، ولم يكن هذا فقط في المدن المتنافسة. علاوة على ذلك، قبل ذلك بفترة وجيزة، حدث زلزال في ديلوس، لأول مرة في ذاكرة اليونانيين. وقد قيل هذا واعتُبر أنه ينذر بالأحداث الوشيكة؛ والواقع أنه لم يُسمح لأي شيء من هذا القبيل بالمرور دون ملاحظة. كانت تمنيات الرجال الطيبة كبيرة بالنسبة للساكديمونيين، وخاصة عندما أعلنوا أنفسهم محرري اليونان. ولم يتم إغفال أي جهد خاص أو عام يمكن أن يساعدهم في الكلام أو العمل؛ كان كل منهم يعتقد أن القضية تعاني حيث لا يستطيع هو أن يتولى أمرها بنفسه. وكان

السخط تجاه أثينا عامًا للغاية، سواء من جانب أولئك الذين كانوا يرغبون في الهروب من إمبراطوريتها، أو الذين كانوا يخشون أن تستوعبهم. كانت هذه هي الاستعدادات وهذه هي المشاعر التي بدأت بها المعركة.

كان حلفاء الطرفين المتحاربين هم: جميع البيلوبونيزيين داخل البرزخ باستثناء الأرجيين والآخيين، الذين كانوا محايدين؛ وكانت بيلين هي المدينة الآخائية الوحيدة التي انضمت إلى الحرب أولاً، على الرغم من أن بقية المدن حذت حذوها بعد ذلك. وخارج البيلوبونيز كان هناك الميجاريون واللوكريان والبيوتيون والفوسيون والأمبراشيون واللوكاديون والأناكتوريون. ومن بين هؤلاء، كان الكورنثيون والميجاريون والسيكونيون والبيلينيون والإيليون والأمبراشيون واللوكاديون مزودين بالسفن؛ وكان البيوتيون والفوسيون واللوكريان مزودين بسلاح الفرسان. وأرسلت الدول الأخرى المشاة. وكان هذا هو اتحاد اللاكيديمونيين. كانت أثينا تتألف من الخيوسيين والليزبوسيين والبلاتيين والمسينيين في ناوباكتوس ومعظم الأكارنانيين والكورسيريين والزاكينثيين وبعض المدن التابعة في البلدان التالية، وهي كاريا على البحر مع جيرانها الدوريين، وإيونيا، والهليسبونت، والمدن التراقية، والجزر الواقعة بين البيلوبونيز وكريت نحو الشرق، وجميع جزر سيكلاديز باستثناء ميلوس وثيرا. ومن بين هؤلاء، كانت خيوس وليسبوس وكورسيرا تمدهم بالسفن، بينما كانت بقية الجزر تمدهم بالمشاة والمال. وكان هؤلاء حلفاء كل من الطرفين ومواردهم للحرب.

وبعد الحادثة التي وقعت في بلاتيا مباشرة، أرسل لاكيدايمون أوامره إلى المدن في بيلوبونيز وبقية دول اتحادها لإعداد القوات والإمدادات اللازمة لحملة خارجية، من أجل غزو أتيكا. وكانت الدول المختلفة مستعدة في الوقت المحدد وتجمعت عند البرزخ: وكانت فرقة كل مدينة تشكل ثلثي قوتها بالكامل. وبعد أن حشد الجيش بأكمله، استدعى الملك لاكيدايمون، أرشيداموس، قائد الحملة، قادة جميع الدول والشخصيات والضباط الرئيسيين، وحثهم على ما يلي:

"أيها البيلوبونيزيون وحلفاؤهم، لقد خاض آباؤنا العديد من الحملات داخل وخارج البيلوبونيز، ولا يخلو كبار السن بيننا هنا من الخبرة في الحرب. ومع ذلك، لم نخرج قط بقوة أكبر من القوة الحالية؛ وإذا كانت أعدادنا وكفاءتنا ملحوظة، فإن قوة الدولة التي نسير ضدها ملحوظة أيضًا. لذا، لا ينبغي لنا أن نظهر أنفسنا أدنى من أسلافنا، أو غير مساوين لسمعتنا. لأن آمال واهتمامات كل اليونان منحازة إلى الجهد الحالي، وتعاطفها مع عدو أثينا المكروه. لذلك، مهما بدا الجيش الغازي كبيرًا، ومهما كان البعض متأكدًا من أن عدونا لن يقابلنا في الميدان، فإن هذا لا يبرر أي نوع من الإهمال في المسيرة؛ ولكن يجب على الضباط والرجال في كل مدينة معينة أن يكونوا مستعدين دائمًا لظهور الخطر في مناطقهم الخاصة. لا يمكن التنبؤ بمسار الحرب، وعادة ما تملي هجماتها نبض اللحظة؛ "وحيثما احتقرت الثقة المفرطة بالنفس الاستعداد، فإن الخوف الحكيم كان قادراً في كثير من الأحيان على التغلب على الأعداد المتفوقة. ولا يعني هذا أن الثقة ليست في غير محلها في جيش الغزو، ولكن في بلد العدو يجب أن تكون مصحوبة أيضاً باحتياطات الخوف: ستكون القوات بهذه التركيبة هي الأفضل في توجيه الضربات، والأكثر أماناً في عدم تلقيها. في الحالة الحالية، فإن المدينة التي نتجه إليها ليست عاجزة عن الدفاع عن نفسها، بل على العكس من ذلك، مجهزة تجهيزاً ممتازاً في جميع النقاط؛ بحيث يكون لدينا كل الأسباب لتوقع أن ينزلوا إلى الميدان لمواجهتنا، وإذا لم ينطلقوا بالفعل قبل وصولنا، فسوف يفعلون ذلك بالتأكيد عندما يروننا في أراضيهم نهدر وندمر ممتلكاتهم. فالرجال دائماً ما ينزعجون من التعرض لأذى لم يعتادوا عليه، وعندما يرون ذلك يحدث أمام أعينهم؛ وحيثما لا يميلون إلى التفكير، يسارعون إلى العمل بأقصى قدر من الحماسة. "إن الأثينيين هم نفس الأشخاص الذين يفعلون هذا، لأنهم يطمحون إلى حكم بقية العالم، وهم أكثر ميلاً إلى غزو أراضي جيرانهم ونهبها، من رؤية أنفسهم يعاملون على هذا النحو. لذلك، بالنظر إلى قوة الدولة التي نسير ضدها، وعظمة السمعة التي سنكسبها أو نخسرها، وفقًا للحدث، لأسلافنا ولأنفسنا، تذكروا وأنت تتبعون ما قد يقودكم إليه أن تعتبروا الانضباط واليقظة من الأهمية الأولى، وأن تطيعوا بسرعة

الأوامر التي تُنقل إليكم؛ فلا شيء يساهم في سمعة وسلامة الجيش بقدر اتحاد الهيئات الكبيرة تحت نظام واحد"

وبعد هذا الخطاب القصير الذي انتهى بطرد الجمعية، أرسل أرشيداموس أولاً ميليسيبوس، ابن ديكريتوس، وهو أسبرطي، إلى أثينا، في حالة ما إذا كانت أكثر ميلاً إلى الخضوع عند رؤية البيلوبونيزيين وهم يتقدمون بالفعل. لكن الأثينيين لم يسمحوا بدخول المدينة أو حضور جمعيتهم، وكان بريكليس قد تقدم بالفعل باقتراح ضد السماح لأي مناصر أو سفارة من اللاكديمونيين بعد أن خرجوا.

وعلى هذا فقد أرسل البشير إلى خارج الحدود دون أن يقابله أحد، وأمره أن يرحل في نفس اليوم؛ فإذا كان لمن أرسلوه اقتراح، فعليهم أن ينسحبوا إلى أراضيهم قبل أن يرسلوا سفارات إلى أثينا. وأرسل ميليسيبوس حرساً لمنعه من الاتصال بأي شخص. وحين وصل إلى الحدود وكان على وشك أن يُطرد، غادر وهو يقول: "سيكون هذا اليوم بداية مصائب عظيمة لليونانيين". وما إن وصل إلى المعسكر، وعلم أرشيداموس أن الأثينيين ما زالوا لا يفكرون في الاستسلام، حتى بدأ مسيرته أخيراً، وتقدم بجيشه إلى أراضيهم. وفي الوقت نفسه، أرسل أهل بيوتيا وحدتهم وفرسانهم للانضمام إلى الحملة البيلوبونيسية، وذهبوا إلى بلاتيا مع بقية الجنود ودمروا البلاد.

وبينما كان البيلوبونيزيون لا يزالون يحشدون قواتهم عند البرزخ، أو في طريقهم إلى أتيكا، أدرك بريكليس، ابن زانثيبوس، أحد القادة العشرة للأثينيين، أن الغزو كان وشيكًا، فخطرت في باله فكرة مفادها أن أرشيداموس، الذي كان صديقه، قد يمر بممتلكاته دون أن ينهبها. وقد فعل ذلك إما بدافع من رغبته الشخصية في إرضاءه، أو بناءً على تعليمات من لاكيدايمون بغرض إثارة التحيز ضده، كما حدث من قبل في المطالبة بطرد الأسرة الملعونة. وبناءً على ذلك، اتخذ بريكليس الحيطة والحذر وأعلن للأثينيين في الجمعية أنه على الرغم من أن أرشيداموس كان صديقه، إلا أن هذه الصداقة لا ينبغي أن تمتد إلى الإضرار بالدولة، وأنه في حالة جعل العدو منازله

وأراضيه استثناءً من بقية الممتلكات ولم ينهبها، فإنه يسلمها على الفور لتصبح ملكية عامة، حتى لا يثيروا شكوكه. ولقد أعطى المواطنين بعض النصائح فيما يتصل بشئونهم الحالية بنفس الأسلوب الذي كان عليه من قبل. فكان عليهم أن يستعدوا للحرب، وأن يحملوا معهم ممتلكاتهم من الريف. ولم يكن عليهم أن يخرجوا للقتال، بل أن يأتوا إلى المدينة ويحرسوها، وأن يجهزوا أسطولهم، الذي تكمن قوتهم الحقيقية فيه. وكان عليهم أيضاً أن يفرضوا رقابة مشددة على حلفائهم ـ ذلك أن قوة أثينا كانت تستمد من الأموال التي تدرها عليهم مدفوعاتهم، وكان النجاح في الحرب يعتمد في المقام الأول على السلوك ورأس المال، ولذا لم يكن لديهم أي سبب لليأس. وبعيداً عن مصادر الدخل الأخرى، كان متوسط العائدات التي كانت تحصل عليها أثينا من الجزية التي يدفعها الحلفاء ستمائة تالنت من الفضة؛ وكان لا يزال هناك ستة آلاف تالنت من الفضة المسكوكة في الأكروبوليس، من بين تسعة آلاف وسبعمائة تالنت كانت موجودة هناك ذات يوم، وكانت الأموال التي أخذت منها لبناء رواق الأكروبوليس والمباني العامة الأخرى وبوتيديا. ولم يكن هذا يشمل الذهب والفضة غير المسكوكين في العروض العامة والخاصة، والأواني المقدسة للمواكب والألعاب، وغنائم ميديا، والموارد المماثلة التي تصل إلى خمسمائة تالنت. وأضاف إلى هذا كنوز المعابد الأخرى. ولم تكن هذه الكنوز غير ذات شأن على الإطلاق، وكان من الممكن استخدامها بشكل عادل. بل وإذا ما اضطروا إلى ذلك، فقد يأخذون حتى الحلي الذهبية لأثينا نفسها؛ لأن التمثال كان يحتوي على أربعين تالنت من الذهب الخالص، وكانت كلها قابلة للنزع. ويمكن استخدام هذه الحلي للحفاظ على الذات، ولابد من استعادة كل بنس منها. كان هذا هو وضعهم المالي ـ وهو وضع مرضٍ بالتأكيد. ثم كان لديهم جيش من ثلاثة عشر ألفًا من المشاة الثقيلة، بالإضافة إلى ستة عشر ألفًا آخرين في الحاميات وفي الخدمة المنزلية في أثينا. وكان هذا في البداية عدد الرجال الذين يتولون الحراسة في حالة الغزو: وكان يتألف من أقدم وأصغر الجنود والأجانب المقيمين الذين كانوا يرتدون دروعًا ثقيلة. كان سور فاليريا يمتد لأربعة أميال، قبل أن ينضم إلى السور المحيط بالمدينة؛ وكان هناك

حارس على ما يقرب من خمسة أميال من هذا السور الأخير،كان بريكليس يحرس الحدود اليونانية، وكان ...

استمع الأثينيون إلى نصيحته، فبدأوا في نقل زوجاتهم وأطفالهم من الريف، وكل أثاث منازلهم، حتى الأخشاب التي هدموها. وأرسلوا أغنامهم وماشيتهم إلى جزيرة أوبيا والجزر المجاورة. ولكنهم وجدوا صعوبة في الانتقال، لأن معظمهم اعتادوا دائمًا العيش في الريف.

ولقد كان هذا هو الحال بالنسبة للأثينيين منذ العصور المبكرة أكثر من غيرهم. ففي عهد كيكروبس والملوك الأوائل، وحتى عهد ثيسيوس، كانت أتيكا تتألف دوماً من عدد من البلدات المستقلة، ولكل منها دار بلدية وقضاة. ولم يكن الملك في أثينا يُستشار إلا في أوقات الخطر؛ ففي المواسم العادية كان الأثينيون يمارسون حكمهم ويحلون شؤونهم دون تدخله؛ بل كانوا أحياناً يخوضون الحرب ضده، كما حدث مع أهل إليوسين مع إيومولبوس ضد إريختيوس. أما ثيسيوس فكان لهم ملك يتمتع بنفس القدر من الذكاء والقوة؛ وكان من أهم سماته في تنظيمه للبلاد إلغاء مجالس المدن الصغيرة وقضاتها، ودمجهم في مجلس واحد ودار بلدية في العاصمة الحالية. وكان بوسع الأفراد أن يتمتعوا بممتلكاتهم الخاصة كما كان الحال من قبل، ولكنهم أصبحوا منذ ذلك الحين مضطرين إلى أن يكون لهم مركز سياسي واحد فقط، وهو أثينا. ولقد كانت المدينة قبل ذلك تتألف من القلعة الحالية والمنطقة الواقعة تحتها والتي تطل على الجنوب. ويتضح هذا من حقيقة أن معابد الآلهة الأخرى، إلى جانب معبد أثينا، تقع في القلعة؛ وحتى تلك التي تقع خارجها تقع في الغالب في هذا الحي من المدينة، مثل معبد زيوس الأوليمبي، ومعبد أبولو البيثي، ومعبد الأرض، ومعبد ديونيسوس في المستنقعات، وهو نفس المعبد الذي يحتفل به حتى يومنا هذا ديونيسيا الأكبر تكريماً له في شهر أنثيستيريون ليس فقط من قبل الأثينيين ولكن أيضًا من قبل أحفادهم الأيونيين. وهناك أيضًا معابد قديمة أخرى في هذا الحي. أما

النافورة، والتي أطلق عليها منذ التعديل الذي أجراه الطغاة اسم Enneacrounos أو الأنابيب التسعة، والتي أطلق عليها عند فتح النبع اسم Callirhoe أو المياه العذبة، فقد كانت تستخدم في تلك الأيام، بسبب قربها الشديد، في أكثر المكاتب أهمية. والواقع أن الطريقة القديمة في استخدام المياه قبل الزواج ولأغراض مقدسة أخرى لا تزال قائمة. ومن ناحية أخرى، لا تزال القلعة تُعرف بين الأثينيين باسم المدينة، بسبب إقامتهم القديمة في ذلك الحي.

وهكذا عاش الأثينيون طويلاً منتشرين في أنحاء أتيكا في مدن مستقلة. وحتى بعد مركزية ثيسيوس، ظلت العادات القديمة سائدة؛ ومنذ العصور الأولى وحتى الحرب الحالية، ظل أغلب الأثينيين يعيشون في الريف مع أسرهم وأسرهم، وبالتالي لم يكونوا ميالين على الإطلاق إلى الانتقال الآن، خاصة وأنهم لم يستعيدوا منشآتهم إلا بعد الغزو الميدي. وكان قلقهم وسخطهم عميقين بسبب هجران منازلهم والمعابد الوراثية التي ورثوها من الدستور القديم، واضطرارهم إلى تغيير عاداتهم في الحياة وتوديع ما اعتبره كل منهم مدينته الأصلية.

وعندما وصلوا إلى أثينا، ورغم أن القليل منهم كان لديه منازل خاصة به يذهب إليها، أو كان بوسعه أن يجد ملجأ مع الأصدقاء أو الأقارب، فقد كان على العدد الأكبر منهم أن يتخذوا مسكنهم في أجزاء المدينة التي لم تُبنَ فوقها وفي المعابد والمصليات التي أقامها الأبطال، باستثناء الأكروبوليس ومعبد ديميتر الإليوسينية وغيرها من الأماكن التي كانت مغلقة دائمًا. وكان احتلال قطعة الأرض الواقعة أسفل القلعة والتي تسمى بيلاسيوس محظورًا بسبب لعنة؛ وكان هناك أيضًا جزء مشؤوم من وحي بيثيوسي يقول:

اتركوا قطعة الأرض البيلسجية خربة، فالويل يستحق اليوم الذي يسكنها فيه الرجال!

ولكن هذا الأمر أيضاً كان قد بني الآن في ظل ضرورة اللحظة. وفي رأيي، إذا ثبتت صحة الوحي، فقد كان ذلك على العكس مما كان متوقعاً. ذلك أن مصائب الدولة لم تنشأ عن الاحتلال غير القانوني، بل إن ضرورة الاحتلال كانت ناجمة عن الحرب؛ ورغم أن الإله لم يذكر هذا، فقد تنبأ بأن اليوم الذي ستُسْكَن فيه هذه الأرض سيكون يوماً شريراً على أثينا. كما اتخذ كثيرون أماكن إقامتهم في أبراج الأسوار أو في أي مكان آخر يمكنهم الوصول إليه. فعندما دخلوا جميعاً، تبين أن المدينة أصغر من أن تستوعبهم؛ ورغم ذلك فقد قسموا الأسوار الطويلة وجزءاً كبيراً من بيرايوس إلى قطع واستقروا هناك. وفي كل هذا الوقت كان الاهتمام منصباً على الحرب؛ وكان الحلفاء يحشدون قواتهم، وكانوا يجهزون مائة سفينة لبلوبونيز. وكانت هذه هي حالة الاستعداد في أثينا.

وفي الوقت نفسه كان جيش البيلوبونيز يتقدم. وكانت أول مدينة يصلون إليها في أتيكا هي أونوي، حيث كانوا يعتزمون دخول البلاد. وجلسوا أمامها، واستعدوا لمهاجمة السور بالآلات والمعدات. وكانت أونوي، الواقعة على الحدود الأثينية والبيوتية، مدينة محاطة بسور، واستخدمها الأثينيون كحصن في وقت الحرب. وعلى هذا فقد استعد البيلوبونيزيون لهجومهم، وأضاعوا بعض الوقت الثمين قبل الوصول إلى المكان. وقد جلب هذا التأخير أشد اللوم على أرشيداموس. فحتى أثناء شن الحرب كان يُنسب إليه ضعفه وتعاطفه مع الأثينيين بسبب التدابير نصفية التي دافع عنها؛ وبعد أن تجمع الجيش، ألحق المزيد من الأذى بنفسه في تقدير الجمهور بسبب تسكعه عند البرزخ والبطء الذي سارت به بقية المسيرة. ولكن كل هذا لم يكن شيئًا مقارنة بالتأخير في أونوي. وخلال هذه الفترة كان الأثينيون يحملون ممتلكاتهم؛ وكان اعتقاد أهل البيلوبونيز أن التقدم السريع كان ليكشف كل شيء لولا المماطلة. وكان هذا هو شعور الجيش تجاه أرشيداموس أثناء الحصار. ولكن يقال إنه كان يتوقع أن يحجم الأثينيون عن السماح بتدمير أرضهم، وأن يستسلموا قبل أن تتضرر؛ ولهذا السبب انتظر.

ولكن بعد أن هاجم أونوي، وفشلت كل المحاولات الممكنة للاستيلاء عليها، حيث لم يأتِ أحد من أثينا، فكك معسكره أخيرًا وغزا أتيكا. كان ذلك بعد حوالي ثمانين يومًا من محاولة طيبة للاستيلاء على بلاتيا، في منتصف الصيف، عندما نضجت الذرة، وكان أرشيداموس، ابن زيوكس، ملك لاكيدايمون، في القيادة. فخيموا في إليوسيس وسهل ثرياسيا، وبدأوا في تخريبهم، وهزموا بعض الخيول الأثينية في مكان يُدعى رييتي، أو الجداول، ثم تقدموا، مع إبقاء جبل إيجاليوس على يمينهم، عبر كروبيا، حتى وصلوا إلى أخارناي، أكبر الديميس أو البلدات الأثينية. وجلسوا أمامها، وشكلوا معسكرًا هناك، واستمروا في تخريبهم لفترة طويلة.

ويقال إن السبب الذي دفع أرشيداموس إلى البقاء في صفوف المعركة في آخارني أثناء هذه الغزوة، بدلاً من النزول إلى السهل، كان هذا. فقد كان يأمل أن يغري الأثينيون بشبابهم وكفاءتهم غير المسبوقة في الخدمة للخروج إلى المعركة ومحاولة وقف تدمير أراضيهم. وعلى هذا، وكما واجهوه في إليوسيس أو سهل ثرياسيا، فقد حاول استفزازهم إلى الهجوم بمشهد معسكر في آخارني. فقد رأى أن المكان نفسه موقع جيد للتخييم؛ وبدا من المرجح أن يرفض جزء مهم من الدولة مثل ثلاثة آلاف من المشاة الثقيلة من الآخارنيين الخضوع لتدمير ممتلكاتهم، وأن يفرض معركة على بقية المواطنين. ومن ناحية أخرى، إذا لم ينزل الأثينيون إلى الميدان أثناء هذه الغزوة، فيمكنه حينئذ أن يدمر السهل بلا خوف في غزوات مستقبلية، وأن يمتد تقدمه حتى أسوار أثينا. وبعد أن فقد الأكارنيون ممتلكاتهم، أصبحوا أقل استعدادًا للمخاطرة بأنفسهم من أجل ممتلكات جيرانهم؛ ومن ثم انقسمت الآراء في المجلس الأثيني. وكانت هذه هي الدوافع التي دفعت أرشيداموس إلى البقاء في أكارني.

وفي غضون ذلك، طالما كان الجيش في إليوسيس وسهل ثرياسيا، كانت الآمال لا تزال معلقة على عدم تقدمه إلى الأمام. فقد تذكروا أن بليستواناكس، ابن بوسانياس، ملك لاكيدايمون، كان قد غزا أتيكا بجيش من البيلوبونيز قبل أربعة عشر عامًا، لكنه

تراجع دون التقدم أبعد من إليوسيس وثريا، وهو ما أثبت بالفعل سبب نفيه من أسبرطة، حيث كان يُعتقد أنه تلقى رشوة للتراجع. ولكن عندما رأوا الجيش في أخارناي، على بعد سبعة أميال فقط من أثينا، فقدوا كل صبرهم. كانت أراضي أثينا تتعرض للتخريب أمام أعين الأثينيين، وهو مشهد لم يره الشباب من قبل ولم يره الشيوخ إلا في الحروب الميدية؛ وكان من الطبيعي أن يُنظر إلى هذا على أنه إهانة خطيرة، وكان التصميم عالميًا، وخاصة بين الشباب، على الخروج ووقف هذا. تشكلت عقد في الشوارع وانخرطوا في مناقشات ساخنة؛ كان من بين هؤلاء الذين عارضوا بشدة الهجوم المقترح، حتى لو تم التوصية به بحرارة، فقد قوبل بالرفض في بعض الحالات. وكان جامعي التبرعات يتلون نبوءات ذات أهمية مختلفة، ووجدوا مستمعين متحمسين في أحد الطرفين المتنازعين. وكان الأكارنيون في طليعة من طالبوا بالهجوم، لأنهم كانوا يشكلون جزءًا لا يستهان به من جيش الدولة، ولأن أرضهم كانت تتعرض للتدمير. باختصار، كانت المدينة بأكملها في حالة من الاضطراب الشديد؛ وكان بريكليس موضع سخط عام؛ ونُسيت نصائحه السابقة تمامًا؛ وتعرض للإساءة لأنه لم يقم بقيادة الجيش الذي كان يقوده، وحُمِّل مسؤولية كل المعاناة العامة.

ولكن في الوقت نفسه، رأى الغضب والهيام في صعوده في تلك اللحظة، وحكمته في رفض الهجوم، فلم يدع الجمعية أو اجتماع الشعب، خوفًا من النتائج المميتة لمناظرة مستوحاة من العاطفة وليس الحكمة. وبناءً على ذلك، لجأ إلى الدفاع عن المدينة، وأبقى الأمر هادئًا قدر الإمكان، على الرغم من أنه أرسل باستمرار سلاح الفرسان لمنع الغارات على الأراضي القريبة من المدينة من قبل فرق العدو الهاربة. كانت هناك مسألة تافهة في فريجيا بين سرب من الخيول الأثينية مع الثيساليين وفرسان بيوتيا؛ كان الأول هو الأفضل فيها، حتى تقدم المشاة الثقيلة لدعم البيوتيين، عندما هُزم الثيساليون والأثينيون وفقدوا بضعة رجال، ومع ذلك تم استعادة جثثهم في نفس اليوم دون هدنة. في اليوم التالي أقام البيلوبونيزيون غنائم.

جلب التحالف القديم الثيساليين لمساعدة أثينا؛ وكان الذين قدموا هم اللاريسيون والفارساليون والكرانونيون والبيرسيون والجيرتونيون والفيريون. وكان قادة اللاريسيون بوليميدس وأريستونوس، وهما زعيمان للحزب في لاريسا؛ وكان القائد الفارسي مينون؛ وكان لكل من المدن الأخرى قائدها الخاص أيضًا.

وفي هذه الأثناء، انفصل البيلوبونيزيون عن آخارناي، لأن الأثينيين لم يخرجوا لمواجهتهم، ونهبوا بعض الأراضي الواقعة بين جبل بارنيس وبريليسوس. وبينما كانوا في أتيكا، أرسل الأثينيون المائة سفينة التي كانوا يجهزونها حول البيلوبونيز، وعلى متنها ألف جندي مشاة ثقيل وأربعمائة من الرماة، تحت قيادة كارسينوس، ابن زينوتيموس، وبروتيس، ابن إبيكليس، وسقراط، ابن أنتيجينس. ورفعت هذه السفن المرساة وبدأت رحلتها، وبعد أن مكث البيلوبونيزيون في أتيكا ما دامت مؤنهم كافية، انسحبوا عبر بيوتيا على طريق مختلف عن الطريق الذي دخلوا منه. وعندما مروا بأوروبس، نهبوا أراضي جرايا، التي يسيطر عليها الأوروبيون من أثينا، وعندما وصلوا إلى بيلوبونيز انفصلوا إلى مدنهم.

وبعد أن تقاعدوا، أقام الأثينيون حراساً على البر والبحر في النقاط التي يعتزمون إقامة محطات منتظمة فيها أثناء الحرب. كما قرروا تخصيص صندوق خاص من ألف تالنت من الأموال الموجودة في الأكروبوليس. ولم يكن من المقرر إنفاق هذا الصندوق، بل كان من المقرر توفير نفقات الحرب الجارية بطريقة أخرى. وإذا اقترح أي شخص أو طرح للتصويت اقتراحاً باستخدام الأموال لأي غرض من الأغراض باستثناء الدفاع عن المدينة في حالة قيام العدو بجلب أسطول لشن هجوم عن طريق البحر، فإن ذلك يعتبر جريمة يعاقب عليها بالإعدام. كما خصصوا بهذا المبلغ من المال أسطولاً خاصاً من مائة سفينة شراعية، وهي أفضل السفن في كل عام، مع قبطانها. ولم يكن من المقرر استخدام أي من هذه السفن إلا مع الأموال وضد نفس الخطر، إذا نشأ مثل هذا الخطر.

وفي الوقت نفسه، كان الأثينيون في المائة سفينة التي كانت تدور حول البيلوبونيز، مدعومين بسرب من خمسين سفينة من كورسيرا وبعض السفن الأخرى من الحلفاء في تلك الأجزاء، يجوبون السواحل ويخربون البلاد. ومن بين الأماكن الأخرى، نزلوا في لاكونيا وهاجموا ميثوني؛ حيث لم تكن هناك حامية في المكان، وكان السور ضعيفًا. ولكن حدث أن براسيداس، ابن تيليس، وهو أسبرطي، كان قائدًا لحرس للدفاع عن المنطقة. وعندما سمع بالهجوم، سارع بمساعدة مائة من المشاة الثقيلة لمساعدة المحاصرين، واندفع عبر جيش الأثينيين، الذي كان مشتتًا في جميع أنحاء البلاد وكان انتباهه موجهًا نحو السور، وألقى بنفسه في ميثوني. وخسر بضعة رجال أثناء دخوله، لكنه أنقذ المكان ونال شكر أسبرطة بفذه، وكان بذلك أول ضابط يحصل على هذا الإشعار أثناء الحرب. رفع الأثينيون المرساة على الفور واستمروا في إبحارهم. ولما وصلوا إلى فيبيا في إليس، اجتاحوا البلاد لمدة يومين وهزموا قوة مختارة من ثلاثمائة رجل أتوا من وادي إليس والمناطق المجاورة مباشرة لإنقاذهم. ولكن عاصفة شديدة هبت عليهم، ولأنهم لم يرغبوا في مواجهة العاصفة في مكان لا يوجد به ميناء، صعد معظمهم على متن سفنهم، وأبحروا إلى ميناء فيبيا. وفي غضون ذلك، سار الميسينيون وبعض الآخرين الذين لم يتمكنوا من الصعود على متن السفن، عبر البر واستولوا على فيبيا. وأبحر الأسطول بعد ذلك وأخذهم ثم أبحر، وتم إخلاء فيبيا، حيث وصل الجيش الرئيسي للإيليين الآن. واصل الأثينيون رحلتهم، ونهبوا أماكن أخرى على الساحل.

وفي نفس الوقت تقريبًا أرسل الأثينيون ثلاثين سفينة للإبحار حول لوكريس وحراسة إيفويا، وكان كليوبومبوس ابن كلينياس قائدًا لها. فنزل من الأسطول ونهب بعض الأماكن على ساحل البحر، واستولى على ثرونيوم وأخذ رهائن منها. كما هزم في ألوب اللوكريسيين الذين تجمعوا لمقاومته.

وفي أثناء الصيف طرد الأثينيون أيضاً الإيجينيين مع زوجاتهم وأطفالهم من إيجينا، بحجة أنهم كانوا من العوامل الرئيسية التي أشعلت الحرب ضدهم. فضلاً عن ذلك، تقع إيجينا بالقرب من البيلوبونيز لدرجة أنه بدا من الآمن إرسال مستعمرين من جانبهم للاستيلاء عليها، وبعد فترة وجيزة تم طرد المستوطنين. ووجد الإيجينيين المنفيون ملجأ في ثيريا، التي منحها لهم لاكيدايمون، ليس فقط بسبب شجارها مع أثينا، ولكن أيضًا لأن الإيجينيين فرضوا عليها التزامات في وقت الزلزال وثورة الهيلوتس. تقع أراضي ثيريا على حدود أرجوليس ولاكونيا، وتمتد إلى البحر. أما الإيجينيين الذين لم يستقروا هنا فقد تشتتوا في بقية اليونان.

وفي نفس الصيف، في بداية شهر قمري جديد، وهو الوقت الوحيد الذي يبدو فيه ذلك ممكناً، كسفت الشمس بعد الظهر. وبعد أن اتخذت شكل الهلال وخرجت بعض النجوم، عادت إلى شكلها الطبيعي.

وفي نفس الصيف، عيّن الأثينيون نيمفودوروس، ابن بيثيس، وهو من أتباع أبديريت، والذي تزوجت أخته سيتالسيس، نائبًا لهم وأرسلوه إلى أثينا. وكانوا يعتبرونه حتى ذلك الوقت عدوًا لهم؛ ولكنه كان يتمتع بنفوذ كبير لدى سيتالسيس، وكانوا يتمنون أن يصبح هذا الأمير حليفًا لهم. كان سيتالسيس ابن تيريس وملك التراقيين. وكان تيريس، والد سيتالسيس، أول من أسس مملكة أودريسيان العظيمة على نطاق غير معروف تمامًا لبقية تراقيا، حيث كان جزء كبير من التراقيين مستقلين. ولا يرتبط تيريس هذا بأي حال من الأحوال بتريوس الذي تزوج ابنة بانديون بروكن من أثينا؛ ولا ينتميان في الواقع إلى نفس الجزء من تراقيا. كان تيريس يعيش في داوليس، وهي جزء مما يسمى الآن فوسيس، ولكن كان يسكنها في ذلك الوقت التراقيون. وفي هذه الأرض ارتكبت النساء الاعتداء على إيتيس؛ ولقد كان بانديون، في نظر كثير من الشعراء، حين يذكرون البلبل، يسمونه طائر داوليان. فضلاً عن ذلك، فإن بانديون حين يعقد تحالفاً لابنته، لابد وأن يضع في اعتباره مزايا المساعدة المتبادلة، ومن

الطبيعي أن يفضل أن يكون هناك شريك له على المسافة المعتدلة المذكورة أعلاه بدلاً من رحلة الأيام العديدة التي تفصل أثينا عن الأودريسيين. ومرة أخرى، تختلف الأسماء؛ فقد كان هذا تيريس ملك الأودريسيين، وهو بالمناسبة أول من بلغ السلطة. وكان الأثينيون يبحثون الآن عن سيتالسيس، ابنه، كحليف لهم، حيث كانوا يرغبون في مساعدته في تقليص المدن التراقية وبيرديكاس. وعندما وصل نيمفودوروس إلى أثينا، أبرم التحالف مع سيتالسيس وجعل ابنه سادوكوس مواطناً أثينياً، ووعد بإنهاء الحرب في تراقيا بإقناع سيتالسيس بإرسال قوة من الخيول والرماة التراقيين إلى الأثينيين. كما نجح في التوفيق بينهم وبين بيرديكاس، وحثهم على إعادة ثيرمي إليه؛ وعلى إثر ذلك انضم بيرديكاس على الفور إلى الأثينيين وفورميو في حملة ضد الخلقيديين. وهكذا أصبح سيتالسيس، ابن تيريس، ملك التراقيين، وبيرديكاس، ابن الإسكندر، ملك المقدونيين، حلفاء لأثينا.

وفي الوقت نفسه كان الأثينيون في المائة سفينة ما زالوا يبحرون حول البيلوبونيز. وبعد أن استولوا على سوليوم، وهي بلدة تابعة لكورنثوس، وقدموا المدينة وأراضيها إلى الأكارنانيين من بالايرا، اقتحموا أستاكوس، وطردوا طاغيتها إيفارشوس، وحصلوا على مكان لاتحادهم. ثم أبحروا بعد ذلك إلى جزيرة كيفالينيا واستولوا عليها دون استخدام القوة. تقع كيفالينيا قبالة أكارنانيا ولوكاس، وتتكون من أربع ولايات، الباليين، والكرانيين، والساميين، والبرونيين. وبعد فترة وجيزة عاد الأسطول إلى أثينا. وفي خريف هذا العام غزا الأثينيون منطقة ميجاريد بكامل قواتهم، بما في ذلك الأجانب المقيمين، تحت قيادة بريكليس، ابن زانثيبوس. وكان الأثينيون في المائة سفينة حول البيلوبونيز في طريقهم إلى الوطن قد وصلوا لتوهم إلى إيجينا، وعندما سمعوا أن المواطنين في الوطن كانوا بكامل قوتهم في ميجارا، أبحروا الآن وانضموا إليهم. كان هذا بلا شك أكبر جيش أثينيين تم تجميعه على الإطلاق، حيث كانت الدولة لا تزال في أوج قوتها ولم يصبها الطاعون. كان في الميدان عشرة آلاف من المشاة الثقيلة، جميعهم من المواطنين الأثينيين، بالإضافة إلى الثلاثة آلاف الذين

كانوا في طريقهم إلى بوتيديا. ثم كان الأجانب المقيمون الذين انضموا إلى الغزو ثلاثة آلاف على الأقل؛ بالإضافة إلى عدد كبير من القوات الخفيفة. لقد نهبوا الجزء الأكبر من الإقليم، ثم انسحبوا. بعد ذلك قام الأثينيون بغزوات أخرى على جزر ميجاريد سنويًا أثناء الحرب، في بعض الأحيان بسلاح الفرسان فقط، وفي بعض الأحيان بكل قواتهم. استمر هذا حتى الاستيلاء على نيصيا. كما حول الأثينيون أتالانتا، الجزيرة الصحراوية قبالة ساحل أوبونتيا، نحو نهاية هذا الصيف إلى موقع محصن، لمنع القراصنة القادمين من أوبس وبقية لوكريس ونهب إيفويا. كانت هذه هي أحداث هذا الصيف بعد عودة البيلوبونيزيين من أتيكا.

وفي الشتاء التالي، أقنع إيفارخوس الأكارنياني، الراغب في العودة إلى أستاكوس، أهل كورنثوس بالإبحار إلى هناك بأربعين سفينة وألف وخمسمائة جندي من المشاة الثقيلة وإعادته إلى وطنه؛ كما استأجر هو بعض المرتزقة. وكان على رأس القوة يوفاميداس، ابن أريستونيموس، وتيموكسينوس، ابن تيموكرات، وإيوماخوس، ابن كريسيس، الذين أبحروا إلى هناك وأعادوه إلى وطنهم، وبعد أن فشلوا في محاولة الاستيلاء على بعض الأماكن على ساحل أكارنان والتي كانوا يرغبون في الاستيلاء عليها، بدأوا رحلتهم إلى الوطن. وبعد أن ساروا على طول الساحل، وصلوا إلى كيفالينيا وهبطوا على أراضي كراني، وخسروا بعض الرجال بسبب خيانة كراني، الذين هاجموهم فجأة بعد أن وافقوا على الصفقة، وأبحروا إلى البحر على عجل وعادوا إلى وطنهم.

وفي نفس الشتاء أقام الأثينيون جنازة على نفقة عامة لمن سقطوا أولاً في هذه الحرب. وكانت هذه عادة أسلافهم، وكانت طريقة الجنازة على النحو التالي: قبل ثلاثة أيام من الحفل، توضع عظام الموتى في خيمة أقيمت؛ ويقدم أصدقاؤهم لأقاربهم ما يحلو لهم من قرابين. وفي موكب الجنازة تحمل توابيت من خشب السرو في عربات، واحدة لكل قبيلة؛ وتوضع عظام المتوفى في نعش قبيلته. ومن بين هذه التوابيت يحمل

نعش فارغ مزين للمفقودين، أي لأولئك الذين لم يتمكن أحد من العثور على جثثهم. وينضم إلى الموكب أي مواطن أو غريب يشاء؛ وتكون هناك قريبات من الإناث للبكاء عند الدفن. يوضع الموتى في قبر عام في الضاحية الجميلة من المدينة، حيث يدفن دائمًا أولئك الذين سقطوا في الحرب؛ باستثناء أولئك الذين قتلوا في ماراثون، الذين دُفنوا في نفس المكان الذي سقطوا فيه لشجاعتهم الفريدة والاستثنائية. وبعد أن توضع الجثث في الأرض، يلقي عليها رجل تختاره الدولة، يتمتع بالحكمة والسمعة الطيبة، مديحًا مناسبًا؛ وبعد ذلك ينصرف الجميع. وهذه هي طريقة الدفن؛ وطوال فترة الحرب، كلما سنحت الفرصة، كان العرف المعمول به يُتبع. وفي غضون ذلك، كان هؤلاء أول من سقطوا، واختير بريكليس، ابن زانثيبوس، ليلقي مديحهم. وعندما حان الوقت المناسب، تقدم من القبر إلى منصة مرتفعة حتى يسمعه أكبر عدد ممكن من الحشد، وتحدث على النحو التالي:

"لقد أشاد معظم أسلافي في هذا المكان بمن جعل هذا الخطاب جزءًا من القانون، وأخبرونا أنه من الجيد إلقاؤه عند دفن أولئك الذين يسقطون في المعركة. أما أنا، فقد كنت لأتصور أن القيمة التي أظهرت نفسها في الأعمال ستكافأ بشكل كافٍ من خلال التكريم الذي تظهره أيضًا الأعمال؛ كما ترون الآن في هذه الجنازة التي تم إعدادها على نفقة الناس. وكان بإمكاني أن أتمنى ألا تتعرض سمعة العديد من الرجال الشجعان للخطر على لسان فرد واحد، ليقف أو يسقط وفقًا لما قاله جيدًا أو سيئًا. لأنه من الصعب التحدث بشكل صحيح حول موضوع يصعب فيه حتى إقناع سامعيك بأنك تتحدث بالحقيقة. من ناحية، قد يعتقد الصديق الذي يعرف كل حقيقة من القصة أن بعض النقاط لم يتم عرضها بالكمال الذي يرغب فيه ويعرف أنها تستحقه؛ من ناحية أخرى، قد يقود الحسد من هو غريب عن الموضوع إلى الشك في المبالغة إذا سمع أي شيء يفوق طبيعته. إن الرجال لا يستطيعون أن يتحملوا سماع مديح الآخرين إلا إذا استطاعوا إقناع أنفسهم بقدرتهم على مساواة الأفعال التي يروونها: وعندما يتم تجاوز هذه النقطة، تأتي الغيرة ومعها عدم التصديق. ومع

ذلك، بما أن أسلافنا قد طبعوا هذه العادة بموافقتهم، فقد أصبح من واجبي أن أطيع القانون وأن أحاول إرضاء رغباتكم وآرائكم المختلفة قدر استطاعتي.

"سأبدأ بأسلافنا: من العدل واللياقة أن يكون لهم شرف الذكر الأول في مناسبة مثل هذه. لقد سكنوا البلاد دون انقطاع في الخلافة من جيل إلى جيل، ونقلوها بحرية إلى الوقت الحاضر ببسالتهم. وإذا كان أسلافنا الأقدم يستحقون الثناء، فإن آباءنا يستحقون الثناء أكثر بكثير، الذين أضافوا إلى ميراثهم الإمبراطورية التي نمتلكها الآن، ولم يدخروا أي جهد ليكونوا قادرين على ترك مكتسباتهم لنا من الجيل الحالي. أخيرًا، هناك أجزاء قليلة من ممتلكاتنا لم يتم توسيعها من قبل أولئك منا هنا، الذين ما زالوا في قوة الحياة إلى حد ما؛ بينما زودنا الوطن الأم بكل ما يمكن أن يمكنها من الاعتماد على مواردها الخاصة سواء للحرب أو للسلام. إن الجزء من تاريخنا الذي يتحدث عن الإنجازات العسكرية التي منحتنا العديد من الممتلكات، أو عن الشجاعة التي تمكنا بها نحن أو آباؤنا من وقف موجة العدوان اليوناني أو الأجنبي، هو موضوع مألوف جدًا لسامعي ولا يمكنني التوسع فيه، لذلك سأتجاوزه. ولكن ما هو الطريق الذي وصلنا به إلى هذا الوضع، وما هو شكل الحكومة التي نمت في ظلها عظمتنا، وما هي العادات الوطنية التي نشأت عنها؛ هذه هي الأسئلة التي قد أحاول حلها قبل أن أشرع في مدح هؤلاء الرجال؛ لأنني أعتقد أن هذا موضوع يمكن للمتحدث أن يتناوله في هذه المناسبة، والذي يمكن أن يستمع إليه الجميع، سواء كانوا مواطنين أو أجانب، بكل سرور.

"إن دستورنا لا ينسخ قوانين الدول المجاورة؛ بل إننا نعتبر نموذجاً للآخرين وليس مجرد مقلدين لأنفسنا. إن إدارتها تصب في مصلحة الأغلبية وليس الأقلية؛ ولهذا السبب تُسمى ديمقراطية. وإذا نظرنا إلى القوانين، نجد أنها توفر العدالة المتساوية للجميع في اختلافاتهم الخاصة؛ وإذا لم يكن هناك مكانة اجتماعية، فإن التقدم في الحياة العامة يقع على عاتق السمعة والكفاءة، ولا يُسمح للاعتبارات الطبقية

بالتدخل في الجدارة؛ ولا يمنع الفقر الطريق، وإذا كان الرجل قادراً على خدمة الدولة، فلن يعوقه غموض حالته. إن الحرية التي نتمتع بها في حكومتنا تمتد أيضاً إلى حياتنا العادية. فهناك، بعيداً عن ممارسة المراقبة الغيورة على بعضنا البعض، لا نشعر بأننا مدعوون إلى الغضب من جارنا لأنه فعل ما يحبه، أو حتى الانغماس في تلك النظرات المؤذية التي لا بد أن تكون مسيئة، على الرغم من أنها لا تفرض أي عقوبة إيجابية. ولكن كل هذه السهولة في علاقاتنا الخاصة لا تجعلنا خارجين عن القانون كمواطنين. إن دفاعنا الرئيسي ضد هذا الخوف هو الذي يعلمنا أن نطيع القضاة والقوانين، وخاصة تلك التي تتعلق بحماية المتضررين، سواء كانت موجودة بالفعل في كتاب القانون، أو تنتمي إلى ذلك القانون الذي، على الرغم من أنه غير مكتوب، لا يمكن كسره دون عار معترف به.

"وعلاوة على ذلك، فإننا نوفر الكثير من الوسائل التي تمكن العقل من تجديد نشاطه بعد العمل. فنحن نحتفل بالألعاب والتضحيات على مدار العام، وتشكل أناقة مؤسساتنا الخاصة مصدرًا يوميًا للمتعة وتساعد في طرد الطحال؛ في حين تجذب ضخامة مدينتنا منتجات العالم إلى ميناءنا، بحيث أصبحت ثمار البلدان الأخرى بالنسبة للأثيني ترفًا مألوفًا مثل ثمار بلده.

"إذا تحولنا إلى سياستنا العسكرية، فهناك أيضًا نختلف عن خصومنا. فنحن نفتح مدينتنا للعالم، ولا نستبعد الأجانب أبدًا من أي فرصة للتعلم أو المراقبة بأفعال أجنبية، على الرغم من أن عيون العدو قد تستفيد أحيانًا من كرمنا؛ فنحن لا نثق في النظام والسياسة بقدر ما نثق في الروح الأصلية لمواطنينا؛ بينما في التعليم، حيث يسعى منافسونا منذ المهد من خلال الانضباط المؤلم إلى الرجولة، في أثينا نعيش تمامًا كما يحلو لنا، ومع ذلك فنحن على استعداد لمواجهة كل خطر مشروع. وللدليل على ذلك، يمكن ملاحظة أن اللاكديمونيين لا يغزون بلادنا بمفردهم، بل يجلبون معهم جميع حلفائهم؛ بينما نحن الأثينيون نتقدم دون دعم إلى أراضي جارنا،

ونقاتل على أرض أجنبية عادة ما نهزم بسهولة الرجال الذين يدافعون عن ديارهم. لم تواجه قوتنا الموحدة أي عدو حتى الآن، لأنه يتعين علينا الاهتمام ببحريتنا وإرسال مواطنينا براً في مائة خدمة مختلفة؛ "وبالتالي، فإن النجاح ضد أي فرقة، أينما اشتبكوا مع جزء من قوتنا، يتضخم إلى انتصار على الأمة، والهزيمة إلى نكسة يعاني منها شعبنا بأكمله. ومع ذلك، إذا كنا لا نزال على استعداد لمواجهة الخطر، ليس بالعادات التي نكتسبها من العمل بل بالراحة، والشجاعة التي لا نكتسبها من الفن بل من الطبيعة، فإننا نتمتع بميزة مزدوجة تتمثل في الهروب من تجربة المصاعب في وقت الضيق ومواجهتها في ساعة الحاجة بشجاعة لا تقل عن أولئك الذين لا يتحررون منها أبدًا.

"وليس هذا هو الجانب الوحيد الذي تستحق مدينتنا الإعجاب به. فنحن نزرع الرقي دون إسراف، ونزرع المعرفة دون أنوثة؛ ونستخدم الثروة أكثر للأغراض الشخصية من الاستعراض، ونضع العار الحقيقي للفقر ليس في الاعتراف بالحقيقة بل في رفض النضال ضدها. إن رجالنا العموميين لديهم، إلى جانب السياسة، شؤونهم الخاصة التي يجب الاهتمام بها، ومواطنونا العاديون، على الرغم من انشغالهم بملاحقات الصناعة، لا يزالون قضاة عادلين في الشؤون العامة؛ فعلى عكس أي أمة أخرى، نعتبر من لا يشارك في هذه الواجبات ليس غير طموح بل عديم الفائدة. فنحن الأثينيون قادرون على الحكم في جميع الأحوال إذا لم نتمكن من الإبداع، وبدلاً من النظر إلى المناقشة باعتبارها حجر عثرة في طريق العمل، نعتقد أنها مقدمة لا غنى عنها لأي عمل حكيم على الإطلاق. مرة أخرى، نقدم في مشاريعنا مشهدًا فريدًا من الجرأة والتروي، كل منهما يصل إلى أعلى نقطة، وكلاهما متحد في نفس الأشخاص؛ إننا نتمتع بصفات الكرم، إذ نكتسب أصدقاءنا من خلال منحنا لهم، وليس من خلال تلقينا لهم. ولكن من يقدم لنا معروفاً هو الصديق الأكثر ثباتاً بين الاثنين، وذلك من أجل أن يظل المتلقي مديناً بفضل لطفه المتواصل؛ في حين يشعر المدين بقدر أقل من الحماس من إدراكه أن العائد الذي سيقدمه سيكون بمثابة سداد، وليس هدية

مجانية. والأثينيون وحدهم هم الذين يمنحون منافعهم، دون خوف من العواقب، لا من حسابات الملاءمة، بل من خلال الثقة في الكرم.

"باختصار، أقول إننا كمدينة نعتبر مدرسة اليونان، في حين أشك في أن العالم يستطيع أن ينتج رجلاً، حيث لا يعتمد إلا على نفسه، قادر على مواجهة مثل هذه الحالات الطارئة، ومتمتع بمثل هذه القدرة على التعددية، مثل الأثيني. وهذا ليس مجرد تفاخر يُلقى في مناسبة ما، بل إنه أمر واقع واضح، تثبته قوة الدولة المكتسبة من خلال هذه العادات. فأثينا وحدها من معاصريها التي يُكتشف عند اختبارها أنها أعظم من سمعتها، وهي وحدها التي لا تمنح مهاجميها أي فرصة للخجل من الخصم الذي هزمهم، أو لرعاياها للتشكيك في جدارتها بالحكم. بل إن إعجاب العصور الحالية والقادمة سيكون من نصيبنا، لأننا لم نترك قوتنا دون شاهد، بل أظهرناها بأدلة قوية؛ ولقد أرغمنا كل البحار والمحيطات على أن تكون طرقاً لمغامراتنا، وفي كل مكان، سواء كان ذلك للشر أو للخير، تركنا وراءنا آثاراً خالدة. وهذه هي أثينا التي حارب من أجلها هؤلاء الرجال ببسالة وماتوا في سبيلها، تأكيداً منهم على عزمهم على عدم خسارتها؛ ولنأمل أن يكون كل من بقي منهم على قيد الحياة على استعداد للمعاناة في سبيلها.

"إنني إذا ما تحدثت بإسهاب عن طبيعة بلادنا، فإنني كنت أريد أن أوضح أن حصتنا في النضال ليست هي نفسها حصة هؤلاء الذين ليس لديهم مثل هذه النعم ليخسروها، وأن المديح الذي يوجه إلى الرجال الذين أتحدث عنهم الآن قد يكون مثبتاً بالأدلة القاطعة. إن هذا المديح قد اكتمل الآن إلى حد كبير؛ لأن أثينا التي أشيد بها ليست سوى ما صنعته لها بطولة هؤلاء وأمثالهم، رجال لن نجد شهرتهم، على عكس شهرة معظم اليونانيين، إلا بما يتناسب مع استحقاقاتهم. وإذا أردنا أن نختبر الجدارة، فسوف نجدها في المشهد الختامي، وهذا ليس فقط في الحالات التي وضع فيها الختم النهائي على استحقاقهم، ولكن أيضًا في الحالات التي أعطى فيها الختم الأول

على استحقاقهم لأي استحقاق. فهناك عدالة في الادعاء بأن الصمود في معارك بلاده يجب أن يكون بمثابة عباءة لتغطية عيوب أخرى لدى الرجل؛ "لأن العمل الصالح قد محا الشر، وتفوقت فضائله كمواطن على عيوبه كفرد. ولكن لم يسمح أي من هؤلاء للثروة بما تحمله من أمل في المستقبل أن تزعزع أعصابه، أو للفقر بما يحمله من أمل في يوم من الحرية والثروة أن يغريه بالانسحاب من الخطر. كلا، لقد اعتقدوا أن الانتقام من أعدائهم كان أكثر رغبة من أي نعمة شخصية، واعتبروا هذا أعظم المخاطر، فقرروا بفرح قبول المجازفة، والتأكد من انتقامهم، وترك رغباتهم تنتظر؛ وبينما كانوا يأملون في عدم اليقين من النجاح النهائي، رأوا أنه من المناسب أن يتصرفوا بجرأة وأن يثقوا في أنفسهم في المهمة التي تنتظرهم. وبالتالي اختاروا الموت مقاومين، بدلاً من العيش خاضعين، فهربوا فقط من العار، لكنهم واجهوا الخطر وجهاً لوجه، وبعد لحظة وجيزة، بينما كانوا في قمة ثروتهم، نجوا ليس من خوفهم، بل من مجدهم.

"لقد مات هؤلاء الرجال كما يليق بالأثينيين. وأنتم، الناجون منهم، يجب أن تصمموا على اتخاذ قرار ثابت في الميدان، ولو أنكم قد تصلون إلى الله أن تكون النتيجة أكثر سعادة. ولا تكتفوا بالأفكار المستمدة فقط من الكلمات عن المزايا المرتبطة بالدفاع عن بلادكم، على الرغم من أن هذه الأفكار قد توفر نصًا قيمًا للمتحدث حتى أمام جمهور واعٍ لها مثل الحاضر، بل يجب أن تدركوا أنفسكم قوة أثينا، وأن تغذي أعينكم بها من يوم لآخر، حتى يملأ حبها قلوبكم؛ وحينئذٍ، عندما تنكسر عظمتها عليكم، يجب أن تدركوا أن الرجال تمكنوا من الفوز بكل هذا بفضل الشجاعة والشعور بالواجب والشعور الشديد بالشرف في العمل، وأن أي فشل شخصي في أي مشروع لا يمكن أن يجعلهم يوافقون على حرمان بلادهم من شجاعتهم، لكنهم وضعوها عند قدميها باعتبارها أعظم مساهمة يمكنهم تقديمها. "ولهذا التضحية بحياتهم التي قدموها جميعًا على نحو مشترك، نال كل واحد منهم على حدة ذلك الصيت الذي لا ينضب أبدًا، ولأجل قبر، ليس القبر الذي وُضِعَت فيه عظامهم، بل ذلك الضريح الأشرف

الذي دُفِنَت فيه مجدهم ليُذكَر إلى الأبد في كل مناسبة تستدعي فيها أفعالهم أو قصصهم إحياء ذكراهم. فالأبطال لديهم الأرض كلها مقابر لهم؛ وفي البلدان البعيدة عن بلادهم، حيث يعلن العمود الذي يحمل نقشه التذكاري ذلك، يوجد في كل صدر سجل غير مكتوب لا يحفظه إلا القلب. هؤلاء يتخذونك قدوة، ويحكمون بأن السعادة هي ثمرة الحرية وحرية الشجاعة، ولا يرفضون أبدًا مخاطر الحرب. فليس البائسون هم الذين يستحقون أن يكونوا غير مبالين بحياتهم؛ فهؤلاء ليس لديهم ما يأملون فيه: بل هم أولئك الذين قد تجلب لهم الحياة المستمرة انتكاسات لم يعرفوها بعد، والذين إذا حدث لهم السقوط، فسيكون ذلك أشد عواقبه فظاعة. ومن المؤكد أن انحطاط الجبن بالنسبة لرجل ذي روح يجب أن يكون أشد إيلامًا من الموت غير المحسوس الذي يضربه في خضم قوته ووطنيته!

"لذا فإنني أقدم العزاء وليس التعزية لآباء الموتى الذين قد يكونون هنا. إن الفرص التي تخضع لها حياة الإنسان لا تعد ولا تحصى، كما يعلمون؛ ولكن من حسن حظ أولئك الذين يحظون بموت مجيد مثل الذي تسبب في حزنك، والذين تم قياس حياتهم بدقة بحيث تنتهي بالسعادة التي مرت بها. ومع ذلك، أعلم أن هذا قول صعب، خاصة عندما يتعلق الأمر بأولئك الذين ستتذكرهم باستمرار من خلال رؤية النعم في منازل الآخرين والتي كنت تفتخر بها ذات يوم: فالحزن لا نشعر به كثيرًا بسبب نقص ما لم نعرفه أبدًا، بل لفقدان ما اعتدنا عليه منذ فترة طويلة. ومع ذلك، يجب أن تتحملوا أنتم الذين ما زلتم في سن إنجاب الأطفال على أمل أن يكون لديكم آخرون بدلاً منهم؛ لن يساعدكم هؤلاء على نسيان أولئك الذين فقدتموهم فحسب، بل سيكونون أيضًا بمثابة تعزيز وأمان للحالة؛ "فمن غير الممكن أن نتوقع من المواطن الذي لا يضع مصالح ومخاوف والده في الحسبان، مثل أقرانه، أن يتبنى سياسة عادلة وعادلة. أما أولئك الذين تجاوزوا أوج شبابهم، فعليهم أن يهنئوا أنفسهم بفكرة أن أفضل جزء من حياتهم كان محظوظًا، وأن الفترة القصيرة المتبقية سوف تسعد بسمعة الراحلين. ذلك أن حب الشرف وحده هو الذي لا يشيخ أبدًا؛

والشرف، وليس المكسب، كما يظن البعض، هو الذي يفرح قلب الشيخوخة والعجز."

"أما فيما يتعلق بأبناء أو إخوة الموتى، فإنني أرى صراعًا شاقًا أمامكم. فعندما يرحل رجل، يميل الجميع إلى مدحه، وإذا كانت فضائلكم سامية إلى هذا الحد، فستجدون صعوبة في التفوق عليه فحسب، بل وحتى الاقتراب من شهرته. إن الأحياء لديهم حسد يتنافسون معه، بينما أولئك الذين لم يعودوا في طريقنا يتم تكريمهم بحسن نية لا يدخل فيه التنافس. من ناحية أخرى، إذا كان علي أن أقول أي شيء عن التميز الأنثوي لأولئك منكم الذين سيصبحون الآن أرملين، فسوف يكون كل ذلك في هذه النصيحة القصيرة. سيكون مجدكم عظيمًا في عدم التقصير في شخصيتكم الطبيعية؛ وسيكون أعظم مجدها هو الذي لا يتحدث عنه الرجال كثيرًا، سواء كان ذلك للأفضل أو للأسوأ.

"لقد انتهت مهمتي الآن. لقد قمت بها بأفضل ما في وسعي، وبالقول على الأقل، تم الوفاء بمتطلبات القانون الآن. وإذا كانت الأفعال موضع شك، فإن أولئك الذين دُفنوا هنا قد تلقوا بالفعل جزءًا من تكريمهم، وبالنسبة للباقي، سيتم تربية أطفالهم حتى الرجولة على نفقة الدولة: وبالتالي تقدم الدولة جائزة قيمة، كإكليل النصر في سباق الشجاعة هذا، لمكافأة كل من سقطوا وناجينهم. وحيث تكون مكافآت الاستحقاق أعظم، يوجد أفضل المواطنين.

"والآن بعد أن أنهيت رثاء أقاربك، فيمكنك الرحيل."

الفصل السابع

السنة الثانية من الحرب - وباء أثينا - موقف وسياسة بريكليس - سقوط بوتيديا

"وكانت هذه الجنازة التي أقيمت خلال هذا الشتاء الذي انتهى به العام الأول من الحرب. ففي الأيام الأولى من الصيف غزا اللاكيديمونيون وحلفاؤهم، بثلثي قواتهم كما في السابق، أتيكا بقيادة أرشيداموس، ابن زيوكسيداموس ملك اللاكيداموس، واستقروا هناك ودمروا البلاد. وبعد أيام قليلة من وصولهم إلى أتيكا بدأ الطاعون يظهر لأول مرة بين الأثينيين. وقيل إنه انتشر في العديد من الأماكن سابقًا في جوار ليمنوس وأماكن أخرى؛ لكن لم يذكر أحد وباءً بهذا القدر من الانتشار والموت. ولم يكن الأطباء في البداية مفيدين، على الرغم من جهلهم بالطريقة الصحيحة لعلاجه، لكنهم ماتوا هم أنفسهم بأعداد كبيرة، لأنهم كانوا يزورون المرضى في أغلب الأحيان؛ ولم تنجح أي فن بشري بشكل أفضل. ووجد أن الدعاء في المعابد، والتنبؤات، وما إلى ذلك، عديمة الفائدة بنفس القدر، حتى أوقفتها الطبيعة الساحقة للكارثة أخيرًا.

لقد بدأ هذا الوباء أولاً، كما يقال، في أجزاء من أثيوبيا فوق مصر، ثم انتقل إلى مصر وليبيا ومعظم بلاد الملك. ثم هاجم فجأة أثينا، وهاجم أولاً سكان بيرايوس. وهو ما كان سبباً في قولهم إن أهل بيلوبونيز قد سمموا خزانات المياه، حيث لم تكن هناك آبار هناك بعد. ثم ظهر بعد ذلك في المدينة العليا، حيث أصبحت الوفيات أكثر تكراراً. إن كل التكهنات حول أصل هذا الوباء وأسبابه، إذا ما وجدنا أسباباً كافية لإحداث مثل هذا الاضطراب الشديد، أتركها لكتاب آخرين، سواء كانوا من عامة الناس أو من المحترفين؛ أما أنا فسوف أكتفي بسرد طبيعته، وشرح الأعراض التي قد يتمكن الطالب من التعرف عليها، إذا ما انتشر مرة أخرى. وهذا ما أستطيع أن أفعله على أفضل وجه، حيث أصبت بالمرض بنفسي، وراقبت عمله في حالة آخرين.

"إن هذا العام كان خالياً من الأمراض بشكل غير مسبوق؛ وقد تم تحديد عدد قليل من الحالات التي حدثت في هذا العام. ولكن كقاعدة عامة، لم يكن هناك سبب واضح؛ ولكن الأشخاص الذين يتمتعون بصحة جيدة أصيبوا فجأة بحرارة شديدة في الرأس، واحمرار والتهاب في العينين، وأصبحت الأجزاء الداخلية، مثل الحلق أو

اللسان، دموية وصدرت منها رائحة كريهة وغير طبيعية. وتبع هذه الأعراض العطاس وبحة في الصوت، وبعد ذلك وصل الألم إلى الصدر، وأدى إلى سعال قوي. وعندما استقر في المعدة، انزعجت؛ وتبع ذلك إفرازات من الصفراء من كل نوع ذكره الأطباء، مصحوبة بضيق شديد. وفي معظم الحالات، تبع ذلك أيضًا تقيؤ غير فعال، مما أدى إلى تشنجات عنيفة، والتي توقفت في بعض الحالات بعد فترة وجيزة، وفي حالات أخرى بعد ذلك بكثير. لم يكن الجسم خارجيًا ساخنًا جدًا عند اللمس، ولا شاحبًا في مظهره، بل كان محمرًا، شاحبًا، وينفجر في بثور صغيرة وقرح. ولكن من الداخل كان المرض يحرق المريض حتى أنه لم يعد يتحمل ارتداء الملابس أو البياضات حتى من النوع الخفيف للغاية؛ أو حتى أن يظل عاريًا تمامًا. وكان من الأفضل أن يلقي المريض نفسه في الماء البارد؛ كما فعل بالفعل بعض المرضى المهملين، الذين انغمسوا في خزانات المياه في عذابات العطش التي لا يمكن إرواءها؛ على الرغم من أنه لا يهم ما إذا كانوا يشربون القليل أو الكثير. بالإضافة إلى ذلك، فإن الشعور البائس بعدم القدرة على الراحة أو النوم لم يتوقف عن تعذيبهم. وفي الوقت نفسه، لم يكن الجسم يضعف طالما كان المرض في ذروته، بل صمد أمام ويلاته؛ حتى أنه عندما استسلم، كما في معظم الحالات، في اليوم السابع أو الثامن للالتهاب الداخلي، كان لا يزال لديه بعض القوة. ولكن إذا تجاوزوا هذه المرحلة، ونزل المرض إلى الأمعاء، مما تسبب في تقرحات عنيفة مصحوبة بإسهال شديد، فإن هذا يؤدي إلى ضعف كان مميتًا بشكل عام. "فإن المرض يستقر أولاً في الرأس، ثم يمتد من هناك إلى جميع أنحاء الجسم، وحتى في الأماكن التي لا يؤدي فيها إلى الوفاة، فإنه يترك أثره على الأطراف؛ فقد يستقر في الأجزاء التناسلية، أصابع اليدين والقدمين، وقد نجا كثيرون بفقدان هذه الأصابع، وبعضهم فقدوا أعينهم أيضًا. وأصيب آخرون بفقدان كامل للذاكرة عند تعافيهم لأول مرة، ولم يعرفوا أنفسهم أو أصدقاءهم"

ولكن في حين كانت طبيعة هذا المرض من النوع الذي حير كل وصف، وكانت هجماته شديدة للغاية بحيث لا تتحملها الطبيعة البشرية، إلا أنه في الظروف التالية

كان الفرق بينه وبين جميع الأمراض العادية واضحًا للغاية. فكل الطيور والحيوانات التي تفترس أجساد البشر إما امتنعت عن لمسها (على الرغم من وجود العديد منها ملقى دون دفن)، أو ماتت بعد تذوقها. وإثباتًا لهذا، لوحظ أن الطيور من هذا النوع اختفت بالفعل؛ ولم تكن موجودة بالقرب من الجثث، أو يمكن رؤيتها على الإطلاق. ولكن بالطبع يمكن دراسة التأثيرات التي ذكرتها بشكل أفضل في حيوان أليف مثل الكلب.

كانت هذه هي السمات العامة للمرض، إذا تجاوزنا أنواع الحالات الخاصة التي كانت كثيرة ومميزة. وفي الوقت نفسه، كانت المدينة تتمتع بحصانة من جميع الاضطرابات العادية؛ أو إذا حدثت أي حالة، انتهت إلى هذا. مات البعض بسبب الإهمال، ومات آخرون وسط كل الاهتمام. لم يتم العثور على علاج يمكن استخدامه كعلاج محدد؛ لأن ما كان مفيدًا في حالة ما، قد يضر في حالة أخرى. أثبتت البنيات القوية والضعيفة أنها غير قادرة على المقاومة على حد سواء، حيث تم اجتياحها جميعًا على حد سواء، على الرغم من اتباع أقصى درجات الحذر. كانت السمة الأكثر فظاعة في المرض هي الاكتئاب الذي يتبعه أي شخص عندما يشعر بالمرض، لأن اليأس الذي وقع فيه على الفور سلب قوتهم على المقاومة، وتركهم فريسة أسهل بكثير للاضطراب؛ بالإضافة إلى المشهد الرهيب للرجال الذين يموتون مثل الخراف، من خلال التقاط العدوى أثناء رعاية بعضهم البعض. تسبب هذا في أكبر عدد من الوفيات. من ناحية، إذا خافوا من زيارة بعضهم البعض، فقد هلكوا بسبب الإهمال؛ ولقد كان من الطبيعي أن يضطر المرضى إلى التضحية بأنفسهم في سبيل إنقاذ أنفسهم من الموت، حتى أن العديد من المنازل كانت تخلو من نزلائها بسبب نقص الممرضات، ومن ناحية أخرى، إذا تجرأوا على فعل ذلك، فإنهم كانوا يعاقبون بالموت. وكان هذا هو الحال بشكل خاص مع أولئك الذين ادّعوا الخير: فقد جعلهم الشرف لا يرحمون أنفسهم في حضورهم إلى بيوت أصدقائهم، حيث كان حتى أفراد الأسرة قد استنفدوا أخيرًا من أنين المحتضرين، واستسلموا لقوة الكارثة. ومع ذلك، فقد وجد المرضى

والمحتضرون أكبر قدر من التعاطف مع أولئك الذين تعافوا من المرض. لقد عرفوا ما هو عليه من خلال التجربة، ولم يعد لديهم أي خوف على أنفسهم؛ لأن نفس الرجل لم يتعرض للهجوم مرتين - على الأقل لم يكن مميتًا. وهؤلاء الأشخاص لم يتلقوا تهنئة الآخرين فحسب، بل كانوا أيضًا، في نشوة اللحظة، يستمتعون بأمل باطل في أنهم في المستقبل آمنون من أي مرض على الإطلاق.

ولقد تفاقمت الكارثة القائمة بسبب تدفق المهاجرين من الريف إلى المدينة، وقد شعر بهذا الأمر الوافدون الجدد بشكل خاص. ولأنه لم تكن هناك منازل لاستقبالهم، فقد كان لزاماً عليهم أن يأووا في موسم الحر من العام في أكواخ خانقة، حيث كان الموت يشتعل بلا هوادة. وكانت جثث الرجال المحتضرين ملقاة فوق بعضها البعض، وكانت المخلوقات شبه الميتة تتدحرج في الشوارع وتتجمع حول كل النوافير في شوقها إلى الماء. وكانت الأماكن المقدسة التي أقاموا فيها مليئة بجثث الأشخاص الذين ماتوا هناك، كما كانت هي؛ فمع تجاوز الكارثة لكل الحدود، أصبح الناس، الذين لم يعرفوا ما الذي سيحدث لهم، مهملين تماماً لكل شيء، سواء كان مقدساً أو دنيوياً. وقد تم إفساد كل طقوس الدفن التي كانت معمولاً بها من قبل، ودفنوا الجثث بأفضل ما يمكنهم. كان العديد من الناس، بسبب افتقارهم إلى الأدوات المناسبة، وبسبب وفاة العديد من أصدقائهم بالفعل، يلجأون إلى أكثر المدافن وقاحة: في بعض الأحيان، بدءًا من أولئك الذين رفعوا كومة، كانوا يلقون بجثثهم الميتة على محرقة الغريب ويشعلونها؛ وفي أحيان أخرى كانوا يلقون بالجثة التي كانوا يحملونها فوق جثث أخرى كانت تحترق، وهكذا ينطلقون.

ولم يكن هذا هو الشكل الوحيد للإسراف غير القانوني الذي يرجع أصله إلى الطاعون. فقد غامر الناس الآن ببرودة بما كانوا يفعلونه سابقًا في الزاوية، وليس كما يحلو لهم، حيث رأوا التحولات السريعة التي نتجت عن موت الأشخاص المزدهرين فجأة وأولئك الذين لم يكن لديهم أي شيء من قبل يخلفون ممتلكاتهم. لذلك قرروا

الإنفاق بسرعة والاستمتاع بأنفسهم، معتبرين حياتهم وثرواتهم أشياء متشابهة في يوم واحد. لم يكن المثابرة فيما أطلق عليه الناس الشرف أمرًا شائعًا لدى أي شخص، وكان من غير المؤكد ما إذا كان سيتم توفيرهم لتحقيق الهدف؛ ولكن تم الاتفاق على أن المتعة الحالية، وكل ما يساهم فيها، كانت مشرفة ومفيدة. لم يكن هناك من يكبح جماحهم، خوفًا من الآلهة أو قانون الإنسان. أما بالنسبة للأول، فقد حكموا بأنه سواء كانوا يعبدونهم أم لا، لأنهم رأوا الجميع يهلكون على حد سواء؛ وبالنسبة للأخير، لم يكن أحد يتوقع أن يعيش حتى يتم تقديمه للمحاكمة على جرائمه، بل كان كل واحد يشعر بأن حكمًا أشد بكثير قد صدر عليهم جميعًا ومعلقًا فوق رؤوسهم إلى الأبد، وقبل أن يقع هذا الحكم كان من المعقول أن يستمتعوا بالحياة قليلاً.

كانت هذه طبيعة الكارثة، وقد أثقلت كاهل الأثينيين بشدة؛ فكان الموت يعم المدينة والدمار يعم خارجها. ومن بين الأشياء الأخرى التي تذكروها في محنتهم، بطبيعة الحال، الآية التالية التي قال الشيوخ إنها نُطِقَت منذ زمن بعيد:

ستأتي حرب دوريان ومعها الموت.

ولقد نشأ نزاع حول ما إذا كانت المجاعة وليس الموت هي الكلمة التي وردت في الآية؛ ولكن في هذه اللحظة تقرر بالطبع أن الموت هو الكلمة الأخيرة؛ لأن الناس جعلوا ذكرياتهم تتناسب مع معاناتهم. ولكنني أتصور أنه إذا ما اندلعت حرب دوريانية أخرى بعد ذلك، وحدثت المجاعة، فمن المحتمل أن نقرأ الآية على هذا النحو. كما أن أولئك الذين عرفوا النبوءة التي أعطيت للساكديمونيين تذكروا الآن النبوءة التي قيلت لهم. فعندما سئل الإله عما إذا كان ينبغي لهم أن يذهبوا إلى الحرب، أجاب أنه إذا بذلوا قصارى جهدهم في الحرب، فإن النصر سيكون من نصيبهم، وأنه سيكون معهم هو نفسه. ومن المفترض أن تتطابق الأحداث مع هذه النبوءة. فقد اندلع الطاعون بمجرد غزو البيلوبونيز لأتيكا، ولم يدخل البيلوبونيز قط (على الأقل ليس

إلى الحد الذي يستحق الملاحظة)، بل ارتكب أسوأ أعماله في أثينا، وبعدها في أكثر المدن اكتظاظًا بالسكان. وكان هذا هو تاريخ الطاعون.

وبعد أن اجتاح البيلوبونيزيون السهل، تقدموا إلى منطقة باراليا حتى بلغوا لوريوم، حيث توجد مناجم الفضة الأثينية، ودمروا أولاً الجانب المطل على البيلوبونيز، ثم الجانب المواجه لجزيرة أوبيا وأندروس. ولكن بريكليس، الذي كان لا يزال قائداً، كان له نفس الرأي الذي تبناه في الغزو السابق، ولم يسمح للأثينيين بالزحف ضدهم.

ولكن بينما كانوا لا يزالون في السهل، ولم يدخلوا بعد إلى أرض باراليان، أعد مائة سفينة مسلحة إلى بيلوبونيز، وعندما أصبح كل شيء جاهزًا أبحر. على متن السفن أخذ أربعة آلاف من المشاة الثقيلة الأثينيين، وثلاثمائة من سلاح الفرسان في عربات الخيول، ثم صنع لأول مرة من القوادس القديمة؛ خمسون سفينة تشيانية وليزبيانية انضمت أيضًا إلى الحملة. عندما أبحرت هذه التسليح الأثيني، تركت البيلوبونيزيين في أتيكا في منطقة باراليان. عند وصولهم إلى إبيداوروس في بيلوبونيز، دمروا معظم المنطقة، بل وكانوا يأملون في الاستيلاء على المدينة بالهجوم: لكنهم لم ينجحوا في هذا. "وبعد أن انطلقوا من إبيداوروس، دمروا أراضي تروزين وهاليس وهيرميوني، وهي كلها مدن على ساحل البيلوبونيز، ومن ثم أبحروا إلى براسياي، وهي مدينة بحرية في لاكونيا، ودمروا جزءًا من أراضيها، واستولوا على المكان نفسه ونهبوه؛ وبعد ذلك عادوا إلى ديارهم، لكنهم وجدوا البيلوبونيزيين قد رحلوا ولم يعودوا في أتيكا.

طوال الوقت الذي قضاه البيلوبونيزيون في أتيكا والأثينيون في حملتهم على متن سفنهم، ظل الرجال يموتون بسبب الطاعون سواء في التسلح أو في أثينا. والواقع أنه كان هناك من يزعم أن رحيل البيلوبونيزيين كان بسبب الخوف من الفوضى؛ حيث سمعوا من الفارين أن الطاعون كان في المدينة، وكانوا قادرين أيضًا على رؤية عمليات الدفن الجارية. ومع ذلك، فقد مكثوا في هذا الغزو أطول من أي غزو آخر، ودمروا البلاد بأكملها، حيث مكثوا في أتيكا حوالي أربعين يومًا.

"وفي نفس الصيف استولى هاجنون بن نيسياس وكليوبومبوس بن كلينياس، زملاء بريكليس، على الأسلحة التي استخدمها مؤخرًا، وانطلقا في حملة ضد الخلقيديين في اتجاه تراقيا وبوتيديا، التي كانت لا تزال تحت الحصار. وبمجرد وصولهما، أحضرا محركاتهما إلى بوتيديا وحاولا بكل الوسائل الاستيلاء عليها، لكنهما لم ينجحا في الاستيلاء على المدينة أو في القيام بأي شيء آخر يستحق استعداداتهما. فقد هاجمهم الطاعون هنا أيضًا، وأحدث دمارًا كبيرًا لدرجة أنه شللهم تمامًا، حتى جنود الحملة السابقة الذين كانوا أصحاء سابقًا أصيبوا بالعدوى من قوات هاجنون؛ بينما نجا فورميون وستمائة رجل كانوا يقودهم فقط لأنهم لم يعودوا في جوار الخلقيديين. وكانت نهاية الأمر أن هاجنون عاد بسفنه إلى أثينا، بعد أن خسر ألفًا وخمسين من أصل أربعة آلاف من المشاة الثقيلة في حوالي أربعين يومًا؛ على الرغم من أن الجنود المتمركزين هناك من قبل ظلوا في البلاد وواصلوا حصار بوتيديا.

وبعد الغزو الثاني للبلوبونيزيين، طرأ تغيير على روح الأثينيين. فقد تعرضت بلادهم للدمار مرتين؛ وضربتهم الحرب والوباء في الحال. فبدأوا ينتقدون بريكليس باعتباره مخترع الحرب وسبب كل مصائبهم، وأصبحوا حريصين على التوصل إلى اتفاق مع لاكيدايمون، بل وأرسلوا سفراء إلى هناك، ولكنهم لم ينجحوا في مهمتهم. واكتمل يأسهم الآن وصبوا كل ثقلهم على بريكليس. وعندما رأى أنهم مستاؤون من التحول الحالي للأمور ويتصرفون بالضبط كما توقع، دعا إلى اجتماع عام (يجب أن نتذكر) بهدف مزدوج يتمثل في استعادة الثقة وقيادتهم من مشاعر الغضب هذه إلى حالة ذهنية أكثر هدوءًا وأملًا. وبناءً على ذلك تقدم إلى الأمام وتحدث على النحو التالي:

"لم أكن جاهلاً بالغضب الذي كنت هدفاً له، فأنا أعرف أسبابه؛ وقد دعوت إلى اجتماع لغرض تذكيركم ببعض النقاط، والاحتجاج على غضبكم غير المعقول مني، أو خوفكم من معاناتكم. أنا من رأيي أن العظمة الوطنية هي لصالح المواطنين الأفراد أكثر من أي رفاهية فردية مقترنة بالإذلال العام. قد يكون الرجل شخصيًا في حالة

جيدة للغاية، ومع ذلك إذا دمرت بلاده فلا بد أن يدمر معها؛ في حين أن الكومنولث المزدهر يوفر دائمًا فرص الخلاص للأفراد غير المحظوظين. وبما أن الدولة يمكنها أن تدعم مصائب المواطنين الأفراد، بينما لا يستطيعون دعم مصائبها، فمن المؤكد أن من واجب كل فرد أن يكون في المقدمة في الدفاع عنها، وليس مثلك أن تكون مرتبكًا بسبب آلامك الداخلية إلى الحد الذي يجعلك تتخلى عن كل أفكار السلامة العامة، وتلومني لأنني نصحت بالحرب وأنتم لأنفسكم للتصويت عليها. ولكن إذا كنت غاضبًا مني، فذلك من شخص أعتقد أنه لا يضاهى أحد سواء في معرفة السياسة الصحيحة أو في القدرة على شرحها، وهو علاوة على ذلك ليس وطنيًا فحسب بل وصادقًا. إن الرجل الذي يمتلك هذه المعرفة دون تلك القدرة على الشرح قد لا يكون لديه أي فكرة على الإطلاق عن الأمر: إذا كان لديه هاتين الموهبتين، ولكن لا يحب وطنه، فلن يكون سوى مدافع بارد عن مصالحها؛ بينما إذا لم تكن وطنيته محصنة ضد الرشوة، فإن كل شيء سيكون له ثمن. لذلك إذا كنت تعتقد أنني كنت متميزًا حتى بدرجة معتدلة بهذه الصفات عندما أخذت بنصيحتي وذهبت إلى الحرب، فلا يوجد بالتأكيد سبب الآن لاتهامي بارتكاب خطأ.

"بالنسبة لأولئك الذين لديهم حرية الاختيار في الأمر والذين لا تكون ثرواتهم على المحك، فإن الحرب هي أعظم الحماقات. ولكن إذا كان الخيار الوحيد هو بين الخضوع مع فقدان الاستقلال، والخطر على أمل الحفاظ على هذا الاستقلال، في هذه الحالة فإن من لن يقبل المخاطرة هو الذي يستحق اللوم، وليس من سيقبل. أنا نفس الرجل ولا أتغير، أنت من يتغير، لأنك في الواقع أخذت بنصيحتي دون أن تصاب بأذى، وانتظرت سوء الحظ للتوبة عنه؛ والخطأ الواضح في سياستي يكمن في ضعف قرارك، لأن المعاناة التي ينطوي عليها يشعر بها كل شخص بينكم، في حين أن ميزتها لا تزال بعيدة وغامضة للجميع، وبعد أن حلت بك نكسة كبيرة ومفاجئة، فإن عقلك مكتئب للغاية بحيث لا يستطيع المثابرة في قراراتك. لأن الروح ترتجف أمام ما هو مفاجئ وغير متوقع وأقل تقديرًا؛ وبصرف النظر عن كل شيء آخر، فإن

الطاعون كان بالتأكيد حالة طارئة من هذا النوع. ولكن بما أنكم ولدتم كما أنتم مواطنون في دولة عظيمة، وتربيتم على عادات تتناسب مع مولدكم، فيتعين عليكم أن تكونوا مستعدين لمواجهة أعظم الكوارث مع الحفاظ على بريق اسمكم. ذلك أن حكم البشر لا يرحم الضعف الذي يفشل في بلوغ الشهرة المعترف بها، كما يغار من الغطرسة التي تطمح إلى ما هو أعلى مما تستحقه. لذا كفوا عن الحزن على آلامكم الشخصية، وتوجهوا بدلاً من ذلك نحو سلامة المجتمع.

"إذا كنت تخشى الجهود التي تجعلها الحرب ضرورية، وتخشى ألا تسفر في النهاية عن نتيجة سعيدة، فأنت تعرف الأسباب التي أوضحت بها لك مرارًا وتكرارًا عدم صحة مخاوفك. وإذا لم تكن هذه الأسباب كافية، فسأكشف لك الآن عن ميزة ناجمة عن عظمة سيادتك، والتي أعتقد أنها لم تخطر ببالك أبدًا، والتي لم أذكرها أبدًا في خطبي السابقة، والتي لها صوت جريء لدرجة أنني بالكاد أجازف بها الآن، لولا الكساد غير الطبيعي الذي أراه من حولي. ربما تعتقد أن إمبراطوريتك تمتد فقط فوق حلفائك؛ سأعلن لك الحقيقة. يتكون مجال العمل المرئي من جزأين، البر والبحر. في كل من هذين الجزأين، أنت متفوق تمامًا، ليس فقط بقدر ما تستخدمه في الوقت الحالي، ولكن أيضًا إلى أي مدى قد تراه مناسبًا: باختصار، مواردك البحرية من هذا القبيل بحيث يمكن لسفنك أن تذهب إلى حيث تريد، دون أن يتمكن الملك أو أي دولة أخرى على وجه الأرض من إيقافها. "لذلك، ورغم أنكم قد تظنون أن فقدان استخدام أرضكم ومنازلكم يشكل حرماناً كبيراً، إلا أنكم مع ذلك يجب أن تدركوا أن هذه القوة شيء مختلف تماماً؛ وبدلاً من أن تحزنوا بسببها، يجب أن تنظروا إليها في ضوء الحدائق وغيرها من الملحقات التي تزين ثروة كبيرة، وكأنها لا قيمة لها بالمقارنة. ويجب أن تعلموا أيضاً أن الحرية التي تحافظون عليها بجهودكم سوف تستعيد لنا بسهولة ما فقدناه، بينما إذا انحنت الركبتان، فإن ما لديكم سوف يضيع منكم. إن آباءكم الذين تلقوا هذه الممتلكات ليس من الآخرين، بل من أنفسهم، لم يتركوا ما اكتسبوه بجهدهم يفلت من أيديهم، بل سلموها إليكم سالمة؛ وفي هذا

الصدد يجب أن تثبتوا أنكم مساوون لهم على الأقل، متذكرين أن فقدان ما حصلتم عليه أكثر خزياً من الرفض في الحصول عليه، ويجب أن تواجهوا أعداءكم ليس فقط بالروح ولكن بازدراء. إن الثقة التي قد يبعثها الجهل السعيد، حتى في صدر الجبان، هي من نصيب أولئك الذين، مثلنا، قد تأكدوا من تفوقهم على أعدائهم. وحيثما تتشابه الفرص، فإن المعرفة تعزز الشجاعة بالازدراء الذي ينجم عنها، ولا تضع ثقتها في الأمل، الذي يشكل دعامة اليائسين، بل في الحكم القائم على الموارد الموجودة، والتي ينبغي الاعتماد على توقعاتها.

"مرة أخرى، يحق لبلدكم أن تستفيدوا من خدماتكم في دعم أمجاد مكانتها. وهذه مصدر فخر مشترك لكم جميعًا، ولا يمكنكم أن تتنازلوا عن أعباء الإمبراطورية وتتوقعوا أن تشاركوا في شرفها. يجب أن تتذكروا أيضًا أن ما تقاتلون ضده ليس مجرد العبودية كبديل للاستقلال، بل أيضًا خسارة الإمبراطورية والخطر الناجم عن العداوات الناجمة عن ممارستها. علاوة على ذلك، لم يعد التراجع ممكنًا، إذا أصبح أي منكم في حالة من الذعر في هذه اللحظة مفتونًا بأمانة مثل هذا الجزء غير الطموح. لأن ما تتمسكون به هو، بصراحة إلى حد ما، طغيان؛ ربما كان قبوله خطأ، لكن التخلي عنه غير آمن. والرجال الذين يتبنون هذه الآراء المنسحبة، الذين يحولون الآخرين إلى معتنقين، سوف يدمرون الدولة بسرعة؛ والواقع أن النتيجة ستكون هي نفسها إذا تمكنوا من العيش مستقلين بأنفسهم؛ لأن المنسحبين وغير الطموحين لا يأمنون أبدًا بدون حماة أقوياء إلى جانبهم؛ في النهاية، مثل هذه الصفات لا فائدة منها بالنسبة للمدينة الإمبراطورية، على الرغم من أنها قد تساعد في الاعتماد على العبودية دون إزعاج.

"لكن لا ينبغي أن تغريك مثل هذه المواطنات أو تغضب مني - أنا الذي إذا صوتت لصالح الحرب، فلن أفعل إلا ما فعلتموه أنتم - على الرغم من أن العدو غزا بلدكم وفعل ما كنتم متأكدين من أنه سيفعله إذا رفضتم الامتثال لمطالبه؛ وعلى الرغم

من أن الطاعون قد حل بنا إلى جانب ما كنا نحسبه - النقطة الوحيدة التي أخطأت فيها حساباتنا. أعلم أن هذا هو الذي لعب دورًا كبيرًا في جعلني أقل شعبية مما كان ينبغي لي أن أكون عليه لولا ذلك - بشكل غير مستحق تمامًا، ما لم تكن مستعدًا أيضًا لمنحني الفضل في أي نجاح قد تقدمه لك الصدفة. علاوة على ذلك، يجب أن تتحمل يد السماء باستسلام، ويد العدو بشجاعة؛ كانت هذه هي الطريقة القديمة في أثينا، ولا تمنعها من أن تظل كذلك. تذكر أيضًا أنه إذا كانت بلدك تتمتع بأعظم اسم في العالم كله، فذلك لأنها لم تنحني أبدًا أمام الكارثة؛ "لأنها بذلت من الحياة والجهد في الحرب أكثر من أي مدينة أخرى، وفازت لنفسها بقوة أعظم من أي قوة معروفة حتى الآن، والتي ستنتقل ذكراها إلى الأجيال القادمة؛ حتى لو اضطررنا الآن، طاعةً لقانون الاضمحلال العام، إلى الاستسلام، فسيظل في الأذهان أننا حكمنا عددًا من اليونانيين أكثر من أي دولة يونانية أخرى، وأننا تحملنا أعظم الحروب ضد قواهم المتحدة أو المنفصلة، وسكننا مدينة لا تضاهيها أي مدينة أخرى في الموارد أو الحجم. قد تجلب هذه الأمجاد اللوم على البطيئين وغير الطموحين؛ لكنها في صدر الطاقة ستثير التنافس، وفي أولئك الذين يجب أن يظلوا بدونها ندمًا حاسدًا. لقد سقطت الكراهية وعدم الشعبية في الوقت الحالي على عاتق كل من طمح إلى حكم الآخرين؛ ولكن حيث يجب أن تُكبد الكراهية، فإن الحكمة الحقيقية تجلبها من أجل الأهداف العليا. الكراهية أيضًا قصيرة العمر؛ "ولكن ما يصنع روعة الحاضر ومجد المستقبل يظل إلى الأبد غير منسي. لذا، اتخذ قرارك بالمجد في ذلك الوقت والشرف الآن، وحقق كلا الهدفين بجهد فوري وحماسي: لا ترسل رسلاً إلى لاكيدايمون، ولا تظهر أي علامة على أنك مظلوم بسبب معاناتك الحالية، لأن أولئك الذين تكون عقولهم أقل حساسية للكوارث، والذين تكون أيديهم أسرع لمواجهتها، هم أعظم الرجال وأعظم المجتمعات."

كانت هذه هي الحجج التي حاول بها بريكليس شفاء الأثينيين من غضبهم عليه وتحويل أفكارهم عن آلامهم المباشرة. وقد نجح كمجتمع في إقناعهم؛ فلم يتخلوا

عن فكرة إرسال قوات إلى لاكيدايمون فحسب، بل كرسوا أنفسهم بقوة متزايدة للحرب؛ ومع ذلك، كأفراد، لم يتمكنوا من منع أنفسهم من الشعور بالألم تحت وطأة معاناتهم، حيث حرم عامة الناس من القليل الذي كانوا يمتلكونه، بينما فقدت الطبقات العليا ممتلكاتها الجميلة ومؤسساتها ومبانيها الباهظة الثمن في البلاد، والأسوأ من ذلك كله، أنها أصبحت تعيش في الحرب بدلاً من السلام. والواقع أن الشعور العام ضده لم يهدأ حتى تم تغريمه. ولكن بعد فترة وجيزة، وفقًا لطريقة الجماهير، انتخبوه مرة أخرى قائدًا وسلّموا جميع شؤونهم بين يديه، بعد أن أصبحوا الآن أقل حساسية لمحنهم الخاصة والمنزلية، وأدركوا أنه أفضل رجل على الإطلاق لتلبية الضرورات العامة. فطالما كان على رأس الدولة أثناء السلام، اتبع سياسة معتدلة ومحافظة؛ ولقد كانت عظمة هذه البلاد في أوج عظمتها في عصره. وعندما اندلعت الحرب، بدا أنه كان قد أدرك قوة بلاده عن حق. فقد عاش بعد بدء الحرب عامين وستة أشهر، وازدادت صحة تنبؤاته بشأنها شهرة بعد وفاته. فقد أمرهم بالانتظار بهدوء، والانتباه إلى قواتهم البحرية، وعدم محاولة تحقيق فتوحات جديدة، وعدم تعريض المدينة لأي مخاطر أثناء الحرب، وبذلك وعدهم بنتيجة مواتية. ولكن ما فعلوه كان على العكس تمامًا، حيث سمحوا للطموحات الخاصة والمصالح الخاصة، في أمور تبدو غريبة تمامًا عن الحرب، بأن تقودهم إلى مشاريع ظالمة لهم ولحلفائهم - مشاريع لن يؤدي نجاحها إلا إلى شرف ومصلحة الأفراد، والتي كان فشلها يستلزم كارثة مؤكدة على البلاد في الحرب. والواقع أن أسباب ذلك ليست بعيدة المنال. فقد تمكن بريكليس بالفعل، بفضل رتبته وقدرته ونزاهته المعروفة، من ممارسة سيطرة مستقلة على الحشود - أو باختصار، لقيادتهم بدلاً من أن يقودهم؛ كان الملك يحرص على أن يكون حاكماً لبلاده، وذلك لأنه لم يسع قط إلى السلطة بوسائل غير لائقة، ولم يضطر قط إلى مدحهم، بل على العكس من ذلك، كان يتمتع بتقدير كبير لدرجة أنه كان يستطيع أن يغضبهم بالتناقض. وكلما رأى أنهم في حالة من النشوة غير المناسبة والوقاحة، كان يخيفهم بكلمة واحدة؛ ومن ناحية أخرى، إذا وقعوا ضحايا للذعر، كان بوسعه على الفور أن يعيد إليهم الثقة.

باختصار، أصبح ما كان ديمقراطياً اسمياً في يديه حكماً من قبل المواطن الأول. أما مع خلفائه فكان الأمر مختلفاً. فقد كانوا على نفس المستوى مع بعضهم البعض، وكل منهم كان يسعى إلى التفوق، وانتهى بهم الأمر إلى تسليم حتى إدارة شؤون الدولة لأهواء الجماهير. وقد أدى هذا، كما كان متوقعاً في دولة عظيمة ذات سيادة، إلى مجموعة من الأخطاء الفادحة،ولقد فشلت الحملة الصقلية، ولم يكن فشلها راجعاً إلى سوء تقدير قوة أولئك الذين أرسلت ضدهم، بل يرجع أيضاً إلى خطأ ارتكبه المرسلون، إذ لم يتخذوا أفضل التدابير بعد ذلك لمساعدة أولئك الذين خرجوا، بل اختاروا بدلاً من ذلك أن يشغلوا أنفسهم بالمكائد الخاصة لقيادة العامة، الأمر الذي لم يشل العمليات في الميدان فحسب، بل وأدى أيضاً إلى إثارة الفتنة الأهلية في الداخل. ولكن بعد أن خسروا معظم أسطولهم إلى جانب قوات أخرى في صقلية، ومع سيطرة الفصائل بالفعل في المدينة، تمكنوا لمدة ثلاث سنوات من الصمود في مواجهة خصومهم الأصليين، الذين انضم إليهم ليس فقط الصقليون، بل وأيضاً حلفاؤهم الذين كانوا جميعاً تقريباً في ثورة، وأخيراً ابن الملك كورش، الذي قدم الأموال للبحرية البيلوبونيسية. ولم يستسلموا في النهاية إلا بعد أن وقعوا ضحايا لاضطرابات الأمعاء التي أصابتهم. وكانت الموارد وفيرة للغاية لدرجة أن عبقرية بريكليس تنبأت بانتصار سهل في الحرب على قوات البيلوبونيز غير المدعومة.

وفي نفس الصيف شن اللاكديمونيون وحلفاؤهم حملة عسكرية على متن مائة سفينة ضد جزيرة زاكينثوس، وهي جزيرة تقع قبالة ساحل إليس، ويسكنها مستعمرة من الآخيين من البيلوبونيز، وكانت متحالفة مع أثينا. وكان على متن السفينة ألف جندي لاكديمونيون من المشاة الثقيلة، وكان على متنها كنموس، وهو أسبرطي، أميرال. ثم نزلوا من سفنهم، ونهبوا معظم أنحاء البلاد؛ ولكن لأن السكان لم يستسلموا، أبحروا عائدين إلى ديارهم.

"وفي نهاية الصيف نفسه، جاء الكورنثيون أريستوس، وأنيريستوس، ونيكولاس، وستراتوديموس، ومبعوثون من لاكيدايمون، وتيماجوراس، وتيجيان، وشخص خاص يدعى بوليس من أرغوس، في طريقهم إلى آسيا لإقناع الملك بتوفير الأموال والانضمام إلى الحرب، إلى سيتالسيس، ابن تيريز في تراقيا، بهدف إقناعه، إذا أمكن، بالتخلي عن تحالف أثينا والسير إلى بوتيديا المحاصرة آنذاك بقوة أثينية، وكذلك نقلهم بوسائله إلى وجهتهم عبر الدردنيل إلى فارنابازوس، الذي كان سيرسلهم إلى الملك عبر البلاد. ولكن كان هناك مع سيتالسيس بعض السفراء الأثينيين - ليرخوس بن كاليماخوس، وأمينيادس بن فليمون - الذين أقنعوا ابن سيتالسيس، صادوقس، المواطن الأثيني الجديد، بتسليم الرجال إلى أيديهم وبالتالي منعهم من عبور الحدود إلى الملك والقيام بدورهم في إلحاق الضرر بالبلاد التي اختارها. وبناءً على ذلك، أمر باعتقالهم وهم مسافرون عبر تراقيا إلى السفينة التي كان من المقرر أن يعبروا بها مضيق الدردنيل، بواسطة فرقة أرسلها مع ليرخوس وأمينيادس، وأصدر أوامر بتسليمهم إلى السفراء الأثينيين، الذين أحضروهم إلى أثينا. وعند وصولهم، خشي الأثينيون أن يعيش أريستيوس، الذي كان المحرك الرئيسي في الشؤون السابقة لبوتيديا وممتلكاتهم التراقية، ليلحق بهم المزيد من الأذى إذا هرب، فقتلوهم جميعًا في نفس اليوم، دون محاكمة أو سماع دفاعهم الذي أرادوا تقديمه، وألقوا بجثثهم في حفرة؛ معتقدين أنهم مبررون لاستخدام نفس أسلوب الحرب الذي بدأه اللاكديمونيون، عندما قتلوا وألقوا في الحفر جميع التجار الأثينيين وحلفائهم الذين أمسكوا بهم على متن السفن التجارية حول البيلوبونيز. والواقع أنه في بداية الحرب، ذبح اللاكديمونيون كل من هاجموهم في البحر، سواء كانوا حلفاء لأثينا أو محايدين.

وفي نفس الوقت تقريبًا، نحو نهاية الصيف، زحفت قوات أمبراسيوت، ومعها عدد من البرابرة الذين حشدوهم، ضد أرغوس الأمفيلوكية وبقية تلك البلاد. وكان أصل عداوتهم للأرجيين هو هذا. كانت أرغوس وبقية أمفيلوكيا مستعمرة لأمفيلوخوس،

ابن أمفياروس. ولما شعر بعدم الرضا عن حالة الأمور في وطنه عند عودته إلى هناك بعد حرب طروادة، بنى هذه المدينة في خليج أمبراسيو، وأطلق عليها اسم أرغوس على اسم بلده. وكانت هذه أكبر مدينة في أمفيلوكيا، وكان سكانها الأقوى. وتحت ضغط سوء الحظ بعد أجيال عديدة، استدعوا الأمبراسيوت، جيرانهم على حدود أمفيلوكيا، للانضمام إلى مستعمرتهم؛ وكان من خلال هذا الاتحاد مع الأمبراسيوت أن تعلموا لغتهم اليونانية الحالية، حيث كان بقية الأمفيلوكيين برابرة. وبعد فترة من الوقت طرد الأمبراشيوت الأرجيفيين واستولوا على المدينة بأنفسهم. وعند هذا استسلم الأمفيلوخيون للأكارنانيين؛ ودعا الاثنان معًا الأثينيين، الذين أرسلوا إليهم فورميو قائدًا وثلاثين سفينة؛ وعند وصولهم استولوا على أرغوس واستعبدوا الأمبراشيوت؛ وسكن الأمفيلوخيون والأكارنانيون المدينة معًا. وبعد ذلك بدأ التحالف بين الأثينيين والأكارنانيين. وهكذا بدأت عداوة الأمبراشيوت للأرجيفيين باستعباد مواطنيهم؛ وبعد ذلك أثناء الحرب جمعوا هذه الأسلحة فيما بينهم وبين الشاونيين وغيرهم من البرابرة المجاورين. ووصلوا قبل أرغوس، وأصبحوا سادة البلاد؛ ولكنهم لم ينجحوا في هجماتهم على المدينة، فعادوا إلى ديارهم وتفرقوا بين شعوبهم المختلفة.

كانت هذه هي الأحداث التي وقعت في الصيف. ففي الشتاء التالي أرسل الأثينيون عشرين سفينة حول البيلوبونيز، تحت قيادة فورميو، الذي تمركز في ناوباكتوس وراقب أي سفينة تبحر داخل أو خارج كورنثوس وخليج كريساي. وذهبت ست سفن أخرى إلى كاريا وليكيا تحت قيادة ميليساندر، لجمع الجزية في تلك الأجزاء، وكذلك لمنع القراصنة البيلوبونيزيين من اتخاذ مواقعهم في تلك المياه ومضايقة مرور السفن التجارية من فاسيليس وفينيقيا والقارة المجاورة. ومع ذلك، هُزم ميليساندر، الذي صعد البلاد إلى ليكيا بقوة من الأثينيين من السفن والحلفاء، وقتل في المعركة، وخسر عددًا من قواته.

وفي نفس الشتاء وجد أهل بوتيديان أنفسهم أخيراً عاجزين عن الصمود في وجه محاصريهم. فلم تفلح غارات البيلوبونيزيين على أتيكا في دفع الأثينيين إلى رفع الحصار. فلم يبق هناك أي مؤن؛ وكادت أزمة الغذاء تتلاشى في بوتيديان إلى الحد الذي جعل الناس يأكلون بعضهم بعضاً، فضلاً عن عدد من الفظائع الأخرى. وفي هذه الحالة القصوى، تقدموا أخيراً بمقترحات للاستسلام للجنرالات الأثينيين الذين كانوا في طليعة المعركة ضدهم ـ زينوفون ابن يوربيديس، وهستيودوروس ابن أرسطوكلايدس، وفانوماخوس ابن كاليماخوس. وقبل الجنرالات مقترحاتهم، بعد أن رأوا معاناة الجيش في هذا الموقف المكشوف؛ فضلاً عن أن الدولة أنفقت بالفعل ألفي تالنت على الحصار. كانت شروط الاستسلام على النحو التالي: خروج مجاني لهم ولأطفالهم وزوجاتهم ومعاونيهم، مع ثوب واحد لكل منهم، وللنساء ثوبان، ومبلغ ثابت من المال مقابل رحلتهم. وبموجب هذه المعاهدة خرجوا إلى خالكيديسي وأماكن أخرى، حسب ما تسمح به قوتهم. ومع ذلك، ألقى الأثينيون باللوم على القادة لمنحهم شروط الاستسلام دون تعليمات من الوطن، وكانوا يعتقدون أن المكان كان لابد أن يستسلم حسب تقديرهم. وبعد ذلك أرسلوا مستوطنين من جانبهم إلى بوتيديا، واستعمروها. كانت هذه هي أحداث الشتاء، وهكذا انتهت السنة الثانية من هذه الحرب التي كان ثوسيديديس مؤرخها.

الفصل الثامن

السنة الثالثة من الحرب — استثمار بلاتايا — الانتصارات البحرية في فورميو — الغزو التراقي لمقدونيا تحت حكم سيتالسيس

وفي الصيف التالي، بدلاً من غزو أتيكا، سار البيلوبونيزيون وحلفاؤهم ضد بلاتيا، تحت قيادة أرشيداموس، ابن زيوكسيداموس، ملك اللاكيدايمونيين. كان قد عسكر جيشه وكان على وشك تدمير البلاد، عندما سارع البلاتيون إلى إرسال مبعوثين إليه، وتحدثوا على النحو التالي: "أرشيداموس واللاكيدايمونيون، بغزو أراضي بلاتيا، فإنكم ترتكبون خطأً في حد ذاته، ولا يستحق أنفسكم ولا آباءكم الذين أنجبوكم. بوسانياس، ابن كليومبروتوس، مواطنك، بعد تحرير هيلاس من الميديين بمساعدة أولئك اليونانيين الذين كانوا على استعداد لتحمل مخاطر المعركة التي خاضوها بالقرب من مدينتنا، قدم التضحيات لزيوس المحرر في سوق بلاتيا، ودعا جميع الحلفاء معًا وأعادوا إلى البلاتيين مدينتهم وأراضيهم، وأعلنوا استقلالها وحرمتها من العدوان أو الغزو. "إذا ما حاول أحد القيام بمثل هذه المحاولة، فإن الحلفاء الحاضرين سوف يساعدوننا حسب قوتهم. لقد كافأنا آباؤكم على الشجاعة والوطنية التي أظهرناها في تلك الحقبة الخطيرة؛ ولكنكم تفعلون العكس تمامًا، حيث أتيتم مع ألد أعدائنا، الطيبيين، لاستعبادنا. لذلك، فإننا نناشد الآلهة الذين أقسموا لهم في ذلك الوقت، وآلهة أسلافكم، وأخيرًا آلهة بلادنا، ونناشدكم بالامتناع عن انتهاك أراضينا أو انتهاك الأيمان، والسماح لنا بالعيش مستقلين، كما قضى بوسانياس".

لقد وصل أهل بلاتيا إلى هذا الحد عندما قاطعهم أرشيداموس قائلاً: "إن ما تقولونه هو العدل، أيها أهل بلاتيا، إذا تصرفتم وفقًا لأقوالكم. ووفقًا لمنحة بوسانياس، استمروا في الاستقلال بأنفسكم، وشاركوا في تحرير مواطنيكم الذين شاركوا في مخاطر تلك الفترة، وانضموا إلى القسم لكم، وأصبحوا الآن خاضعين للأثينيين؛ لأن كل هذا التدبير والحرب قد تم لتحريرهم وبقية الناس. أتمنى أن تشاركوا في أعمالنا

وتلتزموا بالقسم بأنفسكم؛ وإذا كان هذا مستحيلاً، فافعلوا ما طلبناه منكم بالفعل - ابقوا محايدين، واستمتعوا بقسمكم؛ لا تنضموا إلى أي من الجانبين، ولكن تقبلوا كلا الجانبين كأصدقاء، ولا كحلفاء في الحرب. سنكون راضين عن هذا". كانت هذه كلمات أرشيداموس. "وبعد أن سمع أهل بلاتيا ما قاله، ذهبوا إلى المدينة وأطلعوا الناس على ما جرى، ثم عادوا على الفور ليخبروهم أنه من المستحيل عليهم أن يفعلوا ما اقترحه دون استشارة الأثينيين، الذين كان أطفالهم وزوجاتهم معهم الآن؛ فضلاً عن ذلك فقد كانوا يخشون المدينة. وبعد رحيله، ما الذي يمنع الأثينيين من المجيء وانتزاعها من أيديهم، أو أهل طيبة، الذين سيشملهم القسم، من الاستفادة من الحياد المقترح للقيام بمحاولة ثانية للاستيلاء على المدينة؟ وفي هذه النقاط حاول طمأنتهم قائلاً: ""ما عليكم إلا أن تسلّموا المدينة والمنازل إلينا أهل لاكيدايمون، وأن تحددوا حدود أرضكم، وعدد أشجار الفاكهة لديكم، وأي شيء آخر يمكن تحديده عددياً، وأن تنسحبوا أنتم حيثما شئتم طالما استمرت الحرب. وعندما تنتهي الحرب، سنعيد إليكم كل ما تسلمناه، وفي غضون ذلك سنحتفظ بها في أمانة ونحافظ عليها في الزراعة، وندفع لكم بدلًا كافيًا""."

"ولما سمعوا كلامه عادوا إلى المدينة، وبعد أن تشاوروا مع أهلها قالوا إنهم يرغبون أولاً في إطلاع الأثينيين على هذا الاقتراح، وفي حالة موافقتهم عليه سيوافقون عليه؛ وفي غضون ذلك طلبوا منه أن يمنحهم هدنة ولا يدمر أراضيهم. وبناءً على ذلك منحهم هدنة لعدد الأيام اللازمة للرحلة، وفي غضون ذلك امتنع عن تخريب أراضيهم. وذهب مبعوثو بلاتيا إلى أثينا، وتشاوروا مع الأثينيين، وعادوا بالرسالة التالية إلى أهل المدينة: "يقول الأثينيون، يا أهل بلاتيا، إنهم لم يتخلوا عنا قط، منذ أن أصبحنا حلفاء لهم، في أي مناسبة للعدو، ولن يهملونا الآن، بل سيساعدوننا حسب قدرتهم؛ وهم يقسمون عليكم بالأيمان التي أقسم بها آباؤكم، أن تحافظوا على التحالف دون تغيير".

"وبعد أن تلقى المبعوثون هذه الرسالة، قرر أهل بلاتيا عدم خيانة الأثينيين، بل تحمل رؤية أراضيهم مدمرة، وأي محنة أخرى قد تواجههم، وعدم إرسالهم مرة أخرى، بل الرد من فوق الجدار بأنه من المستحيل عليهم أن يفعلوا ما اقترحه اللاكديمونيون. وبمجرد أن تلقى الملك أرشيداموس هذه الإجابة، شرع أولاً في توجيه نداء رسمي إلى آلهة وأبطال البلاد بالكلمات التالية: "يا آلهة وأبطال إقليم بلاتيا، كونوا شهودًا على أننا لم نغزو هذه الأرض كمعتدين في البداية، ولا حتى بعد أن خالفوا القسم المشترك، حيث قدم آباؤنا لكم صلواتهم قبل هزيمة الميديين، والتي جعلتموها ميمونة للأسلحة اليونانية؛ ولن نكون معتدين بالتدابير التي قد نلجأ إليها الآن، حيث قدمنا العديد من المقترحات العادلة ولكن لم تنجح. "امنح بكل لطف أن يعاقب أولئك الذين كانوا أول من ارتكبوا الخطأ، وأن يتم الانتقام من قبل أولئك الذين ارتكبوه بحق."

وبعد هذا النداء إلى الآلهة، حرك أرشيداموس جيشه. فأحاط أولاً بالمدينة بسياج من أشجار الفاكهة التي قطعوها، لمنع المزيد من الخروج من بلاتيا؛ ثم أقاموا تلة حول المدينة، على أمل أن يضمن ضخامة القوة المستخدمة تقليص المدينة بسرعة. وبناءً على ذلك، قطعوا الأخشاب من كيثيرون، وبنوها على جانبيها، ووضعوها مثل شبكة من الخشب لتكون بمثابة جدار يمنع التل من الانتشار إلى الخارج، وحملوا إليها الخشب والحجارة والتربة وأي مادة أخرى قد تساعد في إكمالها. واستمروا في العمل في التل لمدة سبعين يومًا وليلة دون انقطاع، حيث تم تقسيمهم إلى فرق إغاثة للسماح لبعضهم بالعمل في الحمل بينما يأخذ الآخرون النوم والراحة؛ وكان الضابط اللاكيديموني الملحق بكل فرقة يحافظ على الرجال في العمل. ولكن أهل بلاتيا، الذين لاحظوا تقدم التل، بنوا جدارًا من الخشب وثبتوه على ذلك الجزء من سور المدينة الذي كان التل يُقام عليه، وبنوا داخله الطوب الذي أخذوه من المنازل المجاورة. وكانت الأخشاب تعمل على ربط المبنى معًا، ومنعه من الضعف مع تقدمه في الارتفاع؛ وكان مغطى أيضًا بالجلود، التي كانت تحمي الأعمال الخشبية من هجمات

القذائف الحارقة وتسمح للرجال بالعمل في أمان. وهكذا ارتفع السور إلى ارتفاع كبير، ولم يتقدم التل المقابل له بسرعة أقل. كما فكر أهل بلاتيا في وسيلة أخرى؛ فقد انتزعوا جزءًا من السور الذي كان التل يتكئ عليه، وحملوا التراب إلى داخل المدينة.

ولما اكتشف البيلوبونيزيون هذا، لفّوا الطين في أعمدة من القصب وألقوا به في الثغرة التي تشكلت في التل، وذلك لإعطائه التماسك ومنع انجرافه بعيدًا مثل التربة. وعندما توقفوا على هذا النحو، غيّر البلاتيون أسلوب عملهم، وحفروا منجمًا من المدينة لحساب طريقهم تحت التل، وبدأوا في حمل مواده كما كان من قبل. واستمر هذا لفترة طويلة دون أن يكتشفه العدو من الخارج، حتى أنهم ألقوا على القمة ولم يحرز تلهم أي تقدم متناسب، حيث انجرف من الأسفل واستقر باستمرار في الفراغ. ولكن البلاتيون، خوفًا من أنهم حتى بهذه الطريقة قد لا يتمكنون من الصمود في مواجهة أعداد العدو المتفوقة، توصلوا إلى اختراع آخر. توقفوا عن العمل في المبنى الكبير أمام التل، وبدأوا من طرفيه من الداخل من الجدار المنخفض القديم، وبنوا مبنى جديدًا على شكل هلال يمتد نحو المدينة؛ "وحتى إذا ما استولى العدو على السور العظيم، فقد يبقى هذا السور، ويضطر العدو إلى إقامة تل جديد ضده، ومع تقدمهم إلى الداخل قد لا يواجهون مشاكلهم مرة أخرى فحسب، بل ويتعرضون أيضًا للصواريخ على جوانبهم. وبينما كانوا يرفعون التل، أحضر البيلوبونيزيون أيضًا محركات ضد المدينة، وقد أحضروا أحدها على التل مقابل المبنى العظيم وهز جزءًا كبيرًا منه، مما أثار قلقًا كبيرًا لدى أهل بلاتيا. وقد تقدم آخرون ضد أجزاء مختلفة من السور، لكن أهل بلاتيا حاصروهم وكسروهم؛ كما علقوا عوارض كبيرة بسلاسل حديدية طويلة من طرفي قطبين موضوعين على السور وبارزين فوقه، ورفعوها بزاوية كلما هدد المحرك أي نقطة، وعندما فقدوا قبضتهم، أطلقوا العارضة بسلاسلها المرتخية، بحيث سقطت بسرعة وانكسرت من أنف الكبش.

وبعد ذلك، وجد البيلوبونيزيون أن آلاتهم لم تفعل شيئًا، وأن تلهم قوبل بالهجوم المضاد، فاستنتجوا أن وسائلهم الحالية للهجوم لا ترقى إلى مستوى الاستيلاء على المدينة، واستعدوا للالتفاف حولها. ومع ذلك، قرروا أولاً تجربة آثار النار ومعرفة ما إذا كان بإمكانهم، بمساعدة الرياح، حرق المدينة، لأنها لم تكن كبيرة؛ بل فكروا في كل وسيلة ممكنة يمكن من خلالها تقليص حجم المدينة دون تكلفة الحصار. وبناءً على ذلك، أحضروا حزمًا من الحطب وألقوا بها من التل، أولاً في المساحة بينه وبين الجدار؛ وسرعان ما امتلأت هذه المساحة بسبب عدد الأيدي العاملة، ثم قاموا بعد ذلك بتكديس حزم الحطب إلى أقصى مسافة يمكنهم الوصول إليها من أعلى داخل المدينة، ثم أشعلوا الخشب بإشعال النار فيه بالكبريت والزفت. كانت النتيجة حريقًا أعظم من أي حريق آخر شهده أحد من قبل بفعل بشري، رغم أنه لا يمكن مقارنته بالطبع بالحرائق التلقائية التي تحدث أحيانًا بسبب احتكاك الرياح بأغصان غابة جبلية. ولم يكن هذا الحريق ملحوظًا لضخامته فحسب، بل كان أيضًا، في نهاية العديد من المخاطر، على وشك أن يكون قاتلاً لأهل بلاتيا؛ حيث أصبح جزء كبير من المدينة غير قابل للوصول إليه تمامًا، وهبت عليه الرياح، وفقًا لآمال العدو، ولم يكن بإمكان أي شيء أن ينقذهم. كما توجد قصة عن هطول أمطار غزيرة ورعد، مما أدى إلى إخماد الحريق وتجنب الخطر.

ولما فشل البيلوبونيزيون في محاولتهم الأخيرة تركوا قسماً من قواتهم في المكان، وطردوا الباقي، وبنوا سوراً حول المدينة، وقسموا الأرض بين المدن المختلفة الموجودة؛ وحفروا خندقاً داخل وخارج الخطوط، حصلوا منه على الطوب. وبعد أن انتهى كل شيء عند ارتفاع جبل أركتوروس تقريباً، تركوا ما يكفي من الرجال لتأمين نصف السور، وتولى سكان بيوتيا تأمين الباقي، وسحبوا جيشهم وتشتتوا في مدنهم المختلفة. وكان أهل بلاتيا قد أرسلوا زوجاتهم وأطفالهم وكبار السن وكتلة غير المقاتلين إلى أثينا؛ حتى أن عدد المحاصرين المتبقين في المكان بلغ أربعمائة من مواطنيهم، وثمانين أثينياً، ومائة وعشر نساء لخبز خبزهن. وكان هذا هو المجموع

الإجمالي عند بدء الحصار، ولم يكن هناك أي شخص آخر داخل الأسوار، أسيراً كان أو حراً. وكانت هذه هي الترتيبات التي تم اتخاذها لحصار بلاتيا.

وفي نفس الصيف، وفي نفس الوقت الذي انطلقت فيه الحملة ضد بلاتيا، سار الأثينيون بألفي جندي من المشاة الثقيلة ومائتي فارس ضد الخلقيديين في اتجاه تراقيا وبوتيا، في الوقت الذي كانت فيه الذرة تنضج، تحت قيادة زينوفون، ابن يوربيديس، ومعه اثنان من زملائه. وحين وصلوا قبل سبارتولوس إلى بوتيا، دمروا الذرة وكانوا يأملون في الاستيلاء على المدينة من خلال مؤامرات فصيل من الداخل. ولكن أولئك الذين كانوا من طريقة تفكير مختلفة أرسلوا إلى أولينثوس؛ ووصلت حامية من المشاة الثقيلة وقوات أخرى تبعها. واشتبك الأثينيون مع هؤلاء القادمين من سبارتولوس أمام المدينة، فهزموا المشاة الثقيلة الخلقيديين وبعض القوات المساعدة معهم وتراجعوا إلى سبارتولوس؛ ولكن الفرسان والجيوش الخفيفة الخلقيديين هزموا الفرسان والجيوش الخفيفة الأثينية. كان لدى الخلقيديين بالفعل عدد قليل من الأهداف من كروزيس، وبعد المعركة مباشرة انضم إليهم بعض الآخرين من أولينثوس؛ وعندما رأتهم القوات الخفيفة من سبارتولوس، التي تشجعت بهذا التتويج ونجاحها السابق، وبمساعدة خيول الخلقيديين والتعزيزات التي وصلت للتو، هاجمت الأثينيين مرة أخرى، الذين تراجعوا إلى الفرقتين اللتين تركوهما مع أمتعتهم. كلما تقدم الأثينيون، استسلم خصمهم، وضغط عليهم بالصواريخ في اللحظة التي بدأوا فيها في التراجع. كما أن خيول الخلقيديين، التي ركبتهم وهاجمتهم كما يحلو لهم، أحدثت في النهاية حالة من الذعر بينهم وهزمتهم وطاردتهم لمسافة كبيرة. لجأ الأثينيون إلى بوتيديا، واستعادوا بعد ذلك قتلاهم بموجب هدنة، وعادوا إلى أثينا مع بقايا جيشهم؛ بعد سقوط أربعمائة وثلاثين رجلاً وجميع القادة. أقام الخلقيديون والبوتيون غنائم، وأخذوا قتلاهم، وتفرقوا في مدنهم المختلفة.

وفي نفس الصيف، بعد فترة وجيزة من ذلك، كان الأمبراشيوت والشونييون راغبين في تقليص أكارنانيا بالكامل وفصلها عن أثينا، فأقنعوا اللاكيديمونيين بتجهيز أسطول من اتحادهم وإرسال ألف من المشاة الثقيلة إلى أكارنانيا، موضحين أنه إذا تم إجراء حركة مشتركة عن طريق البر والبحر، فلن يتمكن الأكارنيون الساحليون من الزحف، وأن غزو زاكينثوس وكيفالينيا بعد الاستيلاء على أكارنانيا بسهولة، لن يكون الإبحار حول البيلوبونيز مناسبًا للأثينيين. بالإضافة إلى ذلك، كان هناك أمل في الاستيلاء على ناوباكتوس. تبعًا لذلك، أرسل اللاكيديمونيون على الفور بضع سفن مع كنموس، الذي كان لا يزال أميرالًا كبيرًا، والمشاة الثقيلة على متنها؛ وأرسلوا أوامر دائرية للأسطول لتجهيزه في أسرع وقت ممكن والإبحار إلى لوكاس. كان الكورنثيون الأكثر تقدمًا في العمل، حيث كانت الأمبراشيوت مستعمرة لهم. وبينما كانت السفن القادمة من كورينثوس وسيسيون والمناطق المجاورة تستعد، وكانت السفن القادمة من لوكاس وأناكتوريوم وأمبراسيا، والتي وصلت قبلهم، تنتظرهم في لوكاس، كان كنموس وألف من مشاته الثقيلة قد هربوا إلى الخليج، وأعطوا فورميون، قائد السرب الأثيني المتمركز قبالة ناوباكتوس، وبدأوا على الفور في الاستعداد للحملة البرية. وكانت القوات اليونانية معه تتألف من أمبراسيوت وليوكادي وأناكتوريان، والألف من البيلوبونيز الذين جاء معهم؛ وكان البربري من ألف من أهل تشاونيا، الذين ينتمون إلى أمة ليس لها ملك، بقيادة فوتيس ونيكانور، العضوين من العائلة المالكة اللذين عُهد إليهما بالزعامة في ذلك العام. ومع أهل تشاون جاء بعض أهل تسبروتيين، مثلهم من غير ملك، وبعض أهل مولوسي وأتينتانيين بقيادة سابيلينثوس، الوصي على الملك ثاريبس الذي كان لا يزال قاصراً، وبعض أهل بارافيين، تحت قيادة ملكهم أورويدوس، برفقة ألف من أهل أورستيا، رعايا الملك أنطيخوس ووضعهم تحت قيادة أورويدوس. وكان هناك أيضًا ألف مقدوني أرسلهم بيرديكاس دون علم الأثينيين، لكنهم وصلوا متأخرين للغاية. ومع هذه القوة انطلق كنموس، دون انتظار الأسطول القادم من كورنثوس. ومر عبر أراضي أرغوس

الأمفيلوخية، ونهب قرية ليمنيا المفتوحة، وتقدم إلى ستراتوس عاصمة أكارنان؛ وبمجرد الاستيلاء عليها، شعروا بأن بقية البلاد سوف تتبعهم بسرعة.

ولما وجد الأكارنانيون أنفسهم محاصرين بجيش كبير من البر، ومهددين من البحر بأسطول معاد، لم يحاولوا المقاومة، بل ظلوا للدفاع عن منازلهم، وأرسلوا طلبًا للمساعدة إلى فورميو، الذي رد بأنه عندما يكون هناك أسطول على وشك الإبحار من كورنث، فمن المستحيل عليه أن يترك ناوباكتوس دون حماية. وفي الوقت نفسه، تقدم البيلوبونيزيون وحلفاؤهم نحو ستراتوس في ثلاث فرق، بنية التخييم بالقرب منها ومحاولة اقتحام الجدار بالقوة إذا فشلوا في ذلك عن طريق المفاوضات. وكان ترتيب الزحف على النحو التالي: احتل الشاونيون وبقية البرابرة المركز، مع الليوكاديين والأناكتوريين وأتباعهم على اليمين، وكنيموس مع البيلوبونيزيين والأمبراشيوت على اليسار؛ وكانت كل فرقة بعيدة جدًا عن الفرق الأخرى، وأحيانًا بعيدة عن أنظارها. وتقدم الهيلينيون في نظام جيد، وظلوا يراقبون حتى نصبوا معسكرهم في وضع جيد؛ ولكن أهل تشاون، الذين امتلأوا بالثقة بالنفس، وكانوا يتمتعون بأعلى درجات الشجاعة بين قبائل ذلك الجزء من القارة، لم ينتظروا حتى يحتلوا معسكرهم، بل اندفعوا مع بقية البرابرة، على أمل الاستيلاء على المدينة بالهجوم والحصول على المجد الوحيد لهذه المهمة. وبينما كانوا يتقدمون، أدرك الستراتيون كيف كانت الأمور، واعتقدوا أن هزيمة هذه الفرقة من شأنها أن تثبط عزيمة الهيلينيين خلفها إلى حد كبير، فاحتلوا محيط المدينة بالكمائن، وبمجرد أن اقتربوا اشتبكوا معهم عن قرب من المدينة والكمائن. واستولى الذعر على أهل تشاون، وقتل عدد كبير منهم؛ وبمجرد أن شوهدوا وهم يتراجعون، استدار بقية البرابرة وفروا. ونظرًا للمسافة التي سبقتهم بها حلفاؤهم، لم يكن أي من الفرق اليونانية يعرف شيئًا عن المعركة، بل تصوروا أنهم كانوا يسارعون إلى المخيم. ولكن عندما اقتحم البرابرة الطائرون عليهم، فتحوا صفوفهم لاستقبالهم، وجمعوا فرقهم، وتوقفوا في مكانهم في هدوء طوال اليوم؛ ولم يعرض الستراتيون الاشتباك معهم،

لأن بقية الأكارنانيين لم يصلوا بعد، بل اكتفوا برميهم من مسافة بعيدة، الأمر الذي أزعجهم بشدة، حيث لم يكن هناك أي تحرك بدون دروعهم. ويبدو أن الأكارنانيين متفوقون في هذا الأسلوب من الحرب.

وبمجرد حلول الليل، سارع كنموس بسحب جيشه إلى نهر أنابوس، على بعد تسعة أميال من ستراتوس، واستعاد جثثه في اليوم التالي بموجب هدنة، وانضم إليه هناك أصدقاء أونيادي، وتراجع إلى مدينتهم قبل وصول تعزيزات العدو. ومن هناك عاد كل منهما إلى دياره؛ وأقام الستراتوسيون غنائم للمعركة مع البرابرة.

وفي الوقت نفسه، كان الأسطول القادم من كورنثوس وبقية الحلفاء في خليج كريسا، والذي كان من المفترض أن يتعاون مع كنموس ويمنع سكان أكارنانيا الساحلية من الانضمام إلى مواطنيهم في الداخل، عاجزًا عن القيام بذلك لأنه أُرغم في نفس الوقت تقريبًا الذي اندلعت فيه معركة ستراتوس على القتال مع فورميو والسفن الأثينية العشرين المتمركزة في ناوباكتوس. فقد كان فورميو يراقبهم وهم يبحرون على طول الخليج، وكان راغبًا في الهجوم في البحر المفتوح. لكن الكورنثيين وحلفاءهم انطلقوا إلى أكارنانيا دون أي فكرة عن القتال في البحر، وبسفن أشبه بوسائل النقل لنقل الجنود؛ فضلاً عن ذلك، لم يحلموا أبدًا بالسفن الأثينية العشرين التي تجرؤ على الاشتباك مع سفنهم السبع والأربعين. ومع ذلك، بينما كانوا يبحرون على طول ساحلهم، كان الأثينيون يبحرون في خط واحد معهم؛ "وعندما حاولوا العبور من باتراي في آخايا إلى البر الرئيسي على الجانب الآخر، في طريقهم إلى أكارنانيا، رأوهم مرة أخرى قادمين من خالكيذا ونهر إيفينوس لملاقاتهم. انزلقوا من مراسيهم في الليل، ولكن تم رصدهم، وأُجبروا في النهاية على القتال في منتصف الطريق. كان لكل ولاية ساهمت في التسليح قائدها الخاص؛ كان القادة الكورنثيون هم ماشاون وإيزوكراتس وأغاثارشيداس. قام البيلوبونيزيون بترتيب سفنهم في أكبر دائرة ممكنة دون ترك فتحة، مع وضع المقدمات خارجًا والمؤخرات في الداخل؛ ووضعوا جميع

السفن الصغيرة في صحبة، وأفضل خمسة بحارة لديهم للانطلاق في أي لحظة وتعزيز أي نقطة يهددها العدو.

كان الأثينيون يصطفون في صفوف، ويدورون حولهم ويرغمونهم على تقليص دوائرهم، وذلك من خلال المرور المستمر بالقرب منهم والتظاهر بأنهم سيهاجمونهم على الفور، بعد أن حذرهم فورميو مسبقًا من القيام بذلك حتى يعطي الإشارة. كان يأمل ألا يحتفظ البيلوبونيزيون بنظامهم مثل قوة على الشاطئ، بل أن تصطدم السفن ببعضها البعض وتسبب السفن الصغيرة الارتباك؛ وإذا هبت الرياح من الخليج (وهو ما كان يظل يبحر حولهم في انتظاره، والذي كان يرتفع عادة مع حلول الصباح)، فلن يظلوا ثابتين للحظة، كما كان يعتقد أيضًا أنه كان من حقه الهجوم عندما يشاء، لأن سفنه كانت أكثر إبحارًا، وأن الهجوم الذي يتم توقيته مع قدوم الريح سيكون أفضل. وعندما هبت الرياح، كانت سفن العدو الآن في مساحة ضيقة، وبسبب الرياح والسفن الصغيرة التي كانت تهاجمها، ساد الارتباك على الفور: فقد اصطدمت السفينة بالسفينة، بينما كان أفراد الطاقم يدفعونها بعيدًا بالعصي، وبسبب صراخهم وسبهم وصراعهم مع بعضهم البعض، جعلوا أوامر القباطنة وصراخ القباطنة غير مسموعة على حد سواء، وبسبب عدم قدرتهم على تنظيف مجاديفهم في المياه الهائجة، منعوا السفن من طاعة قبطانها بشكل صحيح. في هذه اللحظة أعطى فورميو الإشارة، وهاجم الأثينيون. فأغرقوا أولاً أحد الأدميرالات، ثم عطلوا كل ما صادفوه، حتى أن أحدًا لم يفكر في المقاومة بسبب الارتباك، بل فروا إلى باتري ودييم في آخايا. وطارد الأثينيون اثنتي عشرة سفينة واستولوا عليها، وأبحروا إلى موليكريوم، وأخذوا معظم الرجال منها، وبعد أن أقاموا غنائم على رأس ريم وأهدوا سفينة لبوسيدون، عادوا إلى ناوباكتوس. أما البيلوبونيزيون فقد أبحروا على الفور بسفنهم المتبقية على طول الساحل من دايم وباتراي إلى سيلين، ترسانة إليوس؛ حيث وصلت أيضًا سفينة كنموس، والسفن القادمة من لوكاس التي كان من المقرر أن تنضم إليهم، بعد معركة ستراتوس.

"أرسل أهل لاكدامون ثلاثة مفوضين إلى الأسطول إلى كنموس ـ تيموكراتس، وبراديداس، وليكوفرون ـ وأصدروا إليهم أوامر بالاستعداد للمواجهة مرة أخرى بحظ أفضل، وألا يطردهم عدد قليل من السفن من البحر؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يبرروا على الإطلاق هزيمتهم، خاصة وأن هذه كانت محاولتهم الأولى في البحر؛ وتصوروا أن الأمر لم يكن بسبب قلة بحارتهم، بل كان سوء سلوك ما حدث، ولم يأخذوا في الاعتبار الخبرة الطويلة للأثينيين مقارنة بالخبرة القليلة التي مروا بها هم أنفسهم. وبناء على ذلك، أرسل المفوضون غاضبين. وبمجرد وصولهم، بدأوا العمل مع كنموس لإصدار الأوامر للسفن من الولايات المختلفة، وترتيب السفن التي لديهم بالفعل للقتال. وفي غضون ذلك، أرسل فورميو إلى أثينا رسالة عن استعداداتهم وانتصاره، وطلب إرسال أكبر عدد ممكن من السفن إليه بسرعة، لأنه كان ينتظر المعركة كل يوم. وبناء على ذلك، أرسلوا عشرين سفينة، لكن التعليمات صدرت إلى قائدهم بالذهاب أولاً إلى كريت. كان نيسياس، وهو كريتاني من جورتيس، وكان نائبًا للأثينيين، قد أقنعهم بالإبحار ضد سيدونيا، ووعدهم بإنقاذ تلك المدينة المعادية؛ وكانت رغبته الحقيقية هي إرضاء البوليخنيتانيين، جيران سيدونيا. وبناءً على ذلك، ذهب بالسفن إلى كريت، وبصحبة البوليخنيتانيين، دمّر أراضي سيدونيا؛ وبسبب الرياح المعاكسة وسوء الأحوال الجوية، أضاع وقتًا لا بأس به هناك.

وبينما كان الأثينيون محتجزين في كريت، استعد البيلوبونيزيون في سيلين للمعركة، وأبحروا على طول الساحل إلى بانورموس في آخايا، حيث جاء جيشهم البري لدعمهم. كما أبحر فورميون أيضًا على طول الساحل إلى روم موليكريان، وأرسى خارجها عشرين سفينة، وهي نفس السفن التي قاتل بها من قبل. كانت روم هذه صديقة للأثينيين. تقع الأخرى، في بيلوبونيز، مقابلها؛ يبلغ عرض البحر بينهما حوالي ثلاثة أرباع الميل، ويشكل فم خليج كريس. عند هذا، في روم آخايا، ليس بعيدًا عن بانورموس، حيث كان جيشهم، ألقى البيلوبونيزيون الآن مراسيهم بسبع وسبعين سفينة، عندما رأوا الأثينيين يفعلون ذلك. لمدة ستة أو سبعة أيام ظلوا مقابل

بعضهم البعض، يتدربون ويستعدون للمعركة؛ قرر الأول عدم الإبحار من نهر ريا إلى البحر المفتوح، خوفًا من الكارثة التي حلت بهم بالفعل، بينما قرر الآخر عدم الإبحار إلى المضيق، معتقدًا أنه من المفيد للعدو القتال في المضيق. أخيرًا، كان كنموس وبراسيداس وبقية القادة البيلوبونيسين راغبين في بدء معركة في أقرب وقت ممكن، قبل وصول التعزيزات من أثينا، ولاحظوا أن معظم الرجال كانوا خائفين من الهزيمة السابقة وغير متحمسين للعمل، فجمعوهم أولاً وشجعوهم على النحو التالي:

"أيها البيلوبونيزيون، إن الاشتباك الأخير، الذي ربما جعل بعضكم يخاف من الاشتباك الذي ينتظرنا الآن، لا يعطي في الحقيقة أي سبب وجيه للخوف. كما تعلمون، لم يكن الاستعداد لذلك كافياً؛ ولم يكن هدف رحلتنا هو القتال في البحر بقدر ما كان القيام برحلة برية. فضلاً عن ذلك، كانت احتمالات الحرب ضدنا إلى حد كبير؛ وربما كان لقلة الخبرة علاقة بفشلنا في أول عمل بحري لنا. لذا، لم يكن الجبن هو الذي أدى إلى هزيمتنا، ولا ينبغي أن يكون التصميم الذي لم تهدأه القوة، ولكنه لا يزال لديه كلمة ليقولها لخصمه، هو الذي يفقد حدته نتيجة لحادث؛ ولكن مع الاعتراف بإمكانية حدوث إجهاض عرضي، يجب أن نعلم أن القلوب الشجاعة يجب أن تكون شجاعة دائمًا، وما دامت كذلك فلا يمكنها أبدًا تقديم قلة الخبرة كعذر لسوء السلوك. ولا أنت متأخر عن العدو في الخبرة بقدر ما أنت متقدم عليه في الشجاعة؛ "ورغم أن علم خصومك، إذا ما صاحبته الشجاعة، قد يكون لديه أيضًا حضور الذهن لتنفيذ الدرس الذي تعلمه في حالات الطوارئ، إلا أن القلب الضعيف سيجعل كل فن عاجزًا في مواجهة الخطر. فالخوف يسلب حضور الذهن، وبدون الشجاعة يصبح الفن عديم الفائدة. في مواجهة خبرتهم المتفوقة، ضع جرأتك المتفوقة في مواجهة الخوف الناجم عن الهزيمة في حقيقة أنك لم تكن مستعدًا في ذلك الوقت؛ وتذكر أيضًا أنك تتمتع دائمًا بميزة الأعداد المتفوقة، والاشتباك قبالة سواحلك، بدعم من مشاتك الثقيلة؛ وكقاعدة عامة، فإن الأعداد والمعدات تحقق النصر. لذلك، لا توجد هزيمة محتملة في أي وقت؛ وفيما يتعلق بأخطائنا السابقة، فإن حقيقة حدوثها

ستعلمنا أفضل للمستقبل. لذلك، يمكن للبحارة والبحارة أن يقوموا بواجباتهم المختلفة بثقة، ولا يترك أي منهم المنصب الموكل إليه: أما بالنسبة لنا، فإننا نعد بالاستعداد للاشتباك بنفس القدر الذي أعده قادتكم السابقون على الأقل، وعدم تقديم أي عذر لأي شخص يسيء التصرف." "وإذا أصر أحد على ذلك، فسوف يواجه العقاب الذي يستحقه، في حين سيتم تكريم الشجعان بالمكافآت المناسبة للشجاعة."

ولقد شجع القادة البيلوبونيزيون رجالهم على هذا النحو. وفي الوقت نفسه، لم يكن فورميو نفسه خالياً من المخاوف بشأن شجاعة رجاله، ولاحظ أنهم كانوا يتجمعون في مجموعات فيما بينهم وكانوا مذعورين من الصعوبات التي يواجهونها، فرغب في جمعهم معًا ومنحهم الثقة والمشورة في حالة الطوارئ الحالية. لقد أخبرهم من قبل باستمرار، واعوَّد عقولهم على هذه الفكرة، أنه لا يوجد تفوق عددي لا يمكنهم مواجهته؛ وكان الرجال أنفسهم مقتنعين منذ فترة طويلة بأن الأثينيين لا يحتاجون أبدًا إلى التراجع أمام أي كمية من السفن البيلوبونيزي. ولكن في تلك اللحظة، رأى أنهم محبطون من المشهد أمامهم، ورغبًا في تجديد ثقتهم، جمعهم معًا وتحدث معهم على النحو التالي:

"أرى، يا رجالي، أنكم خائفون من عدد الأعداء، ولهذا السبب استدعيتكم، لأنني لا أريد أن تخافوا مما ليس مخيفًا حقًا. أولاً، لم يجرؤ البيلوبونيزيون، الذين هُزموا بالفعل، وحتى أنفسهم لم يعتقدوا أنهم ند لنا، على مواجهتنا على قدم المساواة، بل جهزوا هذا العدد الكبير من السفن لمواجهتنا. ثانيًا، فيما يتعلق بما يعتمدون عليه أكثر من غيره، الشجاعة التي يعتقدون أنها دستورية لهم، فإن ثقتهم هنا تنشأ فقط من النجاح الذي تحققه لهم خبرتهم في الخدمة البرية عادةً، والذي يتصورون أنه سيحقق لهم نفس الشيء في البحر. لكن هذه الميزة ستكون لنا بكل عدالة في هذا العنصر، إذا كانت لهم في ذلك؛ لأنهم ليسوا متفوقين علينا في الشجاعة، لكن كل واحد منا

أكثر ثقة، وفقًا لخبرته في قسمه الخاص. فضلاً عن ذلك، فكما يستخدم أهل لاكيديمون تفوقهم على حلفائهم لتعزيز مجدهم، فإن أغلبهم يتعرضون للخطر رغماً عنهم، وإلا لما كانوا ليخوضوا معركة جديدة بعد هذه الهزيمة الحاسمة. لذا، لا داعي للخوف من اندفاعهم. بل على العكس من ذلك، فإنك تثير فيهم قلقاً أعظم وأشد قوة، سواء بسبب انتصارك المتأخر أو بسبب اعتقادهم بأننا لن نواجههم إلا إذا كنا على وشك القيام بشيء يستحق النجاح. إن الخصم المتفوق عددياً، مثل الخصم الذي سبقنا، ينطلق إلى المعركة وهو يثق في قوته أكثر من ثقته في عزمه؛ في حين أن الخصم الذي يواجه طواعية احتمالات هائلة لابد وأن يكون لديه موارد داخلية هائلة يستطيع الاعتماد عليها. ولهذه الأسباب يخشى أهل بيلوبونيز جرأتنا غير العقلانية أكثر مما كانوا ليفعلوا لو كان لديهم استعداد أكثر تناسباً مع هذا الاستعداد. فضلاً عن ذلك، فقد استسلمت العديد من الأسلحة قبل الآن لأسلحة أقل شأناً بسبب الافتقار إلى المهارة أو الشجاعة في بعض الأحيان؛ ولا شك أن أياً من هذين العيبين ليس من نصيبنا. "أما المعركة، فلن تكون في المضيق، إذا استطعت تجنب ذلك، ولن أبحر هناك على الإطلاق؛ لأن الافتقار إلى مساحة بحرية يشكل عيبًا لا شك فيه في المنافسة بين عدد من السفن التي يتم إدارتها بشكل خرقاء وسرب صغير وسريع ومدار جيدًا. لا يمكن للمرء أن يطارد عدوًا بشكل صحيح دون أن يكون قادرًا على رؤيته من مسافة جيدة، ولا يمكنه التراجع عند الحاجة عندما يتم الضغط عليه؛ ولا يمكنه كسر الخط أو العودة إلى مؤخرته، وهي التكتيكات المناسبة للملاح السريع؛ لكن العمل البحري يصبح بالضرورة عملًا بريًا، حيث يجب أن يقرر العدد الأمر. لكل هذا سأوفر قدر الإمكان. ابقوا في مواقعكم بجوار سفنكم، وكونوا حريصين على تلقي الأوامر، خاصة وأننا نراقب بعضنا البعض من مسافة قصيرة جدًا؛ وفي العمل فكروا في النظام والصمت في غاية الأهمية - وهي صفات مفيدة في الحرب بشكل عام، وفي الاشتباكات البحرية بشكل خاص؛ وتصرفوا أمام العدو بطريقة تليق بمغامراتكم الماضية."إن القضايا التي ستقاتلون من أجلها عظيمة . تدمير الآمال البحرية التي كان يأملها أهل البيلوبونيز أو تقريب مخاوفهم من البحر إلى الأثينيين.

وأود أن أذكركم مرة أخرى بأنكم هزمتم معظمهم بالفعل؛ والرجال المهزومون لا يواجهون الخطر مرتين بنفس العزيمة".

"وكان هذا هو التحريض الذي وجهه فورميون. فلما رأى البيلوبونيزيون أن الأثينيين لم يبحروا إلى الخليج والمضيقات، لكي يقودوهم سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوا، انطلقوا عند الفجر، وشكلوا أربعة صفوف، وأبحروا داخل الخليج في اتجاه بلادهم، وكان الجناح الأيمن يقودهم لأنهم كانوا راسين على المرسى. وكان في هذا الجناح عشرون من أفضل بحارتهم؛ حتى إذا اعتقد فورميون أن هدفهم هو نوباكتوس، وساروا على طول الساحل لإنقاذ المكان، فقد لا يتمكن الأثينيون من الفرار من هجومهم بالخروج من جناحهم، بل قد تقطعهم السفن المعنية. وكما توقعوا، فقد خاف فورميون من المكان الذي كان خاليًا من حاميته في تلك اللحظة، بمجرد أن رآهم خارجًا، فصعد على مضض وعلى عجل وأبحر على طول الشاطئ؛ وكانت القوات البرية الميسينية تتحرك أيضًا لدعمه. ولما رأى البيلوبونيزيون أن الأسطول يبحر بسفنه في صف واحد، ويدخل الخليج ويقترب من الشاطئ كما أرادوا، انحرفوا فجأة بإشارة واحدة واندفعوا في خط مستقيم بأقصى سرعتهم نحو الأسطول الأثيني، على أمل قطع الطريق على الأسطول بأكمله. ولكن السفن الحادية عشرة الرائدة نجت من الجناح البيلوبونيزي وحركته المفاجئة، ووصلت إلى المياه المفتوحة؛ ولكن بقية السفن لحقت بها أثناء محاولتها الهرب، فاندفعت إلى الشاطئ وتعطلت؛ وقتل من لم يتمكن من الخروج منها سباحة. وربط البيلوبونيزيون بعض السفن بسفنهم، وسحبوها فارغة؛ وأخذوا واحدة بما فيها من رجال؛ وكانت السفن الأخرى في طريقها إلى السحب، عندما أنقذها الميسينيون الذين اندفعوا إلى البحر بدروعهم وقاتلوا من على ظهر السفن التي صعدوا عليها.

وهكذا كان النصر حليف البيلوبونيزيين، ودُمر الأسطول الأثيني؛ وكانت السفن العشرون في الجناح الأيمن في هذه الأثناء تطارد السفن الأثينية الحادية عشرة التي

نجت من حركتهم المفاجئة ووصلت إلى المياه الأكثر انفتاحًا. وقد تفوقت هذه السفن، باستثناء سفينة واحدة، عليهم جميعًا ووصلت بأمان إلى ناوباكتوس، وتشكلت بالقرب من الشاطئ مقابل معبد أبولو، وكانت مقدماتها تواجه العدو، واستعدت للدفاع عن نفسها في حالة إبحار البيلوبونيزيين إلى الشاطئ لمواجهتهم. وبعد فترة وجيزة، اقترب البيلوبونيزيون، وهم يهتفون بالترانيم لنصرهم وهم يبحرون؛ وكانت السفينة الأثينية الوحيدة المتبقية تطاردها سفينة من ليوكاديان متقدمة كثيرًا على البقية. ولكن حدث أن كانت هناك سفينة تجارية راسية في المرسى، ووجدت السفينة الأثينية الوقت للإبحار حولها، وضربت سفينة ليوكاديان في منتصف السفينة أثناء مطاردتها وأغرقتها. وقد تسبب هذا العمل المفاجئ وغير المتوقع في حالة من الذعر بين البيلوبونيزيين؛ وبعد أن خرجوا عن النظام في حماسة النصر، ألقى بعضهم مجاديفهم وتوقفوا في طريقهم للسماح للجزء الرئيسي بالصعود - وهو أمر غير آمن بالنظر إلى مدى قربهم من مقدمة سفن العدو؛ بينما جنحت سفن أخرى في المياه الضحلة، بسبب جهلهم بالمواقع.

ولقد غمرت هذه الحادثة البهجة في قلوب الأثينيين، وهبّوا على العدو، الذي أحرجه خطأه والفوضى التي وجد نفسه فيها، فلم يصمد إلا لحظة، ثم فر إلى بانورموس، التي كان قد انطلق منها. وسار الأثينيون على خطاه، واستولىوا على السفن الست الأقرب إليهم، واستعادوا سفنهم التي تعطلت بالقرب من الشاطئ وسحبوها في بداية المعركة؛ كما قتلوا بعض أفراد الطاقم وأسروا بعض الأسرى. وكان على متن السفينة ليوكاديان التي غرقت قبالة السفينة التجارية، تيموكراتس اللاكيديموني، الذي انتحر عندما غرقت السفينة، وألقي به في ميناء ناوبكتوس. وعند عودة الأثينيين، أقاموا غنائم في المكان الذي انطلقوا منه، ثم استعادوا حطام السفن والجثث التي كانت على شاطئهم، وأعادوا إلى العدو قتلاهم بموجب هدنة. كما أقام البيلوبونيزيون كأساً تذكارية للانتصار في الهزيمة التي لحقت بالسفن التي عطلوها على الشاطئ، وأهدوا السفينة التي استولوا عليها في روم الآخائية، جنباً إلى جنب مع

الكأس. وبعد ذلك، وبسبب خوفهم من التعزيزات المتوقعة من أثينا، أبحرت جميع السفن عدا الليوكاديين إلى خليج كريسان متوجهة إلى كورنثوس. وبعد فترة وجيزة من انسحابهم، وصلت السفن الأثينية العشرون، التي كان من المقرر أن تنضم إلى فورميو قبل المعركة، إلى ناوباكتوس.

وهكذا انتهى الصيف. وكان الشتاء على الأبواب؛ ولكن بعد أن شتتوا الأسطول الذي كان قد تراجع إلى كورنثوس وخليج كريسا، سمح كنموس وبراسيداس وغيرهما من قادة البيلوبونيز لأنفسهم بأن يقنعهم أهل ميجارا بمحاولة الاستيلاء على بيرايوس، ميناء أثينا، الذي كان بطبيعة الحال مفتوحاً وخالياً من الحراسة بسبب تفوقها الواضح في البحر. وكانت خطتهم على النحو التالي: كان على كل رجل أن يأخذ مجذافه ووسادة وحزاماً، وينطلق براً من كورنثوس إلى البحر على الجانب الأثيني، ليصل إلى ميجارا بأسرع ما يمكن، ويطلق أربعين سفينة، كانت في أحواض السفن في نيسايا، للإبحار على الفور إلى بيرايوس. لم يكن هناك أسطول على المراقبة في الميناء، ولم يكن لدى أحد أدنى فكرة عن محاولة العدو مفاجأة؛ في حين كان من المتصور أن الهجوم المفتوح لن يتم التخطيط له عمدًا، أو إذا تم التفكير فيه، فسيُعرف بسرعة في أثينا. تشكلت خطتهم، وكانت الخطوة التالية هي وضعها موضع التنفيذ. وصلوا ليلاً وأطلقوا السفن من نيسايا، وأبحروا، ليس إلى بيرايوس كما كانوا ينوون في الأصل، خوفًا من المخاطرة، بالإضافة إلى ذلك كان هناك بعض الحديث عن أن الرياح أوقفتهم، ولكن إلى نقطة سلاميس التي تطل على ميجارا؛ حيث كان هناك حصن وسرب من ثلاث سفن لمنع أي شيء من الإبحار إلى ميجارا أو منها. هاجموا هذا الحصن، وسحبوا السفن فارغة، وبمفاجأة بدأ السكان في تدمير بقية الجزيرة.

وفي غضون ذلك، أُطلِقَت نيران الإنذار في أثينا، وسادت حالة من الذعر الشديد لا تقل خطورة عن أي حالة أخرى حدثت أثناء الحرب. وكانت الفكرة السائدة في المدينة أن العدو قد أبحر بالفعل إلى بيرايوس: وفي بيرايوس كان يُعتقد أنهم استولوا على

سلاميس وقد يصلون إلى الميناء في أي لحظة؛ وهو ما كان ليحدث بسهولة لو كانت قلوبهم أكثر ثباتًا: فمن المؤكد أن الرياح لم تكن لتمنعهم. وبمجرد أن طلع النهار، تجمع الأثينيون بكامل قوتهم، وأبحروا بسفنهم، وشرعوا في الإبحار بسرعة وصخب مع الأسطول إلى سلاميس، بينما حرس جنودهم بيرايوس. وعندما أدرك البيلوبونيزيون نبأ الإغاثة القادمة، بعد أن اجتاحوا معظم سلاميس، أبحروا على عجل بغنائمهم وأسراهم والسفن الثلاث من حصن بودورم إلى نيصيا؛ كما تسببت حالة سفنهم في بعض القلق لديهم، حيث مر وقت طويل منذ أن أُطلِقَت، ولم تكن محكمة الإغلاق. وبعد أن وصلوا إلى ميجارا، عادوا سيرًا على الأقدام إلى كورنثوس. ولما وجدهم الأثينيون لم يعودوا في سلاميس، أبحروا عائدين؛ وبعد ذلك اتخذوا الترتيبات اللازمة لحراسة بيرايوس بشكل أكثر حرصًا في المستقبل، بإغلاق الموانئ، واتخاذ الاحتياطات المناسبة الأخرى.

وفي نفس الوقت تقريبًا، في بداية هذا الشتاء، قام سيتالسيس، ابن تيريس، ملك تراقيا الأودريسي، بحملة ضد بيرديكاس، ابن الإسكندر، ملك مقدونيا، والخلقيديين في جوار تراقيا؛ وكان هدفه هو فرض وعد والوفاء بوعد آخر. من ناحية، كان بيرديكاس قد قطع له وعدًا، عندما ضاق عليه الأمر في بداية الحرب، بشرط أن يوفق سيتالسيس بين الأثينيين وبينه وألا يحاول إعادة شقيقه وعدوه، المتظاهر فيليب، لكنه لم يعرض الوفاء بتعهده؛ ومن ناحية أخرى، وافق سيتالسيس، عند دخوله في تحالف مع الأثينيين، على وضع حد للحرب الخلقيدية في تراقيا. وكان هذان هما هدفا غزوه. وقد أحضر معه أمينتاس، ابن فيليب، الذي أرسله لعرش مقدونيا، وبعض المبعوثين الأثينيين في بلاطه آنذاك لهذه المهمة، وهاجنون كقائد؛ فكان على الأثينيين أن ينضموا إليه ضد الخلقيديان بأسطول وبأكبر عدد ممكن من الجنود.

"فبدأ بالأودريسيين، فقام أولاً باستدعاء القبائل التراقية الخاضعة له بين جبلي هيموس ورودوبي وأوكسين وهيلسبونت؛ ثم استدعى الغيتيين وراء هيموس،

والحشود الأخرى التي استقرت جنوب نهر الدانوب في جوار الأوكسين، الذين، مثل الغيتيين، يحدون السكيثيين ويسلحون بنفس الطريقة، وهم جميعًا رماة فرسان. وإلى جانب هؤلاء، استدعى العديد من المبارزين المستقلين من التراقيين على التلال، والذين يطلق عليهم ديي، والذين يسكنون في الغالب جبل رودوبي، وقد جاء بعضهم كمرتزقة، والبعض الآخر كمتطوعين؛ وكذلك الأجريين والليبيين، وبقية القبائل البايونية في إمبراطوريته، التي تقع على حدودها، وتمتد حتى البايونيين الليبيين ونهر ستريمون، الذي يتدفق من جبل سكومبرس عبر بلاد الأجريين والليبيين؛ هناك تنتهي إمبراطورية سيتالسيس وتبدأ أراضي البايونيين المستقلين. وعلى حدود قبيلة تريبالي، المستقلة أيضًا، كانت قبيلة تريريس والتيلاتيين، الذين يسكنون شمال جبل سكومبرس ويمتدون نحو غروب الشمس حتى نهر أوسكيوس. ينبع هذا النهر من نفس الجبال التي ينبع منها نهرا نيستوس وهيبروس، وهي سلسلة برية واسعة النطاق متصلة برودوبي.

كانت إمبراطورية أودريسيا تمتد على طول الساحل من أبديرا إلى مصب نهر الدانوب في البحر الأسود. ويستغرق الإبحار على هذا الساحل بأقصر طريق أربعة أيام وأربع ليالٍ في ظل وجود رياح خلفية طوال الطريق: أما إذا سلك رجل نشط أقصر طريق بري، فيمكنه الوصول من أبديرا إلى نهر الدانوب في أحد عشر يومًا. وكان طول خط ساحلها كذلك. أما إذا سلك رجل نشط طريقًا داخليًا من بيزنطة إلى اللياويين وستريمون، وهو أقصى حدود امتدادها إلى الداخل، فإن الرحلة تستغرق ثلاثة عشر يومًا. وكانت الجزية التي كانت تدفعها كل المناطق البربرية والمدن اليونانية، بما في ذلك ما جلبته تحت حكم سيوثيس، خليفة سيتالسيس، الذي رفعها إلى أعلى ارتفاع لها، تبلغ نحو أربعمائة تالنت من الذهب والفضة. "وكانت هناك هدايا من الذهب والفضة لا تقل عن الهدايا الأخرى، فضلاً عن الأقمشة البسيطة والمطرزة، وغيرها من الأشياء المصنوعة ليس فقط للملك، بل وأيضاً للوردات والنبلاء الأودريسيين. فقد نشأت هنا عادة معاكسة لتلك السائدة في المملكة الفارسية، وهي الأخذ بدلاً

من العطاء؛ حيث كان العار يلحق بعدم العطاء عند الطلب أكثر من الطلب والرفض؛ ورغم أن هذه العادة كانت سائدة في أماكن أخرى في تراقيا، إلا أنها كانت تمارس على نطاق واسع بين الأودريسيين الأقوياء، حيث كان من المستحيل إنجاز أي شيء بدون هدية. وبالتالي كانت مملكة قوية للغاية؛ في الإيرادات والرخاء العام تفوقت على كل ما في أوروبا بين الخليج الأيوني والبحر الأسود، وفي الأعداد والموارد العسكرية تأتي بعد السكيثيين بشكل واضح، والذين لا يمكن مقارنة أي شعب في أوروبا بهم، حتى في آسيا لا توجد أمة واحدة تضاهيهم إذا أجمعوا على ذلك، رغم أنهم بالطبع ليسوا على نفس مستوى الأجناس الأخرى في الذكاء العام وفنون الحياة المتحضرة.

كان سيد هذه الإمبراطورية هو الذي استعد الآن لدخول الميدان. وعندما أصبح كل شيء جاهزًا، انطلق في مسيرته إلى مقدونيا، أولاً عبر ممتلكاته الخاصة، ثم عبر سلسلة جبال سيرسيني المهجورة التي تفصل بين السينتيان والبايونيين، وعبر طريقًا شقّه بقطع الأخشاب في حملة سابقة ضد هذا الشعب. وبعد أن عبر هذه الجبال، وكان البايونيون على يمينه والسينتيان والميديين على يساره، وصل أخيرًا إلى دوبيرس في بايونيا، ولم يفقد أيًا من جيشه في المسيرة، ربما باستثناء المرض، ولكنه تلقى بعض التعزيزات، حيث تطوع العديد من التراقيين المستقلين للانضمام إليه على أمل النهب؛ حتى أن الجميع يُقال إن العدد الإجمالي بلغ مائة وخمسين ألفًا. كان معظم هذا من المشاة، على الرغم من وجود حوالي ثلث سلاح الفرسان، تم تزويدهم بشكل أساسي من قبل الأودريسيين أنفسهم وبجانبهم الغيتيون. وكان أكثر المشاة حربية هم المبارزون المستقلون الذين نزلوا من رودوبي؛ أما بقية الحشد المختلط الذي تبعه فكانوا هائلين بسبب أعدادهم.

"وبعد أن اجتمعوا في دوبيرس، استعدوا للنزول من المرتفعات في مقدونيا السفلى، حيث كانت أراضي بيرديكاس تقع؛ لأن الليسيستاي، والإليميوت، وغيرهما من القبائل في الداخل، على الرغم من كونهم مقدونيين بالدم، وحلفاء ومعتمدين من

أقاربهم، ما زالوا لديهم حكوماتهم المنفصلة. وقد استولى الإسكندر، والد بيرديكاس، وأسلافه، الذين كانوا في الأصل من التيمنيين من أرغوس، على البلاد الواقعة على ساحل البحر، والتي تسمى الآن مقدونيا. وقد تم ذلك بطرد البيريانيين من بييريا، الذين سكنوا بعد ذلك فاجريس وأماكن أخرى تحت جبل بانجيوس، وراء ستريمون (في الواقع، لا تزال البلاد الواقعة بين بانجيوس والبحر تسمى خليج بييريا)؛ وطرد البوتيانيين، وهم جيران خالكيديين حاليًا، من بوتيا، وبحصولهم في بيونيا على شريط ضيق على طول نهر أكسيوس يمتد إلى بيلا والبحر؛ كما تم إضافة منطقة ميجدونيا الواقعة بين نهري أكسيوس وستريمون، بعد طرد الأدونيين. كما تم طرد الأورديين من إورديا، الذين هلك معظمهم، على الرغم من أن القليل منهم ما زالوا يعيشون حول فيسكا، والألموبيين من ألموبيا. كما غزا هؤلاء المقدونيون أماكن تابعة للقبائل الأخرى، والتي لا تزال لهم - أنثيموس، وكريستونيا، وبسالتيا، ومعظم مقدونيا نفسها. يُطلق على كل ذلك الآن مقدونيا، وفي وقت غزو سيتالسيس، كان بيرديكاس، ابن الإسكندر، هو الملك الحاكم.

ولم يكن المقدونيون قادرين على خوض المعركة ضد هذا العدد الكبير من الغزاة، فاحتبسوا في أماكن وحصون قوية كانت البلاد تمتلكها. ولم يكن عدد هذه الحصون والحصون كبيراً، فقد أقام أرخيلاوس ابن بيرديكاس معظم الحصون والحصون التي كانت موجودة في البلاد بعد توليه الحكم، كما شق طرقاً مستقيمة، ووضع المملكة على أسس أفضل فيما يتصل بالخيول والمشاة الثقيلة وغير ذلك من معدات الحرب مقارنة بما حققه كل الملوك الثمانية الذين سبقوه. وبعد أن تقدم جيش التراقيين من دوبيرس، غزت أولاً ما كان في السابق حكومة فيليب، واستولت على إيدومين بالهجوم، وجورتينيا، وأتالانتا، وبعض الأماكن الأخرى عن طريق التفاوض، ثم عادت هذه الأخيرة إلى البلاد حباً بابن فيليب أمينتاس، ثم مع سيتالكس. وبعد أن حاصر أوروبا، ولم يتمكن من الاستيلاء عليها، تقدم بعد ذلك إلى بقية مقدونيا

على يسار بيلا وقورش، ولم يتقدم إلى أبعد من ذلك إلى بوتياي وبيريا، بل توقف لتدمير ميجدونيا وكريستونيا وأنثيموس.

ولم يخطر ببال المقدونيين حتى أن يلتقوا به بالمشاة؛ ولكن جيش التراقيين تعرض للهجوم عندما سنحت الفرصة، بواسطة حفنة من خيولهم، التي تم تعزيزها من حلفائهم في الداخل. وكانوا مسلحين بالدروع وفرسان ممتازين، وكانوا يتغلبون على كل من أمامهم أينما هاجموا، لكنهم كانوا يخاطرون كثيرًا بالتورط في حشود العدو، ولذلك تراجعوا أخيرًا عن هذه الجهود، معتبرين أنهم ليسوا أقوياء بما يكفي لخوض معركة ضد أعداد متفوقة إلى هذا الحد.

وفي غضون ذلك، بدأ سيتالكس مفاوضات مع بيرديكاس حول أهداف حملته؛ وعندما وجد أن الأثينيين، الذين لم يصدقوا أنه سيأتي، لم يظهروا بأسطولهم، على الرغم من أنهم أرسلوا الهدايا والمبعوثين، أرسلوا جزءًا كبيرًا من جيشه ضد الكالسيديين والبوتيين، وحبسوهم داخل أسوارهم مما أدى إلى تدمير بلادهم. وبينما بقي في هذه الأجزاء، كان الناس في الجنوب، مثل الثيساليين، والمغنطيين، والقبائل الأخرى الخاضعة للثيساليين، والهيلينيين حتى ثيرموبيلاي، يخشون جميعًا أن يتقدم الجيش ضدهم، واستعدوا وفقًا لذلك. وشاركهم في هذه المخاوف التراقيون وراء نهر ستريمون إلى الشمال، الذين سكنوا السهول، مثل البانايين، والأدومانتي، والدروي، والديرسايين، وكلهم مستقلون. حتى أن الهيلينيين الذين كانوا أعداء أثينا كانوا يناقشون ما إذا كان حليفه سيدعوه للتقدم ضدهم أيضًا. وفي الوقت نفسه، استولى على خالكيذيكي وبوتيكي ومقدونيا، ودمرها كلها؛ ولكن عندما وجد أنه لم ينجح في أي من أهداف غزوه، وأن جيشه كان بلا مؤن وكان يعاني من قسوة الموسم، استمع إلى نصيحة سيوثيس، ابن سبارداكوس، ابن أخيه وأعلى ضابط، وقرر الانسحاب دون تأخير. كان سيوثيس قد حصل عليه سراً من قبل بيرديكاس بوعد أخته بالزواج بمهر كبير. ووفقًا لهذه النصيحة، وبعد إقامة دامت ثلاثين يومًا في

المجموع، قضى ثمانية منها في خالكيذيكي، انسحب إلى وطنه بأسرع ما يمكن؛ وبعد ذلك أعطى بيرديكاس أخته ستراتونيكي لسوثيس كما وعد. هذه كانت قصة حملة سيتالسيس.

وفي أثناء هذا الشتاء، وبعد تشتت أسطول البيلوبونيز، سار الأثينيون في ناوباكتوس، بقيادة فورميو، على طول الساحل إلى أستاكوس ونزلوا من السفينة، وزحفوا إلى داخل أكارنانيا برفقة أربعمائة من المشاة الأثينيين الثقيلين وأربعمائة من الميسينيين. وبعد طرد بعض الأشخاص المشتبه بهم من ستراتوس وكورونتا وأماكن أخرى، وإعادة سينيس، ابن ثيوليتوس، إلى كورونتا، عادوا إلى سفنهم، وقد قرروا أنه من المستحيل في موسم الشتاء الزحف ضد أونياداي، وهو المكان الذي كان دائمًا معاديًا لهم على عكس بقية أكارنانيا؛ "فإن نهر أخيلوس الذي يتدفق من جبل بيندوس عبر دولوبيا وبلاد الأغريين والأمفيلوخيين وسهل أكارنانيا، ويمر بمدينة ستراتوس في الجزء العلوي من مجراه، يشكل بحيرات حيث يصب في البحر حول أونيادا، وبالتالي يجعل من غير العملي أن يكون هناك جيش في الشتاء بسبب الماء. وفي مواجهة أونيادا تقع معظم الجزر المسماة إكينيدس، وهي قريبة جدًا من مصبات أخيلوس لدرجة أن هذا التيار القوي يشكل باستمرار رواسب ضدها، وقد انضم بالفعل إلى بعض الجزر في القارة، ويبدو من المرجح أن يفعل الشيء نفسه مع الباقي في وقت قريب. لأن التيار قوي وعميق وعكر، والجزر سميكة جدًا بحيث تعمل على حبس الرواسب الطميية ومنع تشتتها، حيث تقع، كما هي الحال، ليس في خط واحد، بل بشكل غير منتظم، بحيث لا تترك أي ممر مباشر للمياه إلى البحر المفتوح. الجزر المعنية غير مأهولة بالسكان وليست كبيرة الحجم. وهناك قصة أخرى تقول إن ألكماون، ابن أمفيراوس، أثناء تجواله بعد مقتل والدته، أمره أبولو أن يسكن هذا المكان، من خلال وحي أشار إليه بأنه لن يتحرر من مخاوفه حتى يجد بلدًا يسكنه لم تره الشمس، أو لم يكن موجودًا كأرض في الوقت الذي قتل فيه والدته؛ فكل شيء آخر كان بالنسبة له أرضًا ملوثة. وتستمر القصة في القول إنه حير

عند هذا الحد، فلاحظ أخيرًا هذا الرواسب من آخيلوس، وفكر في أن مكانًا كافيًا لدعم الحياة ربما يكون قد نشأ خلال الفترة الطويلة التي انقضت منذ وفاة والدته وبداية تجواله. لذلك، استقر في المنطقة المحيطة بأونياداي، وأسس مملكة، وترك البلد باسم ابنه أكارنان. هذه هي القصة التي تلقيناها عن ألكماون.

"وبعد أن عاد الأثينيون وفورميو من أكارنانيا ووصلوا إلى ناوباكتوس، أبحروا إلى أثينا في الربيع، حاملين معهم السفن التي استولوا عليها، والأسرى الذين وقعوا في المعارك الأخيرة من الأحرار؛ الذين تم تبادلهم رجلاً برجل. وهكذا انتهى هذا الشتاء، والسنة الثالثة من هذه الحرب، التي كان ثوسيديديس مؤرخها."

الكتاب الثالث

الفصل التاسع

السنة الرابعة والخامسة من الحرب - ثورة ميتيليني

وفي الصيف التالي، وبينما كانت الذرة تنضج، غزا البيلوبونيزيون وحلفاؤهم أتيكا تحت قيادة أرشيداموس، ابن زيوكسيداموس، ملك اللاكديمونيين، وجلسوا هناك ونهبوا الأرض؛ وكانت الخيول الأثينية تهاجمهم كالمعتاد، حيثما أمكن ذلك، وتمنع حشود القوات الخفيفة من التقدم من معسكرها وإهدار الأجزاء القريبة من المدينة. وبعد أن مكثوا في المكان الذي أخذوا فيه المؤن، انسحب الغزاة وتفرقوا في مدنهم المختلفة.

وبعد غزو البيلوبونيزيين مباشرة، ثارت كل جزيرة ليسبوس، باستثناء ميثيمنا، ضد الأثينيين. وكانت السحاقيات يرغبن في الثورة حتى قبل الحرب، لكن اللاكديمونيين لم يتقبلوا ذلك؛ ومع ذلك، عندما ثاروا الآن، اضطروا إلى القيام بذلك قبل الموعد الذي خططوا له. "بينما كانوا ينتظرون الانتهاء من بناء موانئهم والسفن والجدران التي كانوا يبنونها، ووصول الرماة والذرة وأشياء أخرى كانوا مشغولين بجلبها من البنطس، أبلغ التينيديون الذين كانوا على عداوة معهم، والميثيمينيين، وبعض الأشخاص المتعصبين في ميتيليني نفسها، الذين كانوا مقربين من أثينا، الأثينيين أن الميتيلينيين كانوا يوحدون الجزيرة بالقوة تحت سيادتهم، وأن الاستعدادات التي كانوا نشطين فيها للغاية، كانت كلها بالاتفاق مع البويوتيين أقاربهم واللاكيديمونيين بهدف الثورة، وأنه ما لم يتم منعهم على الفور، فإن أثينا ستخسر ليسبوس.

ولكن الأثينيين، الذين أصابهم الطاعون، والحرب التي اندلعت مؤخرًا والتي كانت مستعرة الآن، اعتقدوا أن إضافة ليسبوس بأسطولها ومواردها غير المستغلة إلى

قائمة أعدائهم أمر خطير؛ وفي البداية لم يصدقوا الاتهام، وأعطوا وزنًا كبيرًا لرغبتهم لدرجة أنها قد لا تكون صحيحة. ولكن عندما فشلت السفارة التي أرسلوها في إقناع سكان ميتيليني بالتخلي عن الاتحاد والاستعدادات التي اشتكوا منها، أصيبوا بالفزع، وقرروا توجيه الضربة الأولى. وبناءً على ذلك، أرسلوا فجأة أربعين سفينة كانت جاهزة للإبحار حول بيلوبونيز، تحت قيادة كليبيدس، ابن دينياس، واثنين آخرين؛ بعد أن وصلتهم أنباء عن مهرجان تكريمًا لأبولون المالي خارج المدينة، والذي يحتفل به جميع سكان ميتيليني، والذي قد يأملون في مفاجأتهم إذا سارعوا إلى ذلك. وإذا نجحت هذه الخطة، فهذا جيد وجيد؛ "وإذا لم يفعلوا ذلك، كان عليهم أن يأمروا أهل ميتيليني بتسليم سفنهم وهدم أسوارهم، وإذا لم يطيعوا الأوامر، أعلنوا الحرب. وبناءً على ذلك، انطلقت السفن؛ واحتجز الأثينيون السفن العشر التي تشكل فرقة أهل ميتيليني الحاضرة مع الأسطول وفقًا لشروط التحالف، ووضعوا طواقمها تحت الحراسة. ومع ذلك، أبلغ أهل ميتيليني بالحملة رجل عبر من أثينا إلى أوبيا، وذهب براً إلى جيريستوس، وأبحر من هناك على متن سفينة تجارية وجدها على وشك الإبحار، وهكذا وصل إلى ميتيليني في اليوم الثالث بعد مغادرة أثينا. وبناءً على ذلك، امتنع أهل ميتيليني عن الخروج إلى المعبد في ماليا، وعلاوة على ذلك، تحصنوا وحرسوا الأجزاء غير المكتملة من أسوارهم وموانئهم.

ولما أبحر الأثينيون بعد فترة وجيزة ورأوا كيف سارت الأمور، أصدر القادة أوامرهم، وعندما رفض الميتيلينيون الانصياع، بدأوا في الأعمال العدائية. وبسبب اضطرار الميتيلينيين إلى خوض الحرب دون سابق إنذار ودون استعداد، أبحروا في البداية بأسطولهم وتظاهروا بالقتال، على مسافة قصيرة من الميناء؛ ولكن عندما طردتهم السفن الأثينية، عرضوا على الفور التعامل مع القادة، راغبين، إذا أمكن، في إبعاد السفن في الوقت الحالي بأي شروط مقبولة. قبل القادة الأثينيون عروضهم، لأنهم خشوا هم أنفسهم من عدم قدرتهم على التعامل مع جزيرة ليسبوس بأكملها؛ وبعد إبرام الهدنة، أرسل الميتيلينيون إلى أثينا أحد المخبرين، الذي ندم بالفعل على

سلوكه، وآخرين معه، لمحاولة إقناع الأثينيين ببراءة نواياهم واستدعاء الأسطول. وفي هذه الأثناء، ولم يكن لديهم أمل كبير في الحصول على إجابة إيجابية من أثينا، فأرسلوا أيضًا سفينة حربية تحمل مبعوثين إلى لاكيدايمون، دون أن يلاحظهم الأسطول الأثيني الذي كان راسيًا في ماليا إلى الشمال من المدينة.

وبينما كان هؤلاء المبعوثون، الذين وصلوا إلى لاكيدايمون بعد رحلة شاقة عبر البحر المفتوح، يتفاوضون بشأن إرسال المساعدات إليهم، عاد السفراء من أثينا دون أن يحققوا أي شيء؛ وبدأت الأعمال العدائية على الفور بين الميتيلينيين وبقية سكان ليسبوس، باستثناء الميثيمنيين، الذين جاءوا لمساعدة الأثينيين مع الإمبريين والليمنيين وبعض الحلفاء الآخرين. وقام الميتيلينيون بشن هجوم بكل قواتهم ضد المعسكر الأثيني؛ ونشبت معركة، اكتسبوا فيها بعض الميزة الطفيفة، لكنهم انسحبوا على الرغم من ذلك، لأنهم لم يشعروا بالثقة الكافية في أنفسهم لقضاء الليل في الميدان. وبعد ذلك التزموا الصمت، راغبين في انتظار فرصة وصول التعزيزات من البيلوبونيز قبل القيام بمغامرة ثانية، وقد شجعهم وصول ميلياس، وهو من لاكون، وهيرمايونداس، وهو من طيبة، والذي تم إرساله قبل التمرد ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى ليسبوس قبل الحملة الأثينية، والذي تسلل الآن في سفينة حربية بعد المعركة، ونصحهم بإرسال سفينة حربية أخرى ومبعوثين معهم، وهو ما فعله الميتيلينيون وفقًا لذلك.

وفي الوقت نفسه، شجع الأثينيون بشدة تقاعس الميتيلينيين، فاستدعوا الحلفاء لمساعدتهم، الذين جاءوا بسرعة كبيرة بعد أن رأوا ضعف القوة التي أظهرها السحاقيات، وأحضروا سفنهم إلى محطة جديدة إلى الجنوب من المدينة، وحصنوا معسكرين، واحد على كل جانب من المدينة، وفرضوا حصارًا على كلا الميناءين. وبذلك أغلق البحر في وجه الميتيلينيين، الذين سيطروا على البلاد بأكملها، مع بقية

السحاقيات الذين انضموا إليهم الآن؛ ولم يسيطر الأثينيون إلا على منطقة محدودة حول معسكراتهم، واستخدموا ماليا كمحطة لسفنهم وسوقهم.

وبينما كانت الحرب مستمرة على هذا النحو في ميتيليني، أرسل الأثينيون أيضًا في نفس الوقت تقريبًا من هذا الصيف ثلاثين سفينة إلى البيلوبونيز بقيادة أسوبيوس، ابن فورميو؛ وأصر الأكارنانيون على أن القائد المرسل يجب أن يكون أحد أبناء فورميو أو أقاربه. وبينما كانت السفن تبحر على طول الشاطئ، خربوا ساحل لاكونيا؛ وبعد ذلك أرسل أسوبيوس معظم الأسطول إلى الوطن، وذهب هو نفسه مع اثنتي عشرة سفينة إلى ناوباكتوس، وبعد ذلك حشد كل سكان أكارنانيون وقام بحملة ضد أونيادي، وأبحر الأسطول على طول أخيلوس، بينما دمر الجيش البلاد. ومع ذلك، لم يُظهر السكان أي علامات على الاستسلام، فصرف القوات البرية وأبحر هو إلى لوكاس، وأثناء نزوله على نيريكوس، انقطعت الطريق أثناء انسحابه، ومعظم قواته معه، من قبل الناس في تلك الأجزاء بمساعدة بعض خفر السواحل؛ وبعد ذلك أبحر الأثينيون بعيدًا، واستعادوا قتلاهم من الليوكاديين بموجب هدنة.

وفي هذه الأثناء، أمر أهل لاكيديمون مبعوثي أهل ميتيلين الذين أُرسلوا في السفينة الأولى بالحضور إلى أوليمبيا، حتى يسمعهم بقية الحلفاء ويقرروا أمرهم، وهكذا سافروا إلى هناك. وفي الأولمبياد حقق دوريوس الرودي انتصاره الثاني، وبعد أن تم تقديم المبعوثين لإلقاء خطابهم بعد المهرجان، تحدثوا على النحو التالي:

"إن الحكم الذي تأسس بين اليونانيين ليس خافياً علينا، أيها الإغريق واليونانيون وحلفاؤهم. إن أولئك الذين يثورون في الحرب ويتخلون عن تحالفهم السابق يحظون بتقدير أولئك الذين يستقبلونهم، بقدر ما يفيدونهم، ولكنهم في غير ذلك يعتبرون أقل شأناً، من خلال اعتبارهم خونة لأصدقائهم السابقين. ولا تعد هذه طريقة غير عادلة للحكم، حيث يكون المتمردون والقوة التي ينفصلون عنها متحدين في السياسة والتعاطف، ومتكافئين في الموارد والقوة، وحيث لا يوجد سبب معقول

للتمرد. ولكن بالنسبة لنا والأثينيين لم يكن هذا هو الحال؛ ولا ينبغي لأحد أن يفكر فينا بالأسوأ لأننا تمردنا عليهم في خطر، بعد أن كرمونا في وقت السلم.

"إن العدالة والنزاهة ستكونان أول موضوعين لخطابنا، وخاصة أننا نطالب بالتحالف؛ لأننا نعلم أنه لا يمكن أن تكون هناك صداقة راسخة بين الأفراد، أو اتحاد بين المجتمعات يستحق هذا الاسم، ما لم يقتنع الطرفان بصدق كل منهما، ويكون كل منهما متناغمًا مع الآخر بشكل عام؛ لأن الاختلاف في المشاعر ينبع أيضًا من الاختلاف في السلوك. بدأ التحالف بيننا وبين الأثينيين، عندما انسحبتم من الحرب الميدية وبقوا لإنهاء المهمة. لكننا لم نصبح حلفاء للأثينيين لإخضاع الهيلينيين، بل حلفاء للهيلينيين لتحريرهم من الميديين؛ وطالما قادنا الأثينيون بنزاهة، فقد اتبعناهم بإخلاص؛ ولكن عندما رأيناهم يخففون من عدائهم للميديين، في محاولة لإخضاع الحلفاء، بدأت مخاوفنا. ولكن بسبب عجز الحلفاء عن التوحد والدفاع عن أنفسهم بسبب عدد الحلفاء الذين حصلوا على أصوات، فقد استعبدوا جميعهم، باستثناءنا نحن وأهل خيوس، الذين استمروا في إرسال قواتنا باعتبارها مستقلة وحرة اسميًا. ولكن لم يعد بوسعنا أن نثق في أثينا كزعيمة، وذلك استنادًا إلى الأمثلة التي ذكرناها بالفعل؛ فمن غير المرجح أن تقلل أثينا من عدد الحلفاء الآخرين، ولا تفعل الشيء نفسه تجاهنا نحن الذين بقينا، إذا كانت لها السلطة على الإطلاق.

"لو كنا جميعًا ما زلنا مستقلين، لكان بوسعنا أن نثق في عدم محاولتهم إحداث أي تغيير؛ ولكن بما أن العدد الأكبر من رعاياهم كانوا يعاملوننا على أننا متساوون، فإنهم كانوا ليشعروا بالضيق بطبيعة الحال من هذا المثال المنعزل للاستقلال على النقيض من خضوع الأغلبية؛ وخاصة مع ازدياد قوتهم يومًا بعد يوم، وازدياد فقرنا. والآن فإن الأساس الوحيد المؤكد للتحالف هو أن يكون كل طرف خائفًا من الطرف الآخر على قدم المساواة؛ ومن يرغب في التعدي يردعه التفكير في أنه لن تكون لديه فرص لصالحه. مرة أخرى، إذا تُركِنا مستقلين، فذلك فقط لأنهم اعتقدوا أنهم رأوا

طريقهم إلى الإمبراطورية بشكل أكثر وضوحًا من خلال اللغة الخادعة ومسارات السياسة وليس من خلال القوة. لم نكن مفيدين فقط كدليل على أن القوى التي لديها أصوات، مثلهم، لن تنضم إليهم بالتأكيد في حملاتهم، ضد إرادتهم، دون أن يكون الطرف المهاجم على خطأ؛ ولكن نفس النظام مكنهم أيضًا من قيادة الدول الأقوى ضد الدول الأضعف أولاً، وبالتالي ترك الدول الأولى إلى النهاية، مجردة من حلفائها الطبيعيين، وأقل قدرة على المقاومة. ولكن لو بدأوا بنا، بينما كانت جميع الدول لا تزال تسيطر على مواردها الخاصة، وكان هناك مركز يمكن الالتفاف حوله، لكان عمل الاستعباد أقل سهولة. بالإضافة إلى ذلك، أعطتهم بحريتنا بعض المخاوف: كان من الممكن دائمًا أن تتحد معك أو مع أي قوة أخرى، وتصبح خطرة على أثينا. كما ساعدتنا المحكمة التي كنا نمنحها لزعمائهم وزعمائهم في الوقت الحالي على الحفاظ على استقلالنا. ومع ذلك، لم نتوقع أن نتمكن من القيام بذلك لفترة أطول، إذا لم تندلع هذه الحرب، من الأمثلة التي تلقيناها من سلوكهم تجاه الآخرين.

"فكيف إذن نستطيع أن نضع ثقتنا في مثل هذه الصداقة أو الحرية التي حظينا بها هنا؟ لقد تقبلنا بعضنا البعض على الرغم من ميولنا؛ لقد دفعهم الخوف إلى التودد إلينا في الحرب، وجعلناهم في السلام؛ لقد حل الرعب محل التعاطف، وهو الأساس العادي للثقة، حيث كان الخوف أكثر مساهمة من الصداقة في احتجازنا في التحالف؛ وكان أول طرف ينبغي أن يشجعه الأمل في الإفلات من العقاب من المؤكد أنه سيخون العهد مع الطرف الآخر. لذا فإن إدانتنا لكوننا أول من يقطع، لأنهم يؤخرون الضربة التي نخشاها، بدلاً من تأخيرنا في معرفة ما إذا كانت ستوجه إلينا أم لا، هو اتخاذ وجهة نظر خاطئة للقضية. لأنه إذا كنا قادرين على مواجهة مؤامراتهم وتقليد تأخيرهم، فسنكون متساوين معهم ولن نكون تحت أي ضرورة لأن نكون رعايا لهم؛ ولكن حرية الإساءة تكون دائمًا لهم، ويجب أن تكون حرية الدفاع واضحة لنا.

"إن أسباب ثورتنا، أيها أهل لاكيدايمون وحلفاؤهم، واضحة بما يكفي لإقناع سامعينا بعدالة سلوكنا، وكافية لإثارة قلقنا، ودفعنا إلى اللجوء إلى بعض وسائل الأمان. لقد أردنا أن نفعل هذا منذ زمن بعيد، عندما أرسلنا إليكم بشأن هذا الموضوع بينما كان السلام لا يزال قائماً، لكننا رُفضنا بسبب رفضكم استقبالنا؛ والآن، بناءً على دعوة أهل بيوتيا لنا، استجبنا على الفور للدعوة، وقررنا القيام بثورة مزدوجة، من اليونانيين ومن الأثينيين، ليس لمساعدة الأخيرين في إيذاء الأولين، ولكن للمشاركة في تحريرهم، وعدم السماح للأثينيين في النهاية بتدميرنا، ولكن للعمل ضدهم في الوقت المناسب.

"ولكن ثورتنا حدثت قبل أوانها ودون استعداد مسبق . وهي حقيقة تجعل من الواجب عليكم أن ترحبوا بنا في التحالف وأن ترسلوا لنا الإغاثة السريعة، لكي تظهروا دعمكم لأصدقائكم، وفي الوقت نفسه تلحقون الأذى بأعدائكم. إن لديكم فرصة لم تسنح لكم من قبل قط. لقد أهدر المرض والنفقات قوا الأثينيين: فسفنهم إما تبحر حول سواحلكم، أو تشارك في حصارنا؛ وليس من المحتمل أن يكون لديهم ما يدخرونه، إذا غزوتموهم مرة أخرى هذا الصيف بحراً وبراً؛ ولكنهم إما لن يقاوموا سفنكم، أو ينسحبوا من شواطئنا. ولا ينبغي لنا أن نتصور أن هذا هو وضع أنفسكم في خطر من أجل بلد ليس بلدكم. قد تبدو جزيرة ليسبوس بعيدة، ولكن عندما تكون هناك حاجة إلى المساعدة، فسوف تجدونها قريبة بما فيه الكفاية. ولن تُحسم الحرب في أتيكا، كما يتصور البعض، بل في البلدان التي تدعم أتيكا؛ "إن العائدات الأثينية تستمد من الحلفاء، وستزداد أكثر إذا قللوا من شأننا؛ فليس فقط لأنه لن تثور أي دولة أخرى، بل ستضاف مواردنا إلى مواردهم، وسنُعامَل معاملة أسوأ من معاملة أولئك الذين استعبدوا من قبل. ولكن إذا دعمتمونا بصراحة، فسوف تضيفون إلى صفكم دولة لديها أسطول بحري كبير، وهو ما تحتاجون إليه بشدة؛ وسوف تمهدون الطريق للإطاحة بالأثينيين من خلال حرمانهم من حلفائهم، الذين سيشجعون بشدة على القدوم إلى بلادهم؛ وسوف تتحررون من التهمة الموجهة إليكم، بعدم دعم التمرد. باختصار، أظهروا أنفسكم كمحررين، ويمكنك الاعتماد على الحصول على الميزة في الحرب.

"احترموا، إذن، الآمال التي وضعها عليكم الإغريق، وزيوس الأوليمبي، الذي نقف في معبده متوسلين للغاية؛ كونوا حلفاء ومدافعين عن الميتيلينيين، ولا تضحّوا بنا، نحن الذين نخاطر بحياتنا، في قضية سينتج عنها الخير العام للجميع من نجاحنا، وسينتج عنها ضرر أعم إذا فشلنا بسبب رفضكم مساعدتنا؛ ولكن كونوا الرجال الذين يعتقد الإغريق أنكم ترغبون فيهم، وترغبهم مخاوفنا."

كانت هذه هي كلمات أهل ميتيلين. وبعد أن استمع أهل لاكيديمون وحلفاؤهم إلى ما طلبوه، وافقوا على ما طلبوه، وتحالفوا مع السحاقيات، وقرروا غزو أتيكا، وطلبوا من الحلفاء الحاضرين أن يتقدموا بأسرع ما يمكن إلى البرزخ بثلثي قواتهم؛ وعندما وصلوا إلى هناك هم أولاً، أعدوا آلات لنقل سفنهم عبر كورنثوس إلى البحر على جانب أثينا، من أجل شن هجومهم بحراً وبراً في الحال. ومع ذلك، لم يقلد بقية الحلفاء الحماسة التي أظهروها، الذين جاءوا ببطء، حيث كانوا مشغولين بحصاد الذرة ومللوا من القيام بالبعثات.

وفي الوقت نفسه أدرك الأثينيون أن استعدادات العدو كانت بسبب اقتناعه بضعفهم، وأرادوا أن يثبتوا له أنه كان مخطئًا، وأنهم قادرون على صد الهجوم الذي هددهم من البيلوبونيز بسهولة دون تحريك الأسطول الليزابيثي، فجهزوا مائة سفينة بمواطني أثينا، باستثناء الفرسان والبنتاكوسيوميديمني والأجانب المقيمين؛ وأبحروا إلى البرزخ، وأظهروا قوتهم، ونزلوا على البيلوبونيز حيثما شاءوا. وقد دفع خيبة الأمل الشديدة أهل لاكيدايمون إلى الاعتقاد بأن الليزابيثيين لم يقولوا الحقيقة؛ وخجلوا من عدم ظهور الحلفاء، إلى جانب الأخبار التي تفيد بأن السفن الثلاثين التي تدور حول البيلوبونيز كانت تخرب الأراضي القريبة من أسبرطة، فعادوا إلى ديارهم. وبعد ذلك، أعدوا أسطولاً لإرساله إلى ليسبوس، وأصدروا أوامرهم بإرسال أربعين سفينة من المدن المختلفة في الحلف، وعينوا ألكيداس لقيادة الحملة بصفته أميرالاً

أعلى. وفي الوقت نفسه، عاد الأثينيون في المائة سفينة إلى ديارهم، بعد أن رأوا أهل لاكيدايمون يعودون إلى ديارهم.

وإذا كانت أثينا في ذلك الوقت تمتلك أكبر عدد من السفن من الدرجة الأولى في الخدمة، فإن هذا العدد كان أكبر من أي عدد امتلكته في أي وقت مضى، أو حتى أكثر عندما بدأت الحرب. ففي ذلك الوقت كانت مائة سفينة تحرس أتيكا، وإيبوا، وسلاميس؛ وكانت مائة أخرى تبحر حول بيلوبونيز، إلى جانب السفن المستخدمة في بوتيديا وأماكن أخرى؛ مما يجعل المجموع الكلي للسفن المستخدمة في الخدمة الفعلية في صيف واحد مائتين وخمسين سفينة. وكان هذا، مع بوتيديا، هو الذي استنفد إيراداتها إلى حد كبير. حيث كانت بوتيديا محاصرة بقوة من المشاة الثقيلة (كان كل منهم يتقاضى دراخمتين في اليوم، واحدة لنفسه وأخرى لخادمه)، والتي بلغت في البداية ثلاثة آلاف، وظلت بهذا العدد حتى نهاية الحصار؛ إلى جانب ستمائة سفينة مع فورميو الذي غادر قبل أن ينتهي الحصار؛ وكانت جميع السفن تتقاضى نفس الأجر. وبهذه الطريقة أهدرت أموالها في البداية؛ وكان هذا أكبر عدد من السفن التي كانت مأهولة بها على الإطلاق.

وفي نفس الوقت تقريبًا الذي كان فيه اللاكديمونيون عند البرزخ، سار الميتيلينيون برًا مع مرتزقتهم ضد ميثيمنا، التي اعتقدوا أنهم سيكسبونها بالخيانة. وبعد مهاجمة المدينة، وعدم تحقيق النجاح الذي توقعوه، انسحبوا إلى أنتيسا وبيرها وإريسوس؛ واتخذوا التدابير اللازمة لتحسين أمن هذه المدن وتعزيز أسوارها، وعادوا إلى ديارهم على عجل. وبعد رحيلهم سار الميتيلينيون ضد أنتيسا، لكنهم هزموا في هجمة على يد الأنتيسيين ومرتزقتهم، وانسحبوا على عجل بعد أن فقدوا الكثير من أفرادهم. ووصلت أخبار هذا إلى أثينا، وعلم الأثينيون أن الميتيلينيين هم سادة البلاد وأن جنودهم غير قادرين على كبح جماحهم، فأرسلوا في بداية الخريف باتشيس، ابن إبيكوروس، لتولي القيادة، وألفًا من المشاة الأثينيين الثقيلين؛ الذين شقوا طريقهم

بأنفسهم، وعندما وصلوا إلى ميتيليني، بنوا سورًا واحدًا حولها، وأقاموا الحصون في بعض أقوى النقاط. وهكذا أصبحت ميتيليني محاصرة بشكل صارم من كلا الجانبين، برًا وبحرًا؛ وكان الشتاء يقترب الآن.

كان الأثينيون في حاجة إلى المال لحصار المدينة، على الرغم من أنهم جمعوا لأول مرة مساهمة قدرها مائتي تالنت من مواطنيهم، فأرسلوا اثنتي عشرة سفينة لجمع الإعانات من حلفائهم، وكان ليزيكليس وأربعة آخرون في قيادتهم. وبعد أن أبحر إلى أماكن مختلفة وجمع الإعانات منها، صعد ليزيكليس البلاد من ميوس في كاريا، عبر سهل مياندر، حتى تل سانديوس؛ وعندما هاجمه الكاريون وأهل أنايا، قُتل مع العديد من جنوده.

وفي نفس الشتاء، كان أهل بلاتيا، الذين كانوا لا يزالون محاصرين من قبل البيلوبونيزيين والبيوتيين، في حالة من الضيق بسبب فشل مؤنهم، ولم يروا أي أمل في الإغاثة من أثينا، أو أي وسيلة أخرى للأمان، فشكلوا خطة مع الأثينيين المحاصرين معهم للهروب، إذا أمكن، عن طريق اقتحام أسوار العدو؛ وقد اقترح هذه المحاولة ثينتوس، ابن تولميدس، العراف، ويوبومبيدس، ابن دايماخوس، أحد جنرالاتهم. في البداية، كان على الجميع الانضمام: بعد ذلك، تراجع نصفهم، معتقدين أن المخاطرة كبيرة؛ ومع ذلك، استمر حوالي مائتين وعشرين طواعية في المحاولة، والتي تم تنفيذها بالطريقة التالية. صنعوا سلالم تتناسب مع ارتفاع جدار العدو، الذي قاسوه بطبقات الطوب، وكان الجانب المتجه نحوهم غير مطلي بالكامل. وقد أحصاها العديد من الأشخاص في وقت واحد؛ ورغم أن البعض قد يخطئ في الحساب الصحيح، فإن أغلبهم قد يخطئون فيه، خاصة عندما يحسبون مرارًا وتكرارًا، ولا يكونون بعيدين عن الحائط، لكنهم يستطيعون رؤيته بسهولة كافية لغرضهم. وهكذا تم الحصول على الطول المطلوب للسلالم، حيث تم حسابه من عرض الطوبة.

"أما سور البيلوبونيز فقد بني على النحو التالي. كان يتألف من خطين مرسومين حول المكان، أحدهما ضد البلاتيين، والآخر ضد أي هجوم من الخارج من أثينا، ويفصل بينهما حوالي ستة عشر قدمًا. وكانت المساحة المتوسطة التي يبلغ طولها ستة عشر قدمًا تشغلها أكواخ مقسمة بين الجنود الذين كانوا يحرسون المكان، ومبنية في كتلة واحدة، بحيث تبدو وكأنها جدار سميك واحد مع أسوار على جانبيه. وعلى فترات بين كل عشرة أسوار كانت هناك أبراج ذات حجم كبير، ونفس عرض الجدار، تمتد من وجهها الداخلي إلى وجهها الخارجي، دون أي وسيلة للمرور إلا من المنتصف. وبالتالي، في الليالي العاصفة الممطرة كانت الأسوار مهجورة، وكان الحراسة يبقون من الأبراج، التي لم تكن متباعدة عن بعضها البعض ومغطاة من الأعلى.

وبما أن هذا هو هيكل الجدار الذي حوصر به أهل بلاتيا، فقد انتظروا ليلة عاصفة من الرياح والأمطار دون أي قمر، ثم انطلقوا، بقيادة مؤلفي المشروع. فعبروا أولاً الخندق الذي كان يحيط بالمدينة، ثم وصلوا بعد ذلك إلى جدار العدو دون أن يلاحظهم الحراس، الذين لم يروهم في الظلام، أو يسمعوهم، حيث غمرت الرياح بزئيرها ضجيج اقترابهم؛ بالإضافة إلى ذلك، حافظوا على مسافة جيدة من بعضهم البعض، حتى لا يخونهم اشتباك أسلحتهم. كانوا أيضًا مجهزين بشكل خفيف، وكانوا يرتدون القدم اليسرى فقط لحمايتهم من الانزلاق في الوحل. وصلوا إلى الأسوار في إحدى المساحات المتوسطة حيث علموا أنهم غير محروسين: أولئك الذين حملوا السلالم ذهبوا أولاً ونصبوها؛ وبعد ذلك، جاء اثنا عشر جنديًا مسلحين بأسلحة خفيفة، لا يحملون سوى خنجر ودرع، بقيادة أمياس، ابن كوروبوس، الذي كان أول من صعد على السور؛ فقام أتباعه بعده وذهبوا ستة إلى كل برج. وبعد هؤلاء، جاءت فرقة أخرى من القوات الخفيفة المسلحة بالرماح، وكان الرجال يحملون دروعهم، حتى يتمكنوا من التقدم بسهولة، وكانوا يسلمونها لهم عندما يجدون أنفسهم في حضور العدو. وبعد أن ركب الكثير منهم، اكتشفهم الحراس في الأبراج، من خلال الضوضاء التي أحدثتها قطعة

من البلاط أسقطها أحد البلاتيين أثناء استيلائه على الأسوار. فتم إطلاق الإنذار على الفور، وهرعت القوات إلى السور، دون أن تعرف طبيعة الخطر، بسبب الليل المظلم والطقس العاصف؛ حيث اختار البلاتيون في المدينة أيضًا تلك اللحظة للقيام بهجوم على جدار البيلوبونيزيين على الجانب المقابل للجانب الذي كان رجالهم يعبرون إليه، من أجل تحويل انتباه المحاصرين. وعلى هذا فقد ظلوا مشتتين في مواقعهم المختلفة، دون أن يجرؤ أحد منهم على التحرك لتقديم المساعدة من موقعه، وفي حيرة من أمره فيما يتعلق بتخمين ما كان يحدث. وفي الوقت نفسه، خرج الثلاثمائة رجل المخصصون للخدمة في حالات الطوارئ خارج السور في اتجاه الإنذار. كما تم رفع إشارات النيران تجاه طيبة؛ لكن أهل بلاتيا في المدينة أظهروا على الفور عددًا من الآخرين، أعدوا مسبقًا لهذا الغرض بالذات، من أجل جعل إشارات العدو غير مفهومة، ومنع أصدقائه من الحصول على فكرة حقيقية عما كان يحدث وما كان قادمًا لمساعدته قبل أن يتمكن رفاقهم الذين خرجوا من الفرار ويكونوا في أمان.

وفي هذه الأثناء، قام أول فريق من المجموعة المتسلقة التي نهضت، بعد أن حملوا البرجين وحكموا على الحراس بالسيف، بالوقوف داخلهما لمنع أي شخص من الاقتراب منهما؛ ورفعوا سلالم من الجدار، وأرسلوا عدة رجال إلى الأبراج، ومن قمتها وقاعدتها، أبقوا تحت السيطرة كل الأعداء الذين صعدوا، بصواريخهم، بينما زرعت مجموعتهم الرئيسية عددًا من السلالم على الجدار، وهدموا الأسوار، ومروا بين الأبراج؛ وبمجرد أن تجاوزوا، اتخذ كل منهم موقعه على حافة الخندق، وأطلقوا من هناك السهام والسهام على أي شخص يقترب من الجدار لمنع مرور رفاقه. وعندما انتهى الجميع، نزل الفريق الموجود على الأبراج، ولم يكن آخرهم بلا صعوبة، وتوجهوا إلى الخندق، تمامًا كما صعد الثلاثمائة رجل حاملين المشاعل. كان أهل بلاتيا يقفون على حافة الخندق في الظلام، وكانوا يرون خصومهم بوضوح، فأطلقوا سهامهم وسهامهم على الأجزاء غير المسلحة من أجسادهم، بينما لم يكن من الممكن رؤيتهم بوضوح في الظلام بسبب المشاعل؛ وهكذا تمكن آخرهم من عبور الخندق، وإن لم

يكن ذلك دون جهد وصعوبة؛ حيث تشكل الجليد في الخندق، ولم يكن قويًا بما يكفي للمشي عليه، ولكنه من النوع المائي الذي يأتي عادةً مع رياح شرقية أكثر من شمالية، كما أن الثلج الذي تسببت فيه هذه الرياح في تساقطه أثناء الليل جعل الماء في الخندق يرتفع، حتى أنهم بالكاد تمكنوا من مقاومة ذلك أثناء عبورهم. ومع ذلك، كان عنف العاصفة هو السبب الرئيسي الذي مكنهم من تحقيق هروبهم على الإطلاق.

انطلق البلاتيون من الخندق، وساروا جميعًا على طول الطريق المؤدي إلى طيبة، مع الحفاظ على كنيسة البطل أندروكراتيس على يمينهم؛ معتقدين أن آخر طريق يشتبه البيلوبونيزيون في أنهم سلكوه سيكون الطريق المؤدي إلى بلاد أعدائهم. وبالفعل، تمكنوا من رؤيتهم وهم يطاردونهم بالمشاعل على طريق أثينا نحو كيثيرون ودرووسكيفالاي أو بلوط هيدز. وبعد أن سلكوا أكثر من نصف ميل على الطريق المؤدي إلى طيبة، انحرف البلاتيون وسلكوا الطريق المؤدي إلى الجبل، إلى إريثراي وهيسيا، ووصلوا إلى التلال، ونجحوا في الفرار إلى أثينا، وكان عددهم مائتين واثني عشر رجلاً؛ عاد بعضهم إلى المدينة قبل أن يجتازوا السور، وأسر أحد الرماة عند الخندق الخارجي. وفي غضون ذلك، تخلى البيلوبونيزيون عن المطاردة وعادوا إلى مواقعهم؛ ولما لم يكن أهل بلاتيا على علم بما حدث، وأبلغهم الذين عادوا أن أحداً لم ينجُ، أرسلوا رسولاً بمجرد حلول النهار لعقد هدنة من أجل استعادة الجثث، ثم علموا بالحقيقة، فكفوا عن ذلك. وبهذه الطريقة نجح أهل بلاتيا في النجاة.

وفي أواخر الشتاء نفسه، أرسل ساليثوس، وهو من سكان لاكيدايمون، في سفينة شراعية من لاكيدايمون إلى ميتيليني. فذهب بحراً إلى بيرها، ومن هناك عبر البر، ومر على طول مجرى سيل حيث كان من الممكن عبور خط الالتفاف حول المدينة، فدخل ميتيليني دون أن يلاحظه أحد، وأخبر الحكام أن أتيكا سوف تتعرض للغزو، وأن السفن الأربعين المخصصة لمساعدتهم سوف تصل، وأنه قد أُرسل ليعلن ذلك

ويشرف على الأمور بشكل عام. فاستجمع سكان ميتيليني شجاعة هذا الأمر، وتخلوا عن فكرة التعامل مع الأثينيين؛ وانتهى هذا الشتاء، وانتهت معه السنة الرابعة من الحرب التي كان ثوسيديديس مؤرخها.

وفي الصيف التالي أرسل البيلوبونيزيون السفن الاثنتين والأربعين إلى ميتيليني، بقيادة ألكيداس، أميرالهم الأعلى، وغزوا أتيكا هم وحلفاؤهم، وكان هدفهم تشتيت انتباه الأثينيين بحركة مزدوجة، وبالتالي تسهيل عملهم ضد الأسطول المبحر إلى ميتيليني. وكان قائد هذا الغزو كليومينس، في مكان الملك بوسانياس، ابن بليستواناكس، ابن أخيه، الذي كان لا يزال قاصراً. ولم يكتف الغزاة بتدمير كل ما نبت في الأجزاء التي دمروها من قبل، بل وسعوا الآن تخريبهم إلى الأراضي التي مروا بها في غزواتهم السابقة؛ حتى أن الأثينيين شعروا بهذا الغزو أكثر شدة من أي غزو آخر باستثناء الغزو الثاني؛ حيث ظل العدو مستمراً حتى اجتاح معظم البلاد، على أمل سماع أخبار من ليسبوس عن إنجاز أسطولهم، الذي اعتقدوا أنه لابد وأن يكون قد تغلب عليه الآن. ولكن لما لم يحصلوا على أي من النتائج المتوقعة، وبدأت مؤنهم تنفد، تراجعوا وتفرقوا في مدنهم المختلفة.

وفي هذه الأثناء، وجد أهل ميتيليني أن مؤنهم قد نفدت، بينما كان الأسطول القادم من بيلوبونيز يتسكع في الطريق بدلاً من الوصول إلى ميتيليني، فاضطروا إلى التوصل إلى اتفاق مع الأثينيين على النحو التالي. فلم يعد ساليثوس نفسه يتوقع وصول الأسطول، فقام الآن بتسليح العامة بدروع ثقيلة لم تكن بحوزتهم من قبل، بهدف القيام بهجوم على الأثينيين. ولكن العامة ما إن وجدوا أنفسهم مدججين بالسلاح حتى رفضوا طاعة ضباطهم؛ وتجمعوا في مجموعات، وطلبوا من السلطات أن تظهر المؤن علناً وتقسمها فيما بينهم جميعًا، وإلا فإنهم سيتوصلون هم أنفسهم إلى اتفاق مع الأثينيين ويسلمون المدينة.

ولقد أدركت الحكومة عجزها عن منع ذلك، والخطر الذي قد تتعرض له إذا ما استثنيت من الاستسلام، فوافقت علناً مع باتشيس والجيش على تسليم ميتيليني حسب تقديرها والسماح للقوات بدخول المدينة؛ على أن يُسمَح لأهل ميتيليني بإرسال سفارة إلى أثينا للدفاع عن قضيتهم، وألا يسجن باتشيس أو يستعبد أو يقتل أياً من المواطنين حتى تعود المدينة. وكانت هذه هي شروط الاستسلام؛ ورغم ذلك فقد غلب الرعب على كبار مؤلفي المفاوضات مع لاكيدايمون عندما دخل الجيش، فذهبوا وجلسوا بجوار المذابح التي أقامهم منها باتشيس على وعد بأنه لن يلحق بهم أي ضرر، وأقامهم في تينيدوس، إلى أن يطلع على رضا الأثينيين بشأنهم. كما أرسل باتشيس بعض السفن الشراعية واستولى على أنتيسا، واتخذ التدابير العسكرية الأخرى التي رأى أنها مناسبة.

وفي هذه الأثناء، أضاع البيلوبونيزيون في السفن الأربعين، الذين كان ينبغي لهم أن يسرعوا إلى نجدة ميتيليني، الوقت في الالتفاف حول البيلوبونيز نفسها، وواصلوا الرحلة ببطء، ووصلوا إلى ديلوس دون أن يراهم الأثينيون في أثينا، ومن هناك وصلوا إلى إيكاروس وميكونوس، حيث سمعوا لأول مرة بسقوط ميتيليني. ورغبة منهم في معرفة الحقيقة، نزلوا إلى إمباتوم، في إيريثريد، بعد حوالي سبعة أيام من الاستيلاء على المدينة. وهناك علموا الحقيقة، وبدأوا يفكرون فيما يجب عليهم فعله؛ وخاطبهم تيوتيا بلوس، وهو من أهل إليان، على النحو التالي:

"إن نصيحتي إلى أهل ألكيداس والبيلوبونيز الذين يشتركون معي في قيادة هذا السلاح هي أن يبحروا كما نحن إلى ميتيليني، قبل أن يسمع أحد عنا. قد نتوقع أن نجد الأثينيين في حالة من عدم الحذر كما يحدث عادة مع الرجال الذين استولوا للتو على مدينة: وهذا سيحدث بالتأكيد في البحر، حيث لا يدركون أن أي عدو يهاجمهم، وحيث تكمن قوتنا، كما حدث، في المقام الأول؛ في حين أن قواتهم البرية ربما تكون متناثرة حول المنازل في إهمال للنصر. لذلك إذا هاجمناهم فجأة وفي الليل، فإنني

آمل، بمساعدة المتعاطفين الذين ربما تركناهم داخل المدينة، أن نصبح سادة المكان. لا ينبغي لنا أن نخشى المخاطرة، ولكن دعونا نتذكر أن هذه مجرد مناسبة لواحدة من حالات الذعر التي لا أساس لها من الصحة الشائعة في الحرب: وأن القدرة على الحماية من هذه الحالات في حالتنا الخاصة، واكتشاف اللحظة التي قد يجد فيها الهجوم عدوًا في هذا العيب، هي ما يجعل القائد ناجحًا."

ولما فشلت هذه الكلمات التي قالها تيوتيا في تحريك ألكيداس، بدأ بعض المنفيين الأيونيين والسحاقيات اللاتي كن في الحملة يحثونه، بما أن هذا بدا خطيرًا للغاية، على الاستيلاء على إحدى المدن الأيونية أو مدينة كيمي الأيولية، لاستخدامها كقاعدة لتنفيذ ثورة أيونيا. ولم تكن هذه محاولة ميؤوس منها بأي حال من الأحوال، حيث كان قدومهم موضع ترحيب في كل مكان؛ وكان هدفهم من هذه الخطوة حرمان أثينا من مصدرها الرئيسي للدخل، وفي الوقت نفسه تحميلها نفقات باهظة، إذا اختارت حصارهم؛ ومن المحتمل أن يقنعوا بيسوثنيس بالانضمام إليهم في الحرب. ومع ذلك، استقبل ألكيداس هذا الاقتراح بسوء مثل الاقتراح الآخر، وكان حريصًا، لأنه جاء متأخرًا جدًا عن ميتيليني، على العودة إلى بيلوبونيز في أقرب وقت ممكن.

"وبعد ذلك انطلق من إمباتوم وواصل سيره على طول الساحل، وحط في مدينة ميونيسوس التي يسكنها أهل تيان، وهناك ذبح أغلب الأسرى الذين أخذهم معه في رحلته. وعند وصوله إلى أفسس، جاءه رسل من أهل ساميا في أنايا، وأخبروه أنه لا يسلك الطريق الصحيح لتحرير هيلاس من خلال ذبح رجال لم يرفعوا أيديهم ضده قط، والذين لم يكونوا أعداء له، بل حلفاء لأثينا رغماً عنها، وأنه إذا لم يتوقف فسوف يحول الكثير من الأصدقاء إلى أعداء وليس الكثير من الأعداء إلى أصدقاء. وافق ألكيداس على هذا، وأطلق سراح جميع سكان خيوس الذين ما زالوا في يديه وبعض السفن الأخرى التي أسرها؛ وبدلاً من أن يذعر السكان عند رؤية سفنه، اقتربوا منها،

واعتبروها أثينية، ولم يكن لديهم أي نوع من التوقعات بأن السفن البيلوبونيسية سوف تغامر بالتوجه إلى أيونيا بينما يسيطر الأثينيون على البحر.

ومن أفسس أبحر ألكيداس على عجل وهرب. فقد رأته السفن الشراعية السلامينية والبارالية، التي كانت تبحر من أثينا، بينما كانت لا تزال راسية قبالة كلاروس؛ وخوفا من المطاردة، عبر البحر المفتوح، مصمما على ألا يلمس أي مكان، إن استطاع، حتى يصل إلى بيلوبونيز. وفي غضون ذلك، وصلت أنباء عنه إلى باتشيس من إريثراييد، بل ومن جميع الجهات. ولأن إيونيا كانت غير محصنة، فقد شعر الناس بمخاوف كبيرة من أن البيلوبونيزيين الذين يبحرون على طول الساحل، حتى لو لم ينووا البقاء، قد ينزلون أثناء المرور وينهبون المدن؛ والآن، بعد أن رآه البараليون والسالامينيون في كلاروس، أبلغوه هم أنفسهم بهذه الحقيقة. وبناء على ذلك، طارده باتشيس على عجل، واستمر في المطاردة حتى جزيرة بطمس، ثم وجد أن ألكيداس قد تقدم إلى مسافة بعيدة لا يمكن اللحاق به، فعاد مرة أخرى. وفي الوقت نفسه، كان يعتقد أنه من حسن الحظ أنه، بما أنه لم يصادفهم في البحر، فإنه لم يدركهم في أي مكان كان سيضطرون إلى التخييم فيه، وبالتالي يسبب له مشكلة محاصرتهم.

وعند عودته إلى الشاطئ، توقف في أماكن أخرى، مثل نوتيوم، ميناء كولوفون، حيث استقر الكولوفونيون بعد أن استولى إيتامينس والبرابرة على المدينة العليا، الذين استدعاهم بعض الأفراد في شجار حزبي. وقد وقع الاستيلاء على المدينة في وقت الغزو البيلوبونيزي الثاني لأتيكا. ولكن اللاجئين، بعد استقرارهم في نوتيوم، انقسموا مرة أخرى إلى فصائل، استدعت إحداها المرتزقة الأركاديين والبرابرة من بيسوثنيس، وحصنتهم في حي منفصل، وشكلوا مجتمعًا جديدًا مع الحزب الميدي من الكولوفونيين الذين انضموا إليهم من المدينة العليا. وكان خصومهم قد انسحبوا إلى المنفى، واستدعوا الآن باتشيس، الذي دعا هيبياس، قائد الأركاديين في الحي المحصن، إلى مفاوضات، بشرط أنه إذا لم يتمكنوا من الاتفاق، فيجب إعادته سالمًا

إلى الحصن. ولكن عندما خرج إليه، وضعوه في الحبس، وإن لم يكن مقيدًا بالسلاسل، وهاجم فجأة الحصن وفاجأه، وقتل الأركاديين والبرابرة الذين وجدوا فيه بالسيف، ثم أخذ هيبياس إلى داخله كما وعد، وبمجرد دخوله، قبض عليه وأطلق النار عليه. ثم سلم باتشيس نوتيوم إلى الكولوفونيين غير الميديين؛ وأرسل المستوطنين بعد ذلك من أثينا، واستعمر المكان وفقًا للقوانين الأثينية، بعد جمع كل الكولوفونيين الموجودين في أي من المدن.

وعندما وصل باتشيس إلى ميتيليني، هزم بيرها وإريسوس؛ وعندما وجد ساليثوس، وهو لاكيدايموني، مختبئًا في المدينة، أرسله إلى أثينا، برفقة الميتيلينيين الذين وضعهم في تينيدوس، وأي شخص آخر اعتقد أنه متورط في الثورة. كما أعاد الجزء الأكبر من قواته، وبقي مع البقية لتسوية ميتيليني وبقية ليسبوس حسب ما رأى أنه الأفضل.

وعند وصول الأسرى مع ساليثوس، قتل الأثينيون ساليثوس على الفور، رغم أنه عرض، من بين أمور أخرى، تأمين انسحاب البيلوبونيزيين من بلاتيا، التي كانت لا تزال تحت الحصار؛ وبعد أن دارت مداولات حول ما يجب عليهم فعله بالأول، قرروا في غضب اللحظة قتل ليس فقط الأسرى في أثينا، بل وجميع سكان ميتيليني الذكور البالغين، واستعباد النساء والأطفال. وقد لوحظ أن ميتيليني ثارت دون أن تخضع للإمبراطورية، مثل بقية المدن؛ وكان ما زاد من غضب الأثينيين هو حقيقة أن أسطول البيلوبونيز قد غامر بالتوجه إلى إيونيا لدعمها، وهي الحقيقة التي اعتبرت دليلاً على تمرد مدروس منذ فترة طويلة. وبناءً على ذلك، أرسلوا سفينة حربية لإبلاغ باتشيس بالقرار، وأمروه بألا يضيع الوقت في إرسال الميتيلينيين. ولقد جلب الغد معه التوبة والتأمل في القسوة المروعة التي اتسم بها المرسوم الذي حكم على مدينة بأكملها بالمصير الذي يستحقه المذنبون فقط. وما إن أدرك سفراء ميتيلين في أثينا وأنصارهم الأثينيون هذا حتى حركوا السلطات لطرح المسألة مرة أخرى

للتصويت؛ وهو ما وافقوا عليه بسهولة أكبر، لأنهم رأوا بوضوح أن معظم المواطنين يرغبون في أن يمنحهم أحد ما فرصة لإعادة النظر في الأمر. ولذلك فقد دُعيت الجمعية على الفور، وبعد الكثير من التعبير عن الرأي من الجانبين، تقدم كليون، ابن كليينيتوس، وهو نفس الرجل الذي قدم الاقتراح السابق بقتل ميتيلين، وهو الرجل الأكثر عنفًا في أثينا، والأقوى بين عامة الناس في ذلك الوقت، وتحدث على النحو التالي:

"لقد كنت مقتنعًا في كثير من الأحيان من قبل بأن الديمقراطية غير قادرة على الإمبراطورية، ولم يكن ذلك أكثر من تغيير رأيك الحالي في مسألة ميتيليني. نظرًا لأن المخاوف أو المؤامرات غير معروفة لك في علاقاتك اليومية مع بعضكما البعض، فإنك تشعر بنفس الشيء فيما يتعلق بحلفائك، ولا تفكر أبدًا في أن الأخطاء التي قد يتم قيادتك إليها من خلال الاستماع إلى نداءاتهم، أو بالاستسلام لشفقتك، مليئة بالخطر على أنفسكم، ولا تجلب لك أي شكر على ضعفك من حلفائك؛ ناسين تمامًا أن إمبراطوريتك هي استبداد وأن رعيتك متآمرون ساخطون، ولا يتم ضمان طاعتهم من خلال تنازلاتك الانتحارية، ولكن من خلال التفوق الممنوح لك من خلال قوتك وليس ولائهم. السمة الأكثر إثارة للقلق في هذه الحالة هي التغيير المستمر للتدابير التي يبدو أننا مهددون بها، وجهلنا الظاهري بحقيقة أن القوانين السيئة التي لا تتغير أبدًا أفضل للمدينة من القوانين الجيدة التي ليس لها سلطة؛ إن الولاء غير المتعلم أكثر فائدة من العصيان السريع البديهة؛ وأن الرجال العاديين عادة ما يديرون الشؤون العامة بشكل أفضل من زملائهم الأكثر موهبة. إن هؤلاء الأخيرين يريدون دائمًا أن يظهروا أكثر حكمة من القوانين، ويتغلبون على كل اقتراح يُطرح، معتقدين أنهم لا يستطيعون إظهار ذكائهم في الأمور الأكثر أهمية، وبمثل هذا السلوك غالبًا ما يدمرون بلادهم؛ في حين أن أولئك الذين لا يثقون في ذكائهم يكتفون بأن يكونوا أقل تعلمًا من القوانين، وأقل قدرة على اكتشاف الثغرات في كلام المتحدث الجيد؛ ولأنهم قضاة عادلون وليسوا رياضيين متنافسين، فإنهم يديرون الشؤون بشكل عام بنجاح.

يجب علينا تقليد هؤلاء، بدلاً من أن ننجرف وراء الذكاء والتنافس الفكري لنصح شعبك ضد آرائنا الحقيقية.

"أما أنا فأتمسك برأيي السابق، وأتعجب من أولئك الذين اقترحوا إعادة فتح قضية أهل ميتيلين، والذين يتسببون في تأخير يصب في مصلحة المذنبين، من خلال جعل المتضرر يتقدم ضد الجاني وهو مخفف من حدة غضبه؛ على الرغم من أن الانتقام عندما يتبع الخطأ عن كثب، فإنه يساويه ويكافئه على أفضل وجه. وأتساءل أيضًا من سيكون الرجل الذي سيصر على العكس، وسيتظاهر بإظهار أن جرائم أهل ميتيلين تخدمنا، وأن مصائبنا تضر بحلفائنا. من الواضح أن مثل هذا الرجل يجب أن يكون لديه ثقة كبيرة في خطابه لدرجة المغامرة بإثبات أن ما تم تحديده مرة واحدة وإلى الأبد لا يزال غير محدد، أو يتم رشوته لمحاولة خداعنا بمغالطات معقدة. في مثل هذه المسابقات، تمنح الدولة المكافآت للآخرين، وتتحمل المخاطر لنفسها. الأشخاص الذين يجب إلقاء اللوم عليهم هم أنتم الذين حمقى لدرجة أن تشرعوا في هذه المسابقات؛ "الذين يذهبون لرؤية خطاب ما كما لو كنت ترى مشهدًا، يأخذون الحقائق من خلال الإشاعات، ويحكمون على إمكانية تطبيق مشروع ما من خلال ذكاء مؤيديه، ويثقون في الحقيقة فيما يتعلق بالأحداث الماضية وليس بالواقع الذي رأيته أكثر من الانتقادات الذكية التي سمعتها؛ الضحايا السهلون للحجج الجديدة، غير الراغبين في اتباع الاستنتاجات المقبولة؛ عبيد لكل مفارقة جديدة، محتقرون للابتذال؛ أول رغبة لكل رجل هي أن يتمكن من التحدث بنفسه، والثانية أن ينافس أولئك الذين يمكنهم التحدث من خلال الظهور بمظهر منسجم تمامًا مع أفكارهم من خلال التصفيق لكل ضربة قبل أن يتم إطلاقها تقريبًا، والسرعة في فهم الحجج كما هو بطيئ في توقع عواقبها؛ يطلبون، إذا جاز لي القول، شيئًا مختلفًا عن الظروف التي نعيش فيها، ومع ذلك لا يفهمون تلك الظروف بشكل كافٍ؛ عبيد جدًا لمتعة الأذن، وأشبه بجمهور الخطيب أكثر من مجلس المدينة.

"ولكي أمنعكم من هذا، أواصل إظهار أن أي دولة لم تلحق بكم أذىً قط بقدر ما ألحقته بكم ميتيليني. أستطيع أن أسمح لأولئك الذين ثاروا لأنهم لا يستطيعون تحمل إمبراطوريتنا، أو الذين أجبرهم العدو على ذلك. ولكن بالنسبة لأولئك الذين امتلكوا جزيرة بها تحصينات؛ والذين لم يتمكنوا من الخوف من أعدائنا إلا عن طريق البحر، وكان لديهم قوتهم الخاصة من القوادس لحمايتهم؛ والذين كانوا مستقلين ويحظون بأعلى درجات الشرف من قبلكم - أن يتصرفوا كما فعلوا، فهذا ليس تمردًا - فالتمرد يعني القمع؛ إنه عدوان متعمد ومتعمد؛ محاولة لتدميرنا بالانحياز إلى ألد أعدائنا؛ جريمة أسوأ من الحرب التي خاضوها لحسابهم الخاص في اكتساب السلطة. لم يكن مصير جيرانهم الذين تمردوا بالفعل وخضعوا درسًا لهم؛ لم يكن ازدهارهم قادرًا على ثنيهم عن مواجهة الخطر؛ ولكنهم كانوا واثقين من المستقبل بشكل أعمى، وممتلئين بالآمال التي تفوق طاقاتهم، وإن لم تكن تتجاوز طموحاتهم، فأعلنوا الحرب وقرروا تفضيل القوة على الحق، ولم يكن هجومهم محددًا بالاستفزاز ولكن باللحظة التي بدت مناسبة. والحقيقة أن الحظ السعيد الكبير الذي يأتي فجأة وبشكل غير متوقع يميل إلى جعل الناس وقحين؛ وفي معظم الحالات يكون من الآمن للبشرية أن تحقق النجاح بالعقل وليس بالعقل؛ ومن الأسهل عليهم، كما قد يقول المرء، درء الشدائد من الحفاظ على الرخاء. كان خطأنا هو التمييز بين أهل ميتيلين كما فعلنا: لو عوملوا منذ فترة طويلة مثل الآخرين، لما نسوا أنفسهم أبدًا، لأن الطبيعة البشرية بالتأكيد تصبح متعجرفة بسبب الاعتبار كما تخيفها الحزم. لذا دعهم يعاقبون الآن حسب ما تقتضيه جريمتهم، ولا تبرئوا الشعب بينما تدينون الأرستقراطية. من المؤكد أن الجميع هاجموك دون تمييز، على الرغم من أنه كان بإمكانهم القدوم إلينا والاستيلاء على مدينتهم مرة أخرى. ولكن لا، لقد رأوا أنه من الأفضل أن ينضموا إلى الأرستقراطيين، فانضموا إلى تمردهم! لذا، فكر في الأمر: إذا كنت تفرض نفس العقوبة على الحليف الذي أجبره العدو على التمرد، ومن يفعل ذلك باختياره الحر، فمن منهما برأيك لن يتمرد لأدنى ذريعة؟ عندما تكون مكافأة النجاح هي الحرية، وعقوبة الفشل ليست أكثر فظاعة من ذلك؟ في غضون ذلك،

سيكون علينا أن نخاطر بأموالنا وأرواحنا ضد دولة تلو الأخرى؛ وإذا نجحنا، فسوف نحصل على مدينة مدمرة لن نتمكن بعد الآن من الحصول على الإيرادات التي تعتمد عليها قوتنا؛ بينما إذا فشلنا، فسوف يكون لدينا عدو بين أيدينا، وسنقضي الوقت الذي يمكن استخدامه في مكافحة أعدائنا الحاليين في الحرب مع حلفائنا.

"لذا، لا ينبغي أن نمنح أهل ميتيلين أي أمل في أن تغرس الخطابة في نفوسهم الرحمة التي يستحقونها بسبب ضعفهم البشري، أو أن يشتريها المال. لم تكن جريمتهم غير طوعية، بل كانت عن قصد وخبيث؛ والرحمة لا تعطى إلا للمذنبين غير الراغبين. لذلك، فأنا الآن كما في السابق، أصر على عدم التراجع عن قرارك الأول، أو الاستسلام للثلاثة أوجه القصور الأكثر فتكًا بالإمبراطورية - الشفقة، والعاطفة، والتسامح. إن الرحمة تجب لأولئك الذين يستطيعون أن يبادلونا الشعور، وليس لأولئك الذين لن يشفقوا علينا أبدًا في المقابل، لكنهم أعداؤنا الطبيعيون والضروريون: قد يجد الخطباء الذين يسحروننا بالعاطفة ساحات أخرى أقل أهمية لمواهبهم، بدلاً من الساحة التي تدفع فيها المدينة عقوبة باهظة مقابل متعة عابرة، وتتلقى هي نفسها تقديرًا جيدًا لعباراتها الرائعة؛ بينما يجب إظهار التسامح تجاه أولئك الذين سيكونون أصدقاءنا في المستقبل، بدلاً من الرجال الذين سيظلون كما كانوا، وأعداءنا كما كانوا من قبل. "وللتلخيص أقول باختصار إنكم إذا اتبعتم نصيحتي فإنكم ستفعلون ما هو عادل تجاه أهل ميتيلين، وفي الوقت نفسه ما هو ملائم؛ وفي الوقت نفسه فإنكم بقرار مختلف لن تلزموهم حتى بإصدار الحكم على أنفسكم. فإذا كانوا على حق في التمرد، فلابد أن تكونوا مخطئين في الحكم. ولكن إذا قررتم الحكم، سواء كنتم على حق أو مخطئين، فلابد أن تنفذوا مبادئكم وتعاقبوا أهل ميتيلين حسب ما تقتضيه مصالحكم؛ وإلا فلابد أن تتنازلوا عن إمبراطوريتكم وتتزرعوا النزاهة دون خطر. لذا، فاعقدوا العزم على إعطائهم المثل بالمثل؛ ولا تدع الضحايا الذين نجوا من المؤامرة يكونون أكثر جهلاً من المتآمرين الذين دبروها؛ بل فكروا فيما كانوا ليفعلوه لو انتصروا عليكم، وخاصة إذا كانوا هم المعتدين. إن أولئك

الذين يظلمون جارهم بلا سبب، هم الذين يلاحقون ضحيتهم حتى الموت، بسبب الخطر الذي يتوقعونه في ترك عدوهم على قيد الحياة؛ لأن هدف الظلم المتعمد يكون أكثر خطورة، إذا نجا، من العدو الذي لا يشكو من هذا. "لا تكن خائنًا لذاتك، بل تذكر قدر الإمكان لحظة المعاناة والأهمية القصوى التي ألصقتها آنذاك بتقليص عددهم؛ والآن رد لهم الجميل بدورهم، دون الاستسلام للضعف الحالي أو نسيان الخطر الذي كان يلوح في الأفق من قبل. عاقبهم كما يستحقون، وعلم حلفاءك الآخرين بمثال صارخ أن عقوبة التمرد هي الموت. دعهم يفهمون هذا مرة واحدة ولن تضطر إلى إهمال أعدائك كثيرًا بينما تقاتل مع حلفائك."

"كانت هذه كلمات كليون. وبعده تقدم ديودوتس، ابن يوكراتيس، الذي تحدث في الجمعية السابقة بقوة ضد قتل أهل ميتيلين، وتحدث على النحو التالي:

"لا ألوم الأشخاص الذين أعادوا فتح قضية أهل ميتيلين، ولا أوافق على الاحتجاجات التي سمعناها ضد القضايا المهمة التي يتم مناقشتها بشكل متكرر. أعتقد أن الشيئين الأكثر معارضة للمشورة الجيدة هما التسرع والعاطفة؛ فالتسرع عادة ما يسير جنبًا إلى جنب مع الحماقة، والعاطفة مع الفظاظة وضيق الأفق. أما بالنسبة للحجة القائلة بأن الكلام لا ينبغي أن يكون ممثلاً للعمل، فإن الرجل الذي يستخدمه يجب أن يكون إما عديم الوعي أو مهتمًا: عديم الوعي إذا كان يعتقد أنه من الممكن معالجة المستقبل غير المؤكد من خلال أي وسيلة أخرى؛ ومهتم إذا كان يرغب في اتخاذ إجراء مشين ويشك في قدرته على التحدث بشكل جيد في قضية سيئة، ويعتقد أنه يخيف المعارضين والمستمعين بالافتراء الموجه جيدًا. والأمر الأكثر فظاعة هو اتهام المتحدث بالتظاهر من أجل الحصول على أجر مقابل ذلك. إذا تم نسب الجهل فقط، فقد يعتزل المتحدث غير الناجح بسمعة طيبة من الصدق، إن لم يكن من الحكمة؛ إن مثل هذا النظام لا يصب في مصلحة المدينة، لأن الخوف يحرمها من مستشاريها؛ ولكن إذا كان من المفترض أن يصرح متحدثونا بمثل هذه الادعاءات،

فمن الأفضل للبلاد ألا يتكلموا على الإطلاق، لأننا بذلك نرتكب أخطاء أقل. ولا ينبغي للمواطن الصالح أن ينتصر بتخويف خصومه، بل بإلحاق الهزيمة بهم في الحجج؛ والمدينة الحكيمة، التي لا تميز بين أفضل مستشاريها، لن تحرمهم من حقهم، ولن تنظر إلى مستشارها غير المحظوظ على أنه مهان، ولن تعاقبه على ذلك. وبهذه الطريقة، لن يميل الخطباء الناجحون إلى التضحية بقناعاتهم من أجل الشعبية، على أمل الحصول على شرف أعلى، كما لن يلجأ الخطباء غير الناجحين إلى نفس الفنون الشعبية من أجل كسب تأييد الجماهير.

"هذه ليست طريقتنا؛ وعلاوة على ذلك، في اللحظة التي يُشتبه فيها في رجل يقدم نصيحة، مهما كانت جيدة، بدوافع فاسدة، نشعر بضغينة ضده بسبب المكسب الذي لا نتأكد من أنه سيحصل عليه بعد كل شيء، لدرجة أننا نحرم المدينة من فائدتها المؤكدة. وبالتالي، أصبحت النصيحة الجيدة البسيطة موضع شك ليس أقل من النصيحة السيئة؛ ولا يضطر المدافع عن أكثر التدابير وحشية إلى استخدام الخداع لكسب الناس، كما لا يضطر أفضل المستشارين إلى الكذب من أجل تصديقهم. لا يمكن أبدًا خدمة المدينة والمدينة فقط، بسبب هذه التحسينات، علنًا وبدون تمويه؛ فمن يخدمها علنًا يُشتبه دائمًا في أنه يخدم نفسه بطريقة سرية في المقابل. ومع ذلك، بالنظر إلى حجم المصالح المعنية، وموقف الشؤون، يجب علينا نحن الخطباء أن نجعل من مهمتنا أن ننظر إلى أبعد قليلاً منكم الذين يحكمون على الفور؛ خاصة وأننا، مستشاريكم، مسؤولون، بينما أنتم، جمهورنا، لستم كذلك. فلو كان الذين قدموا النصيحة والذين أخذوا بها يعانون على قدم المساواة، لحكمتم بهدوء أكبر؛ لأنكم في هذه الحالة تلومون الكوارث التي ربما قادتكم إليها نزوة اللحظة على شخص مستشاركم وحده، وليس على أنفسكم، رفاقه العديدين في الخطأ.

"ولكنني لم أتقدم لا لمعارضة أو اتهام قضية ميتيليني؛ والواقع أن المسألة المطروحة أمامنا كرجال عقلاء ليست ذنبهم، بل مصلحتنا. ورغم أنني أثبت ذنبهم،

فلن أنصح بقتلهم، إلا إذا كان ذلك مناسباً؛ ولا أوصيهم، رغم مطالبتهم بالتسامح، إلا إذا كان ذلك من أجل مصلحة البلاد. وأعتقد أننا نفكر في المستقبل أكثر من الحاضر؛ وحيث إن كليون متفائل للغاية بشأن التأثيرات الرادعة المفيدة التي ستترتب على استغلال التمرد، فإنني، الذي أهتم بمصالح المستقبل بقدر اهتمامه به، أؤيد العكس تماماً. وأطلب منك ألا ترفض اعتباراتي المفيدة لصالح اعتباراته الزائفة: فقد يكون لخطابه جاذبية تبدو أكثر عدالة في مزاجك الحالي ضد ميتيليني؛ لكننا لسنا في محكمة عدل، بل في جمعية سياسية؛ والمسألة ليست العدالة، بل كيف نجعل أهل ميتيليني مفيدين لأثينا.

"إن المجتمعات قد سنت عقوبة الإعدام للعديد من الجرائم الأخف من هذا بكثير: ومع ذلك فإن الأمل يقود الرجال إلى المجازفة، ولم يعرض أحد نفسه للخطر أبدًا دون قناعة داخلية بأنه سينجح في خطته. مرة أخرى، هل كانت هناك مدينة تمردت ولم تعتقد أنها تمتلك إما في حد ذاتها أو في تحالفاتها الموارد الكافية للمغامرة؟ الجميع، الدول والأفراد، معرضون على حد سواء للخطأ، ولا يوجد قانون يمنعهم؛ أو لماذا يجب على الناس أن يستنفدوا قائمة العقوبات بحثًا عن تشريعات لحمايتهم من الأشرار؟ من المحتمل أنه في العصور الأولى كانت العقوبات على أعظم الجرائم أقل شدة، وأنه مع تجاهل هذه الجرائم، تم التوصل تدريجيًا في معظم الحالات إلى عقوبة الإعدام، والتي يتم تجاهلها بنفس الطريقة. إذن إما أن يتم اكتشاف بعض وسائل الرعب الأكثر فظاعة من هذا، أو يجب الاعتراف بأن هذا الكبح عديم الفائدة؛ "وإن الفقر يمنح الإنسان شجاعة الضرورة، أو الوفرة تملؤه بالطموح الذي ينتمي إلى الوقاحة والكبرياء، وتبقى ظروف الحياة الأخرى تحت عبودية بعض العواطف القاتلة والمهيمنة، طالما أن الدافع لن ينقصه أبدًا دفع الإنسان إلى الخطر. كذلك فإن الأمل والجشع، أحدهما يقود والآخر يتبع، أحدهما يتصور المحاولة والآخر يوحي بسهولة النجاح، يتسببان في أكبر قدر من الدمار، ورغم أنهما عاملان غير مرئيين، إلا أنهما أقوى بكثير من المخاطر المرئية. كما أن الحظ يساعد بقوة على الوهم، وبمساعدة

غير متوقعة يقدمها أحيانًا، يغري الناس بالمغامرة بوسائل أدنى؛ وهذا هو الحال بشكل خاص مع المجتمعات، لأن الرهانات التي يتم اللعب عليها هي الأعلى، الحرية أو الإمبراطورية، وعندما يتصرف الجميع معًا، فإن كل رجل يضخم قدراته بشكل غير عقلاني. باختصار، من المستحيل منع الطبيعة البشرية من القيام بما عقدت عليه العزم ذات يوم، ولا يمكن إلا للبساطة العظيمة أن تأمل في منعها، بقوة القانون أو بأي قوة رادعة أخرى مهما كانت.

"لا ينبغي لنا إذن أن نلتزم بسياسة زائفة من خلال الاعتقاد بفعالية عقوبة الموت، أو استبعاد المتمردين من أمل التوبة والتكفير المبكر عن خطئهم. فكر للحظة. في الوقت الحاضر، إذا أدركت مدينة ثارت بالفعل أنها لا تستطيع النجاح، فسوف تتوصل إلى اتفاق بينما لا تزال قادرة على استرداد النفقات، ودفع الجزية بعد ذلك. في الحالة الأخرى، ما هي المدينة التي تعتقد أنها لن تستعد بشكل أفضل مما هي عليه الآن، وتصمد حتى النهاية ضد محاصريها، إذا كانت كلها واحدة سواء استسلمت متأخرة أو عاجلة؟ وكيف يمكن أن يكون الأمر ضارًا لنا أن نتحمل تكلفة الحصار، لأن الاستسلام غير وارد؛ وإذا استولينا على المدينة، فهل نستلم مدينة مدمرة لم يعد بإمكاننا الحصول منها على الإيرادات التي تشكل قوتنا الحقيقية ضد العدو؟ "ولذلك، لا ينبغي لنا أن نجلس كقضاة صارمين على المخالفين، مما يلحق الضرر بنا، بل ينبغي لنا أن نرى كيف يمكننا من خلال العقوبات المعتدلة أن نستفيد في المستقبل من قوى إنتاج الإيرادات التي تعتمد عليها؛ ويجب أن نعقد العزم على البحث عن الحماية ليس من الإرهاب القانوني ولكن من الإدارة الحذرة. في الوقت الحاضر، نفعل العكس تمامًا. عندما تنهض جماعة حرة، خاضعة للقوة، كما هو طبيعي، وتؤكد استقلالها، بمجرد أن تنهار، نتصور أنفسنا ملزمين بمعاقبتها بشدة؛ على الرغم من أن المسار الصحيح مع الأحرار لا يتلخص في تأديبهم بصرامة عندما ينهضون، بل مراقبتهم بصرامة قبل أن ينهضوا، ومنعهم من التفكير في ذلك، وقمع التمرد، وجعل أقل عدد ممكن من المسؤولين عنه.

"فقط فكر في الخطأ الفادح الذي سترتكبه إذا فعلت ما أوصى به كليون. فكما هي الحال في الوقت الحاضر، فإن الناس في جميع المدن هم أصدقاؤك، وهم إما لا يثورون مع الأوليغارشية، أو إذا أجبروا على ذلك، يصبحون على الفور أعداء للمتمردين؛ بحيث يكون لديك الجماهير إلى جانبك في الحرب مع المدينة المعادية. ولكن إذا ذبحت سكان ميتيليني، الذين لم يكن لهم أي علاقة بالثورة، والذين بمجرد حصولهم على السلاح، سلموا المدينة من تلقاء أنفسهم، فإنك سترتكب أولاً جريمة قتل محسنيك؛ ثم ستلعب مباشرة في أيدي الطبقات العليا، التي عندما تحرض مدنها على الثورة، ستجعل الناس على الفور إلى جانبها، من خلال إعلانك مسبقًا عن نفس العقوبة لأولئك المذنبين وأولئك الذين لا يذنبون. على العكس من ذلك، حتى لو كانوا مذنبين، يجب أن يبدو أنك لا تلاحظ ذلك، من أجل تجنب تنفير الطبقة الوحيدة التي لا تزال صديقة لنا. باختصار، أرى أن من المفيد للغاية للحفاظ على إمبراطوريتنا أن نتحمل الظلم طوعاً، بدلاً من إعدام أولئك الذين من مصلحتنا أن نبقيهم على قيد الحياة، مهما كانت العدالة. أما بالنسبة لفكرة كليون بأن العقاب يمكن أن يلبي مطالب العدالة والمصلحة، فإن الحقائق لا تؤكد إمكانية حدوث مثل هذا الجمع.

"اعترف إذن بأن هذا هو المسار الأكثر حكمة، ودون التنازل كثيرًا عن الشفقة أو التساهل، ولا أرغب في أن أقنعك، بناءً على مزايا القضية التي أمامك، بمحاكمة أولئك الميتيلينيين الذين طردهم باتشيس باعتبارهم مذنبين بهدوء، وترك الباقين دون إزعاج. هذا هو الأفضل للمستقبل في آن واحد، والأكثر فظاعة لأعدائك في الوقت الحاضر؛ لأن السياسة الجيدة ضد الخصم أفضل من الهجمات العمياء بالقوة الغاشمة."

"كانت هذه هي كلمات ديودوتس. وكان الرأيان اللذان عبرا عنهما هما الأكثر تناقضًا؛ وعلى الرغم من تغير مشاعر الأثينيين، فقد شرعوا الآن في تقسيم القارب، حيث

كانت نسبة التصويت متساوية تقريبًا، على الرغم من أن حركة ديودوتس كانت حاسمة. وأرسلوا على الفور سفينة أخرى على عجل، خوفًا من أن تصل السفينة الأولى إلى ليسبوس في الفترة الفاصلة، فتُكتشف المدينة مدمرة؛ حيث كانت السفينة الأولى قد بدأت يوم وليلة تقريبًا. وقد قدم سفراء ميتيلين النبيذ وكعك الشعير للسفينة، ووعدوا بوعود كبيرة إذا وصلوا في الوقت المحدد؛ مما دفع الرجال إلى بذل مثل هذا الجهد في الرحلة حتى أنهم تناولوا وجباتهم من كعك الشعير المعجن بالزيت والنبيذ أثناء التجديف، ولم يناموا إلا بالتناوب بينما كان الآخرون على المجداف. لحسن الحظ لم يواجهوا رياحًا معاكسة، ولم تتعجل السفينة الأولى في تنفيذ مهمة مروعة كهذه، بينما واصلت السفينة الثانية مسيرتها بالطريقة الموصوفة، ووصلت الأولى قبلهم بقليل، حتى أن باتشيس لم يتسنَ له سوى الوقت لقراءة المرسوم والاستعداد لتنفيذ الحكم، عندما رست السفينة الثانية في الميناء ومنعت المذبحة. لقد كان خطر ميتيليني عظيمًا بالفعل.

"أما المجموعة الأخرى التي أرسلها باتشيس باعتباره المحرك الرئيسي للتمرد، فقد قتلها الأثينيون بناءً على اقتراح كليون، وكان عدد أفرادها أكثر من ألف. كما هدم الأثينيون أسوار الميتيلينيين، واستولوا على سفنهم. وبعد ذلك لم تفرض الجزية على الليزبوسيين؛ بل تم تقسيم كل أراضيهم، باستثناء أراضي الميتيلينيين، إلى ثلاثة آلاف قطعة أرض، تم الاحتفاظ بثلاثمائة منها باعتبارها مقدسة للآلهة، وتم تخصيص الباقي بالقرعة للمساهمين الأثينيين، الذين تم إرسالهم إلى الجزيرة. وبموجب هذه التنازلات، وافق الليزبوسيون على دفع إيجار قدره منيانين في السنة لكل قطعة أرض، وقاموا بزراعة الأرض بأنفسهم. كما استولى الأثينيون على المدن في القارة التي كانت تابعة للميتلينيين، والتي أصبحت بالتالي خاضعة لأثينا في المستقبل. وكانت هذه هي الأحداث التي وقعت في ليسبوس."

الفصل العاشر

السنة الخامسة من الحرب - محاكمة وإعدام أهل بلاتيا - الثورة الكورسيراية

وفي نفس الصيف، وبعد أن خسر الأثينيون جزيرة ليسبوس، شن الأثينيون بقيادة نيسياس بن نيسيراتوس حملة عسكرية ضد جزيرة مينوا، التي تقع قبالة ميجارا، والتي استخدمها الميجاريون كنقطة حصن، بعد أن بنوا برجًا عليها. وكان نيسياس يرغب في تمكين الأثينيين من الحفاظ على حصارهم من هذه المحطة الأقرب بدلاً من بودوروم وسالاميس؛ لمنع القوادس والقراصنة البيلوبونيسية من الإبحار من الجزيرة دون أن يلاحظهم أحد، كما اعتادوا أن يفعلوا؛ وفي الوقت نفسه منع أي شيء من دخول ميجارا. وبناءً على ذلك، بعد الاستيلاء على برجين بارزين على جانب نيسيا، باستخدام محركات من البحر، وتطهير مدخل القناة بين الجزيرة والشاطئ، شرع بعد ذلك في قطع جميع الاتصالات ببناء جدار على البر الرئيسي عند النقطة التي مكّن فيها جسر عبر مستنقع من إلقاء المساعدات إلى الجزيرة، التي لم تكن بعيدة عن القارة. وبعد أن استغرق الأمر بضعة أيام فقط لإنجاز هذه المهمة، أقام بعد ذلك بعض الأعمال في الجزيرة أيضًا، وترك حامية هناك، وغادر مع قواته.

وفي نفس الوقت تقريبًا من هذا الصيف، استسلم أهل بلاتيا، الذين كانوا الآن بلا مؤن وعاجزين عن تحمل الحصار، إلى البيلوبونيزيين بالطريقة التالية. فقد شن هجوم على السور، ولم يتمكن البلاتيون من صده. ولما أدرك القائد اللاكيديموني ضعفهم، أراد تجنب الاستيلاء على المكان بالقوة؛ وكانت تعليماته من اللاكيديمونية قد وُضِعَت على هذا النحو، بحيث إذا تم عقد السلام مع أثينا في أي وقت في المستقبل، واتفق كل منهما على استعادة الأماكن التي احتلها في الحرب، فقد يُعتَقَد أن بلاتيا جاءت طوعًا، ولا تُدرَج في القائمة. وبناءً على ذلك، أرسل إليهم مناديًا ليسألهم عما إذا كانوا على استعداد لتسليم المدينة طوعًا إلى اللاكيديمونيين، وقبولهم كقضاة لهم، على أن يفهموا أن المذنبين يجب معاقبتهم، ولكن ليس أي شخص بدون شكل من

أشكال القانون. كان أهل بلاتيا الآن في حالة ضعف قصوى، وما إن ألقى المنادي رسالته حتى سلموا المدينة. "وقد أطعمهم البيلوبونيزيون بضعة أيام إلى أن وصل قضاة لاكيدايمون، وكان عددهم خمسة. وعند وصولهم لم يطلبوا منهم أي أجر؛ بل استدعوا أهل بلاتيا وسألوهم عما إذا كانوا قد قدموا أي خدمة لأهل لاكيدايمون وحلفائهم في الحرب الدائرة آنذاك. فطلب أهل بلاتيا الإذن بالحديث بإسهاب أكبر، وأوفدوا اثنين منهم لتمثيلهم: أستيماخوس، ابن أسوبولاوس، ولاكون، ابن أيمنستوس، نائب أهل لاكيدايمون، الذي تقدم وتحدث على النحو التالي:

"أيها اللاكديمونيون، عندما سلمنا مدينتنا وثقنا بكم، وتطلعنا إلى محاكمة أكثر قبولاً لصيغ القانون من المحاكمة الحالية، والتي لم يكن لدينا أي فكرة عن الخضوع لها؛ كما أن القضاة الذين وافقنا على وضع أنفسنا بين أيديهم هم أنتم، وأنتم فقط (الذين اعتقدنا أننا سنحصل منهم على العدالة على الأرجح)، وليس أشخاصًا آخرين، كما هو الحال الآن. في الوضع الحالي، نخشى أننا قد خدعنا مرتين. لدينا سبب وجيه للشك، ليس فقط في أن القضية التي سيتم محاكمتها هي الأكثر فظاعة على الإطلاق، ولكنك لن تثبت نزاهتك؛ إذا جاز لنا أن نجادل من حقيقة أنه لم يتم تقديم أي اتهام لنا أولاً للإجابة عليه، ولكن كان علينا أن نطلب الإذن بالتحدث، ومن حقيقة طرح السؤال باختصار، أن الإجابة الصحيحة عليه تديننا، بينما يمكن دحض الإجابة الزائفة. "في هذه المعضلة، يبدو أن أسلم طريق لنا، بل والطريق الوحيد، هو أن نقول شيئًا مهما كانت المخاطر: ففي وضعنا الحالي، لا نستطيع أن نلتزم الصمت دون أن نعذب بالفكرة المدانة بأن التحدث قد ينقذنا. وهناك صعوبة أخرى يتعين علينا مواجهتها وهي صعوبة إقناعك. فلو كنا لا نعرف بعضنا البعض، فقد نستفيد من طرح موضوع جديد لم تكن على دراية به: ولكن في الواقع، لا يمكننا أن نخبرك بشيء لا تعرفه بالفعل، ونخشى ألا تكون قد أدانتنا في عقلك بتقصيرنا في واجبنا تجاهك، وأن تجعل هذا جريمتنا، ولكن من أجل إرضاء طرف ثالث، يتعين علينا الخضوع لمحاكمة حُسمت نتيجتها بالفعل. ومع ذلك، سنعرض أمامك ما يمكننا أن نحثك

عليه بحق، ليس فقط بشأن مسألة الخلاف الذي نشأ بيننا وبين الطيبيين، ولكن أيضًا فيما يتعلق بك وبقية اليونانيين؛ وسنذكرك بخدماتنا الجيدة، وسنحاول أن ننتصر معك.

"فيما يتعلق بسؤالك القصير عما إذا كنا قد قدمنا أي خدمة لللاكيديمونيين وحلفائهم في هذه الحرب، فإننا نقول، إذا سألتنا كأعداء، إن الامتناع عن خدمتكم لم يكن ليسبب لكم أي ضرر؛ وإذا سألتنا كأصدقاء، فإنكم أكثر ذنبًا لأنكم زحفتم ضدنا. لقد تصرفنا بشكل جيد أثناء السلام، وضد الميديين: لم نكن أول من خرق السلام الآن، وكنا الوحيدين من أهل بيوتيا الذين انضموا آنذاك للدفاع عن حرية هيلاس ضد الميديين. ورغم أننا من أهل الداخل، فقد حضرنا المعركة في أرتميسيوم؛ وفي المعركة التي دارت في أراضينا قاتلنا إلى جانبكم وبوسانياس؛ وفي جميع المآثر اليونانية الأخرى في ذلك الوقت، شاركنا بشكل لا يتناسب مع قوتنا. وبالإضافة إلى ذلك، لا ينبغي لكم، باعتباركم لاكيديمونيين، أن تنسوا أنه في وقت الذعر الكبير في أسبرطة، بعد الزلزال الذي تسبب فيه انفصال الهيلوتس إلى إيثومي، أرسلنا الجزء الثالث من مواطنينا لمساعدتكم.

"في هذه المناسبات العظيمة والتاريخية كان هذا هو الدور الذي اخترناه، على الرغم من أننا أصبحنا بعد ذلك أعداء لك. لهذا السبب كنت مسؤولاً. عندما طلبنا تحالفك ضد مضطهدينا الطيبيين، رفضت التماسنا، وأمرتنا بالذهاب إلى الأثينيين الذين كانوا جيراننا، حيث كنت تعيش بعيدًا جدًا. في الحرب لم نفعل لك أبدًا، ولا ينبغي لنا أن نفعل لك، أي شيء غير معقول. إذا رفضنا التخلي عن الأثينيين عندما طلبت منا ذلك، فإننا لم نرتكب خطأ؛ لقد ساعدونا ضد الطيبيين عندما انسحبت، ولم يعد بإمكاننا التخلي عنهم بشرف؛ خاصة وأننا حصلنا على تحالفهم وتم قبولنا في جنسيتهم بناءً على طلبنا، وبعد تلقي الفوائد على أيديهم؛ ولكن من الواضح أنه كان

من واجبنا إطاعة أوامرهم بإخلاص. علاوة على ذلك، يجب إلقاء الأخطاء التي قد يرتكبها أي منكما في تفوقك، ليس على الأتباع، ولكن على الزعماء الذين يضللونهم.

"أما أهل طيبة فقد أساءوا إلينا مراراً وتكراراً، وآخر عدوان لهم كان الوسيلة التي أوصلتنا إلى وضعنا الحالي، وهو ما تعلمونه أنكم قد واجهوا انتقامنا عندما استولوا على مدينتنا في زمن السلم، وخاصة في وقت مقدس من الشهر، وفقاً للقانون العالمي الذي يبيح مقاومة الغزاة؛ ولا يجوز لنا الآن أن نعاني بسببهم. وباعتباركم مصلحتكم المباشرة وعدائهم كمقياس للعدالة، فإنكم ستثبتون أنكم مجرد خدم للمصلحة العامة وليسوا قضاة للحق؛ على الرغم من أنكم إذا بدوا مفيدين لكم الآن، فإننا وبقية اليونانيين قدمنا لكم مساعدة أكثر قيمة في وقت الحاجة الأكبر. الآن أنتم المهاجمون، ويخافكم الآخرون؛ ولكن في الأزمة التي نشير إليها، عندما هدد البرابرة الجميع بالعبودية، وقف أهل طيبة إلى جانبه. لذا فمن العدل أن نضع وطنيتنا آنذاك ضد خطأنا الآن، إذا كان هناك خطأ؛ "وسوف تجد الفضل يفوق العيب، وقد ظهر ذلك في وقت كان فيه عدد قليل من اليونانيين مستعدين لمقاومة قوة زركسيس، وكان المديح أعظم لهم لأنهم فضلوا المسار الخطير للشرف على المسار الآمن المتمثل في استشارة مصالحهم الخاصة فيما يتعلق بالغزو. لقد كنا ننتمي إلى هؤلاء القلائل، وقد شرفنا بذلك كثيرًا؛ ومع ذلك فإننا نخشى الآن الهلاك إذا تصرفنا مرة أخرى وفقًا لنفس المبادئ، واخترنا التصرف بشكل جيد مع أثينا قبل التصرف بحكمة مع أسبرطة. ومع ذلك، في العدالة يجب أن تُحسم نفس القضايا بنفس الطريقة، ولا ينبغي أن تعني السياسة أي شيء آخر غير الامتنان الدائم لخدمة الحليف الجيد جنبًا إلى جنب مع الاهتمام اللائق بمصالح المرء المباشرة.

"ضع في اعتبارك أيضًا أن اليونانيين في الوقت الحاضر يعتبرونك نموذجًا للقيمة والشرف؛ وإذا أصدرت حكمًا ظالمًا علينا في هذا الأمر الذي ليس غامضًا، بل هو قضية أنتم القضاة فيها مشهورون مثلنا نحن السجناء، بلا لوم، فاحرص على ألا تشعر

بالاستياء من قرار غير لائق في قضية الرجال الشرفاء الذين صنعهم رجال أكثر شرفًا منهم، وتكريس الغنائم المأخوذة من البلاتيين، المحسنين إلى هيلاس، في المعابد الوطنية. سيبدو الأمر صادمًا حقًا أن يدمر اللاكديمونيون بلاتيا، وأن تمحى المدينة التي نقش آباؤك اسمها على حامل ثلاثي القوائم في دلفي لخدماتها الجيدة، من خريطة هيلاس، لإرضاء الطيبيين. لقد سقطنا إلى هذا الحد من سوء الحظ، بينما كان نجاح الميديين هو خرابنا، فإن الطيبيين الآن يحلون محلنا في تقديرك المحبب ذات يوم؛ ولقد تعرضنا لخطرين، أعظمهما على الإطلاق. خطر الموت جوعاً في ذلك الوقت، إذا لم نسلم مدينتنا، وخطر الخضوع للمحاكمة الآن من أجل حياتنا. وهكذا أصبحنا نحن أهل بلاتيا، بعد بذلنا جهوداً تفوق طاقتنا في سبيل قضية اليونانيين، مرفوضين من الجميع، مهجورين وغير مساعدين؛ ولم يساعدنا أحد من حلفائنا، وشعرنا بالشك في استقرار أملنا الوحيد، أنتم أنفسكم.

"ومع ذلك، فباسم الآلهة الذين ترأسوا ذات يوم اتحادنا، وباسم خدمتنا الطيبية في القضية اليونانية، نناشدكم بالتراجع؛ وتذكروا القرار الذي نخشى أن يكون أهل طيبة قد حصلوا عليه منكم؛ وأن تطلبوا منكم إعادة الهدية التي قدمتموها لهم، حتى لا يخزواكم بقتلنا؛ وأن تكسبوا امتنانًا نقيًا بدلًا من أن تكونوا مذنبين، وألا ترضي الآخرين بأن تكافأوا أنفسكم بالعار. قد تُزهق أرواحنا بسرعة، لكن محو العار عن الفعل سيكون مهمة شاقة؛ لأننا لسنا أعداء قد تعاقبونهم بحق، بل أصدقاء أجبروا على حمل السلاح ضدكم. لذا فإن منحنا حياتنا سيكون حكمًا عادلًا؛ إذا كنتم تعتبرون أيضًا أننا سجناء استسلمنا بإرادتنا، ومدنا أيدينا للرب، وحرمنا القانون اليوناني قتلهم، وكانوا دائمًا محسنين إليكم. "انظروا إلى قبور آبائكم الذين قُتِلوا على يد الميديين ودُفِنوا في بلادنا، الذين كرَّمناهم عامًا بعد عام بالثياب وجميع المستحقات الأخرى، وبواكير كل ما أنتجته أرضنا في موسمها، كأصدقاء من بلد صديق وحلفاء لرفاقنا القدامى في السلاح. إذا لم تقرروا بشكل صحيح، فسيكون سلوككم على النقيض تمامًا من سلوكنا. فكروا فقط: لقد دفنهم بوسانياس معتقدًا أنه يدفنهم في أرض

صديقة وبين رجال ودودين؛ ولكنكم إذا قتلتمونا وجعلتم إقليم بلاتايا في طيبة، فسوف تتركون آباءكم وأقاربكم في تربة معادية وبين قاتليهم، محرومين من الشرف الذي يتمتعون به الآن. علاوة على ذلك، ستستعبدون الأرض التي فاز فيها الهيلينيون بحرية، وتخربون معابد الآلهة التي صلوا إليها قبل أن يتغلبوا على الميديين، وتسلبون تضحياتكم الأجدادية من أولئك الذين أسسوها وأسسوها.

"لم يكن من مجدكم، أيها اللاكديمونيون، أن ترتكبوا بهذه الطريقة جريمة ضد القانون العام للهيلينيين وضد أسلافكم، أو أن تقتلونا نحن المحسنين لإرضاء كراهية الآخرين دون أن تظلموا أنفسكم: لقد كان من الأفضل أن تنقذونا وتستسلموا لانطباعات التعاطف المعقول؛ وأن تفكروا ليس فقط في المصير الرهيب الذي ينتظرنا، ولكن أيضًا في شخصية المعانين، وفي استحالة التنبؤ بمدى سرعة وقوع المصائب حتى على أولئك الذين لا يستحقونها. "إننا، كما يحق لنا أن نفعل وكما تجبرنا حاجتنا، نناشدكم بصوت عال، ونناشد الآلهة التي يعبدها جميع اليونانيين عند مذبحها المشترك، أن تستجيبوا لطلبنا، وألا تنسوا القسم الذي أقسمه آباؤكم، والذي نناشدكم به الآن - إننا نناشدكم عند مقابر آبائكم، ونناشد أولئك الذين رحلوا أن ينقذونا من الوقوع في أيدي الطيبيين وأصدقائهم الأعزاء من الاستسلام لأعدائهم الأكثر كراهية. كما نذكركم بذلك اليوم الذي قمنا فيه بأعظم الأعمال، إلى جانب آبائكم، ونحن الآن على وشك أن نعاني من أشد المصير رعبًا. "وأخيرًا، لكي نفعل ما هو ضروري ومع ذلك هو الأصعب على الرجال في موقفنا - أي أن نضع حدًا للتحدث، لأن هذا يضع حياتنا في خطر - في الختام نقول إننا لم نسلم مدينتنا إلى الطيبيين (الذين كنا نفضل لهم المجاعة المخزية)، بل وثقنا بك واستسلمنا لك؛ وسيكون من العدل، إذا فشلنا في إقناعك، أن تعيدنا إلى نفس الموقف وتسمح لنا باغتنام الفرصة التي تقع علينا. وفي الوقت نفسه، نناشدك ألا تتخلى عنا - توسلاتك، اللاكديمونيين، من بين يديك وإيمانك، يا أهل بلاتيا، أول الوطنيين اليونانيين، إلى الطيبيين، أعداءنا الأكثر كراهية - بل أن تكون منقذنا، ولا تجلبنا إلى الهلاك بينما تحرر بقية اليونانيين".

كانت هذه هي كلمات أهل بلاتيا. فخاف أهل طيبة أن يتأثر أهل لاكيدايمون بما سمعوه، فتقدموا وقالوا إنهم يرغبون هم أيضًا في مخاطبتهم، لأن أهل بلاتيا سُمح لهم، على عكس رغبتهم، بالتحدث مطولًا بدلاً من الاكتفاء بإجابة بسيطة على السؤال. وبعد أن سُمح لهم، تحدث أهل طيبة على النحو التالي:

"لم يكن من المفترض أن نطلب إلقاء هذه الكلمة لو أن أهل بلاتيا اكتفوا بالإجابة الموجزة على السؤال، ولم يتحولوا إلى اتهامات ضدنا، مقترنة بدفاع طويل عن أنفسهم بشأن أمور خارج التحقيق الحالي ولا حتى موضوع الاتهام، وبمدح ما لا يجد أحد فيه خطأ. ومع ذلك، بما أنهم فعلوا ذلك، فيجب علينا الرد على اتهاماتهم ودحض مدحهم لأنفسهم، حتى لا تساعدهم سمعتنا السيئة أو حسن سمعتهم، ولكن يمكنك سماع الحقيقة الحقيقية في كلتا النقطتين، وبالتالي اتخاذ القرار.

"كان أصل نزاعنا هو هذا. لقد استوطننا بلاتيا بعد فترة من توطيننا لبقية بيوتيا، إلى جانب أماكن أخرى طردنا منها السكان المختلطين. لم يختار أهل بلاتيا الاعتراف بتفوقنا، كما اتفقنا في البداية، بل انفصلوا عن بقية أهل بيوتيا، وأثبتوا خيانتهم لجنسيتهم، فاستخدمنا الإكراه؛ وعندئذٍ انتقلوا إلى الأثينيين، وألحقوا بهم نفس القدر من الأذى، وهو ما رددنا عليه.

"ثم عندما غزا البرابرة اليونان، قالوا إنهم كانوا الوحيدين من أهل بيوتيا الذين لم يطبقوا نظام الميديين؛ وهنا يمجدون أنفسهم ويهينوننا أكثر من أي شيء آخر. ونحن نقول إنهم إذا لم يطبقوا نظام الميديين، فذلك لأن الأثينيين لم يفعلوا ذلك أيضًا؛ تمامًا كما حدث بعد ذلك عندما هاجم الأثينيون الهيلينيين، فإن أهل بلاتيا كانوا مرة أخرى الوحيدين من أهل بيوتيا الذين طبقوا نظام الميديين. ومع ذلك، فكر في أشكال حكوماتنا عندما تصرفنا على هذا النحو. لم تكن مدينتنا في ذلك الوقت تتمتع بدستور أوليغاركي يتمتع فيه جميع النبلاء بحقوق متساوية، ولا ديمقراطية، بل كانت ديمقراطية هي الأكثر معارضة للقانون والحكم الصالح والأقرب إلى الطغيان -

حكم المؤامرة الوثيقة. هؤلاء، على أمل تعزيز قوتهم الفردية من خلال نجاح الميديين، قمعوا الناس بالقوة، وأحضروهم إلى المدينة. لم تكن المدينة ككل سيدة نفسها عندما تصرفت على هذا النحو، ولا ينبغي أن نلومها على الأخطاء التي ارتكبتها وهي محرومة من دستورها. "ولنتأمل هنا كيف تصرفنا بعد رحيل الميديين واستعادة الدستور؛ عندما هاجم الأثينيون بقية اليونان وحاولوا إخضاع بلادنا، التي كان أغلب أعضائها قد استولوا عليها بالفعل. ألم نقاتل وننتصر في كورونيا ونحرر بيوتيا، ألم نساهم الآن بنشاط في تحرير بقية البلاد، بتوفير الخيول للقضية وقوة لا تضاهيها قوة أي دولة أخرى في الاتحاد؟"

"ليكن هذا كافياً لتبرير تصرفاتنا الميديينية. وسنحاول الآن أن نبين لكم أنكم ألحقتم الأذى باليونانيين أكثر منا، وأنكم تستحقون عقاباً لائقاً. لقد قلتم إنكم أصبحتم حلفاء ومواطنين لأثينا دفاعاً عنا. وإذا كان الأمر كذلك، فكان ينبغي لكم فقط أن تستدعوا الأثينيين ضدنا، بدلاً من الانضمام إليهم في مهاجمة الآخرين: كان من حقكم أن تفعلوا هذا إذا شعرتم يوماً أنهم يقودونكم إلى حيث لا ترغبون في اتباعه، لأن لاكيدايمون كان بالفعل حليفكم ضد الميديين، كما تصرون بشدة؛ وكان هذا كافياً بالتأكيد لإبعادنا، وقبل كل شيء للسماح لكم بالتداول بأمان. ومع ذلك، فقد اخترتم باختياركم ودون إكراه أن تنضموا إلى أثينا. وتقولون إنه كان من الدناءة أن تخونوا محسنيكم؛ ولكن كان من الأشد دناءة وظلماً أن تضحي بجسد اليونانيين، رفاقك في التحالف، الذين كانوا يحررون اليونان، من الأثينيين فقط الذين كانوا يستعبدونها. لذا فإن المقابل الذي قدمته لهم لم يكن مساوياً ولا مشرفاً، لأنك استدعيتهم، كما تقول، لأنك كنت مضطهداً بنفسك، ثم أصبحت شريكاً لهم في اضطهاد الآخرين؛ على الرغم من أن الدناءة تتلخص في عدم رد المثل بالمثل وليس في عدم رد ما يستحقه بحق ولكن يجب دفعه بغير حق.

"وفي الوقت نفسه، وبعد أن أظهرت بوضوح أنك لم تتدخل في شؤون اليونان آنذاك من أجل مصلحة اليونان، بل لأن الأثينيين لم يفعلوا ذلك أيضًا، وكنت ترغب في الوقوف إلى جانبهم وضد البقية؛ فأنت الآن تدعي الاستفادة من الأعمال الصالحة التي قمت بها لإرضاء جيرانك. وهذا لا يمكن قبوله: لقد اخترت الأثينيين، ومعهم يجب أن تقف أو تسقط. ولا يمكنك أيضًا أن تدافع عن التحالف الذي تم تشكيله آنذاك وتزعم أنه يجب أن يحميك الآن. لقد تخليت عن هذا التحالف، وأخطأت ضده من خلال المساعدة بدلاً من عرقلة إخضاع الإيجينيين وغيرهم من أعضائه، وليس تحت الإكراه، ولكن أثناء التمتع بنفس المؤسسات التي تتمتع بها حتى الوقت الحاضر، ولا أحد يجبرك كما في حالتنا. وأخيرًا، وُجِّهت إليك دعوة قبل أن يتم حصارك لتكون محايدًا ولا تنضم إلى أي من الحزبين: لم تقبل هذه الدعوة. فمن يستحق إذن كراهية اليونانيين أكثر منك، أنت الذي سعيت إلى هلاكهم تحت قناع الشرف؟ إن الفضائل السابقة التي تزعم أنك تظهرها الآن لا تتناسب مع شخصيتك؛ لقد ثبت في النهاية أن الاتجاه الحقيقي لطبيعتك قد ثبت بشكل دامغ: عندما سلك الأثينيون طريق الظلم، اتبعتهم.

"إن تفسيرنا لتصرفنا غير المرغوب فيه وتصرفكم الأتيكي المتعمد هو ما يلي: إن الخطأ الأخير الذي تشكو منه يتلخص في أننا، كما تقولون، غزونا بلدتكم بشكل غير قانوني في وقت السلم والمهرجان. وهنا أيضًا لا يمكننا أن نتصور أننا كنا أكثر خطأ منكم. فإذا قمنا بمبادرة منا بهجوم مسلح على مدينتكم ودمرنا أراضيكم، فنحن مذنبون؛ ولكن إذا كان الرجال الأوائل بينكم في الطبقة والعائلة، راغبين في وضع حد للاتصال الأجنبي وإعادتكم إلى بلد بيوتيا المشترك، ودعونا بمحض إرادتهم، فما هي جريمتنا؟ عندما يحدث الخطأ، فإن أولئك الذين يقودون، كما تقولون، هم أكثر لومًا من أولئك الذين يتبعون. ليس الأمر أننا، في حكمنا، ارتكبنا الخطأ إما منهم أو منا. إن المواطنين مثلكم، والذين لديهم مخاطر أكبر من المخاطر التي تواجهكم، فتحوا أسوارهم وأدخلونا إلى مدينتهم، ليس كأعداء بل كأصدقاء، لمنع الأشرار بينكم من

أن يصبحوا أسوأ؛ ولإعطاء الرجال الشرفاء حقهم؛ لإصلاح المبادئ دون مهاجمة الأشخاص، حيث لم يكن من المقرر أن يتم نفيكم من مدينتكم، بل إعادتكم إلى دياركم مع أقاربكم، ولا أن تصبحوا أعداء لأحد، بل أصدقاء للجميع على حد سواء.

"إن نيتنا لم تكن عدائية، وهذا ما أثبته سلوكنا. فلم نلحق أي أذى بأحد، بل دعونا علناً أولئك الذين أرادوا أن يعيشوا في ظل حكومة وطنية في بويوتيا إلى القدوم إلينا؛ وهو ما فعلته في البداية بكل سرور، وعقدت اتفاقاً معنا وظللت هادئاً، حتى أدركت صغر عددنا. ومن المحتمل الآن أن يكون هناك شيء غير عادل في دخولنا دون موافقة عامة الناس. وعلى أي حال، لم تردوا علينا بالمثل. وبدلاً من الامتناع عن العنف، كما فعلنا، وحملنا على الانسحاب عن طريق التفاوض، هاجمتمونا في انتهاك لاتفاقكم، وقتلتم بعضنا في القتال، وهو الأمر الذي لا نشكو منه كثيراً، لأن ذلك كان عدلاً إلى حد ما؛ لكن آخرين مدوا أيديهم وتلقوا الرحمة، ووعدتمونا بحياتهم فيما بعد، ذبحتموهم بلا قانون. إذا لم يكن هذا بغيضاً، فما هو؟ وبعد هذه الجرائم الثلاث التي ارتكبتموها واحدة تلو الأخرى ـ انتهاك اتفاقكم، وقتل الرجال بعد ذلك، والخرق الكاذب لوعدكم بعدم قتلهم إذا امتنعنا عن الإضرار بممتلكاتكم في البلاد ـ ما زلتم تؤكدون أننا المجرمون وتتظاهرون بأنفسكم بالهروب من العدالة. ولكن هذا ليس صحيحاً، إذا كان قضاتكم يحكمون بالصواب، ولكنكم سوف تعاقبون على كل هذه الجرائم مجتمعة.

"هذه هي الحقائق، أيها اللاكديمونيون. لقد تناولناها بالتفصيل من أجلكم ومن أجلنا، حتى تتأكدوا من أنكم ستدينون السجناء بشكل عادل، ونحن نؤكد أننا أضفنا عقابًا إضافيًا على انتقامنا. كما نريد أن نمنعكم من الذوبان عند سماع فضائلهم السابقة، إن كانت لديهم أي فضائل: قد يلجأ ضحايا الظلم إلى هذه الفضائل، لكنها لا تؤدي إلا إلى تفاقم ذنب المجرمين، لأنهم يسيئون إلى طبيعتهم الأفضل. لا تدعهم يكسبون شيئًا بالصراخ والعويل، والتوسل إلى قبور آبائكم وحالتهم المهجورة. وفي مقابل هذا،

نشير إلى المصير الأكثر فظاعة لشبابنا، الذين ذبحوا على أيديهم؛ الذين سقط آباؤهم في كورونيا، وأحضروا بيوتيا إليكم، أو جلسوا، رجال عجائز بائسون على مواقد مهجورة، وهم يتوسلون إليكم بإنصاف السجناء. إن الشفقة التي يلجأون إليها ترجع إلى الرجال الذين يعانون بلا استحقاق؛ "إن أولئك الذين يعانون من الظلم كما يعانون هم على العكس من ذلك خاضعون للانتصار. إنهم يتحملون اللوم على حالتهم البائسة الحالية، لأنهم رفضوا عن عمد التحالف الأفضل. إن تصرفهم الخارج عن القانون لم يكن مدفوعًا بأي عمل من جانبنا: إن الكراهية، وليس العدالة، هي التي ألهمت قرارهم؛ وحتى الآن فإن الرضا الذي يقدمونه لنا غير كافٍ؛ فسوف يعانون من حكم قانوني، ليس كما يتظاهرون بأنهم يتوسلون يطلبون الرحمة في المعركة، ولكن كسجناء استسلموا بعد الموافقة على محاكمتهم. لذا، أيها اللاكديمونيون، ادافعوا عن القانون اليوناني الذي خرقوه؛ ولنا، ضحايا انتهاكه، امنحونا المكافأة المستحقة لحماستنا. ولا تسمحوا لنا بأن نستعيض عنكم بخطبهم، بل قدموا مثالاً للهيلينيين، بأن المنافسات التي تدعوهم إليها هي بالأفعال، وليس بالأقوال: يمكن ذكر الأعمال الصالحة باختصار، ولكن حيثما ارتكب الخطأ، فإن الأمر يتطلب ثروة من اللغة لإخفاء تشوهه." ومع ذلك، إذا كانت القوى الرائدة تفعل ما تفعله الآن، وتطرح سؤالاً قصيراً على الجميع على حد سواء لاتخاذ القرار وفقًا لذلك، فإن الرجال سوف يكونون أقل إغراءً للبحث عن عبارات لطيفة لتغطية أفعالهم السيئة.

"كانت هذه هي كلمات أهل طيبة. قرر القضاة اللاكيديمونيون أن السؤال عما إذا كانوا قد تلقوا أي خدمة من أهل بلاتيا في الحرب كان سؤالاً عادلاً بالنسبة لهم؛ حيث كانوا يدعونهم دائمًا إلى الحياد، بما يتفق مع العهد الأصلي الذي أبرمه بوسانياس بعد هزيمة الميديين، وعرضوا عليهم نفس الشروط مرة أخرى قبل الحصار. وبعد رفض هذا العرض، تصوروا الآن أنهم أصبحوا الآن متحررين من عهدهم بسبب إخلاصهم لنواياهم؛ وبعد أن عانوا، كما ظنوا، من الشر على أيدي أهل بلاتيا، أعادوهم

مرة أخرى واحدًا تلو الآخر وسألوا كل واحد منهم نفس السؤال، أي ما إذا كانوا قد قدموا أي خدمة لأهل بلاتيا وحلفائهم في الحرب؛ وعندما قالوا إنهم لم يفعلوا، أخرجوهم وقتلوهم جميعًا دون استثناء. لم يقل عدد أهل بلاتيا الذين قُتِلوا بهذه الطريقة عن مائتي شخص، مع خمسة وعشرين أثينيًا شاركوا في الحصار. وأخذوا النساء كعبيد" ولقد أعطت المدينة لأهل طيبة لمدة عام تقريباً بعض المهاجرين السياسيين من ميجارا، وللناجين من أهل بلاتيا من حزبهم، ليقيموا فيها، ثم هدموها بعد ذلك من أساسها، وبنوا فوق حرم هيرا نزلاً مساحته مائتا قدم مربعة، به غرف من كل جانب، من أعلاه ومن أسفله، مستغلين لهذا الغرض أسقف وأبواب أهل بلاتيا: ومن بقية المواد في الجدار، النحاس والحديد، صنعوا أرائك كرسوها لهيرا، التي بنوا لها أيضاً كنيسة حجرية مساحتها مائة قدم مربعة. ثم صادروا الأرض وأجروها للمحتلين الطيبيين بعقد إيجار لمدة عشر سنوات. وكان الموقف المعاكس الذي تبناه أهل لاكيدايمون في قضية بلاتيا بأكملها يهدف في الأساس إلى إرضاء أهل طيبة، الذين كانوا يعتبرون مفيدين في الحرب التي كانت مستعرة في تلك اللحظة. وكانت هذه نهاية بلاتيا، في العام الثالث والتسعين بعد أن أصبحت حليفة لأثينا.

وفي هذه الأثناء، تعرضت السفن الأربعون التابعة للبلبونيزيين التي ذهبت لنجدة الليزبينيين، والتي تركناها تحلق عبر البحر المفتوح، بعد أن طاردها الأثينيون، لعاصفة قبالة جزيرة كريت، وتفرقت من هناك واتجهت إلى البيلوبونيز، حيث وجدت في سيليني ثلاث عشرة سفينة حربية من طراز لوكاديا وأمبراسيوت، وكان براسيداس، ابن تيليس، قد وصل مؤخرًا كمستشار لألكيداس؛ وقد قرر اللاكيدايمونيون، بعد فشل حملة الليزبينيين، تعزيز أسطولهم والإبحار إلى كورسيرا، حيث اندلعت ثورة، حتى يصلوا إلى هناك قبل أن تتمكن السفن الأثينية الاثنتي عشرة في ناوباكتوس من الحصول على التعزيزات من أثينا. وبدأ براسيداس وألكيداس في الاستعداد وفقًا لذلك.

بدأت الثورة الكورسيراية بعودة الأسرى الذين أسروا في المعارك البحرية قبالة إبيدامنوس. وكان أهل كورنثوس قد أطلقوا سراح هؤلاء الأسرى، ظاهريًا مقابل ضمان ثمانمائة تالنت قدمها لهم وكلاءهم، ولكن في الواقع مقابل التزامهم بنقل كورسيرا إلى كورنثوس. وشرع هؤلاء الرجال في استطلاع آراء كل من المواطنين، والتآمر بهدف فصل المدينة عن أثينا. وعند وصول سفينة أثينية وأخرى كورنثية، وعلى متنها مبعوثون، عقد مؤتمر صوت فيه أهل كورسيرا على البقاء حلفاء للأثينيين وفقًا لاتفاقهم، ولكنهم سيظلون أصدقاء للبيلوبونيزيين كما كانوا من قبل. وفي غضون ذلك، أحضر الأسرى العائدون بيثياس، وكيل الأثينيين المتطوع وزعيم العامة، للمحاكمة بتهمة استعباد كورسيرا وإخضاعها لأثينا. وبعد تبرئته، رد باتهام خمسة من أغنى رجاله بقطع أوتاد في الأرض المقدسة لزيوس وألكينوس؛ وكانت العقوبة القانونية هي ستاتر عن كل وتد. وبعد إدانتهم، وكان مبلغ العقوبة كبيرًا جدًا، جلسوا في المعابد كمتوسلين للسماح لهم بدفعها على أقساط؛ لكن بيثياس، الذي كان أحد أعضاء مجلس الشيوخ، أقنع ذلك المجلس بتنفيذ القانون؛ وعندئذٍ، أصبح المتهمون يائسين بموجب القانون، وعلموا أيضًا أن بيثياس كان ينوي، وهو لا يزال عضوًا في مجلس الشيوخ، إقناع الناس بإبرام تحالف دفاعي وهجومي مع أثينا، اجتمعوا معًا مسلحين بالخناجر، واقتحموا فجأة مجلس الشيوخ وقتلوا بيثياس وستين آخرين، من أعضاء مجلس الشيوخ والأفراد؛ وكان بعضهم فقط من مجموعة بيثياس الذين لجأوا إلى السفينة الأثينية التي لم تغادر بعد.

وبعد هذه الفظاعة، استدعى المتآمرون أهل كورسيرا إلى جمعية، وقالوا إن هذا من شأنه أن يؤدي إلى خيرهم، وسينقذهم من العبودية في أيدي أثينا: أما في المستقبل، فقد اقترحوا عدم استقبال أي من الطرفين ما لم يأتوا سلمياً في سفينة واحدة، ومعاملة أي عدد أكبر منهم كأعداء. وبعد أن قدموا هذا الاقتراح، أجبروا على تبنيه، وأرسلوا على الفور مبعوثين إلى أثينا لتبرير ما حدث ولثني اللاجئين هناك عن أي إجراءات عدائية قد تؤدي إلى رد فعل.

وعند وصول السفارة، ألقى الأثينيون القبض على المبعوثين وكل من استمع إليهم، باعتبارهم ثوريين، وأسكنوهم في إيجينا. وفي الوقت نفسه، وصلت سفينة كورنثية إلى الجزيرة مع مبعوثين لاكيدايمونيين، وهاجمت المجموعة الكورسيراية المهيمنة العامة وهزمتهم في المعركة. وعند حلول الليل، لجأ العامة إلى الأكروبوليس والأجزاء العليا من المدينة، وتمركزوا هناك، حيث استولوا أيضًا على الميناء الهيلاي؛ واحتل خصومهم السوق، حيث كان يعيش معظمهم، والميناء المجاور، ويطل على البر الرئيسي.

وفي اليوم التالي دارت مناوشات لم تكن ذات أهمية تذكر، حيث أرسل كل طرف قواته إلى البلاد ليعرض على العبيد الحرية ويدعوهم للانضمام إليه. واستجابت حشود العبيد لنداء عامة الناس، وكان خصومهم مدعومين بثمانمائة مرتزق من القارة.

وبعد استراحة دامت يومًا واحدًا، استؤنفت الأعمال العدائية، وظل النصر في أيدي العامة، الذين كانوا يتمتعون بميزة في العدد والمكانة، كما ساعدتهم النساء بشجاعة، حيث ألقين البلاط من المنازل، ودعمن المشاجرة بشجاعة تفوق شجاعة نساءهن. وقرب الغسق، كان الأوليجاركيون في حالة من الهزيمة الكاملة، خوفًا من أن يهاجم العامة المنتصرون ويحملون ترسانة الأسلحة ويقتلونهم بالسيف، فأطلقوا النار على المنازل المحيطة بالسوق والمساكن، من أجل منع تقدمهم؛ ولم يرحموا لا أنفسهم ولا جيرانهم؛ مما أدى إلى احتراق الكثير من أغراض التجار وتعرضت المدينة لخطر الدمار الكامل، إذا جاءت الرياح لتساعد اللهب بالهبوب عليه. وبعد توقف الأعمال العدائية الآن، التزم الجانبان الصمت، وقضيا الليل في الحراسة، بينما تسللت السفينة الكورنثية إلى البحر بعد انتصار العامة، وعبر معظم المرتزقة سراً إلى القارة.

وفي اليوم التالي، أتى القائد الأثيني نيكوستراتوس بن ديتريفيس من ناوباكتوس ومعه اثنتي عشرة سفينة وخمسمائة من المشاة الثقيلة الميسينية. فحاول على الفور

التوصل إلى تسوية، وأقنع الطرفين بالاتفاق معًا على محاكمة عشرة من زعماء العصابة، الذين فروا على الفور، بينما عاش الباقون في سلام، وعقدوا اتفاقات فيما بينهم، ودخلوا في تحالف دفاعي وهجومي مع الأثينيين. وبعد أن رتب هذا، كان على وشك الإبحار بعيدًا، عندما أقنعه زعماء العامة بترك خمس سفن له لهم حتى يجعلوا خصومهم أقل ميلاً إلى التحرك، بينما أرسلوا معه عددًا مماثلاً من سفنهم. وما إن وافق حتى بدأوا في تجنيد أعدائهم للسفن؛ وهؤلاء، خوفًا من إرسالهم إلى أثينا، جلسوا كمتوسلين في معبد ديوسكوري. ولم تنجح محاولة نيكوستراتوس لطمأنتهم وإقناعهم بالثورة، إذ تسلح عامة الشعب بهذه الحجة، زاعمين أن رفض خصومهم الإبحار معهم دليل على خواء نواياهم، وسحبوا أسلحتهم من منازلهم، وكانوا ليقتلوا بعض من يلتقون بهم، لولا أن منعهم نيكوستراتوس من ذلك. ولما رأى بقية أفراد المجموعة ما كان يحدث، جلسوا في معبد هيرا كمتوسلين، وكان عددهم لا يقل عن أربعمائة؛ حتى خاف العامة من أن يتخذوا قرارًا يائسًا، فأقنعوهم بالثورة، ونقلوهم إلى الجزيرة أمام المعبد، حيث تم إرسال المؤن إليهم.

في هذه المرحلة من الثورة، في اليوم الرابع أو الخامس بعد إبعاد الرجال إلى الجزيرة، وصلت السفن البيلوبونيسية من سيليني حيث كانت متمركزة منذ عودتها من إيونيا، وكان عددها ثلاثة وخمسين، ولا تزال تحت قيادة ألكيداس، ولكن مع براسيداس أيضًا على متنها كمستشار له؛ وألقت المرساة في سيبوتا، وهو ميناء على البر الرئيسي، وعند الفجر أبحرت إلى كورسيرا.

"لقد أصاب أهل كورسيرا حالة من الارتباك الشديد والانزعاج الشديدين بسبب حالة الأمور في المدينة واقتراب الغزاة، فشرعوا على الفور في تجهيز ستين سفينة، وأرسلوها بسرعة كافية لمحاربة العدو، على الرغم من توصية الأثينيين لهم بالسماح لهم بالإبحار أولاً، ثم يتبعوهم بعد ذلك بكل سفنهم معًا. وعندما اقتربت سفنهم من العدو بهذه الطريقة المتقطعة، فرّت سفينتان على الفور؛ وفي سفن أخرى كان أفراد

الطاقم يتقاتلون فيما بينهم، ولم يكن هناك أي نظام في أي شيء يتم القيام به؛ حتى أن البيلوبونيزيين، عندما لاحظوا ارتباكهم، أرسلوا عشرين سفينة لمعارضة أهل كورسيرا، ووجهوا الباقي ضد السفن الأثينية الاثنتي عشرة، ومن بينها السفينتان سالامينيا وبارالوس.

وبينما كان أهل كورسيرا يهاجمون دون حكم مسبق وفي مجموعات صغيرة، وقد أصيبوا بالشلل بالفعل بسبب سوء سلوكهم، لم يجرؤ الأثينيون، خوفًا من أعداد العدو ومن أن يحاصرهم، على مهاجمة الجسم الرئيسي أو حتى مركز الفرقة المعارضة لهم، بل هاجموا جناحها وأغرقوا إحدى سفنهم؛ وبعد ذلك تشكل البيلوبونيزيون في دائرة، ودار الأثينيون حولهم بالتجديف وحاولوا إثارة الفوضى في صفوفهم. ولما أدركت الفرقة المعارضة للكورسيرا ذلك، خوفًا من تكرار كارثة ناوباكتوس، جاءت لدعم أصدقائها، وهاجم الأسطول بأكمله الآن، متحدًا، على الأثينيين، الذين تراجعوا أمامه، وتراجعوا ببطء قدر الإمكان من أجل إعطاء الكوسيرايين الوقت للهروب، بينما ظل العدو مشغولاً بهذه الطريقة. كانت هذه هي طبيعة معركة البحر هذه، التي استمرت حتى غروب الشمس.

"وخشي أهل كورسيرا الآن أن يواصل العدو انتصاره ويبحر نحو المدينة وينقذ الرجال في الجزيرة، أو يوجه لهم ضربة أخرى حاسمة بنفس القدر، وبناءً على ذلك نقلوا الرجال مرة أخرى إلى معبد هيرا، وظلوا يحرسون المدينة. ولكن البيلوبونيزيين، على الرغم من انتصارهم في المعركة البحرية، لم يجرؤوا على مهاجمة المدينة، بل استولوا على السفن الكورسيرية الثلاث عشرة التي استولوا عليها، وأبحروا بها عائدين إلى القارة التي انطلقوا منها. وفي اليوم التالي، امتنعوا أيضًا عن مهاجمة المدينة، على الرغم من أن الفوضى والذعر كانا في أوجهما، وعلى الرغم من أن براسيداس، كما يقال، حث ألكيداس، ضابطه الأعلى، على القيام بذلك، إلا أنهم نزلوا على رأس لوكيم ودمروا البلاد.

وفي هذه الأثناء، كان عامة الناس في كورسيرا لا يزالون في خوف شديد من هجوم الأسطول عليهم، فعقدوا مفاوضات مع المتوسلين وأصدقائهم، من أجل إنقاذ المدينة؛ وأقنعوا بعضهم بالصعود على متن السفن، التي كان لا يزال عدد أفرادها ثلاثين، لمواجهة الهجوم المتوقع. ولكن البيلوبونيزيين بعد أن اجتاحوا البلاد حتى منتصف النهار أبحروا بعيدًا، وعند حلول الليل، أُبلغوا عن طريق إشارات المنارات باقتراب ستين سفينة أثينية من لوكاس، تحت قيادة يوريميدون، ابن ثوكليس؛ والتي أرسلها الأثينيون بعد أن وصلتهم أنباء الثورة والأسطول الذي كان على متنه ألكيداس للإبحار إلى كورسيرا.

"وعلى الفور انطلق البيلوبونيزيون في عجلة من أمرهم ليلاً إلى ديارهم، وساروا على طول الساحل؛ وسحبوا سفنهم عبر برزخ لوكاس، حتى لا يُرى وهم يضاعفون المسافة، وهكذا غادروا. ولما علم أهل كورسيرا باقتراب الأسطول الأثيني ورحيل العدو، أحضروا الميسينيين من خارج الأسوار إلى المدينة، وأمروا الأسطول الذي كانوا قد جهزوه بالإبحار إلى ميناء هيلاي؛ وبينما كان يفعل ذلك، قتلوا من وضعوا أيديهم عليه من أعدائهم، ثم أرسلوا بعد ذلك، عندما أنزلوهم إلى البر، أولئك الذين أقنعوهم بالصعود على متن السفن. ثم ذهبوا إلى حرم هيرا وأقنعوا حوالي خمسين رجلاً بأخذ محاكمتهم، وحكموا عليهم جميعًا بالموت. ولما رأى جمهور المتوسلين الذين رفضوا القيام بذلك ما كان يحدث، قتل بعضهم البعض هناك في الأرض المقدسة؛ "في حين شنق بعضهم أنفسهم على الأشجار، ودمر آخرون أنفسهم بقدر ما استطاعوا. وخلال سبعة أيام مكث فيها يوريمايدون مع سفنه الستين، انشغل أهل كورسيرا بذبح مواطنيهم الذين اعتبروهم أعداء لهم: ورغم أن الجريمة المنسوبة إليهم كانت محاولة قمع الديمقراطية، فقد قُتل بعضهم أيضًا بسبب الكراهية الشخصية، وقتل آخرون على يد مدينيهم بسبب الأموال المستحقة لهم. وهكذا انتشر الموت في كل أشكاله؛ وكما يحدث عادة في مثل هذه الأوقات، لم يكن هناك حد لم يصل إليه

العنف؛ حيث قُتل الأبناء على يد آبائهم، وسُحب المتضرعون من فوق المذبح أو قُتِلوا عليه؛ بل إن بعضهم حُبسوا في جدران معبد ديونيسوس وماتوا هناك.

لقد كانت مسيرة الثورة دامية إلى هذا الحد، وكان الانطباع الذي أحدثته أعظم من كونها واحدة من أولى الثورات التي حدثت. وفي وقت لاحق، يمكننا أن نقول، اهتز العالم اليوناني بأكمله؛ حيث كانت الصراعات في كل مكان، حيث قام الزعماء الشعبيون بجلب الأثينيين، وقام الأوليغارشيون بإدخال اللاكديمونيين. في حالة السلم، لم يكن هناك ذريعة أو رغبة في توجيه مثل هذه الدعوة؛ ولكن في حالة الحرب، حيث كان التحالف دائمًا تحت قيادة أي من الفصيلين لإيذاء خصومهم وتحقيق مصلحتهم الخاصة، لم تكن الفرص لجلب الأجنبي غائبة أبدًا للأحزاب الثورية. كانت المعاناة التي جلبتها الثورة على المدن كثيرة ورهيبة، مثل تلك التي حدثت وستحدث دائمًا، طالما ظلت طبيعة البشر كما هي؛ وإن كانت في شكل أشد أو أخف، وتختلف في أعراضها، وفقًا لتنوع الحالات الخاصة. في حالة السلام والرخاء، تتمتع الدول والأفراد بمشاعر أفضل، لأنهم لا يجدون أنفسهم فجأة في مواجهة ضرورات ملحة؛ ولكن الحرب تسلب الناس الإمداد السهل من الاحتياجات اليومية، وتثبت بذلك وجود سيد فظ، يجعل شخصيات معظم الرجال على نفس مستوى ثرواتهم. وهكذا سارت الثورة في مسارها من مدينة إلى أخرى، والأماكن التي وصلت إليها أخيرًا، بعد أن سمعت بما حدث من قبل، حملت إلى حد أكبر من الرقي في اختراعاتهم، كما تجلى في مكر مشاريعهم وفظاعة أعمالهم الانتقامية. كان لابد أن تغير الكلمات معناها العادي وأن تأخذ ما أعطيت لها الآن. أصبح الجرأة المتهورة تعتبر شجاعة الحليف المخلص؛ والتردد الحكيم جبن مصطنع؛ وكان الاعتدال يعتبر ستارًا للضعف؛ والقدرة على رؤية جميع جوانب المسألة وعدم القدرة على التصرف في أي منها. أصبح العنف المحموم سمة من سمات الرجولة؛ والتخطيط الحذر وسيلة مبررة للدفاع عن النفس. كان المدافع عن التدابير المتطرفة جديرًا بالثقة دائمًا؛ وكان خصمه رجلاً يجب الشك فيه. إن النجاح في مؤامرة ما يعني أن يكون المرء ذكياً، وأن

يكون أكثر ذكاءً في استنباط المؤامرة؛ ولكن محاولة تجنب الاضطرار إلى القيام بأي منهما تعني تفكك حزبك والخوف من خصومك. وفي النهاية، كان منع مجرم يعتزم ارتكاب جريمة، أو التلميح إلى جريمة حيث لا وجود لها، أمراً مقبولاً على قدم المساواة حتى أصبحت رابطة الدم أضعف من رابطة الحزب، وذلك بسبب الاستعداد الفائق لأولئك الذين يوحدهم الحزب لخوض كل شيء دون تحفظ؛ لأن مثل هذه الجمعيات لم تكن في الحسبان البركات التي يمكن الحصول عليها من المؤسسات القائمة، بل كانت تتشكل بدافع الطموح إلى الإطاحة بها؛ وكانت ثقة أعضائها في بعضهم البعض لا تستند إلى أي تأييد ديني بقدر ما كانت تستند إلى التواطؤ في الجريمة. وكانت المقترحات العادلة التي يقدمها الخصم تلاقي احتياطات غيورة من جانب الطرف الأقوى من الاثنين، وليس بثقة سخية. وكان الانتقام أيضاً أكثر أهمية من الحفاظ على الذات.إن قسم المصالحة، الذي لا يُقدَّم من أي من الطرفين إلا لمواجهة صعوبة فورية، لا يصمد إلا ما دام لا يوجد سلاح آخر في متناول اليد؛ ولكن عندما تتاح الفرصة، فإن أول من يجرؤ على استغلالها وإبعاد عدوه عن حذره، يعتقد أن هذا الانتقام الغادر أعذب من الانتقام العلني، لأنه، بغض النظر عن اعتبارات السلامة، فإن النجاح عن طريق الخيانة أكسبه كرامة الذكاء المتفوق. والواقع أن الرجال عادة ما يكونون أكثر استعدادًا لوصف المحتالين بالذكاء من وصفهم بالحمقى بالصدقاء، ويشعرون بالخجل من كونهم الثاني بقدر ما يفخرون بكونهم الأول. وكان سبب كل هذه الشرور هو الرغبة في السلطة الناشئة عن الجشع والطموح؛ ومن هذه المشاعر نشأ عنف الأطراف بمجرد الانخراط في النزاع. "كان زعماء المدن، الذين كان كل منهم يتمتع بأرق المهن، يصرخون من ناحية بالمساواة السياسية بين الناس، ومن ناحية أخرى بالطبقة الأرستقراطية المعتدلة، وكانوا يسعون إلى الحصول على جوائز لأنفسهم في تلك المصالح العامة التي يزعمون أنهم يعتزون بها، ولم يتراجعوا عن أي وسيلة في نضالاتهم من أجل التفوق، بل انخرطوا في أفظع التجاوزات؛ وفي أعمالهم الانتقامية ذهبوا إلى أبعد من ذلك، ولم يتوقفوا عند ما تطلبه العدالة أو مصلحة الدولة، بل جعلوا نزوة الحزب في تلك اللحظة معيارهم الوحيد، واستدعوا بنفس القدر من

الاستعداد لإدانة الحكم الظالم أو سلطة الذراع القوية لإشباع عداوات الساعة. وبالتالي لم يكن الدين محترمًا لدى أي من الحزبين؛ لكن استخدام العبارات العادلة للوصول إلى غايات مذنبة كان يحظى بسمعة طيبة. وفي الوقت نفسه هلك الجزء المعتدل من المواطنين بين الحزبين، إما لعدم مشاركتهم في الشجار، أو لأن الحسد لم يسمح لهم بالفرار.ولكنهم جعلوا من نزوات الحزب في تلك اللحظة معيارهم الوحيد، واستدعوا بنفس القدر من الاستعداد لإدانة الحكم الظالم أو سلطة الذراع القوية لإشباع عداوات الساعة. وعلى هذا فإن الدين لم يكن محترماً لدى أي من الحزبين؛ ولكن استخدام العبارات العادلة للوصول إلى غايات مذنبة كان يحظى بسمعة طيبة. وفي الوقت نفسه هلك الجزء المعتدل من المواطنين بين الطرفين، إما لعدم مشاركتهم في الشجار، أو لأن الحسد لم يسمح لهم بالفرار.ولكنهم جعلوا من نزوات الحزب في تلك اللحظة معيارهم الوحيد، واستدعوا بنفس القدر من الاستعداد لإدانة الحكم الظالم أو سلطة الذراع القوية لإشباع عداوات الساعة. وعلى هذا فإن الدين لم يكن محترماً لدى أي من الحزبين؛ ولكن استخدام العبارات العادلة للوصول إلى غايات مذنبة كان يحظى بسمعة طيبة. وفي الوقت نفسه هلك الجزء المعتدل من المواطنين بين الطرفين، إما لعدم مشاركتهم في الشجار، أو لأن الحسد لم يسمح لهم بالفرار.

"وبالتالي فقد ترسخت كل أشكال الفساد في البلاد اليونانية بسبب هذه المشاكل. واختفت البساطة القديمة التي كان الشرف يحتلها إلى حد كبير؛ وانقسم المجتمع إلى معسكرات لا يثق فيها أحد في أخيه. ولإنهاء هذا الوضع لم يكن هناك وعد يمكن الاعتماد عليه، ولا قسم يمكن أن يفرض الاحترام؛ بل كان كل الأطراف التي كانت تتأمل في حالة اليأس الدائم للأشياء أكثر حرصًا على الدفاع عن النفس من قدرتها على الثقة. وفي هذا الصراع كان أصحاب العقول الوقحة هم الأكثر نجاحًا. فقد كانوا يخشون أن يهزموا في المناقشة وأن يفاجأوا بمجموعات من خصومهم الأكثر مهارة، ولذلك لجأوا على الفور إلى العمل بجرأة: بينما كان خصومهم، الذين كانوا يعتقدون

بغطرسة أنهم سيعرفون في الوقت المناسب، وأن من غير الضروري تأمين السياسة التي توفرها لهم العمل، يقعون غالبًا ضحايا لافتقارهم إلى الحيطة والحذر.

وفي الوقت نفسه، أعطى كورسيرا المثال الأول لمعظم الجرائم التي أشار إليها؛ من أعمال الانتقام التي فرضها المحكومون الذين لم يعاملوا قط معاملة عادلة أو حتى وقاحة من حكامهم - عندما حانت ساعتهم؛ والقرارات الجائرة لأولئك الذين أرادوا التخلص من فقرهم المعتاد، والذين طمعوا بشدة في ممتلكات جيرانهم؛ وأخيرًا، التجاوزات الوحشية التي لا ترحم التي دفع بها الرجال الذين بدأوا النضال، ليس في روح الطبقة بل في روح الحزب، بسبب أهوائهم التي لا يمكن السيطرة عليها. في الارتباك الذي ألقيت فيه الحياة الآن في المدن، أظهرت الطبيعة البشرية، التي كانت دائمًا تتمرد على القانون والآن على سيدها، نفسها بكل سرور غير محكومة بالعاطفة، فوق احترام العدالة، وعدوًا لكل تفوق؛ لأن الانتقام ما كان ليُعَد فوق الدين، والمكسب فوق العدالة، لولا القوة القاتلة للحسد. في الواقع، في كثير من الأحيان يأخذ الرجال على عاتقهم، في ملاحقة انتقامهم، أن يقدموا مثالاً على إلغاء تلك القوانين العامة التي يمكن للجميع على حد سواء أن يتطلعوا إليها للخلاص في الشدائد، بدلاً من السماح لهم بالصمود في مواجهة يوم الخطر عندما قد تكون مساعدتهم مطلوبة.

وبينما كانت المشاعر الثورية تتجلى لأول مرة في فصائل كورسيرا، أبحر يوريمدون والأسطول الأثيني بعيدًا؛ وبعد ذلك، تمكن حوالي خمسمائة من المنفيين الكورسيريين الذين نجحوا في الفرار، من الاستيلاء على بعض الحصون في البر الرئيسي، وأصبحوا سادة أراضي كورسيرا عبر الماء، واتخذوا من هذه الحصون قاعدة لنهب مواطنيهم في الجزيرة، وأحدثوا الكثير من الأضرار التي تسببت في مجاعة شديدة في المدينة. كما أرسلوا مبعوثين إلى لاكيدايمون وكورنث للتفاوض على استعادتهم؛ ولكنهم لم ينجحوا، فجمعوا بعد ذلك القوارب والمرتزقة وعبروا إلى الجزيرة، وكان عددهم حوالي ستمائة؛ وأحرقوا سفنهم حتى لا يكون لديهم أي أمل

إلا في أن يصبحوا سادة البلاد، وصعدوا إلى جبل إستون، وتحصنوا هناك، وبدأوا في إزعاج أهل المدينة وحصلوا على قيادة البلاد.

وفي نهاية الصيف نفسه أرسل الأثينيون عشرين سفينة تحت قيادة لاخيس بن ميلانوبس، وخارويدس بن يوفيليتوس، إلى صقلية، حيث كان السيراقوسيون والليونتينيون في حالة حرب. وكان السيراقوسيون حلفاء لكل المدن الدورية باستثناء كامارينا. التي كانت قد أدرجت في التحالف اللاكيديموني منذ بداية الحرب، وإن لم تكن قد لعبت أي دور نشط فيها. وكان الليونتينيون حلفاء لكامارينا والمدن الخالسيدية. وفي إيطاليا كان اللوكريونيون في صف السيراقوسيين، وكان الريجيون في صف أقاربهم الليونتينيين. وأرسل حلفاء الليونتينيون الآن إلى أثينا ناشدوا تحالفهم القديم وأصلهم الأيوني، لإقناع الأثينيين بإرسال أسطول لهم، حيث كان السيراقوسيون يحاصرونهم براً وبحراً. أرسل الأثينيون هذه الحملة بحجة أنهم من نسل مشترك، ولكن في واقع الأمر لمنع تصدير الذرة الصقلية إلى البيلوبونيز واختبار إمكانية إخضاع صقلية. وبناء على ذلك، استقروا في ريجيوم بإيطاليا، ومن هناك واصلوا الحرب بالتنسيق مع حلفائهم.

الفصل الحادي عشر

عام الحرب - حملات ديموستينيس في غرب اليونان - خراب أمبراسيا

لقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء التالي، هاجم الطاعون الأثينيين مرة ثانية؛ فبرغم أنه لم يزل عنهم بالكامل، إلا أن خرابه قد خفت حدته بشكل ملحوظ. واستمرت الزيارة الثانية ما لا يقل عن عام، بينما استمرت الزيارة الأولى عامين؛ ولم يزعج الأثينيين شيء أو يقلل من قوتهم أكثر من ذلك. فقد مات بسببه ما لا يقل عن أربعة آلاف وأربعمائة من المشاة الثقيلة في الرتب وثلاثمائة من الفرسان، إلى جانب عدد من الحشود لم يتم تحديده أبدًا. وفي الوقت نفسه حدثت العديد من الزلازل في أثينا، ويابويا، وبيوتيا، وخاصة في أوركومينوس في البلد الأخير المذكور.

وفي نفس الشتاء قام الأثينيون في صقلية والريجيون بثلاثين سفينة بحملة ضد جزر أيولوس؛ حيث كان من المستحيل غزوها في الصيف بسبب نقص المياه. وقد احتل هذه الجزر الليباريون، وهم مستعمرة كنيديون، يعيشون في واحدة منها صغيرة الحجم تسمى ليبارا؛ ومن هذه الجزر اتخذوا بقية الجزر، ديديم، وسترونجيل، وهييرا، مقرًا لهم. وفي هييرا يعتقد الناس في تلك الأجزاء أن هيفايستوس لديه حدادته، وذلك بسبب كمية اللهب التي يرونها ترسلها ليلاً، وكمية الدخان نهارًا. وتقع هذه الجزر قبالة ساحل صقلية وميسين، وكانت حليفة للسراياكوسيين. وقد أفسد الأثينيون أرضهم، ولأن السكان لم يستسلموا، أبحروا عائدين إلى ريجيوم. وهكذا انتهى الشتاء، وانتهت معه السنة الخامسة من هذه الحرب، التي كان ثوسيديديس مؤرخًا لها.

وفي الصيف التالي انطلق البيلوبونيزيون وحلفاؤهم لغزو أتيكا بقيادة أجيس بن أرشيداموس، ووصلوا إلى البرزخ، ولكن الزلازل العديدة التي حدثت، تراجعت مرة أخرى دون أن يحدث الغزو. وفي نفس الوقت تقريبًا الذي كانت فيه هذه الزلازل شائعة جدًا، تراجع البحر في أوروبيا، في أوبيا، عن خط الساحل آنذاك، وعاد في موجة

ضخمة وغزا جزءًا كبيرًا من المدينة، ثم تراجع تاركًا بعضًا منها لا يزال تحت الماء؛ بحيث أصبح ما كان أرضًا في السابق بحرًا الآن؛ وهلك السكان الذين لم يتمكنوا من الصعود إلى الأرض المرتفعة في الوقت المناسب. كما حدث فيضان مماثل في أتالانتا، الجزيرة قبالة ساحل أوبونتيا لوكريان، فحمل جزءًا من الحصن الأثيني وحطم إحدى السفينتين اللتين كانتا متوقفتين على الشاطئ. وفي بيباريثوس أيضًا تراجع البحر قليلاً، ولكن دون أن يتبعه أي فيضان؛ وأدى زلزال إلى انهيار جزء من السور وقاعة المدينة وعدد قليل من المباني الأخرى. إن السبب وراء هذه الظاهرة، في رأيي، لابد وأن يكون في الزلزال. ففي النقطة التي بلغت فيها الهزة أشدها عنفاً، يندفع البحر إلى الوراء، ثم يتراجع فجأة بقوة مضاعفة، فيتسبب في حدوث الفيضانات. ولا أرى كيف يمكن لمثل هذا الحادث أن يحدث لولا وقوع زلزال.

"خلال نفس الصيف، قامت الأطراف المتحاربة المختلفة في صقلية بعمليات مختلفة؛ حيث قام الصقليون أنفسهم بمهاجمة بعضهم البعض، وقام الأثينيون وحلفاؤهم بذلك. ومع ذلك، سأقتصر على العمليات التي شارك فيها الأثينيون، مختارًا أهمها. لقد ترك موت القائد الأثيني شاروادس، الذي قتله السيراقوسيون في المعركة، لاخيس في قيادة الأسطول وحده، والذي قاده الآن بالتنسيق مع الحلفاء ضد ميلاي، وهو مكان تابع للميسينيين. نصبت كتيبتان ميسينيتان في حامية ميلاي كمينًا للفرقة التي نزلت من السفن، لكن الأثينيين وحلفائهم هزموهم بمذبحة كبيرة، ثم هاجموا الحصن وأجبروهم على تسليم الأكروبوليس والسير معهم إلى ميسينا. بعد ذلك، خضعت هذه المدينة أيضًا عند اقتراب الأثينيين وحلفائهم، وقدمت الرهائن وكل الضمانات الأخرى المطلوبة.

وفي نفس الصيف أرسل الأثينيون ثلاثين سفينة حول البيلوبونيز بقيادة ديموستينس بن ألكستينس وبروكليس بن ثيودوروس وستين آخرين، ومعهم ألفان من المشاة الثقيلة، ضد ميلوس بقيادة نيسياس بن نيسيراتوس؛ راغبين في تقليص

عدد الميلانيين، الذين رفضوا، على الرغم من كونهم من سكان الجزر، أن يكونوا رعايا لأثينا أو حتى الانضمام إلى تحالفها. ولما لم ينجح تدمير أراضيهم في إجبارهم على الخضوع، أبحر الأسطول، الذي كان يزن من ميلوس، إلى أوروبس في إقليم جرايا، وعند حلول الليل، انطلق المشاة الثقيلة على الفور من السفن برا إلى تاناغرا في بيوتيا، حيث استقبلهم الحشد بأكمله من أثينا، بناءً على إشارة متفق عليها، بقيادة هيبونيكوس بن كالياس ويوريميدون بن ثوكليس. ونصبوا معسكرًا، وفي ذلك اليوم قضوا في نهب أراضي تاناغرا، وبقوا هناك طوال الليل؛ وفي اليوم التالي، وبعد أن هزم أولئك الذين أبحروا لمواجهتهم من أهل تاناغرا وبعض أهل طيبة الذين جاءوا لمساعدة تاناغرا، حمل بعض الأسلحة ونصب غنائم وانسحب، فتوجهت القوات إلى المدينة والآخرون إلى السفن. وأبحر نيسياس بسفنه الستين على طول الساحل ونهب ساحل لوكريان، ثم عاد إلى وطنه.

في ذلك الوقت تقريبًا، أسس اللاكيدايمونيون مستعمرتهم "هيراكيليا" في تراخيس، وكان هدفهم ما يلي: يتكون الماليون من القبائل الثلاث، الباراليون، والهيريون، والتراكينيون. وقد عانى الباراليون من معاناة شديدة في حربهم مع جيرانهم الأويتيين، وكانوا يعتزمون في البداية تسليم أنفسهم لأثينا؛ ولكن بعد ذلك، خوفًا من عدم العثور على الأمان الذي كانوا يسعون إليه فيها، أرسلوا إلى اللاكيدايمون، بعد اختيار تيسامينوس سفيرًا لهم. وانضم إلى هذه السفارة أيضًا الدوريون من بلد اللاكيدايمون الأم، بنفس الطلب، لأنهم عانوا هم أيضًا من نفس العدو. وبعد سماعهم لهم، قرر اللاكيدايمونيون إرسال المستعمرة، راغبين في مساعدة التراكينيين والدوريين، وأيضًا لأنهم اعتقدوا أن المدينة المقترحة ستكون مناسبة لأغراض الحرب ضد الأثينيين. يمكن تجهيز أسطول هناك ضد إيفويا، مع ميزة المرور القصير إلى الجزيرة؛ ولقد كانت المدينة مفيدة أيضاً كمحطة على الطريق إلى تراقيا. وباختصار، كان كل شيء يجعل اللاكيديمونيين حريصين على تأسيس المكان. وبعد استشارة الإله في دلفي أولاً وتلقي إجابة مواتية، أرسلوا المستعمرين، الأسبرطيين،

والبيريوسيين، ودعوا أيضاً أي شخص آخر من بقية الإغريق الذين قد يرغبون في مرافقتهم، باستثناء الأيونيين، والآخيين، وبعض الجنسيات الأخرى؛ وكان من بين مؤسسي المستعمرة ثلاثة لاكيديمونيين، ليون، وألكيداس، وداماجون. وبعد أن تم الاستقرار، قاموا من جديد بتحصين المدينة، التي تسمى الآن هيراكليا، على بعد حوالي أربعة أميال ونصف من ثيرموبيلاي وميلين وربع من البحر، وبدأوا في بناء الأرصفة، وإغلاق الجانب المؤدي إلى ثيرموبيلاي بالقرب من الممر نفسه، حتى يتمكنوا من الدفاع عنها بسهولة.

كان تأسيس هذه المدينة، الذي كان من الواضح أنه كان يهدف إلى إزعاج جزيرة إيوبوا (حيث كان المرور عبر سينايوم في تلك الجزيرة قصيرًا)، سببًا في البداية في إثارة بعض الفزع في أثينا، لكن هذا الحدث لم يبرر على الإطلاق، حيث لم تسبب المدينة أي متاعب لهم. وكان السبب في ذلك كما يلي. كان أهل ثيساليا، الذين كانوا يتمتعون بالسيادة في تلك الأجزاء، والذين كانت أراضيهم مهددة بتأسيسها، خائفين من أن تثبت أنها جار قوي جدًا، وبالتالي استمروا في مضايقة المستوطنين الجدد وشن الحرب عليهم، حتى استنزفوا قواهم أخيرًا على الرغم من أعدادهم الكبيرة في البداية، حيث كان الناس يتدفقون من جميع الأنحاء إلى المكان الذي أسسه اللاكديمونيون، وبالتالي اعتقدوا أنهم آمنون من الرخاء. من ناحية أخرى، كان اللاكديمونيون أنفسهم، في أشخاص حكامهم، مسؤولين تمامًا عن تدمير رخاء المدينة وتقليل عدد سكانها، حيث أخافوا الجزء الأكبر من السكان بحكمهم القاسي وفي بعض الحالات غير العادل، وبالتالي جعلوا من السهل على جيرانهم التغلب عليهم.

وفي نفس الصيف، وفي نفس الوقت تقريبًا الذي احتُجز فيه الأثينيون في ميلوس، قام مواطنوهم في السفن الثلاثين التي كانت تبحر حول البيلوبونيز، بعد قطع بعض الحراس في كمين في إلومينوس في لوكاديا، بمهاجمة لوكاس نفسها بعتاد ضخم، بعد أن تم تعزيزهم بكامل تجنيد الأكارنانيين باستثناء أونيادي، والزاكينثيين

والكيفالينيين وخمس عشرة سفينة من كورسيرا. وبينما شهد الأكارنانيون الدمار الذي حل بأرضهم، خارج وداخل البرزخ الذي تقع عليه مدينة لوكاس ومعبد أبولو، دون أن يتحركوا بسبب الأعداد الهائلة من الأعداء، حث الأكارنانيون ديموستينيس، القائد الأثيني، على بناء جدار لعزل المدينة عن القارة، وهو الإجراء الذي كانوا على يقين من أنه سيضمن الاستيلاء عليها ويخلصهم مرة واحدة وإلى الأبد من عدو مزعج للغاية.

ولكن الميسينيين أقنعوا ديموستينيس في تلك الأثناء بأن الفرصة سانحة له، بعد أن جمع جيشاً ضخماً كهذا، لمهاجمة الأيتوليين، الذين لم يكونوا أعداء ناوباكتوس فحسب، بل إن تقليص عددهم من شأنه أن يسهل على الأثينيين الاستيلاء على بقية ذلك الجزء من القارة. ورغم كثرة عدد سكان الأيتوليين وميلهم إلى الحرب، إلا أنهم كانوا يسكنون قرى غير مسورة متناثرة في أماكن بعيدة، ولم يكن لديهم سوى دروع خفيفة، وكانوا، وفقاً للميسينيين، قادرين على إخضاعهم دون صعوبة كبيرة قبل أن تصل إليهم المساعدات. وكانت الخطة التي أوصوا بها هي مهاجمة الأبودوتيين أولاً، ثم الأوفيونيين، وبعدهم اليوريتانيين، وهم أكبر قبيلة في الأيتوليين، ويتحدثون، كما يقال، لغة يصعب فهمها إلى حد كبير، ويأكلون لحومهم نيئة. وبمجرد إخضاع هؤلاء، فسوف يأتي الباقون بسهولة.

وافق ديموستينس على هذه الخطة، ليس فقط لإرضاء الميسينيين، ولكن أيضًا على اعتقاده بأنه بإضافة الأيتوليين إلى حلفائه القاريين الآخرين، سيكون قادرًا، دون مساعدة من الوطن، على الزحف ضد البيوتيين عن طريق أوزوليان لوكريس إلى كيتينيوم في دوريس، مع إبقاء بارناسوس على يمينه حتى ينزل إلى الفوكيين، الذين يمكنه إجبارهم على الانضمام إليه إذا لم تجبرهم صداقتهم القديمة لأثينا، كما توقع، على الانضمام إليه على الفور. وصل إلى فوكيس، وكان بالفعل على حدود بيوتيا. وبناءً على ذلك، ابتعد عن لوكاس، ضد رغبة الأكارنانيين، وأبحر بكل أسلحته على طول

الساحل إلى سوليوم، حيث أبلغهم بنيته؛ وبعد رفضهم الموافقة على ذلك بسبب عدم توظيف ليوكاس نفسه مع بقية القوات، السيفالينيين، والمسينيين، والزاكينثيين، وثلاثمائة من مشاة البحرية الأثينيين من سفنه الخاصة (بعد مغادرة السفن الكورسيراية الخمس عشرة)، بدأ حملته ضد الأيتوليين. وأقام قاعدته في أونيون في لوكريس، حيث كان الأيتوليون الأوزوليون حلفاء لأثينا وكان من المقرر أن يقابلوه بكل قواتهم في الداخل. ولأنهم جيران الأيتوليين ومسلحون بنفس الطريقة، فقد كان يُعتقد أنهم سيكونون ذوي فائدة كبيرة في الحملة، من خلال معرفتهم بالمناطق وحرب السكان.

وبعد أن أقام ديموستينس مع جيشه في منطقة زيوس النيميا، حيث قيل إن الشاعر هسيود قُتل على يد أهل البلاد، وفقًا لإحدى العرافات التي تنبأت بموته في نيميا، انطلق ديموستينس عند شروق الشمس لغزو إيتوليا. وفي اليوم الأول استولى على بوتيدانيا، وفي اليوم التالي كروكيل، وفي اليوم الثالث تيشيوم، حيث توقف وأعاد الغنائم إلى يوباليوم في لوكريس، بعد أن قرر متابعة فتوحاته حتى يصل إلى الأوفيونيين، وفي حالة رفضهم الاستسلام، سيعود إلى ناوباكتوس ويجعلهم أهدافًا لبعثة ثانية. وفي غضون ذلك، كان الأيتوليون على علم بخطته منذ لحظة تشكيلها، وبمجرد غزو الجيش لبلادهم، جاءوا بقوة كبيرة بكل قبائلهم؛ حتى الأوفيونيين الأكثر بعدًا، والبومينسيين، والكالينسيين، الذين يمتدون نحو خليج مالي، كانوا من بين هؤلاء.

ولكن الميسينيين التزموا بنصيحتهم الأصلية. فطمأنوا ديموستينس إلى أن غزو الأيتوليين سهل، وحثوه على التقدم بأسرع ما يمكن، ومحاولة الاستيلاء على القرى بأسرع ما يمكن، دون انتظار حتى تحشد الأمة كلها السلاح لمواجهته. وبقيادة مستشاريه، وثقة منه في حظه، لأنه لم يواجه أي مقاومة، ودون انتظار التعزيزات من لوكريان، الذين كان من المفترض أن يزودوه بالرماح الخفيفة التي كان يفتقر إليها

بشدة، تقدم وهاجم إيجيتيوم، وطار السكان أمامه وتمركزوا على التلال فوق المدينة، التي كانت تقع على أرض مرتفعة على بعد حوالي تسعة أميال من البحر. وفي غضون ذلك، تجمع الأيتوليون لإنقاذهم، وهاجموا الآن الأثينيين وحلفائهم، وركضوا من التلال من كل جانب ورموا رماحهم، وتراجعوا عندما تقدم الجيش الأثيني، وهاجموا عندما تراجع. ولفترة طويلة من الزمن كانت المعركة من هذا النوع، تقدم وتراجع متبادلين، وفي كلتا العمليتين كان الأثينيون الأسوأ.

ولكن ما دام رماة السهام لديهم ما يكفيهم من السهام، فقد صمدوا، وتراجع الأيتوليون خفيفو السلاح أمام السهام؛ ولكن بعد مقتل قائد الرماة وتشتت رجاله، استدار الجنود، وقد أرهقهم تكرار نفس الجهود باستمرار، وضغط عليهم الأيتوليون برماحهم، وهربوا أخيرًا، وسقطوا في أودية غير سالكة وأماكن لم يكونوا على دراية بها، وهكذا لقوا حتفهم، كما قُتل أيضًا المرشد الميسيني كرومون. ولحق الأيتوليون سريعو الأقدام وخفيفو السلاح بالعديد منهم في مطاردتهم، وسقطوا تحت رماحهم؛ لكن العدد الأكبر أخطأوا طريقهم واندفعوا إلى الغابة، التي لم يكن بها أي مخرج، وسرعان ما أطلق العدو النار عليها وأحرقها حولهم. والواقع أن الجيش الأثيني سقط ضحايا بكل أشكال الموت، وعانى من كل تقلبات الهروب؛ "وتمكن الناجون من الفرار بصعوبة إلى البحر وأونيون في لوكريس، حيث انطلقوا. وقُتل العديد من الحلفاء، وحوالي مائة وعشرين من المشاة الثقيلة الأثينيين، لا يقل عددهم عن رجل واحد، وكانوا جميعًا في ريعان الشباب. وكان هؤلاء أفضل الرجال في مدينة أثينا الذين سقطوا أثناء هذه الحرب. وكان من بين القتلى أيضًا بروكليس، زميل ديموستينس. وفي الوقت نفسه، أخذ الأثينيون قتلاهم بموجب هدنة من الأيتوليين، وانسحبوا إلى ناوباكتوس، ومن هناك ذهبوا في سفنهم إلى أثينا؛ وبقي ديموستينس في ناوباكتوس وفي المناطق المجاورة، خوفًا من مواجهة الأثينيين بعد الكارثة.

وفي نفس الوقت تقريبًا أبحر الأثينيون على ساحل صقلية إلى لوكريس، وفي نزول قاموا به من السفن هزموا اللوكريسيين الذين هاجموهم، واستولوا على حصن على نهر هاليكس.

وفي نفس الصيف، تمكن الأيتوليون، الذين أرسلوا قبل الحملة الأثينية سفارة إلى كورنثوس ولاكيدايمون، تتألف من تولوفوس، وهو من أوفيوني، وبوريادس، وهو من يوريتان، وتيزاندر، وهو من أبودوتي، من الحصول على إذن بإرسال جيش ضد ناوباكتوس، الذي دعا الأثينيين إلى الغزو. وعلى هذا فقد أرسل اللاكيدايمونيون في الخريف ثلاثة آلاف من المشاة الثقيلة من الحلفاء، وكان خمسمائة منهم من هيراكليا، المدينة التي تأسست حديثًا في تراخيس، تحت قيادة يوريلوكوس، وهو من أسبرطة، برفقة مكاريوس ومينيدايوس، وهما أيضًا من أسبرطة.

وبعد أن تجمع الجيش في دلفي، أرسل يوريلوخوس منادياً إلى أهل لوكريس، وكان الطريق إلى ناوباكتوس يمر عبر أراضيهم، وكان قد فكر في فصلهم عن أثينا. وكان أهم مساعديه في لوكريس هم الأمفيسيون، الذين شعروا بالفزع إزاء عداء الفوكيين. فقام هؤلاء أولاً بأخذ الرهائن بأنفسهم، وحثوا الباقين على فعل الشيء نفسه خوفًا من جيش الغزو؛ أولاً جيرانهم الميونيون، الذين احتلوا أصعب الممرات، وبعدهم الإبنيون، والمسابيون، والتريتيون، والشاليون، والتولوفونيون، والهسيانيون، والأوينثيون، الذين انضموا جميعًا إلى الحملة؛ واكتفى الأولبايون بأخذ الرهائن، دون مرافقة الغزو؛ ورفض الهيايون القيام بأي من الأمرين، حتى تم الاستيلاء على بوليس، إحدى قراهم.

وبعد أن أكمل يوريلوخوس استعداداته، أرسل الرهائن إلى كيتينيوم، في دوريس، وتقدم نحو ناوباكتوس عبر بلاد اللوكريين، فأخذ في طريقه أونيون وإيوباليوم، وهما مدينتان من مدنهم رفضتا الانضمام إليه. وعندما وصل إلى أراضي ناوباكتوس، وانضم إليه الآن الأيتوليون، دمر الجيش الأرض واستولى على ضاحية المدينة، التي كانت غير محصنة؛ وبعد ذلك استولى على موليكريوم أيضًا، وهي مستعمرة كورنثية

تابعة لأثينا. وفي غضون ذلك، ذهب ديموستينس الأثيني، الذي بقي بالقرب من ناوباكتوس منذ حادثة أيتوليا، بعد أن علم بالجيش وخاف على المدينة، وأقنع الأكارنانيين، وإن لم يكن ذلك بدون صعوبة بسبب رحيله من لوكاس، بالذهاب لنجدة ناوباكتوس. وبناءً على ذلك، أرسلوا معه على متن سفنه ألفًا من المشاة الثقيلة، الذين اندفعوا إلى المكان وأنقذوه؛ "إن حجم سورها وعدد المدافعين عنها القليلين كانا ليعرضاها للخطر الأكبر. وفي هذه الأثناء، وجد يوريلوكوس ورفاقه أن هذه القوة قد دخلت المدينة وأنه من المستحيل اقتحامها، فانسحبوا ليس إلى بيلوبونيز، بل إلى البلاد التي كانت تسمى ذات يوم أيوليس، والآن كاليدون وبلورون، والأماكن المجاورة، وبروشيوم في إيتوليا. وقد جاء الأمبراشيوت وحثوهم على الانضمام إليهم في مهاجمة أرغوس الأمفيلوخية وبقية أمفيلوخيا وأكارنانيا؛ مؤكدين أن غزو هذه البلدان من شأنه أن يجلب القارة بأكملها إلى التحالف مع لاكيدايمون. وافق يوريلوكوس على هذا، وصرف الأيتوليين، وظل الآن هادئًا مع جيشه في تلك الأجزاء، حتى يحين الوقت الذي سينزل فيه الأمبراشيوت إلى الميدان، وينضم إليهم قبل أرغوس.

لقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء التالي، سار الأثينيون في صقلية مع حلفائهم اليونانيين، ورعايا سيشل أو حلفاء سيراكوزا الذين ثاروا عليها وانضموا إلى جيشهم، ضد مدينة إينيسا في سيشل، التي كان السراقوسيون يسيطرون على أكروبوليسها، وبعد مهاجمتها دون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها، انسحبوا. وفي أثناء الانسحاب، هاجم السراقوسيون الحلفاء المنسحبين بعد الأثينيين من الحصن، وهُزم جزء كبير من جيشهم بمذبحة عظيمة. بعد ذلك، قام لاخيس والأثينيون من السفن بالنزول في لوكريس، وهزموا اللوكريسيين، الذين هاجموهم مع بروكسينوس، ابن كاباتون، على نهر كايسينوس، وأخذوا بعض الأسلحة ورحلوا.

وفي نفس الشتاء قام الأثينيون بتطهير جزيرة ديلوس، على ما يبدو، امتثالاً لنبوءة معينة. وكان الطاغية بيسيستراتوس قد طهرها من قبل؛ ولم يطهر الجزيرة بأكملها، بل كل ما يمكن رؤيته من المعبد. ولكن تم تطهيرها بالكامل الآن بالطريقة التالية. فقد تم نقل جميع قبور أولئك الذين ماتوا في ديلوس، وصدر أمر في المستقبل بعدم السماح لأي شخص بالموت أو إنجاب طفل في الجزيرة؛ بل يجب نقلها إلى رينيا، التي تقع على مقربة من ديلوس لدرجة أن بوليكراتس طاغية ساموس، بعد أن أضاف رينيا إلى فتوحاته الأخرى في الجزر خلال فترة هيمنته البحرية، كرسها لأبولون الديلي بربطها بدلوس بسلسلة.

ولقد احتفل الأثينيون، بعد التطهير، لأول مرة، بالمهرجان الخماسي للألعاب الديليانية. ولقد كان هناك ذات يوم تجمع كبير من الأيونيين وسكان الجزر المجاورة في ديلوس، وكانوا يأتون إلى المهرجان، كما يفعل الأيونيون الآن في مهرجان أفسس، وكانت تقام هناك مسابقات رياضية وشعرية، وكانت المدن تجلب جوقات من الراقصين. ولا شيء أوضح من هذه النقطة من الأبيات التالية لهوميروس، المأخوذة من ترنيمة لأبولون:

"فويبوس، أينما تجولت، بعيدًا أو قريبًا، كانت ديلوس لا تزال من أكثر أماكن تواجدك عزيزة. هناك يتجه الأيونيون ذوو الثياب مع زوجاتهم وأطفالهم للاحتفال بعيدك، ويستدعون نعمتك في كل لعبة رجولية، ويرقصون ويغنون تكريمًا لاسمك.

إن وجود مسابقة شعرية كان الأيونيون يتنافسون فيها، يتبين مرة أخرى من خلال المقطع التالي المأخوذ من نفس الترنيمة. فبعد الاحتفال برقصة النساء الديليانيات، ينهي ترنيمة مدحه بهذه الأبيات، التي يشير فيها أيضًا إلى نفسه:

حسنًا، فليحفظكم أبولو جميعًا! وهكذا، أيها الأحبة، وداعًا - لكن لا تخبروني بأنني سأخرج من قلوبكم؛ وإذا جاء بعد ساعات متجول آخر في عالمنا هذا ولمس

شواطئكم، وسأل فتياتكم هنا من يغني الأغاني الأكثر حلاوة لأذنكم، ففكروا بي إذن، وأجيبوا بابتسامة، "رجل عجوز أعمى من جزيرة سكييو الصخرية".

وهكذا يؤكد هوميروس أن جزيرة ديلوس كانت تقام فيها منذ القدم جمعية عظيمة ومهرجان. وفي العصور اللاحقة، ورغم أن سكان الجزيرة والأثينيين استمروا في إرسال جوقات الراقصين مع القرابين، فقد ألغيت المسابقات ومعظم الاحتفالات، ربما بسبب الشدائد، حتى احتفل الأثينيون بالألعاب في هذه المناسبة مع سباقات الخيول الجديدة.

وفي نفس الشتاء، سار الأمبراشيون ضد أرغوس الأمفيلوكية بثلاثة آلاف من المشاة الثقيلة، كما وعدوا يوريلوخوس عندما احتفظوا بجيشه، وغزوا الأراضي الأرغوسية واحتلوا أولباي، وهي معقل على تلة بالقرب من البحر، كانت قد حصنها الأكارنانيون سابقًا واستخدموها كمكان لمحاكمة أمتهم، والتي تبعد حوالي ميلين وثلاثة أرباع من مدينة أرغوس على ساحل البحر. وفي غضون ذلك، ذهب الأكارنانيون مع جزء من قواتهم إلى إنقاذ أرغوس، وعسكروا مع البقية في أمفيلوكيا في المكان المسمى كريناي، أو الآبار، لمراقبة يوريلوخوس وسكانه البيلوبونيزيين، ومنعهم من المرور وتحقيق التقاءهم بالأمبراشيون. كما أرسلوا إلى ديموستينس، قائد الحملة الأيتوليانية، ليكون زعيمهم، والسفن الأثينية العشرين التي كانت تبحر قبالة بيلوبونيز تحت قيادة أرسطو، ابن تيموكرات، وهيروفون، ابن أنتيمنستوس. من جانبهم، أرسل الأمبراشيوت في أولباي رسولًا إلى مدينتهم، ليتوسل إليهم أن يأتوا بكل قواتهم لمساعدتهم، خوفًا من أن جيش يوريلوكوس قد لا يتمكن من المرور عبر الأكارنانيين، وأنهم قد يضطرون هم أنفسهم إلى القتال بمفردهم، أو لا يستطيعون التراجع، إذا رغبوا في ذلك، دون خطر.

وفي هذه الأثناء، علم يوريلوكوس وأهل بيلوبونيز بوصول الأمبراشيوت إلى أولباي، فانطلقوا من بروشيوم على عجل للانضمام إليهم، وعبروا نهر أخيلوس وتقدموا عبر

أكارنانيا، التي وجدوها مهجورة من قبل سكانها الذين ذهبوا لنجدة أرغوس؛ واحتفظوا على يمينهم بمدينة ستراتيان وحاميتها، وعلى يسارهم بقية أكارنانيا. وبعد عبور أراضي ستراتيان، تقدموا عبر فيتيا، ثم حولوا ميديون، عبر ليمنيا؛ وبعد ذلك تركوا أكارنانيا خلفهم ودخلوا بلدًا صديقًا، بلد الأغريين. ومن هناك وصلوا وعبروا جبل ثيماوس، الذي ينتمي إلى الأغريين، ونزلوا إلى أراضي أرغوس بعد حلول الليل، ومرروا بين مدينة أرغوس ومواقع الأكارنيين في كرينا، وانضموا إلى الأمبراشيوت في أولباي.

وبعد أن توحدوا عند شروق الشمس، جلسوا في المكان المسمى متروبوليس وعسكروا. وبعد فترة وجيزة، وصل الأثينيون في عشرين سفينة إلى خليج أمبراسيا لدعم الأرجيفيين، ومعهم ديموستينيس ومائتي جندي مشاة ميسيني ثقيل، وستين من الرماة الأثينيين. وبينما كان الأسطول قبالة أولبا يحاصر التل من البحر، كان الأكارنانيون وعدد قليل من الأمفيلوخيين، الذين منعهم الأمبراسيوت من التقدم بالقوة، قد وصلوا بالفعل إلى أرغوس، وكانوا يستعدون لخوض معركة مع العدو، بعد أن اختاروا ديموستينيس لقيادة الجيش المتحالف بأكمله بالتنسيق مع جنرالاتهم. قادهم ديموستينيس بالقرب من أولبا وعسكروا، وكان الوادي الكبير يفصل بين الجيشين. وظلوا غير نشطين لمدة خمسة أيام؛ وفي اليوم السادس، شكل الجانبان ترتيبًا للمعركة. وكان جيش البيلوبونيز هو الأكبر وتفوق على خصومه؛ "وخوفًا من أن يُحاصر يمينه، وضع ديموستينيس كمينًا في طريق مجوف مملوء بالشجيرات، حوالي أربعمائة من المشاة الثقيلة والقوات الخفيفة، وكان من المقرر أن ينهضوا في لحظة الهجوم خلف الجناح الأيسر للعدو، ويأخذوهم من الخلف. وعندما أصبح الجانبان مستعدين، انضموا إلى المعركة؛ وكان ديموستينيس على الجناح الأيمن مع الميسينيين وعدد قليل من الأثينيين، بينما كان بقية الخط يتكون من الفرق المختلفة للأكارنانيين، وعربات أمفيلوخيان. تم تجميع البيلوبونيزيين والأمبراشيوت معًا، باستثناء المانتينيين، الذين تم حشدهم على اليسار، دون

الوصول إلى أقصى الجناح، حيث واجه يوريلوخوس ورجاله الميسينيين وديموستينيس.

كان البيلوبونيزيون الآن منخرطين بشكل جيد وبجناحهم الجانبي كانوا على وشك تحويل يمين عدوهم؛ عندما هاجمهم الأكارنانيون من الكمين من الخلف، وكسروهم عند الهجوم الأول، دون أن يبقوا للمقاومة؛ بينما تسبب الذعر الذي سقطوا فيه في فرار معظم جيشهم، مذعورين إلى حد لا يقاس عند رؤية فرقة يوريلوكوس وأفضل قواتهم مقطوعة إربًا. تم إنجاز معظم العمل من قبل ديموستينيس وميسينيين، الذين تم نشرهم في هذا الجزء من الميدان. في غضون ذلك، هزم الأمبراشيون (الذين هم أفضل الجنود في تلك البلدان) والقوات على الجناح الأيمن الفرقة المعارضة لهم وطاردوها إلى أرغوس. عند عودتهم من المطاردة، وجدوا جسدهم الرئيسي مهزومًا؛ ولقد تمكنوا بصعوبة بالغة من الوصول إلى أولباي، بعد أن واجهوا ضغطًا شديدًا من الأكارنانيين، وتكبدوا خسائر فادحة في الطريق، حيث اندفعوا دون انضباط أو نظام، باستثناء المانتينيين، الذين حافظوا على صفوفهم أفضل من أي شخص في الجيش أثناء الانسحاب.

ولم تنته المعركة إلا في المساء. ففي اليوم التالي، تولى ميندايوس القيادة بمفرده بعد وفاة يوريلوكوس وماكاريوس، بعد أن وجد نفسه عاجزًا بعد هذه الهزيمة الساحقة عن كيفية البقاء والصمود في الحصار، حيث انقطعت به السبل البرية والأسطول الأثيني عن طريق البحر، وكذلك عن كيفية الانسحاب بأمان، فعقد محادثات مع ديموستينس وقادة أكارنان من أجل عقد هدنة والسماح بالانسحاب، وفي الوقت نفسه استعادة القتلى. فأعادوا إليه القتلى، وأقاموا غنائمهم أيضًا، وكان عددهم نحو ثلاثمائة. وطالبوا بالانسحاب، ورفضوا ذلك علنًا أمام الجيش؛ ولكن ديموستينس وزملاؤه من أكارنان منحوا الإذن بالرحيل دون تأخير سرًا إلى المانتينيين وميندايوس والقادة الآخرين وكبار رجال البيلوبونيز؛ الذين أرادوا تجريد

الأمبراشيوت وجيش المرتزقة من أنصارهم؛ وفوق كل ذلك، تشويه سمعة اللاكديمونيين والبيلوبونيزيين مع اليونانيين في تلك الأجزاء، باعتبارهم خونة ومحبين لأنفسهم.

وبينما كان العدو يجمع جثث قتلاه ويدفنها على عجل قدر استطاعته، وكان أولئك الذين حصلوا على الإذن يخططون سراً للانسحاب، وصلت إلى ديموستيني والأكارنانيين أنباء مفادها أن الأمبراشيوت من المدينة، امتثالاً للرسالة الأولى من أولباي، كانوا في مسيرة بكل فوجهم عبر أمفيلوكيا للانضمام إلى مواطنيهم في أولباي، دون أن يعرفوا شيئاً عما حدث. فاستعد ديموستيني للزحف بجيشه ضدهم، وفي الوقت نفسه أرسل على الفور فرقة قوية لمحاصرة الطرق واحتلال المواقع الحصينة. وفي غضون ذلك، خرج المانتينيون وغيرهم ممن شملتهم الاتفاقية بحجة جمع الأعشاب والحطب، واختطفوا اثنين وثلاثة، وهم يلتقطون على الطريق الأشياء التي زعموا أنهم خرجوا من أجلها، حتى ابتعدوا مسافة ما عن أولباي، حيث أسرعوا من خطوتهم. ولما رأى أهل أمبراسيوت وغيرهم من بقية أهل المدينة أنهم يتقدمون، اندفعوا بدورهم وبدأوا في الركض من أجل اللحاق بهم. وفي البداية اعتقد أهل أكارنان أن الجميع يغادرون دون إذن، فبدأوا في ملاحقة أهل بيلوبونيز؛ واعتقدوا أنهم يتعرضون للخيانة، حتى أنهم ألقوا سهمًا أو سهمين على بعض قادتهم الذين حاولوا إيقافهم وأخبروهم أن الإذن قد صدر. ولكنهم في النهاية سمحوا لأهل مانتين وأهل بيلوبونيز بالمرور، وقتلوا أهل أمبراسيوت فقط، حيث كان هناك الكثير من الخلاف والصعوبة في التمييز بين ما إذا كان الرجل من أهل أمبراسيوت أو من أهل بيلوبونيز. وكان عدد القتلى نحو مائتي شخص؛ وفر الباقون إلى أراضي أجريا المجاورة، ووجدوا ملجأ عند سالينثيوس، ملك أجريا الصديق.

وفي هذه الأثناء وصل الأمبراشيوت من المدينة إلى إيدوميني. تتألف إيدوميني من تلين مرتفعين، نجح الجنود الذين أرسلهم ديموستينس في احتلال أعلى منهما بعد

حلول الليل، دون أن يلاحظهم الأمبراشيوت، الذين صعدوا في الوقت نفسه إلى التل الأصغر وعسكروا تحته. وبعد العشاء، انطلق ديموستينس مع بقية الجيش، بمجرد حلول المساء؛ فتوجه هو بنصف قوته إلى الممر، بينما سار الباقون عبر تلال أمفيلوخيا. وعند الفجر هاجم الأمبراشيوت وهم ما زالوا نائمين، جاهلين بما حدث، ويعتقدون تمامًا أنهم مواطنوهم - حيث وضع ديموستينس الميسينيين في المقدمة وأصدر أوامر بمخاطبتهم باللهجة الدورية، وبالتالي إلهام الثقة في الحراس، الذين لن يتمكنوا من رؤيتهم لأن الليل ما زال قائمًا. "وبهذه الطريقة هزم جيشهم بمجرد أن هاجمه، فقتل معظمهم حيث كانوا، بينما انسحب الباقون هاربين فوق التلال. ومع ذلك، كانت الطرق مشغولة بالفعل، وبينما كان الأمبراسيون يعرفون بلادهم، كان الأمبراسيون يجهلونها ولم يتمكنوا من تحديد الاتجاه الذي يجب أن يتجهوا إليه، وكان لديهم أيضًا دروع ثقيلة ضد عدو مسلح خفيف، وبالتالي سقطوا في الوديان والكمائن التي تم نصبها لهم، ولقوا حتفهم هناك. وفي محاولاتهم المتعددة للفرار، اتجه البعض إلى البحر، الذي لم يكن بعيدًا، ورأوا السفن الأثينية تبحر على طول الشاطئ بينما كان العمل جاريًا، فسبحوا إليهم، معتقدين أنه من الأفضل في حالة الذعر التي كانوا فيها أن يهلكوا، إذا هلكوا، على أيدي الأثينيين، من أن يهلكوا على أيدي الأمبراسيون الهمجيين المكروهين. ومن بين قوة الأمبراسيون الكبيرة التي دمرت بهذه الطريقة، وصل عدد قليل فقط إلى المدينة بأمان؛ في حين عاد الأكارنانيون إلى أرغوس بعد أن نزعوا أجساد الموتى وأقاموا لهم الكأس.

"وفي اليوم التالي وصل منادي من قبيلة أمبراشيوتس الذين فروا من أولباي إلى الأغريين، ليطلب الإذن بأخذ جثث القتلى الذين سقطوا بعد الاشتباك الأول، عندما غادروا المخيم مع المانتينيين ورفاقهم، دون أن يحصلوا على إذن بذلك مثلهم. وعندما رأى المنادي أسلحة أمبراشيوتس من المدينة، اندهش من عددهم، ولم يكن يعلم شيئًا عن الكارثة وتصور أنهم من حزبهم. وسأله شخص ما عن سبب اندهاشه، وكم عدد القتلى منهم، وتصور بدوره أن هذا هو المنادي من القوات في إيدوميني.

فأجاب: "حوالي مائتي"؛ وعندها رفعه المحقق وقال له: "لماذا، الأسلحة التي تراها هنا أكثر من ألف". فأجاب المنادي: "إذن فهي ليست أسلحة أولئك الذين قاتلوا معنا؟" فأجاب الآخر: "نعم، إنها أسلحة أولئك الذين قاتلوا في إيدوميني بالأمس على الأقل". "ولكننا لم نقاتل أحداً بالأمس؛ بل بالأمس في الانسحاب". "مهما كان الأمر، فقد قاتلنا بالأمس أولئك الذين جاءوا لتعزيزكم من مدينة أمبراشيا". وعندما سمع المنادي هذا وعلم أن التعزيزات من المدينة قد دمرت، بدأ في النحيب، وذهل من حجم الشرور الحالية، وغادر على الفور دون أن يؤدي مهمته، أو يسأل مرة أخرى عن الجثث. والواقع أن هذه كانت أعظم كارثة حلت بأي مدينة يونانية في عدد مماثل من الأيام خلال هذه الحرب؛ ولم أقم بتحديد عدد القتلى، لأن العدد المذكور يبدو غير متناسب مع حجم المدينة لدرجة لا تصدق. على أي حال، أعلم أنه إذا رغب الأكارنانيون والأمفيلوخيون في الاستيلاء على أمبراشيا كما نصح الأثينيون وديموستينيس، لكانوا قد فعلوا ذلك دون ضربة؛ حيث كانوا يخشون أنه إذا استولى الأثينيون عليها، فسوف يكونون جيرانًا أسوأ لهم من الحاضر.

وبعد ذلك وزع الأكارنانيون ثلث الغنائم على الأثينيين، وقسموا الباقي بين مدنهم المختلفة. واستولى الأثينيون على حصة الأثينيين في رحلة العودة إلى الوطن؛ أما الأسلحة التي أودعت الآن في المعابد الأتيكية فهي ثلاثمائة درع، خصصها الأكارنانيون لديموستينس، الذي أحضرها إلى أثينا بنفسه، بعد أن أصبحت عودته إلى بلاده بعد الكارثة الأيتوليانية أقل خطورة بسبب هذا العمل. كما انطلق الأثينيون في السفن العشرين إلى ناوباكتوس. وبعد رحيل ديموستينس والأثينيين، منح الأكارنانيون والأمفيلوخيون الأمبراشيون والبيلوبونيزيون الذين لجأوا إلى سالينثيوس والأجريين انسحابًا مجانيًا من أونيادي، وهو المكان الذي انتقلوا إليه من بلد سالينثيوس، وعقدوا مع الأمبراشيون في المستقبل معاهدة وتحالفًا لمدة مائة عام، وفقًا للشروط التالية. كان من المفترض أن يكون التحالف دفاعيًا وليس هجوميًا؛ ولم يكن من الممكن إجبار الأمبراشيوت على الزحف مع الأكارنانيين ضد البيلوبونيزيين، ولا

الأكارنانيين مع الأمبراشيوت ضد الأثينيين؛ أما بقية التحالف فكان من المفترض أن يتنازل الأمبراشيوت عن الأماكن والرهائن التي كانوا يحتجزونها لدى الأمفيلوخيين، وألا يقدموا المساعدة لأناكتوريوم، التي كانت في عداوة مع الأكارنانيين. وبهذا الترتيب وضعوا نهاية للحرب. وبعد ذلك أرسل الكورنثيون حامية من مواطنيهم إلى أمبراسيا، تتألف من ثلاثمائة من المشاة الثقيلة، تحت قيادة زينوكليدس، ابن أوثيكليس، الذين وصلوا إلى وجهتهم بعد رحلة شاقة عبر القارة. هكذا كانت قصة أمبراسيا.

وفي نفس الشتاء نزل الأثينيون في صقلية من سفنهم على أراضي هيميرا، بالتنسيق مع الصقليين الذين غزوا حدودها من الداخل، وأبحروا أيضًا إلى جزر أيولوس. وعند عودتهم إلى ريجيوم وجدوا القائد الأثيني، فيثودورس، ابن إيسولوخوس، قد حل محل لاخيس في قيادة الأسطول. أبحر الحلفاء في صقلية إلى أثينا وحثوا الأثينيين على إرسال المزيد من السفن لمساعدتهم، مشيرين إلى أن السيراقوسيين الذين كانوا بالفعل يقودون أرضهم يبذلون جهودًا لتشكيل أسطول، لتجنب استبعادهم من البحر بعد الآن بواسطة عدد قليل من السفن. شرع الأثينيون في حشد أربعين سفينة لإرسالها إليهم، معتقدين أن الحرب في صقلية ستنتهي على هذا النحو في أقرب وقت، وراغبين أيضًا في تدريب أسطولهم البحري. وبناءً على ذلك، تم إرسال أحد القادة، فيثودورس، مع عدد قليل من السفن؛ كان من المقرر أن يتبع سوفوكليس، ابن سوستراتيدس، ويوريميدون، ابن ثوكليس، المجموعة الرئيسية. وفي الوقت نفسه، تولى فيثودورس قيادة سفن لاخيس، وفي نهاية الشتاء أبحر ضد حصن لوكريان، الذي استولى عليه لاخيس سابقًا، وعاد بعد هزيمته في معركة على يد اللوكريين.

في الأيام الأولى من هذا الربيع، انطلقت سيل من النار من إتنا، كما حدث في مناسبات سابقة، ودمرت بعض أراضي الكاتانيين الذين يعيشون على جبل إتنا، وهو أكبر جبل في صقلية. ويقال إن خمسين عامًا قد انقضت منذ آخر ثوران للبركان، بينما مرت

ثلاث سنوات منذ أن سكن الإغريق صقلية. كانت هذه هي أحداث هذا الشتاء؛ ومعها انتهت السنة السادسة من هذه الحرب، التي كان ثوسيديديس مؤرخًا لها.

الكتاب الرابع

الفصل الثاني عشر

السنة السابعة من الحرب - احتلال بيلوس - استسلام الجيش الأسبرطي في سفاكستيريا

وفي الصيف التالي، وفي وقت اقتراب موسم الحصاد، أبحرت عشر سفن من سيراقوسة وعشر سفن من لوكريان إلى ميسينا في صقلية، واحتلت المدينة بدعوة من السكان؛ فثارت ميسينا على الأثينيين. وقد خطط السيراقوسيون لهذا الأمر في المقام الأول لأنهم رأوا أن المكان يوفر لهم منفذاً إلى صقلية، وخافوا أن يستخدمه الأثينيون بعد ذلك كقاعدة لمهاجمتهم بقوة أكبر؛ أما اللوكريان فقد خططوا لذلك لأنهم كانوا يرغبون في مواصلة الأعمال العدائية من جانبي المضيق والحد من أعدائهم، أهل ريجيوم. وفي الوقت نفسه، غزا اللوكريان إقليم ريجيون بكل قواتهم، لمنع مساعدة ميسينا، وأيضاً بناءً على طلب بعض المنفيين من ريجيوم الذين كانوا معهم؛ وكانت الفصائل الطويلة التي مزقتها تلك المدينة تجعلها في الوقت الحالي غير قادرة على المقاومة، وبالتالي تقدم إغراءً إضافيًا للغزاة. بعد تدمير البلاد، تقاعدت القوات البرية اللوكريانية، وبقيت سفنها لحراسة ميسينا، في حين تم إرسال سفن أخرى إلى نفس الوجهة لمواصلة الحرب من هناك.

وفي نفس الوقت تقريبًا في الربيع، وقبل أن ينضج القمح، غزا البيلوبونيزيون وحلفاؤهم أتيكا بقيادة أجيس، ابن أرشيداموس، ملك اللاكديمونيين، وجلسوا ودمروا البلاد. وفي الوقت نفسه، أرسل الأثينيون السفن الأربعين التي كانوا يجهزونها إلى صقلية، مع بقية القادة يوريميدون وسوفوكليس؛ وكان زميلهم فيثودوروس قد سبقهم إلى هناك. وكانوا قد تلقوا أيضًا تعليمات أثناء إبحارهم بالتطلع إلى أهل كورسيرا في المدينة، الذين نهبهم المنفيون في الجبل. ولدعم هؤلاء المنفيين، أبحرت

ستين سفينة بيلوبونيزية مؤخرًا، على اعتقاد أن المجاعة التي كانت مستعرة في المدينة ستجعل من السهل عليهم تقليصها. كما تقدم ديموستينس، الذي ظل بلا عمل منذ عودته من أكارنانيا، بطلب وحصل على إذن لاستخدام الأسطول، إذا رغب في ذلك، على ساحل البيلوبونيز.

سمعوا قبالة لاكونيا أن السفن البيلوبونيسية كانت بالفعل في كورسيرا، حيث أراد يوريميدون وسوفوكليس الإسراع إلى الجزيرة، لكن ديموستينس طلب منهم أولاً أن يرسوا في بيلوس ويقوموا بما هو مطلوب هناك، قبل مواصلة رحلتهم. وبينما كانوا يعترضون، صادف أن هبت عاصفة وحملت الأسطول إلى بيلوس. حثهم ديموستينس على الفور على تحصين المكان، ولهذا السبب جاء في الرحلة، وجعلهم يلاحظون وجود الكثير من الحجارة والأخشاب في المكان، وأن المكان قوي بطبيعته، وأن معظم البلاد المحيطة به غير مأهولة؛ بيلوس، أو كوريفاسيوم، كما يسميها اللاكديمونيون، تبعد حوالي خمسة وأربعين ميلاً عن سبارتا، وتقع في بلد الميسينيين القديم. أخبره القادة أنه لا يوجد نقص في الرؤوس الصحراوية في البيلوبونيز إذا كان يرغب في إرهاق المدينة باحتلالها. ومع ذلك، فقد اعتقد أن هذا المكان يتميز عن غيره من الأماكن بوجود ميناء قريب منه؛ في حين أن الميسينيين، السكان الأصليين القدامى للبلاد، الذين يتحدثون نفس اللهجة التي يتحدث بها اللاكيديمونيون، يمكن أن يسببوا لهم أكبر ضرر بغزواتهم من هناك، وسيكونون في نفس الوقت حامية موثوقة.

وبعد أن تحدث إلى قادة الفرق حول هذا الموضوع، وفشل في إقناع القادة أو الجنود، ظل غير نشط مع البقية بسبب ضغوط الطقس؛ حتى انتاب الجنود أنفسهم الذين كانوا يريدون احتلال المكان اندفاع مفاجئ للتجول وتحصين المكان. وبناءً على ذلك، بدأوا العمل بجدية، ولم يكن لديهم أدوات حديدية، فقاموا بالتقاط الحجارة ووضعها معًا كما تصادف، وحيث كانت هناك حاجة إلى الملاط، حملوه على ظهورهم لعدم

وجود أحجار، وانحنوا لإبقائه في مكانه، وضموا أيديهم معًا خلفهم لمنعه من السقوط؛ ولم يدخروا أي جهد ليكونوا قادرين على إكمال النقاط الأكثر ضعفًا قبل وصول اللاكديمونيين، حيث كانت معظم المنطقة قوية بطبيعتها دون مزيد من التحصينات.

وفي الوقت نفسه، كان أهل لاكدامون يحتفلون بمهرجان، كما استخفوا بالخبر في البداية، حيث اعتقدوا أنه كلما اختاروا اقتحام الميدان، فسوف يخلي العدو المكان على الفور أو يتم الاستيلاء عليه بسهولة بالقوة؛ وكان غياب جيشهم أمام أثينا أيضًا سببًا في تأخيرهم. قام الأثينيون بتحصين المكان على الجانب البري، وفي الأماكن التي تتطلب ذلك بشدة، في ستة أيام، وتركوا لديموستينس خمس سفن لحراسته، مع تسريع الجزء الرئيسي من الأسطول في رحلته إلى كورسيرا وصقلية.

وبمجرد أن سمع البيلوبونيزيون في أتيكا باحتلال بيلوس، سارعوا بالعودة إلى ديارهم؛ أما اللاكيديمونيون وملكهم أجيس فقد اعتقدوا أن الأمر يهمهم إلى حد كبير. فبالإضافة إلى قيامهم بغزو البلاد في وقت مبكر من الموسم، وبينما كانت الذرة لا تزال خضراء، كانت أغلب قواتهم تعاني من نقص المؤن: وكان الطقس سيئًا بشكل غير معتاد في ذلك الوقت من العام، مما أزعج جيشهم بشدة. وهكذا اجتمعت أسباب عديدة لتسريع رحيلهم وجعل هذا الغزو قصيرًا للغاية؛ بل إنهم مكثوا في أتيكا خمسة عشر يومًا فقط.

وفي نفس الوقت تقريبًا، جمع الجنرال الأثيني سيمونيدس عددًا قليلًا من الأثينيين من الحاميات، وعددًا من الحلفاء في تلك الأجزاء، واستولى على إيون في تراقيا، وهي مستعمرة مندية معادية لأثينا، بالخيانة، ولكن ما إن فعل ذلك حتى جاء الخلقيديون والبوتيون وضربوه وأخرجوه منها، مع خسارة العديد من جنوده.

وعند عودة البيلوبونيزيين من أتيكا، انطلق الإسبرطيون أنفسهم وأقربهم من البيرويشيين على الفور إلى بيلوس، بينما تبعهم بقية الإسبرطيين ببطء، لأنهم كانوا قد عادوا للتو من حملة أخرى. كما أُرسِلت رسالة إلى البيلوبونيز للتوجه بأسرع ما يمكن إلى بيلوس؛ بينما أُرسِلت السفن البيلوبونيزية الستين من كورسيرا، وسحبتها طواقمها عبر برزخ لوكاس، ومرّت دون أن يلاحظها السرب الأثيني في زاكينثوس، ووصلت إلى بيلوس، حيث وصلت القوات البرية قبلهم. وقبل أن يبحر الأسطول البيلوبونيزي، وجد ديموستينس الوقت لإرسال سفينتين غير مرئيتين لإبلاغ يوريميدون والأثينيين على متن الأسطول في زاكينثوس بالخطر الذي يتهدد بيلوس واستدعائهم لمساعدته. وبينما كانت السفن تسرع في رحلتها امتثالاً لأوامر ديموستينس، كان أهل لاكيديمون يستعدون لمهاجمة الحصن براً وبحراً، على أمل الاستيلاء بسهولة على مبنى تم بناؤه على عجل، وتسيطر عليه حامية ضعيفة. وفي الوقت نفسه، وبما أنهم كانوا يتوقعون وصول السفن الأثينية من زاكينثوس، فقد عزموا، إذا فشلوا في الاستيلاء على المكان قبل ذلك، على سد مداخل الميناء لمنعهم من الرسو فيه. ذلك أن جزيرة سفاكستيريا، الممتدة على طول خط مستقيم أمام الميناء، تجعله آمناً على الفور وتضيق مداخله، فتترك ممراً لسفينتين على الجانب الأقرب إلى بيلوس والتحصينات الأثينية، ولثماني أو تسع سفن على ذلك الجانب المجاور لبقية البر الرئيسي: أما بقية الجزيرة، فكانت مغطاة بالكامل بالأشجار، ولا توجد بها مسارات، ولم تكن مأهولة بالسكان، وطولها حوالي ميل وخمسة فيرلونغ. "وكان أهل لاكيدايمون يعتزمون إغلاق المداخل بخط من السفن التي توضع قريبة من بعضها البعض، وتتجه مقدماتها نحو البحر، وفي الوقت نفسه، خوفًا من أن يستخدم العدو الجزيرة للعمل ضدهم، نقلوا بعض المشاة الثقيلة إلى هناك، ووضعوا آخرين على طول الساحل. وبهذه الوسيلة، أصبحت الجزيرة والقارة معاديتين للأثينيين على حد سواء، حيث لن يتمكنوا من النزول على أي منهما؛ ولأن شاطئ بيلوس نفسه خارج المدخل باتجاه البحر المفتوح ليس به ميناء، وبالتالي، لا يوفر نقطة يمكنهم استخدامها كقاعدة لإغاثة مواطنيهم، فإن أهل لاكيدايمون، دون

قتال بحري أو مخاطرة، كانوا على الأرجح سيسيطرون على المكان، حيث احتلوه كما لو كانوا في اللحظة، وكانوا يفتقرون إلى المؤن. وبعد تحديد ذلك، نقلوا إلى الجزيرة المشاة الثقيلة، التي تم تجنيدها بالقرعة من جميع الشركات. وكان آخرون قد عبروا من قبل في فرق الإغاثة، ولكن هؤلاء الذين بقوا هناك بلغ عددهم أربعمائة وعشرين، مع خدمهم الهيلوتيين، بقيادة إبيتاداس، ابن مولوبروس.

وفي هذه الأثناء، رأى ديموستينس أن اللاكديمونيين على وشك مهاجمته بحراً وبراً في آن واحد، فلم يكتف بذلك. فقام بجمع السفن المتبقية له من السفن التي تركت له تحت الحصن، وسلَّح البحارة الذين انتزعوا منهم دروعاً رديئة الصنع، كانت أغلبها من الصفصاف، لأن الحصول على الأسلحة في مثل هذا المكان الصحراوي أمر مستحيل، وحتى هذه الدروع كانت من قرصان ميسيني ذي ثلاثين مجدافاً، ومن قارب مملوك لبعض الميسينيين الذين صادف وصولهم إليهم. وكان من بين هؤلاء الميسينيين أربعون من المشاة الثقيلة، فاستعان بهم مع بقية رجاله. ثم وضع معظم رجاله، غير مسلحين ومسلحين، في أفضل النقاط المحصنة والقوية في المكان باتجاه الداخل، وأصدر أوامره بصد أي هجوم من القوات البرية، ثم انتقى ستين من المشاة الثقيلة وعدداً قليلاً من الرماة من قوته بأكملها، وخرج معهم خارج السور إلى البحر، حيث كان يعتقد أن العدو سيحاول على الأرجح النزول. ورغم أن الأرض كانت وعرة وصخرية، فإن النظر إلى البحر المفتوح كان يقتضي أن يكون هذا هو الجزء الأضعف من الجدار، كما تصور، الأمر الذي من شأنه أن يشجع حماسهم، لأن الأثينيين، الذين كانوا واثقين من تفوقهم البحري، لم يولوا هنا اهتماماً كبيراً بدفاعاتهم، وكان العدو ليشعر بالأمان إذا تمكن من فرض عملية إنزال على المكان. وعند هذه النقطة، نزل إلى حافة المياه، ونشر مشاته الثقيلة لمنع عملية الإنزال، إن أمكن، وشجعهم على النحو التالي:

"أيها الجنود والرفاق في هذه المغامرة، آمل ألا يفكر أحد منكم في إظهار ذكائه من خلال حساب جميع المخاطر التي تحيط بنا بدقة، بل أن يسارعوا إلى الاقتراب من العدو، دون البقاء لحساب الاحتمالات، معتبرين أن هذا هو أفضل فرصة لكم للسلامة. في حالات الطوارئ مثل حالتنا، فإن الحساب غير صحيح؛ فكلما واجهنا الخطر في وقت أقرب كان ذلك أفضل. وفي رأيي أيضًا أن معظم الفرص لصالحنا، إذا صمدنا فقط ولم نهدر مزايانا، مذعورين من أعداد العدو. إحدى النقاط لصالحنا هي حرج الهبوط. ومع ذلك، فإن هذا يساعدنا فقط إذا ثبتنا على أرضنا. إذا استسلمنا فسيكون ذلك عمليًا بدرجة كافية، على الرغم من صعوبته الطبيعية، بدون مدافع؛ "وسوف يصبح العدو أكثر قوة على الفور بسبب الصعوبة التي سيواجهها في التراجع، على افتراض أننا نجحنا في صده، وهو ما سنجد أنه من الأسهل القيام به، وهو على متن سفنه، وليس بعد أن يهبط ويقابلنا على قدم المساواة. أما بالنسبة لأعداده، فلا داعي لإثارة قلقك كثيرًا. مهما كان عددهم كبيرًا، فلا يمكنه إلا المشاركة في مفارز صغيرة، بسبب استحالة إحضارهم إلى هناك. علاوة على ذلك، فإن التفوق العددي الذي يتعين علينا مواجهته ليس تفوق جيش على الأرض مع تساوي كل شيء آخر، بل تفوق القوات على متن السفن، في عنصر يتطلب العديد من الحوادث المواتية للعمل بشكل فعال. "لذلك، أرى أن الصعوبات التي يواجهها يمكن مقارنتها بشكل عادل بنقائصنا العددية، وفي الوقت نفسه، أناشدكم، باعتباركم أثينيين يعرفون من خلال التجربة ما يعنيه النزول من السفن على أرض معادية، ومدى استحالة صد عدو مصمم بما يكفي على الوقوف على أرضه وعدم الخوف من الأمواج وأهوال السفن المبحرة، أن تقفوا ثابتين في حالة الطوارئ الحالية، وتهزموا العدو على حافة المياه، وتنقذوا أنفسكم والمكان".

وعلى هذا فقد شعر الأثينيون بمزيد من الثقة، فنزلوا لملاقاة العدو، وتمركزوا على طول حافة البحر. ثم بدأ الأثينيون في التحرك وهاجموا الحصن في نفس الوقت بقواتهم البرية وسفنهم، التي بلغ عددها ثلاثاً وأربعين سفينة، بقيادة أميرالهم

ثراسيميليداس، ابن كراتيسكليس، وهو أسبرطي، الذي هاجم المكان الذي توقعه ديموستينيس. وهكذا كان على الأثينيين أن يدافعوا عن أنفسهم من الجانبين، من البر ومن البحر؛ فكان العدو يتجمع في مفارز صغيرة، كل منها يساند الآخر. وكان من المستحيل على الكثيرين أن يحشدوهم في وقت واحد. وكانوا يظهرون حماسة كبيرة ويشجعون بعضهم البعض، في محاولة لفرض ممر والاستيلاء على الحصن. وكان أبرز من برز في هذا المجال هو براسيداس. "قائد سفينة، ورأى أن القادة والبحارة، منبهرين بصعوبة الموقف، يتأخرون حتى في الأماكن التي قد يبدو فيها الإنزال ممكنًا، خوفًا من تدمير سفنهم، صاح فيهم أنه يجب عليهم ألا يسمحوا للعدو أبدًا بتحصين نفسه في بلادهم من أجل إنقاذ الأخشاب، ولكن يجب عليهم إرباك سفنهم وإجبارهم على الإنزال؛ وأمر الحلفاء، بدلاً من التردد في مثل هذه اللحظة في التضحية بسفنهم من أجل لاكيدايمون في مقابل فوائدها العديدة، أن يجروها بجرأة إلى الأرض، وينزلوا بطريقة أو بأخرى، ويجعلوا أنفسهم سادة المكان وحاميته.

ولم يكتف بهذا الحث، بل أجبر قائد السفينة على إنزالها إلى الشاطئ، وخطا على الممر، وحاول النزول إلى البر، لكن الأثينيين طعنوه، وبعد أن أصيب بجروح عديدة أغمي عليه. وسقط في مقدمة السفينة، فانزلق درعه من ذراعه إلى البحر، وقذفه الأثينيون إلى الشاطئ، فالتقطه الأثينيون، واستخدموه بعد ذلك كأساً نصبوها لهذا الهجوم. وبذل الباقون قصارى جهدهم أيضاً، لكنهم لم يتمكنوا من النزول إلى البر، بسبب صعوبة الأرض وإصرار الأثينيين الذي لا يلين. وكان من الغريب أن يقلب الأثينيون نظام الأمور إلى النقيض، حيث يقاتلون من البر، ومن أرض لاكون أيضاً، ضد اللاكديمونيين القادمين من البحر؛ في حين كان اللاكيديمونيون يحاولون النزول من على متن السفن في بلادهم، التي أصبحت الآن معادية، لمهاجمة الأثينيين، على الرغم من أن الأولين كانوا مشهورين في ذلك الوقت بشكل رئيسي كشعب داخلي ومتفوقين براً، والأخيرين كشعب بحري مع أسطول لا مثيل له.

وبعد أن واصلوا هجماتهم خلال ذلك اليوم ومعظم اليوم التالي، كف البيلوبونيزيون عن هجماتهم، وفي اليوم التالي أرسلوا بعض سفنهم إلى أسين للحصول على الأخشاب لصنع المحركات، على أمل الاستيلاء على الجدار المقابل للميناء، على الرغم من ارتفاعه، حيث كان الإنزال أسهل. وفي هذه اللحظة وصل الأسطول الأثيني من زاكينثوس، وكان عدده الآن خمسين شراعًا، بعد أن تم تعزيزه ببعض السفن التي كانت تحرس ناوباكتوس وأربع سفن من شيان. ولما رأوا الساحل والجزيرة مزدحمين بالمشاة الثقيلة، والسفن المعادية في الميناء لا تظهر أي علامات على الإبحار، في حيرة من أمرها أين ترسو، أبحروا للحظة إلى جزيرة بروتي المهجورة، على مقربة من هناك، حيث قضوا الليل. وفي اليوم التالي انطلقوا استعدادًا للاشتباك في البحر المفتوح إذا اختار العدو الإبحار لمواجهتهم، مصممين على الإبحار ومهاجمته في حالة عدم قيامه بذلك. ولم يخرج اللاكيديمونيون إلى البحر، ولم يغلقوا المداخل كما كانوا ينوون، وظلوا هادئين على الشاطئ، منشغلين بتجهيز سفنهم والاستعداد، في حالة إبحار أي سفينة، للقتال في الميناء، وهو ميناء كبير إلى حد ما.

ولما أدرك الأثينيون هذا، تقدموا ضدهم من كل مدخل، وهاجموا أسطول العدو، الذي كان معظمه عائمًا في ذلك الوقت ومتماشيًا مع خطه، وهزموه على الفور، وطاردوه إلى أقصى مسافة قصيرة سمحت بها المسافة، وأعطبوا عددًا كبيرًا من السفن واستولوا على خمس منها، واحدة بطاقمها على متنها؛ واندفعوا نحو بقية السفن التي لجأت إلى الشاطئ، وضربوا بعض السفن التي كانت لا تزال مأهولة، قبل أن يتمكنوا من إخلائها، وهاجموا سفنهم الخاصة وسحبوا سفنًا أخرى فارغة فر طاقمها. وعند هذا المشهد، هرع الأثينيون، الذين أصابتهم الكارثة التي قطعت الطريق على رجالهم على الجزيرة، لإنقاذهم، ودخلوا البحر بدروعهم الثقيلة، واستولوا على السفن وحاولوا جرها إلى الوراء، معتقدين أن النجاح يعتمد على جهودهم الفردية. كان القتال عنيفًا، وفي تناقض تام مع التكتيكات البحرية المعتادة بين المقاتلين؛ كان أهل لاكيدايمون في حماسهم وذهولهم منخرطين بالفعل في معركة

بحرية على الأرض، بينما كان الأثينيون المنتصرون، في حرصهم على دفع نجاحهم إلى أقصى حد ممكن، يخوضون معركة برية من سفنهم. وبعد جهود شاقة وجروح عديدة في كلا الجانبين، انفصلوا، وأنقذ أهل لاكيدايمون سفنهم الفارغة، باستثناء تلك التي استولى عليها أولاً؛ وعاد كلا الطرفين إلى معسكرهما، وأقام الأثينيون غنائم، وأعادوا القتلى، وأمنوا حطام السفن، وبدأوا على الفور في الإبحار حول الجزيرة ومراقبة حاميتها التي اعترضتها بغيرة، بينما بقي البيلوبونيزيون على البر الرئيسي، الذين وصلت كل فرقهم الآن، حيث كانوا قبل بيلوس.

وعندما وصلت أنباء ما حدث في بيلوس إلى أسبرطة، اعتُبِرت الكارثة بالغة الخطورة إلى الحد الذي جعل أهل لاكيديمون يقررون أن ينزل المسؤولون إلى المعسكر ويقرروا على الفور ما هو الأفضل للقيام به. وهناك، بعد أن أدركوا أنه من المستحيل مساعدة رجالهم، ولأنهم لم يرغبوا في المخاطرة بموتهم جوعاً أو هزيمة أعدادهم، فقد قرروا، بموافقة القادة الأثينيين، إبرام هدنة في بيلوس وإرسال مبعوثين إلى أثينا للحصول على اتفاقية، والسعي إلى استعادة رجالهم في أسرع وقت ممكن.

وبعد أن قبل الجنرالات عروضهم، تم التوصل إلى هدنة على الشروط التالية:

أن يحضر اللاكيديمونيون إلى بيلوس ويسلموا للأثينيين السفن التي حاربت في الاشتباك الأخير، وكل ما في لاكونيا من سفن حربية، وألا يقوموا بأي هجوم على التحصينات سواء عن طريق البر أو البحر.

أن يسمح الأثينيون للساكسونيين في البر الرئيسي بإرسال كمية ثابتة معينة من الذرة المعجونة إلى الرجال في الجزيرة، أي ربع جالون من دقيق الشعير، ونصف باينت من النبيذ، وقطعة من اللحم لكل رجل، ونصف نفس الكمية للخادم.

أن يتم إرسال هذا البدل تحت أعين الأثينيين، وألا تبحر أي سفينة إلى الجزيرة إلا بشكل علني.

أن يستمر الأثينيون في طريقهم إلى الجزيرة كما فعلوا من قبل، ولكن دون أن يهبطوا عليها، وأن يمتنعوا عن مهاجمة القوات البيلوبونيسية سواء عن طريق البر أو البحر.

إذا انتهك أي من الطرفين أيًا من هذه الشروط بأدنى قدر من التفصيل، فإن الهدنة تصبح باطلة على الفور.

أن الهدنة يجب أن تصمد حتى عودة المبعوثين اللاكيديمونيين من أثينا - حيث يرسلهم الأثينيون إلى هناك في سفن شراعية ويعيدونهم مرة أخرى - وعند وصول المبعوثين يجب أن تنتهي الهدنة، ويقوم الأثينيون بإعادة السفن إلى نفس الحالة التي استقبلوها بها.

كانت هذه شروط الهدنة، وتم تسليم السفن إلى ستين سفينة، وأُرسل المبعوثون تبعًا لذلك. وعندما وصلوا إلى أثينا تحدثوا على النحو التالي:

"أيها الأثينيون، لقد أرسلنا أهل لاكيديمون لمحاولة إيجاد طريقة ما لتسوية قضية رجالنا على الجزيرة، والتي ستكون مرضية لمصالحنا في نفس الوقت، ومتوافقة مع كرامتنا في محنتنا بقدر ما تسمح به الظروف. يمكننا أن نجازف بالتحدث بإسهاب دون أي انحراف عن عادة بلدنا. الرجال الذين يتحدثون قليلاً حيث لا نحتاج إلى الكثير، يمكننا أن نكون أقل إيجازًا عندما يكون هناك مسألة ذات أهمية يجب توضيحها وهدف يجب تحقيقه من خلال توضيحها. في غضون ذلك، نرجوكم أن تأخذوا ما قد نقوله، ليس بروح عدائية، ولا كما لو كنا نعتبركم جهلاء ونرغب في إلقاء محاضرات عليكم، بل كإقتراح حول أفضل مسار يجب اتخاذه، موجه إلى قضاة أذكياء. "يمكنك الآن، إذا اخترت ذلك، أن تستغل نجاحك الحالي لصالحك، حتى تحتفظ بما حصلت

عليه وتكتسب الشرف والسمعة أيضًا، ويمكنك تجنب خطأ أولئك الذين يصادفون قدرًا غير عادي من الحظ السعيد، ويقودهم الأمل إلى التمسك باستمرار بشيء آخر، من خلال النجاح بالفعل دون توقعه. في حين أن أولئك الذين عرفوا معظم تقلبات الخير والشر، لديهم أيضًا أقل قدر من الإيمان بازدهارهم؛ ولتعليم مدينتك ومدينتنا هذا الدرس لم تكن الخبرة ناقصة.

"ولكي تقتنع بهذا، فما عليك إلا أن تنظر إلى محنتنا الحالية. فأي قوة في اليونان كانت أقوى منا؟ ومع ذلك فقد أتينا إليكم، رغم أننا كنا نعتقد في السابق أننا أكثر قدرة على منح ما نحن هنا الآن لنطلبه. ومع ذلك، لم نصل إلى هذا بسبب أي تدهور في قوتنا، أو بسبب تحول رؤوسنا بسبب التوسع؛ كلا، مواردنا هي ما كانت عليه دائمًا، وكان خطأنا خطأ في الحكم، وهو ما يتحمله الجميع على قدم المساواة. وعليه، فإن الرخاء الذي تتمتع به مدينتك الآن، والتقدم الذي حصلت عليه مؤخرًا، لا ينبغي أن يجعلك تتخيل أن الحظ سيكون معك دائمًا. والواقع أن الرجال العقلاء يتمتعون بالحكمة الكافية لمعاملة مكاسبهم على أنها محفوفة بالمخاطر، تمامًا كما يحافظون على صفاء أذهانهم في الشدائد، ويعتقدون أن الحرب، بعيدًا عن البقاء ضمن الحدود التي قد يرغب المقاتل في تقييدها، ستسير في المسار الذي تمليه حظوظها؛ "ولذلك، فإنهم لا يبالغون في ثقتهم في النجاح العسكري، وبالتالي فهم أقل عرضة للوقوع في المشاكل، وأكثر استعدادًا لإبرام السلام، إذا استطاعوا، طالما أن حظوظهم قائمة. وهذا، أيها الأثينيون، لديكم فرصة جيدة للقيام بذلك معنا الآن، وبالتالي تجنب الكوارث المحتملة التي قد تترتب على رفضكم، وما يترتب على ذلك من اتهامكم بأنكم مدينون بالصدفة حتى بمزاياكم الحالية، في حين كان من الممكن أن تتركوا وراءكم سمعة القوة والحكمة التي لا يمكن لأي شيء أن يعرضها للخطر.

"إن أهل لاكيديمون يدعونك إذن إلى عقد معاهدة وإنهاء الحرب، وعرض السلام والتحالف والعلاقات الودية الحميمة بكل الطرق وفي كل مناسبة بيننا؛ وفي المقابل

يطلبون من الرجال على الجزيرة، معتقدين أنه من الأفضل لكلا الطرفين ألا يقفا إلى النهاية، على أمل وقوع حادث مؤاتٍ يمكن الرجال من الخروج، أو إجبارهم على الاستسلام تحت ضغط الحصار. والواقع أنه إذا كان من المقرر تسوية العداوات الكبرى حقًا، فإننا نعتقد أنه لن يتم ذلك، ليس من خلال نظام الانتقام والنجاح العسكري، وإجبار الخصم على القسم على معاهدة لصالحه، ولكن عندما يتنازل المقاتل الأكثر حظًا عن هذه الامتيازات، فإن ذلك يسترشد بمشاعر أكثر لطفًا وينتصر على خصمه بالكرم، ويمنح السلام بشروط أكثر اعتدالًا مما توقعه. ومنذ تلك اللحظة، بدلاً من دين الانتقام الذي يجب أن يستلزمه العنف، فإن خصمه مدين بدين الكرم الذي يجب سداده بالعينة، ويميل بشرف إلى الوقوف إلى جانبه. والرجال يتصرفون بهذه الطريقة في كثير من الأحيان تجاه أعدائهم الأكبر مما يفعلون عندما يكون الشجار أقل أهمية؛ كما أنهم بطبيعتهم سعداء بالاستسلام لأولئك الذين يستسلمون لهم أولاً، كما أنهم عرضة للاستفزاز بالغطرسة للمخاطر التي تدينهم بحكمهم الخاص.

"ولنطبق هذا على أنفسنا: إذا كان السلام مرغوبًا فيه من قبل الطرفين، فهو كذلك بالتأكيد في الوقت الحاضر، قبل أن يحدث لنا أي شيء لا يمكن إصلاحه ويجبرنا على كرهك إلى الأبد، شخصيًا وسياسيًا، وتفوتك المزايا التي نقدمها لك الآن. بينما لا تزال القضية موضع شك، وأنت تنتظر سمعتك وصداقتنا، ونحن نستعد للتنازل عن محنتنا قبل حدوث أي شيء مميت، دعنا نتصالح، ونختار السلام بدلاً من الحرب لأنفسنا، ونمنح بقية اليونانيين إعفاءً من معاناتهم، والتي من المؤكد أنهم سيعتقدون أنهم مدينون لك بها بشكل أساسي. إنهم لا يعرفون الحرب التي يناضلون من أجلها من بدأ، لكن السلام الذي يختتمها، لأنه يعتمد على قرارك، سيُلقى على بابك بفضل امتنانهم. من خلال مثل هذا القرار، يمكنك أن تصبح صديقًا وثيقًا للاكيديمونيين بناءً على دعوتهم الخاصة، والتي لا تجبرهم عليها، بل تلزمهم بقبولها. ومن هذه الصداقة، فكر في المزايا التي من المرجح أن تترتب على

ذلك: عندما تتحد أتيكا وإسبرطة، فمن المؤكد أن بقية اليونان ستظل في حالة من النقص والاحترام أمام رؤسائها.

كانت هذه هي كلمات اللاكيدايمونيين، وكانوا يعتقدون أن الأثينيين، الذين كانوا يرغبون بالفعل في الهدنة ولم يمنعهم من ذلك سوى معارضتهم، سيقبلون بفرح الصلح الذي يُعرض عليهم مجانًا، ويعيدون الرجال. ولكن الأثينيين، الذين كان لديهم الرجال على الجزيرة، اعتقدوا أن المعاهدة ستكون جاهزة لهم متى اختاروا إبرامها، وتشبثوا بشيء آخر. وكان أول من شجعهم على هذه السياسة كليون، ابن كليينيتوس، وهو زعيم شعبي في ذلك الوقت وقوي جدًا بين الحشود، الذي أقنعهم بالإجابة على النحو التالي: أولاً، يجب على الرجال في الجزيرة تسليم أنفسهم وأسلحتهم وإحضارهم إلى أثينا. ثانيًا، يجب على اللاكيدايمونيين استعادة نيصايا وبيجاي وترويزين وآخائية، وهي كلها أماكن لم يتم الحصول عليها بالسلاح، ولكن بموجب الاتفاقية السابقة، التي تنازلت عنها أثينا نفسها في لحظة كارثة، عندما كانت الهدنة ضرورية لها أكثر من الوقت الحاضر. وإذا فعلوا ذلك، فقد يتمكنون من استعادة رجالهم، وعقد هدنة طالما وافق الطرفان.

ولم يرد المبعوثون على هذا الرد، بل طلبوا أن يتم اختيار مفوضين ليتشاوروا معهم في كل نقطة، وأن يناقشوا الأمر بهدوء ويحاولوا التوصل إلى اتفاق. وعندئذ هاجمهم كليون بعنف، قائلاً إنه يعلم منذ البداية أن نواياهم ليست سليمة، وأن رفضهم التحدث أمام الشعب ورغبتهم في التشاور سراً مع لجنة من شخصين أو ثلاثة أصبح واضحاً بما فيه الكفاية الآن. لا، إذا كانوا يقصدون أي شيء صادق، فليقولوه أمام الجميع. ولكن أهل لاكيديمون، عندما أدركوا أنه مهما كانت التنازلات التي قد يكونون على استعداد لتقديمها في محنتهم، فمن المستحيل عليهم أن يتحدثوا أمام الحشود ويخسروا الثقة لدى حلفائهم في مفاوضات قد تفشل في النهاية، ومن ناحية أخرى،

فإن الأثينيين لن يمنحوا أبداً ما طلبوه بشروط معتدلة، عادوا من أثينا دون أن ينجزوا أي شيء.

لقد أدى وصولهم على الفور إلى إنهاء الهدنة في بيلوس، وطلب اللاكيديمونيون استعادة سفنهم وفقًا للاتفاقية. ومع ذلك، زعم الأثينيون أن الهجوم على الحصن كان مخالفًا للهدنة، ومظالم أخرى لا تستحق الذكر على ما يبدو، ورفضوا إعادتها، وأصروا على البند الذي بموجبه يجعل أدنى انتهاك الهدنة باطلة. بعد أن أنكر اللاكيديمونيون المخالفة واحتجوا على سوء نيتهم في مسألة السفن، ذهبوا وتوجهوا بجدية إلى الحرب. استمرت الأعمال العدائية الآن في بيلوس على كلا الجانبين بقوة. أبحر الأثينيون حول الجزيرة طوال اليوم بسفينتين تسيران في اتجاهين مختلفين؛ وفي الليل، باستثناء الجانب المواجه للبحر في الطقس العاصف، رسوا حولها بأسطولهم بأكمله، والذي تم تعزيزه بعشرين سفينة من أثينا جاءت للمساعدة في الحصار، بلغ عددها الآن سبعين سفينة؛ بينما بقي البيلوبونيزيون معسكرين في القارة، ويشنون الهجمات على الحصن، ويراقبون أي فرصة قد تتاح لهم لإنقاذ رجالهم.

وفي الوقت نفسه، كان السيراقوسيون وحلفاؤهم في صقلية قد أحضروا إلى السرب الذي يحرس ميسينا التعزيزات التي تركناها لهم يجهزونها، وواصلوا الحرب من هناك، بتحريض من اللوكريين بشكل رئيسي بسبب كراهية الريجيين، الذين غزوا أراضيهم بكل قواتهم. كما أراد السيراقوسيون أن يجربوا حظهم في البحر، عندما رأوا أن الأثينيين لم يكن لديهم سوى عدد قليل من السفن في ريجيوم، وسمعوا أن الأسطول الرئيسي الذي كان من المقرر أن ينضم إليهم كان مشغولاً بحصار الجزيرة. لقد اعتقدوا أن النصر البحري سيمكنهم من حصار ريجيوم بحراً وبراً، وتقليصها بسهولة؛ وهو النجاح الذي من شأنه أن يضع شؤونهم على أساس متين على الفور، حيث أن رأس ريجيوم في إيطاليا وميسينا في صقلية قريبان من بعضهما البعض

لدرجة أنه سيكون من المستحيل على الأثينيين الإبحار ضدهم والسيطرة على المضيق. إن المضيق المذكور يتكون من البحر بين ريجيوم وميسينا، عند النقطة التي تقترب فيها صقلية من القارة، وهو المضيق الذي تبحر عبره القصة يوليسيس؛ وقد أدى ضيق الممر وقوة التيار الذي يتدفق من النهرين الرئيسيين التيراني والصقلية الشاسعين إلى منحه سمعة سيئة بحق.

وفي هذا المضيق اضطر السيراقوسيون وحلفاؤهم إلى القتال في وقت متأخر من النهار من أجل عبور إحدى السفن، فقاتلوا بأكثر من ثلاثين سفينة ضد ست عشرة سفينة أثينية وثماني سفن ريجية. وبعد أن هزمهم الأثينيون انطلقوا على عجل، كلٌّ على حِدة، إلى محطتيه في ميسينا وريجيوم، فخسروا سفينة واحدة؛ وحلّ الليل قبل أن تنتهي المعركة. وبعد ذلك انسحب اللوكريون من أراضي ريجية، واتحدت سفن السيراقوسيين وحلفائهم ووصلت إلى رأس بيلوروس في أراضي ميسينا، حيث انضمت إليهم قواتهم البرية. وهنا أبحر الأثينيون والريجيون، وعندما رأوا السفن بلا بحارة، شنوا هجومًا، فخسروا بدورهم سفينة واحدة، كانت قد علقت بحديد الشد، ونجا أفراد الطاقم بالسباحة. وبعد ذلك صعد السيراقوسيون على متن سفنهم، وبينما كانوا يسحبونها إلى الشاطئ باتجاه مسينا، هاجمهم الأثينيون مرة أخرى، ولكنهم خرجوا فجأة إلى البحر وأصبحوا هم المهاجمين، مما تسبب في خسارة سفينة أخرى لهم. وبعد أن صمد السيراقوسيون في رحلتهم إلى الشاطئ وفي الاشتباك كما هو موصوف أعلاه، أبحروا إلى ميناء مسينا.

وفي هذه الأثناء، أبحر الأثينيون إلى هناك، بعد أن تلقوا تحذيرًا من أن أرخياس وحزبه على وشك أن يخونوا كامارينا لصالح السيراقوسيين، فاستغل الميسينيون هذه الفرصة لمهاجمة جارتهم ناكسوس بحرًا وبرًا بكل قواتهم. وفي اليوم الأول، أجبروا الناكسيين على الاحتفاظ بأسوارهم، ودمروا بلادهم؛ وفي اليوم التالي، أبحروا بسفنهم حول المدينة، ودمروا أراضيهم على نهر أكيسينس، بينما هددت قواتهم البرية

المدينة. وفي الوقت نفسه، نزل الصقليون من المرتفعات بأعداد كبيرة للمساعدة ضد الميسينيين؛ وفجأة، خرج الناكسيون، الذين فرحوا بهذا المشهد، وحركهم الاعتقاد بأن الليونتينيين وحلفائهم اليونانيين الآخرين قادمون لدعمهم، من المدينة، وهاجموا الميسينيين وهزموهم، وقتلوا أكثر من ألف منهم؛ بينما عانى الباقون بشدة في انسحابهم إلى ديارهم، حيث هاجمهم البرابرة على الطريق، وانقطعت السبل أمام معظمهم. "وصلت السفن إلى ميسينا، ثم تفرقت بعد ذلك إلى ديارها المختلفة. وعلى الفور، وجه الليونتينيون وحلفاؤهم، مع الأثينيين، أسلحتهم ضد ميسينا الضعيفة الآن، وهاجموا الأثينيين بسفنهم على جانب الميناء، والقوات البرية على جانب المدينة. ومع ذلك، خرج المسيونيون مع ديموتيليس وبعض اللوكريين الذين تُرِكوا لحراسة المدينة بعد الكارثة، وهاجموا فجأة معظم جيش الليونتينيين وهزموهم، وقتلوا عددًا كبيرًا منهم؛ وعندما رأوا ذلك، نزل الأثينيون من سفنهم، وهاجموا المسينيين في حالة من الفوضى وطاردوهم إلى المدينة، وأقاموا غنائمهم في ريجيوم. بعد ذلك، استمر اليونانيون في صقلية في شن الحرب على بعضهم البعض براً، دون الأثينيين.

وفي الوقت نفسه كان الأثينيون في بيلوس لا يزالون يحاصرون سكان لاكيدايمون في الجزيرة، بينما ظلت القوات البيلوبونيسية في القارة حيث كانت. وكان الحصار شاقًا للغاية بالنسبة للأثينيين بسبب نقص الطعام والماء؛ فلم يكن هناك نبع سوى واحد في قلعة بيلوس نفسها، ولم يكن ذلك النبع كبيرًا، واضطر معظمهم إلى استخراج الحصى من شاطئ البحر وشرب ما يمكنهم العثور عليه من الماء. كما عانوا من نقص المساحة، حيث كانوا يخيمون في مساحة ضيقة؛ ولأن السفن لم يكن بها مرسى، فقد تناول بعضهم وجباتهم على الشاطئ بدورهم، بينما رسا الآخرون في البحر. ولكن أعظم إحباطهم نشأ عن الوقت الطويل غير المتوقع الذي استغرقه تقليص عدد الرجال المحبوسين في جزيرة صحراوية، وليس لديهم سوى الماء المالح للشرب، وهي مسألة تصوروا أنها لن تستغرق منهم سوى بضعة أيام. كانت الحقيقة

أن أهل لاكيدايمون كانوا قد أعلنوا عن حاجتهم إلى متطوعين لنقل الذرة المطحونة والنبيذ والجبن وأي طعام آخر مفيد في حالة الحصار إلى الجزيرة؛ وعرضوا عليهم أسعارًا مرتفعة، ووعدوا بالحرية لأي من الهيلوت الذين ينجحون في القيام بذلك. وعلى هذا فقد كان الهيلوت أكثر استعدادًا للمشاركة في هذه التجارة الخطرة، فكانوا ينطلقون من هذا الجزء أو ذاك من بيلوبونيز، ويدخلون ليلًا إلى الجانب المواجه للبحر من الجزيرة. ولكنهم كانوا يستمتعون أكثر عندما تهب الرياح لتحملهم إلى الجزيرة. وكان من الأسهل عليهم التهرب من مراقبة السفن الشراعية عندما تهب الرياح من جهة البحر، حيث أصبح من المستحيل عليهم الرسو حول الجزيرة؛ بينما كان الهيلوت يحسبون قيمة قواربهم نقدًا، ويحملونها إلى الشاطئ، دون أن يهتموا بكيفية هبوطها، وكانوا على يقين من أن الجنود ينتظرونهم في أماكن الهبوط. ولكن كل من خاطر بذلك في الطقس الجيد كان مصيره الاعتقال. كما سبح الغواصون تحت الماء من الميناء، وسحبوا بسلاسل من جلود بذور الخشخاش المخلوطة بالعسل وبذر الكتان المطحون؛ وقد أفلتت هذه الأشياء في البداية من الملاحظة، ولكن بعد ذلك تم الاحتفاظ بها في حراسة. باختصار، حاول الجانبان كل وسيلة ممكنة، أحدهما لإدخال المؤن، والآخر لمنع إدخالها.

وفي غضون ذلك، أثارت الأنباء التي تفيد بأن الجيش في محنة شديدة، وأن الذرة وجدت طريقها إلى الرجال في الجزيرة، حيرة كبيرة في أثينا؛ وبدأ الأثينيون يخشون أن يأتي الشتاء ويجدوا أنفسهم ما زالوا منخرطين في الحصار. ورأوا أن قوافل المؤن حول البيلوبونيز ستصبح مستحيلة في ذلك الوقت. ولم تكن البلاد تقدم أي موارد في حد ذاتها، وحتى في الصيف لم يتمكنوا من إرسال ما يكفي من المؤن. ولم يعد من الممكن مواصلة حصار مكان بلا موانئ؛ وكان الرجال إما أن يهربوا بترك الحصار، أو ينتظروا سوء الأحوال الجوية ويبحروا في القوارب التي تحمل الذرة. وما أثار المزيد من الفزع هو موقف اللاكديمونيين، الذين اعتقد الأثينيون أنهم يشعرون بأنهم على أرض صلبة ولا يمكنهم إرسال المزيد من المبعوثين إليهم؛ وبدأوا يندمون على

رفضهم للمعاهدة. وإدراكًا منه للعداء الذي كان يُنظَر إليه بسبب وقوفه في طريق الاتفاقية، قال الآن إن المخبرين لم يقولوا الحقيقة؛ "وبعد أن أوصاهم الرسل بإرسال بعض المفوضين إذا لم يصدقوهم، اختار الأثينيون كليون نفسه وتياجينس كمفوضين. وإدراكًا منه أنه سيضطر الآن إما إلى قول ما قاله بالفعل الرجال الذين كان يفتري عليهم، أو سيُثبت كذبه إذا قال العكس، أخبر الأثينيين، الذين رأى أنهم ليسوا راغبين تمامًا في حملة جديدة، أنه بدلاً من إرسالهم وإهدار وقتهم وفرصهم، إذا صدقوا ما قيل لهم، فيجب عليهم الإبحار ضد الرجال. وأشار إلى نيسياس، ابن نيقراطوس، القائد آنذاك، الذي كان يكرهه، وقال ساخرًا إنه سيكون من السهل، إذا كان لديهم رجال كقادة، الإبحار بقوة والاستيلاء على أولئك الموجودين في الجزيرة، وأنه لو كان هو نفسه في القيادة، لكان قد فعل ذلك.

ولما رأى نيسياس أن الأثينيين يتذمرون من كليون لأنه لم يبحر الآن رغم أنه بدا له الأمر سهلاً، ورأى نفسه هدفاً للهجوم، أخبره أنه على الرغم من كل ما يهم القادة، فإنه قد يستخدم أي قوة يختارها ويحاول القيام بذلك. في البداية تصور كليون أن هذه الاستقالة كانت مجرد مجاز، وكان مستعدًا للمغادرة، ولكن عندما وجد أنه كان يقصد ذلك بجدية، تراجع، وقال إن نيسياس، وليس هو، هو الجنرال، لأنه كان خائفًا الآن، ولم يكن يتصور أبدًا أن نيسياس سيذهب إلى حد الانسحاب لصالحه. ومع ذلك، كرر نيسياس عرضه، واستقال من القيادة ضد بيلوس، واستدعى الأثينيين ليشهدوا على أنه فعل ذلك. وكما اعتاد الحشد أن يفعل، كلما تراجع كليون عن الحملة وحاول التراجع عما قاله، زاد تشجيعهم لنيسياس على تسليم قيادته، وصرخوا في كليون ليذهب. "وأخيرًا، لم يكن يعرف كيف يتجنب كلامه، فقام بالرحلة، وتقدم وقال إنه لا يخاف من اللاكيدايمونيين، ولكنه سيبحر دون أن يأخذ معه أحدًا من المدينة، باستثناء الليمنيين والإمبريين الذين كانوا في أثينا، مع بعض الرماة الذين جاءوا من إينوس، وأربعمائة من الرماة من مناطق أخرى. ومع هؤلاء والجنود في بيلوس، سيتمكن خلال عشرين يومًا من إحضار اللاكيدايمونيين أحياءً، أو قتلهم على الفور.

ولم يستطع الأثينيون أن يمنعوا أنفسهم من الضحك على حماقته، بينما عزى الرجال العقلاء أنفسهم بالتفكير في أنهم سيكسبون في أي من الحالتين؛ إما أن يتخلصوا من كليون، وهو ما كانوا يأملون فيه، أو إذا خاب أملهم في هذا التوقع، فسيقللون من اللاكيدايمونيين.

وبعد أن استقر في كل شيء في الجمعية، وانتخبه الأثينيون قائدًا للحملة، اختار ديموستينس، أحد القادة في بيلوس، زميلًا له، ودفع الاستعدادات لرحلته إلى الأمام. وقع اختياره على ديموستينس لأنه سمع أنه يفكر في النزول إلى الجزيرة؛ كان الجنود منزعجين من صعوبة الموقف، وكانوا محاصرين أكثر من كونهم محاصرين، وكانوا حريصين على القتال، في حين زاد إطلاق النار على الجزيرة من ثقة القائد. كان خائفًا في البداية، لأن الجزيرة لم تكن مأهولة بالسكان من قبل وكانت مغطاة بالكامل تقريبًا بالأشجار وبدون مسارات، معتقدًا أن هذا في صالح العدو، لأنه قد ينزل بقوة كبيرة، ومع ذلك قد يعاني من خسارة في هجوم من موقع غير مرئي. إن الغابة سوف تخفي عنه إلى حد كبير أخطاء العدو وقواته، في حين أن كل خطأ ترتكبه قواته سوف يتم اكتشافه على الفور، وسوف يكون بوسعهم بالتالي أن ينقضوا عليه فجأة حيثما شاءوا، حيث يكون الهجوم في متناول أيديهم دائمًا. من ناحية أخرى، إذا أجبرهم على الاشتباك في الغابة، فإن العدد الأصغر الذي يعرف البلاد سوف يكون له الأفضلية على العدد الأكبر الذي يجهلها، في حين أن جيشه قد يتم عزله بشكل غير محسوس، على الرغم من أعداده، حيث لن يتمكن الرجال من رؤية أين يمكنهم مساعدة بعضهم البعض.

ولم يكن للكارثة التي حلت بجزيرة إيتوليان، والتي كانت سبباً رئيسياً في نشوب الحريق، علاقة تذكر بهذه التأملات. وفي تلك الأثناء، أشعل أحد الجنود النار في قطعة صغيرة من الخشب، بسبب افتقاره إلى المساحة، دون أن يقصد القيام بذلك؛ وعندما اندلعت النيران بعد ذلك بقليل، احترقت كل الخشب تقريباً قبل أن يدرك الجنود

ذلك. وتمكن ديموستينيس الآن للمرة الأولى من رؤية عدد سكان لاكيدايمون الحقيقي، بعد أن كان يعتقد حتى تلك اللحظة أنهم يجهزون مؤناً لعدد أقل؛ كما رأى أن الأثينيين يعتبرون النجاح مهماً وأنهم قلقون بشأنه، وأن النزول على الجزيرة أصبح أسهل الآن، وبناءً على ذلك استعد للمحاولة، وأرسل قوات من الحلفاء في الجوار، وشرع في الاستعدادات الأخرى. وفي تلك اللحظة وصل كليون إلى بيلوس مع القوات التي طلبها، بعد أن أرسل رسالة ليخبرهم أنه قادم. كانت الخطوة الأولى التي اتخذها الجنرالان بعد اجتماعهما هي إرسال منادي إلى المعسكر على البر الرئيسي، ليسألهم عما إذا كانوا عازمون على تجنب كل المخاطر، ولإصدار أمر للرجال على الجزيرة بتسليم أنفسهم وأسلحتهم، والاحتفاظ بهم تحت الحراسة المشددة حتى يتم التوصل إلى اتفاق عام.

وعند رفض هذا الاقتراح، ترك الجنرالات يومًا يمر، وفي اليوم التالي، قاموا بتحميل كل مشاتهم الثقيلة على متن بضع سفن، تم إرسالها ليلًا، وقبل الفجر بقليل، نزلوا على جانبي الجزيرة من البحر المفتوح ومن الميناء، وكان عددهم حوالي ثمانمائة رجل، وتقدموا بسرعة نحو أول موقع في الجزيرة.

كان العدو قد وزع قواته على النحو التالي: في هذا الموقع الأول كان هناك حوالي ثلاثين من المشاة الثقيلة؛ وكان الجزء الأوسط والأكثر انسيابية، حيث كانت المياه، تحت سيطرة الهيئة الرئيسية، وقائدهم إيبيتاداس؛ بينما كانت مجموعة صغيرة تحرس نهاية الجزيرة، باتجاه بيلوس، التي كانت شديدة الانحدار على جانب البحر وكان من الصعب للغاية مهاجمتها من البر، وحيث كان هناك أيضًا نوع من الحصن القديم من الحجارة التي تم تجميعها بشكل غير لائق، والتي اعتقدوا أنها قد تكون مفيدة لهم، في حالة اضطرارهم إلى التراجع. كان هذا هو تصرفهم.

"لقد هُزمت المواقع المتقدمة التي هاجمها الأثينيون على الفور، وكان الرجال ما زالوا مسلحين، وكان الإنزال قد فاجأهم، حيث تصوروا أن السفن كانت تبحر كالمعتاد

إلى محطاتها ليلاً. وبمجرد أن طلع النهار، نزل بقية الجيش، أي كل أطقم السفن التي يزيد عددها على سبعين سفينة، باستثناء أدنى مرتبة من المجاديف، بالأسلحة التي كانوا يحملونها، وثمانمائة من الرماة، ومثلهم من الرماة، والتعزيزات الميسينية، وكل القوات الأخرى التي كانت في الخدمة حول بيلوس، باستثناء الحامية في الحصن. كانت تكتيكات ديموستينس قد قسمتهم إلى فرق من مائتي جندي أو أكثر، وجعلتهم يحتلون أعلى النقاط من أجل شل حركة العدو عن طريق محاصرته من كل جانب وبالتالي تركه بدون أي عدو ملموس، معرضًا لنيران جيشهم المتبادلة؛ كان من الممكن أن يستخدمه أولئك الذين في مؤخرته إذا هاجم من الأمام، والذين على أحد الأجنحة إذا تحرك ضد أولئك على الجانب الآخر. باختصار، أينما ذهب، كان المهاجمون خلفه، وهؤلاء المهاجمون خفيفو السلاح، الأكثر جرأة على الإطلاق؛ السهام والسهام والحجارة والمقاليع التي تجعلهم مخيفين عن بعد، ولأنه لا توجد وسيلة للوصول إليهم عن قرب، فقد كانوا قادرين على التغلب على الطيران، وفي اللحظة التي استدار فيها مطاردهم كانوا يهاجمونه. كانت هذه هي الفكرة التي ألهمت ديموستينس في تصوره للنزول، وأشرف على تنفيذه.

وفي الوقت نفسه، رأى الجزء الرئيسي من القوات في الجزيرة (تحت قيادة إبيتاداس) أن موقعهم قد انقطع وأن جيشًا يتقدم ضدهم، فحشدوا صفوفهم وتقدموا للأمام لمحاصرة المشاة الأثينيين الثقيلة أمامهم، وكانت القوات الخفيفة على جانبيهم ومؤخرتهم. ومع ذلك، لم يتمكنوا من الاشتباك أو الاستفادة من مهاراتهم المتفوقة، حيث كانت القوات الخفيفة تراقبهم على كلا الجانبين بصواريخها، وظل المشاة الثقيلة ثابتين بدلاً من التقدم لملاقاتهم؛ وعلى الرغم من أنهم هزموا القوات الخفيفة أينما ركضوا واقتربوا كثيرًا، إلا أنهم تراجعوا وهم يقاتلون، وكانوا مجهزين بشكل خفيف، وكانوا قادرين على الانطلاق بسهولة في رحلتهم، من الطبيعة الصعبة والوعرة للأرض، في جزيرة كانت حتى ذلك الحين صحراوية، لم يتمكن اللاكديمونيون من ملاحقتهم بدروعهم الثقيلة.

وبعد أن دامت هذه المناوشات بعض الوقت، أصبح اللاكيديمونيون عاجزين عن الانطلاق بنفس السرعة التي كانوا عليها من قبل نحو النقاط التي هاجموها، ووجدت القوات الخفيفة أنها تقاتل الآن بقوة أقل، فازدادت ثقتها بنفسها. ورأوا بأعينهم أنهم كانوا أكثر عددًا من العدو بعدة مرات؛ وأصبحوا الآن أكثر دراية بمظهره ووجدوه أقل رعبًا، ولم تبرر النتيجة المخاوف التي عانوا منها عندما هبطوا في رعب شديد عند فكرة مهاجمة اللاكيديمونيين؛ وبالتالي تحول خوفهم إلى ازدراء، فاندفعوا الآن جميعًا معًا وهم يصرخون بصوت عالٍ، وقذفوهم بالحجارة والسهام والسهام، أيهما كان أول ما يصل إليهم. وأربك الصراخ المصاحب لهجومهم اللاكيديمونيين، الذين لم يعتادوا على هذا الأسلوب من القتال؛ كان الغبار يتصاعد من الخشب المحروق حديثًا، وكان من المستحيل أن نرى أمامنا السهام والحجارة التي كانت تطير عبر سحب الغبار من أيدي العديد من المهاجمين. كان على أهل لاكيديمون الآن أن يتحملوا صراعًا فظًا؛ لم تكن قبعاتهم قادرة على منع السهام، وانكسرت السهام في دروع الجرحى، بينما كانوا هم أنفسهم عاجزين عن الهجوم، حيث مُنعوا من استخدام أعينهم لرؤية ما كان أمامهم، وغير قادرين على سماع كلمات الأوامر بسبب الضجيج الذي أثاره العدو؛ كان الخطر يحيط بهم من كل جانب، ولم يكن هناك أمل في أي وسيلة للدفاع أو الأمان.

وفي النهاية، وبعد أن أصيب العديد منهم في المساحة الضيقة التي كانوا يقاتلون فيها، تجمعوا في صفوف متقاربة وانسحبوا إلى الحصن الواقع في نهاية الجزيرة، والذي لم يكن بعيدًا، وإلى أصدقائهم الذين كانوا يحتلونه. وفي اللحظة التي انسحبوا فيها، أصبحت القوات الخفيفة أكثر جرأة وضغطت عليهم، وهي تصرخ بأعلى صوتها، وقتلت كل من صادفتهم في انسحابهم، لكن معظم أهل لاكيديمون تمكنوا من الفرار إلى الحصن، ومعهم الحامية التي كانت فيه، اصطفوا على طول امتداده بالكامل لصد العدو أينما كان في متناوله. ولم يتمكن الأثينيون الذين كانوا يطاردونهم من محاصرتهم ومحاصرتهم بسبب قوة الأرض، فهاجموهم من الأمام وحاولوا اقتحام

الموقع. لفترة طويلة، بل ولأغلب اليوم، صمد كلا الجانبين في وجه كل عذابات المعركة والعطش والشمس، حيث حاول أحدهما طرد العدو من المرتفعات، بينما حاول الآخر الحفاظ على نفسه عليها، حيث أصبح من السهل الآن على اللاكيديمونيين الدفاع عن أنفسهم أكثر من ذي قبل، حيث لم يتمكنوا من محاصرتهم من الأجنحة.

"بدأ الصراع يبدو بلا نهاية، عندما جاء قائد الميسينيين إلى كليون وديموستينيس، وأخبرهما أنهم يخسرون عملهم: ولكن إذا أعطوه بعض الرماة والقوات الخفيفة للالتفاف حول مؤخرة العدو من طريق سيتعهد بإيجاده، فقد اعتقد أنه يمكنه فرض الاقتراب. وعندما حصل على ما طلبه، انطلق من نقطة خارج نطاق الرؤية حتى لا يراه العدو، وزحف إلى حيث سمحت له منحدرات الجزيرة، وحيث لم يقم اللاكيديمونيون، الذين يثقون في قوة الأرض، بالحراسة، ونجح بعد صعوبة كبيرة في الالتفاف دون رؤيته، وظهر فجأة على الأرض المرتفعة في مؤخرتهم، مما أثار ذهول العدو المذهول وفرحًا أعظم لأصدقائه المنتظرين. وهكذا وُضع اللاكيديمونيون بين نارين، وفي نفس المعضلة، لمقارنة الأشياء الصغيرة بالأشياء الكبيرة، كما في ثيرموبيلاي، حيث انقطعت السبل أمام المدافعين بسبب التفاف الفرس على الطريق، وبدأوا في التراجع بعد أن تعرضوا للهجوم من الأمام والخلف، وتغلبت عليهم الصعوبات ضدهم واستنفدوا قواهم بسبب نقص الطعام، فتراجعوا.

كان الأثينيون قد أتقنوا بالفعل الاشتباكات عندما أدرك كليون وديموستينس أن العدو سوف يدمرهم بجنوده إذا تراجع خطوة واحدة، فأوقفا المعركة وأوقفا رجالهما؛ ورغبا في أخذ اللاكديمونيين أحياء إلى أثينا، وأملاً في أن يخف عنادهم عند سماع عرض الشروط، وأن يستسلموا ويستسلموا للخطر الساحق الحالي. وبناءً على ذلك، تم الإعلان عن ذلك لمعرفة ما إذا كانوا سيسلمون أنفسهم وأسلحتهم للأثينيين للتعامل معهم حسب تقديرهم.

ولما سمع أهل لاكيدايمون هذا العرض، خفض معظمهم دروعهم ولوحوا بأيديهم لإظهار قبولهم له. وتوقفت الأعمال العدائية الآن، وعقدت مفاوضات بين كليون وديموستينيس وستيفون، ابن فاراكس، من الجانب الآخر؛ حيث قُتل إبيتادا، أول القادة السابقين، وترك هيباجريتاس، التالي في القيادة، ليموت بين القتلى، رغم أنه لا يزال على قيد الحياة، وبالتالي انتقلت القيادة إلى ستيفون وفقًا للقانون، في حالة حدوث أي شيء لرؤسائه. وقال ستيفون ورفاقه إنهم يرغبون في إرسال منادي إلى أهل لاكيدايمون على البر الرئيسي، لمعرفة ما يجب عليهم فعله. ولم يسمح الأثينيون لأي منهم بالذهاب، بل استدعوا رسلاً من البر الرئيسي، وبعد أن تم نقل الأسئلة ذهاباً وإياباً مرتين أو ثلاث مرات، أحضر آخر رجل مر من اللاكيديمونيين في القارة هذه الرسالة: "يأمركم اللاكيديمونيون باتخاذ قرار بأنفسكم طالما لم تفعلوا شيئاً مشيناً"؛ وبعد التشاور فيما بينهم سلموا أنفسهم وأسلحتهم. وبعد أن حرسهم الأثينيون ذلك اليوم والليلة، أقاموا في صباح اليوم التالي غنائم في الجزيرة، واستعدوا للإبحار، وسلموا أسراهم على دفعات ليحرسهم قادة القوادس؛ وأرسل اللاكيديمونيون رسلاً وأخذوا قتلاهم. وكان عدد القتلى والأسرى في الجزيرة على النحو التالي: مر أربعمائة وعشرون من المشاة الثقيلة؛ وتم نقل ثلاثمائة منهم أحياء إلى أثينا باستثناء ثمانية؛ وقتل الباقون. وكان حوالي مائة وعشرين من الأسرى من الإسبرطيين. كانت الخسارة الأثينية صغيرة، لأن المعركة لم تكن عن قرب.

لقد دام الحصار في المجمل، من القتال في البحر إلى المعركة في الجزيرة، اثنين وسبعين يومًا. وخلال عشرين يومًا من هذه الأيام، أثناء غياب المبعوثين الذين أُرسِلوا لعقد صفقة السلام، كان الرجال يحصلون على المؤن، أما بقية الأيام فكانوا يطعمونهم من المهربين. وقد عُثِر على الذرة وغيرها من المواد الغذائية في الجزيرة؛ وكان القائد إيبيتاداس يبقي الرجال على نصف حصصهم. ثم سحب الأثينيون والبيلوبونيزيون قواتهم من بيلوس، وعادوا إلى ديارهم، ورغم جنون وعد كليون، فقد أوفى به، فأحضر الرجال إلى أثينا في غضون عشرين يومًا كما تعهد هو.

ولم يفاجئ اليونانيون شيئاً مما حدث في الحرب بقدر ما فاجأهم هذا. فقد كان الرأي السائد هو أن أي قوة أو مجاعة لا يمكن أن تجبر أهل لاكيديمون على التخلي عن أسلحتهم، بل إنهم سيواصلون القتال ما استطاعوا، ويموتون وهم يحملون أسلحتهم في أيديهم: والواقع أن الناس لم يصدقوا قط أن أولئك الذين استسلموا كانوا من نفس نوعية الذين سقطوا؛ ولقد تلقى أحد حلفاء أثينا، الذي سأل بعد فترة من الوقت بإهانة أحد الأسرى من الجزيرة عما إذا كان أولئك الذين سقطوا من رجال الشرف، إجابة مفادها أن السهم سيكون ذا قيمة كبيرة إذا كان قادراً على التمييز بين رجال الشرف والبقية؛ في إشارة إلى حقيقة مفادها أن القتلى هم أولئك الذين أصابتهم الحجارة والسهام.

وعند وصول الرجال، قرر الأثينيون إبقاءهم في السجن حتى يحل السلام، وإذا غزا البيلوبونيزيون بلادهم في هذه الفترة، فسيخرجونهم ويقتلونهم. وفي الوقت نفسه، لم ينسوا دفاع بيلوس؛ فقد أرسل الميسينيون من ناوباكتوس إلى بلادهم القديمة، التي كانت بيلوس تابعة لها سابقًا، بعضًا من أكثر من هم على الأرجح من بين عددهم، وبدأوا سلسلة من الغارات على لاكونيا، والتي جعلتها لهجتهم المشتركة الأكثر تدميراً. أما اللاكيديمونيون، الذين لم يجربوا حتى ذلك الحين الغارات أو الحروب من هذا النوع، فقد وجدوا الهيلوتس ينسحبون، وخافوا من زحف الثورة في بلادهم، فبدأوا يشعرون بقلق شديد، وعلى الرغم من عدم رغبتهم في إخبار الأثينيين بذلك، فقد بدأوا في إرسال مبعوثين إلى أثينا، وحاولوا استعادة بيلوس والسجناء. ومع ذلك، ظل الأثينيون يتشبثون بالمزيد، وطردوا مبعوثًا تلو الآخر دون أن يحققوا أي شيء. وكان هذا هو تاريخ قضية بيلوس.

الفصل الثالث عشر

السنة السابعة والثامنة من الحرب - نهاية الثورة الكورسيراية - سلام جيلا - الاستيلاء على نيسيايا

وفي نفس الصيف، وبعد هذه الأحداث مباشرة، قام الأثينيون بحملة ضد إقليم كورنثوس، بثمانين سفينة وألفي جندي من المشاة الثقيلة الأثينيين ومائتي فارس على متن مركبات نقل الخيول، برفقة الميليسيين والأندريين والكاريستيين من الحلفاء، تحت قيادة نيسياس، ابن نيسيراتوس، مع اثنين من زملائه. وبعد أن أبحروا إلى البحر، وصلوا إلى البر عند شروق الشمس بين خيرسونيس وريتوس، على شاطئ البلاد الواقعة تحت تلة سوليجيا، التي أقام عليها الدوريون في العصور القديمة وشنوا حربًا ضد سكان كورنث الأيوليين، حيث توجد الآن قرية تسمى سوليجيا. يقع الشاطئ الذي وصل إليه الأسطول على بعد ميل ونصف من القرية، وسبعة أميال من كورنث، وميلين وربع من البرزخ. كان أهل كورنثوس قد سمعوا من أرجوس بقدوم الأسلحة الأثينية، وكانوا قد وصلوا جميعًا إلى البرزخ قبل ذلك بوقت طويل، باستثناء أولئك الذين عاشوا وراءه، بالإضافة إلى خمسمائة شخص كانوا بعيدًا في حامية في أمبراسيا وليوكاديا؛ وكانوا هناك بكامل قوتهم يراقبون الأثينيين وهم ينزلون على البر. لكن هؤلاء الأخيرين أفلتوا من أيديهم بقدومهم في الظلام؛ وبعد أن علموا من خلال إشارات بأن الكورنثيين تركوا نصف عددهم في كنخريا، في حالة توجه الأثينيون ضد كروميون، ساروا بكل سرعة لإنقاذهم.

"وكان باتوس، أحد القائدين اللذين حضرا المعركة، قد ذهب برفقة سرية للدفاع عن قرية سوليجيا التي كانت غير محصنة؛ وبقي ليكوفرون ليخوض المعركة مع بقية الجيش. وهاجم الكورنثيون أولاً الجناح الأيمن للأثينيين، الذي كان قد نزل للتو أمام خيرسونيسي، ثم هاجموا بعد ذلك بقية الجيش. وكانت المعركة عنيدة، وخاضت طوال الوقت جنبًا إلى جنب. واستقبل الجناح الأيمن للأثينيين والكاريستيين، الذين

كانوا في نهاية الصف، الكورنثيين وتمكنوا بصعوبة من صدهم، ثم تراجع الكورنثيون إلى جدار على الأرض المرتفعة خلفهم، وألقوا عليهم الحجارة، ثم عادوا مرة أخرى وهم ينشدون التراتيل، وعندما استقبلهم الأثينيون، اشتبكوا مرة أخرى عن قرب. في هذه اللحظة، جاءت سرية كورنثية لنجدة الجناح الأيسر، وهزمت الجناح الأيمن الأثيني وطاردته حتى البحر، حيث طردهم الأثينيون والكاريستيون بدورهم من السفن. وفي الوقت نفسه، واصل بقية الجيش على الجانبين القتال بعناد، وخاصة الجناح الأيمن للكورنثيين، حيث صمد ليكوفرون في وجه هجوم الجناح الأيسر الأثيني، الذي كان يُخشى أن يحاول الاستيلاء على قرية سوليجيا.

وبعد أن صمد الأثينيون لفترة طويلة دون أن يستسلم أي منهما، هزموا أخيرًا بمساعدة خيولهم، التي لم يكن العدو يمتلكها، الكورنثيين، الذين تراجعوا إلى التل، وتوقفوا هناك وظلوا هادئين، دون أن يتراجعوا مرة أخرى. وكان هذا الهزيمة التي لحقت بالجناح الأيمن هي التي قتلت منهم أكبر عدد، وكان قائدهم ليكوفرون من بين العدد. أما بقية الجيش، الذين هُزموا وهُزموا بهذه الطريقة دون أن يُطاردوا أو يُعجَّلوا، فقد تراجعوا إلى المرتفعات واتخذوا مواقعهم هناك. ولما وجد الأثينيون أن العدو لم يعد يعرض عليهم القتال، جردوا قتلاهم وأخذوا قتلاهم وأقاموا على الفور غنائم. وفي غضون ذلك، اكتشف نصف الكورنثيين الذين غادروا إلى سينخريا للحماية من الأثينيين الذين أبحروا على كروميون، على الرغم من عدم قدرتهم على رؤية معركة جبل أونيون، ما كان يحدث من خلال الغبار، وسارعوا إلى الإنقاذ؛ كما فعل أيضًا الكورنثيون الأكبر سنًا من المدينة، عندما اكتشفوا ما حدث. ولما رأى الأثينيون أن كل هؤلاء يتقدمون ضدهم، وظنوا أنهم تعزيزات قادمة من البيلوبونيز المجاورة، انسحبوا على عجل إلى سفنهم ومعهم غنائمهم وجثثهم، باستثناء اثنين تركوهما وراءهم، إذ لم يتمكنوا من العثور عليهما، وصعدوا على متن السفينة وعبروا إلى الجزر المقابلة، ومن هناك أرسلوا منادياً، وأخذوا الجثث التي تركوها وراءهم تحت

الهدنة. وسقط في المعركة مائتان واثنا عشر من أهل كورنثوس، وأقل من خمسين من أهل أثينا.

وبعد أن صعد الأثينيون إلى الجزر، أبحروا في اليوم نفسه إلى كروميون في إقليم كورنثيين، على بعد حوالي ثلاثة عشر ميلاً من المدينة، وعندما وصلوا إلى المرسى، أفسدوا البلاد، وقضوا الليل هناك. وفي اليوم التالي، بعد أن ساروا أولاً على طول أراضي إبيداوروس ونزولهم هناك، وصلوا إلى ميثانا بين إبيداوروس وترويزن، وبنوا جدارًا عبر برزخ شبه الجزيرة وحصنوه، وتركوا هناك موقعًا بدأوا من خلاله في شن الغارات على بلاد ترويزن وهاليبا وإبيداوروس. وبعد أن حاصروا هذا المكان، أبحر الأسطول عائدًا إلى دياره.

وبينما كانت هذه الأحداث جارية، أبحر يوريمدون وسوفوكليس مع الأسطول الأثيني من بيلوس في طريقهم إلى صقلية، وعندما وصلا إلى كورسيرا، انضما إلى سكان المدينة في حملة ضد الحزب الذي تأسس على جبل إستون، والذي عبر، كما ذكرت، بعد الثورة وأصبح أسياد البلاد، مما ألحق ضررًا كبيرًا بسكانها. وبعد أن استولى الهجوم على معقلهم، لجأت الحامية إلى مجموعة على أرض مرتفعة واستسلمت هناك، ووافقت على تسليم مساعديها المرتزقة، وإلقاء أسلحتهم، وتسليم أنفسهم لتقدير الشعب الأثيني. حملهم الجنرالات عبر الهدنة إلى جزيرة بتيخيا، حيث احتُجزوا حتى يمكن إرسالهم إلى أثينا، على أن يخسر الجميع الاستفادة من المعاهدة إذا تم القبض على أي منهم وهو هارب. وفي الوقت نفسه، لجأ زعماء عامة أهل كورسيرا، خوفًا من أن ينقذ الأثينيون حياة الأسرى، إلى الحيلة التالية. فقد نجحوا في كسب تأييد بضعة رجال على الجزيرة بإرسال أصدقاء سرًا يحملون تعليمات بتزويدهم بقارب، وإخبارهم، وكأنهم يفعلون ذلك من أجل مصلحتهم الخاصة، بأن عليهم الفرار في أسرع وقت ممكن، لأن القادة الأثينيين كانوا على وشك تسليمهم لأهل كورسيرا.

وبعد هذه التصريحات، تم الترتيب بحيث تم القبض على الرجال وهم يبحرون في القارب الذي تم توفيره، وأصبحت المعاهدة باطلة تبعًا لذلك، وتم تسليم الجثة بالكامل إلى الكورسيرايين. وكان القادة الأثينيون مسؤولين إلى حد كبير عن هذه النتيجة؛ فقد شجع عدم رغبتهم الواضح في الإبحار إلى صقلية، وبالتالي ترك شرف قيادة الرجال إلى أثينا للآخرين، المتآمرين على خطتهم وبدا أنهم يؤكدون صحة تصريحاتهم. حبس الكورسيرايون السجناء الذين تم تسليمهم بهذه الطريقة في مبنى كبير، ثم أخرجوهم بعد عشرين عامًا وقادوهم عبر صفين من المشاة الثقيلة، واحد على كل جانب، مقيدين معًا، وضربهم وطعنهم الرجال في الصفين كلما رأى أي شخص عدوًا شخصيًا يمر؛ بينما كان الرجال يحملون السوط يمرون بجانبهم ويسرعون في الطريق أولئك الذين يسيرون ببطء شديد.

"وتم إخراج ما يصل إلى ستين رجلاً وقتلهم بهذه الطريقة دون علم أصدقائهم في المبنى، الذين تصوروا أنهم كانوا ينقلون من سجن إلى آخر فحسب. ولكن في النهاية، فتح أحدهم أعينهم على الحقيقة، فطلبوا من الأثينيين قتلهم بأنفسهم، إذا كان هذا هو ما يرضيهم، ورفضوا الخروج من المبنى، وقالوا إنهم سيفعلون كل ما في وسعهم لمنع أي شخص من الدخول. لم يرغب أهل كورسيرا في إجبار أنفسهم على المرور من الأبواب، فصعدوا إلى أعلى المبنى، وكسروا السقف، وألقوا بالبلاط وأطلقوا السهام عليهم، فاختبأ السجناء من تحته قدر استطاعتهم. وفي الوقت نفسه، كان معظمهم مشغولين بقتل أنفسهم بطعن أنفسهم بالسهام التي أطلقها العدو في حلوقهم، وشنقوا أنفسهم بالحبال المأخوذة من بعض الأسرة التي كانت موجودة هناك، وبشرائط مصنوعة من ملابسهم؛ "وباختصار، تبنوا كل الوسائل الممكنة لتدمير أنفسهم، كما وقعوا ضحايا لقذائف أعدائهم على السطح. وجاء الليل بينما كانت هذه الأهوال تتجسد، وقد مر معظمها قبل أن تنتهي. وعندما حل النهار، ألقاهم أهل كورسيرا في طبقات على عربات وحملوهم خارج المدينة. وبيعت جميع النساء اللاتي أسرن في الحصن كعبيد. وبهذه الطريقة، دمر عامة الناس أهل كورسيرا في

الجبل؛ وهكذا انتهى الصراع الحزبي بعد تجاوزات مروعة، على الأقل فيما يتعلق بفترة هذه الحرب، حيث لم يتبق من حزب واحد أي شيء عمليًا. وفي غضون ذلك، أبحر الأثينيون إلى صقلية، وجهتهم الرئيسية، واستمروا في الحرب مع حلفائهم هناك.

وفي نهاية الصيف، قام الأثينيون في ناوباكتوس والأكارنانيون بحملة ضد أناكتوريوم، المدينة الكورنثية الواقعة عند مصب خليج أمبراسيان، واستولوا عليها بالخيانة؛ وقام الأكارنانيون أنفسهم، بإرسال المستوطنين من جميع أنحاء أكارنانيا، واحتلوا المكان.

لقد انتهى الصيف الآن. وخلال الشتاء التالي، ألقى أريستيدس، ابن أرخيبس، أحد قادة السفن الأثينية المرسلة لجمع الأموال من الحلفاء، القبض على أرتافرنس الفارسي في إيون، على نهر ستريمون، أثناء توجهه من الملك إلى لاكيدايمون. وقد اقتيد إلى أثينا، حيث قام الأثينيون بترجمة رسائله من اللغة الآشورية وقراءتها. وبإشارات عديدة إلى مواضيع أخرى، أخبروا اللاكيدايمونيين أن الملك لا يعرف ما يريدونه، حيث لم يروي اثنان من السفراء العديدين الذين أرسلوهم إليه نفس القصة؛ ولكن إذا كانوا مستعدين للتحدث بصراحة، فقد يرسلون إليه بعض المبعوثين مع هذا الفارسي. بعد ذلك، أرسل الأثينيون أرتافرنس في سفينة شراعية إلى أفسس، ومعه سفراء، الذين سمعوا هناك بوفاة الملك أرتافرنس، ابن أحشويروش، التي حدثت في ذلك الوقت تقريبًا، فعادوا إلى ديارهم.

وفي نفس الشتاء هدم أهل خيوس سورهم الجديد بأمر من الأثينيين، الذين شكوا في أنهم يخططون للتمرد، بعد أن حصلوا أولاً على تعهدات من الأثينيين، وأعطوهم الضمانات بقدر ما أمكنهم لمواصلة معاملتهم كما كانوا من قبل. وهكذا انتهى الشتاء، وانتهت معه السنة السابعة من هذه الحرب التي يؤرخ لها ثوسيديديس.

وفي الأيام الأولى من الصيف التالي حدث كسوف للشمس في وقت ظهور القمر الجديد، وفي وقت مبكر من نفس الشهر حدث زلزال. وفي غضون ذلك، انطلق

المنفيون من ميتيليني وغيرهم من المنفيين من السحاقيات، معظمهم من القارة، ومعهم مرتزقة مستأجرون في بيلوبونيز، وآخرون جُندوا في المكان، واستولوا على روتيوم، لكنهم أعادوا ترميمها دون ضرر بعد استلام ألفي ستاتر فوكائي. وبعد ذلك ساروا ضد أنتاندروس واستولوا على المدينة بالخيانة، وكانت خطتهم تحرير أنتاندروس وبقية مدن أكتاي، التي كانت مملوكة سابقًا لميتيلين ولكنها الآن تحت سيطرة الأثينيين. وبمجرد تحصينهم هناك، سيكون لديهم كل المرافق اللازمة لبناء السفن من جوار إيدا والوفرة الناتجة عن ذلك من الأخشاب، والكثير من الإمدادات الأخرى، ويمكنهم من هذه القاعدة تدمير ليسبوس بسهولة، التي لم تكن بعيدة، وجعلوا أنفسهم سادة المدن الأيولية في القارة.

وبينما كانت هذه خطط المنفيين، قام الأثينيون في نفس الصيف بحملة عسكرية تضم ستين سفينة وألفي جندي مشاة ثقيل وعدد قليل من الفرسان وبعض القوات المتحالفة من ميليتوس وأجزاء أخرى ضد كيثيرا، تحت قيادة نيسياس بن نيسيراتوس، ونيكوستراتوس بن ديوتريفس، وأوتوكليس بن تولماوس. كيثيرا هي جزيرة تقع قبالة لاكونيا، مقابل ماليا؛ وسكانها من اللاكديمونيين من طبقة البيريويكيين؛ وكان ضابط يُدعى قاضي كيثيرا يذهب إلى المكان سنويًا من أسبرطة. كما تم إرسال حامية من المشاة الثقيلة بانتظام إلى هناك، وأولوا الجزيرة اهتمامًا كبيرًا، حيث كانت مكان هبوط السفن التجارية من مصر وليبيا، وفي الوقت نفسه أمّنوا لاكونيا من هجمات القراصنة من البحر، عند النقطة الوحيدة التي يمكن مهاجمتها فيها، حيث يرتفع الساحل بالكامل بشكل مفاجئ نحو البحار الصقلية والكريتية.

وبعد أن وصل الأثينيون إلى هنا بعتادهم، استولوا على مدينة سكانديا الواقعة على البحر، ومعهم عشر سفن وألفي جندي مشاة ثقيل من ميليسيا، ومعهم بقية قواتهم التي هبطت على جانب الجزيرة المطل على ماليا، هاجموا مدينة كيثيرا

السفلى، حيث وجدوا جميع السكان معسكرين. ودارت معركة، وتمكن الكيثيريون من الصمود لبعض الوقت، ثم استداروا وفروا إلى المدينة العليا، حيث استسلموا بعد ذلك بقليل لنيكياس وزملائه، ووافقوا على ترك مصيرهم لقرار الأثينيين، لأن حياتهم فقط كانت آمنة. وكانت هناك مراسلات جارية مسبقًا بين نيسياس وبعض السكان، مما أدى إلى تنفيذ الاستسلام بشكل أسرع، وبشروط أكثر فائدة، في الحاضر والمستقبل، للكيثيريين؛ الذين لولا ذلك لكان الأثينيون قد طردوهم بسبب كونهم من سكان لاكونيا وقرب جزيرتهم من لاكونيا. وبعد الاستسلام، احتل الأثينيون مدينة إسكنديا بالقرب من الميناء، وأقاموا حامية في كيثيرا، وأبحروا إلى أسين وهيلوس ومعظم الأماكن على البحر، وقاموا بالنزول وتمضية الليل على الشاطئ في الأماكن المناسبة، واستمروا في تخريب البلاد لمدة سبعة أيام تقريبًا.

ولما رأى أهل لاكيدايمون أن الأثينيين قد استولوا على سيثيرا، وتوقعوا نزولاً من هذا القبيل على سواحلهم، لم يعارضوهم في أي مكان بالقوة، بل أرسلوا حاميات هنا وهناك عبر البلاد، تتألف من عدد كبير من المشاة الثقيلة بقدر ما يبدو أن النقاط المهددة تتطلبها، ووقفوا عمومًا في موقف دفاعي للغاية. وبعد الضربة الشديدة غير المتوقعة التي حلت بهم في الجزيرة، واحتلال بيلوس وسيثيرا، وظهور حرب على كل جانب كانت سرعتها تتحدى الحذر، عاشوا في خوف دائم من الثورة الداخلية، واتخذوا الآن الخطوة غير العادية بحشد أربعمائة حصان وقوة من الرماة، وأصبحوا أكثر جبنًا من أي وقت مضى في الأمور العسكرية، ووجدوا أنفسهم متورطين في صراع بحري، لم تفكر منظمتهم قط في خوضه، وكان ذلك الصراع ضد الأثينيين، الذين كانوا ينظرون دائمًا إلى أي مغامرة غير مدروسة على أنها تضحية بالنجاح. فضلاً عن ذلك، فإن نكساتهم العديدة الأخيرة، والتي اقتربت من بعضها البعض دون أي سبب، قد أرهقتهم تمامًا، وكانوا دائمًا خائفين من وقوع كارثة ثانية مثل تلك التي حدثت على الجزيرة، وبالتالي لم يجرؤوا على النزول إلى الميدان، بل تصوروا أنهم لا يستطيعون

التحرك دون ارتكاب خطأ، لأنهم كانوا جددًا في تجربة الشدائد فقد فقدوا كل الثقة في أنفسهم.

وعلى هذا فقد سمحوا للأثينيين الآن بتخريب ساحلهم دون أن يقوموا بأي تحرك، وكانت الحاميات التي نُزِلَت إلى جوارهم تعتقد دائمًا أن أعدادها غير كافية، وكانت تتقاسم الشعور العام. ولقد أثارت حامية واحدة تجرأت على المقاومة، بالقرب من كوتيرا وأفروديسيا، الرعب بهجومها على الحشد المتناثر من القوات الخفيفة، ولكنها تراجعت، عندما استقبلها المشاة الثقيلة، وخسرت بضعة رجال وبعض الأسلحة، فنصب الأثينيون غنائمهم، ثم أبحروا إلى كيثيرا. ومن هناك أبحروا حول إبيداوروس ليميرا، وخرّبوا جزءًا من البلاد، ثم وصلوا إلى ثيريا في إقليم سينورا، على الحدود الأرجوسية واللاكونية. وقد أعطى أصحابها اللاكديمونيون هذه المنطقة إلى الإيجينيتيين المطرودين للسكن فيها، في مقابل خدماتهم الطيبة في وقت الزلزال وانتفاضة الهيلوتس؛ وأيضاً لأنه على الرغم من كونهم رعايا أثينا، إلا أنهم كانوا دائماً في صف لاكيدايمون.

وبينما كان الأثينيون لا يزالون في البحر، أخلى الأجينيون حصنًا كانوا يبنونه على الساحل، وتراجعوا إلى المدينة العليا حيث كانوا يعيشون، على بعد أكثر من ميل من البحر. ورفضت إحدى حاميات منطقة لاكيدايمونيان التي كانت تساعدهم في العمل، الدخول إلى هناك معهم بناءً على طلبهم، حيث اعتقدوا أنه من الخطر حبس أنفسهم داخل الجدار، وتراجعوا إلى الأرض المرتفعة وظلوا هادئين، ولم يعتبروا أنفسهم نداً للعدو. وفي غضون ذلك، نزل الأثينيون، وتقدموا على الفور بكل قواتهم واستولوا على ثيريا. وأحرقوا المدينة، ونهبوا ما فيها؛ أما الأجينيون الذين لم يقتلوا في المعركة، فقد أخذوهم معهم إلى أثينا، مع تانتالوس، ابن باتروكليس، قائدهم اللاكيدايموني، الذي جُرح وأسر. كما أخذوا معهم بضعة رجال من كيثيرا رأوا أنه من الأكثر أمانًا نقلهم. قرر الأثينيون أن يستقروا في الجزر: وكان من المقرر أن يحتفظ

بقية الكيثيريين بأراضيهم وأن يدفعوا جزية قدرها أربعة تالنتات؛ وكان من المقرر أن يُقتل الإيجينيانيون الذين أُسروا بسبب العداء القديم المتجذر؛ وكان من المقرر أن يشارك تانتالوس في سجن اللاكيدايمونيين الذين أُسروا في الجزيرة.

وفي نفس الصيف، عقد سكان كامارينا وجيلا في صقلية هدنة فيما بينهم، وبعد ذلك اجتمعت سفارات من جميع المدن الصقلية الأخرى في جيلا لمحاولة تحقيق السلام. وبعد العديد من التعبيرات عن الرأي من جانب ومن جانب آخر، وفقًا لأحزان وذرائع الأطراف المختلفة المتذمرة، وجه هرموكراتس، ابن هيرمون، وهو من أهل سيراقوس، وهو الرجل الأكثر نفوذاً بينهم، الكلمات التالية إلى الجمعية:

"إذا كنت أتحدث إليكم الآن، أيها الصقليون، فليس ذلك لأن مدينتي هي الأقل أو الأكثر تضرراً من الحرب في صقلية، بل من أجل إعلان ما يبدو لي أنه أفضل سياسة للجزيرة بأكملها. إن فكرة أن الحرب شر هي فكرة مألوفة لدى الجميع لدرجة أنه سيكون من الممل طرحها. لا أحد يُجبر على الانخراط فيها بسبب الجهل، أو يُمنع من المشاركة فيها بسبب الخوف، إذا كان يتصور أن هناك أي فائدة يمكن الحصول عليها منها. بالنسبة للأول، تبدو الفائدة أكبر من الخطر، بينما يفضل الثاني تحمل المخاطر بدلاً من تحمل أي تضحية فورية. ولكن إذا حدث أن اختار كلاهما اللحظة الخطأ للتصرف بهذه الطريقة، فلن تكون النصيحة بإحلال السلام غير مجدية؛ وهذا، إذا رأينا ذلك، هو بالضبط ما نحتاج إليه أكثر في المرحلة الحالية.

"أفترض أن لا أحد سيجادل في أننا ذهبنا إلى الحرب في البداية من أجل خدمة مصالحنا المتعددة، وأننا الآن، في ضوء نفس المصالح، نناقش كيف يمكننا صنع السلام؛ وإذا انفصلنا دون أن يكون لنا، كما نعتقد، حقوقنا، فسوف نخوض الحرب مرة أخرى. ومع ذلك، وباعتبارنا رجالاً عقلانيين، يجب أن نرى أن مصالحنا المنفصلة ليست وحدها على المحك في المؤتمر الحالي: هناك أيضًا مسألة ما إذا كان لدينا ما زال الوقت لإنقاذ صقلية، والتي في رأيي كلها مهددة بالطموح الأثيني؛ ويجب أن نجد

باسم هذا الشعب حججًا أكثر إلحاحًا للسلام من أي شيء يمكنني تقديمه، عندما نرى القوة الأولى في اليونان تراقب أخطائنا بالسفن القليلة التي لديها حاليًا في مياهنا، وتحت الاسم العادل للتحالف تسعى بشكل زائف إلى تحويل العداء الطبيعي القائم بيننا إلى حساب. إذا ذهبنا إلى الحرب، واستدعينا لمساعدتنا شعبًا مستعدًا بما يكفي لحمل أسلحته حتى حيث لا يتم دعوتهم؛ وإذا كنا نؤذي أنفسنا على حسابنا الخاص، وفي نفس الوقت نعمل كرواد لسيادتهم، فيمكننا أن نتوقع، عندما يروننا منهكين، أنهم سيأتون ذات يوم بسلاح أكبر، وسيسعون إلى إخضاعنا جميعًا.

"ومع ذلك، فإذا ما استدعينا حلفاءنا وهددناهم، باعتبارنا رجالاً عقلاء، فيجب أن يكون ذلك من أجل إثراء بلداننا المختلفة بمكتسبات جديدة، وليس تدمير ما تمتلكه بالفعل؛ ويجب أن ندرك أن الخلافات الداخلية التي تدمر المجتمعات بشكل عام، سوف تدمر صقلية بنفس القدر، إذا ما أهملنا نحن سكانها، المنغمسين في نزاعاتنا المحلية، العدو المشترك. ويجب أن توفق هذه الاعتبارات بين الفرد والمدينة، وتوحدنا في جهد مشترك لإنقاذ صقلية بأكملها. ولا ينبغي لأحد أن يتصور أن الدوريين هم أعداء أثينا فقط، في حين أن العرق الخالسيدي آمن بدمائه الأيونية؛ فالهجوم المذكور ليس مستوحى من كراهية إحدى الجنسيتين، بل من الرغبة في الأشياء الجيدة في صقلية، الملكية المشتركة لنا جميعًا. ويثبت هذا الاستقبال الأثيني للدعوة الخالسيدية: فالحليف الذي لم يقدم لهم أي مساعدة على الإطلاق، يتلقى منهم على الفور أكثر مما يحق له بموجب المعاهدة. إن اعتزاز الأثينيين بهذه الطموحات وممارسة هذه السياسة أمر مبرر للغاية؛ وأنا لا ألوم أولئك الذين يرغبون في الحكم، بل أولئك الذين هم على استعداد مفرط للخدمة. فمن طبيعة البشر أن يحكموا أولئك الذين يخضعون لهم، كما أن من طبيعة البشر أن يقاوموا أولئك الذين يضايقونهم؛ فالأمر لا يقل ثباتًا عن الآخر. وفي الوقت نفسه، فإن كل من يرى هذه الأخطار ويرفض توفيرها على النحو اللائق، أو أولئك الذين أتوا إلى هنا دون أن يقرروا أن واجبنا الأول هو الاتحاد للتخلص من الخطر المشترك، مخطئون. إن أسرع طريقة

للتخلص من هذا الخطر هي إحلال السلام بيننا؛ لأن الأثينيين لا يهددوننا من بلادهم، بل من بلاد أولئك الذين دعوهم إلى هنا. وبهذه الطريقة، بدلاً من اندلاع الحرب، ينهي السلام بهدوء نزاعاتنا؛ وسيكون لدى الضيوف الذين يأتون إلى هنا بحجج عادلة لتحقيق غايات سيئة، سبب وجيه للرحيل دون تحقيق تلك الغايات.

"إن هذه هي المزايا العظيمة التي أثبتتها السياسة الحكيمة فيما يتعلق بالأثينيين. وبصرف النظر عن هذا، وفي مواجهة الإجماع العالمي على أن السلام هو أول النعم، فكيف يمكننا أن نرفض إحلاله بيننا؛ أو ألا تعتقدون أن الخير الذي تتمتعون به، والشرور التي تشكون منها، من الأفضل الحفاظ عليها وعلاجها بالهدوء من الحرب؛ وأن السلام له شرفه وروعته من نوع أقل خطورة، ناهيك عن النعم العديدة الأخرى التي قد يتوسع المرء في الحديث عنها، مع البؤس الذي لا يقل عددًا عن الحرب؟ يجب أن تعلمكم هذه الاعتبارات ألا تتجاهلوا كلماتي، بل أن تنظروا إليها كل فرد من أجل سلامته. إذا كان هناك أي شخص هنا يشعر بأنه متأكد إما بالحق أو بالقوة من تحقيق هدفه، فلا تدع هذه المفاجأة تكون خيبة أمل شديدة بالنسبة له. دعه يتذكر أن العديد من الأشخاص حاولوا قبل الآن معاقبة مرتكب الخطأ، وفشلوا في معاقبة عدوهم لم ينقذوا أنفسهم حتى؛ إن العديد من الذين وثقوا بالقوة لتحقيق ميزة، بدلاً من الحصول على أي شيء آخر، حُكِم عليهم بخسارة ما لديهم. إن الانتقام لا ينجح بالضرورة لأن الخطأ قد وقع، أو القوة مؤكدة لأنها واثقة؛ لكن العنصر الذي لا يمكن حسابه في المستقبل يمارس أوسع تأثير، وهو الأكثر غدرًا، ومع ذلك فهو في الواقع الأكثر فائدة من كل الأشياء، لأنه يخيفنا جميعًا على قدم المساواة، وبالتالي يجعلنا نفكر قبل مهاجمة بعضنا البعض.

"ولنسمح الآن للخوف غير المحدد من هذا المستقبل المجهول، والرعب المباشر من وجود الأثينيين، بإحداث انطباعهم الطبيعي، ولنعتبر أي فشل في تنفيذ البرامج التي قد يكون كل منا قد رسمها لأنفسنا على أنه مبرر بشكل كافٍ بهذه العقبات،

ولنطرد الدخيل من البلاد؛ وإذا كان السلام الدائم مستحيلاً بيننا، فلنعقد على أي حال معاهدة لأطول فترة ممكنة، ولنؤجل خلافاتنا الشخصية إلى يوم آخر. وفي النهاية، دعونا ندرك أن تبني نصيحتي سيجعل كل منا مواطنًا في دولة حرة، وبصفتنا حكامًا لمصيرنا، قادرين على رد الخدمات الجيدة أو السيئة بنفس التأثير؛ بينما سيجعل رفضها منا معتمدين على الآخرين، وبالتالي ليس فقط عاجزين عن صد الإهانة، ولكن على افتراض أكثر ملاءمة، أصدقاء لأعدائنا اللدودين، وفي عداوة مع أصدقائنا الطبيعيين.

"أما أنا، فكما قلت في البداية، ممثل مدينة عظيمة، وقادرة على التفكير في الدفاع عن نفسي أكثر من مهاجمة الآخرين، فأنا مستعد للتنازل عن شيء ما في التنبؤ بهذه المخاطر. لست ميالاً إلى تدمير نفسي من أجل إيذاء أعدائي، أو أعمى العداوة بصري إلى الحد الذي يجعلني أعتقد أنني أحكم خططي ومصيري بنفس القدر الذي لا أستطيع التحكم فيه؛ لكنني مستعد للتنازل عن أي شيء بحكمة. أدعو بقيةكم إلى تقليد سلوكي بإرادتكم الحرة، دون أن يضطركم العدو إلى ذلك. لا يوجد عار في أن تفسح العلاقات المجال لبعضها البعض، دوريان لدوريان، أو خلقيدي لإخوانه؛ وفوق كل هذا نحن جيران، ونعيش في نفس البلد، ومحاطون بنفس البحر، ونستخدم نفس اسم الصقليين. أعتقد أننا سنخوض الحرب مرة أخرى عندما يحين الوقت، وسنعقد السلام مرة أخرى فيما بيننا من خلال المؤتمرات المستقبلية؛ "ولكن إذا كنا حكماء، فسوف نجد أنفسنا متحدين ضد الغزاة الأجانب دائمًا، لأن أذى شخص واحد يشكل خطرًا على الجميع؛ ولن ندعو أبدًا في المستقبل حلفاء أو وسطاء إلى الجزيرة. ومن خلال التصرف على هذا النحو، فإننا في الوقت الحاضر نقدم خدمة مزدوجة لصقلية، حيث نخلصها من الأثينيين والحرب الأهلية في آن واحد، وفي المستقبل سنعيش في حرية في وطننا، ونكون أقل عرضة للتهديد من الخارج".

كانت هذه كلمات هيرموقراطس. واستمع الصقليون إلى نصيحته، وتوصلوا إلى تفاهم فيما بينهم لإنهاء الحرب، واحتفظ كل منهم بما لديه . فاستولي الكامارينيون على مورجانتينا بثمن محدد يدفعه للسيراقسيين . واستدعى حلفاء الأثينيين الضباط في القيادة، وأخبروهم أنهم سيعقدون السلام وأنهم سيشملون في المعاهدة. ووافق القادة، وتم عقد السلام، وبعد ذلك أبحر الأسطول الأثيني بعيداً عن صقلية. وعند وصولهم إلى أثينا، نفى الأثينيون فيثودوروس وسوفوكليس، وفرضوا غرامة على يوريميدون لأنه أخذ رشاوى ليغادر بينما كان بوسعهم إخضاع صقلية. لقد أقنع الرخاء الحالي المواطنين إلى حد كبير بأن لا شيء يستطيع أن يصمد أمامهم، وأنهم قادرون على تحقيق ما هو ممكن وغير عملي على حد سواء، بوسائل وفيرة أو غير كافية. وكان سر هذا هو نجاحهم الاستثنائي العام، الذي جعلهم يخلطون بين قوتهم وآمالهم.

وفي نفس الصيف بدأ سكان المدينة، الذين كانوا يعانون من ضغوط الأعمال العدائية التي شنها عليهم الأثينيون، الذين كانوا يغزون بلادهم مرتين كل عام بكل قواتهم، والذين كانوا يعانون من غزوات منفييهم في بيجاي، الذين طردتهم ثورة الحزب الشعبي، يتساءلون فيما بينهم عما إذا كان من الأفضل لهم أن يستقبلوا منفييهم مرة أخرى، ويحرروا المدينة من إحدى آفتيها. ولما أدرك أصدقاء المهاجرين الاضطرابات، طالبوا الآن بشكل أكثر صراحة من ذي قبل بتبني هذا الاقتراح؛ ولما رأى زعماء العامة أن معاناة العصر قد أرهقت ثبات أنصارهم، دخلوا في فزع في مراسلات مع القائدين الأثينيين، أبقراط بن أريفرون، وديموستينس بن ألكستينس، وقرروا خيانة المدينة، لأنهم رأوا أن هذا أقل خطورة عليهم من عودة الحزب الذي نفواه. وبناء على ذلك تم الاتفاق على أن يستولي الأثينيون أولاً على الأسوار الطويلة الممتدة لمسافة ميل تقريبًا من المدينة إلى ميناء نيصيا، لمنع البيلوبونيزيين من القدوم للإنقاذ من ذلك المكان، حيث شكلوا الحامية الوحيدة لتأمين ولاء ميجارا؛

وبعد ذلك يتم إجراء محاولة لوضع المدينة العليا في أيديهم، والتي كان يُعتقد أنها ستسيطر عليها بعد ذلك بصعوبة أقل.

"وبعد أن اتفق الأثينيون مع مبعوثيهم على الأقوال والأفعال، أبحروا ليلاً إلى جزيرة مينوا قبالة ميجارا، ومعهم ستمائة جندي من المشاة الثقيلة تحت قيادة أبقراط، واتخذوا موقعاً في محجر ليس بعيداً عن هناك، حيث كان من المعتاد أن تؤخذ الطوب منه لبناء الجدران؛ بينما نصب ديموستينس، القائد الآخر، ومعه مفرزة من القوات الخفيفة من بلاتيا وأخرى من بيريبولي، كميناً في منطقة إينياليوس، التي كانت أقرب. ولم يعلم أحد بذلك، إلا أولئك الذين كان من واجبهم أن يعرفوا ذلك في تلك الليلة. وقبل الفجر بقليل، بدأ الخونة في ميجارا في التحرك. "لقد اعتادوا كل ليلة منذ زمن طويل، بحجة النهب، وبموافقة الضابط المسؤول، أن يحملوا قاربًا للتجديف على عربة على طول الخندق إلى البحر، ثم يبحرون به، ويعيدونه مرة أخرى قبل الفجر على العربة، ويأخذونه إلى داخل الجدار عبر البوابات، وذلك من أجل خداع الحصار الأثيني في مينوا، حيث لم يكن هناك أي قارب يمكن رؤيته في الميناء، كما زعموا. في المناسبة الحالية، كانت العربة بالفعل عند البوابات، التي تم فتحها بالطريقة المعتادة للقارب، عندما رأى الأثينيون، الذين تم الاتفاق معهم على هذا، ذلك، وركضوا بأقصى سرعتهم من الكمين من أجل الوصول إلى البوابات قبل إغلاقها مرة أخرى، وبينما كانت العربة لا تزال هناك لمنع إغلاقها، قتل شركاؤهم الميجاريون في نفس اللحظة الحارس عند البوابات. وكان أول من ركض إلى هناك هو ديموستينيس مع رجاله من بلاتيا وبيريبولي، حيث توجد الكأس الآن؛ وما إن دخل البوابات حتى اشتبك البلاتيون مع أقرب مجموعة من البيلوبونيزيين الذين أخذوا الإنذار وجاءوا للإنقاذ، وهزموهم، وأمنوا البوابات لقوات المشاة الأثينية الثقيلة القادمة.

وبعد ذلك سارع الأثينيون إلى دخول السور. ووقف بعض أفراد حامية البيلوبونيز في البداية في مكانهم وحاولوا صد الهجوم، فقُتِل بعضهم؛ ولكن أغلبهم خافوا وهربوا؛

فبعد الهجوم الليلي ورؤية الخونة الميجاريين وهم يحملون السلاح ضدهم، اعتقدوا أن كل سكان ميجارا قد انضموا إلى العدو. وحدث أيضًا أن دعا المبشر الأثيني بفكرته الخاصة أي شخص من سكان ميجارا يرغب في الانضمام إلى صفوف الأثينيين؛ وما إن سمعت الحامية هذا حتى استسلموا، واقتنعوا بأنهم ضحايا لهجوم مدبر، فلجأوا إلى نيسايا. ومع بزوغ الفجر، وبعد أن تم الاستيلاء على السور، واضطراب سكان ميجارا في المدينة، قال الأشخاص الذين تفاوضوا مع الأثينيين، بدعم من بقية الحزب الشعبي الذي كان مطلعًا على المؤامرة، إنه يتعين عليهم فتح البوابات والخروج إلى المعركة. كان قد تم الاتفاق فيما بينهم على أن يندفع الأثينيون إلى داخل المدينة فور فتح البوابات، بينما كان من المقرر أن يتم تمييز المتآمرين عن بقية المتآمرين بدهنهم بالزيت، حتى لا يتعرضوا للأذى. وكان بوسعهم فتح البوابات بأمان أكبر، حيث سار أربعة آلاف من المشاة الأثينيين الثقيلين من إليوسيس، وستمائة فارس، طوال الليل، وفقًا للاتفاق، وكانوا الآن على مقربة منهم. وكان المتآمرون قد تم دهنهم بالزيت على أتم الاستعداد، وكانوا في مواقعهم بجوار البوابات، عندما كشف أحد شركائهم عن المؤامرة للطرف الآخر، الذي تجمع معًا وجاء في هيئة واحدة، وقال بوضوح إنهم يجب ألا يخرجوا من المدينة . وهو الأمر الذي لم يجازفوا به من قبل حتى عندما كانت أعدادهم أكبر من الوقت الحاضر. أو يعرضوا سلامة المدينة للخطر عن عمد، وأنه إذا لم يتم الالتفات إلى ما قالوا، فسوف يتعين خوض المعركة في ميجارا. أما البقية، فلم يبدوا أي إشارة إلى علمهم بالمؤامرة، لكنهم أصروا بشدة على أن نصائحهم كانت الأفضل، وفي الوقت نفسه ظلوا قريبين وراقبوا البوابات، مما جعل من المستحيل على المتآمرين تحقيق هدفهم.

ولما رأى القادة الأثينيون أن عقبة ما قد نشأت، وأن الاستيلاء على المدينة بالقوة لم يعد ممكناً، شرعوا على الفور في حصار نيصايا، معتقدين أنه إذا تمكنوا من الاستيلاء عليها قبل وصول الإغاثة، فسوف يتبع ذلك استسلام ميجارا قريبًا. وكان الحديد والبنائون وكل شيء آخر يتطلبان الوصول السريع من أثينا، فبدأ الأثينيون من الجدار

الذي احتلوه، ومن هذه النقطة بنوا جدارًا عرضيًا ينظر نحو ميجارا إلى البحر على جانبي نيصايا؛ وتم تقسيم الخندق والجدران بين الجيش، وتم أخذ الحجارة والطوب من الضاحية، وتم قطع أشجار الفاكهة والأخشاب لعمل سياج حيث بدا ذلك ضروريًا؛ كما تم إدخال المنازل في الضاحية مع إضافة الأسوار أحيانًا في التحصين. "لقد استمر العمل طوال هذا اليوم، وبحلول ظهر اليوم التالي كان الجدار قد اكتمل تقريبًا، عندما شعرت الحامية في نيصايا بالفزع بسبب الافتقار المطلق للمؤن التي اعتادوا الحصول عليها لليوم من المدينة العليا، ولم تتوقع أي إغاثة سريعة من البيلوبونيزيين، واعتقدت أن ميجارا معادية، فاستسلمت للأثينيين بشرط أن يسلموا أسلحتهم، وأن يتم فدية كل منهم بمبلغ محدد؛ وترك قائدهم اللاكديموني، وأي شخص آخر من مواطنيه في المكان لتقدير الأثينيين. بناءً على هذه الشروط، استسلموا وخرجوا، وهدم الأثينيون الجدران الطويلة عند نقطة تقاطعهم مع ميجارا، واستولوا على نيصايا، واستمروا في استعداداتهم الأخرى.

في ذلك الوقت كان براسيداس اللاكيدياني، ابن تيليس، في جوار سيكيون وكورنث، يجهز جيشًا إلى تراقيا. وبمجرد أن سمع بالاستيلاء على الأسوار، خوفًا على البيلوبونيزيين في نيسيبيا وسلامة ميجارا، أرسل إلى البويوتيين لملاقاته في أسرع وقت ممكن في تريبوديسكو، وهي قرية تسمى عند الميجاريين، تحت جبل جيرانيا، وذهب هو بنفسه، ومعه ألفان وسبعمائة من المشاة الثقيلة الكورنثية، وأربعمائة من الفليسيين، وستمائة من السكيونيين، وقوات خاصة به كان قد حشدها بالفعل، متوقعًا أن يجد نيسيبيا لم يتم الاستيلاء عليها بعد. ولما سمع بسقوطها (وكان قد خرج ليلاً إلى تريبوديسكوس)، أخذ ثلاثمائة رجل مختار من الجيش، دون انتظار حتى يُعرَف قدومه، ووصل إلى ميجارا دون أن يلاحظه الأثينيون، الذين كانوا على شاطئ البحر، ظاهريًا، وحقيقيًا إن أمكن، لمحاولة الاستيلاء على نيصايا، ولكن الأهم من ذلك هو دخول ميجارا وتأمين المدينة. وبناءً على ذلك، دعا أهل المدينة إلى قبول مجموعته، قائلاً إنه يأمل في استعادة نيصايا.

ولكن أحد الفصائل الميجارية خاف أن يطردهم ويعيد المنفيين؛ وخاف الآخر أن يهاجمهم عامة الناس، خشية هذا الخطر، فتدمر المدينة على هذا النحو في معركة داخل أبوابها تحت أعين الأثينيين الذين نصب لهم الكمين. وعلى هذا فقد رفضوا السماح له بالدخول، واختار الطرفان الصمت وانتظار الحدث؛ فكل منهما كان يتوقع معركة بين الأثينيين والجيش الذي سيتولى مهمة الإغاثة، وكان يرى أنه من الأفضل أن يرى أصدقاءه منتصرين قبل أن يعلنوا تأييدهم.

ولما عجز براسيداس عن تنفيذ وجهة نظره عاد إلى بقية الجيش. وعند بزوغ الفجر انضم إليه أهل بيوتيا. وبعد أن قرروا إغاثة ميجارا، التي اعتبروها خطراً يهددهم، حتى قبل أن يسمعوا براسيداس، كانوا بالفعل في كامل قوتهم عند بلاتيا، عندما وصل رسوله ليزيد من عزمهم؛ فأرسلوا إليه على الفور ألفين ومائتي جندي مشاة ثقيل، وستمائة فارس، وعادوا إلى ديارهم بالقوة الرئيسية. وبلغ عدد الجيش بأكمله ستة آلاف جندي مشاة ثقيل. وقد تم تجميع المشاة الثقيلة الأثينية عند نيصايا والبحر؛ ولكن القوات الخفيفة التي تشتتت عبر السهل هاجمتها خيول بيوتيا، ودفعتها إلى البحر، بعد أن فوجئت تمامًا، حيث لم تصل الإغاثة إلى ميجارا من أي مكان في المناسبات السابقة. وهنا هاجمت خيول أثينا البيوتيين بدورهم، ودارت معركة بين الفرسان استمرت لفترة طويلة، وادعى كل من الطرفين النصر فيها. "قتل الأثينيون وسلبوا زعيم فرسان بيوتيا وبعض رفاقه الذين هاجموا نيسيبيا، وأعادهم سادة الجثث المتبقون بموجب هدنة، ونصبوا لهم غنيمة؛ ولكن فيما يتعلق بالعمل ككل، انقسمت القوات دون أن يحصل أي من الجانبين على ميزة حاسمة، فعاد البيوتيون إلى جيشهم والأثينيون إلى نيسيبيا.

وبعد ذلك اقترب براسيداس وجيشه من البحر وميجارا، واتخذوا موقعًا مناسبًا، وظلوا في هدوء في ترتيب المعركة، متوقعين أن يهاجمهم الأثينيون، وعلموا أن الميجاريين كانوا ينتظرون ليروا من سيكون المنتصر. وبدا أن هذا الموقف يقدم

ميزتين. فبدون شن الهجوم أو إثارة مخاطر المعركة عمدًا، أظهروا استعدادهم للقتال، وبالتالي دون تحمل عبء اليوم، كانوا سيحصدون شرفه بشكل عادل؛ وفي الوقت نفسه خدموا مصالحهم في ميجارا بفعالية. فلو فشلوا في إظهار أنفسهم لما كانت لديهم فرصة، وكان من المؤكد أنهم كانوا ليُعتَبَروا مهزومين، وكانوا ليخسروا المدينة. ولأن الأمر كان كذلك، فربما لا يميل الأثينيون إلى قبول التحدي، وكانوا ليحققوا هدفهم دون قتال. وهذا ما حدث. تجمع الأثينيون خارج الأسوار الطويلة، ولما لم يهاجم العدو، ظلوا بلا حراك؛ فقد قرر قادتهم أن المخاطر غير متكافئة للغاية. ولكن في الواقع، كان أغلب أهدافهم قد تحققت بالفعل؛ وكان عليهم أن يبدأوا معركة ضد أعداد أكبر، وإذا كان النصر لن يتمكن إلا من الاستيلاء على ميجارا، فإن الهزيمة ستدمر زهرة جيشهم الثقيل. أما بالنسبة للعدو فقد كان الأمر مختلفًا؛ فحتى الولايات التي يمثلها جيشه بالفعل لم تخاطر كل منها إلا بجزء من قوتها بالكامل، لذا فقد يكون أكثر جرأة. وبناءً على ذلك، وبعد انتظار بعض الوقت دون أن يهاجم أي من الجانبين، انسحب الأثينيون إلى نيصايا، ثم انسحب البيلوبونيزيون بعدهم إلى النقطة التي انطلقوا منها. ثم ألقى أصدقاء المنفيين الميجاريين جانبًا ترددهم، وفتحوا الأبواب لبراسيداس والقادة من الولايات المختلفة . معتبرين إياه المنتصر وأن الأثينيين رفضوا المعركة . واستقبلوهم في المدينة وشرعوا في مناقشة الأمور معهم؛ وكان الفريق الذي كان على اتصال بالأثينيين مشلولًا بسبب التحول الذي حدث.

وبعد ذلك سمح براسيداس للحلفاء بالعودة إلى ديارهم، وعاد هو إلى كورنثوس للاستعداد لبعثته إلى تراقيا، وجهته الأصلية. وعاد الأثينيون أيضًا إلى ديارهم، وكان سكان المدينة الأكثر تورطًا في المفاوضات الأثينية قد اختفوا على الفور، بعد أن علموا أنه تم اكتشاف أمرهم؛ بينما تشاور بقية السكان مع أصدقاء المنفيين، وأعادوا الحزب إلى بيجاي، بعد أن أقسموا عليهم بيمين مقدس بعدم الانتقام للماضي، والاكتفاء باستشارة المصالح الحقيقية للمدينة. ومع ذلك، بمجرد توليهم السلطة،

عقدوا مراجعة للمشاة الثقيلة، وفصلوا الكتائب، واختاروا حوالي مائة من أعدائهم، ومن بين أولئك الذين يُعتقد أنهم الأكثر تورطًا في المراسلات مع الأثينيين، وأحضروهم أمام الناس، وأجبروا على التصويت علنًا، وأدانوهم وأعدموهم، وأنشأوا حكمًا أوليغاركيًا محكمًا في المدينة - وهي الثورة التي استمرت لفترة طويلة جدًا، على الرغم من أن أنصارها قلة قليلة.

الفصل الرابع عشر

السنة الثامنة والتاسعة من الحرب - غزو بيوتيا - سقوط أمفيبوليس - النجاحات الرائعة التي حققتها براسيداس

وفي نفس الصيف كان أهل ميتيلين على وشك تحصين أنتاندروس كما خططوا، عندما سمع ديمودوكس وأريستيدس، قائدا السرب الأثيني المنهمكان في جباية الإعانات، على مضيق الدردنيل بما كان يجري في المكان (كان زميلهما لاماخوس قد أبحر بعشر سفن إلى البنطس) وشعرا بالخوف من أن يصبح المكان أنايا ثانية - المكان الذي استقر فيه المنفيون الساميون لإزعاج ساموس، ومساعدة البيلوبونيزيين بإرسال مرشدين إلى أسطولهم البحري، وإبقاء المدينة في حالة من الاضطراب واستقبال جميع الخارجين عن القانون. وبناءً على ذلك، جمعا قوة من الحلفاء وأبحرا، وهزموا في المعركة القوات التي واجهوها من أنتاندروس، واستعادوا المكان. بعد فترة وجيزة، فقد لاماخوس، الذي أبحر إلى البنطس، سفنه راسية في نهر كالكس، في إقليم هيراكليا، بعد أن هطل المطر في الداخل وهطلت عليهم الفيضانات فجأة؛ ومرر هو وقواته عبر البر عبر التراقيين البيثينيين على الجانب الآسيوي، ووصلوا إلى خلقيدونية، المستعمرة الميجارية عند مصب البنطس.

وفي نفس الصيف وصل القائد الأثيني ديموستينس إلى ناوباكتوس على رأس أربعين سفينة فور عودته من ميجاريد. وكان أبقراط وأبقراط قد قدما لهما عروضاً من بعض الرجال في مدن بيوتيا، الذين أرادوا تغيير الدستور وإدخال الديمقراطية كما حدث في أثينا؛ وكان بتيودوروس، المنفي الطيبي، المحرك الرئيسي لهذه المؤامرة. وكان من المقرر أن يسلم إليهما طرف واحد مدينة سيفاي الساحلية الواقعة في خليج كريساي في إقليم ثيسبيان؛ وكان الطرف الآخر من تلك المدينة هو خيرونيا (وهي تابعة لما كان يسمى في السابق مينيان، والآن بويوتيان، أورخومينوس) التي كان منفيوها نشطين للغاية في هذا العمل، حيث كانوا يستأجرون الرجال في بيلوبونيز. وكان بعض

أهل فوكيا أيضاً من بين المشاركين في المؤامرة، وكانت خيرونيا هي المدينة الحدودية لبيوتيا والقريبة من فانوتيس في فوكيا. وفي الوقت نفسه، كان الأثينيون على وشك الاستيلاء على ديليوم، مزار أبولو، في إقليم تاناغرا المطل على إيوبوا؛ وكان من المقرر أن تحدث كل هذه الأحداث في وقت واحد في يوم محدد، حتى لا يتمكن أهل بيوتيا من الاتحاد لمواجهتهم في ديليوم، بسبب الاضطرابات التي تعصف بهم في كل مكان في الداخل. وإذا نجحت هذه المهمة، وتم تحصين ديليوم، فقد توقع مؤلفوها بثقة أنه حتى لو لم تندلع ثورة على الفور في بيوتيا، إلا أنه مع وجود هذه الأماكن في أيديهم، وتعرض البلاد للغزوات، ووجود ملجأ قريب في كل حالة للأنصار المتورطين في هذه الغزوات، فلن تظل الأمور على ما هي عليه، ولكن نظرًا لأن المتمردين يدعمهم الأثينيون وقوات الأوليجاركيين المنقسمين، فسيكون من الممكن بعد فترة من الوقت تسوية الأمور وفقًا لرغباتهم.

"وكانت هذه هي الخطة التي خطط لها أبقراط. فقد انتظر أبقراط، ومعه قوة حشدها في الداخل، اللحظة المناسبة لشن هجوم على أهل بيوتيا؛ بينما أرسل ديموستينس على رأس أربعين سفينة إلى ناوباكتوس، لحشد جيش من أهل أكارنان وحلفائهم الآخرين في تلك المناطق، والإبحار واستقبال سيفاي من المتآمرين؛ وكان قد تم الاتفاق على يوم لتنفيذ العمليتين في نفس الوقت. وعندما وصل ديموستينس وجد أن أهل أونيادا قد أجبروا بالفعل من قبل أهل أكارنان المتحدين على الانضمام إلى التحالف الأثيني، فحشد كل الحلفاء في تلك البلدان وزحف ضد سالينثيوس والأجريين وأخضعهم؛ وبعد ذلك كرس نفسه للاستعدادات اللازمة لتمكينه من الوصول إلى سيفاي في الوقت المحدد"

وفي نفس الوقت تقريبًا من الصيف، انطلق براسيداس في مسيرته نحو الأماكن التراقية برفقة ألف وسبعمائة جندي من المشاة الثقيلة، ووصل إلى هيراكليا في تراخيس، ومن هناك أرسل رسولًا إلى أصدقائه في فارسالوس، ليطلب منهم أن

يسلكوا هو وجيشه طريقًا عبر البلاد. وبناءً على ذلك، جاء إلى ميليتيا في آخايا بانايروس ودوروس وهيبولوخيداس وتوريلاوس وستروفاكوس، بروكسينوس الخلقيدي، الذي استأنف مسيرته تحت حراسته، وكان برفقته أيضًا ثيساليون آخرون، من بينهم نيكونيداس من لاريسا، صديق بيرديكاس. لم يكن من السهل أبدًا عبور ثيساليا دون حراسة؛ وفي جميع أنحاء اليونان، كان مرور قوة مسلحة دون إذن عبر بلد مجاور خطوة حساسة. بالإضافة إلى ذلك، كان شعب ثيساليا متعاطفًا دائمًا مع الأثينيين. "في الواقع، لو كانت هناك حكومة دستورية في ثيساليا بدلاً من الأوليغارشية الضيقة المعتادة، لما كان بوسعه المضي قدمًا؛ لأنه حتى في هذه الحالة، التقى به بعض أفراد الحزب المعارض أثناء مسيرته عند نهر إينيبوس، الذين منعوه من مواصلة تقدمه، واشتكوا من محاولته دون موافقة الأمة. أجابه مرافقوه على هذا بأنهم لم يكن لديهم نية في اصطحابه رغماً عنهم؛ إنهم مجرد أصدقاء حضروا لزيارة غير متوقعة. وأضاف براسيداس نفسه أنه جاء كصديق إلى ثيساليا وسكانها، ولم تكن أسلحته موجهة ضدهم بل ضد الأثينيين، الذين كان في حرب معهم، وأنه على الرغم من أنه لم يكن يعلم بوجود أي نزاع بين الثيساليين واللاسيديونيين لمنع الأمتين من الوصول إلى أراضي كل منهما، فإنه لم يكن ليتقدم ضد رغبتهم ولا يستطيع ذلك؛ كل ما كان بإمكانه أن يتوسل إليهم ألا يمنعوه." وبعد هذا الجواب انصرفوا، فاستمع إلى نصيحة حرسه، وواصل سيره دون توقف، قبل أن تتجمع قوة أكبر لمنعه. وهكذا في اليوم الذي انطلق فيه من ميليتيا، قطع المسافة كلها إلى فارسالوس، وعسكر على نهر أبيدانوس؛ ثم إلى فاسيوم، ومن هناك إلى بيرهابيا. وهنا عاد حرسه التيساليون، وأنزله أهل بيرهابيا، وهم رعايا ثيساليا، في ديوم في ممتلكات بيرديكاس، وهي مدينة مقدونية تحت جبل الأوليمب، متطلعين نحو ثيساليا.

وعلى هذا النحو سارع براسيداس إلى عبور ثيساليا قبل أن يتمكن أحد من إيقافه، ووصل إلى بيرديكاس وخالكيديس. وكان رحيل الجيش من البيلوبونيز قد تم بفضل المدن التراقية المتمردة على أثينا، وبفضل بيرديكاس الذي أزعجه نجاح الأثينيين.

وكان الخالكيديون يعتقدون أنهم سيكونون الهدف الأول للحملة الأثينية، وليس لأن المدن المجاورة التي لم تتمرد بعد لم تنضم سراً إلى الدعوة؛ وكان بيرديكاس أيضاً لديه مخاوفه بسبب خلافاته القديمة مع الأثينيين، رغم أنه لم يكن في حرب علنية معهم، وكان يرغب قبل كل شيء في القضاء على أرهابايوس ملك الليكنستيين. وكان من الأسهل عليهم أن يرسلوا جيشاً لمغادرة البيلوبونيز، بسبب سوء حظ اللاكديمونيين في الوقت الحاضر. ولقد كان من المأمول أن يتم تحويل هجمات الأثينيين على البيلوبونيز، وخاصة على لاكونيا، على نحو أكثر فعالية من خلال إزعاجهم في المقابل، وإرسال جيش إلى حلفائهم، وخاصة أنهم كانوا على استعداد للحفاظ عليه وطلبوا منه مساعدتهم في الثورة. كما كان اللاكيديمونيون سعداء بوجود عذر لإرسال بعض الهيلوتس إلى خارج البلاد، خوفًا من أن يشجعهم الوضع الحالي واحتلال بيلوس على الانتقال. والواقع أن الخوف من أعدادهم وعنادهم أقنع اللاكيديمونيين بالتحرك الذي سأرويه الآن، حيث كانت سياستهم في جميع الأوقات تحكمها ضرورة اتخاذ الاحتياطات ضدهم. وقد دُعي الهيلوتس بموجب إعلان إلى اختيار أولئك من عددهم الذين ادعوا أنهم تميزوا في مواجهة العدو، حتى ينالوا حريتهم؛ وكان الهدف من ذلك اختبارهم، حيث كان يُعتقد أن أول من يطالب بحريتهم سيكون الأكثر روحانية والأكثر ميلاً إلى التمرد. ولقد اختير ألفان من هؤلاء الرجال تبعاً لذلك، فتوجوا أنفسهم وطوفوا حول المعابد فرحين بحريتهم الجديدة. ولكن الإسبرطيين سرعان ما قضوا عليهم، ولم يعرف أحد قط كيف هلك كل واحد منهم. ولذلك أرسل الإسبرطيون بكل سرور سبعمائة رجل في هيئة مشاة ثقيلة مع براسيداس، الذي جند بقية قوته بالمال في بيلوبونيز.

ولقد أرسل أهل إسبارطة براسيداس نفسه إلى هناك بناءً على رغبته هو، وإن كان أهل خالكيديا أيضاً حريصين على أن يكون لهم رجل على قدر من الكفاءة والنزاهة كما أظهر في كل مرة كان لابد من القيام بأي شيء في إسبارطة، والذي أثبتت خدمته في الخارج بعد ذلك أنها كانت مفيدة للغاية لبلاده. وفي الوقت الحاضر نجح سلوكه

العادل والمعتدل تجاه المدن في عموم الأمر في تحريضها على التمرد، فضلاً عن الأماكن التي تمكن من الاستيلاء عليها بالخيانة؛ وهكذا عندما رغب أهل إسبارطة في التعامل معهم، كما فعلوا في النهاية، كان لديهم أماكن ليعرضوها في المقابل، وفي غضون ذلك انتقل عبء الحرب من البيلوبونيز. وفي وقت لاحق من الحرب، بعد أحداث صقلية، كانت شجاعة براسيداس وسلوكه الحاليين، اللذين يعرفهما البعض من خلال التجربة، والبعض الآخر من خلال الإشاعات، السبب الرئيسي وراء خلق شعور لدى حلفاء أثينا بالتعاطف مع أهل إسبارطة. وكان أول من خرج وأظهر أنه رجل صالح في كل شيء إلى الحد الذي جعله يتخلى عن الاعتقاد بأن بقية الناس كانوا مثله.

وفي هذه الأثناء، لم يكد الأثينيون يعلمون بوصوله إلى بلاد تراقيا حتى أعلنوا الحرب على بيرديكاس، الذي اعتبروه مؤلف الحملة، وراقبوا حلفائهم في تلك المنطقة عن كثب.

وعند وصول براسيداس وجيشه، بدأ بيرديكاس على الفور معهم وبقواته الخاصة ضد أرابايوس، ابن بروميروس، ملك المقدونيين اللينسيستيين، جاره، الذي كان لديه خلاف معه وكان يرغب في إخضاعه. ومع ذلك، عندما وصل مع جيشه وبراسيداس إلى الممر المؤدي إلى لينكوس، أخبره براسيداس أنه قبل بدء الأعمال العدائية يرغب في الذهاب ومحاولة إقناع أرابايوس بأن يصبح حليفًا لليكيديمون، وكان هذا الأخير قد قدم بالفعل مبادرات تشير إلى استعداده لجعل براسيداس حكمًا بينهما، وحذره المبعوثون الخلقيديون المرافقون له من إزالة مخاوف بيرديكاس، من أجل ضمان حماسته الأكبر لقضيتهم. علاوة على ذلك، تحدث مبعوثو بيرديكاس في لاكيدايمون عن جلب العديد من الأماكن المحيطة به إلى التحالف معهم؛ وهكذا فكر براسيداس في أن ينظر إلى مسألة أرابايوس من منظور أوسع. ولكن بيرديكاس رد عليه بأنه لم يحضره معه للتحكيم في نزاعهما، بل لقمع الأعداء الذين قد يشير إليهم؛ وأنه على

الرغم من أنه، بيرديكاس، احتفظ بنصف جيشه، فإن التفاوض مع أرابايوس يعد خرقًا للعهد. ومع ذلك، تجاهل براسيداس رغبات بيرديكاس وعقد المفاوضات رغمًا عنه، وسمح لنفسه بالاقتناع بقيادة الجيش دون غزو بلد أرابايوس؛ وبعد ذلك، ساهم بيرديكاس، الذي اعتقد أنه لم يلتزم بالعهد، بثلث الدعم بدلاً من نصفه.

وفي نفس الصيف، وبدون إضاعة للوقت، سار براسيداس مع الكالسيديين ضد أكانثوس، وهي مستعمرة للأندريين، قبل الحصاد بقليل. وانقسم السكان إلى فريقين بشأن مسألة استقباله؛ أولئك الذين انضموا إلى الكالسيديين في دعوته، والفريق الشعبي. ومع ذلك، فإن الخوف على ثمارهم، التي كانت لا تزال في الخارج، مكن براسيداس من إقناع الحشود بقبوله وحده، وسماع ما لديه ليقوله قبل اتخاذ القرار؛ وبناءً على ذلك، سُمح له بالدخول وظهر أمام الناس، ولأنه لم يكن خطيبًا سيئًا بالنسبة لساكديمونيان، فقد خاطبهم على النحو التالي:

"أيها الأكانثيون، لقد أرسلني اللاكيديمونيون وجيشي لتنفيذ السبب الذي ذكرناه للحرب عندما بدأناها، وهو أننا سنخوض حربًا مع الأثينيين من أجل تحرير هيلاس. لقد تأخرنا في القدوم بسبب التوقعات الخاطئة بشأن الحرب في الداخل، مما دفعنا إلى الأمل، من خلال جهودنا الذاتية ودون المخاطرة بأي شيء، في إحداث سقوط سريع للأثينيين؛ ويجب ألا تلومونا على هذا، لأننا وصلنا الآن في اللحظة التي تمكنا فيها، مستعدين بمساعدتكم لبذل قصارى جهدنا لإخضاعهم. وفي الوقت نفسه، أشعر بالدهشة لأنني وجدت أبوابكم مغلقة في وجهي، ولم أقابل ترحيباً أفضل. لقد اعتبرنا اللاكيديمونيون أنكم حلفاء حريصون على أن نحظى بهم، وأن نأتي إليهم روحياً قبل أن نكون معكم جسدياً؛ وفي هذا التوقع تحملنا كل مخاطر مسيرة تستغرق أيامًا عديدة عبر بلد غريب، إلى الحد الذي حملتنا به حماستنا. "سيكون أمرًا فظيعًا إذا كانت لديكم نوايا أخرى بعد ذلك، وتعتزمون الوقوف في طريق حريتك وحريتنا اليونانية. ليس الأمر مجرد معارضة لي بأنفسكم؛ بل إن الناس أينما ذهبت سيكونون

أقل ميلًا للانضمام إلي، وذلك لأنكم، الذين أتيت إليهم أولاً - مدينة مهمة مثل أكانثوس، ورجال حكماء مثل الأكانثيين - رفضتم قبولي. لن يكون لدي ما أثبت به أن السبب الذي أطرحه هو السبب الحقيقي؛ سيقال إما أن هناك شيئًا غير عادل في الحرية التي أعرضها، أو أن قوتي غير كافية وغير قادرة على حمايتكم ضد هجوم من أثينا. ومع ذلك عندما ذهبت مع الجيش الذي لدي الآن لنجدة نيصايا، لم يجرؤ الأثينيون على مواجهتي على الرغم من أن عددهم كان أكبر مني؛ ومن غير المرجح أن يرسلوا عبر البحر ضدكم جيشًا عددًا كبيرًا كما كان في نيصايا. "ومن أجل نفسي، لم آتِ إلى هنا لأؤذي اليونانيين بل لتحريرهم، وأشهد باليمين المهيب الذي ألزمت به حكومتي بأن الحلفاء الذين قد أحضرهم سيكونون مستقلين؛ وإلى جانب ذلك، فإن هدفي من مجيئي ليس الحصول على تحالفكم بالقوة أو الاحتيال، بل أن أقدم لكم تحالفي لمساعدتكم ضد أسيادكم الأثينيين. لذلك، أحتج على أي شكوك في نواياي بعد الضمانات التي أعرضها، وأحتج أيضًا على الشكوك في قدرتي على حمايتكم، وأدعوكم للانضمام إلي دون تردد.

"قد يتردد بعضكم لأن لديهم أعداء خاصين، ويخشون أن أضع المدينة في أيدي حزب: لا أحد يحتاج إلى أن يكون أكثر هدوءًا منهم. أنا لم آت إلى هنا لمساعدة هذا الحزب أو ذاك؛ ولا أعتقد أنني سأجلب لكم الحرية بأي معنى حقيقي، إذا تجاهلت دستوركم، واستعبدت الكثيرين للقليل أو القليلين للكثيرين. سيكون هذا أثقل من نير أجنبي؛ ونحن أهل لاكديمونيا، بدلاً من أن نشكر على آلامنا، لا ينبغي أن ننال الشرف ولا المجد، بل على العكس من ذلك، اللوم. إن الاتهامات التي تعزز أيدينا في الحرب ضد الأثينيين ستكون مستحقة من جانبنا، وأكثر كراهية فينا من أولئك الذين لا يتظاهرون بالصدق؛ كما أنه من المخزية للأشخاص ذوي الشخصية أن يأخذوا ما يشتهونه بالاحتيال الظاهر بدلاً من القوة العلنية؛ فالعدوان له ما يبرره من القوة التي يمنحها القدر، والآخر هو مجرد قطعة من الاحتيال الذكي. إن الأمر الذي يخصنا تقريبًا، وننظر إليه بطبيعة الحال بغيرة شديدة؛ وبعيدًا عن القسم الذي ذكرته، ما هي

الضمانات الأقوى التي يمكنك الحصول عليها، عندما ترى أن كلماتنا، مقارنة بالحقائق الفعلية، تنتج القناعة الضرورية بأن من مصلحتنا أن نتصرف كما نقول؟

"إذا كنت تدعي العجز عن القيام بهذه الاعتبارات، وتزعم أن مشاعرك الودية من شأنها أن تنقذك من الأذى بسبب رفضك؛ وإذا قلت إن الحرية، في رأيك، ليست خالية من المخاطر، وأنه من الصواب أن نمنحها لأولئك الذين يمكنهم قبولها، ولكن ليس فرضها على أي شخص ضد إرادته، فسأشهد آلهة وأبطال بلدك أنني أتيت من أجل مصلحتك ورفضت، وسأبذل قصارى جهدي لإرغامك على ذلك من خلال تدمير أرضك. سأفعل ذلك دون تردد، مبررًا بالضرورات التي تجبرني، أولاً، على منع الإسكندريين من التعرض للأذى من قبلك، أصدقاءهم، في حالة عدم انضمامك، من خلال الأموال التي تدفعها للأثينيين؛ وثانيًا، لمنع الإغريق من إعاقة التخلص من عبوديتهم من قبلك. وإلا فلن يكون لنا الحق في التصرف كما نقترح؛ "إلا باسم المصلحة العامة، ما هي الدعوة التي ينبغي لنا نحن أهل لاكديمونيا أن نطالب بها لتحرير أولئك الذين لا يرغبون في ذلك؟ إننا لا نطمح إلى الإمبراطورية: إنها ما نعمل جاهدين على إخماده؛ وسوف نظلم العدد الأكبر إذا سمحنا لكم بالوقوف في طريق الاستقلال الذي نقدمه للجميع. لذا، اسعوا إلى اتخاذ القرار بحكمة، واجتهدوا في بدء عمل تحرير اليونانيين، وادخروا لأنفسكم شهرة لا نهاية لها، بينما تهربون من الخسارة الشخصية، وتغطون دولتكم بالمجد".

كانت هذه كلمات براسيداس. وبعد أن دارت الكثير من المناقشات بين الجانبين، أدلى الأكانثيون بأصواتهم سراً، وقررت الأغلبية، تحت تأثير الحجج المغرية لبراسيداس والخوف على ثمارها، أن تثور من أثينا؛ ولكنهم لم يسمحوا للجيش بالدخول إلا بعد أن أخذوا ضمانات شخصية منه على القسم الذي أقسمه حكومته قبل أن يرسلوه، مؤكدين بذلك استقلال الحلفاء الذين قد يستدعيهم. وبعد فترة وجيزة، حذت ستاجيروس، إحدى مستعمرات الأندريين، حذوهم وثارت.

كانت هذه هي الأحداث التي جرت في ذلك الصيف. ففي الأيام الأولى من الشتاء التالي، كان من المقرر أن تُسلَّم الأماكن في بيوتيا إلى القائدين الأثينيين أبقراط وديموستينس، حيث كان من المقرر أن يتوجه الأخير بسفينته إلى سيفاي، بينما كان الأول إلى ديليوم. ولكن خطأً وقع في الأيام التي كان من المقرر أن ينطلق فيها كل منهما؛ إذ أبحر ديموستينس أولاً إلى سيفاي، وعلى متنه الأكارنانيون والعديد من الحلفاء من تلك المناطق، لكنه فشل في تحقيق أي شيء، وذلك بعد أن كشف نيقوماخوس، وهو من سكان فانوتيس، المؤامرة، فأبلغ أهل لاكيدايمون، فأبلغوا أهل بيوتيا. وعلى هذا فقد تدفقت المساعدات من جميع أنحاء بيوتيا، لأن أبقراط لم يكن موجوداً بعد ليقوم بتسلية نفسه، وتم تأمين سيفاي وخيرونيا على الفور، ولم يجرؤ المتآمرون، بعد أن أُبلغوا بالخطأ، على القيام بأي تحرك في المدن.

وفي هذه الأثناء، فرض أبقراط حشدًا كبيرًا من المواطنين والمقيمين الأجانب والأجانب في أثينا، ووصل إلى وجهته بعد أن عاد أهل بيوتيا من سيفاي، ونصب معسكرًا لجيشه وبدأ في تحصين ديليوم، حرم أبولو، على النحو التالي. حُفر خندق حول المعبد والأرض المقدسة، وجعل التربة التي تم رفعها من الحفريات بمثابة جدار، وغرس الأوتاد أيضًا، وقطع الكروم المحيطة بالحرم وألقيت فيه، مع إزالة الحجارة والطوب من المنازل القريبة؛ باختصار، استُخدمت كل الوسائل لتسلق السور. وقد أقيمت أبراج خشبية أيضًا حيث كانت هناك حاجة إليها، وفي الأماكن التي لم يتبق فيها أي جزء من مباني المعبد، كما هو الحال في الجانب الذي انهار فيه المعرض الذي كان موجودًا ذات يوم. وقد بدأ العمل في اليوم الثالث بعد مغادرة المنزل، واستمر في اليوم الرابع، وحتى وقت العشاء في اليوم الخامس، عندما تم الانتهاء من معظم العمل، ابتعد الجيش عن ديليوم مسافة ميل وربع الميل في طريق العودة إلى المنزل. ومن هذه النقطة، واصلت معظم القوات الخفيفة تقدمها، بينما توقفت المشاة الثقيلة وبقيت حيث كانت؛ وقد بقي أبقراط في ديليوم لترتيب

المواقع، وإعطاء التوجيهات لإكمال الجزء من الأعمال الخارجية الذي تُرك غير مكتمل.

"خلال الأيام التي قضاها أهل بيوتيا في هذا العمل، كانوا يحشدون قواتهم في تاناغرا، وعندما وصلوا من كل المدن، وجدوا الأثينيين في طريقهم إلى ديارهم. وكان بقية الحكام الأحد عشر من حكام بيوتيا يعارضون خوض المعركة، لأن العدو لم يعد في بيوتيا، وكان الأثينيون على الجانب الآخر من حدود أوروبوس عندما توقفوا؛ ولكن باجونداس، ابن أيوليداس، أحد حكام بيوتيا (أريانثيدس، ابن ليسيماشيداس، هو الآخر)، وكان القائد الأعلى آنذاك، رأى أنه من الأفضل المخاطرة بخوض معركة. وبناءً على ذلك، دعا الرجال إليه، فرقة بعد فرقة، لمنعهم جميعًا من ترك أسلحتهم في وقت واحد، وحثهم على مهاجمة الأثينيين، والوقوف على خط المعركة، وقال ما يلي:

"أيها أهل بيوتيا، إن الفكرة التي مفادها أنه لا ينبغي لنا أن نخوض معركة مع الأثينيين، ما لم نأت بهم إلى بيوتيا، فكرة لم يكن ينبغي لنا أن نفكر فيها قط، نحن جنرالاتكم. لقد عبروا الحدود وبنوا حصنًا في بلادنا لإزعاج بيوتيا؛ ولذلك فإنني أتصور أنهم أعداء لنا أينما أتينا بهم، وأينما أتوا ليتصرفوا كأعداء. وإذا تبنى أي شخص الفكرة المعنية لأسباب تتعلق بالسلامة، فقد حان الوقت ليغير رأيه. إن الطرف الذي يتعرض للهجوم، والذي تتعرض بلاده للخطر، لا يستطيع أن يناقش ما هو حكيم بهدوء الرجال الذين يتمتعون بما لديهم، ويفكرون في مهاجمة جار من أجل الحصول على المزيد. ومن عادتكم الوطنية، في بلادكم أو خارجها، معارضة نفس المقاومة للغزاة الأجانب؛ "وعندما يكون هذا الغازي أثينيًا، ويعيش على حدودك أيضًا، فمن الضروري مضاعفًا أن تفعل ذلك. كما هو الحال بين الجيران عمومًا، فإن الحرية تعني ببساطة التصميم على التمسك بالنفس؛ ومع جيران مثل هؤلاء، الذين يحاولون استعباد القريب والبعيد على حد سواء، فلا يوجد شيء سوى القتال حتى النهاية. انظر إلى حالة اليوبيانيين ومعظم بقية اليونان، وكن على يقين من أن الآخرين

مضطرون للقتال مع جيرانهم من أجل هذه الحدود أو تلك، ولكن بالنسبة لنا فإن الفتح يعني حدودًا واحدة للبلاد بأكملها، والتي لا يمكن الخلاف عليها، لأنهم سيأتون ببساطة ويستولون بالقوة على ما لدينا. لدينا ما نخشاه من هذا الجار أكثر بكثير من أي جار آخر. "وإلى جانب ذلك، فإن الناس الذين، مثل الأثينيين في المثال الحالي، يغريهم غرور القوة بمهاجمة جيرانهم، عادة ما يتقدمون بثقة كبيرة ضد أولئك الذين يظلون ساكنين، ولا يدافعون عن أنفسهم إلا في بلادهم، لكنهم يفكرون مرتين قبل أن يصارعوا أولئك الذين يقابلونهم خارج حدودهم ويوجهون الضربة الأولى إذا سنحت الفرصة. وقد أظهر لنا الأثينيون هذا بأنفسهم؛ فالهزيمة التي ألحقناها بهم في كورونيا، في الوقت الذي سمحت لهم فيه مشاجراتنا باحتلال البلاد، منحت بيوتيا أمانًا كبيرًا حتى يومنا هذا. وإذ يتذكرون هذا، يجب على كبار السن أن يضاهوا مآثرهم القديمة، ويجب على الشباب، أبناء أبطال ذلك الوقت، أن يجتهدوا في عدم إهانة شجاعتهم الأصلية؛ "وبناءً على عون الإله الذي تم تحصين معبده بشكل تدنيس، وعلى الضحايا التي أثبتت تضحياتنا أنها مؤاتية، يتعين علينا أن نسير ضد العدو، ونعلمه أنه يجب أن يذهب ويحصل على ما يريد من خلال مهاجمة شخص لن يقاومه، ولكن الرجال الذين تكمن مجدهم في كونهم مستعدين دائمًا للقتال من أجل حرية بلادهم، وعدم استعباد الآخرين ظلماً، لن يسمحوا له بالذهاب دون صراع".

وباستخدام هذه الحجج أقنع باجونداس أهل بيوتيا بمهاجمة الأثينيين، وسرعان ما حطم معسكره وقاد جيشه إلى الأمام، وكان الوقت متأخراً آنذاك. وعندما اقترب من العدو، توقف في موقع حيث كان هناك تل يمنع الجيشين من رؤية بعضهما البعض، ثم تشكل واستعد للقتال. وفي الوقت نفسه، أبلغ أبقراط في ديليوم باقتراب أهل بيوتيا، فأرسل أوامره إلى قواته بالوقوف في صفوف، وانضم إليهم بعد فترة وجيزة، تاركاً وراءه حوالي ثلاثمائة فارس في ديليا، لحراسة المكان في حالة الهجوم، ومراقبة الفرصة التي قد تسنح لهم للهجوم على أهل بيوتيا أثناء المعركة. وضع أهل بيوتيا مفرزة للتعامل مع هؤلاء، وعندما تم ترتيب كل شيء على النحو الذي يرضيهم،

ظهروا فوق التل، وتوقفوا بالترتيب الذي حددوه، بعدد سبعة آلاف من المشاة الثقيلة، وأكثر من عشرة آلاف من القوات الخفيفة، وألف فارس، وخمسمائة من الرماة. على يمينهم كان أهل طيبة وأهل إقليمهم، وفي الوسط أهل هاليارتيون وأهل كورونيون وأهل كوبيون وغيرهم من الناس حول البحيرة، وعلى اليسار أهل ثيسبيان وتاناغرا وأهل أوركومين، وكان الفرسان والقوات الخفيفة في طرف كل جناح. شكل أهل طيبة خمسة وعشرين درعًا بعمق، والباقي حسب رغبتهم. هكذا كانت قوة جيش بويوتيا وتصرفاته.

وعلى جانب الأثينيين، كانت قوات المشاة الثقيلة في الجيش بأكمله تتألف من ثمانية أفراد، وكان عددهم مساويًا لعدد قوات العدو، وكان سلاح الفرسان على الجناحين. ولم يكن هناك أي قوات خفيفة مسلحة بانتظام في الجيش، ولم يكن هناك أي منها في أثينا قط. أما أولئك الذين انضموا إلى الغزو، على الرغم من أنهم كانوا أكثر عددًا من قوات العدو، فقد تبعهم معظمهم غير مسلحين، كجزء من التجنيد الجماعي للمواطنين والأجانب في أثينا، ولم يكونوا حاضرين بأعداد كبيرة بعد أن بدأوا أولاً في طريق العودة إلى ديارهم. وبعد أن أصبحت الجيوش الآن في خط واحد وعلى وشك الاشتباك، مر أبقراط، القائد، عبر صفوف الأثينيين، وشجعهم على النحو التالي:

"أيها الأثينيون، سأوجه إليكم بضع كلمات فقط، ولكن الرجال الشجعان لا يحتاجون إلى المزيد، وهي موجهة إلى فهمكم أكثر من شجاعتكم. لا ينبغي لأحد منكم أن يتصور أننا نخرج عن طريقنا لخوض هذه المجازفة في بلد آخر. إذا خضنا المعركة في أراضيهم، فستكون المعركة من أجلنا: إذا فزنا، فلن يغزو البيلوبونيزيون بلدكم أبدًا دون حصان بويوتيا، وفي معركة واحدة ستفوزون ببيوتيا وبطريقة ما أتيكا الحرة. تقدموا لملاقاتهم إذن كمواطنين في بلد تفتخرون فيه جميعًا باعتباركم الأوائل في اليونان، ومثل أبناء الآباء الذين هزموهم في أونوفيتا مع ميرونيدس وبالتالي استحوذوا على بيوتيا."

كان أبقراط قد قطع نصف الجيش بفضل حثه، ولكن بعد بضع كلمات متسرعة من باجونداس، شرع أهل بيوتيا في غناء التراتيل، وهاجموهم من التل؛ فتقدم الأثينيون لملاقاتهم، واقتربوا منهم بسرعة. ولم يتدخل الجناح المتطرف من أي من الجيشين، إذ أوقفته مجاري المياه في الطريق، ودخلت بقية القوات في اشتباك عنيد للغاية، درعًا مقابل درع. وهزم الأثينيون أهل بيوتيا من اليسار حتى المركز. وعانى أهل ثيسبا في ذلك الجزء من الميدان أشد المعاناة. وبعد أن انسحبت القوات المجاورة لهم، حوصروا في مساحة ضيقة وقُطعت أيديهم وهم يقاتلون بعضهم بعضًا؛ كما وقع بعض الأثينيين في ارتباك أثناء محاصرة العدو، فخطئوا في تحديد موقع العدو وقتلوا بعضهم بعضًا. وفي هذا الجزء من الميدان، هُزم أهل بيوتيا، وتراجعوا نحو القوات التي ما زالت تقاتل؛ ولكن اليمين، حيث كان أهل طيبة، تغلب على الأثينيين ودفعهم إلى الوراء أكثر فأكثر، وإن كان ذلك بالتدريج في البداية. وحدث أيضًا أن باجونداس، عندما رأى محنة يساره، أرسل سربين من الخيول، حيث لم يكن من الممكن رؤيتهم، حول التل، وأثار ظهورهم المفاجئ الذعر في الجناح المنتصر للأثينيين، الذين اعتقدوا أن جيشًا آخر قادمًا ضدهم. أخيرًا، في كلا الجزأين من الميدان، انزعج هذا الذعر، وبعد أن كسر الثيبانيون خطهم، فر الجيش الأثيني بأكمله. ذهب البعض إلى ديليوم والبحر، وبعضهم إلى أوروبوس، والبعض الآخر إلى جبل بارنز، أو حيث كان يأملون في الأمان، طاردهم وقتلهم سكان بيوتيا، وخاصة الفرسان، الذين كانوا يتألفون جزئيًا من بيوتيا وجزئيًا من لوكريان، الذين وصلوا في نفس الوقت الذي بدأ فيه الهزيمة. ولكن مع حلول الليل، تعطلت عملية المطاردة، فتمكنت مجموعة الهاربين من الفرار بسهولة أكبر مما كانت لتفعله لولا ذلك. وفي اليوم التالي، عادت القوات الموجودة في أوروبس وديليوم إلى ديارها عن طريق البحر، بعد أن تركت حامية في المكان الأخير، والتي ظلت محتفظة بها على الرغم من الهزيمة.

"أقام أهل بيوتيا غنائمهم، وأخذوا جثث قتلاهم، وجردوا أعدائهم من جثثهم، وتركوا حراساً يراقبونهم، وتقاعدوا إلى تاناغرا، حيث اتخذوا التدابير اللازمة لمهاجمة ديليوم.

وفي الوقت نفسه، جاء منادي من الأثينيين ليطلب جثث القتلى، ولكن منادياً من بيوتيا صدّه، وأخبره أنه لن يفعل شيئاً حتى يعود هو نفسه منادي بيوتيا، ثم ذهب إلى الأثينيين وأخبرهم نيابة عن بيوتيا أنهم ارتكبوا خطأً بانتهاك قانون الإغريق. فما الفائدة من العادة العامة التي تحمي المعابد في بلد غزا، إذا كان الأثينيون يحصنون ديليوم ويعيشون فيها، ويتصرفون تمامًا كما لو كانوا على أرض غير مقدسة، ويستخرجون ويستخدمون لأغراضهم المياه التي لم يلمسها أهل بيوتيا قط إلا للاستخدامات المقدسة؟ وبناءً على ذلك، من أجل الإله ومن أجل أنفسهم، وباسم الآلهة المعنية، وباسم أبولو، دعا سكان بيوتيا هؤلاء أولاً إلى إخلاء المعبد، إذا كانوا يرغبون في أخذ الموتى الذين ينتمون إليهم.

وبعد هذه الكلمات التي قالها المنادي، أرسل الأثينيون مناديهم إلى أهل بيوتيا ليقول لهم إنهم لم يلحقوا أي ضرر بالمعبد، وأنهم لن يلحقوا به في المستقبل ضرراً أكبر مما يستطيعون مساعدته؛ لأنهم لم يحتلوه في الأصل بأي شكل من الأشكال، بل كانوا يدافعون عنه ضد أولئك الذين أساءوا إليهم حقاً. وكان قانون اليونانيين هو أن غزو بلد، سواء كان أكثر أو أقل اتساعاً، يعني امتلاك المعابد في ذلك البلد، مع الالتزام بمواصلة الاحتفالات المعتادة، على الأقل قدر الإمكان. أما أهل بيوتيا ومعظم الشعوب الأخرى التي طردت أصحاب البلاد، ووضعت نفسها في أماكنهم بالقوة، فقد احتلوا الآن كحق في المعابد التي دخلوها في الأصل كمغتصبين. ولو كان الأثينيون قادرين على غزو المزيد من بيوتيا، لكان هذا هو حالهم: ففي الوضع الحالي، كان عليهم أن يعاملوا الجزء الذي حصلوا عليه على أنه ملك لهم، ولا يتركونه إلا إذا أُجبروا على ذلك. لقد كان الماء الذي أزعجوه تحت ضغط الضرورة التي لم يضطروا إلى تحملها عمداً، حيث اضطروا إلى استخدامه في الدفاع عن أنفسهم ضد أهل بيوتيا الذين غزوا أتيكا أولاً. فضلاً عن ذلك، فإن أي شيء يتم تحت ضغط الحرب والخطر قد يدعي التساهل حتى في نظر الإله؛ أو لماذا، أرجوك، كانت المذابح ملجأ للجرائم غير الطوعية؟ كان مصطلح "التعدي" أيضاً ينطبق على المجرمين المفترضين،

وليس على ضحايا الظروف المعاكسة. باختصار، أيهما كان الأكثر كفراً ـ أهل بيوتيا الذين أرادوا مقايضة الجثث بالأماكن المقدسة، أم الأثينيون الذين رفضوا التخلي عن الأماكن المقدسة للحصول على ما هو حق لهم؟ لذلك كان لابد من سحب شرط إخلاء بيوتيا. لم يعد أهل بيوتيا موجودين. لقد وقفوا حيث وقفوا بحق السيف. كل ما كان على أهل بيوتيا أن يفعلوه هو أن يطلبوا منهم أن يأخذوا موتاهم بموجب هدنة وفقاً للعرف الوطني.

فأجاب أهل بيوتيا أنهم إذا كانوا في بيوتيا فعليهم أن يخلوا تلك البلاد قبل أن يأخذوا جثث موتاهم؛ وإذا كانوا في أراضيهم فإنهم يستطيعون أن يفعلوا ما يحلو لهم: ذلك أنهم كانوا يعلمون أن أوروبيد، حيث كانت الجثث كما حدث (حيث دارت المعركة على الحدود)، كانت خاضعة لأثينا، ولكن الأثينيين لم يتمكنوا من الحصول عليها دون إذنهم. فضلاً عن ذلك، لماذا يمنحون هدنة للأثينيين؟ وما الذي قد يكون أكثر عدلاً من أن يطلبوا منهم إخلاء بيوتيا إذا كانوا يرغبون في الحصول على ما طلبوه؟ وعلى هذا فقد عاد البشير الأثيني بهذه الإجابة، دون أن يكون قد حقق هدفه.

وفي هذه الأثناء أرسل أهل بيوتيا على الفور في طلب رماة القوس والمقلاع من خليج مالي، ومعهم ألفان من المشاة الثقيلة الكورنثية الذين انضموا إليهم بعد المعركة، سارت الحامية البيلوبونيسية التي أخلت نيصايا، ومعها بعض الميجاريين، نحو ديليوم، وهاجمت الحصن، وبعد جهود متعددة نجحوا أخيرًا في الاستيلاء عليه بمحرك من النوع التالي. قاموا بقطع نصفين وقطعوا عارضة كبيرة من طرف إلى طرف، وأعادوا تركيبها بشكل جيد مرة أخرى مثل الأنبوب، معلقين بسلاسل في مرجل عند أحد طرفيه، والذي يتصل به أنبوب حديدي بارز من العارضة، وكان هو نفسه مطليًا بالحديد. حملوا هذا الأنبوب من مسافة بعيدة على عربات إلى جزء من الجدار يتكون بشكل أساسي من الكروم والأخشاب، وعندما اقتربوا، أدخلوا منفاخًا ضخمًا في طرف العارضة ونفخوا به. وقد تسبب الانفجار الذي مر محصوراً داخل المرجل المملوء

بالفحم المشتعل والكبريت والزفت في اندلاع حريق هائل، وأشعل النار في الجدار، الذي سرعان ما أصبح غير قادر على الدفاع عنه، فتركه المدافعون عنه وفرّوا؛ وبهذه الطريقة تم الاستيلاء على الحصن. وقُتل بعض أفراد الحامية وأسر مائتي شخص؛ وصعد معظم الباقين على متن سفنهم وعادوا إلى ديارهم.

وبعد سقوط ديليوم بفترة وجيزة، والذي حدث بعد سبعة عشر يومًا من المعركة، عاد المنادي الأثيني، دون أن يعرف ما حدث، ليأخذ الجثث، التي أعادها أهل بيوتيا الآن، الذين لم يعودوا يردون كما فعلوا في البداية. ولم يسقط في المعركة سوى خمسمائة من أهل بيوتيا، ونحو ألف من الأثينيين، بما في ذلك أبقراط القائد، إلى جانب عدد كبير من القوات الخفيفة وأتباع المعسكر.

وبعد هذه المعركة بقليل، وبعد فشل رحلته إلى سيفاي وفشل المؤامرة على المدينة، استغل ديموستينس قوات أكارنانيا وأجريا وأربعمائة من المشاة الأثينيين الثقيلين الذين كانوا على متن سفينته، لينزل على ساحل سيكونيا. ولكن قبل أن تصل جميع سفنه إلى الشاطئ، هاجمه الصقليون وهزموا أولئك الذين وصلوا إلى الشاطئ وطاردوهم إلى سفنهم، فقتلوا بعضهم وأسروا آخرين؛ وبعد ذلك أقاموا غنائم، وأعادوا القتلى بموجب هدنة.

وفي نفس الوقت تقريبًا الذي وقعت فيه حادثة ديليوم، توفي سيتالسيس، ملك الأودريسيين، الذي هُزم في معركة ضد التريبالي؛ وخلفه سيوثيس، ابن سبارادوكوس، ابن أخيه، في مملكة الأودريسيين، وبقية تراقيا التي يحكمها سيتالسيس.

وفي نفس الشتاء، زحف براسيداس، مع حلفائه في المناطق التراقية، على أمفيبوليس، المستعمرة الأثينية على نهر ستريمون. وكان أريستاجوراس الميليسي قد حاول من قبل إقامة مستوطنة في المكان الذي تقع عليه المدينة الآن (عندما فر من الملك داريوس)، ولكن الأدونيين طردوه؛ ثم حاول الأثينيون بعد اثنين وثلاثين

عامًا، فأرسلوا إلى هناك عشرة آلاف مستوطن من مواطنيهم، ومن اختاروا غيرهم الرحيل. ولكن التراقيين قطعوا الطريق على هؤلاء في درابيسكوس. وبعد تسعة وعشرين عامًا، عاد الأثينيون (بعد أن أرسل هاجنون، ابن نيسياس، كزعيم للمستعمرة) وطردوا الأدونيين، وأسسوا مدينة في المكان، كانت تُعرف سابقًا باسم إينيا هودوي أو الطرق التسع. كانت القاعدة التي انطلقوا منها هي إيون، ميناءهم التجاري البحري عند مصب النهر، على بعد لا يزيد عن ثلاثة أميال من المدينة الحالية، والتي أطلق عليها هاجنون اسم أمفيبوليس، لأن نهر ستريمون يتدفق حولها من جانبين، وقد بناها بحيث تكون بارزة من البحر والأرض على حد سواء، حيث يمتد جدار طويل عبر النهر إلى النهر، لإكمال المحيط.

"وبدأ براسيداس مسيرته نحو هذه المدينة، بدءًا من آرني في خالكيديس. ووصل عند الغسق إلى أولون وبروميسكوس، حيث تصب بحيرة بولبي في البحر، وتناول العشاء هناك، ثم واصل رحلته أثناء الليل. كان الطقس عاصفًا وكان الثلج يتساقط قليلاً، مما شجعه على الإسراع في التقدم، حتى يفاجئ الجميع في أمفيبوليس، ما لم يكن ذلك الفريق الذي كان سيخونهم. وقد نفذ المؤامرة بعض سكان أرجيلوس، وهي مستعمرة أندريانية، يقيمون في أمفيبوليس، حيث كان لديهم أيضًا شركاء آخرون اكتسبوهم من قبل بيرديكاس أو الخالكيديين. ولكن الأكثر نشاطًا في الأمر كانوا سكان أرجيلوس نفسها، القريبة، الذين كانوا دائمًا موضع شك من قبل الأثينيين، وكانوا يخططون للمكان. "وبعد أن رأى هؤلاء الرجال أن الفرصة قد حانت لهم مع براسيداس، وبعد أن ظلوا لبعض الوقت على اتصال بمواطنيهم في أمفيبوليس بسبب خيانة المدينة، استقبلوه على الفور في أرجيلوس، وثاروا على الأثينيين، وفي نفس الليلة أخذوه إلى الجسر فوق النهر؛ حيث لم يجد سوى حرس صغير لمقاومته، حيث كانت المدينة على مسافة ما من الممر، ولم تكن الأسوار تصل إليه كما هي الحال الآن. فطرد هذا الحرس بسهولة، جزئيًا بسبب الخيانة في صفوفهم، وجزئيًا بسبب حالة الطقس العاصفة وفجأة هجومه، وهكذا عبر الجسر، وأصبح على الفور

سيدًا لكل الممتلكات خارج المدينة؛ وكان لأهل أمفيبوليس منازل في جميع أنحاء المنطقة.

لقد كان مرور براسيداس مفاجأة كاملة لأهل المدينة، كما أن القبض على العديد من الذين كانوا خارجها وفرار الباقين داخل السور، كان سبباً في خلق حالة من الارتباك الشديد بين المواطنين، وخاصة أنهم لم يكونوا يثقون في بعضهم البعض. بل ويقال إن براسيداس لو تقدم مباشرة نحو المدينة بدلاً من التوقف للنهب، لكان قد استولى عليها على الأرجح. ولكن في الواقع، فقد استقر في مكانه واجتاح البلاد خارجها، وظل خاملاً إلى الآن، منتظراً بلا جدوى مظاهرة من جانب أصدقائه في الداخل. وفي الوقت نفسه، أثبت الحزب المعارض للخونة أنه كان كبيراً بما يكفي لمنع فتح البوابات على الفور، وبالتنسيق مع يوكليس، أرسل الجنرال، الذي جاء من أثينا للدفاع عن المكان، إلى القائد الآخر في تراقيا، ثوسيديديس، ابن أولوروس، مؤلف هذا التاريخ، الذي كان في جزيرة ثاسوس، وهي مستعمرة باروسية، على بعد نصف يوم إبحار من أمفيبوليس، ليخبره أن يأتي لمساعدتهم. وبعد أن تلقى هذه الرسالة، أبحر على الفور بالسفن السبع التي كانت معه، وذلك من أجل الوصول إلى أمفيبوليس في الوقت المناسب، إذا أمكن، لمنع استسلامها، أو على الأقل لإنقاذ إيون.

وفي الوقت نفسه، خشي براسيداس وصول المساعدات عن طريق البحر من ثاسوس، وعلم أن ثوسيديديس يمتلك الحق في العمل في مناجم الذهب في ذلك الجزء من تراقيا، وبالتالي كان له نفوذ كبير على سكان القارة، فسارع إلى الاستيلاء على المدينة، إذا أمكن، قبل أن يشجع وصوله سكان أمفيبوليس على الأمل في أنه يستطيع إنقاذهم من خلال جمع قوة من الحلفاء من البحر ومن تراقيا، وبالتالي رفض الاستسلام. وبناءً على ذلك، عرض شروطًا معتدلة، وأعلن أن أيًا من سكان أمفيبوليس والأثينيين الذين يختارون ذلك، يمكنهم الاستمرار في التمتع بممتلكاتهم

مع كامل حقوق المواطنة؛ بينما كان على أولئك الذين لم يرغبوا في البقاء خمسة أيام للمغادرة، مع أخذ ممتلكاتهم معهم.

ولقد بدأ أغلب السكان، بعد سماعهم لهذا، يغيرون آراءهم، وخاصة أن عدداً قليلاً فقط من المواطنين كانوا من الأثينيين، حيث كانت الأغلبية قادمة من مناطق مختلفة، وكان العديد من السجناء في الخارج لديهم أقارب داخل الأسوار. ولقد وجدوا أن هذا الإعلان عادل بالمقارنة بما أوحى به خوفهم؛ فقد كان الأثينيون سعداء بالخروج، لأنهم اعتقدوا أنهم يتعرضون لمخاطر أكبر من غيرهم، فضلاً عن ذلك، لم يتوقعوا أي إغاثة سريعة، وكان الحشد عموماً راضين عن تركهم في حيازة حقوقهم المدنية، وبهذا الإعفاء غير المتوقع من الخطر. وقد دافع أنصار براسيداس الآن علناً عن هذا المسار، حيث رأوا أن شعور الناس قد تغير، وأنهم لم يعودوا يصغون إلى الجنرال الأثيني الحاضر؛ وبالتالي تم الاستسلام وسمحوا لبراسيداس بالدخول بموجب شروط إعلانه. "وبهذا الشكل تنازلوا عن المدينة، وفي وقت متأخر من نفس اليوم دخل ثوسيديديس وسفنه ميناء إيون، وكان براسيداس قد استولى للتو على أمفيبوليس، وكان على بعد ليلة واحدة من الاستيلاء على إيون: ولو كانت السفن أقل سرعة في إنقاذها، لكان من الممكن أن تصبح في يده في الصباح."

وبعد ذلك قام ثوسيديديس بتنظيم كل شيء في إيون لتأمينها ضد أي هجوم حالي أو مستقبلي من جانب براسيداس، واستقبل أولئك الذين اختاروا القدوم إلى هناك من الداخل وفقًا للشروط المتفق عليها. وفي الوقت نفسه، أبحر براسيداس فجأة بعدد من القوارب أسفل النهر إلى إيون ليرى ما إذا كان بإمكانه الاستيلاء على النقطة التي تخرج من السور، وبالتالي السيطرة على المدخل؛ وفي الوقت نفسه حاول القيام بذلك عن طريق البر، لكنه هُزم من الجانبين واضطر إلى الاكتفاء بترتيب الأمور في أمفيبوليس والمناطق المجاورة. كما جاءت إليه ميرسينوس، وهي مدينة إيدونية، بعد أن قُتل الملك الإيدوني بيتاكوس على يد أبناء جواكسيس وزوجته براورو؛ ولم

يمض وقت طويل حتى حذت جاليبسوس وأويسيم، وهما مستعمرتان ثاسيتان، حذوها. كما جاء بيرديكاس فور الاستيلاء وانضم إلى هذه الترتيبات.

لقد أحدثت أنباء وقوع أمفيبوليس في أيدي العدو حالة من الفزع الشديد في أثينا. فلم تكن المدينة ذات قيمة عالية بسبب الأخشاب التي كانت تستخدم في بناء السفن، والأموال التي كانت تدرها؛ بل كانت المدينة أيضاً، على الرغم من أن حراسة أهل ثيساليا كانت كفيلة بتمكين أهل لاكيدايمون من الوصول إلى حلفاء أثينا حتى نهر ستريمون، إلا أنه ما داموا غير قادرين على السيطرة على الجسر، بل كانوا تحت حراسة السفن الشراعية الأثينية من جهة إيون، وما داموا محصورين في الجانب البري بسبب بحيرة كبيرة وواسعة تشكلت بفعل مياه النهر، فقد كان من المستحيل عليهم أن يتقدموا إلى أبعد من ذلك. أما الآن، على العكس من ذلك، فقد بدا الطريق مفتوحاً. وكان هناك أيضاً الخوف من ثورة الحلفاء، بسبب الاعتدال الذي أظهره براسيداس في كل تصرفاته، وبسبب التصريحات التي كان يصدرها في كل مكان بأنه أرسل قوات لتحرير هيلاس. ولقد شعرت المدن الخاضعة للأثينيين، حين سمعت بالاستيلاء على أمفيبوليس والشروط التي تم الاتفاق عليها، ولطف براسيداس، بتشجيع شديد لتغيير حالها، فأرسلت إليه رسائل سرية تتوسل إليه أن يتقدم إليها؛ وكانت كل منها راغبة في أن تكون أول من يثور. وبدا الأمر وكأن هذا لا يشكل أي خطر؛ فقد كان خطأهم في تقدير القوة الأثينية عظيماً كما اتضح فيما بعد، وكان حكمهم مبنياً على التمني الأعمى أكثر من أي تصور سليم؛ فمن عادة البشر أن يعهدوا إلى الأمل الطائش بما يشتاقون إليه، وأن يستخدموا العقل المطلق لتجاهل ما لا يتخيلونه. وإلى جانب الضربة القاسية الأخيرة التي تلقاها الأثينيون في بيوتيا، بالإضافة إلى التصريحات المغرية، وإن كانت كاذبة، التي أدلى بها براسيداس، عن أن الأثينيين لم يجرؤوا على الاشتباك مع جيشه الوحيد في نيصيا، فقد عزز ذلك ثقة الحلفاء، وجعلهم يعتقدون أنه لن يتم إرسال أي قوة أثينية ضدهم. كان من بين الأسباب التي جعلتهم يحرصون على القيام بما هو مقبول في تلك اللحظة، واحتمال

أن يجدوا أهل لاكيدايمون متحمسين للبدء، هو رغبتهم في المغامرة. وعندما لاحظ الأثينيون ذلك، أرسلوا حاميات إلى المدن المختلفة، بقدر ما كان ذلك ممكنًا في مثل هذا الوقت القصير وفي الشتاء؛ بينما أرسل براسيداس بعثات إلى لاكيدايمون يطلب فيها التعزيزات، وقام بنفسه بالاستعدادات لبناء سفن شراعية في ستريمون. لكن أهل لاكيدايمون لم يرسلوا إليه أي سفن شراعية، ويرجع ذلك جزئيًا إلى حسد كبار رجالهم، وجزئيًا لأنهم كانوا أكثر حرصًا على استعادة أسرى الجزيرة وإنهاء الحرب.

وفي نفس الشتاء استولى الميجاريون على الأسوار الطويلة التي احتلها الأثينيون وهدموها حتى الأساس؛ وبعد الاستيلاء على أمفيبوليس سار براسيداس مع حلفائه إلى أكتي، وهو نتوء صخري يمتد من سد الملك بانحناءة إلى الداخل، وينتهي في آثوس، وهو جبل شاهق يطل على بحر إيجه. وفيه مدن مختلفة، ساني، وهي مستعمرة أندريانية، قريبة من القناة، وتواجه البحر في اتجاه إيفيا؛ والمدن الأخرى هي ثيسوس، وكليوني، وأكروثوي، وأولوفيكسوس، وديوم، يسكنها أعراق بربرية مختلطة تتحدث اللغتين. وهناك أيضًا عنصر خالكيديان صغير؛ لكن العدد الأكبر هم من التيرانيين-البلاسجيين الذين استقروا ذات يوم في ليمنوس وأثينا، والبيزالطيين، والكريستونيين، والإدونيين؛ وكانت المدن كلها صغيرة. وقد انتقل معظم هؤلاء إلى براسيداس؛ لكن ساني وديوم صمدا وشاهدا أرضهما تُدمر على يدهما هو وجيشه.

ولما لم يستسلموا سار على الفور نحو توروني في خالكيديسي، التي كانت تحت سيطرة حامية أثينية، بعد أن دعاه عدد قليل من الأشخاص الذين كانوا على استعداد لتسليم المدينة. ووصل في الظلام قبل الفجر بقليل، وجلس مع جيشه بالقرب من معبد ديوسكوري، على بعد أكثر من ربع ميل من المدينة. ولم يلاحظ بقية مدينة توروني والأثينيون في الحامية اقترابه؛ لكن أنصاره الذين علموا بقدومه (كان بعضهم قد خرج سراً لاستقباله) كانوا يراقبون وصوله، وما إن أدركوا ذلك حتى أحضروا إليهم سبعة رجال مسلحين بأسلحة خفيفة وخناجر، تجرأوا وحدهم من بين عشرين رجلاً

تم تكليفهم بهذه الخدمة، بقيادة ليسستراتوس الأولينثي. فعبر هؤلاء جدار البحر، وصعدوا دون أن يظهروا، وقتلوا بحد السيف حامية أعلى مركز في المدينة، الذي يقع على تلة، وكسروا السور الخلفي على جانب كاناسترايوم.

وفي هذه الأثناء اقترب براسيداس قليلاً ثم توقف مع مجموعته الرئيسية، وأرسل مائة من رجال الاستهداف ليكونوا على استعداد للاندفاع أولاً، في اللحظة التي يتم فيها فتح البوابة وإضاءة المنارة كما تم الاتفاق. وبعد مرور بعض الوقت في الانتظار والتعجب من التأخير، اقترب رجال الاستهداف تدريجيًا من المدينة. وبحلول هذا الوقت، كان أهل تورون الذين كانوا يعملون بالداخل مع المجموعة التي دخلت قد حطموا الباب الخلفي وفتحوا البوابات المؤدية إلى السوق من خلال قطع الشريط، وأحضروا أولاً بعض الرجال وسمحوا لهم بالدخول من الباب الخلفي، من أجل إثارة الذعر بين سكان المدينة المفاجئين من خلال مهاجمتهم فجأة من الخلف ومن كلا الجانبين في وقت واحد؛ وبعد ذلك رفعوا إشارة النار كما تم الاتفاق، واستقبلوا بقية رجال الاستهداف عند بوابات السوق.

وعندما رأى براسيداس الإشارة أمر الجنود بالنهوض، فاندفع إلى الأمام وسط هتافات رجاله الصاخبة، التي أحدثت الفزع بين أهل البلدة المندهشين. اقتحم بعضهم البوابة مباشرة، بينما قفز آخرون فوق قطع مربعة من الخشب وُضِعَت على الجدار (الذي سقط وكان يجري إعادة بنائه) لرفع الحجارة؛ وصعد براسيداس والعدد الأكبر منهم التل مباشرة إلى الجزء الأعلى من البلدة، من أجل الاستيلاء عليها من أعلى إلى أسفل، ومرة واحدة وإلى الأبد، بينما انتشر بقية الحشد في جميع الاتجاهات.

وقد تم الاستيلاء على المدينة قبل أن يستعيد الحشد الكبير من الطورونيين عافيته من المفاجأة والارتباك؛ ولكن المتآمرين ومواطني حزبهم انضموا على الفور إلى الغزاة. وكان نحو خمسين من المشاة الثقيلة الأثينيين نائمين في ساحة السوق عندما وصلهم الإنذار. وقُتل عدد قليل منهم أثناء القتال؛ وهرب الباقون، بعضهم براً،

والبعض الآخر إلى السفينتين الموجودتين في المحطة، ولجأوا إلى ليسيثوس، وهو حصن حامية من رجالهم في زاوية من المدينة يطل على البحر ويقطعه برزخ ضيق؛ حيث انضم إليهم الطورونيون من حزبهم.

"وحين حل النهار، وبعد تأمين المدينة، أصدر براسيداس نداءً إلى أهل تورون الذين لجأوا إلى الأثينيين، للخروج، من أرادوا، إلى ديارهم دون خوف على حقوقهم أو أشخاصهم، وأرسل مناديًا لدعوة الأثينيين إلى قبول الهدنة، وإخلاء ليسيثوس مع ممتلكاتهم، لأنها أرض خالكيدية. رفض الأثينيون هذا العرض، لكنهم طلبوا هدنة ليوم واحد لأخذ موتاهم. منحهم براسيداس الهدنة لمدة يومين، استخدمهما في تحصين المنازل القريبة، والأثينيون في فعل الشيء نفسه لتحصين مواقعهم. وفي غضون ذلك، دعا إلى اجتماع لأهل تورون، وقال كثيرًا ما قاله في أكانثوس، أي أنه يجب ألا ينظروا إلى أولئك الذين تفاوضوا معه للاستيلاء على المدينة على أنهم أشرار أو خونة، لأنهم لم يتصرفوا كما فعلوا بدوافع فاسدة أو من أجل استعباد المدينة، ولكن من أجل خير تورون وحريتها؛ "ولم يكن من الواجب على أولئك الذين لم يشاركوا في المشروع أن يتصوروا أنهم لن يحصدوا ثماره على قدم المساواة، لأنه لم يأت لتدمير مدينة أو فرد. وكان هذا هو سبب إعلانه لأولئك الذين فروا إلى الأثينيين بحثًا عن ملجأ: لم يكن يعتقد أنهم أسوأ منهم بسبب صداقتهم للأثينيين؛ كان يعتقد أنهم ما عليهم إلا أن يجربوا اللاكديمونيين ليحبوهم أيضًا، أو حتى أفضل منهم، لأنهم يتصرفون بشكل أكثر عدالة: وكان عدم وجود مثل هذه التجربة هو ما جعلهم الآن يخافون منهم. وفي الوقت نفسه، حذرهم جميعًا من الاستعداد ليكونوا حلفاء أقوياء، وأن يتحملوا المسؤولية عن كل الأخطاء في المستقبل: ففي الماضي، لم يخطئوا في اللاكديمونيين ولكن ظلمهم آخرون كانوا أقوى منهم، وأي معارضة قد يبديها له يمكن أن يُعذر.

وبعد أن شجعهم بهذا الخطاب، هاجم ليسيثوس بمجرد انتهاء الهدنة، وكان الأثينيون يدافعون عن أنفسهم من جدار ضعيف ومن بعض المنازل ذات الحواجز. وفي يوم هزموه؛ وفي اليوم التالي كان العدو يستعد لإحضار محرك ضدهم وكانوا يعتزمون إطلاق النار على الدفاعات الخشبية، وكانت القوات تقترب بالفعل من النقطة التي تصوروا أنها يمكن أن تجلب المحرك فيها بشكل أفضل، حيث كان المكان أكثر عرضة للهجوم؛ وفي الوقت نفسه أقام الأثينيون برجًا خشبيًا على منزل مقابل، وحملوا كمية من الجرار وبراميل الماء والحجارة الكبيرة، وصعد أيضًا عدد كبير من الرجال. وفجأة انهار المنزل المثقل بهذه الحمولة مع صوت تحطم عالٍ؛ مما أثار انزعاج الرجال الذين كانوا بالقرب ورأوا ذلك أكثر من خوفهم؛ ولكن أولئك الذين لم يكونوا قريبين جدًا، وخاصة أولئك الذين كانوا أبعد، ظنوا أن المكان قد احتل بالفعل عند هذه النقطة، وفروا على عجل إلى البحر والسفن.

"ولما رأى براسيداس أنهم يهجرون المتراس، ورأى ما يجري، اندفع إلى الأمام بقواته، واستولى على الفور على الحصن، وقتل كل من وجده فيه بحد السيف. وبهذه الطريقة، أخلى الأثينيون المكان، وعبروا في قواربهم وسفنهم إلى باليني. وكان هناك معبد لأثينا في ليسيثوس، وكان براسيداس قد أعلن في لحظة الهجوم أنه سيعطي ثلاثين مينا فضية للرجل الذي يقف أولاً على السور. ولأنه كان يعتقد الآن أن الاستيلاء لم يكن بسبب الوسائل البشرية، فقد أعطى الثلاثين مينا للإلهة لمعبدها، وهدم ليسيثوس وأزال الأنقاض، وجعلها كلها أرضًا مقدسة. وقضى بقية الشتاء في تسوية الأماكن التي بين يديه، ووضع الخطط على البقية؛ ومع انتهاء الشتاء انتهت السنة الثامنة من هذه الحرب.

وفي ربيع الصيف التالي، عقد اللاكيديمونيون والأثينيون هدنة لمدة عام؛ وظن الأثينيون أنهم بذلك سيحظون بفرصة كاملة لاتخاذ الاحتياطات اللازمة قبل أن يتمكن براسيداس من إثارة الثورة في أي من مدنهم، وربما يعقدون سلامًا عامًا إذا

كان ذلك مناسبًا لهم؛ وتوصل اللاكيديمونيون إلى معرفة المخاوف الحقيقية لدى الأثينيين، وظنوا أنهم بعد أن ذاقوا قسطًا من الراحة من المتاعب والبؤس سوف يكونون أكثر استعدادًا للموافقة على المصالحة، وإعادة الأسرى، وعقد معاهدة لفترة أطول. وكانت الفكرة العظيمة لدى اللاكيديمونيين هي استعادة رجالهم طالما دامت حظوظ براسيداس الطيبة: فقد تجعل النجاحات الإضافية الصراع أقل تفاوتًا في خالكيديس، ولكنها ستتركهم محرومين من رجالهم، وحتى في خالكيديس لن يكونوا أكثر من ند للأثينيين ولن يكونوا على يقين من النصر بأي حال من الأحوال. وبناءً على ذلك، تم التوصل إلى هدنة بين لاكيدايمون وحلفائها على الشروط التالية:

1. أما فيما يتعلق بمعبد أبولو البيثي ووحيه، فقد اتفقنا على أن من يريد الدخول إليه، دون غش أو خوف، وفقًا لعادات أسلافه. ويوافق أهل لاكيدايمون والحلفاء الحاضرون على هذا، ويعدون بإرسال رسل إلى أهل بيوتيا وفوسيا، وبذل قصارى جهدهم لإقناعهم بالموافقة على ذلك.

2. أما فيما يتعلق بكنز الإله، فإننا نتفق على بذل قصارى جهدنا للكشف عن كل المفسدين، وفقًا لعادات أسلافنا بصدق وأمانة، نحن وأنت وكل من يرغب في القيام بذلك، وفقًا لعادات أسلافنا. وفيما يتعلق بهذه النقاط، فإن أهل لاكيدايمون والحلفاء الآخرين متفقون كما قيل.

3. أما فيما يتعلق بما يلي، فإن اللاكيديمونيين والحلفاء الآخرين يتفقون، إذا أبرم الأثينيون معاهدة، على أن يبقى كل منا في أراضيه، محتفظًا بمكتسباته الخاصة: الحامية في كوريفاسيوم تحافظ على بوفراس وتوميوس؛ وفي كيثيرا لا تحاول الاتصال باتحاد البيلوبونيز، لا نحن معهم، ولا هم معنا؛ وفي نيصيا ومينوا لا يعبرون الطريق المؤدي من بوابات معبد نيسوس إلى معبد بوسيدون ومن هناك مباشرة إلى الجسر في مينوا: والميجاريون وحلفاؤهم ملزمون على قدم المساواة بعدم عبور هذا الطريق، والأثينيون يحتفظون بالجزيرة التي استولوا عليها، دون أي اتصال من أي من

الجانبين: أما بالنسبة لترويزن، فيحتفظ كل جانب بما لديه، وكما تم الاتفاق مع الأثينيين.

4. أما فيما يتعلق باستخدام البحر، فيما يتعلق بساحلهم وساحل اتحادهم، فيجوز للساكسونيين وحلفائهم السفر عليه في أي سفينة مجذفة بالمجاديف ولا يزيد حمولتها على خمسمائة طن، وليس سفينة حربية.

5. أن جميع المبعوثين والسفارات، مع أي عدد من المرافقين يرغبون فيه، لإنهاء الحرب وتسوية المطالبات، يجب أن يكون لهم حرية المرور، ذهاباً وإياباً، إلى البيلوبونيز أو أثينا عن طريق البر والبحر.

6. أنه خلال فترة الهدنة، لن يتم قبول الهاربين، سواء كانوا عبيدًا أو أحرارًا، لا من قبلكم ولا من قبلنا.

7. علاوة على ذلك، يجب أن يتم تقديم التعويض من قبلكم إلينا ومن قبلنا إليكم وفقًا للقانون العام في بلداننا المختلفة، ويتم تسوية جميع النزاعات بموجب القانون دون اللجوء إلى الأعمال العدائية.

"يوافق أهل لاكيدايمون وحلفاؤهم على هذه المواد؛ ولكن إذا كان لديك أي شيء أكثر عدلاً أو عدالة لتقترحه، فتعال إلى لاكيدايمون وأعلمنا بذلك: أي شيء سيكون عادلاً لن يلقى أي اعتراض سواء من أهل لاكيدايمون أو من الحلفاء. فقط دع أولئك الذين يأتون يأتون بكامل السلطات، كما تريد منا. ستكون الهدنة لمدة عام واحد"

تمت الموافقة عليها من قبل الشعب.

"كانت قبيلة أكامانتيس هي التي تتولى رئاسة المجلس، وكان فينيبوس أميناً للمجلس، وكان نيسيادس رئيساً للمجلس. واقترح لاخيس، باسم حسن حظ

الأثينيين، أن يبرموا الهدنة وفقاً للشروط التي اتفق عليها أهل لاكيدايمون والحلفاء. واتفق المجلس الشعبي على أن تكون الهدنة لمدة عام واحد، تبدأ من ذلك اليوم نفسه، الرابع عشر من شهر إلافيبوليون؛ وخلال هذه الفترة يجب أن يذهب السفراء والرسل إلى البلدين لمناقشة أسس السلام. ويجب على القادة والرؤساء أن يدعوا إلى اجتماع شعبي، حيث يجب على الأثينيين أولاً التشاور بشأن السلام، والطريقة التي يجب أن يتم بها قبول السفارة لإنهاء الحرب. ويجب على السفارة الحاضرة الآن أن تتعهد فوراً أمام الشعب بالحفاظ على هذه الهدنة بشكل جيد وحقيقي لمدة عام واحد.

وعلى هذه الشروط عقد اللاكيديمونيون اتفاقًا مع الأثينيين وحلفائهم في اليوم الثاني عشر من الشهر الإسبرطي جيراستيوس؛ كما أقسم الحلفاء اليمين. وكان من بين الذين اختتموا القربان وسكبوه توروس بن إكيتيميدس، وأثينيوس بن بيركليداس، وفيلوخاريداس بن إريكسيدايداس، من اللاكيديمونيين؛ وإينياس بن أوكيتوس، وإيوفاميداس، بن أريستونيموس، من الكورنثيين؛ وديموتيموس بن ناوكراتيس، وأوناسيموس، بن ميجاكليس، من السكيونيين؛ ونيكاسوس بن سيكالوس، ومنيكراتيس، بن أمفيدوروس، من الميجاريين؛ وأمفياس بن يوبايداس، من الإبيداوريان؛ وكان من بين القادة الأثينيين نيكستراتوس بن ديتريفيس، ونيسياس بن نيسيراتوس، وأوتوكليس بن تولماوس. وكانت هذه هي الهدنة، وخلالها استمرت المؤتمرات حول موضوع التهدئة.

في الأيام التي كانا فيها ذاهبين إلى هذه المؤتمرات، ثارت مدينة سكيوني في باليني على أثينا، وانتقلت إلى براسيداس. ويقول السكيونيون إنهم من سكان باليني من البيلوبونيز، وأن مؤسسيهم الأوائل في رحلتهم من طروادة جرفتهم العاصفة التي حاصرت الآخيين إلى هذا المكان، واستقروا هناك. وما إن ثار السكيونيون حتى عبر براسيداس ليلاً إلى سكيوني، ومعه سفينة حربية صديقة أمامه، وهو في قارب صغير

خلفه بمسافة ما؛ وكان يعتقد أنه إذا صادف سفينة أكبر من القارب فسوف يكون لديه السفينة الحربية للدفاع عنه، في حين أن السفينة التي تضاهي السفينة الحربية ربما تهمل السفينة الصغيرة لمهاجمة السفينة الكبيرة، وبالتالي تترك له الوقت للهروب. وبعد أن نجح في مهمته، دعا إلى اجتماع للسكيونيين وتحدث بنفس الأسلوب الذي تحدث به في أكانتوس وتوروني، وأضاف أنهم يستحقون أقصى درجات التقدير، وذلك لأنهم على الرغم من عزلة باليني داخل البرزخ بسبب احتلال أثينا لبوتيديا وموقفهم المنعزل عمليًا، فقد ساروا بإرادتهم الحرة إلى الأمام لنيل حريتهم بدلاً من الانتظار بخوف حتى يتم إجبارهم بالقوة على تحقيق مصلحتهم الواضحة. كانت هذه علامة على أنهم سيخوضون أي محنة بشجاعة، مهما كانت كبيرة؛ وإذا رتب الأمور كما ينوي، فسوف يعدهم من أصدق وأصدق أصدقاء اللاكديمونيين، وسوف يكرمهم بكل طريقة أخرى.

ولقد كان أهل سيون مسرورين بلغته، وحتى أولئك الذين لم يوافقوا في البداية على ما كان يجري، وحظوا بثقة عامة الناس، فقد قرروا إدارة الحرب بقوة، ورحبوا براسيداس بكل التكريمات الممكنة، وتوجوه علنًا بتاج من الذهب باعتباره محرر اليونان؛ بينما احتشد الناس حوله وزينوه بالأكاليل وكأنه لاعب رياضي. وفي الوقت نفسه، ترك لهم براسيداس حامية صغيرة في الوقت الحالي وعبر عائدًا مرة أخرى، ولم يمض وقت طويل حتى أرسل قوة أكبر، وكان ينوي بمساعدة أهل سيون محاولة الاستيلاء على ميندي وبوتيديا قبل وصول الأثينيين؛ فقد شعر أن سيون كانت أشبه بجزيرة لا يمكن للأثينيين أن ينقذوها منها. وكان لديه أيضًا معلومات استخباراتية في المدن المذكورة أعلاه عن خيانتهم.

وفي خضم مخططاته على المدن المعنية، وصلت سفينة حربية تحمل المفوضين حاملين أخبار الهدنة، أريستونيموس للأثينيين وأثينيوس للاكيديمونيين. ثم عبرت القوات عائدة إلى توروني، وأبلغ المفوضون براسيداس بالاتفاقية. وتقبل جميع حلفاء

اللاكيديمونيين في تراقيا ما تم؛ ولم يبد أريستونيموس أي صعوبة بشأن الباقين، ولكنه وجد بعد عد الأيام أن السكيونيين ثاروا بعد تاريخ الاتفاقية، فرفض ضمهم إليها. واعترض براسيداس بشدة على هذا، مؤكدًا أن الثورة حدثت قبل ذلك التاريخ، ولن يتخلى عن المدينة. وعندما أبلغ أريستونيموس أثينا بالقضية، استعد الناس على الفور لإرسال بعثة إلى سكيونيين. وعند هذا وصل مبعوثون من لاكيدايمون، زاعمين أن هذا سيكون خرقًا للهدنة، وطالبوا بالمدينة بناءً على تأكيد براسيداس، وعرضوا في الوقت نفسه إحالة المسألة إلى التحكيم. ومع ذلك، كان التحكيم هو ما اختار الأثينيون عدم المخاطرة به؛ فقد عزموا على إرسال قوات على الفور إلى المكان، وغضبوا من فكرة أن حتى سكان الجزيرة يجرؤون الآن على الثورة، في الاعتماد على قوة اللاكيدايمونيين على البر. بالإضافة إلى ذلك، كانت وقائع الثورة كما زعم الأثينيون إلى حد ما، حيث ثار السكيونيون بعد يومين من الاتفاقية. وبالتالي نجح كليون في الحصول على مرسوم لتقليص عدد السكيونيين وإعدامهم؛ واستغل الأثينيون وقت الفراغ الذي يتمتعون به الآن في الاستعداد للحملة.

وفي غضون ذلك ثارت مدينة ميندي، وهي مدينة في باليني ومستعمرة للإريتريين، واستقبلها براسيداس دون تردد، على الرغم من أنها كانت قد استولت عليها بوضوح أثناء الهدنة، بسبب بعض الانتهاكات للهدنة التي زعمها ضد الأثينيين. وقد كان سبب هذه الجرأة من جانب مندي هو رؤيته لبراسيداس وهو يتقدم في الأمر والاستنتاجات التي استخلصها من رفضه خيانة سكيوني؛ فضلاً عن ذلك، كان عدد المتآمرين في مندي قليلاً، وكما أشرت بالفعل، فقد استمروا في ممارساتهم لفترة أطول مما ينبغي لدرجة أنهم لم يخشوا الكشف عن أنفسهم، ولم يرغبوا في إجبار الجماهير على الرضوخ. وقد أثار هذا الخبر غضب الأثينيين أكثر من أي وقت مضى، واستعدوا على الفور ضد المدينتين. كان براسيداس يتوقع وصولهم، فأرسل إلى أولينثوس في خالكيذا نساء وأطفال السكونيين والمنديين، وأرسل إليهم خمسمائة من المشاة

الثقيلة البيلوبونيسية وثلاثمائة من الهدافين الخلقيديين، كلهم تحت قيادة بوليداميداس.

"وبعد أن ترك براسيداس وبرديكاس المدينتين للاستعداد معًا لمواجهة وصول الأثينيين السريع، انطلقا في حملة مشتركة ثانية إلى لينكوس ضد أرابيوس؛ حيث كان الأخير مع قوات رعيته المقدونيين، وفيلق من المشاة الثقيلة يتألف من اليونانيين المقيمين في البلاد؛ وكان الأول مع البيلوبونيزيين الذين ما زالوا معه والخلقيديين والأكانثيين وبقية القوات بما استطاعوا. وكان مجموع المشاة الثقيلة اليونانية حوالي ثلاثة آلاف، مصحوبين بكل سلاح الفرسان المقدوني مع الخلقيديين، الذين بلغ عددهم حوالي ألف جندي، بالإضافة إلى حشد هائل من البرابرة. وعند دخولهما إلى بلاد أرابيوس، وجدا أن اللينكستيين خيموا في انتظارهما، فاتخذا موقعًا مقابلًا لهما. وكان المشاة على كلا الجانبين على تلة، بينها سهل، نزلت إليه خيول الجيشين أولاً وبدأت في قتال الفرسان. وبعد ذلك تقدمت قوات المشاة الثقيلة من تلال لينكستيا للانضمام إلى فرسانهم وعرضوا القتال، وعندها نزل براسيداس وبرديكاس لملاقاتهم، واشتبكا معهم وهزماهم بخسائر فادحة، ولجأ الناجون إلى المرتفعات وظلوا هناك غير نشطين. ثم نصب المنتصرون غنائمهم وانتظروا يومين أو ثلاثة أيام حتى ينضم المرتزقة الإليريون إلى بيرديكاس. ثم أراد بيرديكاس أن يواصل الهجوم على قرى أرابيوس، وألا يظل ساكنًا لفترة أطول؛ لكن براسيداس، خوفًا من أن يبحر الأثينيون أثناء غيابه، ومن حدوث شيء لميندي، ونظرًا لعدم ظهور الإليريين، فقد كان حريصًا على العودة.

وبينما كانا يتجادلان على هذا النحو، وصلت الأخبار بأن الإليريين قد خانوا بيرديكاس وانضموا إلى أرهابايوس؛ والخوف الذي أثارته شخصيتهم الحربية جعل كلا الطرفين يعتقدان الآن أنه من الأفضل الانسحاب. ومع ذلك، بسبب النزاع، لم يتم تحديد أي شيء بشأن متى يجب أن يبدأوا؛ ومع حلول الليل، أصيب المقدونيون وحشد

البرابرة بالذعر في لحظة واحدة من تلك الهلع الغامض الذي تتعرض له الجيوش العظيمة؛ واقتنعوا بأن جيشًا يفوق عدده عدة مرات الجيش الذي وصل بالفعل كان يتقدم نحوهم، وفجأة انكسر وفر في اتجاه الوطن، مما أجبر بيرديكاس، الذي لم يدرك في البداية ما حدث، على المغادرة دون أن يرى براسيداس، حيث كان الجيشان معسكرين على مسافة كبيرة من بعضهما البعض. وعند شروق الشمس، أدرك براسيداس أن المقدونيين قد تقدموا، وأن الإليريين وأرابيوس كانوا على وشك مهاجمته، فشكل قواته الثقيلة في مربع، مع القوات الخفيفة في الوسط، واستعد هو أيضًا للتراجع. فوضع أصغر جنوده للاندفاع إلى حيث قد يهاجمهم العدو، وكان هو نفسه مع ثلاثمائة رجل مختار في المؤخرة يعتزم مواجهة العدو أثناء التراجع وصد المهاجمين الأكثر تقدمًا. وفي الوقت نفسه، قبل أن يقترب العدو، سعى إلى دعم شجاعة جنوده بالحث السريع التالي:

"أيها البيلوبونيزيون، لو لم أكن أشك في أنكم قد تصابون بالذعر بسبب تركَكم وحدكم لتحمل هجوم عدو همجي كبير، لكنت قلت لكم بضع كلمات كالمعتاد دون مزيد من التوضيح. ولكن في مواجهة هجران أصدقائنا وأعداد العدو، لدي بعض النصائح والمعلومات لأقدمها، والتي على الرغم من إيجازها، إلا أنها ستكون كافية، كما آمل، للنقاط الأكثر أهمية. إن الشجاعة التي تظهرونها عادة في الحرب لا تعتمد على وجود حلفاء إلى جانبكم في هذا أو ذاك اللقاء، بل تعتمد على شجاعتكم الفطرية؛ ولا يوجد أي خوف من أعداد مواطني الدول مثل دولتكم، حيث لا يحكم الكثيرون القليل، بل يحكم القليل الكثير، ولا يرجعون في مكانتهم إلى شيء آخر غير التفوق في الميدان. إن قلة الخبرة تجعلك الآن خائفًا من البرابرة؛ ومع ذلك، فإن اختبار القوة الذي خضته مع المقدونيين من بينهم، وحكمي الشخصي، الذي أكده ما سمعته من الآخرين، يجب أن يكون كافيًا لإقناعك بأنهم لن يثبتوا أنهم هائلون. "حيث يبدو العدو قوياً ولكنه ضعيف حقاً، فإن المعرفة الحقيقية بالحقائق تجعل خصمه أكثر جرأة، تماماً كما يواجه العدو الجاد بثقة أكبر من قبل أولئك الذين لا يعرفونه. وبالتالي

فإن العدو الحالي قد يرعب خيالاً عديم الخبرة؛ فهم هائلون في حجمهم الخارجي، وصراخهم العالي لا يطاق، ولوحهم بأسلحتهم في الهواء له مظهر مهدد. ولكن عندما يتعلق الأمر بالقتال الحقيقي مع خصم ثابت على أرضه، فإنهم ليسوا كما بدا لهم؛ ليس لديهم نظام منتظم يجب أن يخجلوا من ترك مواقعهم عندما يتعرضون لضغوط شديدة؛ الفرار والهجوم لديهما على حد سواء مشرفان، ولا يشكلان اختباراً للشجاعة؛ أسلوبهم المستقل في القتال لا يترك أبداً أي شخص يريد الفرار دون عذر عادل للقيام بذلك. باختصار، يعتقدون أن تخويفك على مسافة آمنة لعبة أضمن من مواجهتك وجهاً لوجه؛ وإلا لكانوا قد فعلوا أحدهما ولم يفعلوا الآخر. "وبالتالي، يمكنك أن ترى بوضوح أن المخاوف التي أُثيرت في البداية كانت في الواقع تافهة بما فيه الكفاية، وإن كانت بارزة جدًا للعين والأذن. لذا، قف في مكانك عندما يتقدمون، وانتظر مرة أخرى الفرصة للتراجع في حالة جيدة، وستصل إلى مكان آمن في وقت أقرب، وستعرف إلى الأبد بعد ذلك أن الغوغاء مثل هؤلاء، لأولئك الذين يتحملون هجومهم الأول، لا يظهرون شجاعتهم إلا بالتهديد بالأشياء الرهيبة التي سيفعلونها عن بعد، ولكن مع أولئك الذين يفسحون المجال لهم، يكونون سريعين بما يكفي لإظهار بطولتهم في المطاردة عندما يتمكنون من القيام بذلك دون خطر. "

وبعد هذا الخطاب المختصر بدأ براسيداس يقود جيشه. فلما رأى البرابرة ذلك، تقدموا في صراخ وضوضاء، معتقدين أنه هارب وأنهم سيلحقون به ويقطعون طريقه. ولكن أينما هاجموا وجدوا الشباب مستعدين للهجوم عليهم، بينما واصل براسيداس ومجموعته المختارة الهجوم. وهكذا صمد البيلوبونيزيون في وجه الهجوم الأول، على الرغم من مفاجأة العدو، ثم استقبلوهم وصدوهم بأسرع ما تقدموا، وانسحبوا بمجرد أن هدأ خصومهم. وهكذا توقف الجزء الرئيسي من البرابرة عن إزعاج اليونانيين مع براسيداس في البلاد المفتوحة، وتركوا وراءهم عددًا معينًا لمضايقة مسيرتهم، وواصل الباقون مطاردة المقدونيين الهاربين، وقتلوا أولئك الذين رافقوهم، ووصلوا في الوقت المناسب لاحتلال الممر الضيق بين تلين يؤدي

إلى بلاد أرابيوس. لقد عرفوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن لبراسيداس أن يتراجع بها، فشرعوا الآن في تطويقته عندما دخل الجزء الأكثر صعوبة من الطريق، من أجل قطع الطريق عليه.

ولما أدرك براسيداس نواياهم أمر رجاله الثلاثمائة بالركض دون ترتيب، كل واحد بأسرع ما يمكن، إلى التل الذي يبدو أنه الأسهل في الاستيلاء عليه، ومحاولة طرد البرابرة الذين كانوا هناك بالفعل، قبل أن ينضم إليهم الجزء الرئيسي الذي يحيط به. وهاجم هؤلاء المجموعة على التل وتغلبوا عليها، وتقدم الجيش الرئيسي للهيلينيين الآن بصعوبة أقل - حيث خاف البرابرة من رؤية رجالهم على ذلك الجانب يُطردون من التل ولا يتبعون الجزء الرئيسي، الذي اعتقدوا أنه اكتسب الحدود ونجح في الفرار. وبمجرد الوصول إلى المرتفعات، تقدم براسيداس الآن بأمان أكبر، وفي نفس اليوم وصل إلى أرنيسا، أول مدينة في ممتلكات بيرديكاس. "لقد غضب الجنود من هروب المقدونيين، وصبوا غضبهم على كل أنيار الثيران التي وجدوها على الطريق، وعلى كل الأمتعة التي سقطت (كما قد يحدث بسهولة في حالة الذعر التي قد تحدث أثناء الخلوة الليلية)، وذلك بفك أنيار الماشية وقطعها وأخذ الأمتعة لأنفسهم. ومنذ تلك اللحظة بدأ بيرديكاس ينظر إلى براسيداس باعتباره عدوًا ويشعر تجاه البيلوبونيزيين بكراهية لا يمكن أن تتفق مع خصم الأثينيين. ومع ذلك، فقد انحرف عن مصالحه الطبيعية وجعل من مساعيه التوصل إلى اتفاق مع الأخير والتخلص من الأول.

"عند عودته من مقدونيا إلى توروني، وجد براسيداس الأثينيين قد استولوا بالفعل على مندي، وظل صامتًا حيث كان، معتقدًا أنه من غير الممكن الآن أن يعبر إلى باليني ويساعد المندائيين، لكنه كان يراقب توروني جيدًا. وفي نفس الوقت تقريبًا الذي كانت فيه الحملة في لينكوس، أبحر الأثينيون في الحملة التي تركناها لهم يستعدون لها ضد مندي وسكيون، بخمسين سفينة، عشر منها كانت من الخيانيين، وألف من المشاة الثقيلة الأثينية وستمائة من الرماة، ومائة من المرتزقة التراقيين

وبعض الرماة الذين تم اختيارهم من حلفائهم في الجوار، تحت قيادة نيسياس، ابن نيسيراتوس، ونيكوستراتوس، ابن ديتريفيس. وبعد أن زن الأسطول من بوتيديا، وصل إلى البر المقابل لمعبد بوسيدون، وتقدم نحو مندي؛ "ووجد رجال هذه المدينة، المعززون بثلاثمائة رجل من سكانيون، مع قواتهم المساعدة من البيلوبونيز، وسبعمائة من المشاة الثقيلة، بقيادة بوليداميداس، معسكرين على تلة قوية خارج المدينة. وحاول هؤلاء نيسياس، ومعهم مائة وعشرون رجلاً من ميثونيين مسلحين بأسلحة خفيفة، وستين رجلاً مختارًا من المشاة الثقيلة الأثينية، وجميع الرماة، الوصول عبر مسار يمتد على التل، لكنه أصيب بجرح ووجد نفسه غير قادر على فرض الموقف؛ بينما كان نيكوستراتوس، مع بقية الجيش، يتقدم نحو التل، الذي كان صعبًا بطبيعة الحال، من خلال نهج مختلف أبعد، فألقي به في حالة من الفوضى التامة؛ ونجا الجيش الأثيني بأكمله من الهزيمة بأعجوبة. ففي ذلك اليوم، نظرًا لأن المندائيين وحلفائهم لم يظهروا أي علامات على الاستسلام، تراجع الأثينيون وعسكروا، وعاد المندائيون إلى المدينة عند حلول الليل.

"في اليوم التالي أبحر الأثينيون حول الجانب السكيوني، واستولوا على الضاحية، ونهبوا البلاد طوال اليوم، دون أن يخرج أحد لمواجهتهم، ويرجع ذلك جزئيًا إلى الاضطرابات المعوية في المدينة؛ وفي الليلة التالية عاد السكيونيون الثلاثمائة إلى ديارهم. وفي الغد تقدم نيسياس بنصف الجيش إلى حدود السكيوني ودمر البلاد؛ بينما جلس نيكوستراتوس مع البقية أمام المدينة بالقرب من البوابة العليا على الطريق المؤدي إلى بوتيديا. تصادف أن أسلحة المندائيين ومعاونيهم من البيلوبونيز داخل السور كانت مكدسة في ذلك الحي، حيث بدأ بوليداميداس وفقًا لذلك في حشدهم للمعركة، وشجع المندائيين على القيام بهجوم. في هذه اللحظة أجابه أحد أفراد المجموعة الشعبية بشكل متناقض بأنهم لن يخرجوا ولا يريدون الحرب، ولأنه أجاب على هذا النحو جره بوليداميداس من ذراعه وضربه. "وعندئذ استولى عامة الشعب الغاضبون على أسلحتهم على الفور واندفعوا نحو البيلوبونيزيين وحلفائهم من الفصيل

المعارض. وعلى الفور هُزمت القوات التي هوجمت بهذه الطريقة، جزئيًا بسبب فجائية الصراع وجزئيًا بسبب الخوف من فتح البوابات للأثينيين، الذين تصوروا أن الهجوم كان بالاتفاق معهم. ولجأ من لم يُقتل على الفور إلى القلعة التي احتفظوا بها منذ البداية؛ وبعد أن عاد نيسياس في ذلك الوقت واقترب من المدينة، اقتحم الجيش الأثيني بالكامل مدينة مندي، التي فتحت بواباتها دون أي اتفاق، ونهبها كما لو كانوا قد اقتحموها عنوة، حتى أن القادة وجدوا صعوبة في منعهم من ذبح السكان أيضًا. بعد ذلك أخبر الأثينيون المندائيين أنهم قد يحتفظون بحقوقهم المدنية، وأنهم سيحاكمون بأنفسهم مؤلفي الثورة المزعومين؛ وعزلوا المجموعة في القلعة بسور مبني حتى البحر على كلا الجانبين، وعينوا قوات للحفاظ على الحصار. وبعد تأمين مندي بهذه الطريقة، تقدموا ضد سكيوني.

وخرج السكيونيون والبيلوبونيزيون لمواجهتهم، فاحتلوا تلة قوية أمام المدينة، وكان لزاماً على العدو أن يستولي عليها قبل أن يتمكنوا من حصار المكان. فاقتحم الأثينيون التلة، وهزموا شاغليها وأخرجوهم من ديارهم، وبعد أن نصبوا معسكرهم وأقاموا غنائمهم، استعدوا لعملية الالتفاف حول المدينة. وبعد فترة وجيزة من بدء عملياتهم، تمكن المساعدون المحاصرون في قلعة مندي من إجبار الحرس على الانسحاب إلى جانب البحر، ووصلوا ليلاً إلى سكيون، حيث نجح معظمهم في دخولها، بعد أن مروا عبر الجيش المحاصر.

وبينما كان الاستيلاء على سكيوني جارياً، أرسل بيرديكاس رسولاً إلى القادة الأثينيين وعقد السلام مع الأثينيين، وذلك من خلال الكراهية ضد براسيداس بسبب انسحابه من لينكوس، ومن تلك اللحظة بدأ بالفعل في التفاوض. وكان إسكاجوراس اللاكيديموني على وشك البدء في إرسال جيش بري للانضمام إلى براسيداس؛ وبعد أن طلب منه نيسياس الآن أن يقدم بعض الأدلة على صدق مصالحته مع الأثينيين، ولأنه لم يعد راغباً في السماح للبلبونيزيين بدخول بلاده، حرك أصدقاءه في ثيساليا،

الذين كان حريصاً دائماً على إقامة علاقات مع كبار رجالهم، وبالتالي أوقف الجيش واستعداده بفعالية حتى أنهم لم يحاولوا حتى مهاجمة الثيساليين. ومع ذلك، نجح إسكاجوراس نفسه، بمساعدة أمينياس وأريستيوس، في الوصول إلى براسيداس؛ لقد كلفهم أهل لاكيدايمون بفحص حالة الأمور، وأحضروا من أسبرطة (في انتهاك لكل السوابق) بعضًا من شبابهم لتولي قيادة المدن، والحذر من أن يتم تكليفهم بالمهمة على الفور. وبناءً على ذلك، وضع براسيداس كليريداس، ابن كليونيموس، في أمفيبوليس، وباسيتيليداس، ابن هيجيساندر، في توروني.

وفي نفس الصيف قام أهل طيبة بهدم سور الثيسبيين بتهمة الأتيكية، وكانوا يرغبون في ذلك منذ البداية، ولكنهم وجدوا الأمر سهلاً الآن، حيث هلكت زهرة شباب الثيسبيين في المعركة مع الأثينيين. وفي نفس الصيف أيضًا احترق معبد هيرا في أرغوس، وذلك على يد كريسيس الكاهنة التي وضعت شعلة مضاءة بالقرب من الأكاليل ثم نامت، حتى اشتعلت النيران في كل الأكاليل واشتعلت فيها النيران قبل أن تلاحظ ذلك. وفي نفس الليلة هربت كريسيس إلى فليوس خوفًا من الأرجيفيين، الذين عينوا كاهنة أخرى تدعى فاينيس، وفقًا للقانون في مثل هذه الحالة. كانت كريسيس وقت هروبها كاهنة لمدة ثماني سنوات من الحرب الحالية ونصف السنة التاسعة. وفي نهاية الصيف اكتمل حصار سكيون، وعاد الأثينيون، الذين تركوا مفرزة للحفاظ على الحصار، مع بقية جيشهم.

خلال الشتاء التالي، ظل الأثينيون واللاكيديمونيون هادئين بموجب الهدنة؛ لكن المانتينيين والتيجيين وحلفاءهم خاضوا معركة في لاوديسيوم، في أوريستي. وظل النصر مشكوكًا فيه، حيث هزم كل جانب أحد الأجنحة المعارضة له، وأقام كل منهما جوائز وأرسل الغنائم إلى دلفي. وبعد خسائر فادحة من كلا الجانبين، لم تُحسم المعركة، وقاطع الليل الأحداث؛ ومع ذلك أمضى التيجيون الليل في الميدان وأقاموا جائزة على الفور، بينما انسحب المانتينيون إلى بوكوليون وأقاموا جوائزهم بعد ذلك.

وفي نهاية نفس الشتاء، أو في الربيع تقريبًا، حاول براسيداس الاستيلاء على بوتيديا. فوصل ليلًا، ونجح في نصب سلم على الحائط دون أن يكتشف أمره، حيث تم نصب السلم في الفترة الفاصلة بين رنين الجرس وعودة الرجل الذي أحضره. ولكن براسيداس، الذي أدرك الخطر فور وصول رجاله، سارع إلى قيادة قواته، دون انتظار حلول النهار. وهكذا انتهى الشتاء والسنة التاسعة من هذه الحرب التي كان ثوسيديديس مؤرخًا لها.

الكتاب الخامس

الفصل الخامس عشر

السنة العاشرة من الحرب - موت كليون وبراسيداس - سلام نيسياس

وفي الصيف التالي انتهت الهدنة التي دامت عامًا كاملًا، بعد أن استمرت حتى الألعاب البيثية. وخلال الهدنة طرد الأثينيون أهل ديلوس، مستنتجين أنهم ربما كانوا قد تدنسوا بذنب قديم في وقت تكريسهم، وأن هذا كان الإهمال في تطهير الجزيرة السابق، والذي كان يُعتقد، كما ذكرت، أنه تم إنجازه على النحو اللائق بإزالة قبور الموتى. وقد منح فارناكيس أهل ديلوس مدينة أتراميتيوم في آسيا، واستقروا فيها عندما انتقلوا من ديلوس.

وفي غضون ذلك نجح كليون في إقناع الأثينيين بالسماح له بالإبحار عند انتهاء الهدنة إلى المدن الواقعة في اتجاه تراقيا ومعه ألف ومائتان من المشاة الثقيلة وثلاثمائة فارس من أثينا وقوة كبيرة من الحلفاء وثلاثون سفينة. فتوجه أولاً إلى مدينة سكيون المحاصرة، وأخذ بعض المشاة الثقيلة من الجيش هناك، ثم أبحر إلى كوفوس، وهو ميناء في إقليم توروني، وهو ليس بعيدًا عن المدينة. ومن هناك، بعد أن علم من الفارين أن براسيداس ليس في توروني، وأن حامية المدينة ليست قوية بما يكفي لخوض معركة معه، تقدم بجيشه ضد المدينة، وأرسل عشر سفن للإبحار حول الميناء. ووصل أولاً إلى الحصن الذي أقامه براسيداس مؤخرًا أمام المدينة من أجل الاستيلاء على الضاحية، وهو ما فعله بهدم جزء من السور الأصلي وجعلها كلها مدينة واحدة. "وعند هذه النقطة سارع باسيتيليداس، القائد اللاكيدي، ومعه الحامية الموجودة في المكان، لصد الهجوم الأثيني؛ ولكن عندما وجد نفسه في مأزق، ورأى السفن التي أُرسلت حول الميناء تبحر، بدأ باسيتيليداس يخشى أن يصلوا إلى المدينة قبل أن يصل المدافعون عنها، ولأن التحصينات قد تم الاستيلاء عليها أيضًا،

فقد يتم أسره، لذلك ترك العمل الخارجي وركض إلى المدينة. ولكن الأثينيين كانوا قد استولوا على توروني من السفن بالفعل، واندفعت قواتهم البرية التي كانت تتبعه في أعقابه إلى الجزء من الجدار القديم الذي تم هدمه، فقتلت بعض البيلوبونيزيين والتورونيين في المعركة، وأسرت الباقين، وكان باسيتيليداس قائدهم من بينهم. وفي غضون ذلك، تقدم براسيداس لإنقاذ توروني، ولم يتبق له سوى أربعة أميال تقريبًا عندما سمع بسقوطها على الطريق، وعاد أدراجه. "وقام كليون والأثينيون بنصب غنيمتين، إحداهما عند الميناء، والأخرى عند التحصينات، واستعبدوا زوجات وأبناء التورونيين، وأرسلوا الرجال مع البيلوبونيزيين وكل من كان هناك من الكالسيديين، وكان عددهم سبعمائة رجل، إلى أثينا؛ ولكنهم عادوا جميعًا إلى ديارهم بعد ذلك، البيلوبونيزيون بعد إبرام السلام، والبقية بعد تبادلهم مع أسرى آخرين مع الأولينثيين. وفي نفس الوقت تقريبًا، استولى البويوتيون على باناكتوم، وهي قلعة على الحدود الأثينية، بالخيانة. وفي الوقت نفسه، بعد أن وضع كليون حامية في تورون، رفع المرساة وأبحر حول آثوس في طريقه إلى أمفيبوليس.

وفي نفس الوقت تقريبًا أبحر فايكس، ابن إيراسيستراتوس، مع اثنين من زملائه كسفير من أثينا إلى إيطاليا وصقلية. وكان أهل ليونتين قد سجلوا عددًا من المواطنين الجدد على القائمة بعد رحيل الأثينيين من صقلية بعد السلام، وكان لدى عامة الناس خطة لإعادة تقسيم الأرض؛ ولكن الطبقات العليا، التي كانت على علم بنيتهم، استدعت أهل سيراقوسة وطردت عامة الناس. وتشتت هؤلاء في اتجاهات مختلفة؛ ولكن الطبقات العليا توصلت إلى اتفاق مع أهل سيراقوسة، فهجروا مدينتهم ودمروها، وذهبوا للعيش في سيراقوسة، حيث أصبحوا مواطنين. وبعد ذلك شعر بعضهم بالاستياء، فغادروا سيراقوسة واحتلوا فوكايا، وهي ربع مدينة ليونتيني، وبريسينيا، وهي مكان قوي في بلاد ليونتيني، وانضم إليهم معظم عامة الناس المنفيين هناك وشنوا الحرب من التحصينات. ولما سمع الأثينيون بهذا الأمر، أرسلوا فايكس ليرى ما إذا كان بوسعهم إقناع حلفائهم هناك وبقية الصقليين

بالخطط الطموحة التي وضعتها سيراكوزا لحملهم على تشكيل تحالف عام ضدها، وبالتالي إنقاذ عامة سكان ليونتيني. وحين وصل فايكس إلى صقلية، نجح في كامارينا وأغريجنتوم، ولكن بعد أن واجه مقاومة شرسة في جيلا، لم يتمكن من مواصلة حملته، لأنه رأى أنه لن ينجح معهم، بل عاد عبر بلاد الصقليين إلى كاتانا، وبعد أن زار بريسينيا أثناء مروره بها، وشجع سكانها، أبحر عائداً إلى أثينا.

خلال رحلته على طول الساحل من وإلى صقلية، تعامل مع بعض المدن في إيطاليا بشأن الصداقة مع أثينا، كما التقى ببعض المستوطنين اللوكريين المنفيين من ميسينا، والذين تم إرسالهم إلى هناك عندما استدعى أحد الفصائل التي قسمت ميسينا بعد إحلال السلام في صقلية اللوكريين، ووقعت ميسينا لبعض الوقت في أيدي اللوكريين. وعندما التقى بهم فايكس عند عودتهم إلى الوطن لم يتعرضوا لأذى على يديه، حيث اتفق اللوكريون معه على معاهدة مع أثينا. كانوا الشعب الوحيد من الحلفاء الذين لم يعقدوا السلام معها عندما حدث المصالحة بين الصقليين؛ ولم يكونوا ليفعلوا ذلك الآن، لو لم يتعرضوا لضغوط بسبب الحرب مع الهيبونيين والميديين الذين عاشوا على حدودهم، وكانوا مستعمرين لهم. وفي غضون ذلك، واصل فايكس رحلته، ووصل أخيرًا إلى أثينا.

"وبعد أن تركنا كليون في رحلته من تورون إلى أمفيبوليس، اتخذ من إيون قاعدة له، وبعد هجوم فاشل على مستعمرة أندريان في ستاجيروس، استولى على جاليبسوس، إحدى مستعمرات ثاسوس، بالهجوم. فأرسل مبعوثين إلى بيرديكاس ليأمره بحضور جيش، كما نص على ذلك التحالف؛ وآخرين إلى تراقيا، إلى بوليس، ملك أودومانتيان، الذي كان من المقرر أن يحضر أكبر عدد ممكن من المرتزقة التراقيين؛ وظل هو نفسه غير نشط في إيون، في انتظار وصولهم. وبعد أن علم براسيداس بذلك، اتخذ من سيرديليوم موقعًا للمراقبة، وهو مكان يقع في بلاد أرجيليا على أرض مرتفعة عبر النهر، ليس بعيدًا عن أمفيبوليس، ويطل على جميع الجوانب، وبالتالي جعل من

المستحيل على جيش كليون أن يتحرك دون أن يراه؛ لأنه كان يتوقع تمامًا أن يزحف كليون، الذي يحتقر الأعداد الضئيلة لخصمه، ضد أمفيبوليس بالقوة التي حصل عليها معه. وفي الوقت نفسه، قام براسيداس بإعداد استعداداته، فجمع على لواءه ألفًا وخمسمائة مرتزق من ثراسيا وجميع الأدونيين، من الفرسان والرماة؛ وكان معه أيضًا ألف من المرتزقة من ميرسينيا وخالسيديا، بالإضافة إلى أولئك الذين كانوا في أمفيبوليس، وقوة من المشاة الثقيلة يبلغ مجموعها نحو ألفين وثلاثمائة فارس يوناني. وكان معه ألف وخمسمائة من هؤلاء في سرديليوم؛ وكان الباقون متمركزين مع كلياريداس في أمفيبوليس.

وبعد أن ظل كليون هادئًا لبعض الوقت، اضطر في النهاية إلى القيام بما توقعه براسيداس. وبدأ جنوده، الذين سئموا من خمولهم، يفكرون بجدية في ضعف وعدم كفاءة قائدهم، والمهارة والشجاعة التي قد يقاومونها، وفي عدم رغبتهم في مرافقته. وعندما وصلت هذه الهمسات إلى مسامع كليون، قرر ألا يثير اشمئزاز الجيش بإبقائه في نفس المكان، فقام بتفكيك معسكره وتقدم. وكان مزاج القائد كما كان في بيلوس، حيث منحه نجاحه في تلك المناسبة الثقة في قدرته. ولم يحلم قط بخروج أي شخص لمحاربته، بل قال إنه كان يصعد إلى الأعلى ليرى المكان؛ وإذا كان ينتظر تعزيزاته، فلن يكون ذلك من أجل تأمين النصر في حالة اضطراره إلى الاشتباك، بل من أجل تمكينه من محاصرة المدينة واقتحامها. "وبعد ذلك، جاء ونشر جيشه على تلة قوية أمام أمفيبوليس، وشرع في فحص البحيرة التي شكلها نهر ستريمون، وكيف تقع المدينة على جانب تراقيا. وفكر في الانسحاب متى شاء دون قتال، حيث لم يكن هناك أحد يمكن رؤيته على السور أو خارج من البوابات، التي كانت كلها مغلقة. والواقع أنه بدا من الخطأ ألا ينزل معه المحركات؛ إذ كان بوسعه حينئذ الاستيلاء على المدينة، حيث لم يكن هناك من يدافع عنها.

"وعندما رأى براسيداس الأثينيين يتحركون، نزل بنفسه من سيرديليوم ودخل أمفيبوليس. ولم يجرؤ على الخروج في ترتيب منتظم ضد الأثينيين: فقد كان يشك في قوته، ورأى أنها غير كافية للمحاولة؛ ليس من حيث العدد - فلم يكن الأمر مختلفًا إلى هذا الحد - ولكن من حيث الجودة، حيث كانت زهرة الجيش الأثيني في الميدان، مع أفضل الليمنيين والإمبريين. لذلك استعد لمهاجمتهم بالحيلة. وبإظهاره للعدو عدد قواته، والتحولات التي تم تعيينه فيها لتسليحهم، اعتقد أن فرصته في هزيمته ستكون أقل من عدم السماح له برؤيتهم، وبالتالي يتعلم مدى حقه في احتقارهم. وبناءً على ذلك، اختار مائة وخمسين من المشاة الثقيلة، ووضع الباقي تحت قيادة كلياريداس، وقرر الهجوم فجأة قبل انسحاب الأثينيين؛ معتقدًا أنه لن تكون لديه فرصة أخرى للقبض عليهم بمفرده، إذا سُمح بتعزيزاتهم مرة واحدة؛ فجمع كل جنوده لتشجيعهم وشرح نيته، وتحدث على النحو التالي:

"أيها البيلوبونيزيون، إن طبيعة البلد الذي أتينا منه، والذي كان مدينًا دائمًا بحريته للشجاعة، وحقيقة أنكم دوريون وأن العدو الذي ستقاتلونه هو الأيونيون، الذين اعتدتم على هزيمتهم، هي أمور لا تحتاج إلى مزيد من التعليق. ولكن خطة الهجوم التي أعتزم اتباعها، يجب أن أشرحها أيضًا، حتى لا تثبط حقيقة مغامرتنا بجزء من قواتنا بدلاً من قواتنا بأكملها شجاعتكم بسبب العيب الواضح الذي تضعكم فيه. أتخيل أن الرأي السيئ الذي لديه عنا، وحقيقة أنه لا يعرف أي شخص يخرج لمواجهته، هو ما جعل العدو يتقدم نحو المكان وينظر حوله بلا مبالاة كما يفعل، دون أن يلاحظنا. لكن الجندي الأكثر نجاحًا سيكون دائمًا الرجل الذي يكتشف بسعادة مثل هذا الخطأ الفادح، والذي يستشير بعناية وسائله الخاصة في هجومه ليس كثيرًا من خلال الاقتراب المفتوح والمنتظم، بل من خلال اغتنام فرصة اللحظة؛ "وهذه الحيل، التي تقدم أعظم خدمة لأصدقائنا من خلال خداع أعدائنا تمامًا، لها اسم لامع في الحرب. لذلك، بينما تستمر ثقتهم المتهورة، وما زالوا يفكرون، كما أعتقد أنهم يفعلون الآن، في التراجع أكثر من الحفاظ على موقفهم، بينما تكون روحهم

متراخية وغير متوترة بالتوقع، سأقوم أنا والرجال تحت قيادتي، إن أمكن، بمباغتهم والهجمة على مركزهم؛ وأنت يا كليريداس، بعد ذلك، عندما تراني بالفعل عليهم، وكما هو محتمل، أثير الرعب بينهم، خذ معك سكان أمفيبوليتان وبقية الحلفاء، وافتح البوابات فجأة واندفع نحوهم، وسارع إلى الاشتباك بأسرع ما يمكن. هذه هي أفضل فرصة لدينا لإثارة الذعر بينهم، لأن المهاجم الجديد دائمًا ما يثير رعبًا لدى العدو أكثر من الذي يشتبك معه مباشرة. أظهر نفسك رجلاً شجاعًا، كما يجب على الإسبرطي؛ "وأنتم أيها الحلفاء، اتبعوه كرجال، وتذكروا أن الحماسة والشرف والطاعة تميز الجندي الصالح، وأن هذا اليوم سيجعلكم إما رجالاً أحرارًا وحلفاء لاكيدايمون، أو عبيدًا لأثينا؛ حتى لو هربتم دون خسارة شخصية لحريتكم أو لحياتكم، فإن عبوديتكم ستكون بشروط أكثر قسوة من ذي قبل، وستعيقون أيضًا تحرير بقية اليونانيين. لا جبن من جانبكم إذن، نظرًا لعظمة القضايا المطروحة، وسأثبت أن ما أبشر به للآخرين يمكنني أن أمارسه بنفسي".

وبعد هذا الخطاب القصير، استعد براسيداس بنفسه للهجوم، ووضع بقية الجنود مع كليريداس عند بوابات تراقيا لدعمه كما تم الاتفاق. وفي غضون ذلك، شوهد قادمًا من سيرديليوم ثم إلى المدينة، التي تطل عليها من الخارج، وهو يقدم القرابين بالقرب من معبد أثينا؛ باختصار، تم رصد جميع تحركاته، وتم نقل الخبر إلى كليون، الذي ذهب في تلك اللحظة للنظر حوله، حيث كان من الممكن رؤية كل قوة العدو في المدينة، وأن أقدام الخيول والرجال بأعداد كبيرة كانت مرئية تحت البوابات، كما لو كانوا يعتزمون الهجوم. وعندما سمع هذا، ذهب لينظر، وبعد أن فعل ذلك، ولأنه لم يكن راغبًا في المخاطرة بالخطوة الحاسمة في المعركة قبل وصول تعزيزاته، ولأنه كان يتخيل أنه سيكون لديه الوقت للتراجع، أمر بقرع أجراس الإنذار وأرسل الأوامر إلى الرجال لتنفيذ ذلك بالتحرك على الجناح الأيسر في اتجاه إيون، وهو ما كان في الواقع السبيل الوحيد العملي. ولكن هذا لم يكن سريعًا بالقدر الكافي بالنسبة له، فانضم إلى الانسحاب بنفسه وقام بتدوير الجناح الأيمن، وبالتالي حول جانبه غير

المسلح إلى العدو. في تلك اللحظة، عندما رأى براسيداس القوة الأثينية تتحرك وفرصته تأتي، قال للرجال معه وبقية الرجال: "لن يقف هؤلاء الرجال أمامنا أبدًا، ويمكن للمرء أن يرى ذلك من الطريقة التي تتحرك بها رماحهم ورؤوسهم. نادرًا ما تصمد القوات التي تفعل ذلك. أسرعوا، يا شخص ما، وافتحوا البوابات التي تحدثت عنها، ودعنا نخرج ونهاجمهم دون خوف من النتيجة". وبناءً على ذلك، خرج من البوابة المسورة ومن أول بوابة في الجدار الطويل كانت موجودة آنذاك، وركض بأقصى سرعته على طول الطريق المستقيم، حيث توجد الكأس الآن وأنت تمر بأشد جزء من التل انحدارًا، وهاجم مركز الأثينيين وهزمهم، وقد أصابهم الذعر من اضطرابهم وذهولهم من جرأته. وفي نفس اللحظة، خرج كلياريداس تنفيذًا لأوامره من بوابات تراقيا لدعمه، وهاجم العدو أيضًا. وكانت النتيجة أن الأثينيين، الذين هاجمهم فجأة وبشكل غير متوقع من كلا الجانبين، وقعوا في حالة من الارتباك؛ وانكسرت يسارهم باتجاه إيون، التي كانت قد قطعت مسافة بالفعل، وهربوا على الفور. وبينما كانت في تراجع كامل وكان براسيداس يمر لمهاجمة اليمين، أصيب بجرح؛ لكن الأثينيين لم يشعروا بسقوطه، حيث أمسك به أولئك القريبون منه وحملوه بعيدًا عن الميدان. واتخذ اليمين الأثيني موقفًا أفضل، ورغم أن كليون، الذي لم يكن يفكر منذ البداية في القتال، فر على الفور ولحق به وقتله مستهدف ميرسيني، إلا أن مشاته التي تشكلت في نظام وثيق على التل صدت هجمات كلياريداس مرتين أو ثلاث مرات، ولم تستسلم أخيرًا حتى حاصرتهم وهزمتهم صواريخ خيول ميرسيني وخالكيدي وهدافي. وهكذا كان الجيش الأثيني كله الآن في حالة فرار؛ وأولئك الذين نجوا من القتل في المعركة، أو على يد حصان خلقيديان والمستهدفين،تفرقوا بين التلال، وبصعوبة تمكنوا من الوصول إلى إيون. أحضر الرجال الذين حملوا براسيداس وأنقذوه إلى المدينة وهو لا يزال يتنفس: عاش ليسمع انتصار قواته، ولم يمض وقت طويل حتى توفي. عاد بقية الجيش مع كليريداس من المطاردة، وجردوا القتلى من ملابسهم وأقاموا لهم غنائم.

وبعد ذلك حضر جميع الحلفاء بالسلاح ودفنوا براسيداس على نفقة الدولة في المدينة أمام ما أصبح الآن سوق المدينة، وأحاط سكان أمفيبوليتان قبره، وقدموا له التضحيات باعتباره بطلاً، وكرموه بالألعاب والقرابين السنوية. كما جعلوه مؤسس مستعمرتهم، وهدموا المباني الهغنونية، وأزالوا كل ما يمكن تفسيره على أنه نصب تذكاري لتأسيسه للمكان؛ لأنهم اعتبروا أن براسيداس كان حافظهم، ولأنهم كانوا يغازلون تحالف لاكيدايمون خوفًا من أثينا، فلم يعد بوسعهم في علاقاتهم العدائية الحالية مع الأخيرة أن يكافئوا هاجنون بنفس الميزة أو الرضا. كما أعادوا للأثينيين قتلاهم. فقد سقط نحو ستمائة من هؤلاء وسبعة فقط من الأعداء، وذلك لعدم وجود اشتباك منتظم، بل حادثة حوادث وذعر كما وصفتها. وبعد أن أخذ الأثينيون قتلاهم أبحروا إلى ديارهم، بينما بقي كلياريداس وقواته لترتيب الأمور في أمفيبوليس.

وفي نفس الوقت تقريبًا، قاد ثلاثة من سكان لاكيدايمون -رامفياس، وأوتوخاريداس، وإبيسيديداس- تعزيزات من تسعمائة جندي مشاة ثقيل إلى المدن الواقعة في اتجاه تراقيا، وعند وصولهم إلى هيراكليا في تراخيس، أصلحوا الأمور هناك على النحو الذي بدا لهم جيدًا. وبينما هم يتأخرون هناك، دارت هذه المعركة، وهكذا انتهى الصيف.

ومع بداية الشتاء التالي، توغل رامفياس ورفاقه حتى بيريوم في ثيساليا؛ ولكن عندما عارض أهل ثيساليا تقدمهم الإضافي، وقُتِل براسيداس الذي جاءوا لتعزيزه، عادوا إلى ديارهم، معتقدين أن الوقت قد فات، وأن الأثينيين قد هُزموا ورحلوا، وأنهم غير قادرين على تنفيذ مخططات براسيداس. ومع ذلك، كان السبب الرئيسي لعودتهم هو أنهم عرفوا أن رأي أهل لاكيدايمون عندما انطلقوا كان في صالح السلام حقًا.

ولقد حدث بالفعل أنه بعد معركة أمفيبوليس مباشرة وانسحاب رامفياس من ثيساليا، توقف الجانبان عن مواصلة الحرب ووجها اهتمامهما إلى السلام. فقد عانت أثينا بشدة في ديليوم، ثم بعد ذلك بوقت قصير في أمفيبوليس، ولم تعد لديها الثقة في قوتها التي جعلتها ترفض من قبل التفاوض، في اعتقاد بالنصر النهائي الذي ألهمه

نجاحها في تلك اللحظة؛ فضلاً عن ذلك، كانت تخشى أن يغريها هزيمتها حلفاؤها بالتمرد بشكل عام، وندمت على التخلي عن الفرصة الرائعة للسلام التي أتاحتها لها حادثة بيلوس. من ناحية أخرى، وجدت لاكيدايمون أن وقوع الحرب يزيف فكرتها بأن بضع سنوات ستكون كافية للإطاحة بسلطة الأثينيين من خلال تدمير أرضهم. لقد عانت على الجزيرة من كارثة لم تكن معروفة من قبل في أسبرطة؛ فقد رأت بلادها تُنهب من بيلوس وسايثيرا؛ كانت الهيلوتس تهجر قواتها، وكانت تخشى باستمرار أن يعتمد أولئك الذين بقوا في بيلوبونيز على أولئك الذين في الخارج ويستغلون الموقف لتجديد محاولاتهم القديمة للثورة. بالإضافة إلى ذلك، وبمحض الصدفة، كانت الهدنة التي دامت ثلاثين عامًا مع الأرجيفيين على وشك الانتهاء؛ ورفضوا تجديدها ما لم يتم إعادة سينوريا إليهم؛ حتى بدا من المستحيل محاربة أرغوس وأثينا في وقت واحد. كما كانت تشك في أن بعض المدن في بيلوبونيز تنوي الانتقال إلى العدو، وكان هذا هو الحال بالفعل.

وقد دفعت هذه الاعتبارات كلا الجانبين إلى التوصل إلى تسوية، وربما كان أهل لاكيدايمون الأكثر حرصًا، حيث كانوا يرغبون بشدة في استعادة الرجال الذين تم أسرهم على الجزيرة، وكان الإسبرطيون من بينهم ينتمون إلى العائلات الأولى وبالتالي كانوا مرتبطين بالهيئة الحاكمة في لاكيدايمون. وكانت المفاوضات قد بدأت مباشرة بعد أسرهم، لكن الأثينيين في ساعة انتصارهم لم يوافقوا على أي شروط معقولة؛ ورغم ذلك، بعد هزيمتهم في ديليوم، أدرك لاكيدايمون أنهم سيكونون الآن أكثر ميلاً للاستماع، فقام على الفور بإبرام الهدنة لمدة عام، حيث كان عليهم التشاور معًا لمعرفة ما إذا كان من غير الممكن الاتفاق على فترة أطول.

ولكن بعد الهزيمة الأثينية في أمفيبوليس، وموت كليون وبراسيداس، اللذين كانا الخصمين الرئيسيين للسلام من كلا الجانبين . فقد عارض الأخير السلام بسبب النجاح والشرف اللذين حققتهما له الحرب، وعارض الأول لأنه اعتقد أن جرائمه

ستصبح أكثر عرضة للكشف عنها إذا استُعيد الهدوء، وأن افتراءاته ستصبح أقل مصداقية. رغب كل من المرشحين الأبرز للسلطة في كلتا المدينتين، بليستواناكس، ابن بوسانياس، ملك لاكيدايمون، ونيسياس، ابن نيسيراتوس، القائد الأكثر حظاً في عصره، في السلام أكثر من أي وقت مضى. وكان نيسياس، رغم سعادته وشرفه، يرغب في تأمين حظه السعيد، والحصول على إعفاء من المتاعب له ولمواطنيه، وتوارث اسم رجل الدولة الناجح إلى الأجيال القادمة، وكان يعتقد أن السبيل إلى تحقيق هذا الهدف هو الابتعاد عن المخاطر، وأن يبذل أقل ما يمكن من الجهد لتحقيق الثروة، وأن السلام وحده هو الذي يجعل هذا الابتعاد عن المخاطر ممكناً. ولقد هاجم أعداؤه بليستواناكس مرة أخرى من أجل إعادته إلى عرشه، وكانوا يستغلون ذلك لصالح مواطنيه في كل مرة يلحقون بهم فيها ضرراً، وكأن إعادته غير العادلة كانت السبب؛ وكانت التهمة الموجهة إليه هي أنه هو وشقيقه أرسطو قد رشوا نبية دلفي لكي تخبر الوفود اللاكيدمونية التي كانت تصل إلى المعبد على التوالي بضرورة إحضار بذرة ابن زيوس نصف الإله من الخارج، وإلا فإنهم كانوا سيضطرون إلى حرث الأرض بحصة من الفضة. وعلى هذا النحو، أصر البعض على أنه نجح بمرور الوقت في إقناع اللاكيدمونيين في العام التاسع عشر من نفيه إلى ليكايوم (حيث ذهب عندما نُفي للاشتباه في أنه تلقى رشوة للانسحاب من أتيكا، وبنى نصف منزله داخل الحرم المقدس لزيوس خوفاً من اللاكيدمونيين)، بإعادته إلى عرشه بنفس الرقصات والتضحيات التي أقاموا بها ملوكهم عند أول مستوطنة في اللاكيدمون. ولقد كان هذا الاتهام ذكياً، والتفكير في أنه في حالة السلم لا يمكن أن تحدث كارثة، وأنه عندما تستعيد لاكيدايمون رجالها فلن يكون هناك شيء يمكن لأعدائه الاستيلاء عليه (بينما، طالما استمرت الحرب، يجب على أعلى منصب أن يتحمل فضيحة كل ما حدث خطأ)، مما جعله يرغب بشدة في التسوية. وبناءً على ذلك، تم استخدام هذا الشتاء في المؤتمرات؛ ومع اقتراب الربيع بسرعة، أرسل اللاكيدايمونيون أوامر دائرية إلى المدن للاستعداد لاحتلال أتيكا المحصن، وكانوا يحملون هذا الأمر كسيف فوق رؤوس الأثينيين لحملهم على الاستماع إلى

مبادراتهم؛ وفي النهاية، بعد حث العديد من المطالبات من كلا الجانبين في المؤتمرات، تم الاتفاق على السلام على الأساس التالي. كان على كل طرف استعادة فتوحاته، ولكن كان على أثينا الاحتفاظ بنيسيا؛ ولبى الطيبيون مطالبها ببلاتيا مؤكدين أنهم حصلوا على المكان ليس بالقوة أو الخيانة، ولكن بالانضمام الطوعي بموافقة مواطنيها؛ ووفقًا للرواية الأثينية،وبعد أن رتبت هذه العملية، استدعى أهل لاكيدايمون حلفائهم، وصوّت الجميع لصالح السلام باستثناء أهل بيوتيا وكورنثيان وإيليان وميجاريان، الذين لم يوافقوا على هذه الإجراءات، وأبرموا المعاهدة وعقدوا السلام، وأقسم كل من الأطراف المتعاقدة على البنود التالية:

وقد عقد الأثينيون واللاسيكيون وحلفاؤهم معاهدة، وأقسموا عليها مدينة بعد مدينة، على النحو التالي:

1. فيما يتعلق بالمعابد الوطنية، يجب أن يكون هناك ممر حر عن طريق البر والبحر لكل من يرغب في ذلك، للتضحية، والسفر، والتشاور، وحضور الوحي أو الألعاب، وفقًا لعادات بلدانهم.

2. يجب أن يحكم معبد أبولو ومزاره في دلفي والدلفيون بقوانينهم الخاصة، ويفرض عليهم الضرائب من قبل دولتهم، ويحكم عليهم من قبل قضاتهم، والأرض والشعب، وفقًا لعادات بلادهم.

3. تكون المعاهدة ملزمة لمدة خمسين عامًا على الأثينيين وحلفاء الأثينيين، وعلى اللاكيديمونيين وحلفاء اللاكيديمونيين، دون غش أو ضرر براً أو بحراً.

4. لا يجوز حمل السلاح بقصد إلحاق الأذى، سواء لصالح اللاكديمونيين وحلفائهم ضد الأثينيين وحلفائهم، أو لصالح الأثينيين وحلفائهم ضد اللاكديمونيين وحلفائهم،

بأي طريقة أو وسيلة كانت. ولكن إذا نشأ أي خلاف بينهما، فعليهما اللجوء إلى القانون والقسم، وفقًا لما قد يتفق عليه الطرفان.

5. يجب على اللاكيدايمونيين وحلفائهم أن يعيدوا أمفيبوليس إلى الأثينيين. ومع ذلك، في حالة المدن التي يتنازل عنها اللاكيدايمونيين للأثينيين، يُسمح لسكانها بالذهاب إلى حيث يريدون وأخذ ممتلكاتهم معهم: وتكون المدن مستقلة، ولا تدفع سوى الجزية لأريستيدس. ولن يكون من المشروع للأثينيين أو حلفائهم شن حرب ضدهم بعد إبرام المعاهدة، طالما تم دفع الجزية. والمدن المشار إليها هي أرجيلوس، وستاجيروس، وأكانثوس، وسكولوس، وأولينثوس، وسبارتولوس. ستكون هذه المدن محايدة، ولا حليفة للاكيدايمونيين ولا للأثينيين: ولكن إذا وافقت المدن، فسيكون من المشروع للأثينيين أن يجعلوها حلفاء لهم، بشرط أن ترغب المدن في ذلك دائمًا. "ويسكن الميسيبرنيون والصنعانيون والسنغيون مدنهم الخاصة، وكذلك الأولينثيون والأكانثيون: ولكن اللاكيديمونيين وحلفائهم يعيدون باناكتوم إلى الأثينيين."

6. يجب على الأثينيين أن يعيدوا كوريفاسيوم، وسايثيرا، وميثانا، ولاكيدايمونيين الذين هم في السجن في أثينا أو في أي مكان آخر من الممتلكات الأثينية، ويجب عليهم إطلاق سراح البيلوبونيزيين المحاصرين في سكيوني، وجميع الآخرين في سكيوني الذين هم حلفاء لاكيدايمونيين، وجميع من أرسلهم براسيداس إلى هناك، وأي حلفاء آخرين من لاكيدايمونيين قد يكونون في السجن في أثينا أو في أي مكان آخر من الممتلكات الأثينية.

7. وعلى اللاكديمونيين وحلفائهم أن يعيدوا بنفس الطريقة أيًا من الأثينيين أو حلفائهم الذين قد يكونون في أيديهم.

8. وفي حالة سكيون، وتورون، وسيرميليوم، وأي مدن أخرى قد يمتلكها الأثينيون، يجوز للأثينيين اتخاذ التدابير التي يريدونها.

9. يقسم الأثينيون اليمين أمام اللاكيدايمونيين وحلفائهم، مدينة بعد مدينة. ويقسم كل رجل اليمين الأكثر إلزامًا في بلاده، سبعة عشر من كل مدينة. ويكون القسم على النحو التالي: "سألتزم بهذه الاتفاقية والمعاهدة بأمانة ودون خداع". وعلى نفس المنوال، يقسم اللاكيدايمونيون وحلفاؤهم أمام الأثينيين: ويجدد الطرفان القسم سنويًا. وتقام أعمدة في أوليمبيا، وبيثيا، والبرزخ، وفي أثينا في الأكروبوليس، وفي لاكيدايمون في معبد أميكلاي.

10. إذا نسي أي شيء، مهما كان، ومهما كانت النقطة، فيجب أن يكون متسقًا مع قسمهم لكلا الطرفين، الأثينيين واللاسيكيين، لتغييره، وفقًا لتقديرهم.

تبدأ المعاهدة من عهد حكم بليستولا في لاكيدايمون، في اليوم السابع والعشرين من شهر أرطميسيوم، ومن عهد حكم ألكايوس في أثينا، في اليوم الخامس والعشرين من شهر إلافيبوليون. وكان الذين أقسموا اليمين وسكبوا القرابين عن اللاكيدايمونيين هم: بليستواناكس، وأجيس، وبليستولاس، وداماجيتس، وكيونيس، وميتاجينس، وأكانثوس، ودايثوس، وإسكاغوراس، وفيلوخاريداس، وزيوكسيداس، وأنتيبوس، وتيليس، وألكيناداس، وإمبيدياس، وميناس، ولافيلوس: أما عن الأثينيين فكان: لامبون، وإستمونيكوس، ونيسياس، ولاكيس، وإيثيديموس، وبروكليس، وبيثودوروس، وهاجنون، وميرتيلوس، وثراسيكليس، وتياجينس، وأريستوقراطس، ويولسيوس، وتيموقراطس، وليون، ولاماكوس، وديموستينس.

لقد تم إبرام هذه المعاهدة في الربيع، في نهاية الشتاء مباشرة، بعد مهرجان ديونيسوس مباشرة، بعد عشر سنوات فقط، بفارق بضعة أيام، من الغزو الأول لأتيكا وبداية هذه الحرب. يجب حساب هذا حسب الفصول بدلاً من الاعتماد على تعداد

أسماء القضاة أو المناصب الشرفية العديدة المستخدمة لتمييز الأحداث الماضية. من المستحيل الدقة حيث قد يكون الحدث قد وقع في البداية، أو في منتصفه، أو في أي فترة من فترة توليهم لمناصبهم. ولكن من خلال الحساب حسب الصيف والشتاء، الطريقة المتبعة في هذا التاريخ، سنجد أن كلًا من هذه الفصول يعادل نصف عام، وكان هناك عشرة فصول صيف ومثلها من الشتاء في هذه الحرب الأولى.

وفي هذه الأثناء، أطلق أهل لاكيدايمون، الذين كان من نصيبهم أن يبدأوا في عمل إعادة الممتلكات، سراح جميع أسرى الحرب الذين كانوا في حوزتهم على الفور، وأرسلوا إيشاجوراس وميناس وفيلوخاريداس كمبعوثين إلى المدن الواقعة في اتجاه تراقيا، ليأمروا كلاريداس بتسليم أمفيبوليس إلى الأثينيين، وبقية حلفائهم بقبول المعاهدة كما تؤثر عليهم. ومع ذلك، لم تعجبهم شروط المعاهدة، ورفضوا قبولها؛ كما رفض كلاريداس، الذي كان على استعداد لإرضاء الخلقيديين، تسليم المدينة، مؤكدًا عجزه عن القيام بذلك ضد إرادتهم. وفي الوقت نفسه، سارع شخصيًا إلى لاكيدايمون مع مبعوثين من المكان، للدفاع عن عصيانه ضد الاتهامات المحتملة لإيساجوراس ورفاقه، وأيضًا لمعرفة ما إذا كان الوقت قد فات لتغيير الاتفاقية؛ وعندما وجدوا أن اللاكيديمونيين مقيدين، انطلقوا بسرعة مرة أخرى مع تعليمات منهم بتسليم المكان، إذا أمكن، أو على الأقل إخراج البيلوبونيزيين الذين كانوا فيه.

ولقد كان الحلفاء حاضرين شخصياً في لاكيدايمون، وقد طلب اللاكيدايمونيون من أولئك الذين لم يقبلوا المعاهدة أن يتبنوها. ولكنهم رفضوا ذلك، لنفس الأسباب التي ذكرناها من قبل، ما لم يتم الاتفاق على معاهدة أكثر عدلاً من المعاهدة الحالية؛ ولقد طرد اللاكيدايمونيون الذين ظلوا ثابتين على تصميمهم، وقرروا الآن تشكيل تحالف مع الأثينيين، معتقدين أن أرغوس، التي رفضت طلب أمبليداس وليخاس بتجديد المعاهدة، لن تكون قوية بعد الآن بدون أثينا، وأن بقية البيلوبونيز سوف تكون على الأرجح أكثر هدوءاً، إذا أغلق تحالف أثينا المنشود في وجههم. وبناءً على

ذلك، وبعد التشاور مع السفراء الأثينيين، تم الاتفاق على تحالف وتبادل القسم، على الشروط التالية:

1. سيكون اللاكيديمونيون حلفاء للأثينيين لمدة خمسين عامًا.

2. إذا غزا أي عدو أراضي لاكيدايمون وألحق الأذى باللاكيدايمونيين، فيجب على الأثينيين المساعدة بالطريقة الأكثر فعالية وفقًا لقوتهم. ولكن إذا غادر الغازي بعد نهب البلاد، فستصبح تلك المدينة عدوًا للاكيدايمون وأثينا، وستعاقبها كلتاهما، ولن يعقد أحدهما السلام بدون الآخر. وهذا يجب أن يتم بأمانة وإخلاص وبدون خداع.

3. إذا غزا أي عدو أراضي أثينا وألحق الأذى بالأثينيين، فيجب على اللاكيدايمونيين مساعدته بالطريقة الأكثر فعالية وفقًا لقوتهم. ولكن إذا غادر الغازي بعد نهب البلاد، فستصبح تلك المدينة عدوًا للاكيدايمون وأثينا، وستعاقب من قبل كليهما، ولن يعقد أحدهما السلام بدون الآخر. وهذا يجب أن يتم بأمانة وإخلاص وبدون خداع.

4. إذا ارتفع عدد العبيد، فيجب على الأثينيين مساعدة اللاكيدايمونيين بكل قوتهم، حسب طاقتهم.

5. يجب أن يقسم على هذه المعاهدة نفس الأشخاص من كل من الجانبين الذين أقسموا للآخر. ويجب تجديدها سنويًا من قبل اللاكيديمونيين الذين يذهبون إلى أثينا من أجل ديونيسيا، والأثينيين إلى اللاكيديمون من أجل هياكنثيا، ويجب أن ينصب كل من الطرفين عمودًا: في اللاكيديمون بالقرب من تمثال أبولو في أميكلاي، وفي أثينا على الأكروبوليس بالقرب من تمثال أثينا. إذا رأى اللاكيديمونيون والأثينيون إضافة أو حذف أي شيء من التحالف، فيجب أن يكون ذلك متسقًا مع قسميهما لكلا الطرفين، وفقًا لتقديرهما.

وكان الذين حلفوا عن اللاكيدايمونيين هم: بليستواناكس، وأجيس، وبليستولاس، وداماجيتوس، وكيونيس، وميتاجينس، وأكانثوس، ودايثوس، وإسكاغوراس، وفيلوخاريداس، وزيوكسيداس، وأنتيبوس، وألكيناداس، وتيليس، وإمبيدياس، ومِيناس، ولافيلوس؛ أما عن الأثينيين فكانوا: لامبون، وإستميونيكوس، ولاكيس، ونيسياس، وإيثيديموس، وبروكليس، وبيثودوروس، وهاجنون، وميرتيلوس، وثراسيكليس، وتياجينس، وأريستوقراطيس، ويولسيوس، وتيموقراطيس، وليون، ولاماكوس، وديموستينيس.

ولم يمض وقت طويل حتى تم إبرام هذا التحالف؛ وأعاد الأثينيون الرجال من الجزيرة إلى اللاكديمونيين، وبدأ صيف العام الحادي عشر. وبهذا يكتمل تاريخ الحرب الأولى، التي استغرقت كل السنوات العشر السابقة.

الفصل السادس عشر

الشعور ضد أسبرطة في البيلوبونيز - عصبة المانتينيين والإيليين والأرجيفيين والأثينيين - معركة مانتينيا وتفكك العصبة

وبعد المعاهدة والتحالف بين اللاكيديمونيين والأثينيين، الذي تم إبرامه بعد حرب السنوات العشر، في عهد بليستولاس في اللاكيديمون، وحكم ألكايوس في أثينا، كانت الدول التي قبلت المعاهدة في حالة سلام؛ ولكن الكورنثيين وبعض المدن في البيلوبونيز حاولوا زعزعة الاستقرار، فبدأ الحلفاء على الفور في إثارة الاضطرابات الجديدة ضد اللاكيديمون. وعلاوة على ذلك، أصبح اللاكيديمونيون، مع مرور الوقت، موضع شك لدى الأثينيين بسبب عدم تنفيذهم لبعض الأحكام الواردة في المعاهدة؛ ورغم أن كل منهما امتنع عن غزو أراضي الآخر لمدة ست سنوات وعشرة أشهر، إلا أن الهدنة غير المستقرة في الخارج لم تمنع أيًا من الطرفين من إلحاق أكبر ضرر بالآخر، حتى اضطرا أخيرًا إلى خرق المعاهدة التي أبرمت بعد حرب السنوات العشر واللجوء إلى الأعمال العدائية العلنية.

ولقد كتب ثوسيديديس الأثيني تاريخ هذه الفترة أيضاً، وفقاً للترتيب الزمني للأحداث حسب الصيف والشتاء، حتى الوقت الذي وضع فيه اللاكديمونيون وحلفاؤهم حداً للإمبراطورية الأثينية، واستولوا على الأسوار الطويلة وبيرايوس. وكانت الحرب قد استمرت حينذاك سبعة وعشرين عاماً. ولا يمكن أن يعترض على إدراج فترة المعاهدة في الحرب إلا الحكم الخاطئ. وإذا نظرنا إلى هذه الفترة في ضوء الحقائق، فسوف نجد أنها لا يمكن اعتبارها حالة سلام منطقية، حيث لم يعط أي من الطرفين أو يسترد كل ما اتفقا عليه، باستثناء الانتهاكات التي وقعت على الجانبين في حروب مانتينيا وإبيدوريا وغيرها من الحالات، وحقيقة أن الحلفاء في اتجاه تراقيا كانوا في عداء مفتوح كما كانوا دائماً، بينما لم يكن لدى أهل بيوتيا سوى هدنة تتجدد كل عشرة أيام. "لذا فإن حرب السنوات العشر الأولى، والهدنة الغادرة التي

تلتها، والحرب التالية، إذا حسبنا ذلك حسب الفصول، سوف نجد أنها تشكل عدد السنوات التي ذكرتها، مع فارق بضعة أيام، وتوفر مثالاً على الإيمان بالتنبؤات التي تبرر مرة واحدة بالحدث. لا شك أنني أتذكر طوال الوقت من البداية إلى النهاية أن الحرب كانت تُعلن عمومًا أنها ستستمر ثلاث مرات لمدة تسع سنوات. لقد عشت طوال هذه الفترة، لأنني كنت في سن يسمح لي بفهم الأحداث، وإيلاء اهتمامي لها من أجل معرفة الحقيقة الدقيقة عنها. كان من قدري أيضًا أن أُنفى من بلدي لمدة عشرين عامًا بعد قيادتي في أمفيبوليس؛ ولأنني كنت موجودًا مع كلا الطرفين، وخاصة مع البيلوبونيزيين بسبب نفي، فقد كان لديّ وقت فراغ لمراقبة الأمور بشكل دقيق إلى حد ما. وفقًا لذلك، سأروي الآن الخلافات التي نشأت بعد حرب السنوات العشر، وخرق المعاهدة، والأعمال العدائية التي تلت ذلك.

وبعد انتهاء الهدنة التي دامت خمسين عامًا والتحالف الذي أعقبها، عادت سفارات البيلوبونيز التي استدعيت لهذه المهمة من لاكيدايمون. وعاد الباقون إلى ديارهم مباشرة، لكن أهل كورنثوس تحولوا أولاً إلى أرغوس وفتحوا مفاوضات مع بعض الرجال في السلطة هناك، مشيرين إلى أن لاكيدايمون لم يكن لديها هدف جيد في الاعتبار، بل فقط إخضاع البيلوبونيز، وإلا لما دخلت أبدًا في معاهدة وتحالف مع الأثينيين الذين كانوا مكروهين ذات يوم، وأن واجب التشاور بشأن سلامة البيلوبونيز قد وقع الآن على أرغوس، التي يجب أن تصدر على الفور مرسومًا يدعو أي دولة يونانية تختار ذلك، على أن تكون هذه الدولة مستقلة ومعتادة على مواجهة القوى الأخرى على أساس عادل ومتساوي للقانون والعدالة، إلى عقد تحالف دفاعي مع الأرغوس؛ لقد قرروا تعيين عدد قليل من الأفراد يتمتعون بسلطات مطلقة، بدلاً من جعل الشعب وسيطًا للتفاوض، حتى لا يتم الكشف عن حقيقة محاولاته في حالة رفض أحد المتقدمين. لقد قالوا إن العديد من المتقدمين سوف يأتون بسبب كراهية اللاكديمونيين. وبعد هذا التوضيح لآرائهم، عاد الكورنثيون إلى ديارهم.

ولقد أبلغ الأشخاص الذين تواصلوا معهم حكومتهم وشعبهم بالاقتراح، وأقر الأرجيون المرسوم واختاروا اثني عشر رجلاً للتفاوض على تحالف لأي دولة يونانية ترغب في ذلك، باستثناء أثينا ولاكيدايمون، حيث لن تتمكن أي منهما من الانضمام دون الرجوع إلى الشعب الأرجي. وقد انضمت أرغوس إلى الخطة على نحو أسرع لأنها أدركت أن الحرب مع لاكيدايمون أمر لا مفر منه، حيث كانت الهدنة على وشك الانتهاء؛ وأيضًا لأنها كانت تأمل في اكتساب سيادة البيلوبونيز. ففي ذلك الوقت كانت لاكيدايمون قد هبطت إلى أدنى مستوى في التقدير العام بسبب كوارثها، بينما كان الأرجيون في حالة مزدهرة للغاية، حيث لم يشاركوا في الحرب الأتيكية، بل على العكس من ذلك استفادوا إلى حد كبير من حيادهم. وبناءً على ذلك، استعد الأرجيون لاستقبال أي من اليونانيين الذين يرغبون في ذلك في التحالف.

كان أهل مانتينيا وحلفاؤهم أول من زحفوا إلى أثينا خوفاً من أهل لاكيدايمون. وبعد أن استغلوا الحرب ضد أثينا لإخضاع جزء كبير من أركاديا، تصوروا أن لاكيدايمون لن تتركهم دون إزعاج في فتوحاتهم، الآن وقد أتيحت لها الفرصة للتدخل، وبالتالي لجأوا بكل سرور إلى مدينة قوية مثل أرغوس، العدو التاريخي لأهل لاكيدايمون، وديمقراطية شقيقة. وبعد انشقاق مانتينيا، بدأ بقية سكان بيلوبونيز على الفور في إثارة الجدل حول مدى ملاءمة اتباع مثالها، متصورين أن أهل مانتينيا لم يغيروا موقفهم دون سبب وجيه؛ فضلاً عن ذلك فقد غضبوا من لاكيدايمون، من بين أسباب أخرى، لإدراجه في المعاهدة مع أثينا أن يكون منسجماً مع قسمهم لكلا الطرفين، أهل لاكيدايمون وأثينيا، أن يضيفوا أو ينقصوا من المعاهدة وفقاً لتقديرهم. كان هذا البند هو الأصل الحقيقي للذعر الذي أصاب سكان البيلوبونيز، حيث أثار الشكوك حول وجود اتحاد لاكديموني وأثيني ضد حرياتهم: كان من الواجب أن يكون أي تغيير مشروطًا بموافقة هيئة الحلفاء بأكملها. ومع هذه المخاوف كانت هناك رغبة عامة جدًا في كل ولاية في التحالف مع أرغوس.

وفي هذه الأثناء أدرك أهل لاكيدايمون الاضطرابات التي اندلعت في بيلوبونيز، وأن كورينث كانت وراء هذه الاضطرابات وأنها على وشك الدخول في تحالف مع الأرغوس، فأرسلوا سفراء إلى هناك على أمل منع ما كان في الحسبان. واتهموها بأنها هي التي تسببت في كل هذا، وأخبروها أنها لا تستطيع أن تهجر لاكيدايمون وتصبح حليفة لأرغوس، دون أن تضيف انتهاك قسمها إلى الجريمة التي ارتكبتها بالفعل بعدم قبول المعاهدة مع أثينا، عندما تم الاتفاق صراحة على أن قرار أغلبية الحلفاء يجب أن يكون ملزمًا، ما لم يقف الآلهة أو الأبطال في طريق ذلك. ولقد امتنعت كورينثوس في إجابتها، التي أدلت بها أمام حلفائها الذين رفضوا مثلها قبول المعاهدة، والذين كانت قد دعتهم من قبل لحضور المعاهدة، عن التصريح علناً بالضرر الذي اشتكت منه، مثل عدم استعادة سوليوم أو أنكتوريوم من الأثينيين، أو أي نقطة أخرى اعتقدت أنها تعرضت فيها للتحيز، بل لجأت إلى الملاذ تحت ذريعة أنها لا تستطيع التخلي عن حلفائها التراقيين، الذين كانت قد منحتهم أمانها الفردي المنفصل، عندما تمردوا لأول مرة مع بوتيديا، وكذلك في مناسبات لاحقة. ولذلك فقد أنكرت أنها ارتكبت أي انتهاك لقسمها للحلفاء بعدم الدخول في المعاهدة مع أثينا؛ فبعد أن أقسمت على الإيمان بالآلهة لأصدقائها التراقيين، لم يكن بوسعها أن تتخلى عنهم بصدق. فضلاً عن ذلك، كان التعبير هو "ما لم يقف الآلهة أو الأبطال في الطريق". والآن، كما بدا لها، وقف الآلهة في الطريق. وهذا ما قالته بشأن قسمها السابق. أما فيما يتعلق بالتحالف الأرجي، فقد كانت تتشاور مع أصدقائها وتفعل ما تراه مناسبًا. وعندما عاد المبعوثون اللاكديمونيون إلى ديارهم، ضغط عليها بعض السفراء الأرجيين الذين صادف وجودهم في كورنثوس لإبرام التحالف دون مزيد من التأخير، ولكن طُلب منها حضور المؤتمر التالي الذي كان من المقرر عقده في كورنثوس.

وبعد ذلك مباشرة وصلت سفارة إيليون، وبعد أن عقدوا تحالفًا مع كورنثوس أولاً، انتقلوا من هناك إلى أرغوس، وفقًا لتعليماتهم، وأصبحوا حلفاء للأرجيين، حيث كانت

بلادهم في ذلك الوقت في عداوة مع لاكيدايمون وليبروم. منذ بعض الوقت كانت هناك حرب بين الليبريين وبعض الأركاديين؛ واستدعى الأولون الإيلينيين وعرضوا عليهم نصف أراضيهم، وأنهوا الحرب، وتركوا الأرض في أيدي محتليها الليبريين وفرضوا عليهم جزية قدرها تالنت لزيوس الأوليمبي. حتى الحرب الأتيكية، دفع الليبريون هذه الجزية، الذين اعتبروا الحرب ذريعة لعدم القيام بذلك بعد الآن، واستخدم الإيلينيون القوة للطعن في لاكيدايمون. وهكذا خضعت القضية للتحكيم؛ لكن الإيلينيين، الذين شككوا في عدالة المحكمة، تخلوا عن الإحالة ودمروا أراضي الليبريين. ولكن اللاكيديمونيين قرروا مع ذلك أن أهل ليبريون مستقلون، وأن المعتدين الإيليين، وبما أنهم لم يلتزموا بالتحكيم، فقد أرسلوا حامية من المشاة الثقيلة إلى ليبريون. وعلى هذا الأساس، زعم الإيليون أن لاكيديمون قد استقبل أحد رعاياهم المتمردين، فطرحوا اتفاقية تنص على أن كل حليف يجب أن يخرج من الحرب الأتيكية بحوزته ما كان لديه عندما دخلها، ولأن العدالة لم تتحقق، فقد ذهبوا إلى الأرجيين، وعقدوا الآن تحالفًا من خلال سفرائهم، الذين تلقوا تعليمات لهذا الغرض. وبعدهم مباشرة أصبح الكورنثيون والخلكيديون التراقيون حلفاء لأرغوس. وفي غضون ذلك، ظل البويوتيون والميجاريون، الذين تصرفوا معًا، صامتين، حيث تركهم لاكيديمون ليفعلوا ما يحلو لهم، وظنوا أن الديمقراطية الأرجيفية لن تناسب حكومتهم الأرستقراطية مثل دستور اللاكيديمونيين.

وفي نفس الوقت تقريبًا من هذا الصيف نجحت أثينا في تقليص عدد سكان سيون، وقتل الذكور البالغين، واستعباد النساء والأطفال، وأعطت الأرض للبلاتيين ليعيشوا فيها. كما أعادت الديليين إلى ديلوس، وقد تحركت بسبب مصائبها في الميدان وأوامر الإله في دلفي. وفي الوقت نفسه بدأ الفوسيون واللوكريان في العداء. وذهب الكورنثيون والأرجيفيون، بعد أن أصبحوا الآن متحالفين، إلى تيجا لإحداث انشقاقها عن لاكيدايمون، حيث أدركوا أنه إذا تم إقناع دولة كبيرة إلى هذا الحد بالانضمام إليهم، فإن كل البيلوبونيز ستكون معهم. ولكن عندما قال التيجيون إنهم لن يفعلوا شيئًا

ضد لاكيدايمون، خفف الكورنثيون المتحمسون حتى ذلك الوقت من نشاطهم، وبدأوا يخشون ألا يأتي أي من الباقين الآن. ولكنهم ذهبوا إلى أهل بيوتيا وحاولوا إقناعهم بالتحالف والعمل المشترك مع أرغوس ومعهم، وتوسلوا إليهم أيضًا أن يذهبوا معهم إلى أثينا ويحصلوا لهم على هدنة مدتها عشرة أيام مماثلة لتلك التي عقدت بين الأثينيين وأهل بيوتيا بعد فترة وجيزة من معاهدة الخمسين عامًا، وفي حالة رفض الأثينيين، أن يلغوا الهدنة، وألا يعقدوا أي هدنة في المستقبل دون كورنثوس. كانت هذه هي طلبات أهل كورنثوس. أوقفهم أهل بيوتيا بشأن التحالف مع أرغوس، لكنهم ذهبوا معهم إلى أثينا، حيث فشلوا مع ذلك في الحصول على هدنة الأيام العشرة؛ وكان رد الأثينيين أن أهل كورنثيا قد عقدوا هدنة بالفعل، باعتبارهم حلفاء لاكيدايمون. ومع ذلك، لم يلغ أهل بيوتيا هدنتهم التي دامت عشرة أيام، على الرغم من صلوات أهل كورنثيا وتوبيخهم لخرقهم للإيمان؛ واضطر هؤلاء إلى الاكتفاء بهدنة بحكم الأمر الواقع مع أثينا.

وفي نفس الصيف زحف اللاكيديمونيون إلى أركاديا بكل قواتهم تحت قيادة بليستواناكس، ابن بوسانياس، ملك اللاكيديمونيين، ضد الباراسيين، الذين كانوا رعايا مانتينيا، وقد طلب منهم أحد فصائلهم المساعدة. كما كانوا يعتزمون هدم حصن سيبسيلا، إن أمكن، الذي بناه المانتينيون وحصنوه في أراضي الباراسيين، لإزعاج منطقة سكيريتس في لاكونيا. وبناءً على ذلك، دمر اللاكيديمونيون بلاد الباراسيين، ووضع المانتينيون مدينتهم في أيدي حامية أرغوسية، وتوجهوا للدفاع عن اتحادهم، ولكنهم عجزوا عن إنقاذ سيبسيلا أو مدن الباراسيين، فعادوا إلى مانتينيا. وفي غضون ذلك، جعل اللاكيديمونيون الباراسيين مستقلين، وهدموا الحصن، وعادوا إلى ديارهم.

وفي نفس الصيف عاد الجنود من تراقيا الذين خرجوا مع براسيداس، بعد أن أحضرهم كلياريداس من هناك بعد المعاهدة؛ وقرر أهل لاكيدايمون أن الهيلوتس

الذين قاتلوا مع براسيداس يجب أن يكونوا أحرارًا ويُسمح لهم بالعيش حيثما شاءوا، وبعد فترة وجيزة قاموا بتوطينهم مع النيوداموديين في ليبريوم، التي تقع على الحدود بين لاكونيا وإيلا؛ حيث كانت لاكيدايمون في ذلك الوقت في عداوة مع إليس. ومع ذلك، كان من المخيف أن يفترض أولئك من الإسبرطيين الذين أُسروا في الجزيرة وسلموا أسلحتهم أنهم سيخضعون لبعض الإذلال نتيجة لسوء حظهم، وبالتالي يقومون بمحاولة الثورة، إذا تُركوا في حيازة حقهم الانتخابي. لذلك حُرم هؤلاء على الفور من حقهم الانتخابي، على الرغم من أن بعضهم كان في السلطة في ذلك الوقت، وبالتالي أصبحوا عاجزين عن تولي المناصب، أو شراء وبيع أي شيء. ومع ذلك، بعد بعض الوقت، أعيد لهم حقهم الانتخابي.

وفي نفس الصيف استولى الديانيون على تيسوس، وهي بلدة على جبل آكتي، تقع على جبل آثوس، في تحالف مع أثينا. وخلال هذا الصيف بأكمله، استمرت الاتصالات بين الأثينيين والبيلوبونيزيين، على الرغم من أن كل طرف بدأ يشك في الطرف الآخر مباشرة بعد المعاهدة، بسبب عدم استعادة الأماكن المحددة في المعاهدة. ولم تفعل لاكيدايمون، التي كان من نصيبها أن تبدأ باستعادة أمفيبوليس والمدن الأخرى، ذلك. كما فشلت في جعل حلفائها التراقيين، أو البويوتيين أو الكورنثيين، يقبلون المعاهدة؛ على الرغم من أنها كانت تعد باستمرار بالاتحاد مع أثينا لإجبارهم على الامتثال، إذا رفضوا المعاهدة لفترة أطول. كما ظلت تحدد وقتًا لإعلان أولئك الذين ما زالوا يرفضون القدوم أعداءً لكلا الطرفين، لكنها حرصت على عدم إلزام نفسها بأي اتفاق مكتوب. وفي غضون ذلك، عندما رأى الأثينيون أن أيًا من هذه المطالب لم يتم تنفيذها بالفعل، بدأوا يشكون في صدق نواياها، وبالتالي لم يرفضوا الامتثال لمطالبها بشأن بيلوس فحسب، بل ندموا أيضًا على تسليم الأسرى من الجزيرة، واحتفظوا بقبضة قوية على الأماكن الأخرى، حتى يتم الوفاء بجزء لاكيدايمون من المعاهدة. من ناحية أخرى، قالت لاكيدايمون إنها فعلت ما في وسعها، حيث سلمت أسرى الحرب الأثينيين الذين كانوا في حوزتها، وأخلت تراقيا،

وفعلت كل ما في وسعها. كان من غير قدرتها على استعادة أمفيبوليس؛ لكنها ستحاول جلب أهل بيوتيا وكورنثيا إلى المعاهدة، واستعادة باناكتوم، وإرسال جميع أسرى الحرب الأثينيين إلى بيوتيا. وفي غضون ذلك، طالبت باستعادة بيلوس، أو على الأقل سحب الميسينيين والهيلوتس، كما حدث مع قواتها من تراقيا، وحراسة المكان، إذا لزم الأمر، من قبل الأثينيين أنفسهم. وبعد عدد من المؤتمرات المختلفة التي عقدت خلال الصيف، نجحت في إقناع أثينا بالانسحاب من بيلوس للمسينيين وبقية الهيلوتس والفارين من لاكونيا، الذين قامت بتوطينهم في كراني في كيفالينيا. وهكذا ساد السلام والتواصل بين الشعبين خلال هذا الصيف.

ولكن في الشتاء التالي، لم يعد الحكام الذين أبرمت المعاهدة تحت قيادتهم في مناصبهم، وكان بعض خلفائهم يعارضونها بشكل مباشر. ثم وصلت الآن سفارات من اتحاد لاكيدايمون، كما حضر الأثينيون والبيوتيون والكورنثيون إلى لاكيدايمون، وبعد الكثير من المناقشات وعدم التوصل إلى اتفاق فيما بينهم، انفصلوا عن بعضهم البعض في منازلهم؛ وعندما استغل كل من كليوبولوس وزيناريس، وهما الحكام الأكثر حرصًا على فسخ المعاهدة، هذه الفرصة للتواصل بشكل خاص مع البيوتيين والكورنثيين، ونصحاهم بالعمل معًا قدر الإمكان، وأصدرا تعليماتهما للأولى بالدخول في تحالف مع أرغوس أولاً، ثم محاولة إقناع أنفسهم والأرجيين بالتحالف مع لاكيدايمون. وبهذا يكون البيوتيون أقل عرضة للإجبار على الانضمام إلى المعاهدة الأتيكية؛ ولقد كان أهل بيوتيا يفضلون كسب صداقة أرغوس وتحالفها حتى ولو كان الثمن عداء أثينا وخرق المعاهدة. وكان أهل بيوتيا يدركون أن الصداقة الشريفة مع أرغوس كانت منذ زمن بعيد رغبة أرغوس؛ إذ كان أهل بيوتيا يعتقدون أن هذا من شأنه أن يسهل إلى حد كبير إدارة الحرب خارج بيلوبونيز. وفي الوقت نفسه، توسلوا إلى أهل بيوتيا أن يضعوا باناكتوم في أيديهم حتى يتسنى لهم، إذا أمكن، الحصول على بيلوس في مقابلها، وبالتالي يصبحون في وضع أفضل لاستئناف الأعمال العدائية مع أثينا.

وبعد أن تلقى أهل بيوتيا وكورنثيون هذه التعليمات من زينيريس وكليوبولوس وأصدقائهما في لاكيدايمون، غادروا المدينة. وفي طريق العودة إلى ديارهم، انضم إليهم شخصان رفيعا الشأن في أرجوس، كانا ينتظرانهم على الطريق، وقد استطلعا رأيهما في إمكانية انضمام أهل بيوتيا إلى أهل كورينثيا وإيليين ومانتينيا في التحالف مع أرجوس، على أساس أنه إذا تم ذلك، فسوف يكون بوسعهم، متحدين، عقد السلام أو الحرب كما يحلو لهم، سواء ضد لاكيدايمون أو أي قوة أخرى. وقد سر المبعوثون البويوتيون عندما سمعوا عن طريق الخطأ أنهم طُلب منهم أن يفعلوا ما أخبرهم به أصدقاؤهم في لاكيدايمون؛ ولما أدرك الأرجيفان أن اقتراحهما مقبول، غادرا المدينة بوعد بإرسال سفراء إلى أهل بيوتيا. وعند وصولهم، أبلغ أهل بيوتا حكام بيوتا بما قيل لهم في لاكيدايمون وكذلك من قبل الأرجيفيين الذين التقوا بهم، وقد سر أهل بيوتا بهذه الفكرة، وتبنوها بحماس أكبر بسبب المصادفة السعيدة التي جعلت أرغوس تطلب الشيء نفسه الذي أراده أصدقاؤهم في لاكيدايمون. وبعد فترة وجيزة، ظهر سفراء من أرغوس يحملون المقترحات المشار إليها؛ ووافق أهل بيوتا على الشروط وصرفوا السفراء مع وعد بإرسال مبعوثين إلى أرغوس للتفاوض على التحالف.

وفي غضون ذلك، قرر حكام بيوتا والكورنثيين والميجاريين والمبعوثين من تراقيا أولاً تبادل القسم معًا لتقديم المساعدة لبعضهم البعض كلما لزم الأمر وعدم شن الحرب أو السلام إلا بشكل مشترك؛ وبعد ذلك يجب على البيوتيين والميجاريين، الذين عملوا معًا، أن يعقدوا تحالفًا مع أرغوس. ولكن قبل أن يتم أداء القسم، أبلغ حكام بيوتا هذه المقترحات إلى مجالس بيوتا الأربعة، التي توجد فيها السلطة العليا، ونصحوها بتبادل القسم مع جميع المدن التي قد تكون على استعداد للدخول في تحالف دفاعي مع بيوتا. لكن أعضاء مجالس بيوتا رفضوا موافقتهم على الاقتراح، خوفًا من إثارة غضب لاكيدايمون بالدخول في تحالف مع كورنث الهاربة؛ ولم يطلعهم البويوتارش على ما جرى في لاكيدايمون وعلى النصيحة التي قدمها لهم كليوبولوس

وكسينياريس وأنصار البويوتا هناك، وهي أن يصبحوا حلفاء لكورنثوس وأرغوس تمهيدًا للالتقاء مع لاكيدايمون؛ إذ تصوروا أنه حتى لو لم يقولوا شيئًا عن هذا، فإن المجالس لن تصوت ضد ما قرره البويوتارش ونصح به. وبسبب هذه الصعوبة، غادر الكورنثيون والمبعوثون من تراقيا دون إبرام أي شيء؛ أما البويوتارش، الذين كانوا يعتزمون سابقًا بعد تنفيذ هذا الأمر محاولة تحقيق التحالف مع أرغوس، فقد أهملوا الآن طرح المسألة الأرغوسية أمام المجالس، أو إرسال المبعوثين الذين وعدوا بهم إلى أرغوس؛ ونشأ عن ذلك برودة عامة وتأخير في الأمر.

في هذا الشتاء نفسه، تعرضت ميكيبرنا للهجوم والاستيلاء عليها من قبل الأولينثيين، وكان بداخلها حامية أثينية.

كانت المفاوضات جارية طيلة هذه الفترة بين الأثينيين واللاسيديونيين حول الفتوحات التي ما زال كل منهما يحتفظ بها، وكان لاكيدايمون يأمل أن تتمكن أثينا من استعادة باناكتوم من البيوتيين بنفسها من استعادة بيلوس، فأرسل الآن سفارة إلى البيوتيين وتوسل إليهم بوضع باناكتوم وأسراهم الأثينيين في أيديهم، حتى تتمكن من استبدالهم ببيلوس. رفض البيوتيون القيام بذلك، ما لم تعقد لاكيدايمون تحالفًا منفصلًا معهم كما فعلت مع أثينا. كانت لاكيدايمون تعلم أن هذا سيكون خرقًا للعهد لأثينا، حيث تم الاتفاق على ألا يعقد أي منهما السلام أو الحرب بدون الآخر؛ ومع ذلك، كانت راغبة في الحصول على باناكتوم التي كانت تأمل في مبادلتها ببيلوس، والحزب الذي ضغط من أجل حل المعاهدة التي تؤثر بشدة على العلاقة البيوتيين، وأبرمت التحالف أخيرًا في الوقت الذي أفسح فيه الشتاء المجال للربيع؛ وتم تدمير باناكتوم على الفور. وانتهى بذلك العام الحادي عشر من الحرب.

وفي الأيام الأولى من الصيف التالي، رأى الأرجيون أن السفراء الموعودين من بيوتيا لم يصلوا، وأن باناكتوم كانت في طريقها إلى الهدم، وأن تحالفًا منفصلًا قد تم إبرامه بين البيوتيين واللاكيديمونيين، فبدأوا يخشون أن تُترَك أرغوس وحدها، وأن

التحالف بأكمله قد انتقل إلى اللاكيديمونيين. وتصوروا أن البيوتيين أقنعهم اللاكيديمونيون بهدم باناكتوم وإبرام المعاهدة مع الأثينيين، وأن أثينا كانت مطلعة على هذا الترتيب، وحتى تحالفها، وبالتالي، لم يعد متاحًا لهم. وهو المورد الذي كانوا يعتمدون عليه دائمًا، بسبب الخلافات القائمة، في حالة عدم استمرار معاهدتهم مع اللاكيديمونيين. "في هذا المضيق، خاف الأرغوسيون من أنه نتيجة لرفضهم تجديد المعاهدة مع لاكيدايمون وطموحهم إلى التفوق في البيلوبونيز، فإنهم قد يصبحون تحت سيطرة اللاكيدايمونيين والتيجيين والبيوتيين والأثينيين في آن واحد، فأرسلوا على عجل أوسترفوس وأيسون، اللذين بدا أنهما الشخصان الأكثر احتمالاً للقبول، كمبعوثين إلى لاكيدايمون، بهدف عقد معاهدة جيدة قدر الإمكان مع اللاكيدايمونيين، وفقًا للشروط التي يمكن الحصول عليها، وتركهم في سلام.

وبعد أن وصلوا إلى لاكيدايمون، شرع سفراؤهم في التفاوض على شروط المعاهدة المقترحة. وكان أول ما طالب به الآرجيون هو السماح لهم بإحالة مسألة أرض سينورا، وهي قطعة من أراضي الحدود التي كانوا يتنازعون عليها دائمًا، والتي تضم مدينتي ثيريا وأنثين، والتي يحتلها اللاكيدايمونيون، إلى التحكيم. وفي البداية، قال اللاكيدايمونيون إنهم لا يستطيعون السماح بمناقشة هذه النقطة، لكنهم كانوا مستعدين للتوصل إلى اتفاق بشأن الشروط القديمة. ولكن في النهاية، نجح السفراء الآرجيون في الحصول منهم على هذا التنازل: في الوقت الحاضر، كان من المقرر أن تكون هناك هدنة لمدة خمسين عامًا، ولكن يجب أن يكون من حق أي من الطرفين، في حالة عدم وجود وباء أو حرب في لاكيدايمون أو أرغوس، تقديم تحدي رسمي وحسم مسألة هذه المنطقة بالمعركة، كما حدث في مناسبة سابقة، عندما ادعى كل من الجانبين النصر؛ ولا يُسمح بالمطاردة خارج حدود أرغوس أو لاكيدايمون. في البداية اعتقد أهل لاكدامون أن هذا مجرد حماقة؛ ولكن في النهاية، حرصًا منهم على كسب صداقة أرغوس بأي ثمن، وافقوا على الشروط المطلوبة، وكتبوها مكتوبة. ولكن قبل أن يصبح أي من هذه الشروط ملزمًا، كان على السفراء أن يعودوا إلى

أرغوس ويتواصلوا مع شعبهم، وفي حالة موافقتهم، يحضرون إلى عيد هياكنثيا ويقسمون اليمين.

"وعاد المبعوثون على هذا النحو. وفي الوقت نفسه، بينما كان الأرجيون منشغلين بهذه المفاوضات، وجد سفراء لاكيديمونيا ـ أندروميدس، وفيديموس، وأنتيميندداس ـ الذين كان من المقرر أن يستقبلوا أسرى بيوتيا ويعيدوهم وباناكتوم إلى الأثينيين، أن بيوتيا قد دمروا باناكتوم بأنفسهم، بحجة أن قومهم والأثينيين قد تبادلوا اليمين قديماً، بعد نزاع حول هذا الموضوع مفاده أن أياً منهما لا ينبغي له أن يسكن المكان، بل ينبغي لهما أن يرعياه معاً. أما أسرى الحرب الأثينيين في أيدي بيوتيا، فقد سلموهم إلى أندروميدس وزملائه، الذين نقلوهم إلى أثينا وأعادوهم إليها. وأعلن المبعوثون في الوقت نفسه تدمير باناكتوم، وهو ما بدا لهم بمثابة إعادتها إلى أصحابها، لأنها لم تعد تؤوي عدواً لأثينا. ولقد استقبل الأثينيون هذا الإعلان بقدر عظيم من السخط، إذ ظنوا أن أهل لاكيدايمون قد خدعوهم، سواء في مسألة هدم باناكتوم، التي كان ينبغي أن تعود إليهم قائمة، أو في عقد تحالف منفصل مع أهل بيوتيا، على الرغم من وعدهم السابق بالانضمام إلى أثينا في إجبار أولئك الذين رفضوا الانضمام إلى المعاهدة على الانضمام إليها. كما نظر الأثينيون في النقاط الأخرى التي فشلت فيها لاكيدايمون في ميثاقها، ورأوا أنهم قد بالغوا في استغلالهم، فأجابوا السفيرين بغضب وأبعدوهما.

وبعد أن وصل الخلاف بين اللاكديمونيين والأثينيين إلى هذا الحد، سارع الطرف الأثيني الذي أراد إلغاء المعاهدة إلى التحرك. وكان أبرز هؤلاء ألكيبيادس، ابن كلينياس، وهو رجل لا يزال شاباً في سنه بالنسبة لأي مدينة يونانية أخرى، لكنه تميز بفخامة أسلافه. وكان ألكيبيادس يرى أن التحالف مع الأرغوس هو الأفضل حقاً، وليس لأن غضبه الشخصي لم يكن له علاقة كبيرة بمعارضته؛ فقد كان مستاءً من اللاكديمونيين لأنهم تفاوضوا على المعاهدة من خلال نيسياس ولاخيس، ولأنهم

تجاهلوه بسبب شبابه، ولأنهم لم يظهروا له الاحترام اللائق بالصلة القديمة بين عائلته وبينهم باعتبارهم أقرباء لهم، والتي تنكر لها جده، وكان يعتقد مؤخراً أنه سيجددها من خلال اهتمامه بأسراهم الذين أسروا في الجزيرة. "ولما كان هذا هو الحال، كما كان يعتقد، فقد عارض المعاهدة في المقام الأول، قائلاً إن اللاكيديمونيين لا يمكن الوثوق بهم، ولكنهم تصرفوا فقط لكي يتمكنوا بهذه الوسيلة من سحق أرغوس، ثم مهاجمة أثينا بمفردهم؛ والآن، فور حدوث ذلك، أرسل سراً إلى الأرجيين، وأمرهم بالحضور في أسرع وقت ممكن إلى أثينا، برفقة المانتينيين والإيليين، مع مقترحات التحالف؛ لأن اللحظة مناسبة وأنه سيفعل كل ما في وسعه لمساعدتهم.

وبعد أن تلقوا هذه الرسالة واكتشفوا أن الأثينيين، بعيدًا عن كونهم مطلعين على التحالف مع بويوتيا، كانوا متورطين في نزاع خطير مع اللاكيدايمونيين، لم يلتفت الأرجيون إلى السفارة التي أرسلوها للتو إلى اللاكيدايمون بشأن موضوع المعاهدة، وبدأوا يميلون إلى الأثينيين، معتقدين أنه في حالة الحرب، سيكونون إلى جانبهم مدينة ليست حليفة قديمة لأرغوس فحسب، بل إنها ديمقراطية شقيقة وقوية جدًا في البحر. وبناءً على ذلك، أرسلوا على الفور سفراء إلى أثينا لعقد تحالف، برفقة آخرين من إليس ومانتينيا.

وفي الوقت نفسه، وصلت على عجل من لاكيدايمون سفارة تتألف من أشخاص معروفين بحسن تصرفهم تجاه الأثينيين. فيلوخاريداس وليون وإنديوس. خوفاً من أن يعقد الأثينيون تحالفاً مع الأرجيفيين بسبب غضبهم، وكذلك طلب استعادة بيلوس في مقابل باناكتوم، ودفاعاً عن التحالف مع البيوتيين، زعموا أنه لم يكن يهدف إلى إيذاء الأثينيين. وعندما تحدث المبعوثون في مجلس الشيوخ حول هذه النقاط، وصرحوا بأنهم جاؤوا بكامل الصلاحيات لتسوية جميع القضايا الأخرى المتنازع عليها بينهم، خشي ألكيبيادس أن يكسبوا تأييد الجماهير إذا كرروا هذه التصريحات أمام الجمعية الشعبية، وأن يرفضوا التحالف الأرجيفي، وبالتالي لجأ إلى

الحيلة التالية. لقد أقنع اللاكديمونيين بتعهد رسمي بأنه إذا لم يذكروا شيئًا عن سلطاتهم الكاملة في الجمعية، فإنه سيعيد لهم بيلوس (وهو نفسه، المعارض الحالي لإرجاعها، يتعهد بالحصول على ذلك من الأثينيين)، وسيحل النقاط الأخرى محل الخلاف. كانت خطته هي فصلهم عن نيسياس وإهانتهم أمام الشعب، لأنهم يفتقرون إلى الإخلاص في نواياهم، أو حتى الاتساق المشترك في لغتهم، وبالتالي إقناع الأرجيين والإيليين والمانتيين بالتحالف. أثبتت هذه الخطة نجاحها. عندما ظهر المبعوثون أمام الشعب، وعندما طرح عليهم السؤال، لم يقولوا كما قالوا في مجلس الشيوخ أنهم جاءوا بسلطات كاملة، فقد الأثينيون كل صبرهم، وحملهم ألكيبياديس، الذي كان يرعد بصوت أعلى من أي وقت مضى ضد اللاكديمونيين، على استعداد على الفور لإدخال الأرجيين ورفاقهم وضمهم إلى التحالف. ولكن حدث زلزال قبل أن يتم اتخاذ أي إجراء محدد، مما أدى إلى تأجيل الاجتماع.

وفي الاجتماع الذي عقد في اليوم التالي، أصر نيسياس، على الرغم من خداع أهل لاكيدايمون أنفسهم، وسمح له بالخداع أيضًا بعدم الاعتراف بأنهم جاءوا بكامل سلطاتهم، على أنه من الأفضل أن يكون صديقًا لأهل لاكيدايمون، وترك المقترحات الأرجوفية قائمة، وإرسالها مرة أخرى إلى لاكيدايمون لمعرفة نواياها. لم يكن تأجيل الحرب ليزيد من هيبتهم إلا ويضر بمنافسيهم؛ فالحالة الممتازة لشئونهم تجعل من مصلحتهم الحفاظ على هذا الرخاء لأطول فترة ممكنة، بينما كان أهل لاكيدايمون يائسين لدرجة أنه كلما تمكنت من تجربة حظها مرة أخرى كان ذلك أفضل. ولقد نجح في إقناعهم بإرسال سفراء، وكان هو من بينهم، لدعوة أهل لاكيدايمون، إذا كانوا صادقين حقًا، إلى إعادة باناكتوم سليمة مع أمفيبوليس، والتخلي عن تحالفهم مع أهل بيوتيا (ما لم يوافقوا على الانضمام إلى المعاهدة)، بما يتفق مع الشرط الذي يحظر على أي منهما التعامل دون الآخر. كما أُمر السفراء بأن يقولوا إن الأثينيين، لو أرادوا أن يتظاهروا بالكذب، لكانوا قد عقدوا تحالفًا مع أهل أرجيوس، الذين أتوا بالفعل إلى أثينا لهذا الغرض بالذات، وغادروا مزودين بالتعليمات بشأن أي شكاوى

أخرى كان على الأثينيين أن يقدموها. وبعد أن وصلوا إلى لاكيدايمون، أبلغوا تعليماتهم، واختتموا حديثهم بإخبار أهل لاكيدايمون أنه ما لم يتخلوا عن تحالفهم مع أهل بيوتيا، في حالة عدم انضمامهم إلى المعاهدة، فإن الأثينيين من جانبهم سوف يتحالفون مع أهل أرجيوس وأصدقائهم. ولكن أهل لاكيدايمون رفضوا التخلي عن التحالف مع أهل بيوتيا ـ وكان حزب زيناريس، ومن يشاركهم وجهة نظرهم، هو الذي حسم الأمر في هذه النقطة ـ ولكنهم جددوا القسم بناء على طلب نيسياس، الذي خشي أن يعود دون أن ينجز شيئاً، وأن يلحق به العار؛ كما كان مصيره بالفعل، إذ اعتُبر هو صاحب المعاهدة مع لاكيدايمون. وعندما عاد، وسمع الأثينيون أنه لم يحدث شيء في لاكيدايمون، أصابهم الغضب الشديد، وقرروا أنهم لم يلتزموا بالعهد، فاستغلوا وجود الأرجيين وحلفائهم، الذين قدمهم ألكيبياديس، وعقدوا معهم معاهدة وتحالفاً على الشروط التالية:

لقد أبرم الأثينيون، والأرجيون، والمانتينيون، والإيليون، نيابة عن أنفسهم وعن حلفائهم في إمبراطورياتهم، معاهدة لمدة مائة عام، بحيث لا يتعرضون للاحتيال أو الأذى براً وبحراً.

1. لا يجوز خوض الحرب، سواء لصالح الأرجيين والإيليين والمانتينيين وحلفائهم، ضد الأثينيين أو حلفائهم في الإمبراطورية الأثينية: أو لصالح الأثينيين وحلفائهم ضد الأرجيين والإيليين والمانتينيين أو حلفائهم، بأي طريقة أو وسيلة مهما كانت.

"سيكون الأثينيون والأرجيون والإيليون والمانتينيون حلفاء لمدة مائة عام وفقًا للشروط التالية:"

2. إذا غزا عدو بلاد الأثينيين، فإن الأرجيين والإيليين والمينتينيين يجب أن يهبوا لنجدة أثينا، وفقًا لما قد يطلبه الأثينيون برسالة، وبالطريقة الأكثر فعالية، وبأفضل ما في وسعهم. ولكن إذا غادر الغازي بعد نهب الأراضي، فإن الدولة المخالفة ستكون

عدوًا للأرجيين والمينتينيين والإيليين والأثينيين، وتشن جميع هذه المدن الحرب ضدها: ولن تتمكن أي من المدن من عقد السلام مع تلك الدولة، ما لم توافق جميع المدن المذكورة أعلاه على القيام بذلك.

3. وعلى نحو مماثل، يتوجه الأثينيون إلى أرغوس، ومينتينيا، وإيليس، إذا غزا عدو بلد إليس، أو مانتينيا، أو أرغوس، حسبما قد تطلبه المدن المذكورة أعلاه برسالة، وبالطريقة التي يستطيعون بها أن يفعلوا ذلك على أكمل وجه، وبأفضل ما في وسعهم. ولكن إذا غادر الغازي بعد نهبه للمنطقة، فإن الدولة المخالفة تصبح عدوًا للأثينيين، والأرغوس، ومينتينيا، وإيليين، وتشن كل هذه المدن الحرب ضدها، ولا يجوز عقد السلام مع تلك الدولة إلا إذا وافقت كل المدن المذكورة أعلاه على ذلك.

4. لا يجوز لأي قوة مسلحة المرور لأغراض عدائية عبر بلاد القوى المتعاقدة، أو بلاد الحلفاء في إمبراطورياتهم، أو المرور عن طريق البحر، ما لم تصوت جميع المدن - أي أثينا، وأرغوس، ومانتينيا، وإيليس - لصالح هذا المرور.

5. يجب على المدينة التي أرسلت القوات المساعدة أن تحافظ عليها لمدة ثلاثين يومًا من تاريخ وصولها إلى المدينة التي طلبتها، وعند عودتها بنفس الطريقة: إذا كانت خدماتهم مطلوبة لفترة أطول، فيجب على المدينة التي أرسلت في طلبهم أن تحافظ عليهم بمعدل ثلاثة أوبولات إيجينية يوميًا للجندي الثقيل أو الرامي أو الجندي الخفيف، ودراخما إيجينية للجندي.

6. تكون القيادة للمدينة التي ترسل القوات عندما تكون الحرب في بلدها: ولكن في حالة عزم المدن على القيام بحملة مشتركة، يتم تقسيم القيادة بالتساوي بين جميع المدن.

7. يجب أن يقسم الأثينيون على المعاهدة نيابة عن أنفسهم وعن حلفائهم، كما يجب أن يقسم الأرجيون والمانتينيون والإيليون وحلفاؤهم، كما يجب أن يقسم كل منهم اليمين الأكثر إلزامًا في بلده على الضحايا البالغين: ويكون القسم على النحو التالي:

"أنا أقف إلى جانب التحالف وبنوده، بعدل وبراءة وإخلاص، ولن أتعدى عليه بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة كانت."

"ويتم أداء القسم في أثينا من قبل مجلس الشيوخ والحكام، ويديره البريتانيون؛ وفي أرغوس من قبل مجلس الشيوخ، والثمانين، والأرتيناي، ويديره الثمانون؛ وفي مانتينيا من قبل ديميورجي، ومجلس الشيوخ، والحكام الآخرين، ويديره ثيوري وبولامارش؛ وفي إليس من قبل ديميورجي، والحكام، وستمائة، ويديره ديميورجي وثيسموفيلاس. ويجدد الأثينيون القسم عندما يذهبون إلى إليس ومانتينيا وأرغوس قبل ثلاثين يومًا من الألعاب الأولمبية؛ وعندما يذهب الأرجيون ومانتينيا وإيليون إلى أثينا قبل عشرة أيام من عيد باناثينيا العظيم." "إن بنود المعاهدة والأيمان والتحالف سوف يتم نقشها على عمود حجري من قبل الأثينيين في القلعة، ومن قبل الأرجيين في السوق، في معبد أبولو، ومن قبل المانتينيين في معبد زيوس، في السوق؛ وسوف يتم نصب عمود نحاسي مشترك من قبلهم في الألعاب الأوليمبية التي تقام الآن. وإذا رأت المدن المذكورة أعلاه أنه من الجيد إضافة أي شيء إلى هذه البنود، فإن كل ما تتفق عليه كل المدن المذكورة أعلاه، بعد التشاور معًا، سوف يكون ملزمًا."

ورغم إبرام المعاهدة والتحالفات، إلا أن المعاهدة بين اللاكيدايمونيين والأثينيين لم يتنصل منها أي من الطرفين. وفي الوقت نفسه، لم تنضم كورنثوس، على الرغم من كونها حليفة الأرجيفيين، إلى المعاهدة الجديدة، تمامًا كما لم تنضم إلى التحالف الدفاعي والهجومي الذي تشكل قبل ذلك بين الإيليين والأرجيفيين والمانتيين، عندما أعلنت أنها راضية عن التحالف الأول، الذي كان دفاعيًا فقط، والذي ألزمهم

بمساعدة بعضهم البعض، ولكن ليس بالاشتراك في الهجوم على أي طرف. وهكذا وقف الكورنثيون بعيدًا عن حلفائهم، ووجهوا أفكارهم مرة أخرى نحو اللاكيدايمونيين.

في الألعاب الأوليمبية التي أقيمت في ذلك الصيف، والتي انتصر فيها أندروستينس الأركادى لأول مرة في المصارعة والملاكمة، طرد الإيليون اللاكيديمونيين من المعبد، وبالتالي منعوهم من التضحية أو القتال، لرفضهم دفع الغرامة المحددة في القانون الأوليمبي التي فرضها عليهم الإيليون، الذين زعموا أنهم هاجموا حصن فايركوس، وأرسلوا مشاة ثقيلة إلى ليبريوم أثناء الهدنة الأوليمبية. كان مبلغ الغرامة ألفي مينا، اثنان لكل جندي مسلح ثقيل، كما ينص القانون. أرسل اللاكيديمونيون مبعوثين، وزعموا أن فرض الغرامة كان غير عادل؛ قائلين إن الهدنة لم تُعلن بعد في لاكيديمون عندما أُرسلت المشاة الثقيلة. ولكن أهل إلياس أكدوا أن الهدنة معهم قد بدأت بالفعل (وهم يعلنونها أولاً فيما بينهم)، وأن عدوان اللاكيديمونيين قد فاجأهم وهم يعيشون في هدوء كما في زمن السلم، ولا يتوقعون أي شيء. وعلى هذا فقد استسلم أهل لاكيديمون، فإذا كان أهل إلياس يعتقدون حقًا أنهم ارتكبوا عدوانًا، فلا جدوى بعد ذلك من إعلان الهدنة في لاكيديمون؛ ولكنهم أعلنوها على الرغم من ذلك، لأنهم لا يؤمنون بشيء من هذا القبيل، ومنذ تلك اللحظة لم يهاجم اللاكيديمونيون بلادهم. ومع ذلك، فقد تمسك أهل إلياس بما قالوا، بأن لا شيء سيقنعهم بأن العدوان لم يحدث؛ ولكن إذا أعاد اللاكيديمونيون ليبروم، فسوف يتخلون عن نصيبهم من المال ويدفعون نصيب الإله عنهم.

ولما لم يقبل الإيليون هذا الاقتراح، حاولوا اقتراحاً آخر. فبدلاً من إعادة بناء ليبروم، إذا اعترض عليه أحد، كان على الإيليين أن يصعدوا إلى مذبح زيوس الأوليمبي، لأنهم كانوا حريصين على دخول المعبد، وأن يقسموا أمام الإغريق أنهم سيدفعون الغرامة في وقت لاحق. ولما رفض الإيليون هذا الاقتراح أيضاً، استُبعد الإيليون من المعبد،

والتضحية، والألعاب، وقُدِّمت لهم التضحيات في منازلهم؛ وكان الإيليون هم الإغريق الوحيدون الذين لم يحضروا. ومع ذلك، كان الإيليون خائفين من أن يضحي الإيليون بالقوة، فحافظوا على الحراسة بسرية من شبابهم مسلحين بأسلحة ثقيلة؛ وانضم إليهم أيضاً ألف رجل من الأرجيوس، ونفس العدد من المانتينيين، وبعض سلاح الفرسان الأثينيين الذين بقوا في هاربينا أثناء العيد. ولقد شعر الجميع بالخوف الشديد عندما حضر أهل لاكيدايمون حاملين السلاح، وخاصة بعد أن تعرض ليكاس، ابن أركسيلاوس، وهو من أهل لاكيدايمون، للجلد على يد الحكام أثناء السباق؛ وذلك لأنه بعد أن فازت خيوله، وأعلن أهل بويوتيا فوزهم لأنه لم يكن له الحق في الدخول، تقدم إلى الأمام وتوج سائق المركبة، لكي يثبت أن المركبة ملك له. وبعد هذه الحادثة، ازداد الخوف لدى الجميع أكثر من أي وقت مضى، وبحثوا بحزم عن أي اضطراب: ولكن أهل لاكيدايمون التزموا الصمت، وتركوا العيد يمر، كما رأينا. وبعد الألعاب الأوليمبية، توجه الأرجيون وحلفاؤهم إلى كورنثوس لدعوتها إلى القدوم إليهم. وهناك وجدوا بعض المبعوثين من لاكيدايمون؛ ودار نقاش طويل، انتهى في النهاية بلا نتيجة، إذ حدث زلزال، وتفرقوا إلى ديارهم المختلفة.

لقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء الذي أعقب معركة دارت بين الهرقليين في تراكينيا والقبائل الأينيانية والدولوبيين والماليين وبعض الثيساليين، وكلها قبائل مجاورة للمدينة ومعادية لها، وكانت تهدد بلادهم بشكل مباشر. وعلى هذا، وبعد أن عارضوها وضايقوها منذ تأسيسها بكل الوسائل المتاحة لهم، هزموا الهرقليين في هذه المعركة، وكان من بين القتلى زينيريس، ابن كنيديس، قائدهم اللاكيديموني. وهكذا انتهى الشتاء وانتهت السنة الثانية عشرة من هذه الحرب أيضًا. وبعد المعركة، تقلصت هيراكليا بشكل رهيب لدرجة أن البويوتيين احتلوا المكان في الأيام الأولى من الصيف التالي وأرسلوا أجيسيبيداس اللاكيديموني بعيدًا بتهمة سوء الحكم، خوفًا من أن يستولي الأثينيون على المدينة بينما كان اللاكيديمونيون منشغلين بشؤون البيلوبونيز. ومع ذلك، فقد شعر اللاكيديمونيون بالإهانة منهم بسبب ما فعلوه.

وفي نفس الصيف ذهب ألكيبياديس، ابن كلينياس، الذي كان آنذاك أحد القادة العسكريين في أثينا، بالتنسيق مع الأرجيين والحلفاء، إلى البيلوبونيز برفقة عدد قليل من المشاة الثقيلة والرماة الأثينيين وبعض الحلفاء في تلك المناطق الذين احتضنهم أثناء مروره، ومع هذا الجيش سار هنا وهناك عبر البيلوبونيز، وحسم العديد من الأمور المتعلقة بالتحالف، ومن بين أمور أخرى حث الباتريين على نقل أسوارهم إلى البحر، وكان ينوي أيضًا بناء حصن بالقرب من ريم الآخيين. ومع ذلك، جاء الكورنثيون والسيقونيون، وكل الآخرين الذين كان من الممكن أن يتضرروا من بناء الحصن، وعرقلوه.

اندلعت الحرب الصيفية ذاتها بين الإبيداوريين والأرجيفيين. وكانت الحجة أن الإبيداوريين لم يرسلوا قربانًا مقابل مراعيهم إلى أبولو فيثايوس، كما كان من المفترض أن يفعلوا، حيث كان الأرجيفيون يتولوا الإدارة الرئيسية للمعبد؛ ولكن بعيدًا عن هذه الحجة، كان ألكيبياديس والأرجيفيون عازمون، إذا أمكن، على الاستيلاء على إبيداوروس، وبالتالي ضمان حياد كورنثوس ومنح الأثينيين طريقًا أقصر لتعزيزاتهم من إيجينا مما لو اضطروا إلى الإبحار حول سكيليوم. وبناءً على ذلك، استعد الأرجيفيون لغزو إبيداوروس بأنفسهم، لفرض القربان.

وفي نفس الوقت تقريبًا، خرج اللاكيدايمونيون بكل قومهم إلى ليوكترا على حدودهم، مقابل جبل ليكايوم، تحت قيادة أجيس بن أرشيداموس، دون أن يعرف أحد وجهتهم، ولا حتى المدن التي أرسلت الوحدات. ومع ذلك، نظرًا لأن التضحيات التي قدموها مقابل عبور الحدود لم تكن مواتية، فقد عاد اللاكيدايمونيون إلى ديارهم بأنفسهم، وأرسلوا رسالة إلى الحلفاء للاستعداد للزحف بعد الشهر التالي، والذي صادف شهر كارنيوس، وهو وقت مقدس لدى الدوريين. وبعد انسحاب اللاكيدايمونيين، خرج الأرجيون في اليوم الثالث قبل كارنيوس، واحتفظوا بهذا اليوم طوال فترة خروجهم، وغزوا إبيداوروس ونهبوها. استدعى الإبيداوريون حلفائهم

لمساعدتهم، وتذرع بعضهم بالشهر كذريعة؛ ووصل آخرون إلى حدود إبيداوروس وظلوا هناك غير نشطين.

وبينما كان الأرجيون في إبيداوروس اجتمعت سفارات المدن في مانتينيا بدعوة من الأثينيين. وبعد أن بدأ المؤتمر، قال يوفاميداس الكورنثي إن أفعالهم لا تتفق مع أقوالهم؛ وبينما كانوا جالسين يتداولون بشأن السلام، اصطف الإبيداوريوسيون وحلفاؤهم والأرجيون ضد بعضهم البعض بالسلاح؛ وكان على نواب من كل حزب أن يذهبوا أولاً لفصل الجيوش، ثم يمكن استئناف الحديث عن السلام. وامتثالاً لهذا الاقتراح، ذهبوا وأعادوا الأرجيوس من إبيداوروس، ثم أعادوا التجمع بعد ذلك، ولكن دون أن ينجحوا في التوصل إلى نتيجة أفضل؛ وغزا الأرجيوس إبيداوروس مرة ثانية ونهبوا البلاد. كما سار اللاكيديمونيون إلى كاريا؛ ولكن التضحيات الحدودية أثبتت مرة أخرى أنها غير مواتية، فعادوا مرة أخرى، وعاد الأرجيوس إلى ديارهم بعد أن نهبوا حوالي ثلث أراضي إبيداوروس. وفي هذه الأثناء، جاء ألف من المشاة الثقيلة الأثينيين لمساعدتهم تحت قيادة ألكيبياديس، ولكن عندما وجدوا أن الحملة اللاكيديمونية قد انتهت، وأنهم لم يعودوا بحاجة إليهم، عادوا مرة أخرى.

وهكذا انقضى الصيف. وفي الشتاء التالي تمكن اللاكديمونيون من التملص من يقظة الأثينيين، وأرسلوا حامية من ثلاثمائة رجل إلى إبيداوروس، تحت قيادة أجيسيبيداس. وعند ذلك ذهب الأرجيون إلى الأثينيين واشتكوا من سماحهم لعدو بالمرور عبر البحر، على الرغم من البند في المعاهدة الذي يحظر على الحلفاء السماح لعدو بالمرور عبر بلادهم. لذا، ما لم يرسلوا الآن الميسينيين والهيلوتس إلى بيلوس لإزعاج اللاكديمونيين، فإنهم، الأرجيون، يجب أن يعتبروا أن الوفاء بالعهد لم يكن من نصيبهم. أقنع ألكيبيادس الأثينيين بكتابة أسفل عمود لاكوني أن اللاكديمونيين لم يفوا بقسمهم، ونقل الهيلوتس في كراني إلى بيلوس لنهب البلاد؛ ولكنهم ظلوا هادئين كما كانوا من قبل. خلال هذا الشتاء دارت معارك عدائية بين الأرجيين والإبيداوريين،

دون أن تقع أي معارك ضارية، بل كانت مجرد غارات وكمائن، وكانت الخسائر فيها ضئيلة، وكانت تقع تارة على جانب وتارة على الجانب الآخر. وفي نهاية الشتاء، وقرب بداية الربيع، ذهب الأرجيون إلى إبيداوروس بسلالم تسلق، على أمل أن يجدوها قد تركت بلا حراسة بسبب الحرب وأن يتمكنوا من الاستيلاء عليها بالهجوم، لكنهم عادوا دون جدوى. وانتهى الشتاء، وانتهت معه السنة الثالثة عشرة من الحرب أيضًا.

وفي منتصف الصيف التالي رأى أهل لاكيدايمون أن حلفاء أبيدوريا في محنة، وبقية البيلوبونيز إما متمردين أو غير راضين، فاستنتجوا أن الوقت قد حان لهم للتدخل إذا كانوا يرغبون في وقف تقدم الشر، وبناءً على ذلك، نزلوا بكل قوتهم، بما في ذلك الهيلوتس، إلى الميدان ضد أرغوس، تحت قيادة أجيس، ابن أرشيداموس، ملك لاكيدايمون. وانضم التيجيون وحلفاء لاكيدايمون الأركاديون الآخرون إلى الحملة. وحشد الحلفاء من بقية البيلوبونيز ومن الخارج قواتهم في فليوس؛ وحشد أهل بيوتيا خمسة آلاف من المشاة الثقيلة وعدد مماثل من القوات الخفيفة، وخمسمائة فارس ونفس العدد من الجنود الراجلين؛ وحشد أهل كورنثوس ألفي جندي من المشاة الثقيلة؛ وبقية الباقين أكثر أو أقل حسب ما قد يحدث؛ وحشد أهل فيلياس بكل قواتهم، حيث كان الجيش في بلادهم.

كانت استعدادات اللاكيدايمونيين معروفة منذ البداية للأرجيفيين، ولكنهم لم ينزلوا إلى الميدان إلا بعد أن كان العدو في طريقه للانضمام إلى بقية الجيوش في فيليوس. وبفضل التعزيزات التي قدمها المانتينيون وحلفاؤهم، وثلاثة آلاف من المشاة الثقيلة من إليان، تقدموا ووقعوا في قبضة اللاكيدايمونيين في ميثيريوم في أركاديا. واتخذ كل فريق موقعه على تل، واستعد الأرجيفيون لمواجهة اللاكيدايمونيين وهم بمفردهم؛ ولكن أجيس أفلت منهم بتفكيك معسكره في الليل، وشرع في الانضمام إلى بقية الحلفاء في فيليوس. وعندما اكتشف الأرجيفيون هذا عند شروق الشمس، ساروا أولاً إلى أرغوس ثم إلى طريق نيميا، حيث توقعوا أن ينزل اللاكيدايمونيون

وحلفاؤهم عبره. ولكن أجيس لم يسلك هذا الطريق كما توقعوا، بل أعطى أوامره إلى أهل لاكيدايمون، وأركاديا، وإبيدوريا، وسلك طريقًا آخر صعبًا، ونزل إلى سهل أرغوس. وسار أهل كورنثوس، وبيلينيا، وفليسيا على طريق شديد الانحدار؛ بينما تلقى أهل بيوتيا، وميجاريا، وسيسيون تعليمات بالنزول على طريق نيميا حيث كان الأرجيون متمركزين، حتى إذا تقدم العدو إلى السهل ضد قوات أجيس، فقد يهاجمون مؤخرته بفرسانهم. وانتهى هذا الترتيب، وغزا أجيس السهل وبدأ في تخريب سامينثوس وأماكن أخرى.

ولما اكتشف الآرجيون هذا الأمر، صعدوا من نيميا، وكان الفجر قد طلع. وفي طريقهم لحقوا بقوات الفليسيين والكورنثيين، فقتلوا بعض الفليسيين، وربما قتل الكورنثيون عددًا آخر من رجالهم. وفي الوقت نفسه، تقدم البويوتيون والميجاريون والسيقونيون نحو نيميا وفقًا لتعليماتهم، ولم يجدوا الآرجيين هناك، فقد نزلوا بعد أن رأوا ممتلكاتهم تدمر، وكانوا الآن يستعدون للمعركة، ويحاكي اللاكيديمونيون مثالهم. والآن أصبح الآرجيون محاصرين تمامًا؛ ومن السهل أغلق اللاكيديمونيون وحلفاؤهم طريقهم إلى مدينتهم؛ وكان الكورنثيون والفليسيون والبيلينيون من فوقهم؛ وعلى جانب نيميا كان البويوتيون والسيقونيون والميجاريون. وفي الوقت نفسه كان جيشهم بلا فرسان، ولم يكن الأثينيون وحدهم بين الحلفاء قد وصلوا بعد. ولكن أغلب الآرجيين وحلفائهم لم يروا خطورة موقفهم، بل ظنوا أنهم لا يستطيعون أن يجدوا مكاناً أفضل من هذا، بعد أن اعترضوا طريق اللاكيدايمونيين في بلادهم وعلى مقربة من المدينة. ولكن رجلين من الجيش الآرجي، ثراسيلوس، أحد القادة الخمسة، وألكيفرون، نائب اللاكيدايمونيين، ذهبا في اللحظة التي كانت فيها الجيوش على وشك الاشتباك، وعقدا مفاوضات مع آجيس وحثاه على عدم إثارة معركة، لأن الآرجيين كانوا على استعداد للتوجه إلى التحكيم العادل والمتساوي في أي شكاوى قد تكون لدى اللاكيدايمونيين ضدهم، وعقدوا معاهدة والعيش في سلام في المستقبل.

ولقد أصدر الآرجيون الذين أدلوا بهذه التصريحات هذه التصريحات بناءً على سلطتهم الذاتية، وليس بناءً على أمر من الشعب، وقبل آجيس مقترحاتهم بناءً على طلبه، ودون أن يستشير الأغلبية، نقل الأمر ببساطة إلى فرد واحد، وهو أحد كبار الضباط المرافقين للحملة، ومنح الآرجيين هدنة لمدة أربعة أشهر، للوفاء بوعودهم؛ وبعد ذلك قاد الجيش على الفور دون أن يقدم أي تفسير لأي من الحلفاء الآخرين. وتبع أهل لاكيديمون وحلفاؤهم قائدهم احتراماً للقانون، ولكن فيما بينهم لاموا آجيس بصوت عالٍ لأنه ابتعد عن هذا الميدان العادل (حيث كان العدو محاصراً من كل جانب بالمشاة والفرسان) دون أن يفعل أي شيء يليق بقوتهم. والواقع أن هذا كان أفضل جيش يوناني على الإطلاق؛ ولقد كان من الواجب أن يُرى ذلك بينما كان لا يزال متحدًا في نيميا، مع اللاكيديمونيين بكامل قوتهم، والأركاديين، والبيوتيين، والكورنثيين، والسيقونيين، والبيلينيين، والفليسيين، والميجاريين، وكل هؤلاء كانوا يشكلون أزهار شعوبهم، وكانوا يعتبرون أنفسهم ندًا ليس فقط للاتحاد الأرجي، بل وأيضًا للاتحاد الأرجيفي. وهكذا انسحب الجيش متهمًا أجيس، وأعاد كل رجل إلى منزله. ولكن الأرجيين اتهموا بصوت أعلى الأشخاص الذين عقدوا الهدنة دون استشارة الشعب، معتقدين أنهم سمحوا للاكيديمونيين بالفرار مع فرصة لن يروها مرة أخرى؛ حيث كان الصراع ليكون تحت أسوار مدينتهم، وبجانب العديد من الحلفاء الشجعان. وبناءً على ذلك، بدأوا عند عودتهم في رجم ثراسيلوس في سرير الخارادروس، حيث يجربون جميع الأسباب العسكرية قبل دخول المدينة. ففر ثراسيلوس إلى المذبح، وبذلك أنقذ حياته، لكنهم صادروا ممتلكاته.

وبعد ذلك وصل ألف من المشاة الثقيلة الأثينيين وثلاثمائة فارس تحت قيادة لاخيس ونيكوستراتوس؛ الذين رغم كرههم لخرق الهدنة مع اللاكيدايمونيين، توسلوا إليهم بالرحيل، ورفضوا إحضارهم أمام الشعب الذي كان عليهم الاتصال به، حتى أجبرهم على ذلك توسلات المانتينيين والإيليين، الذين كانوا لا يزالون في أرغوس. وأخبر الأثينيون، على لسان ألكيبياديس سفيرهم هناك، الأرجيين والحلفاء أنه ليس

لهم الحق في عقد هدنة على الإطلاق دون موافقة حلفائهم، والآن بعد أن وصل الأثينيون في الوقت المناسب، يجب استئناف الحرب. أثبتت هذه الحجج نجاحها مع الحلفاء، فساروا على الفور نحو أوركومينوس، باستثناء الأرجيين، الذين بقوا في البداية، على الرغم من موافقتهم مثل البقية، لكنهم انضموا في النهاية إلى الآخرين. وبعد أن حاصروا أوركومينوس، وهاجموها، كان أحد أسباب رغبتهم في الاستيلاء على هذا المكان أن أهل لاكيدايمون قد أودعوا هناك رهائن من أركاديا. وقد شعر أهل أوركومينوس بالفزع إزاء ضعف سورهم وأعداد العدو، وخطر الموت قبل وصول الإغاثة، فاستسلموا بشرط الانضمام إلى التحالف، وإعطاء رهائنهم للمانتينيين، والتخلي عن الرهائن الذين أودعوهم لديهم أهل لاكيدايمون. وبعد أن أمّن أوركومينوس بذلك، تشاور الحلفاء الآن بشأن أي الأماكن المتبقية يجب أن يهاجموها بعد ذلك. كان أهل إليس حريصين على ليبروم، وكان أهل مانتيني على تيجيا، وكان الأرجيون والأثينيون يدعمون أهل مانتينيا، وعاد أهل إليس إلى ديارهم في غضب لعدم تصويتهم لصالح ليبروم؛ بينما استعد بقية الحلفاء في مانتينيا لشن هجوم على تيجيا، التي رتبت مجموعة من الداخل لتسليمها لهم.

وفي هذه الأثناء، عاد أهل لاكيدايمون من أرجوس بعد إبرام هدنة الأشهر الأربعة، واتهموا أجيس بشدة لأنه لم ينجح في إخضاع أرجوس، بعد فرصة لم يتصوروا أنهم سنحت لهم من قبل؛ إذ لم يكن من السهل جمع هذا العدد الكبير من الحلفاء الجيدين معًا. ولكن عندما وصلتهم أنباء القبض على أوركومينوس، ازداد غضبهم أكثر من أي وقت مضى، وخالفوا كل السوابق، وفي خضم هذه اللحظة قرروا تقريبًا هدم منزله وتغريمه عشرة آلاف دراخما. لكن أجيس توسل إليهم ألا يفعلوا أيًا من هذه الأشياء، ووعدهم بالتكفير عن ذنبه من خلال الخدمة الجيدة في الميدان، وإلا فإنهم سيفعلون به ما يحلو لهم؛ وبناء على ذلك امتنعوا عن هدم منزله أو تغريمه كما هددوا بذلك، ووضعوا الآن قانونًا لم يكن معروفًا من قبل في لاكيدايمون، يقضي

بضم عشرة من الإسبرطيين إليه كمستشارين، وبدون موافقتهم لن تكون له القدرة على قيادة جيش خارج المدينة.

وفي هذه اللحظة وصلت إليهم أنباء من أصدقائهم في تيجا تفيد بأنه ما لم يظهروا بسرعة فإن تيجا سوف تنتقل من أيديهم إلى أيدي الآرجيين وحلفائهم، إن لم تكن قد انتقلت بالفعل. وعند وصول هذه الأخبار، خرجت قوة من لاكيدايمون، تتألف من الإسبرطيين والهيلوتس وكل شعبهم، وقد سارت على الفور وعلى نطاق لم يسبق له مثيل. وتقدموا إلى أوريستيوم في مناليا، وأصدروا تعليماتهم إلى الأركاديين في تحالفهم بأن يتبعوهم عن كثب إلى تيجا، ثم ساروا هم أنفسهم حتى أوريستيوم، وأعادوا من هناك الجزء السادس من الإسبرطيين، المكون من كبار السن والأصغر سناً، لحراسة منازلهم، ووصلوا مع بقية جيشهم إلى تيجا؛ حيث انضم إليهم حلفاؤهم الأركاديون بعد فترة وجيزة. وفي غضون ذلك، أرسلوا إلى كورنث، إلى البيوتيين والفوسيين واللوكريان، بأوامر بالتقدم بأسرع ما يمكن إلى مانتينيا. ولم يكن لدى هؤلاء سوى إشعار قصير؛ ولم يكن الأمر سهلاً إلا أن يتمكن الجميع معًا، وبعد انتظار بعضهم البعض، من المرور عبر بلاد العدو، التي كانت تقع مباشرة عبر خط الاتصال وتسده. ومع ذلك، فقد بذلوا قصارى جهدهم. وفي الوقت نفسه، دخل اللاكديمونيون مع حلفائهم الأركاديين الذين انضموا إليهم، أراضي مانتينيا، وبدأوا في نهب البلاد وهم يخيمون بالقرب من معبد هرقل.

وهنا رآهم الأرجيون وحلفاؤهم، فاتخذوا على الفور موقعًا قويًا وصعبًا، ونظموا صفوفهم في المعركة. وتقدم اللاكديمونيون على الفور نحوهم، وكانوا على مرمى حجر أو رمية رمح، عندما رأى أحد الرجال الأكبر سنًا أن موقع العدو قوي، وصاح لأجيس أنه يعتزم علاج شر بآخر؛ بمعنى أنه يرغب في التعويض عن انسحابه، الذي كان يُلام كثيرًا، من أرغوس، بسبب هزيمته المفاجئة الحالية. وفي الوقت نفسه، قاد أجيس جيشه بسرعة دون الاشتباك، سواء نتيجة لهذه الهتافات أو بسبب فكرة جديدة

مفاجئة من جانبه، ودخل أراضي تيجان، وبدأ في التحول إلى مياه مانتينيا التي يتقاتل حولها المانتينيون والتيجانيون دائمًا، بسبب الأضرار الجسيمة التي تلحقها بأي من البلدين الذي يقع فيه. "وكان هدفه من هذا هو أن ينزل الأرجيون وحلفاؤهم من التل، لمقاومة تحويل المياه، كما سيفعلون بالتأكيد عندما يعلمون بذلك، وبالتالي خوض المعركة في السهل. وبناءً على ذلك، مكث ذلك اليوم حيث كان، منشغلاً بإغلاق المياه. في البداية، اندهش الأرجيون وحلفاؤهم من التراجع المفاجئ للعدو بعد تقدمه على مقربة شديدة، ولم يعرفوا ماذا يفعلون به؛ ولكن عندما ذهب بعيدًا واختفى، دون أن يتحركوا لملاحقته، بدأوا من جديد في إيجاد خطأ في جنرالاتهم، الذين لم يسمحوا فقط لللاسيديونيين بالهروب قبل ذلك، عندما تم اعتراضهم بسعادة أمام أرغوس، بل سمحوا لهم الآن مرة أخرى بالفرار، دون أن يطاردهم أحد، والفرار على راحتهم بينما يتم خيانة جيش الأرجيوس على مهل. بعد ذلك، قادهم الجنرالات، الذين أصيبوا بالذهول جزئيًا في تلك اللحظة، إلى أسفل التل، وتقدموا إلى الأمام وعسكروا في السهل، بنية مهاجمة العدو.

"في اليوم التالي، اصطف الأرجيون وحلفاؤهم في الترتيب الذي يعتزمون القتال به، إذا ما صادفوا العدو؛ وفجأة رأى اللاكيديمونيون العائدون من الماء إلى معسكرهم القديم بجوار معبد هرقل، خصومهم يقتربون منهم، كلهم في نظام كامل، وتقدموا من التل. صدمة مثل تلك التي نراها الآن لا يتذكر اللاكيديمونيون قط أنهم تعرضوا لها: لم يكن هناك وقت كافٍ للاستعداد، حيث انضموا على الفور وبسرعة إلى صفوفهم، وكان آجيس ملكهم يوجه كل شيء وفقًا للقانون. فعندما يكون الملك في الميدان، تأتي جميع الأوامر منه: فهو يعطي الأمر إلى البولمارش، وهم إلى البحيرات، وهؤلاء إلى الخمسينيين، وهؤلاء مرة أخرى إلى الإينوموتراكس، وهؤلاء أخيرًا إلى الإينوموتيين. باختصار، كانت جميع الأوامر المطلوبة تمر بنفس الطريقة وتصل بسرعة إلى القوات؛ كما أن الجيش اللاكيديموني بأكمله تقريبًا، باستثناء جزء صغير، يتكون من ضباط تحت ضباط، وتقع مسؤولية ما يجب القيام به على عاتق الكثيرين.

في هذه المعركة كان الجناح الأيسر يتألف من السكيريتيين، الذين كانوا في جيش لاكيدايموني يحتفظون دائمًا بهذا الموقع لأنفسهم وحدهم؛ بجانب هؤلاء كان جنود براسيداس من تراقيا، والنيوداموديين معهم؛ ثم جاء اللاكيدايمونيون أنفسهم، فرقة بعد فرقة، مع الأركاديين من هيريا إلى جانبهم. بعد هؤلاء كان الميناليون، وعلى الجناح الأيمن التيجيون مع عدد قليل من اللاكيدايمونيين في الطرف؛ وكان سلاح الفرسان الخاص بهم متمركزًا على الجناحين. هكذا كان تشكيل اللاكيدايمونيين. وكان تشكيل خصومهم على النحو التالي: على اليمين كان المانتينيون، وكان العمل جاريًا في بلادهم؛ بجانبهم الحلفاء من أركاديا؛ وبعدهم جاء الألف رجل المختارون من الأرجيفيين، الذين أعطتهم الدولة دورة طويلة من التدريب العسكري على نفقة الدولة؛ وإلى جانبهم بقية الأرجيين، وبعدهم حلفاؤهم، الكليونيون والأورنيون، وأخيراً الأثينيون على أقصى اليسار، وأخيراً الأثينيون على أقصى اليسار، وفرسانهم معهم.

كان هذا هو ترتيب وقوى المقاتلين. بدا جيش اللاكيدايمونيين هو الأكبر؛ ولكن فيما يتعلق بإحصاء أعداد أي من الجيشين أو الفرق التي يتألف منها، لم أتمكن من القيام بذلك بدقة. نظرًا لسرية حكومتهم، لم يكن عدد اللاكيدايمونيين معروفًا، والرجال يميلون إلى التباهي بقوات بلادهم لدرجة أن تقديرات خصومهم لم تكن موثوقة. ومع ذلك، فإن الحساب التالي يجعل من الممكن تقدير أعداد اللاكيدايمونيين الحاضرين في هذه المناسبة. كان هناك سبع شركات في الميدان دون احتساب Sciritae، الذين بلغ عددهم ستمائة رجل: في كل شركة كان هناك أربعة من Pentecostyes، وفي Pentecostyes أربعة من Enomoties. كان الصف الأول من Enomoty يتألف من أربعة جنود: أما بالنسبة للعمق، على الرغم من أنهم لم يتم تشكيلهم جميعًا على قدم المساواة، ولكن حسب اختيار كل قائد، فقد تم نشرهم عمومًا بعمق ثمانية؛ كانت الصف الأول على طول الخط بأكمله، باستثناء Sciritae، يتكون من أربعمائة وثمانية وأربعين رجلاً.

كانت الجيوش على وشك الاشتباك، وقد تلقت كل فرقة بعض كلمات التشجيع من قائدها. وتم تذكير المانتينيين بأنهم سيقاتلون من أجل بلادهم وأنهم سيتجنبون العودة إلى تجربة العبودية بعد أن ذاقوا تجربة الإمبراطورية؛ وتم تذكير الأرجيين بأنهم سيناضلون من أجل تفوقهم القديم، واستعادة نصيبهم المتساوي في البيلوبونيز الذي حرموا منه لفترة طويلة، ومعاقبة عدو وجار لآلاف الأخطاء؛ وتم تذكير الأثينيين بمجد اكتساب شرف اليوم مع العديد من الحلفاء الشجعان المسلحين، وأن الانتصار على اللاكيديمونيين في البيلوبونيز من شأنه أن يعزز إمبراطوريتهم ويوسعها، كما أنه سيحمي أتيكا من جميع الغزوات في المستقبل. كانت هذه هي التحريضات الموجهة إلى الأرجيين وحلفائهم. وفي الوقت نفسه، حث اللاكيديمونيون، رجلاً لرجل، ومع أغاني الحرب في الصفوف، كل رفيق شجاع على تذكر ما تعلمه من قبل؛ أدرك جيدًا أن التدريب الطويل على العمل كان له فضيلة أكثر خلاصًا من أي نصيحة لفظية موجزة، رغم عدم تقديمها بشكل جيد أبدًا.

وبعد ذلك انضموا إلى المعركة، حيث تقدم الأرجيون وحلفاؤهم على عجل وعنف، بينما تقدم اللاكيديمونيون ببطء وعلى أنغام العديد من عازفي الفلوت - وهي مؤسسة قائمة في جيشهم، ليس لها علاقة بالدين، ولكنها تهدف إلى جعلهم يتقدمون بالتساوي، ويتقدمون في الوقت المناسب، دون كسر نظامهم، كما تفعل الجيوش الكبيرة في لحظة الاشتباك.

قبل بدء المعركة مباشرة، قرر الملك آجيس القيام بالمناورة التالية. كل الجيوش متشابهة في هذا: عند الدخول في المعركة، يتم إجبارهم على الخروج على جناحهم الأيمن، ويتداخل أحدهما والآخر مع يسار هذا الخصم؛ لأن الخوف يجعل كل رجل يبذل قصارى جهده لحماية جانبه غير المسلح بدرع الرجل المجاور له على اليمين، معتقدًا أنه كلما اقتربت الدروع معًا، كلما كان ذلك أفضل. الرجل المسؤول بشكل أساسي عن هذا هو الأول على الجناح الأيمن، الذي يسعى دائمًا إلى سحب جانبه

غير المسلح من العدو؛ ونفس الخوف يجعل الباقي يتبعونه. في المناسبة الحالية، وصل المانتينيون بجناحهم إلى ما هو أبعد من Sciritae، وكان اللاكيدايمونيون والتيجيون أبعد من الأثينيين، حيث كان جيشهم هو الأكبر. "خوفًا من أن يُحاصر جناحه الأيسر، وظنًا أن المانتينيين قد تجاوزوه كثيرًا، أمر أجيس السكيريتيين والبراسيديين بالخروج من مكانهم في الصفوف وجعل الخط متساويًا مع المانتينيين، وأمر البولمارشيين هيبونويداس وأريستوكليس بملء الفجوة التي تشكلت بهذه الطريقة، من خلال إلقاء أنفسهم فيها بشركتين مأخوذتين من الجناح الأيمن؛ معتقدًا أن جناحه الأيمن سيكون قويًا بما يكفي وخفيفًا، وأن الخط الذي يواجه المانتينيين سيكتسب صلابة.

ولكن لما أصدر هذه الأوامر في لحظة الهجوم، وبعد فترة وجيزة، حدث أن أرسطوقل وهيبونويداس لم يتحركا، ولهذا السبب نُفيا بعد ذلك من أسبرطة، لأنهما كانا مذنبين بالجبن؛ وفي الوقت نفسه، اقترب العدو من السكيريتيين (الذين أمرهم أجيس عندما رأى أن الشركتين لم تتحركا) وكان لديهم الوقت لسد الثغرة المعنية. ولكن الآن، أظهر اللاكيديمونيون، الذين هزموا تمامًا من حيث المهارة، أنهم متفوقون في نقطة الشجاعة. وبمجرد أن اقتربوا من العدو، كسر اليمين المانتيني السكيريتيين والبرازيديين، واقتحموا مع حلفائهم والألف من الأرجيين المختارين الثغرة المفتوحة في صفهم، وقطعوا اللاكيديمونيين وحاصروهم، ودفعوهم إلى عرباتهم، وقتلوا بعض الرجال الأكبر سنًا الذين كانوا يحرسون هناك. "ولكن اللاكيديمونيين، الذين هُزموا في هذا الجزء من الميدان، مع بقية جيشهم، وخاصة في الوسط، حيث قاتل الثلاثمائة فارس، كما يُطلق عليهم، حول الملك أجيس، هاجموا كبار السن من الأرجيفين والخمس شركات المسماة بهذا الاسم، وعلى الكليونيين، والأورنيين، والأثينيين المجاورين لهم، وهزموهم على الفور؛ ولم ينتظر العدد الأكبر حتى توجيه ضربة، بل استسلموا في اللحظة التي جاءوا فيها، حتى أن بعضهم داسوا تحت الأقدام، خوفًا من أن يدركهم مهاجموهم.

"وبعد أن استسلم جيش الأرجيفيين وحلفاؤهم في هذه المنطقة، انقسموا الآن إلى نصفين تمامًا، وحاصرت يمين لاكيدايمون وتيجيا الأثينيين في وقت واحد بالقوات التي حاصرتهم، ووجدت هذه الأخيرة نفسها بين نارين، محاصرة من جانب ومهزومة بالفعل من الجانب الآخر. والواقع أنها كانت لتعاني أشد من أي جزء آخر من الجيش، لولا خدمات سلاح الفرسان التي كانت معهم. كما أدرك أجيس محنة يساره في مواجهة المانتينيين والألف أرجيفي، فأمر كل الجيش بالتقدم لدعم الجناح المهزوم؛ وبينما كان هذا يحدث، وبينما كان العدو يتحرك بعيدًا عنهم ويميل بعيدًا عنهم، هرب الأثينيون على مهل، ومعهم الفرقة الأرجيفية المهزومة. وفي غضون ذلك، توقف المانتينيون وحلفاؤهم والجيش المختار من الأرجيفيين عن الضغط على العدو، وعندما رأوا أصدقاءهم مهزومين واللاكيدايمونيين يتقدمون نحوهم بالكامل، فروا. وهلك العديد من المانتينيين؛ ولكن الجزء الأكبر من جيش الآرجيين تمكن من الفرار. ولكن الفرار والتراجع لم يكونا متعجلين أو طويلين؛ فقد قاتل اللاكديمونيون طويلاً وبعناد حتى هزموا عدوهم، ولكنهم ما لبثوا أن طاردوه لفترة قصيرة ولم يبتعدوا كثيراً.

كانت هذه المعركة، على نحو ما وصفتها، أعظم معركة دارت بين اليونانيين منذ أمد بعيد، وانضمت إليها أعظم الدول. اتخذ اللاكيديمونيون موقعًا أمام قتلى العدو، وأقاموا على الفور غنائم وجردوا القتلى من ملابسهم؛ ثم حملوا قتلاهم وحملوهم إلى تيجا، حيث دفنوهم، وأعادوا قتلى العدو بموجب هدنة. وقُتِل سبعمائة من الأرجيين والأورنيين والكليونيين؛ وقُتِل مائتان من المانتينيين، كما قُتِل مائتان من الأثينيين والإيجينيتيين، مع جنراليهما. وعلى جانب اللاكيديمونيين، لم يتكبد الحلفاء أي خسارة تستحق الذكر: أما اللاكيديمونيون أنفسهم فقد كان من الصعب معرفة الحقيقة؛ ومع ذلك، يُقال إنهم قُتِلوا حوالي ثلاثمائة منهم.

وبينما كانت المعركة وشيكة، انطلق بليستواناكس، الملك الآخر، مع تعزيزات تتألف من الرجال الأكبر سناً والأصغر سناً، ووصل إلى تيغيا، حيث سمع بالنصر وعاد مرة أخرى. كما أرسل اللاكيديمونيون حلفائهم من كورنث ومن وراء البرزخ، وعادوا هم أيضاً، وطردوا حلفائهم، واحتفلوا بأعياد كارنيوس، التي كانت تصادف في ذلك الوقت. وقد تم القضاء على الاتهامات التي وجهها إليهم اليونانيون في ذلك الوقت، سواء بالجبن بسبب الكارثة التي حلت بالجزيرة، أو سوء الإدارة والبطء بشكل عام، من خلال هذا العمل الوحيد: فقد كان من المعتقد أن الحظ قد أذلهم، لكن الرجال أنفسهم ظلوا كما كانوا دائمًا.

في اليوم السابق لهذه المعركة، غزا الإبيداوريون بكل قواتهم الأراضي الأرجوفية المهجورة، وقطعوا الطريق على العديد من الحراس الذين تركوا هناك في غياب الجيش الأرجوفي. وبعد المعركة، وصل ثلاثة آلاف من المشاة الثقيلة الإيليين لمساعدة المانتينيين، وتعزيزات من ألف أثينيين، سار كل هؤلاء الحلفاء في وقت واحد ضد إبيداوروس، بينما كان اللاكيديمونيون يحتلون كارنيا، وقسموا العمل فيما بينهم وبدأوا في بناء سور حول المدينة. توقف الباقون؛ لكن الأثينيين أنهوا على الفور الجزء المخصص لهم حول رأس هيرايوم؛ وبعد أن انضموا جميعًا إلى ترك حامية في الحصن المذكور، عادوا إلى مدنهم.

"انتهى الصيف الآن. وفي الأيام الأولى من الشتاء التالي، عندما انتهت عطلات كارنيا، نزل اللاكيدايمونيون إلى الميدان، ووصلوا إلى تيجيا وأرسلوا إلى أرغوس مقترحات للتسوية. كان لديهم من قبل حزب في المدينة راغبًا في الإطاحة بالديمقراطية؛ وبعد المعركة التي خاضوها، أصبحوا الآن في وضع أفضل لإقناع الناس بالاستماع إلى الشروط. كانت خطتهم أولاً عقد معاهدة مع اللاكيدايمونيين، ثم تحالف، وبعد ذلك يقع على عاتق العامة. وبناءً على ذلك وصل ليكاس، ابن أركسيلاوس، الوالي الأرجوسي، إلى أرغوس ومعه مقترحان من اللاكيدايمون، لتنظيم شروط الحرب أو

السلام، وفقًا لما يفضلونه. وبعد الكثير من المناقشات، وكان ألكيبياديس موجودًا في المدينة، أقنع الحزب اللاكيدايموني، الذي تجرأ الآن على التصرف علانية، الأرجوسيين بقبول اقتراح التسوية؛ والذي جاء على النحو التالي:

توافق جمعية اللاكيديمونيين على التعامل مع الأرجيفيين وفقًا للشروط التالية:

1. يعيد الآرجيون إلى الأوركومينيين أطفالهم، وإلى المايناليين رجالهم، ويعيدون الرجال الذين لديهم في مانتينيا إلى اللاكيدايمونيين.

2. يجب عليهم إخلاء إبيداوروس وهدم الحصن الموجود هناك. وإذا رفض الأثينيون الانسحاب من إبيداوروس، فسوف يُعلنون أعداءً للأرجيفيين واللاكيديمونيين وحلفاء اللاكيديمونيين وحلفاء الأرجيفيين.

3. إذا كان لدى اللاكديمونيين أي أطفال في عهدتهم، فيجب عليهم إعادتهم كل واحد إلى مدينته.

4. أما فيما يتعلق بالتقدمة للإله، فإن الأرجيين، إذا رغبوا في ذلك، يجب أن يفرضوا يمينًا على الإبيداوريين، ولكن إذا لم يرغبوا، فيجب عليهم أن يقسموا بأنفسهم.

5. تكون جميع مدن البيلوبونيز، الصغيرة والكبيرة، مستقلة حسب عادات بلادها.

6. إذا غزت أي من القوى خارج البيلوبونيز الأراضي البيلوبونيسية، فإن الأطراف المتعاقدة يجب أن تتحد لصدها، وفقًا للشروط التي قد تتفق عليها، باعتبارها الأكثر عدالة بالنسبة للبيلوبونيزيين.

7. يجب أن يكون جميع حلفاء اللاكيدايمونيين خارج البيلوبونيز على نفس المستوى مثل اللاكيدايمونيين، ويجب أن يكون حلفاء الأرجيفيين على نفس المستوى مثل الأرجيفيين، مع تركهم يتمتعون بممتلكاتهم الخاصة.

8. يجب عرض هذه المعاهدة على الحلفاء، ويجب إبرامها إذا وافقوا عليها؛ وإذا رأى الحلفاء أن ذلك مناسب، فيمكنهم إرسال المعاهدة للنظر فيها في أوطانهم.

فقبل الآرجيون هذا الاقتراح، وعاد جيش اللاكيدايمونيين إلى ديارهم من تيغيا. وبعد أن تجددت هذه الاتصالات بينهم، وبعد فترة وجيزة، خطط نفس الحزب لتخلي الآرجيين عن التحالف مع المانتينيين والإيليين والأثينيين، وعقد معاهدة وتحالف مع اللاكيدايمونيين؛ وهو ما تم على هذا النحو وفقًا للشروط التالية:

اتفق اللاكيديمونيون والأرجيفيون على معاهدة وتحالف لمدة خمسين عامًا على الشروط التالية:

1. يتم حل جميع النزاعات عن طريق التحكيم العادل والنزيه، بما يتفق مع عادات البلدين.

2. يجوز إدراج بقية المدن في البيلوبونيز في هذه المعاهدة والتحالف، باعتبارها مدنًا مستقلة وذات سيادة، وتتمتع بالكامل بما تملكه، ويتم حل جميع النزاعات عن طريق التحكيم العادل والنزيه، بما يتفق مع عادات المدن المذكورة.

3. يجب أن يكون جميع حلفاء اللاكيدايمونيين خارج البيلوبونيز على نفس المستوى مثل اللاكيدايمونيين أنفسهم، ويجب أن يكون حلفاء الأرجيفيين على نفس المستوى مثل الأرجيفيين أنفسهم، ويستمرون في التمتع بما يملكونه.

4. إذا كان من الضروري القيام برحلة مشتركة في أي مكان، فيجب على اللاكديمونيين والأرجيفيين التشاور في الأمر واتخاذ القرار بما قد يكون أكثر عدالة بالنسبة للحلفاء.

5. إذا كانت هناك أي مشكلة بين أي من المدن، سواء داخل أو خارج البيلوبونيز، سواء كانت تتعلق بالحدود أو غير ذلك، فيجب تسويتها، ولكن إذا كانت هناك مشادة بين مدينة متحالفة ومدينة متحالفة أخرى، فيجب إحالة الأمر إلى مدينة ثالثة يعتقد الطرفان أنها محايدة. يجب حل نزاعات المواطنين الأفراد وفقًا لقوانين بلدانهم المختلفة.

"وبعد أن انتهت المعاهدة والتحالف المذكور، تخلى كل طرف على الفور عن كل ما اكتسبه سواء بالحرب أو غير ذلك، ومن ذلك الحين فصاعدًا، صوتوا جميعًا على عدم قبول أي مبعوث أو سفارة من الأثينيين ما لم يخلوا حصونهم وينسحبوا من البيلوبونيز، كما صوتوا على عدم عقد أي سلام أو حرب مع أي منهم، إلا بشكل مشترك. ولم يكن هناك نقص في الحماسة: فأرسل كلا الطرفين مبعوثين إلى الأماكن التراقية وإلى بيرديكاس، وأقنع الأخير بالانضمام إلى تحالفهما. ومع ذلك، لم ينسحب على الفور من أثينا، على الرغم من أنه كان يعتزم القيام بذلك بعد أن رأى الطريق الذي أرشده إليه أرغوس، الموطن الأصلي لعائلته. كما جددوا قسمهم القديم مع الخلقيديين وأخذوا قسمًا جديدًا: بالإضافة إلى ذلك، أرسل الأرجيون سفراء إلى الأثينيين، وأمروهم بإخلاء الحصن في إبيداوروس. ولما رأى الأثينيون أن رجالهم يفوقون بقية الحامية عددًا، أرسلوا ديموستينيس لإحضارهم. وقد تمكن هذا القائد، تحت ستار مسابقة رياضية نظمها عند وصوله، من إخراج بقية الحامية من المكان، وأغلق الأبواب خلفهم. وبعد ذلك جدد الأثينيون معاهدتهم مع الإبيداوريين، وتخلوا بأنفسهم عن القلعة.

وبعد انشقاق أرغوس عن العصبة، ورغم صمود أهل مانتين في البداية، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في النهاية عاجزين عن مقاومة الأرغوس، لكنهم هم أيضًا تصالحوا

مع لاكيدايمون وتخلوا عن سيادتهم على المدن. ونزل اللاكيدايمونيون والأرغوس، كل منهما ألف رجل، إلى الميدان معًا، وذهب اللاكيدايمونيون أولاً بمفردهم إلى سيكيون وجعلوا الحكومة هناك أكثر حكمة من ذي قبل، ثم اتحدوا معًا وأخمدوا الديمقراطية في أرغوس وأقاموا حكمًا أقلية مواتية للاكيدايمون. وقعت هذه الأحداث في نهاية الشتاء، قبل الربيع مباشرة؛ وانتهت السنة الرابعة عشرة من الحرب. وفي الصيف التالي ثار أهل ديوم في آثوس ضد الأثينيين وضد الخلقيديين، وحسم اللاكيدايمونيون الأمور في آخايا على نحو أكثر إرضاءً لمصالح بلادهم. وفي هذه الأثناء، استجمعت الجماعة الشعبية في أرغوس شيئًا فشيئًا تماسكًا وشجاعة جديدين، وانتظرت لحظة مهرجان الجمنوبايد في لاكيدايمون، ثم هاجمت الأوليجاركيين. وبعد قتال في المدينة، أعلن النصر للعامة، الذين قتلوا بعض خصومهم ونفوا آخرين. وظل اللاكيدايمونيون لفترة طويلة يتركون رسائل أصدقائهم في أرغوس دون تأثير. وأخيرًا، أرجأوا مهرجان الجمنوبايد وساروا لنجدتهم، ولكن عندما علموا في تيجيا بهزيمة الأوليجاركيين، رفضوا المضي قدمًا على الرغم من توسلات أولئك الذين فروا، وعادوا إلى ديارهم وأقاموا المهرجان. وفي وقت لاحق، وصل مبعوثون يحملون رسائل من الأرغوسيين إلى المدينة ومن المنفيين، عندما كان الحلفاء أيضًا في أسبرطة؛ وبعد الكثير من الحديث من الجانبين، قرر اللاكيدايمونيون أن الجماعة في المدينة أخطأت، وقرروا الزحف ضد أرغوس، لكنهم استمروا في التأخير وتأجيل الأمر. وفي هذه الأثناء، بدأ عامة الناس في أرغوس، خوفًا من اللاكديمونيين، في التودد مرة أخرى إلى التحالف الأثيني، الذي كانوا على يقين من أنه سيقدم لهم أعظم خدمة؛ وبناءً على ذلك شرعوا في بناء أسوار طويلة على البحر، حتى يتمكنوا في حالة الحصار البري من الحصول على ميزة استيراد ما يريدونه عن طريق البحر بمساعدة الأثينيين. كما شاركت بعض المدن في بيلوبونيز في بناء هذه الأسوار؛ وتوجه الأرغوسيون بكل أهلهم، والنساء والعبيد، إلى العمل، بينما جاءهم النجارون والبناؤون من أثينا.

لقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء التالي، سمع أهل لاكيدايمون عن بناء الأسوار، فزحفوا إلى أرغوس مع حلفائهم، باستثناء أهل كورنثوس، الذين لم يكونوا أيضًا بلا ذكاء في المدينة نفسها؛ كان أجيس، ابن أرشيداموس، ملكهم، هو القائد. ولم تسفر المعلومات التي اعتمدوا عليها داخل المدينة عن شيء؛ ومع ذلك، استولوا على الأسوار التي كانت قيد البناء وهدموها، وبعد الاستيلاء على مدينة هيسيا الأرغوسية وقتل كل الأحرار الذين سقطوا في أيديهم، عادوا وفرقوا كل رجل إلى مدينته. بعد ذلك، زحف الأرغوسيون إلى فيليوس ونهبوها لإيواء منفييهم، الذين استقر معظمهم هناك، وعادوا إلى ديارهم. وفي نفس الشتاء حاصر الأثينيون مقدونيا، بسبب التحالف الذي عقده بيرديكاس مع الأرجيين واللاكيديمونيين، وكذلك بسبب انتهاكه لالتزاماته بمناسبة الحملة التي أعدتها أثينا ضد الخلقيديين في اتجاه تراقيا وضد أمفيبوليس، تحت قيادة نيسياس بن نيسيراتوس، والتي كان لا بد من تفكيكها بشكل رئيسي بسبب فراره. لذلك أُعلن عدوًا. وهكذا انتهى الشتاء، وانتهت معه السنة الخامسة عشرة من الحرب.

الفصل السابع عشر

السنة السادسة عشرة من الحرب - مؤتمر ميلوس - مصير ميلوس

وفي الصيف التالي أبحر ألكيبياديس بعشرين سفينة إلى أرجوس وقبض على الأشخاص المشتبه بهم المتبقين من الفصيل اللاكيدايموني، وكان عددهم ثلاثمائة، فأرسلهم الأثينيون على الفور إلى الجزر المجاورة لإمبراطوريتهم. كما قام الأثينيون بحملة ضد جزيرة ميلوس بثلاثين سفينة من سفنهم، وستة سفن من سفن شيان، وسفينتان من سفن ليزبيان، وألف وستمائة من المشاة الثقيلة، وثلاثمائة من رماة السهام، وعشرين من رماة السهام من الفرسان من أثينا، ونحو ألف وخمسمائة من المشاة الثقيلة من الحلفاء وسكان الجزر. وكان أهل ميلوس مستعمرة من قبائل اللاكيدايمون لم تخضع للأثينيين مثل سكان الجزر الآخرين، وظلوا في البداية محايدين ولم يشاركوا في الصراع، ولكن بعد ذلك اتخذوا موقفًا عدائيًا صريحًا تجاه الأثينيين باستخدام العنف ونهب أراضيهم. "وكان كليوميدس بن ليكوميدس وتيسياس بن تيسيماخوس، القائدان اللذان نصبوا معسكرًا في أراضيهما بالسلاح المذكور، قد أرسلا مبعوثين للتفاوض قبل أن يلحقا أي ضرر بأرضهما. ولم يحضر أهل ميليوس مبعوثين أمام الشعب، بل أمروهما بتوضيح هدف مهمتهما للحكام والقِلة؛ فتحدث المبعوثون الأثينيون على النحو التالي:

"أيها الأثينيون. بما أن المفاوضات لن تستمر أمام الناس، حتى لا نتمكن من التحدث مباشرة دون انقطاع، ونخدع آذان الجمهور بحجج مغرية تمر دون دحض (لأننا نعلم أن هذا هو معنى إحضارنا أمام قلة من الناس)، فماذا لو اتبعتم أنتم الجالسون هناك أسلوبًا أكثر حذرًا؟ لا تضعوا لأنفسكم خطابًا محددًا، بل ناقشونا في أي شيء لا يعجبكم، وقرروا ذلك قبل المضي قدمًا. وأخبرونا أولاً ما إذا كان هذا الاقتراح يناسبكم.

أجاب مفوضو ميليان:

"ميليانز. من الإنصاف أن نتبادل النصح بهدوء كما تقترحون، فلا يوجد ما يعترض عليه أحد؛ ولكن استعداداتكم العسكرية متقدمة للغاية بحيث لا نستطيع أن نتفق مع ما تقولونه، لأننا نرى أنكم أصبحتم قضاة في قضيتكم، وأن كل ما يمكننا أن نتوقعه بشكل معقول من هذه المفاوضات هو الحرب، إذا أثبتنا أننا على حق ورفضنا الخضوع، وفي الحالة المعاكسة، العبودية.

أيها الأثينيون: إذا اجتمعتم لمناقشة توقعات المستقبل، أو لأي شيء آخر غير التشاور بشأن سلامة دولتكم بشأن الحقائق التي ترونها أمامكم، فسوف نستسلم؛ وإلا فسوف نستمر في طريقنا.

ميليانز. من الطبيعي والمقبول أن يلجأ الرجال في مثل موقفنا إلى أكثر من طريقة واحدة سواء في التفكير أو النطق. ومع ذلك، فإن المسألة المطروحة في هذا المؤتمر، كما تقولون، هي سلامة بلادنا؛ ويمكن أن تستمر المناقشة، إذا سمحتم، بالطريقة التي تقترحونها.

"أما نحن، فلن نزعجكم بحجج واهية. سواء عن حقنا في إمبراطوريتنا لأننا أطاحنا بالميديين، أو أننا نهاجمكم الآن بسبب الظلم الذي ارتكبتموه في حقنا. ولن نلقي عليكم خطاباً طويلاً لن يصدقه أحد؛ وفي المقابل نأمل أن تركزوا على ما هو ممكن، بدلاً من التفكير في التأثير علينا بالقول إنكم لم تنضموا إلى اللاكديمونيين، رغم كونهم مستعمرين لهم، أو أنكم لم ترتكبوا أي ظلم في حقنا، مع الأخذ في الاعتبار المشاعر الحقيقية لكلينا؛ لأنكم تعلمون كما نعلم نحن أن الحق، كما هو الحال في العالم، لا يكون إلا بين المتساوين في القوة، بينما يفعل الأقوياء ما في وسعهم ويعاني الضعفاء ما يجب عليهم أن يتحملوه."

"إننا نعتقد، على أية حال، أن من المناسب. ونحن نتحدث كما ينبغي لنا، بما أنكم تأمروننا بترك الحق وشأنه والحديث عن المصالح فقط. ألا تدمروا ما يشكل حمايتنا المشتركة، وامتياز السماح لنا في حالة الخطر باستدعاء ما هو عادل وصحيح، بل وحتى الاستفادة من الحجج غير الصحيحة تمامًا إذا كان من الممكن تمريرها. وأنتم مهتمون بهذا بقدر اهتمام أي شخص آخر، لأن سقوطكم سيكون بمثابة إشارة إلى الانتقام الشديد ومثالاً للعالم ليتأمل فيه.

"أيها الأثينيون، إن نهاية إمبراطوريتنا، إن كان لها نهاية، لا تخيفنا: فإمبراطورية منافسة مثل لاكيدايمون، حتى وإن كانت لاكيدايمون هي خصمنا الحقيقي، ليست مخيفة بالنسبة للمهزومين بقدر ما هي مخيفة بالنسبة للرعايا الذين يهاجمون حكامهم ويتغلبون عليهم بأنفسهم. ولكن هذه مخاطرة نرضى بخوضها. والآن سنواصل إظهار أننا أتينا إلى هنا من أجل مصلحة إمبراطوريتنا، وأننا سنقول ما سنقوله الآن من أجل الحفاظ على بلدكم؛ كما أننا نود أن نمارس هذه الإمبراطورية عليكم دون عناء، وأن نحرص على الحفاظ عليكم من أجل مصلحتنا نحن الاثنين."

يا ميليانوس، كيف يمكن أن يكون من الجيد لنا أن نخدم كما هو الحال بالنسبة لكم أن تحكموا؟

أيها الأثينيون، لأنكم تريدون أن تحظوا بميزة الخضوع قبل أن تعانوا من الأسوأ، ونحن سنستفيد من عدم تدميركم.

أيها الميلانيون، حتى لا توافقوا على أن نكون محايدين، أصدقاء بدلًا من أعداء، بل حلفاء لأي من الطرفين.

أيها الأثينيون، كلا؛ لأن عدائكم لن يضرنا بقدر ما ستكون صداقتكم حجة لرعيتنا على ضعفنا، وعداوتكم على قوتنا.

ميليان. هل هذه هي فكرة رعيتك عن العدالة، أن تضع أولئك الذين لا علاقة لهم بك في نفس الفئة مع الشعوب التي معظمهم من المستعمرين لديك، وبعض المتمردين المقهورين؟

"إن الأثينيين يعتقدون أن كل واحد منهم له نفس الحق الذي للآخر، وأن أي شخص يحافظ على استقلاله يكون ذلك لأنه قوي، وأننا إذا لم نضايقهم يكون ذلك لأننا خائفون؛ وبالتالي فإننا بالإضافة إلى توسيع إمبراطوريتنا سنكتسب الأمن من خلال خضوعكم؛ وحقيقة أنكم من سكان الجزر وأضعف من الآخرين تجعل من المهم للغاية ألا تنجحوا في إرباك سادة البحر."

"ميليانز. ولكن هل تعتقد أن السياسة التي نشير إليها لا تضمن أي أمان؟ فإذا منعتنا هنا مرة أخرى من الحديث عن العدالة ودعوتنا إلى الامتثال لمصالحك، فيجب علينا أيضًا أن نشرح مصالحنا، ونحاول إقناعك، إذا حدث أن تطابقت المصلحتان. كيف يمكنك تجنب جعل كل المحايدين الحاليين أعداءً لك، والذين سينظرون إلى احتمال مهاجمتك لهم يومًا أو آخر؟ وما هذا إلا لزيادة عدد أعدائك، وإجبار الآخرين على أن يصبحوا كذلك، والذين لم يفكروا في ذلك أبدًا لولا ذلك؟

"الأثينيون. الحقيقة هي أن سكان القارة لا يزعجوننا عادة إلا قليلاً؛ فالحرية التي يتمتعون بها ستمنعهم لفترة طويلة من اتخاذ الاحتياطات ضدنا؛ بل إن سكان الجزر مثلكم، خارج إمبراطوريتنا، والرعايا الذين يعانون من النير، هم الأكثر عرضة لاتخاذ خطوة متهورة وقيادة أنفسهم وإيانا إلى خطر واضح.

ميليانوس. حسنًا، إذا كنت تخاطر بكل هذا القدر من أجل الاحتفاظ بإمبراطوريتك، ورعاياك للتخلص منها، فمن المؤكد أن هذا من الدناءة والجبن الشديدين من جانبنا، نحن الذين ما زلنا أحرارًا في عدم تجربة كل ما يمكن تجربته، قبل الخضوع لنيرك.

أيها الأثينيون، ليس إذا استحسنتم النصيحة، لأن المنافسة ليست منافسة متكافئة، حيث الشرف هو الجائزة والعار هو العقوبة، بل هي مسألة الحفاظ على الذات وعدم مقاومة أولئك الذين هم أقوى منكم بكثير.

ولكننا نعلم أن حظ الحرب يكون أحيانًا أكثر حيادًا مما قد يتصوره المرء بسبب عدم تناسب الأعداد؛ فالاستسلام يعني تسليم أنفسنا لليأس، في حين أن العمل لا يزال يحفظ لنا الأمل في أن نتمكن من الوقوف منتصبين.

إن الأمل، الذي يخفف عن كاهل الناس من المخاطر، قد يستسلم له أولئك الذين لديهم موارد وفيرة، إن لم يكن من دون خسارة على الإطلاق من دون خراب؛ ولكن طبيعة الأمل هي الإسراف، وأولئك الذين يذهبون إلى حد وضع كل ما لديهم في هذه المغامرة لا يرونها على حقيقتها إلا عندما ينهارون؛ ولكن ما دام الاكتشاف سيمكنهم من الحماية ضده، فلن ينقصه شيء أبدًا. لا تدع هذا يكون حالك، أنت الضعيف الذي يعتمد على دورة واحدة من الميزان؛ ولا تكن مثل العامة، الذين يتخلون عن أي أمان قد توفره لهم الوسائل البشرية، عندما تخذلهم الآمال المرئية في أقصى درجات الشدائد، ويلجأون إلى ما هو غير مرئي، إلى النبوءات والتنبؤات، وغير ذلك من الاختراعات التي تخدع الناس بالآمال التي قد تؤدي إلى هلاكهم.

"أيها الميلانيون، يمكنكم أن تتأكدوا من أننا ندرك تمامًا مثلكم صعوبة النضال ضد قوتكم وثروتكم، ما لم تكن الشروط متساوية. لكننا نثق في أن الآلهة قد تمنحنا حظًا جيدًا مثل حظكم، لأننا مجرد رجال نقاتل ضد الظلم، وأن ما نحتاج إليه من قوة سوف يتحقق من خلال تحالف اللاكديمونيين، الذين سيأتون لمساعدة أقاربهم، ولو لخجل شديد. لذا فإن ثقتنا ليست غير عقلانية تمامًا.

"أيها الأثينيون. عندما تتحدثون عن فضل الآلهة، فيحق لنا أن نأمل في ذلك كما أنتم أنفسكم؛ فلا تتعارض ادعاءاتنا أو سلوكنا بأي حال من الأحوال مع ما يعتقده البشر

عن الآلهة، أو ما يمارسونه فيما بينهم. فنحن نؤمن بالآلهة، ونعرف أن البشر يحكمون حيثما يتسنى لهم ذلك بموجب قانون ضروري من طبيعتهم. وليس الأمر وكأننا أول من وضع هذا القانون، أو تصرف بموجبه عندما وضع: لقد وجدناه موجودًا قبلنا، وسنتركه موجودًا إلى الأبد بعدنا؛ كل ما نفعله هو الاستفادة منه، مع العلم أنكم وكل شخص آخر، يتمتع بنفس القوة التي لدينا، سيفعل نفس الشيء الذي نفعله. وبالتالي، فيما يتعلق بالآلهة، ليس لدينا خوف ولا سبب للخوف من أن نكون في وضع غير مؤات. ولكن عندما نأتي إلى فكرتك عن اللاكديمونيين، والتي تقودك إلى الاعتقاد بأن العار سيجعلهم يساعدونك، هنا نبارك بساطتك ولكننا لا نحسد حماقتك. إن أهل لاكدامون، عندما يتعلق الأمر بمصالحهم الخاصة أو بقوانين بلادهم، هم أكثر الناس جدارة بالحياة؛ ويمكننا أن نقول الكثير عن سلوكهم تجاه الآخرين، ولكن لا يمكن أن نعطي فكرة أوضح عن ذلك من القول باختصار إنهم من بين كل الرجال الذين نعرفهم هم الأكثر تميزًا في مراعاة ما هو مقبول ومشرف وما هو مناسب وعادل. إن مثل هذه الطريقة في التفكير لا تعد بالكثير فيما يتعلق بالسلامة التي تعتمد عليها الآن بشكل غير معقول.

ولكن لهذا السبب بالذات فإننا نثق الآن في احترامهم للمصلحة العامة لمنعهم من خيانة الميلانيين ومستعمريهم، وبالتالي فقدان ثقة أصدقائهم في اليونان ومساعدة أعدائهم.

الأثينيون. إذن فأنتم لا تتبنون الرأي القائل بأن المصلحة تأتي مع الأمن، في حين لا يمكن تحقيق العدالة والشرف دون التعرض للخطر؛ والخطر يتجنبه أهل لاكدايمون عمومًا قدر الإمكان.

ولكننا نعتقد أنهم أكثر عرضة للخطر من أجلنا، وبثقة أكبر من غيرهم، لأن قربنا من البيلوبونيز يجعل من الأسهل عليهم التصرف، ودمنا المشترك يضمن إخلاصنا.

إن الأثينيين. نعم، ولكن ما يثق فيه الحليف المقصود ليس حسن نية أولئك الذين يطلبون مساعدته، بل تفوقه الواضح في القوة اللازمة للعمل؛ ويعتمد أهل لاكدامون على هذا أكثر من غيرهم. على الأقل، فإن عدم ثقتهم في موارد وطنهم كبيرة إلى الحد الذي يجعلهم لا يهاجمون جارهم إلا بمساعدة عدد كبير من الحلفاء؛ والآن هل من المحتمل أن يعبروا إلى جزيرة ما بينما نحن أسياد البحر؟

"إنهم يريدون إرسال قوات أخرى. إن بحر كريت واسع، ومن الصعب على أولئك الذين يسيطرون عليه أن يعترضوا طريق الآخرين، مقارنة بمن يرغبون في الإفلات منهم بأمان. وإذا فشل أهل لاكيدايمون في هذا، فسوف يهاجمون أرضكم، وعلى أولئك الذين بقي من حلفائكم الذين لم يصل إليهم براسيداس؛ وبدلاً من الأماكن التي ليست ملككم، سيكون عليكم أن تقاتلوا من أجل بلدكم وحلفائكم.

"إنكم أيها الأثينيون، قد تتعرضون يوماً ما لبعض الانحرافات من النوع الذي تتحدثون عنه، ولكنكم ستكتشفون كما اكتشف آخرون أن الأثينيين لم ينسحبوا قط من الحصار خوفاً من أي حصار. ولكننا نندهش من حقيقة مفادها أنه بعد أن قلتم إنكم ستتشاورون من أجل سلامة بلادكم، لم تذكروا في كل هذه المناقشة شيئاً يمكن للناس أن يثقوا فيه ويعتقدوا أنه سيخلصهم. إن أقوى حججكم تعتمد على الأمل والمستقبل، ومواردكم الفعلية ضئيلة للغاية، مقارنة بالموارد التي تصطف ضدكم، بحيث لا تستطيعون أن تخرجوا منتصرين. وبالتالي فإنكم سوف تظهرون عمىً كبيراً في الحكم، ما لم تتمكنوا بعد السماح لنا بالانسحاب من ذلك من إيجاد نصيحة أكثر حكمة من هذه. إنكم بالتأكيد لن تستسلموا لفكرة العار، والتي تثبت في الأخطار المشينة، والتي لا يمكن أن نخطئ في فهمها، أنها قاتلة للبشرية؛ "ففي كثير من الحالات، فإن الرجال الذين لديهم أعين مفتوحة تمامًا على ما يندفعون إليه، يسمحون للشيء الذي يسمى العار، من خلال مجرد تأثير اسم مغر، أن يقودهم إلى نقطة يصبحون فيها عبيدًا للعبارة لدرجة أنهم في الواقع يسقطون عمدًا في كارثة

ميؤوس منها، ويتحملون العار أكثر خزيًا باعتباره رفيقًا للخطأ، مما هو عليه عندما يأتي نتيجة لسوء الحظ. هذا، إذا كنت جيدًا في النصيحة، فستحذر من ذلك؛ ولن تجد أنه من العار أن تخضع لأعظم مدينة في اليونان، عندما تقدم لك عرضًا معتدلاً لتصبح حليفًا تابعًا لها، دون أن تتوقف عن التمتع بالبلد الذي ينتمي إليك؛ ولن تكون أعمى لدرجة اختيار الأسوأ عندما يُمنح لك الاختيار بين الحرب والأمن. ومن المؤكد أن أولئك الذين لا يخضعون لأندادهم، والذين يحافظون على علاقاتهم مع رؤسائهم، ويعتدلون في التعامل مع أدنى منهم، هم في العموم الأكثر نجاحًا. فكروا في الأمر إذن بعد انسحابنا، وفكروا مرة تلو الأخرى في أن ما تتشاورون من أجله هو من أجل بلدكم، وأنكم لا تملكون أكثر من بلد واحد، وأن ازدهارها أو خرابها يتوقف على هذه المشاورات.

"انسحب الأثينيون الآن من المؤتمر؛ وترك أهل ميلوس لأنفسهم، وتوصلوا إلى قرار يتوافق مع ما اتفقوا عليه في المناقشة، وأجابوا: "إن قرارنا، أيها الأثينيون، هو نفس القرار الذي اتخذناه في البداية. لن نحرم في لحظة واحدة مدينة كانت مأهولة بالسكان منذ سبعمائة عام من الحرية؛ لكننا نضع ثقتنا في الحظ الذي حافظت به الآلهة عليها حتى الآن، وفي مساعدة البشر، أي أهل لاكيديمون؛ ولهذا سنحاول إنقاذ أنفسنا. وفي غضون ذلك ندعوكم إلى السماح لنا بأن نكون أصدقاء لكم وألا نكون أعداء لأي من الطرفين، وأن ننسحب من بلادنا بعد إبرام مثل هذه المعاهدة التي نراها مناسبة لكلينا".

"وكان هذا هو جواب أهل ميلوس. فقال الأثينيون عند مغادرتهم للمؤتمر: ""حسنًا، أنتم وحدكم، كما يبدو لنا، استنادًا إلى هذه القرارات، تعتبرون المستقبل أكثر يقينًا مما هو أمام أعينكم، وما هو خارج نطاق رؤيتكم، في حرصكم، وكأنه قد حدث بالفعل؛ وبما أنكم راهنتم أكثر على أهل لاكيدايمون، ووثقتم بهم أكثر من أي شيء آخر، وبمصيركم وآمالكم، فسوف تنخدعون تمامًا.""

وعاد المبعوثون الأثينيون إلى الجيش؛ ولما لم يظهر أهل ميلوس أي إشارة إلى الاستسلام، شرع القادة على الفور في شن الأعمال العدائية، ورسموا خطًا للالتفاف حول أهل ميلوس، وقسموا العمل بين الدول المختلفة. وبعد ذلك عاد الأثينيون بمعظم جيشهم، تاركين وراءهم عددًا معينًا من مواطنيهم وحلفائهم للحراسة على البر والبحر. وبقيت القوة المتبقية وحاصرت المكان.

وفي نفس الوقت تقريبًا غزا الأرجيون أراضي فيليوس وخسروا ثمانين رجلاً بعد أن نصب لهم الفليسيون والمنفيون الأرجيون كمينًا. وفي الوقت نفسه، نهب الأثينيون في بيلوس الكثير من الغنائم من اللاكديمونيين، حتى أن هؤلاء، على الرغم من امتناعهم عن خرق المعاهدة والذهاب إلى الحرب مع أثينا، أعلنوا أن أي شخص من شعبهم قد ينهب الأثينيين. كما بدأ الكورنثيون في العداء مع الأثينيين بسبب مشاجرات خاصة بهم؛ لكن بقية البيلوبونيزيين ظلوا هادئين. وفي الوقت نفسه، هاجم الميليون ليلًا واستولوا على جزء من الخطوط الأثينية مقابل السوق، وقتلوا بعض الرجال، وأحضروا الذرة وكل شيء آخر وجدوه مفيدًا لهم، ثم عادوا وظلوا هادئين، بينما اتخذ الأثينيون التدابير اللازمة للحفاظ على حراسة أفضل في المستقبل.

كان الصيف قد انتهى الآن. وفي الشتاء التالي، كان أهل لاكيدايمون يعتزمون غزو أراضي الأرجيف، ولكنهم عندما وصلوا إلى الحدود وجدوا أن التضحيات التي قدموها للعبور غير مواتية، فعادوا مرة أخرى. وقد أثارت نيتهم هذه شكوك أهل الأرجيف في بعض مواطنيهم، فاعتقلوا بعضهم؛ ولكن آخرين تمكنوا من الفرار منهم. وفي نفس الوقت تقريبًا استولى أهل ميليا على جزء آخر من الخطوط الأثينية التي كانت حامية بشكل ضعيف. وبعد وصول التعزيزات من أثينا، تحت قيادة فيلوكراتس، ابن ديماس، تم تشديد الحصار بقوة؛ وحدثت بعض الخيانة في الداخل، فاستسلم أهل ميليا للأثينيين، الذين أعدموا كل الرجال البالغين الذين أخذوهم، وباعوا النساء والأطفال كعبيد، ثم أرسلوا بعد ذلك خمسمائة مستعمر وسكنوا المكان بأنفسهم.

الكتاب السادس

الفصل الثامن عشر

السنة السابعة عشرة من الحرب - الحملة الصقلية - قضية هيرماي - رحيل الحملة

وفي نفس الشتاء قرر الأثينيون الإبحار مرة أخرى إلى صقلية، بعتاد أعظم من ذلك الذي كان تحت قيادة لاخيس ويوريميدون، وإذا أمكنهم ذلك، غزو الجزيرة؛ لأن معظمهم كانوا يجهلون حجمها وعدد سكانها، الهيلينيون والبرابرة، وحقيقة أنهم كانوا يخوضون حربًا لا تقل كثيرًا عن الحرب ضد البيلوبونيزيين. ذلك أن الرحلة حول صقلية في سفينة تجارية لا تقل كثيرًا عن ثمانية أيام؛ ومع ذلك، ورغم اتساع الجزيرة، فإن البحر لا يبعد عنها سوى ميلين فقط.

كانت هذه الجزيرة قد استقرت في الأصل على النحو التالي، والشعوب التي سكنتها هي الشعوب التالية. وأول السكان الذين تحدثنا عنهم في أي جزء من البلاد هم السيكلوب والليستريجونيس؛ ولكنني لا أستطيع أن أذكر أي عرق كانوا، أو من أين أتوا أو إلى أين ذهبوا، ويجب أن أترك لقرائي ما قاله الشعراء عنهم وما قد يكون معروفًا عنهم بشكل عام. ويبدو أن السيكانيين كانوا المستوطنين التاليين، على الرغم من أنهم يزعمون أنهم كانوا أول من استوطنوا الجزيرة وأنهم من السكان الأصليين؛ ولكن الحقائق تشير إلى أنهم كانوا من الإيبيريين، الذين طردهم الليغوريون من نهر سيكانوس في إيبيريا. ومنهم أخذت الجزيرة، التي كانت تسمى سابقًا تريناكريا، اسمها سيكانيا، وإلى يومنا هذا يسكنون غرب صقلية. وعند سقوط إيليوم، هرب بعض الطرواديين من الآخيين، وجاءوا في سفن إلى صقلية، واستقروا بجوار السيكانيين تحت الاسم العام إيليمي؛ وكانت مدنهم تسمى إريكس وإيجيستا. وقد استقر معهم بعض الفوسيين الذين حملتهم عاصفة في طريقهم من طروادة، أولاً إلى ليبيا، ثم إلى صقلية. وقد عبر الصقليون إلى صقلية من موطنهم الأول إيطاليا،

طائرين من الأوبيكيين، كما تقول التقليد، وكما يبدو من غير المستبعد، على طوافات، بعد أن انتظروا حتى تهب الرياح على المضيق لإتمام العبور؛ وإن كان من المحتمل أنهم أبحروا بطريقة أخرى. وحتى يومنا هذا لا يزال الصقليون موجودين في إيطاليا؛ وقد استمدت البلاد اسمها إيطاليا من إيتالوس، ملك الصقليين، كما يُدعى. وقد ذهب هؤلاء بجيش كبير إلى صقلية، وهزموا الصقليين في المعركة وأجبروهم على الانتقال إلى الجنوب والغرب من الجزيرة، التي أصبحت تسمى صقلية بدلاً من سيكانيا، وبعد عبورهم استمروا في التمتع بأغنى أجزاء البلاد لمدة تقرب من ثلاثمائة عام قبل أن يأتي أي يوناني إلى صقلية؛ والواقع أنهم ما زالوا يسيطرون على وسط وشمال الجزيرة. كان هناك أيضًا فينيقيون يعيشون في جميع أنحاء صقلية، وكانوا يشغلون نتوءات على سواحل البحر والجزر الصغيرة المجاورة لغرض التجارة مع الصقليين. ولكن عندما بدأ اليونانيون في الوصول بأعداد كبيرة عن طريق البحر، هجر الفينيقيون معظم محطاتهم، واتخذوا من موتي وسولويس وبانورموس، بالقرب من الإليمي، مسكنًا لهم جزئيًا لأنهم وثقوا بتحالفهم، وأيضًا لأن هذه هي أقرب النقاط للرحلة بين قرطاج وصقلية.

"هؤلاء هم البرابرة الذين استقروا في صقلية كما قلت. وكان أول من وصل من اليونانيين الخلقيديون من أوبيا مع ثوكليس مؤسسهم. فأسسوا ناكسوس وبنوا مذبح أبولو أركيجيتس، الذي يقف الآن خارج المدينة، والذي يذبح عليه نواب الألعاب قبل الإبحار من صقلية. وفي العام التالي أسس أرخياس، أحد هيراكليديي من كورنثوس، مدينة سيراكوزا، الذي بدأ بطرد الصقليين من الجزيرة التي تقع عليها المدينة الداخلية الآن، على الرغم من أنها لم تعد محاطة بالمياه: وبمرور الوقت، تم الاستيلاء على المدينة الخارجية أيضًا داخل الأسوار وأصبحت مأهولة بالسكان. وفي غضون ذلك، انطلق ثوكليس والخلقيديون من ناكسوس في السنة الخامسة بعد تأسيس سيراكوزا، وطردوا الصقليين بالسلاح وأسسوا ليونتيني وبعد ذلك كاتانا؛ واختار الكاتانيون أنفسهم إيفارشوس مؤسسًا لهم.

وفي نفس الوقت تقريبًا وصل لاميس إلى صقلية مع مستعمرة من ميجارا، وبعد أن أسس مكانًا يُدعى تروتيلوس وراء نهر بانتاكياس، وتركه بعد ذلك وانضم إلى الخلقيديين لفترة قصيرة في ليونتيني، طرده هؤلاء وأسس مدينة تابسوس. وبعد وفاته طرد رفاقه من تابسوس، وأسسوا مكانًا يُدعى ميجارا الهيبلاوية؛ فتخلى هيبلون، ملك صقلية، عن المكان ودعاهم إلى هناك. وعاشوا هناك مائتين وخمسة وأربعين عامًا؛ وبعد ذلك طردهم الطاغية السيراقوسي جيلو من المدينة والبلاد. ولكن قبل طردهم، وبعد مائة عام من استقرارهم هناك، أرسلوا باميلوس وأسس سيلينوس؛ حيث جاء من بلدهم الأم ميجارا للانضمام إليهم في تأسيسها. تأسست مدينة جيلا على يد أنتيفيموس من رودس وإنتيموس من كريت، اللذين اشتركا في قيادة مستعمرة هناك، في العام الخامس والأربعين بعد تأسيس سيراكوزا. أخذت المدينة اسمها من نهر جيلاس، وهو المكان الذي توجد فيه القلعة الآن، والذي تم تحصينه لأول مرة، وكان يسمى ليندي. كانت المؤسسات التي تبناها دوريان. بعد ما يقرب من مائة وثمانية أعوام من تأسيس جيلا، أسس الجلويون مدينة أغريجنتوم، المسماة بهذا الاسم من النهر الذي يحمل نفس الاسم، وجعلوا أريستونوس وبيستيلوس مؤسسيهم؛ وأعطوا مؤسساتهم الخاصة للمستعمرة. تأسست مدينة زانكلي في الأصل على يد قراصنة من كوما، وهي مدينة خالكيذية في بلاد الأوبيكيين: ومع ذلك، بعد ذلك، جاءت أعداد كبيرة من خالكيذ وبقية إيفيا، وساعدوا في إعمار المكان؛ وكان المؤسسون هما بيريبرس وكراتامينيس من كوما وخالكيذ على التوالي. كانت تسمى في البداية زانكلي، وقد أطلق عليها الصقليون هذا الاسم لأن المكان على شكل منجل، والذي يسميه الصقليون زانكلون؛ ولكن بعد أن طرد المستوطنين الأصليين فيما بعد من قبل بعض الساميين وغيرهم من الأيونيين الذين هبطوا في صقلية هربًا من الميديين، والساميين بدورهم بعد فترة وجيزة من قبل أناكسيلاس، طاغية ريجيوم، استعمر المدينة بسكان مختلطين، وتغير اسمها إلى ميسينا، نسبة إلى بلده القديم.

تأسست هيميرا في زانكلي على يد إقليدس وسيموس وساكون، وكان أغلب الذين ذهبوا إلى المستعمرة من الخلقيديين؛ وإن كان قد انضم إليهم بعض المنفيين من سيراقوسة، الذين هُزموا في حرب أهلية، وكانوا يُطلق عليهم اسم الميليتيداي. وكانت اللغة مزيجًا من الخلقيديين والدوريين، ولكن المؤسسات التي سادت كانت الخلقيديين. أسس السيراقوسيون أكراي وكازميناي؛ فأسسوا أكراي بعد سيراقوسة بسبعين عامًا، وكازمينا بعد أكراي بحوالي عشرين عامًا. أسس السيراقوسيون كامارينا لأول مرة، بعد حوالي مائة وخمسة وثلاثين عامًا من بناء سيراقوسة؛ وكان مؤسسوها داكسون ومينيكولوس. ولكن بعد أن طرد أهل جيلا الكامارينيين بالسلاح على يد أهل سيراقوسة لثورتهم، قام أبقراط طاغية جيلا، بعد فترة من الوقت، باسترداد أراضيهم فدية عن بعض أسرى سيراقوسة، فأعاد توطينهم في جيلا، وكان هو نفسه مؤسسها. وأخيرًا، أخلتها جيلو مرة أخرى، واستوطنها أهل جيلا مرة أخرى للمرة الثالثة.

هذه هي قائمة الشعوب، الهيلينية والبربرية، التي كانت تسكن صقلية، وهذه هي ضخامة الجزيرة التي كان الأثينيون عازمون الآن على غزوها؛ وكانوا في الحقيقة يطمحون إلى غزو الجزيرة بأكملها، على الرغم من أنهم كانوا يخططون أيضًا لمساعدة أقاربهم وحلفائهم الآخرين في الجزيرة. ولكنهم استفزهم بشكل خاص مبعوثون من إيجستا، الذين جاءوا إلى أثينا واستدعوا مساعدتهم بإلحاح أكثر من أي وقت مضى. كان الإيجستايون قد خاضوا حربًا مع جيرانهم السيلينونيين بشأن مسائل الزواج والأراضي المتنازع عليها، وكان السيلينونيون قد حصلوا على تحالف مع السيراقوسيين، وضغطوا بشدة على إيجستا براً وبحراً. ولقد ذكر الإيجيستيون الأثينيين الآن بالتحالف الذي عقد في زمن لاخيس أثناء الحرب الليونتينية السابقة، وتوسلوا إليهم أن يرسلوا أسطولاً لمساعدتهم، ومن بين عدد من الاعتبارات الأخرى التي حثوا عليها كحجة قوية أنه إذا سُمح للسيراقوسيين بالإفلات من العقاب على إخلائهم سكان ليونتيني، وإهلاك الحلفاء المتبقين لأثينا في صقلية، والاستيلاء على

السلطة الكاملة للجزيرة في أيديهم، فسيكون هناك خطر من قدومهم ذات يوم بقوة كبيرة، كدوريين، لمساعدة إخوانهم الدوريين، وكمستعمرين، لمساعدة البيلوبونيزيين الذين أرسلوهم، والانضمام إليهم في هدم الإمبراطورية الأثينية. لذلك، سيكون من الأفضل للأثينيين أن يتحدوا مع الحلفاء المتبقين لهم، وأن يتخذوا موقفًا ضد السيراقوسيين؛ خاصة وأنهم، الإيبجيستيون، مستعدون لتقديم المال الكافي للحرب. وعندما سمع الأثينيون هذه الحجج يكررها الإيجيستيون وأنصارهم باستمرار في جمعياتهم، صوتوا أولاً على إرسال مبعوثين إلى إيجيستيا، لمعرفة ما إذا كانت الأموال التي تحدثوا عنها موجودة بالفعل في الخزانة والمعابد، وفي الوقت نفسه للتأكد من وضع الحرب مع السيلينونتينيين.

وعلى هذا فقد أرسل الأثينيون مبعوثين إلى صقلية. وفي نفس الشتاء سار اللاكديمونيون وحلفاؤهم، باستثناء الكورنثيين، إلى أراضي الأرجيوس، ونهبوا جزءًا صغيرًا من الأرض، واستولوا على بعض أنيار الثيران وحملوا بعض القمح. كما أقاموا سكنًا للمنفيين الأرجيوس في أورنيا، وتركوا لهم بضعة جنود أخذوهم من بقية الجيش؛ وبعد أن عقدوا هدنة لفترة من الوقت، بموجبها لا يجوز لأي من الأورنياتيين أو الأرجيوس أن يضر بأراضي بعضهم البعض، عادوا إلى ديارهم بالجيش. وبعد فترة وجيزة، جاء الأثينيون بثلاثين سفينة وستمائة من المشاة الثقيلة، وانضم إليهم الأرجيوس بكل قواتهم، وزحفوا وحاصروا الرجال في أورنيا ليوم واحد؛ لكن الحامية نجحت في الفرار ليلًا، بعد أن خيم المحاصرون على مسافة ما. وفي اليوم التالي اكتشف الأرجيون ذلك فدمروا أورنييه وعادوا إليها، وبعد ذلك عاد الأثينيون إلى ديارهم في سفنهم. وفي الوقت نفسه أخذ الأثينيون إلى ميثوني على الحدود المقدونية بعض فرسانهم والمنفيين المقدونيين الذين كانوا في أثينا بحراً، ونهبوا بلاد بيرديكاس. وعلى هذا أرسل اللاكيديمونيون إلى الخالسيديين التراقيين، الذين عقدوا هدنة مع أثينا لمدة عشرة أيام، وحثوهم على الانضمام إلى بيرديكاس في الحرب، وهو

ما رفضوه. وانتهى الشتاء، وانتهت معه السنة السادسة عشرة من هذه الحرب التي كان ثوسيديديس مؤرخها.

وفي أوائل الربيع من الصيف التالي وصل المبعوثون الأثينيون من صقلية، ومعهم أهل إيجستا، حاملين معهم ستين تالنت من الفضة غير المسكوكة، كأجر شهري لستين سفينة، وكان عليهم أن يطلبوا إرسالها إليهم. وعقد الأثينيون جمعية، وبعد أن استمعوا من أهل إيجستا ومبعوثيهم إلى تقرير، جذاب وإن كان غير صحيح، عن حالة الشؤون بشكل عام، وخاصة فيما يتعلق بالأموال، التي قيل إنها كانت وفيرة في المعابد والخزانة، صوتوا على إرسال ستين سفينة إلى صقلية، تحت قيادة ألكيبياديس، ابن كلينياس، ونيسياس، ابن نيسيراتوس، ولاماكوس، ابن زينوفانيس، الذين تم تعيينهم بكامل الصلاحيات؛ وكان عليهم مساعدة أهل إيجستا ضد السيلينونتينيين، واستعادة ليونتيني إذا حصلوا على أي ميزة في الحرب، وتنظيم جميع الأمور الأخرى في صقلية على النحو الذي يرون أنه الأفضل لمصلحة أثينا. وبعد خمسة أيام من ذلك انعقدت جمعية ثانية للنظر في أسرع الوسائل لتجهيز السفن، والتصويت على أي شيء آخر قد يطلبه القادة للحملة؛ ونيكياس، الذي اختير للقيادة ضد إرادته، والذي اعتقد أن الدولة لم تكن على ما يرام، ولكنها كانت تطمح إلى غزو صقلية بأكملها بحجة زائفة، وهو أمر عظيم لتحقيقه، تقدم على أمل تحويل الأثينيين عن المشروع، وأعطاهم النصيحة التالية:

"ورغم أن هذه الجمعية انعقدت للنظر في الاستعدادات التي يجب القيام بها للإبحار إلى صقلية، فإنني أعتقد، مع ذلك، أنه لا يزال يتعين علينا أن ندرس هذه المسألة، وما إذا كان من الأفضل إرسال السفن على الإطلاق، وأنه لا ينبغي لنا أن نولي اهتمامًا ضئيلًا لمسألة مثل هذه اللحظة، أو نسمح لأنفسنا بأن نقنع أنفسنا بالأجانب لخوض حرب لا علاقة لنا بها. ومع ذلك، فإنني شخصيًا أكسب شرفًا من هذا المسار، ولا أخشى على شخصيتي مثل أي شخص آخر - ليس لأنني أعتقد أن الرجل يجب أن

يكون مواطنًا أسوأ من أي شخص آخر يهتم بشخصه وممتلكاته؛ بل على العكس من ذلك، فإن مثل هذا الرجل يرغب في ازدهار بلاده أكثر من غيره - ومع ذلك، نظرًا لأنني لم أتحدث أبدًا ضد قناعاتي لكسب الشرف، فلن أبدأ في القيام بذلك الآن، ولكن سأقول ما أعتقد أنه الأفضل. إن أي كلمات مني ضد شخصيتك ستكون ضعيفة بما يكفي إذا نصحتك بالاحتفاظ بما لديك وعدم المخاطرة بما هو ملكك بالفعل من أجل مزايا مشكوك فيها في حد ذاتها، والتي قد تحصل عليها أو لا تحصل عليها. لذلك، سأكتفي بإظهار أن حماسك ليس في الوقت المناسب، وأن طموحك ليس من السهل تحقيقه.

"أؤكد إذن أنك تترك العديد من الأعداء خلفك هنا لتذهب إلى هناك وتجلب المزيد معك. ربما تتخيل أن المعاهدة التي أبرمتها يمكن الوثوق بها؛ وهي معاهدة ستظل قائمة اسميًا، طالما التزمت الصمت - فقد أصبحت اسمية، بسبب ممارسات بعض الرجال هنا وفي سبارتا - ولكنها في حالة حدوث نكسة خطيرة في أي جانب لن تؤخر أعداءنا لحظة عن مهاجمتنا؛ أولاً، لأن الاتفاقية فرضت عليهم بسبب الكارثة وكانت أقل شرفًا لهم مما كانت عليه بالنسبة لنا؛ وثانيًا، لأنه في هذه الاتفاقية ذاتها هناك العديد من النقاط التي لا تزال محل نزاع. مرة أخرى، لم تقبل بعض الدول الأكثر قوة هذه الاتفاقية على الإطلاق. بعضها في حرب مفتوحة معنا؛ "إن الآخرين (حيث إن أهل لاكيديمون لم يتحركوا بعد) مقيدين بهدنات تتجدد كل عشرة أيام، ومن المحتمل جدًا أنه إذا وجدوا قوتنا مقسمة، كما نسارع إلى تقسيمها، فسيهاجموننا بقوة بالصقليين، الذين كانوا ليقدرون تحالفهم في الماضي كما لو كانوا يقدرون تحالف قِلة من الآخرين. لذا، يجب على الرجل أن يفكر في هذه النقاط، ولا يفكر في المخاطرة ببلد في وضع حرج للغاية، أو في التمسك بإمبراطورية أخرى قبل أن نضمن الإمبراطورية التي لدينا بالفعل؛ لأن الخالسيديين التراقيين كانوا في الواقع طوال هذه السنوات في ثورة ضدنا دون أن يتم إخضاعهم بعد، وآخرون في القارات لا يقدمون لنا سوى طاعة مشكوك فيها. وفي الوقت نفسه، تعرض الإيجيستايون، حلفاؤنا، للظلم،

ونحن نركض لمساعدتهم، بينما لا يزال المتمردون الذين ظلمونا لفترة طويلة ينتظرون العقاب.

"ومع ذلك، إذا ما تم إخضاع الصقليين، فقد يتم إخضاعهم؛ في حين أن الصقليين، حتى لو تم غزوهم، بعيدون جدًا وكثيرون جدًا بحيث لا يمكن حكمهم دون صعوبة. الآن من الحماقة أن نذهب ضد رجال لا يمكن إخضاعهم حتى لو تم غزوهم، في حين أن الفشل سيتركنا في وضع مختلف تمامًا عن الوضع الذي كنا فيه قبل المشروع. مرة أخرى، إذا أخذهم الصقليون كما هم في الوقت الحاضر، في حالة غزو سرقوسة (المشكلة المفضلة لدى الإيجيستينيين)، فسيكون ذلك في اعتقادي أقل خطورة علينا من ذي قبل. في الوقت الحاضر، قد يأتون إلى هنا كدول منفصلة من أجل حب لاكيدايمون؛ في الحالة الأخرى، بالكاد تهاجم إمبراطورية أخرى؛ لأنه بعد الانضمام إلى البيلوبونيزيين للإطاحة بإمبراطورية إمبراطورية، لا يمكنهم إلا أن يتوقعوا رؤية نفس الأيدي تطيح بإمبراطوريةهم بنفس الطريقة. سيخشى اليونانيون في صقلية منا أكثر إذا لم نذهب إلى هناك على الإطلاق، بالإضافة إلى ذلك، إذا استعرضنا قوتنا وغادرنا مرة أخرى في أقرب وقت ممكن. "إننا نعلم جميعاً أن ما هو أبعد ما يكون عنا، وما لا يمكن اختبار سمعته، هو موضع الإعجاب؛ فإذا ما حدث العكس، فإنهم سيبدأون على الفور في النظر إلينا بازدراء، وسينضمون إلى أعدائنا هنا ضدنا. وقد اختبرت أنت بنفسك هذا فيما يتعلق باللاكيديمونيين وحلفائهم، الذين جعلك نجاحك غير المتوقع، مقارنة بما كنت تخشاه في البداية، تحتقرهم فجأة، مما أغراك أكثر بالتطلع إلى غزو صقلية. ولكن بدلاً من أن تتفاخر بمصائب خصومك، يجب أن تفكر في كسر روحهم قبل أن تستسلم للثقة، وأن تفهم أن الفكرة الوحيدة التي أيقظتها في اللاكيديمونيين بسبب عارهم هي كيف يمكنهم الآن، إذا أمكن، الإطاحة بنا وإصلاح عارهم؛ بقدر ما تعد السمعة العسكرية دراستهم الأقدم والأهم. إن نضالنا، إذا كنا حكماء، لن يكون من أجل الإيجيستيين البرابرة في صقلية، بل من أجل كيفية الدفاع عن أنفسنا بشكل أكثر فعالية ضد المؤامرات الأوليغارشية التي ينفذها لاكيدايمون.

"يجب علينا أيضًا أن نتذكر أننا نستمتع الآن ببعض الراحة من وباء عظيم ومن الحرب، مما يعود بالنفع ليس فقط على ممتلكاتنا وأشخاصنا، وأنه من الصواب استخدام هذه الأشياء في وطننا لصالحنا، بدلاً من استخدامها نيابة عن هؤلاء المنفيين الذين من مصلحتهم الكذب بأقصى قدر ممكن من العدالة، والذين لا يفعلون شيئًا سوى التحدث عن أنفسهم وترك الخطر للآخرين، والذين إذا نجحوا لن يظهروا أي امتنان مناسب، وإذا فشلوا سيجرون أصدقاءهم معهم. "وإذا كان هناك أي رجل هنا، مسرور للغاية لاختياره للقيادة، ويحثك على القيام بالرحلة، لمجرد أغراضه الخاصة - وخاصة إذا كان لا يزال صغيرًا جدًا للقيادة - والذي يسعى إلى الإعجاب بحصانه، ولكن بسبب نفقاته الباهظة يأمل في الحصول على بعض الربح من تعيينه، فلا تسمح له بالحفاظ على روعته الخاصة على حساب بلاده، ولكن تذكر أن مثل هؤلاء الأشخاص يضرون بالثروة العامة بينما يبددون أموالهم، وأن هذه مسألة مهمة، وليس من شأن الشاب أن يقررها أو يتعامل معها على عجل.

"عندما أرى مثل هؤلاء الأشخاص يجلسون الآن إلى جانب نفس الفرد ويستدعيهم، يتملكني الفزع؛ وأنا، بدوري، أدعو أي رجل أكبر سناً قد يجلس بجانبه مثل هذا الشخص ألا يخجل، خوفًا من أن يُنظر إليه على أنه جبان إذا لم يصوت للحرب، ولكن، متذكرًا مدى ندرة النجاح بالتمني ومدى تكراره بالتنبؤ، أن يترك لهم الحلم المجنون بالغزو، وبصفته محبًا حقيقيًا لبلاده، التي تهددها الآن أعظم المخاطر في تاريخها، أن يرفع يده على الجانب الآخر؛ للتصويت على ترك الصقليين في الحدود القائمة الآن بيننا، وهي الحدود التي لا يمكن لأحد أن يشكو منها (البحر الأيوني لرحلة الساحل، والصقليين عبر البحر الرئيسي المفتوح)، للاستمتاع بممتلكاتهم الخاصة وتسوية نزاعاتهم الخاصة؛ أن يُقال للإيجيستيانيين من جانبهم أن ينهوا بأنفسهم مع السيلينونتين الحرب التي بدأوها دون استشارة الأثينيين؛ وأننا في المستقبل لن ندخل في تحالفات، كما اعتدنا أن نفعل، مع أشخاص يجب أن نساعدهم في احتياجاتهم، والذين لا يستطيعون مساعدتنا في احتياجاتنا.

"وأنت يا بريتانيس، إذا كنت تعتقد أن من واجبك أن تهتم بالبلاد، وإذا كنت ترغب في أن تظهر كمواطن صالح، فاطرح المسألة للتصويت، واستمع إلى آراء الأثينيين مرة أخرى. وإذا كنت تخشى طرح المسألة مرة أخرى، فاعلم أن انتهاك القانون لا يمكن أن يؤدي إلى أي ضرر مع وجود العديد من المحرضين، وأنك ستكون طبيب مدينتك المضللة، وأن فضيلة الرجال في السلطة هي باختصار أن يفعلوا لبلادهم أكبر قدر ممكن من الخير، أو في أي حال من الأحوال لا يسببون أي ضرر يمكنهم تجنبه".

"كانت هذه هي كلمات نيسياس. وكان أغلب الأثينيين الذين تقدموا للاحتجاج يؤيدون الحملة، ويرفضون إلغاء ما تم التصويت عليه، وإن كان بعضهم قد عارض ذلك. وكان ألكيبياديس، ابن كلينياس، أشد المؤيدين للحملة، وكان يرغب في إحباط نيسياس سواء باعتباره خصمه السياسي أو بسبب الهجوم الذي شنه عليه في خطابه، وكان، فضلاً عن ذلك، طموحاً للغاية إلى قيادة كان يأمل من خلالها أن يدمر صقلية وقرطاج، وأن يكتسب شخصياً الثروة والشهرة من خلال نجاحاته. ذلك أن المكانة التي كان يشغلها بين المواطنين دفعته إلى إشباع رغباته بما يتجاوز ما تتحمله وسائله الحقيقية، سواء في تربية الخيول أو في بقية نفقاته؛ وكان لهذا فيما بعد علاقة غير قليلة بخراب الدولة الأثينية. ولقد أزعجه فرط حرية التصرف التي كان يتمتع بها في حياته وعاداته، والطموح الذي أظهره في كل ما يقوم به، فوصفه عامة الناس بأنه متظاهر بالاستبداد، وأصبحوا أعداء له؛ ورغم أن سلوكه في الحرب كان في العلن على أفضل ما يمكن أن يتمنى المرء، إلا أن عاداته كانت تثير حفيظة الجميع، ودفعتهم إلى إسناد الأمور إلى أياد أخرى، وبالتالي سرعان ما دمر المدينة. وفي غضون ذلك، تقدم الآن وقدم النصيحة التالية للأثينيين:

"أيها الأثينيون، إنني أتمتع بحق أفضل في القيادة من غيري ـ ولابد أن أبدأ بهذا لأن نيسياس هاجمني ـ وفي الوقت نفسه أعتقد أنني أستحق ذلك. إن الأشياء التي أتعرض بسببها للإساءة تجلب الشهرة لأسلافي ولي، كما تعود بالنفع على البلاد. لقد

توقع اليونانيون أن يروا مدينتنا مدمرة بسبب الحرب، لكنهم قرروا أنها أعظم مما هي عليه في الواقع، وذلك بسبب الروعة التي مثلتها بها في الألعاب الأوليمبية، عندما أرسلت سبع عربات إلى القوائم، وهو عدد لم يسبق لأي شخص عادي أن سجله، وفزت بالجائزة الأولى، وحصلت على المركز الثاني والرابع، وحرصت على أن يكون كل شيء آخر على طراز يليق بانتصاري. إن العادات تعتبر مثل هذه العروض مشرفة، ولا يمكن القيام بها دون أن تترك وراءها انطباعًا بالقوة. "ومرة أخرى، فإن أي روعة قد أبديتها في وطني في تقديم الجوقات أو غير ذلك، تثير حسد مواطني بلدي بطبيعة الحال، ولكنها في نظر الأجانب تبدو وكأنها قوة كما في المثال الآخر. وهذا ليس حماقة عديمة الجدوى، عندما يستفيد الرجل على نفقته الخاصة ليس فقط من نفسه، بل ومدينته أيضًا: ولا يعد من الظلم أن يرفض من يفتخر بمكانته أن يكون على قدم المساواة مع الآخرين. إن من هو في وضع سيئ يتحمل كل مصائبه لنفسه، وبما أننا لا نرى رجالاً يغازلون في الشدائد، فمن نفس المبدأ يجب على الرجل أن يقبل وقاحة الرخاء؛ وإلا فليقم أولاً بتوزيع القدر على الجميع بالتساوي، ثم يطالب بتوزيعه عليه. "إن ما أعرفه هو أن الأشخاص من هذا النوع وكل الأشخاص الآخرين الذين نالوا أي تميز، على الرغم من أنهم قد لا يحظون بشعبية في حياتهم في علاقاتهم مع إخوانهم من البشر وخاصة مع نظرائهم، يتركون للأجيال القادمة الرغبة في المطالبة بالارتباط بهم حتى بدون أي أساس، ويتم التباهي بهم من قبل البلد الذي ينتمون إليه، ليس باعتبارهم غرباء أو أشرارًا، بل باعتبارهم أبناء وطن وأبطال. هذه هي طموحاتي، ومهما كانت الإساءة لي بسببها في الخاص، فإن السؤال هو ما إذا كان هناك من يدير الشؤون العامة أفضل مني. بعد أن وحدت أقوى ولايات البيلوبونيز، دون خطر كبير أو تكلفة عليك، أجبرت اللاكيديمونيين على المراهنة بكل شيء على نتيجة يوم واحد في مانتينيا؛ وعلى الرغم من انتصارهم في المعركة، إلا أنهم لم يستعيدوا الثقة بشكل كامل منذ ذلك الحين.

"وهكذا وجد شبابي وحماقتي الوحشية حججًا مناسبة للتعامل مع قوة البيلوبونيزيين، وبحماسها اكتسبت ثقتهم وانتصرت. ولا تخافوا من شبابي الآن، ولكن بينما لا أزال في أوج شبابي، ويبدو أن نيسياس محظوظ، فاستفيدا من خدماتنا نحن الاثنين إلى أقصى حد. ولا تتراجعا عن قراركما بالإبحار إلى صقلية، بحجة أنكما ستهاجمان قوة عظمى. إن المدن في صقلية يسكنها رعاع متنوعون، ويغيرون مؤسساتهم بسهولة ويتبنون مؤسسات جديدة في مكانها؛ ونتيجة لذلك، فإن السكان، الذين يفتقرون إلى أي شعور بالوطنية، لا يتم تزويدهم بالسلاح لأشخاصهم، ولم يثبتوا أنفسهم بانتظام على الأرض؛ يعتقد كل رجل أنه إما بالكلمات العادلة أو بالصراع الحزبي يمكنه الحصول على شيء على نفقة الدولة، ثم في حالة وقوع كارثة يستقر في بلد آخر، ويقوم باستعداداته وفقًا لذلك. "إنك لست بحاجة إلى أن تتوقع من حشد مثل هذا أن يتوصل إلى إجماع في الرأي أو إلى اتفاق في العمل؛ ولكن من المحتمل أن يتدخلوا واحداً تلو الآخر عندما يحصلون على عرض عادل، وخاصة إذا مزقتهم الصراعات الأهلية كما قيل لنا. فضلاً عن ذلك، فإن الصقليين ليس لديهم الكثير من المشاة الثقيلة كما يزعمون؛ تماماً كما لم يثبت الإغريق عموماً أنهم كثيرون كما تحسب كل دولة نفسها، ولكن اليونان بالغت كثيراً في تقدير أعدادهم، ولم يكن لديهم قوة كافية من المشاة الثقيلة طوال هذه الحرب. لذلك، من كل ما أستطيع أن أسمعه، ستجد الدول في صقلية كما قلت، ولم أشير إلى كل مزايانا، لأننا سنحظى بمساعدة العديد من البرابرة، الذين بسبب كراهيتهم للسراقسيين سينضمون إلينا في مهاجمتهم؛ ولن تشكل القوى في الداخل أي عائق، إذا حكمت بشكل صحيح. لقد تمكن آباؤنا من الفوز بالإمبراطورية بفضل هؤلاء الأعداء الذين يقال إننا سنتركهم خلفنا الآن عندما نبحر، وكذلك الميديون كأعداء لهم، وذلك بالاعتماد فقط على تفوقهم في البحر. ولم يكن لدى البيلوبونيزيين أمل كبير ضدنا كما هو الحال الآن؛ ولنكن أكثر تفاؤلاً، فرغم أنهم أقوياء بما يكفي لغزو بلادنا حتى لو بقينا في الوطن، فإنهم لن يتمكنوا أبدًا من إيذائنا بأسطولهم البحري، لأننا نترك خلفنا أحدًا منا يضاهيهم.

"في هذه الحالة، ما السبب الذي قد نعطيه لأنفسنا لكي نحجم عن مساعدتهم، أو ما العذر الذي قد نقدمه لحلفائنا في صقلية لكي لا نساعدهم؟ إنهم حلفاء لنا، ونحن ملزمون بمساعدتهم، دون أن نعترض على أنهم لم يساعدونا. لم نتحالف معهم لكي يساعدونا في اليونان، بل لكي يزعجوا أعدائنا في صقلية إلى الحد الذي يمنعهم من القدوم إلى هنا ومهاجمتنا. وهكذا، فقد فزنا بالإمبراطورية، سواء من جانبنا أو من جانب كل الآخرين الذين احتفظوا بها، من خلال الاستعداد الدائم لدعم كل من يطلب المساعدة، سواء البرابرة أو اليونانيين؛ لأنه إذا التزم الجميع الصمت أو اختاروا من ينبغي لهم مساعدته، فلن نحقق سوى عدد قليل من الفتوحات الجديدة، ولن نعرض للخطر تلك الفتوحات التي فزنا بها بالفعل. لا يكتفي الرجال بصد هجمات المتفوقين، بل غالبًا ما يوجهون الضربة الأولى لمنع الهجوم. ولا يمكننا تحديد النقطة الدقيقة التي ستتوقف عندها إمبراطوريتنا؛ لقد وصلنا إلى موقف لا ينبغي لنا أن نكتفي فيه بالاحتفاظ به، بل يتعين علينا أن نخطط لتمديده، لأنه إذا توقفنا عن حكم الآخرين، فإننا معرضون لخطر أن يحكمنا الآخرون. ولا يمكنك أن تنظر إلى التقاعس من نفس وجهة نظر الآخرين، ما لم تكن مستعدًا لتغيير عاداتك وجعلها مثل عاداتهم.

"إذن، تأكدوا أننا سنزيد قوتنا في الداخل بهذه المغامرة في الخارج، ولنقم بالرحلة، ولنذل كبرياء البيلوبونيزيين بالإبحار إلى صقلية، ولنجعلهم يرون مدى عدم اهتمامنا بالسلام الذي نتمتع به الآن؛ وفي الوقت نفسه، إما أن نصبح سادة، كما قد يكون من السهل جدًا، على كل هيلاس من خلال انضمام اليونانيين الصقليين، أو على أي حال ندمر السيراقوسيين، مما لن يكون له فائدة صغيرة لنا ولحلفائنا. ستضمن لنا قواتنا البحرية القدرة على البقاء إذا نجحنا، أو العودة، حيث سنكون متفوقين في البحر على جميع الصقليين مجتمعين. ولا تدع سياسة عدم القيام بأي شيء التي يدافع عنها نيسياس، أو وضعه الشباب ضد الشيوخ، يحيدكم عن هدفكم، ولكن بالطريقة القديمة الطيبة التي أوصل بها آباؤنا، كبارًا وصغارًا، بمشوراتهم الموحدة شؤوننا إلى

ذروتها الحالية، اجتهدوا في المضي قدمًا فيها؛ "إنني أدرك أن الشباب والشيخوخة لا يستطيعان أن يفعلا أي شيء بمفردهما، ولكن خفة الظل والرصانة والحكم المتعمد تكون أقوى عندما تتحد، وأن المدينة، مثلها كمثل كل شيء آخر، سوف تستنفد نفسها، وتتلاشى مهارتها في كل شيء؛ في حين أن كل صراع جديد سوف يمنحها خبرة جديدة، ويجعلها أكثر تعوداً على الدفاع عن نفسها ليس بالكلام بل بالفعل. باختصار، أنا مقتنع بأن المدينة التي لا تهدأ بطبيعتها لا يمكنها أن تختار طريقة أسرع لتدمير نفسها من تبني مثل هذه السياسة فجأة، وأن القاعدة الأكثر أمانًا في الحياة هي أن يأخذ المرء شخصيته ومؤسساته للأفضل والأسوأ، وأن يلتزم بها قدر استطاعته".

"كانت هذه كلمات ألكيبياديس. وبعد أن سمعه الأثينيون، وأهل إيجستا وبعض المنفيين من ليون، الذين تقدموا لتذكيرهم بيمينهم وطلب مساعدتهم، أصبح الأثينيون أكثر حماسة للحملة من ذي قبل. وأدرك نيسياس أنه لن يكون من المجدي الآن محاولة ردعهم بالحجة القديمة، ولكنه اعتقد أنه ربما يغير قرارهم بالإسراف في تقديراته، فتقدم مرة ثانية وتحدث على النحو التالي:

"أرى، أيها الأثينيون، أنكم عازمون تمامًا على الحملة، ولذلك آمل أن تسير الأمور كما نتمناها، وأتقدم إليكم برأيي في هذه اللحظة. من كل ما أسمعه، فإننا نسير ضد مدن عظيمة لا تخضع لبعضها البعض، أو تحتاج إلى التغيير، حتى نكون سعداء بالانتقال من العبودية القسرية إلى حالة أسهل، أو على الأقل قبول حكمنا في مقابل الحرية؛ والاستيلاء على المدن اليونانية فقط، فهي كثيرة جدًا بالنسبة لجزيرة واحدة. بالإضافة إلى ناكسوس وكاتانا، اللتين أتوقع انضمامهما إلينا من ارتباطهما بليونتيني، هناك سبع مدن أخرى مسلحة في جميع النقاط تمامًا مثل قوتنا، وخاصة سيلينوس وسيراكوزا، الهدفان الرئيسيان لحملتنا. هذه مليئة بالمشاة الثقيلة والرماة والرماة، ولديها قوادس وفيرة وحشود لتأديتها؛ "إنهم يملكون أيضًا أموالًا، بعضها في أيدي

أفراد، وجزء آخر في معابد سيلينوس، وفي سيراكيوز أيضًا باكورة ثمار بعض البرابرة. لكن ميزتهم الرئيسية علينا تكمن في عدد خيولهم، وفي حقيقة أنهم يزرعون الذرة في وطنهم بدلاً من استيرادها."

"إننا لن نكتفي بامتلاك تسليح بحري ضعيف ضد قوة من هذا النوع، بل سنحتاج أيضًا إلى جيش بري كبير للإبحار معنا، إذا كنا نريد أن نفعل أي شيء يستحق طموحنا، وألا نتعرض للإغلاق من قبل سلاح الفرسان العديد؛ وخاصة إذا أصيبت المدن بالفزع واتحدت، ونُترك بدون أصدقاء (باستثناء أهل إيجستا) لتزويدنا بالخيول للدفاع عن أنفسنا. سيكون من المخزي أن نضطر إلى الانسحاب تحت الإكراه، أو نرسل طلبًا للتعزيزات، بسبب الافتقار إلى التفكير في البداية: لذلك يجب أن نبدأ من الوطن بقوة كفؤة، حيث أننا سنبحر بعيدًا عن بلدنا، وفي رحلة لا تشبه أي رحلة قد تقوم بها، سنتخذ صفة الحلفاء، من بين الدول الخاضعة لك هنا في اليونان، حيث يمكن الحصول بسهولة على أي إمدادات إضافية مطلوبة من الأراضي الصديقة؛ لكننا نقطع أنفسنا، ونذهب إلى أرض غريبة تمامًا، والتي لا يسهل على الرسول الوصول منها إلى أثينا خلال أربعة أشهر في الشتاء.

"لذلك، أعتقد أنه يتعين علينا أن نأخذ أعدادًا كبيرة من المشاة الثقيلة، سواء من أثينا أو من حلفائنا، وليس فقط من رعايانا، بل وأيضًا أي شيء قد نتمكن من الحصول عليه مقابل الحب أو المال في البيلوبونيز، وأعدادًا كبيرة أيضًا من الرماة والمقلاعين، لمحاربة حصان صقلية. وفي الوقت نفسه، يجب أن يكون لدينا تفوق ساحق في البحر، لتمكيننا من حمل ما نريد بسهولة أكبر؛ ويجب أن نأخذ حبوبنا في سفن تجارية، أي القمح والشعير المجفف، والخبازين من المطاحن الذين يضطرون إلى الخدمة مقابل أجر بنسبة مناسبة؛ حتى لا يفتقر سلاحنا في حالة تعرضنا لظروف جوية صعبة إلى المؤن، حيث لن تكون كل مدينة قادرة على استضافة أعداد مثلنا. يجب علينا أيضًا تزويد أنفسنا بكل شيء آخر بقدر ما نستطيع، حتى لا نعتمد على

الآخرين؛ وفوق كل شيء يجب علينا أن نأخذ معنا من المنزل أكبر قدر ممكن من المال، حيث أن المبالغ التي تم الحديث عنها في إيجيستا جاهزة، كما يمكنك أن تكون متأكدًا، بالكلام أكثر من أي طريقة أخرى.

"في الواقع، حتى لو غادرنا أثينا بقوة لا تساوي قوة العدو إلا في عدد المشاة الثقيلة في الميدان، بل وتتفوق عليه في كل النقاط، فسوف نجد صعوبة في غزو صقلية أو إنقاذ أنفسنا. يجب ألا نخفي عن أنفسنا أننا ذاهبون لتأسيس مدينة بين الغرباء والأعداء، وأن من يقوم بمثل هذه المهمة يجب أن يكون مستعدًا ليصبح سيدًا للبلاد في اليوم الأول الذي يهبط فيه، أو إذا فشل في ذلك، فسوف يجد كل شيء معاديًا له. خوفًا من هذا، وعلمًا بأننا سنحتاج إلى الكثير من المشورة الجيدة والمزيد من الحظ السعيد - وهو أمر صعب على الإنسان الفاني أن يطمح إليه - أتمنى أن أجعل نفسي مستقلاً عن الحظ قبل الإبحار، وعندما أبحر، أن أكون آمنًا بقدر ما يمكن لقوة قوية أن تجعلني. أعتقد أن هذا هو الأضمن للبلاد بشكل عام، والأكثر أمانًا لنا نحن الذين سنذهب في الحملة. إذا كان أي شخص يفكر بشكل مختلف، فأنا أسلم له قيادتي ".

"وخلص نيسياس إلى هذا، معتقدًا أنه إما أن يثير اشمئزاز الأثينيين من ضخامة المهمة، أو أنه إذا اضطر إلى الإبحار في الحملة، فسوف يفعل ذلك بأكثر الطرق أمانًا. ومع ذلك، بعيدًا عن فقدان رغبة الأثينيين في الرحلة بسبب إرهاق الاستعدادات، فقد أصبحوا أكثر شغفًا بها من أي وقت مضى؛ وقد حدث العكس تمامًا مما تصوره نيسياس، حيث زعموا أنه قدم نصيحة جيدة، وأن الحملة ستكون الأكثر أمانًا في العالم. وقع الجميع على حد سواء في حب المغامرة. اعتقد الرجال الأكبر سناً أنهم إما سيخضعون الأماكن التي سيبحرون ضدها، أو على الأقل، مع هذه القوة الضخمة، لن يواجهوا كارثة؛ شعر أولئك في ريعان الشباب بالشوق إلى المناظر والمشاهد الأجنبية، ولم يكن لديهم شك في أنهم سيعودون إلى ديارهم سالمين مرة أخرى؛ بينما كانت فكرة عامة الناس والجنود هي كسب الأجور في الوقت الحالي، وتحقيق

فتوحات من شأنها أن توفر صندوقًا لا ينضب من الأجور للمستقبل. وبسبب هذا الحماس الذي أبداه الأغلبية، فإن القليلين الذين لم يعجبهم الأمر، خافوا أن يظهروا بمظهر غير الوطنيين من خلال رفع أيديهم ضده، ولذلك ظلوا صامتين.

"وأخيرًا تقدم أحد الأثينيين واستدعى نيسياس وأخبره أنه لا ينبغي له أن يقدم الأعذار أو يماطل، بل عليه أن يشرح لهم على الفور ما هي القوى التي يجب على الأثينيين أن يصوتوا له. وعند هذا قال، ليس من دون تردد، إنه سيتشاور مع زملائه بشأن هذا الأمر بمزيد من الراحة؛ ولكن بقدر ما يستطيع أن يرى في الوقت الحاضر، يجب أن يبحروا بما لا يقل عن مائة سفينة شراعية - على أن يوفر الأثينيون أكبر عدد ممكن من وسائل النقل، ويرسلون في طلب المزيد من الحلفاء - لا يقل عن خمسة آلاف من المشاة الثقيلة في المجموع، من الأثينيين وحلفائهم، وإذا أمكن أكثر؛ وبقية الأسلحة متناسبة؛ الرماة من الداخل ومن جزيرة كريت، والمقلاعون، وأي شيء آخر قد يبدو مرغوبًا فيه، على أن يجهزه القادة ويأخذونه معهم.

وبعد أن سمع الأثينيون هذا، قرروا على الفور أن يتمتع القادة بصلاحيات كاملة فيما يتعلق بأعداد الجيش والحملة بشكل عام، وأن يفعلوا ما يرونه الأفضل لمصلحة أثينا. وبعد ذلك بدأت الاستعدادات، فأرسلوا الرسائل إلى الحلفاء، وأعدوا القوائم في الداخل. وبما أن المدينة تعافت للتو من الطاعون والحرب الطويلة، وكبر عدد من الشباب، وتراكم رأس المال بسبب الهدنة، فقد أصبح كل شيء أسهل توفيرًا.

وفي خضم هذه الاستعدادات، تعرضت كل التماثيل الحجرية في مدينة أثينا، أو التماثيل المربعة المعتادة التي كانت شائعة في أبواب المنازل والمعابد الخاصة، للتشويه في ليلة واحدة. ولم يكن أحد يعرف من فعل ذلك، ولكن مكافآت عامة ضخمة عُرضت للعثور على الفاعلين؛ كما تقرر أن أي شخص يعرف أي فعل آخر من أفعال الكفر ارتكب يجب أن يأتي ويقدم معلومات دون خوف من العواقب، سواء

كان مواطنًا أو أجنبيًا أو عبدًا. وقد تم التعامل مع الأمر بجدية أكبر، حيث اعتُبر الأمر نذير شؤم للحملة، وجزءًا من مؤامرة لإحداث ثورة وإزعاج الديمقراطية.

ولقد وردت معلومات من بعض الأجانب المقيمين والخدم الشخصيين، ليس عن هيرماي، بل عن بعض التشويهات السابقة لصور أخرى ارتكبها شباب في مرح سكران، وعن احتفالات ساخرة بالأسرار، يُزعم أنها كانت تجري في منازل خاصة. ولما تورط ألكيبياديس في هذه التهمة، فقد استولى عليها أولئك الذين لم يستطيعوا تحمله، لأنه وقف في طريقهم للحصول على التوجيه الهادئ من الناس، والذين اعتقدوا أنه إذا تمت إزالته مرة واحدة فإن المكان الأول سيكون لهم. وبناءً على ذلك، تضخمت المسألة وأعلنوا بصوت عالٍ أن قضية الأسرار وتشويه هيرماي كانت جزءًا لا يتجزأ من مخطط للإطاحة بالديمقراطية، وأن شيئًا من كل هذا لم يتم دون ألكيبياديس؛ وكانت الأدلة المزعومة هي الترخيص العام وغير الديمقراطي لحياته وعاداته.

ولقد رد ألكيبيادس الاتهامات الموجهة إليه على الفور، وقبل أن ينطلق في الحملة التي اكتملت الاستعدادات لها، عرض أن يحاكم ليرى ما إذا كان مذنباً في الأفعال المنسوبة إليه؛ راغباً في أن يعاقب إذا ثبتت إدانته، ولكن إذا بُرِّئ، فيتولى القيادة. وفي الوقت نفسه احتج على تلقيهم الافتراءات ضده في غيابه، وتوسل إليهم بدلاً من ذلك أن يقتلوه على الفور إذا كان مذنباً، وأشار إلى عدم الحكمة في إرساله على رأس جيش ضخم كهذا، في ظل تهمة خطيرة لم تُحسم بعد. ولكن أعداءه خافوا أن يحشد الجيش من أجله إذا حوكم على الفور، وأن يتراجع الشعب لصالح الرجل الذي اعتبروه بالفعل سببًا لانضمام الآرجيين وبعض المانتينيين إلى الحملة، وبذلوا قصارى جهدهم لرفض هذا الاقتراح، وطرحوا خطباء آخرين قالوا إنه يجب عليه الآن أن يبحر ولا يؤخر رحيل الجيش، وأن يحاكم عند عودته في غضون عدد محدد من الأيام؛ وكانت خطتهم هي

إرساله وإحضاره إلى الوطن للمحاكمة بتهمة أخطر، والتي سيكون من الأسهل عليهم رفعها في غيابه. وبناءً على ذلك، صدر مرسوم بإبحاره.

After this the departure for Sicily took place, it being now about midsummer. Most of the allies, with the corn transports and the smaller craft and the rest of the expedition, had already received orders to muster at Corcyra, to cross the Ionian Sea from thence in a body to the Iapygian promontory. But the Athenians themselves, and such of their allies as happened to be with them, went down to Piraeus upon a day out to appointed at daybreak, and began to man the ships for putting sea. With them also went down the whole population, one may say, of the city, both citizens and foreigners; the inhabitants of the country each escorting those that belonged to them, their friends, their relatives, or their sons, with hope and lamentation upon their way, as they thought of the conquests which they hoped to make, or of the friends whom they might never see again, considering the long voyage which they were going to make from their country. Indeed, at this moment, when they were now upon the point of parting from one another, the danger came more home to them than when they voted for the expedition; although the strength of the armament, and the profuse provision which they remarked in every department, was a sight that could not but comfort them. As for the foreigners and the rest of the crowd, they simply went to see a sight worth looking at and passing .all belief

في الواقع، كانت هذه القوة المسلحة التي أبحرت أولاً هي القوة اليونانية الأكثر تكلفة وفخامة على الإطلاق التي أرسلتها مدينة واحدة حتى ذلك الوقت. لم تكن أقل شأناً من حيث عدد السفن والمشاة الثقيلة التي هاجمت إبيداوروس تحت قيادة بريكليس، ونفس الشيء عندما ذهبت ضد بوتيديا تحت قيادة هاجنون؛ حيث كانت تحتوي على أربعة آلاف من المشاة الثقيلة الأثينيين، وثلاثمائة حصان، ومائة سفينة شراعية مصحوبة بخمسين سفينة ليزبانية وخيانية والعديد من الحلفاء إلى جانب ذلك. ولكن تم إرسالها في رحلة قصيرة وبمعدات ضئيلة. تم تشكيل الحملة الحالية في ظل التفكير في فترة طويلة من الخدمة على البر والبحر على حد سواء، وتم تزويدها بالسفن والقوات بحيث تكون جاهزة لأي منهما حسب الحاجة. تم تجهيز الأسطول بشكل متقن بتكلفة كبيرة على القادة والدولة؛ حيث أعطت الخزانة دراخما يوميًا لكل بحار، ووفرت سفنًا فارغة وستين سفينة حربية وأربعين سفينة نقل، وزودتها بأفضل أطقم العمل المتاحة؛ في حين كان القادة يعطون مكافأة بالإضافة إلى الأجر من الخزانة للثرانيتات والطاقم بشكل عام، بالإضافة إلى الإنفاق بسخاء على التماثيل والمعدات، وبذل الجميع أقصى الجهود لتمكين سفنهم من التفوق في الجمال والإبحار السريع. وفي الوقت نفسه، تم اختيار القوات البرية من أفضل قوائم الضباط، وتنافسوا مع بعضهم البعض في إيلاء اهتمام كبير لأسلحتهم وعتادهم الشخصي. ونتيجة لهذا لم ينتج عن ذلك التنافس فيما بينهم في أقسامهم المختلفة فحسب، بل وفكرة بين بقية اليونانيين بأنها كانت أكثر من مجرد عرض للقوة والموارد من كونها تسليحًا ضد عدو. فلو قام أي شخص بحساب الإنفاق العام للدولة، والنفقات الخاصة للأفراد - أي المبالغ التي أنفقتها الدولة بالفعل على الحملة وأرسلتها في أيدي القادة، وتلك التي أنفقها الأفراد على تجهيزاتهم الشخصية، أو كما أنفقها قادة القوادس وما زالوا ينفقونها على سفنهم؛ ولو أضاف إلى هذا المال الذي كان من المحتمل أن ينفقه كل فرد من أفراد البعثة، بصرف النظر عن الأجر الذي يتقاضاه من الخزانة، في رحلة طويلة كهذه، وما أخذه الجنود أو التجار معهم بغرض التبادل، لكان من الممكن أن نجد أن العديد من المواهب قد أُخرِجت من المدينة. والواقع

أن الحملة لم تصبح أقل شهرة لجرأتها العجيبة وروعة مظهرها، بل لقوتها الساحقة مقارنة بالشعوب التي وجهت ضدها، ولأنها كانت أطول رحلة من الوطن تم محاولة القيام بها حتى الآن، والأكثر طموحًا في أهدافها بالنظر إلى موارد أولئك الذين قاموا بها.

وبعد أن أصبحت السفن مأهولة، ووضعت على متنها كل ما كانت تنوي الإبحار به، أمرت الأبواق بالصمت، وقُدِّمت الصلوات المعتادة قبل الإبحار، ليس في كل سفينة على حدة، بل من قبل الجميع معًا بصوت منادي؛ وخُلطت أوعية الخمر بجميع الأسلحة، وسكب الجنود وضباطهم القرابين في كؤوس ذهبية وفضية. وفي صلواتهم انضمت أيضًا إلى الحشود على الشاطئ، والمواطنين وكل من تمنى لهم الخير. وبعد غناء الترنيمة وإكمال القرابين، أبحروا في البحر، ثم خرجوا في صفوف أولاً، ثم تسابقوا مع بعضهم البعض حتى وصلوا إلى إيجينا، وهكذا سارعوا للوصول إلى كورسيرا، حيث كانت بقية القوات المتحالفة تتجمع أيضًا.

الفصل التاسع عشر

السنة السابعة عشرة من الحرب - الحفلات في سيراكيوز - قصة هارموديوس وأريستوجيتون - عار ألكيبياديس

وفي الوقت نفسه، وصلت أنباء الحملة إلى سيراقوسة من العديد من الجهات، ولكنها ظلت لفترة طويلة بلا مصداقية على الإطلاق. والواقع أن اجتماعًا عقد هناك ألقى فيه خطب مختلفة، كما سنرى، إما مؤمنين بتقرير الحملة الأثينية أو مناقضين له؛ ومن بينهم هرموقراطس، ابن حرمون، الذي اقتنع بأنه يعرف حقيقة الأمر، وأعطى النصيحة التالية:

"ورغم أنني ربما لن أحظى بتصديق أفضل من غيري عندما أتحدث عن حقيقة الحملة، ورغم أنني أعلم أن أولئك الذين يدلون بتصريحات أو يكررونها لا يعتقدون أنهم جديرون بالتصديق فحسب، بل ويُنظر إليهم على أنهم حمقى بسبب آلامهم، فلن أخاف بالتأكيد من أن أمسك لساني عندما تكون الدولة في خطر، وعندما أقتنع بأنني أستطيع التحدث عن الأمر بسلطة أكبر من الأشخاص الآخرين. وبقدر ما تتعجبون من ذلك، فإن الأثينيين مع ذلك انطلقوا ضدنا بقوة بحرية وعسكرية كبيرة، زعموا أنهم يساعدون الإيجيستينيين ويستعيدون ليونتيني، ولكن في الحقيقة لغزو صقلية، وقبل كل شيء مدينتنا، التي بمجرد كسبها، يعتقد الآخرون أن يتبعوها بسهولة. لذا، قرروا رؤيتهم هنا بسرعة، وانظروا كيف يمكنكم صدهم بأفضل الوسائل المتاحة لكم، ولا تتجاهلوا الأخبار أو تهملوا الصالح العام من خلال عدم تصديقها.
"وفي الوقت نفسه، لا ينبغي لمن يصدقونني أن ينزعجوا من قوة العدو أو جرأته. فلن يتمكنوا من إلحاق الأذى بنا أكثر مما سنلحق بهم؛ ولن تكون عظمة تسليحهم بلا فائدة لنا على الإطلاق. والواقع أن كلما كانت أعظم، كان ذلك أفضل بالنسبة لبقية الصقليين، الذين سيجعلهم الفزع أكثر استعدادًا للانضمام إلينا؛ وإذا هزمناهم أو طردناهم، بخيبة أمل من أهداف طموحاتهم (لأنني لا أخشى ولو للحظة أن يحصلوا

على ما يريدون)، فسوف يكون ذلك إنجازًا مجيدًا للغاية بالنسبة لنا، وفي رأيي ليس من غير المحتمل على الإطلاق. وقليلة هي الجيوش الضخمة، سواء اليونانية أو البربرية، التي ابتعدت عن الوطن ونجحت. ولا يمكن أن يكونوا أكثر عددًا من أهل البلاد وجيرانهم، الذين يخشون جميعًا التحالف معًا؛ وإذا فشلوا بسبب نقص الإمدادات في أرض أجنبية، فإنهم يتركون شهرة لأولئك الذين وضعوا خططهم ضدهم، على الرغم من أنهم ربما كانوا هم أنفسهم السبب الرئيسي في إزعاجهم. وهكذا نهض هؤلاء الأثينيون أنفسهم بهزيمة الميديين، والتي كانت إلى حد كبير نتيجة لأسباب عرضية، من مجرد حقيقة أن أثينا كانت هدفًا لهجومه؛ وقد يكون هذا هو الحال بالنسبة لنا أيضًا.

"ولنبدأ الاستعدادات هنا بثقة؛ ولنرسل بعض الصقليين ونؤكد وجودهم، ولنحصل على صداقة وتحالف آخرين، ولنرسل مبعوثين إلى بقية صقلية لنظهر لهم أن الخطر مشترك بين الجميع، ولنرسل إلى إيطاليا لنجعلهم حلفاء لنا، أو على الأقل لنرفض استقبال الأثينيين. وأعتقد أيضًا أنه من الأفضل أن نرسل إلى قرطاج أيضًا؛ فهم ليسوا هناك بلا خوف بأي حال من الأحوال، ولكن خوفهم الدائم هو أن يهاجم الأثينيون مدينتهم ذات يوم، وربما يعتقدون أنهم قد يعانون هم أنفسهم من ترك صقلية تُضحى بها، وأنهم على استعداد لمساعدتنا سرًا إن لم يكن علنًا، بطريقة أو بأخرى إن لم يكن بأخرى. إنهم الأفضل قدرة على القيام بذلك، إن أرادوا، من أي شخص في الوقت الحاضر، لأنهم يمتلكون معظم الذهب والفضة، اللذين تزدهر بهما الحرب، مثل كل شيء آخر. "دعونا نرسل أيضًا إلى لاكيدايمون وكورنثوس، ونطلب منهما أن يأتوا إلى هنا ويساعدونا في أقرب وقت ممكن، وأن يبقيا الحرب في اليونان حية. ولكن الشيء الحقيقي الذي ينبغي للآخرين فعله، في رأيي، في الوقت الحاضر، هو ما ستتأخرون في رؤيته، بسبب حبكم الدستوري للهدوء، وهو ما يجب أن أذكره مع ذلك. "إذا ما قررنا نحن الصقليين، جميعاً أو على الأقل أكبر عدد ممكن منا، أن نرسل أسطولنا البحري كله مع مؤن تكفينا لمدة شهرين، وأن نلتقي بالأثينيين في

تارانتوم ورأس يابايجيا، وأن نظهر لهم أنه قبل أن نقاتل من أجل صقلية، يجب أن نقاتل أولاً من أجل عبورهم للبحر الأيوني، فإننا بذلك نثير الرعب في جيشهم، ونجعلهم يعتقدون أننا لدينا قاعدة للدفاع عن أنفسنا . لأن تارانتوم مستعدة لاستقبالنا. في حين أن عليهم أن يعبروا بحراً واسعاً بكل أسلحتهم، وهو البحر الذي قد يصعب عليه أن يحافظ على نظامه طيلة هذه الرحلة الطويلة، وسوف يكون من السهل علينا أن نهاجمه وهو يتقدم ببطء وفي مجموعات صغيرة. ومن ناحية أخرى، إذا ما خففوا من حمولة سفنهم، وجمعوا بحارتهم السريعة وهاجمونا بها، فإما أن نهاجمهم وهم متعبون من التجديف، أو إذا لم نختر أن نفعل ذلك، فيمكننا أن نتراجع إلى تارانتوم؛ في حين أنهم، بعد عبورهم بقليل من المؤن لخوض المعركة، سيجدون صعوبة بالغة في الأماكن المهجورة، وسيضطرون إما إلى البقاء والحصار، أو محاولة الإبحار على طول الساحل، والتخلي عن بقية أسلحتهم، وسيزداد إحباطهم لعدم معرفتهم على وجه اليقين ما إذا كانت المدن ستستقبلهم أم لا. في رأيي، سيكون هذا الاعتبار وحده كافياً لردعهم عن الانسحاب من كورسيرا؛ ومع التفكير والاستطلاع على أعدادنا ومواقعنا، سيتركون الموسم يستمر حتى يأتي الشتاء، أو، في حالة من الارتباك بسبب مثل هذا الظرف غير المتوقع، سيفشلون الحملة، خاصة وأن أكثر جنرالاتهم خبرة، كما سمعت، قد تولى القيادة ضد إرادته، وسيستغل أول عذر يقدمه أي عرض جدي من جانبنا. كما يجب أن نبلغ، أنا متأكد،"إن الأثينيين يهاجموننا الآن معتقدين أننا لن نقاوم، ولهم الحق في الحكم علينا بقسوة لأننا لم نساعد أهل لاكديمونيا في سحقهم؛ ولكن إذا رأونا نظهر شجاعة لم يكونوا مستعدين لها، فسوف يشعرون بالانزعاج من المفاجأة أكثر مما قد يشعرون به من قوتنا الفعلية. أود أن أقنعكم بإظهار هذه الشجاعة؛ ولكن إذا لم يكن ذلك ممكنًا، فلا تضيعوا لحظة في الاستعداد للحرب بشكل عام؛ وتذكروا جميعًا أن احتقار المهاجم يظهر بشكل أفضل من خلال الشجاعة في العمل، ولكن في الوقت الحاضر فإن أفضل مسار هو قبول الاستعدادات التي يلهمها الخوف باعتبارها تقدم أضمن وعد بالأمان،

والتصرف كما لو كان الخطر حقيقيًا." "إنني متأكد من أن الأثينيين قادمون لمهاجمتنا، وأنهم في طريقهم بالفعل إلى هنا، وقد اقتربوا منا بالفعل."

"وحتى هذا الحد تحدث هيرموقراطس. وفي الوقت نفسه كان أهل سيراكوزا في صراع شديد فيما بينهم؛ فزعم بعضهم أن الأثينيين لم يكن لديهم أدنى فكرة عن قدومه وأن ما قاله لا أساس له من الصحة؛ وتساءل البعض الآخر عما إذا كانوا قد جاءوا بالفعل، فما الضرر الذي قد يسببونه والذي لن يعوضهم عنه عشرة أضعاف؛ بينما استخف آخرون بالأمر كله وحولوه إلى سخرية. باختصار، كان هناك قِلة من الناس الذين صدقوا هيرموقراطس وخافوا على المستقبل. وفي الوقت نفسه، تقدم أثيناغوراس، زعيم الشعب وكان قوياً للغاية في ذلك الوقت بين الجماهير، وتحدث على النحو التالي:

"بالنسبة للأثينيين، فإن من لا يرغب في أن يكونوا مضللين كما يُفترض بهم، وأن يأتوا إلى هنا ليصبحوا رعايانا، فهو إما جبان أو خائن لبلاده؛ أما بالنسبة لأولئك الذين يحملون مثل هذه الأخبار ويملؤونك بهذا القدر من الفزع، فإنني أتعجب أقل من جرأتهم من حماقتهم إذا كانوا يخدعون أنفسهم بأننا لا نرى حقيقتهم. والحقيقة أن لديهم أسبابهم الخاصة للخوف، ويرغبون في إثارة الذعر في المدينة حتى يتلاشى خوفهم بسبب الفزع العام. باختصار، هذه هي قيمة هذه التقارير؛ فهي لا تنشأ من تلقاء نفسها، بل هي من تأليف رجال يتسببون دائمًا في إثارة الاضطرابات هنا في صقلية. ومع ذلك، إذا كنت مستنيرًا، فلن تسترشد في حساب الاحتمالات بما يخبرك به هؤلاء الأشخاص، ولكن بما قد يفعله الرجال الأذكياء ذوو الخبرة الكبيرة، كما أقدر الأثينيين. "الآن ليس من المرجح أن يتركوا البيلوبونيز خلفهم، وقبل أن ينهوا الحرب في اليونان بشكل جيد، يأتون بتهور بحثًا عن حرب جديدة شاقة في صقلية؛ والواقع أنهم في رأيي سعداء للغاية لأننا لا نذهب لمهاجمتهم، نظرًا لوجود مدن كثيرة وعظيمة مثلنا.

"ومع ذلك، إذا جاءوا كما ورد، فإنني أرى أن صقلية أكثر قدرة على خوض الحرب من البيلوبونيز، لأنها أكثر استعدادًا في جميع النقاط، ومدينتنا وحدها أكثر من ند لهذا الجيش المزعوم للغزو، حتى لو كانت أكبر مرتين مرة أخرى. أعلم أنهم لن يحملوا خيولًا معهم، أو يحصلوا على أي خيول هنا، باستثناء القليل ربما من الإيجيستينيين؛ أو يكونوا قادرين على إحضار قوة من المشاة الثقيلة مساوية في العدد لقوتنا، في سفن سيكون لديها بالفعل ما يكفي لقطع كل هذه المسافة، مهما كانت خفيفة الحمولة، ناهيك عن نقل الإمدادات الأخرى المطلوبة ضد مدينة بهذا الحجم، والتي لن تكون كمية ضئيلة. في الواقع، إن رأيي في هذا الموضوع قوي جدًا، لدرجة أنني لا أرى جيدًا كيف يمكنهم تجنب الفناء إذا أحضروا معهم مدينة أخرى كبيرة مثل سيراقوسة، واستقروا فيها وشنوا الحرب من حدودنا؛ إنهم لا يستطيعون أن يأملوا في النجاح مع كل صقلية المعادية لهم، كما ستكون صقلية بأكملها، ومع معسكر واحد فقط أقيم على السفن، ويتكون من الخيام والضروريات الأساسية، والتي لن يتمكنوا من التحرك بعيدًا عنها خوفًا من سلاح الفرسان لدينا.

"لكن الأثينيين يرون هذا كما أخبرتك، وكما أعلم أنهم يعتنون بممتلكاتهم في الوطن، بينما يخترع الأشخاص هنا قصصًا لا تصح ولا يمكن أن تصح أبدًا. وهذه ليست المرة الأولى التي أرى فيها هؤلاء الأشخاص، عندما لا يستطيعون اللجوء إلى الأفعال، يحاولون بمثل هذه القصص وغيرها من القصص الأكثر بشاعة تخويف شعبك وإيقاع الحكومة في أيديهم: هذا ما أراه دائمًا. ولا يسعني إلا أن أخشى أن ينجحوا في محاولاتهم المتكررة يومًا ما، وأننا، طالما لا نشعر بالذكاء، قد نثبت أننا أضعف من أن نتولى مهمة الوقاية، أو ملاحقة الجناة عندما يُعرفون. والنتيجة هي أن مدينتنا نادرًا ما تهدأ، بل تخضع لمشاكل مستمرة وللصراعات المتكررة ضد نفسها كما ضد العدو، ناهيك عن الطغيان العرضي والمكائد الشائنة. ولكنني سأحاول، إذا ما أيدتموني، ألا أدع شيئاً من هذا يحدث في عصرنا هذا، وذلك من خلال كسبكم، أنتم الأغلبية، وتأنيب واضعي مثل هذه المؤامرات، ليس فقط عندما يتم القبض عليهم

متلبسين بالجريمة. وهو إنجاز يصعب تحقيقه. بل وأيضاً بسبب ما يرغبون في القيام به رغم عدم قدرتهم على القيام به؛ كما أنه من الضروري معاقبة العدو ليس فقط على ما يفعله، بل وأيضاً مسبقاً على ما ينوي القيام به، إذا لم يكن أول من يتهاون في الحذر هو أيضاً أول من يعاني. وسوف أوبخ وأراقب وأحذر أحياناً القِلة . وهي الطريقة الأكثر فعالية في رأيي لتحويلهم عن مساراتهم الشريرة. وبعد كل شيء، وكما سألت مراراً وتكراراً، ماذا تريدون أيها الشباب؟ هل تشغلون منصباً على الفور؟ إن القانون يحظر ذلك، وهو قانون صدر لأنك غير مؤهل وليس لإذلالك عندما تكون مؤهلاً. وفي غضون ذلك لن تكونوا على قدم المساواة القانونية مع الأغلبية! ولكن كيف يكون من الصواب أن يُنظر إلى مواطني نفس الدولة على أنهم غير مستحقين لنفس الامتيازات؟

"قد يقال إن الديمقراطية ليست حكيمة ولا عادلة، ولكن أصحاب الممتلكات هم أيضًا الأفضل ملاءمة للحكم. أقول، على العكس من ذلك، أولاً، إن كلمة ديموس، أو الشعب، تشمل الدولة بأكملها، بينما الأوليغارشية جزء منها فقط؛ ثانيًا، إذا كان أفضل حراس الممتلكات هم الأغنياء، وأفضل المستشارين هم الحكماء، فلا أحد يستطيع الاستماع واتخاذ القرار بشكل جيد مثل الأغلبية؛ وأن كل هذه المواهب، منفردة وجماعية، لها مكانها العادل في الديمقراطية. لكن الأوليغارشية تمنح الأغلبية نصيبها من الخطر، ولا تكتفي بالجزء الأكبر وتأخذ وتحتفظ بكل الربح؛ وهذا هو ما يطمح إليه الأقوياء والشباب بينكم، ولكن لا يمكنهم الحصول عليه في مدينة كبيرة.

"ولكن حتى الآن، أيها الرجال الحمقى، الأكثر جهلاً بين كل اليونانيين الذين أعرفهم، إذا لم يكن لديكم حس بشرّ مخططاتكم، أو الأكثر إجراماً إذا كان لديكم هذا الحس ومع ذلك تجرأون على متابعتها - حتى الآن، إذا لم يكن الأمر يستحق التوبة، فلا يزال بإمكانكم تعلم الحكمة، وبالتالي تعزيز مصلحة البلاد، والمصلحة المشتركة لنا جميعًا. فكروا في أن الرجال ذوي الجدارة في صفوفكم سيكون لديهم نصيب وحصة

أكبر من الغالبية العظمى من مواطنيكم، ولكن إذا كانت لديكم مخططات أخرى فإنكم تخاطرون بالحرمان من كل شيء؛ وكفوا عن مثل هذه التقارير، لأن الناس يعرفون هدفكم ولن يتسامحوا معه. إذا وصل الأثينيون، فستصدهم هذه المدينة بطريقة تليق بها؛ علاوة على ذلك، لدينا جنرالات سيهتمون بهذا الأمر. "وإن لم يكن شيء من هذا صحيحًا، كما أميل إلى الاعتقاد، فلن تُلقى المدينة في حالة من الذعر بسبب ذكائك، أو تفرض على نفسها عبودية ذاتية الاختيار باختيارك لحكامها؛ ستنظر المدينة نفسها في الأمر، وستحكم على كلماتك كما لو كانت أفعالًا، وبدلاً من السماح لنفسها بالحرمان من حريتها بسبب الاستماع إليك، ستسعى جاهدة للحفاظ على تلك الحرية، من خلال الحرص على أن تكون في متناول اليد دائمًا الوسائل التي تجعل نفسها محترمة".

"كانت هذه كلمات أثيناغوراس. ثم وقف أحد القادة ومنع أي متحدث آخر من التقدم، وأضاف هذه الكلمات من عنده فيما يتعلق بالموضوع المطروح: ""ليس من الجيد أن ينطق المتحدثون بالافتراءات ضد بعضهم البعض، أو أن يستمع إليهم المستمعون؛ بل ينبغي لنا أن ننظر إلى المعلومات التي تلقيناها، ونرى كيف يمكن لكل رجل بمفرده والمدينة ككل أن يستعد على أفضل وجه لصد الغزاة. وحتى لو لم تكن هناك حاجة، فلا ضرر في تزويد الدولة بالخيول والأسلحة وكل شارات الحرب الأخرى؛ وسنتعهد بالاهتمام بهذا الأمر وإصدار الأوامر به، وإرسال جولات إلى المدن للاستطلاع والقيام بكل ما قد يبدو مرغوبًا فيه. لقد قمنا بالفعل بجزء من هذا، وكل ما نكتشفه سنعرضه عليكم""." وبعد هذه الكلمات من القائد، غادر السيراقوسيون الجمعية.

وفي هذه الأثناء وصل الأثينيون مع كل حلفائهم إلى كورسيرا. وهناك بدأ القادة بمراجعة الأسلحة مرة أخرى، ورتبوا الترتيبات الخاصة بالترتيب الذي سيرسون به ويقيمون به معسكراتهم، وقسموا الأسطول بأكمله إلى ثلاث فرق، كل فرقة منها

مخصصة لواحدة، لتجنب الإبحار معًا وبالتالي الحرج من المياه أو المرفأ أو المؤن في المحطات التي قد يلمسونها، وفي الوقت نفسه ليكونوا أكثر تنظيمًا وأسهل في التعامل، حيث يكون لكل سرب قائده الخاص. بعد ذلك أرسلوا ثلاث سفن إلى إيطاليا وصقلية لمعرفة أي المدن ستستقبلهم، مع تعليمات بمقابلتهم في الطريق وإبلاغهم قبل أن ينزلوا إلى البر.

"بعد ذلك، انطلق الأثينيون من كورسيرا، وشرعوا في العبور إلى صقلية بسلاح يتكون الآن من مائة وأربعة وثلاثين سفينة حربية (بالإضافة إلى سفينتين روديتين)، منها مائة سفينة أثينية - ستين سفينة حربية، وأربعين سفينة نقل جنود - والباقي من خيوس والحلفاء الآخرين؛ خمسة آلاف ومائة من المشاة الثقيلة في المجموع، أي خمسة عشر مائة مواطن أثيني من سفن أثينا وسبعمائة ثيتس تم شحنهم كجنود، وبقية القوات المتحالفة، بعضهم من الرعايا الأثينيين، بالإضافة إلى هؤلاء الخمسمائة أرغوسي، ومائتان وخمسون مانتينيًا يخدمون مقابل أجر؛ أربعمائة وثمانون من الرماة في المجموع، ثمانون منهم من الكريتيين، وسبعمائة من الرماة من رودس، ومائة وعشرون منفيًا مسلحين بأسلحة خفيفة من ميجارا، ومركبة نقل واحدة تحمل ثلاثين حصانًا.

كانت قوة التسليح الأول الذي أبحر للحرب قوية للغاية. وكانت الإمدادات اللازمة لهذه القوة تُنقل بواسطة ثلاثين سفينة محملة بالحبوب، وكانت تنقل الخبازين والبنائين والنجارين، والأدوات اللازمة لبناء التحصينات، مصحوبة بمائة قارب، مثل الأولى، تم إجبارها على الخدمة، إلى جانب العديد من القوارب والسفن الأخرى المحملة بالحمولة التي تبعت التسليح طوعًا لأغراض التجارة؛ وقد غادرت جميعها الآن كورسيرا وعبرت البحر الأيوني معًا. وقد سارت القوة بأكملها التي وصلت إلى اليابسة عند رأس يابياجيا وتارانتو، بحظ أو بآخر، على طول شواطئ إيطاليا، وأغلقت المدن أسواقها وبواباتها في وجههم، ولم تمنحهم سوى الماء والحرية في المرساة،

ولم تمنحهم تارانتو ولوكري حتى ذلك، حتى وصلوا إلى ريجيوم، أقصى نقطة في إيطاليا. وهنا اجتمعوا أخيرًا، ولما لم يسمح لهم بالدخول إلى الأسوار، نصبوا معسكرًا خارج المدينة في منطقة أرتميس، حيث تم توفير سوق لهم أيضًا، وسحبوا سفنهم إلى الشاطئ والتزموا الصمت. وفي الوقت نفسه، بدأوا في التفاوض مع الريجيين، ودعواهم كخالكيديين لمساعدة أقاربهم من ليونتين؛ فرد الريجيون على ذلك بأنهم لن ينحازوا إلى أي من الطرفين، بل يجب أن ينتظروا قرار بقية الإيطاليين، وأن يفعلوا كما فعلوا. وبناءً على ذلك، بدأ الأثينيون الآن في التفكير في أفضل إجراء يمكن اتخاذه في شؤون صقلية، وفي الوقت نفسه انتظروا عودة السفن المرسلة من إيجيستا، لمعرفة ما إذا كانت الأموال التي ذكرها الرسل في أثينا موجودة هناك حقًا.

وفي غضون ذلك، وصلت الأخبار الإيجابية من جميع الجهات إلى أهل سراقوسة، وكذلك من ضباطهم الذين أُرسلوا للاستطلاع، بأن الأسطول كان في ريجيوم؛ فتركوا عدم تصديقهم وانهمكوا في الاستعداد بكل قلبهم وروحهم. فأرسلوا حراسًا أو مبعوثين، حسب الاقتضاء، إلى الصقليين، ووضعوا حاميات في مراكز بريبولي في البلاد، وفحصوا الخيول والأسلحة في المدينة للتأكد من عدم نقص أي شيء، واتخذوا جميع الخطوات الأخرى للاستعداد للحرب التي قد تندلع عليهم في أي لحظة.

وفي غضون ذلك، جاءت السفن الثلاث التي أُرسِلَت من إيجستا إلى الأثينيين في ريجيوم، حاملة أخبارًا مفادها أنه حتى لو لم تكن المبالغ الموعودة كافية، فإن كل ما يمكن إنتاجه هو ثلاثون تالنتًا. ولم يكن القادة محبطين قليلاً بسبب خيبة الأمل التي أصابتهم في البداية، وبسبب رفضهم الانضمام إلى حملة الريجيين، الشعب الذي حاولوا كسبه أولاً وكان لديهم أكبر سبب للاعتماد عليه، نظرًا لعلاقتهم بالليونتينيين وصداقتهم الدائمة لأثينا. وإذا كان نيسياس مستعدًا للأخبار القادمة من إيجستا، فقد فوجئ زميلاه تمامًا. لقد لجأ الإيجستايون إلى الحيلة التالية، عندما جاء المبعوثون الأوائل من أثينا لتفقد مواردهم. لقد أخذوا المبعوثين المذكورين إلى

معبد أفروديت في إريكس وأظهروا لهم الكنوز المودعة هناك: الأوعية، ومغارف الخمر، والمباخر، وعدد كبير من القطع الأخرى من الأطباق، والتي أعطت انطباعًا بأنها غنية جدًا نظرًا لكونها مصنوعة من الفضة، مما يجعلها غير متناسبة مع قيمتها الضئيلة حقًا. كما قاموا أيضًا باستضافة طاقم السفن بشكل خاص، وجمعوا جميع الكؤوس الذهبية والفضية التي يمكنهم العثور عليها في إجستا نفسها أو استعارتها من المدن الفينيقية واليونانية المجاورة، وكان كل منهم يحضرها إلى الولائم باعتبارها خاصة به؛ ولأن الجميع كانوا يستخدمون نفس الشيء تقريبًا، وكان في كل مكان يتم عرض كميات كبيرة من الأطباق، فقد كان التأثير مبهرًا للغاية على البحارة الأثينيين، وجعلهم يتحدثون بصوت عالٍ عن الثروات التي رأوها عندما عادوا إلى أثينا. وعندما وصلت الأخبار إلى الخارج بعدم وجود الأموال المفترضة في إجستا، ألقى الجنود باللوم كثيرًا على المخادعين المذكورين -الذين أقنعوا الآخرين بدورهم- عندما وصلت الأخبار إلى الخارج بأن الأموال المفترضة ليست موجودة في إجستا.

وفي غضون ذلك، تشاور القادة بشأن ما ينبغي القيام به. وكان رأي نيسياس هو الإبحار بكل الأسلحة إلى سيلينوس، الهدف الرئيسي للحملة، وإذا كان بإمكان الإيجيستينيين توفير المال للقوة بأكملها، فعليهم تقديم المشورة وفقًا لذلك؛ وإذا لم يتمكنوا من ذلك، فعليهم مطالبتهم بتزويد السفن الستين التي طلبوها بالمؤن، والبقاء وتسوية الأمور بينهم وبين السيلينونيين إما بالقوة أو بالاتفاق، ثم المرور عبر المدن الأخرى، وبعد إظهار قوة أثينا وإثبات حماستها لأصدقائها وحلفائها، الإبحار إلى الوطن مرة أخرى (ما لم تسنح لهم فرصة مفاجئة وغير متوقعة لخدمة الليونتينيين، أو الاستيلاء على بعض المدن الأخرى)، وعدم تعريض الدولة للخطر بإهدار مواردها المحلية.

قال ألكيبيادس إن حملة عظيمة مثل الحملة الحالية لا ينبغي أن تخجل من نفسها بالرحيل دون أن تفعل شيئًا؛ يجب إرسال رسل إلى جميع المدن باستثناء سيلينوس

وسيراكوزا، وبذل الجهود لإقناع بعض الصقليين بالثورة على السيراكوزيين، والحصول على صداقة الآخرين، من أجل الحصول على القمح والقوات؛ وقبل كل شيء كسب الميسيني، الذين كانوا يقعون مباشرة عند الممر ومدخل صقلية، والذين سيوفرون ميناءً وقاعدة ممتازة للجيش. وبالتالي، بعد الاستيلاء على المدن ومعرفة من سيكون حليفهم في الحرب، فقد يهاجمون في النهاية سيراكوزا وسيلينوس؛ ما لم تتوصل الأخيرة إلى اتفاق مع إيجيستا وتتوقف الأولى عن معارضة استعادة ليونتيني.

"ومن ناحية أخرى، قال لاماخوس إنه يتعين عليهم الإبحار مباشرة إلى سيراقوسة، وخوض المعركة على الفور تحت أسوار المدينة بينما كان الناس ما زالوا غير مستعدين، وكان الذعر في ذروته. كانت كل الأسلحة في البداية رهيبة للغاية؛ فإذا سمحت للوقت بالمضي قدمًا دون أن تظهر قوتها، فإن شجاعة الرجال تستعيد عافيتها، ورأوا أنها تظهر أخيرًا بلا مبالاة تقريبًا. من خلال الهجوم المفاجئ، بينما كانت سيراقوسة لا تزال ترتجف من قدومهم، فإنهم سيكونون على أفضل فرصة لتحقيق النصر لأنفسهم وإثارة الذعر الكامل في العدو من خلال مظهر أعدادهم - والتي لن تبدو أبدًا كبيرة كما هي الحال الآن - من خلال توقع الكارثة القادمة، وقبل كل شيء من خلال الخطر المباشر للاشتباك. قد يعتمدون أيضًا على مفاجأة العديد من الناس في الحقول خارج المدينة، غير مصدقين لقدومهم؛ وفي اللحظة التي يحمل فيها العدو ممتلكاته، لن يفتقر الجيش إلى الغنائم إذا جلس بقوته أمام المدينة. وهكذا أصبح بقية الصقليين أقل ميلاً إلى التحالف مع السراقوسيين، وانضموا إلى الأثينيين، دون انتظار لمعرفة من هو الأقوى. وكان لزاماً عليهم أن يجعلوا من ميجارا محطتهم البحرية كمكان للانسحاب وقاعدة للهجوم: فهي كانت مكاناً غير مأهول بالسكان على مسافة ليست كبيرة من سراقوسة سواء عن طريق البر أو البحر.

وبعد أن تحدث بهذا المعنى، أبدى لاماخوس تأييده لرأي ألكيبياديس. وبعد ذلك أبحر ألكيبياديس في سفينته الخاصة عبر مسينا مع مقترحات للتحالف، لكنه لم ينجح، حيث أجاب السكان بأنهم لا يستطيعون استقباله داخل أسوارهم، على الرغم من أنهم سيوفرون له سوقًا خارجها. عند هذا أبحر عائدًا إلى ريجيوم. فور عودته، قام القادة بتجهيز وتموين ستين سفينة من الأسطول بأكمله وأبحروا على طول الساحل إلى ناكسوس، تاركين بقية الأسلحة خلفهم في ريجيوم مع واحدة منهم. بعد أن استقبلهم الناكسيون، أبحروا بعد ذلك إلى كاتانا، ولما رفض السكان السماح لهم بالدخول، نظرًا لوجود مجموعة من سيراقوسة في المدينة، ذهبوا إلى نهر تيرياس. ثم أقاموا هناك، وفي اليوم التالي أبحروا في صف واحد إلى سيراقوسة بكل سفنهم باستثناء عشر سفن أرسلوها في المقدمة للإبحار إلى الميناء الكبير ورؤية ما إذا كان هناك أي أسطول قد انطلق، ولإعلان منادي من على متن السفينة أن الأثينيين قد أتوا لإعادة الليونتينيين إلى بلادهم، باعتبارهم حلفاء لهم وأقارب لهم، وأن أولئك الذين كانوا في سيراقوسة يجب أن يغادروها دون خوف وينضموا إلى أصدقائهم ومحسنيهم الأثينيين. وبعد إصدار هذا الإعلان واستطلاع المدينة والموانئ، وخصائص البلاد التي سيضطرون إلى جعلها قاعدة لعملياتهم في الحرب، أبحروا عائدين إلى كاتانا.

ولما انعقدت جمعية هنا رفض السكان استلام الأسلحة، بل دعوا القادة إلى الدخول وإبداء ما يريدونه؛ وبينما كان ألكيبياديس يتحدث وكان المواطنون منشغلين بالجمعية، حطم الجنود بوابة خلفية سيئة السور دون أن يلاحظهم أحد، ودخلوا المدينة وتوافدوا إلى السوق. وما إن رأى الحزب السيراقوسي في المدينة الجيش بالداخل حتى خافوا وانسحبوا، لأنهم لم يكونوا كثيرين على الإطلاق؛ بينما صوت الباقون لصالح التحالف مع الأثينيين ودعوهم لإحضار بقية قواتهم من ريجيوم. وبعد ذلك أبحر الأثينيون إلى ريجيوم، وأرجأوا، هذه المرة بكل الأسلحة، إلى كاتانا، وبدأوا العمل في معسكرهم فور وصولهم.

وفي غضون ذلك، وصلت إليهم أنباء من كامارينا تفيد بأن المدينة ستنتقل إليهم إذا ذهبوا إلى هناك، كما وردت إليهم أنباء تفيد بأن السيراقوسيين كانوا يجهزون أسطولاً. وعلى هذا فقد أبحر الأثينيون على طول الساحل بكل أسلحتهم، أولاً إلى سيراقوسة، حيث لم يجدوا أي أسطول، ثم أبحروا على طول الساحل إلى كامارينا، حيث أحضروهم إلى الشاطئ، وأرسلوا منادياً إلى الناس، الذين رفضوا استقبالهم، قائلين إن قسمهم يلزمهم باستقبال الأثينيين بسفينة واحدة فقط، ما لم يطلبوا هم أنفسهم المزيد. وبعد أن خاب أملهم هنا، أبحر الأثينيون مرة أخرى، وبعد أن هبطوا ونهبوا أراضي سيراقوسة وخسروا بعض المشاة الخفيفة من خلال تقدم خيول سيراقوسة، عادوا إلى كاتانا.

وهناك وجدوا أن سفينة سلامينيا قد أتت من أثينا إلى ألكيبياديس، حاملة أوامر بأن يبحر إلى وطنه ليرد على التهم التي وجهتها إليه الدولة، ولبعض الجنود الآخرين الذين اتُهموا معه بانتهاك المقدسات في قضية الأسرار والهرماس. ذلك أن الأثينيين، بعد رحيل الحملة، ظلوا نشطين كما كانوا دائمًا في التحقيق في حقائق الأسرار والهرماس، وبدلاً من اختبار المخبرين، استقبلوا الجميع بلا مبالاة في مزاجهم المريب، واعتقلوا وسجنوا أفضل المواطنين بناءً على أدلة على وجود الأوغاد، وفضلوا غربلة الأمر إلى القاع عاجلاً بدلاً من السماح لشخص متهم حسن السيرة بالمرور دون استجوابه، بسبب خبث المخبر. لقد سمع عامة الناس عن مدى ظلم طغيان بيسيستراتوس وأبنائه قبل أن ينتهي، فضلاً عن أن هذا الطغيان قد تم القضاء عليه في النهاية، ليس من قبلهم أو هارموديوس، ولكن من قبل اللاكيديمونيين، ولهذا كانوا دائمًا في خوف وأخذوا كل شيء بريبة.

ولقد كان هذا العمل الجريء الذي قام به أريستوجيتون وهارموديوس نتيجة لقصة حب، وسوف أرويها بالتفصيل، لكي أثبت أن الأثينيين ليسوا أكثر دقة من بقية العالم في سردهم لأحداث طغاتهم ووقائع تاريخهم. فقد توفي بيسيستراتوس في سن

متقدمة وهو في قبضة الطغيان، وخلفه ابنه الأكبر هيبياس، وليس هيبارخوس، كما يعتقد عامة الناس. وكان هيبارخوس في أوج جمال شبابه، وكان أريستوجيتون، وهو مواطن من الطبقة المتوسطة، عشيقه واستحوذ عليه. وبعد أن استماله هيبارخوس، ابن بيسيستراتوس، دون جدوى، أخبر هيبارخوس أريستوجيتون، فثار العاشق الغاضب، خوفًا من أن يأخذ هيبارخوس القوي هارموديوس بالقوة، شكل على الفور خطة للإطاحة بالطغيان، وفقًا لحالته في الحياة. وفي غضون ذلك، حضر هيبارخوس، بعد استعطاف ثانٍ من هارموديوس، ولم ينجح في ذلك، ولم يكن راغبًا في استخدام العنف، فرتب لإهانته بطريقة خفية. والواقع أن حكومتهم لم تكن عمومًا مؤذية للجماهير، أو بغيضة بأي شكل من الأشكال في الممارسة العملية؛ وكان هؤلاء الطغاة يزرعون الحكمة والفضيلة بقدر ما كان يفعل أي شخص آخر، ودون أن يفرضوا على الأثينيين أكثر من عشرين من دخلهم، زينوا مدينتهم بشكل رائع، وواصلوا حروبهم، وقدموا القرابين للمعابد. أما فيما يتعلق بالباقي، فقد تركت المدينة تتمتع بقوانينها القائمة بالكامل، باستثناء أنها كانت حريصة دائمًا على أن تكون المناصب في أيدي أحد أفراد الأسرة. ومن بين هؤلاء الذين تولوا منصب الأركون السنوي في أثينا كان بيسيستراتوس، ابن الطاغية هيبياس، والذي سمي على اسم جده، والذي كرس أثناء فترة ولايته المذبح للآلهة الاثني عشر في السوق، ومذبح أبولو في المنطقة البيثية. وقد قام الشعب الأثيني بعد ذلك بالبناء على المذبح الموجود في السوق وإطالة طوله، ومحو النقش؛ ولكن لا يزال من الممكن رؤية ذلك في المنطقة البيثية، ولو بأحرف باهتة، وهو يؤدي التأثير التالي:

أرسل بيسيستراتوس، ابن هيبياس، هذا السجل الخاص بركونيته في منطقة أبولو بيثياس.

إن ما أؤكده على وجه اليقين هو أن هيبياس كان الابن الأكبر وخلفه في الحكم، وهو ما حصلت عليه من روايات أكثر دقة من غيري، ويمكن التأكد منه أيضًا من خلال

الظروف التالية. إنه الوحيد من بين الإخوة الشرعيين الذي يبدو أنه أنجب أطفالًا؛ كما يظهر في المذبح، والعمود الذي وضع في الأكروبوليس الأثيني، تخليدًا لذكرى جريمة الطغاة، والذي لا يذكر أي طفل من ثيسالوس أو هيبارخوس، بل خمسة أطفال من هيبياس، أنجبهم من ميرين، ابنة كالياس، ابن هايبرخيدس؛ ومن الطبيعي أن يتزوج الأكبر أولاً. مرة أخرى، يأتي اسمه أولاً على العمود بعد اسم والده؛ وهذا أيضًا طبيعي تمامًا، لأنه كان الأكبر بعده، وكان الطاغية الحاكم. ولا أستطيع أن أصدق أن هيبياس كان ليحصل على الطغيان بسهولة، لو كان هيبارخوس في السلطة عندما قُتل، وكان عليه أن يثبت نفسه في نفس اليوم؛ ولكن لا شك أنه كان معتادًا منذ زمن طويل على إرهاب المواطنين، وعلى طاعة مرتزقته، وبالتالي لم يُهزم فحسب، بل هزم بسهولة، دون أن يشعر بأي حرج من الإحراج الذي يشعر به أخ أصغر غير معتاد على ممارسة السلطة. لقد كان المصير الحزين الذي جعل هيبارخوس مشهورًا هو الذي أكسبه أيضًا الفضل بين الأجيال اللاحقة في كونه طاغية.

ولنعد إلى هارموديوس؛ فقد رُفِضَت طلبات هيبارخوس، فأهانه لأنه قرر أولاً دعوة أخت له، وهي فتاة صغيرة، لكي تأتي وتحمل سلة في موكب معين، ثم رفضها بحجة أنها لم تُدعَ على الإطلاق بسبب عدم استحقاقها. وإذا كان هارموديوس قد غضب من هذا، فقد أصبح أريستوجيتون من أجله الآن أكثر غضبًا من أي وقت مضى؛ وبعد أن رتبوا كل شيء مع أولئك الذين سينضمون إليهم في المشروع، لم ينتظروا سوى عيد باناثينيا العظيم، وهو اليوم الوحيد الذي يمكن فيه للمواطنين الذين يشكلون جزءًا من الموكب أن يجتمعوا معًا حاملين السلاح دون أي شك. وكان من المقرر أن يبدأ أريستوجيتون وهارموديوس، ولكن كان لابد أن يدعمهما على الفور شركاؤهما ضد الحرس الشخصي. ولم يكن عدد المتآمرين كبيراً، وذلك من أجل ضمان أمنهم، فضلاً عن أنهم كانوا يأملون في أن ينقاد أولئك الذين لم يشاركوا في المؤامرة إلى مثال عدد قليل من الأرواح الجريئة، ويستخدموا الأسلحة في أيديهم لاستعادة حريتهم.

"وأخيرًا جاء المهرجان؛ وكان هيبياس وحارسه الشخصي خارج المدينة في سيراميكوس، يرتبون كيفية سير الأجزاء المختلفة من الموكب. وكان هارموديوس وأريستوجيتون قد حملا خنجريهما بالفعل وكانا يستعدان للتحرك، وعندما رأيا أحد شركائهما يتحدث بشكل مألوف مع هيبياس، الذي كان من السهل الوصول إليه من قبل الجميع، شعرا بالخوف، واستنتجا أنه تم اكتشافهما وعلى وشك القبض عليهما؛ وكانا حريصين على الانتقام أولاً من الرجل الذي أخطأ في حقهما والذي تحملا كل هذه المخاطرة من أجله، فاندفعا، كما كانا، إلى داخل البوابات، والتقى هيبارخوس عند ليوكوريوم وانقضا عليه بتهور على الفور، وأريستوجيتون بالحب، وهارموديوس بالإهانة، وضرباه وقتلاه. تمكن أريستوجيتون من الهروب من الحراس في تلك اللحظة، من خلال الحشد الذي ركض نحوه، ولكن تم القبض عليه بعد ذلك وقتله بطريقة غير رحيمة: قُتل هارموديوس على الفور.

ولما وصل الخبر إلى هيبياس في سيراميكوس، لم يتوجه على الفور إلى مسرح الحادث، بل إلى الرجال المسلحين في الموكب، قبل أن يعرفوا أي شيء عن الأمر، وهم على مسافة بعيدة، فقام بترتيب ملامحه للمناسبة، حتى لا يفضح نفسه، وأشار إلى مكان معين، وأمرهم بالتوجه إليه دون أسلحتهم. فانسحبوا تبعًا لذلك، ظنًا منهم أنه لديه ما يقوله؛ وعندئذ أمر المرتزقة بإزالة الأسلحة، وهناك اختار الرجال الذين اعتبرهم مذنبين، ووجدهم جميعًا يحملون الخناجر، وكانت الدرع والرماح من الأسلحة المعتادة في المواكب.

"وبهذا الشكل، قاد الحب المهان هارموديوس وأريستوجيتون إلى التآمر، وترددت أنباء عن وقوع الحادثة في تلك اللحظة، فقاما بارتكاب الفعل المتهور. وبعد ذلك، ضغط الطغيان على الأثينيين بقوة، فقام هيبياس، الذي أصبح الآن أكثر خوفًا، بقتل العديد من المواطنين، وفي الوقت نفسه بدأ يتطلع إلى الخارج بحثًا عن ملجأ في حالة الثورة. وعلى هذا، وعلى الرغم من كونه أثينيًا، فقد أعطى ابنته أركيديس إلى رجل

من لامبساكوس، هو إيانتيدس، ابن طاغية لامبساكوس، لأنه رأى أنهما كانا يتمتعان بنفوذ كبير على داريوس. وهناك قبرها في لامبساكوس مكتوب عليه هذا النقش:

أرشيديس مدفونة في هذه الأرض، والدها هيبياس، وأنجبتها أثينا؛ لم يُعرف في صدرها الفخر أبدًا، على الرغم من كونها ابنة وزوجة وأخت للعرش.

"وبعد أن حكم هيبياس الأثينيين لمدة ثلاث سنوات إضافية، عُزل في السنة الرابعة على يد اللاكيديمونيين وألكمايونيداي المنفيين، فذهب بأمان إلى سيجيوم، ثم إلى إيانتيدس في لامبساكوس، ومن هناك إلى الملك داريوس؛ الذي انطلق من بلاطه بعد عشرين عامًا، في شيخوخته، وجاء مع الميديين إلى ماراثون."

ومع هذه الأحداث التي لا تزال عالقة في أذهان الشعب الأثيني، واستحضاره لكل ما سمعه عن الموضوع من أقوال، أصبح الشعب الأثيني صعب المراس ويشك في الأشخاص المتهمين في قضية الأسرار، واقتنعوا بأن كل ما حدث كان جزءًا من مؤامرة أوليغاركية ملكية. وفي ظل حالة الغضب التي نتجت عن ذلك، كان قد تم بالفعل إلقاء العديد من الأشخاص ذوي الاعتبار في السجن، وبدلًا من إظهار أي علامات على التراجع، كان الشعور العام يزداد وحشية يومًا بعد يوم، وتم القبض على المزيد من الأشخاص؛ حتى تمكن أحد السجناء في النهاية، والذي كان يُعتقد أنه الأكثر إدانة، من إقناع أحد زملائه السجناء بالإدلاء بكشف، وسواء كان صحيحًا أم لا، فهذه مسألة يوجد فيها رأيان، حيث لم يتمكن أحد، سواء في ذلك الوقت أو منذ ذلك الحين، من تحديد من ارتكب الفعل على وجه اليقين. ومهما كان الأمر، فقد وجد الآخر حججًا لإقناعه بأنه حتى لو لم يرتكب الفعل، فيجب أن ينقذ نفسه بالحصول على وعد بالإفلات من العقاب، وتحرير الدولة من شكوكها الحالية؛ ولقد كان من المؤكد أنه سينجو من العقاب إذا اعترف بعد وعد بالإفلات من العقاب، بدلاً من أن ينكر ذلك ثم يُقدَّم للمحاكمة. وعلى هذا فقد كشف عن أمر أثَّر عليه وعلى الآخرين في قضية هيرماي؛ ولقد سرَّ أهل أثينا أخيراً، كما ظنوا، باكتشاف الحقيقة، وكانوا

غاضبين حتى ذلك الوقت لعدم قدرتهم على اكتشاف أولئك الذين تآمروا على عامة الناس، فقرروا على الفور إطلاق سراح المخبر وجميع الآخرين الذين لم يبلغ عنهم، وإحالة المتهمين إلى المحاكمة، وإعدام كل من قُبض عليهم، وحكم على كل من هرب بالإعدام، وحددوا مكافأة على رؤوسهم. وفي هذا، لم يكن من الواضح ما إذا كان المتضررون قد عوقبوا ظلماً، في حين تلقى بقية المدينة على أي حال راحة فورية وواضحة.

ولنعد إلى ألكيبياديس: كان الشعور العام تجاهه شديد العداء، وكان ذلك بسبب نفس الأعداء الذين هاجموه قبل خروجه؛ والآن بعد أن تصور الأثينيون أنهم قد توصلوا إلى حقيقة أمر هيرماي، فقد اعتقدوا أكثر من أي وقت مضى أن قضية الأسرار أيضًا، التي تورط فيها، كانت من تدبيره بنفس النية وكانت مرتبطة بالمؤامرة ضد الديمقراطية. وفي الوقت نفسه، حدث أنه في نفس وقت هذا التحريض، تقدمت قوة صغيرة من اللاكديمونيين حتى البرزخ، وفقًا لمخطط ما مع البويوتيين. وقد ظن الناس الآن أن هذا حدث بالاتفاق، بناءً على تحريض منه، وليس بسبب البويوتيين، وأنه إذا لم يتصرف المواطنون بناءً على المعلومات التي تلقوها، ولم يسبقوهم بالقبض على السجناء، لكانت المدينة قد تعرضت للخيانة. وذهب المواطنون إلى حد النوم ذات ليلة مسلحين في معبد ثيسيوس داخل الأسوار. ولقد اشتبه في أصدقاء ألكيبياديس في أرغوس في ذلك الوقت أيضاً بأنهم يخططون لمهاجمة عامة الشعب؛ فسلم الأثينيون الرهائن الأرجيين المحتجزين في الجزر إلى الشعب الأرجي ليُقتَلوا على هذا الأساس: وباختصار، فقد وجدوا في كل مكان ما يثير الشكوك حول ألكيبياديس. ولذلك تقرر تقديمه للمحاكمة وإعدامه، وأُرسِلت سفينة سالامينيا إلى صقلية لإحضاره هو والآخرين الذين وردت أسماؤهم في المعلومات، مع تعليمات بإصدار أوامر له بالحضور والرد على التهم الموجهة إليه، ولكن ليس لاعتقاله، لأنهم كانوا يرغبون في تجنب التسبب في أي اضطراب في الجيش أو بين الأعداء في صقلية، وقبل كل شيء الاحتفاظ بخدمات أهل مانتين والأرجي، الذين كان يُعتقد أنهم حُثوا

على الانضمام إلى صفوفهم بتأثير منه. "وبعد ذلك أبحر ألكيبياديس، ومعه سفينته ورفيقه المتهم، مع السفينة سالامينيا من صقلية، كما لو كان عائداً إلى أثينا، وذهب معها حتى ثوري، وهناك تركوا السفينة واختفوا، خوفاً من العودة إلى ديارهم للمحاكمة بسبب هذا التحيز الموجود ضدهم. وظل طاقم السفينة سالامينيا لبعض الوقت يبحثون عن ألكيبياديس ورفاقه، وفي النهاية، عندما لم يتم العثور عليهم في أي مكان، أبحروا وغادروا. وبعد فترة وجيزة، عبر ألكيبياديس، الذي أصبح الآن خارجاً عن القانون، في قارب من ثوري إلى بيلوبونيز؛ وحكم الأثينيون عليه وعلى من كانوا في شركته بالإعدام غيابياً.

الفصل العشرون

السنتان السابعة عشرة والثامنة عشرة من الحرب - تقاعس الجيش الأثيني - ألكيبياديس في أسبرطة - الاستيلاء على سيراكوزا

ثم قسم القادة الأثينيون الذين غادروا صقلية الأسلحة إلى قسمين، وأخذ كل منهم قسمًا بالقرعة، وأبحروا بالسلاح كله إلى سيلينوس وإيجستا، راغبًا في معرفة ما إذا كان الإيجيستيون سيعطون المال، وللتحقق من مسألة سيلينوس والتأكد من حالة الخلاف بينها وبين إيجستا. وساروا على طول صقلية، وشاطئهم على يسارهم، وعلى الجانب المؤدي إلى خليج تيرين، وصلوا إلى هيميرا، المدينة اليونانية الوحيدة في ذلك الجزء من الجزيرة، ولما رفضوا السماح لهم بالدخول، استأنفوا رحلتهم. وفي طريقهم، استولوا على هيكارا، وهي ميناء بحري سيكي صغير، ومع ذلك كانت في حرب مع إيجستا، واستعبدوا سكان المدينة وتنازلوا عن المدينة للإيجستايين، الذين انضم إليهم بعض خيولهم؛ وبعد ذلك تقدم الجيش عبر أراضي الصقليين حتى وصل إلى كاتانا، بينما أبحر الأسطول على طول الساحل وعلى متنه العبيد. وفي هذه الأثناء أبحر نيسياس من هيكارا على طول الساحل وذهب إلى إجيستا، وبعد أن أجرى أعماله الأخرى وحصل على ثلاثين تالنتًا، عاد إلى القوات. ثم باعوا عبيدهم بمبلغ مائة وعشرين تالنتًا، وأبحروا حول حلفائهم من صقلية لحثهم على إرسال قوات؛ وفي الوقت نفسه ذهبوا بنصف قوتهم إلى مدينة هيبلا المعادية في إقليم جيلا، لكنهم لم ينجحوا في الاستيلاء عليها.

لقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء التالي، بدأ الأثينيون على الفور في الاستعداد للتحرك نحو سرقوسة، وبدأ السراقوسيون من جانبهم في الاستعداد للزحف ضدهم. ومنذ اللحظة التي فشل فيها الأثينيون في مهاجمتهم على الفور كما خشوا وتوقعوا في البداية، كان كل يوم يمر يفعل شيئًا لإحياء شجاعتهم؛ وعندما رأوهم يبحرون بعيدًا عنهم على الجانب الآخر من صقلية، ويتجهون إلى هيبلا فقط ليفشلوا في

محاولاتهم لاقتحامها، فكروا فيهم أقل من أي وقت مضى، واستدعوا جنرالاتهم، كما تفعل الحشود في لحظات الثقة، ليقودوهم إلى كاتانا، لأن العدو لن يأتي إليهم. كما كانت مجموعات من خيول سراقوس التي تستخدم في الاستطلاع تتقدم باستمرار إلى الأسلحة الأثينية، وتساءلوا بين الإهانات الأخرى عما إذا كانوا قد أتوا حقًا للاستقرار مع السراقوسيين في بلد أجنبي بدلاً من إعادة توطين الليونتينيين في بلدهم.

ولقد أدرك القادة الأثينيون هذا الأمر فقرروا أن يسحبوهم بأعداد كبيرة إلى أبعد ما يمكن من المدينة، وأن يبحروا هم في الوقت نفسه ليلاً على طول الشاطئ، وأن يتخذوا موقعاً مناسباً لهم. وكانوا يدركون أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك بسهولة، إذا ما اضطروا إلى النزول من سفنهم أمام قوة معدة لهم، أو الذهاب براً علناً. وعندئذٍ، سوف يكون بوسع الفرسان السراقوسيين العديدين (وهي القوة التي كانوا يفتقرون إليها هم أنفسهم) أن يلحقوا أشد الأذى بقواتهم الخفيفة والحشود التي تتبعهم؛ ولكن هذه الخطة سوف تمكنهم من اتخاذ موقع لا يمكن للخيول أن تسبب لهم فيه أي أذى يذكر، بعد أن أخبرهم بعض المنفيين السراقوسيين مع الجيش بالمكان القريب من الأوليمبيوم، الذي احتلوه بعد ذلك. وطبقاً لفكرتهم، تصور القادة الخطة التالية. فأرسلوا إلى سراقوسة رجلاً مخلصاً لهم، وكان القادة السراقوسيون يعتبرونه لا يقل أهمية عنهم؛ كان من أهل كاتانا، وقال إنه جاء من أشخاص في ذلك المكان، يعرف قادة سراقوسيا أسماءهم، ويعرفون أنهم من بين أعضاء حزبهم الذين ما زالوا في المدينة. أخبرهم أن الأثينيين قضوا الليل في المدينة، على مسافة ما من أسلحتهم، وأنه إذا حدد السراقوسيون يومًا وجاءوا بكل شعبهم عند الفجر لمهاجمة الأسلحة، فإنهم، أصدقاؤهم، سيغلقون البوابات في وجه القوات في المدينة، ويشعلون النار في السفن، بينما سيستولي السراقوسيون بسهولة على المخيم بهجوم على السور. في هذا، سيُساعدهم العديد من الكاتانيين، الذين كانوا مستعدين بالفعل للعمل، والذين جاء منهم هو نفسه.

ولما كان قادة السيراقوسيين لا يريدون الثقة، وكانوا يعتزمون حتى من دون ذلك الزحف نحو كاتانا، صدقوا الرجل دون أي بحث كافٍ، وحددوا على الفور يومًا سيتواجدون فيه هناك، وصرفوه، وعندما وصل السيلينونتينيون وغيرهم من حلفائهم، أصدروا الأوامر لجميع السيراقوسيين بالزحف بأعداد كبيرة. وبعد أن أكملوا استعداداتهم، وحين اقترب الموعد المحدد لوصولهم، انطلقوا إلى كاتانا، وقضوا الليل على نهر سيماثوس، في إقليم ليونتين. وفي غضون ذلك، ما إن علم الأثينيون باقترابهم حتى أخذوا كل قواتهم وأفراد الصقليين وغيرهم ممن انضموا إليهم، ووضعوهم على متن سفنهم وقواربهم، وأبحروا ليلًا إلى سيراكيوز. "وهكذا، عندما طلع الصباح، كان الأثينيون ينزلون قبالة الأوليمبيوم على استعداد للاستيلاء على مكان معسكرهم، وبعد أن ركب الحصان السيراقوسي إلى كاتانا أولاً ووجد أن كل الأسلحة قد أبحرت، عاد وأخبر المشاة، ثم عاد الجميع معًا وذهبوا لنجدة المدينة.

وفي غضون ذلك، وبما أن الزحف أمام السراقوسيين كان طويلاً، فقد حشد الأثينيون جيشهم بهدوء في موقع مناسب، حيث يمكنهم بدء الاشتباك عندما يريدون، وحيث تكون الفرصة أقل لسلاح الفرسان السراقوسيين لإزعاجهم، إما قبل أو أثناء المعركة، حيث كانوا محاطين بسياج من جانب واحد بجدران ومنازل وأشجار ومستنقع، ومن الجانب الآخر بالمنحدرات. كما قطعوا الأشجار المجاورة وحملوها إلى البحر، وشكلوا سياجًا بجانب سفنهم، وباستخدام الحجارة التي التقطوها والخشب أقاموا حصنًا على عجل في داسكون، وهي النقطة الأكثر عرضة للخطر في موقعهم، وهدموا الجسر فوق نهر أنابوس. وقد سُمح لهذه الاستعدادات بالاستمرار دون أي انقطاع من المدينة، وكانت أول قوة معادية تظهر هي سلاح الفرسان السراقوسي، ثم تبعه بعد ذلك كل المشاة معًا. في البداية اقتربوا من الجيش الأثيني، وبعد ذلك، عندما اكتشفوا أنهم لم يعرضوا الاشتباك، عبروا طريق هيلورين وخيموا ليلتهم.

وفي اليوم التالي استعد الأثينيون وحلفاؤهم للمعركة، وكانت ترتيباتهم على النحو التالي: احتل الأرجيون والمانتينيون جناحهم الأيمن، واحتل الأثينيون الوسط، واحتل الحلفاء الآخرون بقية الميدان. وكان نصف جيشهم مصطفًا في ثمانية صفوف، ونصفه الآخر بالقرب من خيامهم في مربع مجوف، وشكلوا أيضًا ثمانية صفوف، وكان لديهم أوامر بالمراقبة والاستعداد للتوجه لدعم القوات الأكثر ضغطًا. ووضع أتباع المعسكر داخل هذا الاحتياطي. وفي الوقت نفسه، شكل السيراقوسيون مشاة ثقيلة بعمق ستة عشر، تتكون من حشد كبير من شعبهم، وحلفائهم الذين انضموا إليهم، وكانت أقوى فرقة هي فرقة السيلينونتينيين؛ وبجانبهم سلاح الفرسان من الجلويين، الذي يبلغ عددهم مائتي فرد، مع حوالي عشرين فارسًا وخمسين من الرماة من كامارينا. وكان سلاح الفرسان متمركزًا على يمينهم، وكان قوامه ألف ومائتي فرد، وبجانبه الرماة. وعندما كان الأثينيون على وشك البدء في الهجوم، سار نيسياس على طول الخطوط، ووجه هذه الكلمات المشجعة للجيش والأمم المكونة له:

"أيها الجنود، لا يحتاج الرجال مثلنا إلى حث طويل، والذين هم هنا للقتال في نفس المعركة، فالقوة نفسها، في اعتقادي، أكثر ملاءمة لإلهام الثقة من خطاب جيد مع جيش ضعيف. حيث لدينا أرغوس، ومانتينيون، وأثينيون، وأول سكان الجزر في الصفوف معًا، كان من الغريب حقًا، مع وجود العديد من الرفاق الشجعان في السلاح، ألا نشعر بالثقة في النصر؛ خاصة عندما يكون لدينا حشود ضخمة تعارض قواتنا المختارة، والأكثر من ذلك، الصقليون، الذين قد يحتقروننا لكنهم لن يقفوا ضدنا، ومهارتهم لا تتناسب على الإطلاق مع تهورهم. قد تتذكرون أيضًا أننا بعيدون عن الوطن وليس لدينا أرض صديقة بالقرب، باستثناء ما ستكسبه سيوفكم؛ وهنا أعرض أمامكم دافعًا معاكسًا تمامًا للدافع الذي يلجأ إليه العدو؛ "إن صرخاتهم هي أنهم سيقاتلون من أجل بلادهم، أما صرختي فهي أننا سنقاتل من أجل بلد ليس لنا، حيث يتعين علينا أن ننتصر أو ننجو بصعوبة بالغة، حيث ستكون خيولهم على

ظهورنا بأعداد كبيرة. لذا، تذكروا شهرتكم، وقاتلوا العدو بشجاعة، معتقدين أن الضيق والحاجة الحاليين أكثر رعبًا من ذلك."

وبعد هذا الخطاب، قاد نيسياس الجيش على الفور. ولم يكن السراقوسيون يتوقعون في تلك اللحظة اشتباكًا فوريًا، بل ذهب بعضهم إلى المدينة التي كانت قريبة؛ وركض هؤلاء الآن بكل ما أوتوا من قوة، ورغم تأخرهم، فقد احتلوا أماكنهم هنا وهناك في الجسم الرئيسي بأسرع ما انضموا إليه. لم يكن الافتقار إلى الحماسة أو الجرأة خطأ السراقوسيين، سواء في هذه المعركة أو المعارك الأخرى، ولكن على الرغم من أنهم لم يكونوا أقل شجاعة، بقدر ما قد تحمله لهم علومهم العسكرية، إلا أنهم عندما فشلوا في ذلك، اضطروا إلى التخلي عن عزمهم أيضًا. في المناسبة الحالية، على الرغم من أنهم لم يفترضوا أن الأثينيين سيبدأون الهجوم، وعلى الرغم من اضطرارهم إلى الوقوف في دفاعهم في غضون مهلة قصيرة، فقد حملوا أسلحتهم على الفور وتقدموا لمواجهتهم. في البداية، بدأ رماة الحجارة والمقلاع والرماة من أي من الجيشين في المناوشات، وهزموا أو هزموا من قبل بعضهم البعض، كما قد يتوقع المرء بين القوات الخفيفة؛ "بعد ذلك، قدم العرافون الضحايا المعتادين، وحث البوق المشاة الثقيلة على الهجوم؛ وهكذا تقدموا، ليقاتل السراقوسيون من أجل بلادهم، وكل فرد من أجل سلامته في ذلك اليوم وحريته في المستقبل؛ وفي جيش العدو، كان الأثينيون لجعل بلد آخر ملكًا لهم ولإنقاذ أنفسهم من المعاناة بسبب هزيمتهم؛ وكان الأرجيون والحلفاء المستقلون لمساعدتهم في الحصول على ما جاؤوا من أجله، وكسب رؤية أخرى للبلاد التي تركوها وراءهم بالنصر؛ في حين كان الحلفاء الخاضعون مدينين بمعظم حماستهم لرغبة الحفاظ على الذات، والتي لا يمكنهم إلا أن يأملوا فيها إذا انتصروا؛ وبعد ذلك، كدافع ثانوي، جاءت فرصة الخدمة بشروط أسهل، بعد مساعدة الأثينيين على غزو جديد.

"وبعد ذلك، اقتربت الجيوش من بعضها البعض، وقاتلت لفترة طويلة دون أن تتراجع أي منهما. وفي الوقت نفسه، حدثت بعض الرعد والبرق والأمطار الغزيرة، والتي لم تفشل في زيادة مخاوف الفريق الذي يقاتل لأول مرة، والذي لم يكن على دراية بالحرب؛ في حين بدا لخصومهم الأكثر خبرة أن هذه الظواهر تحدث في وقت من السنة، وشعروا بمزيد من الذعر إزاء استمرار مقاومة العدو. أخيرًا، هزم الأرجيون اليسار السراقوي، وبعدهم هزم الأثينيون القوات المعارضة لهم، وبالتالي انقسم جيش السراقوياء إلى نصفين وهربوا. لم يطارد الأثينيون بعيدًا، حيث تم إيقافهم بواسطة خيول السراقويين العديدة التي لم تهزم، والتي هاجمت وصدّت أيًا من مشاتهم الثقيلة الذين رأوهم يطاردون أمام البقية؛ وعلى الرغم من ذلك، فقد تبعهم المنتصرون بقدر ما كان آمنًا، ثم عادوا وأقاموا غنائمهم. وفي الوقت نفسه، تجمع أهل سيراكيوز عند طريق هيلورين، حيث أعادوا تنظيم صفوفهم قدر استطاعتهم في ظل الظروف المحيطة، بل وأرسلوا حامية من مواطنيهم إلى الأوليمبيوم، خوفًا من أن يضع الأثينيون أيديهم على بعض الكنوز الموجودة هناك. أما الباقون فقد عادوا إلى المدينة.

ولكن الأثينيين لم يذهبوا إلى المعبد، بل جمعوا جثثهم وأحرقوها، وقضوا الليل في الميدان. وفي اليوم التالي أعادوا جثث العدو بموجب هدنة، فبلغ عددهم نحو مائتين وستين من أهل سيراقوسة وحلفائها، وجمعوا عظامهم، وكان عددهم نحو خمسين من أهلها وحلفائها، وأخذوا غنائم العدو، وأبحروا عائدين إلى كاتانيا. كان الشتاء قد حل الآن؛ ولم يكن من الممكن في الوقت الحالي مواصلة الحرب أمام سيراقوسة، إلا بعد إرسال الخيول من أثينا وتجنيدها بين الحلفاء في صقلية. للتخلص من النقص الشديد في سلاح الفرسان. وجمع الأموال في الريف واستلامها من أثينا، وإحضار بعض المدن، التي كانوا يأملون أن تصبح أكثر استعداداً للاستماع إليهم بعد المعركة، وتوفير القمح وكل ما هو ضروري آخر، لحملة في الربيع ضد سيراقوسة.

"وبهذا النية أبحروا إلى ناكسوس وكاتانا لقضاء الشتاء. وفي غضون ذلك أحرق السيراقوسيون قتلاهم ثم عقدوا جمعية، تقدم إليها هرموكراتس، ابن حرمون، وهو رجل يتمتع بقدرة عامة من الدرجة الأولى وقد أثبت قدرته العسكرية وشجاعته الرائعة في الحرب، وشجعهم، وأخبرهم ألا يسمحوا لما حدث بأن يجعلهم يستسلمون، لأن روحهم لم تُقهر، ولكن افتقارهم إلى الانضباط كان سببًا في الضرر. ومع ذلك لم يهزموا بقدر ما كان متوقعًا، خاصة وأنهم كانوا، كما يمكن للمرء أن يقول، مبتدئين في فن الحرب، جيشًا من الحرفيين يعارض أكثر الجنود خبرة في اليونان. وكان من بين الأسباب التي أدت إلى ضرر كبير أيضًا عدد القادة (كان هناك خمسة عشر منهم) وكمية الأوامر الصادرة، إلى جانب الفوضى والعصيان من قبل القوات. ولكن إذا ما استعانوا بعدد قليل من القادة المهرة، واستخدموا هذا الشتاء في إعداد قوات المشاة الثقيلة، وتجهيز الأسلحة لمن لم يكن لديهم أي منها، حتى يزيدوا عددهم قدر الإمكان، وإجبارهم على الاهتمام بتدريبهم بشكل عام، فسوف تتاح لهم كل فرصة للتغلب على خصومهم، حيث يتمتعون بالفعل بالشجاعة والانضباط في الميدان. والواقع أن هاتين الصفتين سوف تتحسنان، لأن الخطر سوف يفرض عليهم الانضباط، في حين أن شجاعتهم سوف تتفوق على نفسها بسبب الثقة التي تلهمها المهارة. وينبغي أن يكون عدد القادة قليلًا وأن يتم انتخابهم بكامل الصلاحيات، وينبغي أن يؤدى إليهم يمين على ترك حرية التصرف الكاملة لهم في قيادتهم: وإذا تبنوا هذه الخطة، فسوف يتم الاحتفاظ بأسرارهم بشكل أفضل، وسوف يتم تنفيذ جميع الاستعدادات على النحو اللائق، ولن يكون هناك مجال للأعذار.

ولقد استمع أهل سيراقوسة إلى كلامه، وقرروا الموافقة على كل ما نصحهم به، وانتخبوا ثلاثة قادة، هم هيرموكراتس نفسه، وهيراكليدس ابن ليسيماخوس، وسيكانوس ابن إكسيستيس. كما أرسلوا مبعوثين إلى كورنثوس ولاكيدايمون لحشد قوة من الحلفاء للانضمام إليهم، ولحث اللاكيدايمونيين على توجيه أنفسهم

علانية إلى الحرب ضد الأثينيين، حتى يضطروا إما إلى مغادرة صقلية أو يصبحوا أقل قدرة على إرسال التعزيزات إلى جيشهم هناك.

"وبعد ذلك أبحرت القوات الأثينية في كاتانا على الفور ضد مسينا، على أمل أن يتم كشف أمرها لهم. ولكن المؤامرة لم تفلح بعد ذلك: فقد كان ألكيبياديس في الخفاء، وعندما ترك قيادته بناءً على استدعاء من وطنه، وتوقع أنه سيُحظر، أبلغ أصدقاء السيراقوسيين في مسينا بالمؤامرة، فقتلوا على الفور مدبريها، ثم ثاروا ضد الفصيل المعارض الذي ينتمي إلى نفس طريقتهم في التفكير، ونجحوا في منع دخول الأثينيين. وانتظر الأثينيون ثلاثة عشر يومًا، ثم عندما تعرضوا للطقس وافتقروا إلى المؤن، ولم يحققوا أي نجاح، عادوا إلى ناكسوس، حيث أعدوا أماكن لسفنهم، وأقاموا سياجًا حول معسكرهم، وتقاعدوا إلى مقار الشتاء؛ وفي الوقت نفسه أرسلوا سفينة شراعية إلى أثينا للحصول على المال وفرسان للانضمام إليهم في الربيع. وفي أثناء الشتاء بنى السراقوسيون سورًا على المدينة، بحيث يحيط بتمثال أبولو التيمينيتي، على طول الجانب المطل على إيبيبولاي، لجعل مهمة الالتفاف أطول وأكثر صعوبة، في حالة هزيمتهم، كما أقاموا حصنًا في ميجارا وآخر في الأوليمبيوم، وغرسوا سياجًا على طول البحر حيثما كان هناك مكان للهبوط. وفي غضون ذلك، لما علموا أن الأثينيين كانوا يقضون الشتاء في ناكسوس، ساروا بكل شعبهم إلى كاتانا، ونهبوا الأرض وأشعلوا النار في خيام الأثينيين ومعسكرهم، وعادوا إلى ديارهم. كما علموا أن الأثينيين كانوا يرسلون سفارة إلى كامارينا، بناءً على التحالف المبرم في زمن لاكيس، للفوز بتلك المدينة إن أمكن، فأرسلوا أخرى من سيراكيوز لمواجهتهم. كان لديهم شك ثاقب في أن الكامارينيين لم يرسلوا ما أرسلوه للمعركة الأولى عن طيب خاطر؛ ولقد خافوا الآن من أن يرفضوا مساعدتهم على الإطلاق في المستقبل، بعد أن رأوا نجاح الأثينيين في العمل، وأن ينضموا إليهم بقوة صداقتهم القديمة. وعلى هذا فقد وصل هيرموكراتس، ومعه بعض الآخرين، إلى كامارينا من سيراكيوز،

وأوفيموس وآخرون من الأثينيين؛ وبعد أن انعقدت جمعية من الكامارينيين، تحدث هيرموكراتس على النحو التالي، على أمل إلحاق الضرر بهم ضد الأثينيين:

"أيها الكامارينيون، لم نأتِ إلى هذه السفارة لأننا كنا خائفين من أن تخيفكم القوات الأثينية الفعلية، بل بالأحرى لأننا كنا نخشى أن تكسبوا ما سيقولونه لكم قبل أن تسمعوا أي شيء منا. لقد أتوا إلى صقلية بحجة تعرفونها، ونية نشك فيها جميعًا، في رأيي ليس لإعادة الليونتينيين إلى ديارهم بل لطردنا من ديارنا؛ لأنه من غير المعقول أن يعيدوا إلى صقلية المدن التي دمروها في هيلاس، أو أن يعتزوا بالخلكيديين الليونتينيين بسبب دمائهم الأيونية وأن يستعبدوا الخالكيديين اليوبيانيين، الذين يشكل الليونتينيون مستعمرة لهم. كلا؛ لكن نفس السياسة التي أثبتت نجاحها في هيلاس تُجرَّب الآن في صقلية. وبعد أن اختيروا كزعماء للأيونيين وحلفائهم الآخرين من أصل أثيني لمعاقبة الميديين، اتهم الأثينيون بعضهم بالفشل في الخدمة العسكرية، وبعضهم بالقتال ضد بعضهم البعض، وآخرين، حسب مقتضى الحال، بأي ذريعة مقنعة يمكن العثور عليها، حتى أخضعوهم جميعًا. وفي النهاية، في الصراع ضد الميديين، لم يقاتل الأثينيون من أجل حرية اليونانيين، أو اليونانيين من أجل حريتهم، بل قاتل الأثينيون من أجل جعل مواطنيهم يخدمونهم بدلاً منه، وكان هدف اليونانيين هو تغيير سيد بآخر، أكثر حكمة من الأول، لكنه أكثر حكمة في الشر.

"ولكننا لم نأت الآن لنعلن أمام جمهور على دراية بهم عن أفعال دولة عُرضة للاتهام مثل الدولة الأثينية، بل بالأحرى نلوم أنفسنا، الذين، مع التحذيرات التي لدينا من اليونانيين في تلك الأجزاء التي استعبدت بسبب عدم دعم بعضهم البعض، ورؤية نفس المغالطات التي تُجرب علينا الآن - مثل استعادة أقارب ليونتين ودعم الحلفاء الإيجيستينيين - لا نقف معًا ونظهر لهم بحزم أنه لا يوجد هنا أيونيون أو هيليسبونتينيون أو سكان جزر، يتغيرون باستمرار، لكنهم يخدمون دائمًا سيدًا،

أحيانًا الميدي وأحيانًا أخرى بعض الدوريين الأحرار من البيلوبونيز المستقلة، المقيمين في صقلية. أم أننا ننتظر حتى يتم القبض علينا بالتفصيل، مدينة تلو الأخرى؛ "وهل نتصور أن الخطر لن يطال كل واحد منا بأي طريقة أخرى، وأن من يعاني قبلنا سوف يعاني وحده؟"

"أما الكاماريني الذي يقول إن السيراقوسيين، وليس هو، هم أعداء الأثينيين، والذي يرى أنه من الصعب عليه أن يواجه المخاطر من أجل بلدي، فأنا أريده أن يضع في اعتباره أنه سيقاتل في بلدي، ليس من أجل بلدي أكثر من أجل بلده، وبصورة أكثر أمانًا لأنه سيدخل الصراع ليس بمفرده، بعد أن تم تمهيد الطريق بخرابتي، بل معي كحليف له، وأن هدف الأثيني ليس معاقبة عداوة السيراقوسيين بقدر ما هو استخدامي كعمياء لتأمين صداقة الكاماريني. أما بالنسبة لمن يحسدنا أو حتى يخافنا (ولا بد أن القوى العظمى التي يحسدنا عليها ويخافها دائمًا)، والذي لهذا السبب يرغب في تواضع سيراكوزا لتلقيننا درسًا، لكنه مع ذلك يرغب في بقائها، فمن أجل أمنه الشخصي، فإن الرغبة التي ينغمس فيها ليست ممكنة بشريًا. "إن الإنسان يستطيع أن يتحكم في رغباته، ولكنه لا يستطيع كذلك أن يتحكم في الظروف؛ وفي حال ثبوت خطأ حساباته، فإنه قد يعيش ليبكي على سوء حظه، ويتمنى أن يحسدني على رخائي مرة أخرى. إن هذه الرغبة الفارغة هي أن يضحي بنا الآن ويرفض أن يتحمل نصيبه من المخاطر التي هي نفسها، في الواقع وإن لم تكن في الاسم، بالنسبة له كما هي بالنسبة لنا؛ فما هو ظاهريًا الحفاظ على قوتنا هو في الحقيقة خلاصه. كان من المتوقع أنكم، من بين جميع شعوب العالم، أهل كامارينا، باعتباركم جيراننا المباشرين والقادمين في خطر، كنتم لتتوقعوا هذا، وبدلاً من دعمنا بالطريقة الفاترة التي تفعلونها الآن، تفضلون أن تأتوا إلينا من تلقاء أنفسكم، وأن تقدموا الآن في سيراقوسة المساعدة التي كنتم ستطلبونها في كامارينا، لو جاء الأثينيون إلى كامارينا أولاً، لتشجيعنا على مقاومة الغزاة. ولكن لا أنتم ولا البقية تحركوا أنفسكم في هذا الاتجاه حتى الآن.

"ربما يدفعك الخوف إلى دراسة كيفية القيام بالصواب في التعامل معنا وفي التعامل مع الغزاة، والتظاهر بأنك متحالف مع الأثينيين. لكنك لم تقم بهذا التحالف ضد أصدقائك، بل ضد الأعداء الذين قد يهاجمونك، ولمساعدة الأثينيين عندما ظلمهم الآخرون، وليس عندما يظلمون جيرانهم كما يحدث الآن. حتى الريجيون، على الرغم من كونهم كالسيديين، يرفضون المساعدة في استعادة ليونتينيي كالسيديين؛ وسيكون من الغريب أن تختار أنت، بكل ما في وسعك، مساعدة أعدائك الطبيعيين، والانضمام إلى ألد أعدائهم في القضاء على أولئك الذين جعلتهم الطبيعة أقرباء لك. هذا ليس عملاً صالحًا؛ لكن يجب أن تساعدنا دون خوف من أسلحتهم، والتي لا تثير الرعب إذا تماسكنا، ولكن فقط إذا سمحنا لهم بالنجاح في مساعيهم لفصلنا؛ فحتى بعد أن هاجمونا بأنفسنا وانتصروا في المعركة، كان عليهم أن ينصرفوا دون أن يحققوا هدفهم.

"ولذلك، فإننا متحدون، وليس لدينا سبب لليأس، بل إننا نتلقى تشجيعًا جديدًا للتحالف معًا؛ خاصة وأن المساعدة ستأتي إلينا من البيلوبونيزيين، الذين يتفوقون بلا شك على الأثينيين في الأمور العسكرية. ولا ينبغي لك أن تعتقد أن سياستك الحكيمة في عدم الانحياز إلى أي من الجانبين، لأنهم حلفاء لكليهما، إما آمنة لك أو عادلة لنا. من الناحية العملية، فهي ليست عادلة كما تدعي. إذا هُزم المهزوم، وانتصر المنتصر، من خلال رفضك الانضمام، فما هو تأثير امتناعك عن الانضمام سوى ترك الأول يهلك دون مساعدة، والسماح للأخير بالإساءة دون عوائق؟ ومع ذلك، فمن الأكثر شرفًا الانضمام إلى أولئك الذين ليسوا فقط الطرف المتضرر، بل وأقاربك، وبذلك تدافع عن المصالح المشتركة لصقلية وتنقذ أصدقائك الأثينيين من ارتكاب الخطأ.

"وفي الختام، نقول نحن أهل سيراقوسة إنه من غير المجدي أن نظهر لكم أو للآخرين ما تعرفونه بالفعل كما نعرفه نحن؛ ولكننا نطلب، وإذا فشل طلبنا، فإننا نعترض

على أننا مهددون من قبل أعدائنا الأبديين الأيونيين، وأنكم خُدِئتم من قبل زملائنا الدوريين. وإذا أذلنا الأثينيون، فسوف يدينون بانتصارهم لقراركم، ولكن باسمهم سوف يحصدون الشرف، وسوف يتلقون كجائزة لانتصارهم نفس الرجال الذين مكنوهم من الحصول عليه. من ناحية أخرى، إذا كنا الفاتحين، فسوف تضطرون إلى دفع ثمن كونكم سببًا في الخطر الذي نتعرض له. لذا، فكروا؛ واختاروا الآن بين الأمان الذي توفره العبودية الحالية وبين احتمال الانتصار معنا وبالتالي الهروب من الخضوع المخزي لسيد أثيني وتجنب العداوة الدائمة لسيراكوزا."

وكانت هذه كلمات هيرموقراطس، الذي تحدث بعده إيفيموس السفير الأثيني على النحو التالي:

"ورغم أننا جئنا إلى هنا فقط لتجديد التحالف السابق، فإن هجوم السراقوسيين يفرض علينا الحديث عن إمبراطوريتنا وعن الحق الذي نتمتع به فيها. وأفضل دليل على ذلك ما قدمه المتحدث نفسه، عندما وصف الأيونيين بأنهم أعداء أبديون للدوريين. إنها حقيقة؛ ولأن الدوريين البيلوبونيسين كانوا متفوقين علينا من حيث العدد وجيراننا المجاورين، فقد بحثنا نحن الأيونيون عن أفضل وسيلة للهروب من هيمنتهم. وبعد الحرب الميدية كان لدينا أسطول، وبالتالي تخلصنا من إمبراطورية وسيادة اللاكيديمونيين، الذين لم يكن لهم الحق في إصدار أوامر لنا أكثر مما نصدرها لهم، باستثناء كونهم الأقوى في تلك اللحظة؛ ولقد عيننا قادة لرعايا الملك السابقين، وما زلنا كذلك، معتقدين أننا أقل عرضة للوقوع تحت سيطرة البيلوبونيزيين، إذا كان لدينا قوة للدفاع عن أنفسنا بها، وفي الحقيقة الصارمة لم نفعل شيئًا غير عادل في إخضاع الأيونيين وسكان الجزر، الأقارب الذين يقول السيراقوسيون أننا استعبدناهم. لقد جاءوا، أقاربنا، ضد وطنهم الأم، أي ضدنا، جنبًا إلى جنب مع الميديين، وبدلاً من أن يمتلكوا الشجاعة للثورة والتضحية بممتلكاتهم كما فعلنا عندما هجرنا مدينتنا، اختاروا أن يكونوا عبيدًا بأنفسهم، وأن يحاولوا جعلنا كذلك.

"إننا نستحق الحكم لأننا وضعنا أكبر أسطول ووطنية لا تلين في خدمة اليونانيين، ولأن هؤلاء رعايانا ألحقوا بنا الأذى بخضوعهم السريع للميديين؛ ولأننا ننفصل عنهم ونسعى إلى تقوية أنفسنا ضد البيلوبونيزيين. ولا ندعي أننا نملك الحق في الحكم لأننا أسقطنا البرابرة بمفردنا، أو لأننا خاطرنا بما خاطرنا به من أجل حرية الرعايا المعنيين أكثر من خاطرنا بحرية الجميع، ومن أجل حريتنا: فلا يمكن التنازع مع أحد من أجل توفير سلامته المناسبة. وإذا كنا الآن هنا في صقلية، فإن ذلك يصب في مصلحتنا الأمنية، وهو ما ندرك أن مصلحتكم تتفق معه أيضًا. وتثبت هذا من السلوك الذي انتقدنا به أهل سيراقوسة والذي تشك فيه إلى حد ما؛ مع العلم أن أولئك الذين أثار الخوف شكوكهم قد ينجرفون وراء سحر البلاغة في الوقت الحالي، ولكن عندما يأتون إلى العمل فإنهم يتبعون مصالحهم.

"الآن، كما قلنا، فإن الخوف يجعلنا نتمسك بإمبراطوريتنا في اليونان، والخوف يجعلنا الآن نأتي، بمساعدة أصدقائنا، لتنظيم الأمور بأمان في صقلية، وليس لاستعباد أي شخص بل لمنع أي شخص من الاستعباد. وفي الوقت نفسه، لا يتصور أحد أننا مهتمون بك دون أن يكون لك أي علاقة بنا، حيث أنه إذا تم الحفاظ عليك وتمكنك من مواجهة السيراقوسيين، فسيكون من غير المرجح أن يؤذونا بإرسال قوات إلى البيلوبونيز. وبهذه الطريقة، لديك كل ما تفعله معنا، ولهذا السبب من المعقول تمامًا أن نعيد الليونتينيين، وأن نجعلهم ليسوا رعايا مثل أقاربهم في أوبيا، بل أقوياء قدر الإمكان، لمساعدتنا عن طريق إزعاج السيراقوسيين من حدودهم. في اليونان، نحن ند لأعدائنا فقط؛ وأما بالنسبة للزعم بأن من المنطقي تمامًا أن نحرر الصقليين، بينما نستعبد الخلقيديان، فإن الحقيقة هي أن الأخيرين مفيدون لنا لكونهم بلا أسلحة ويساهمون بالمال فقط؛ في حين أن الأولين، الليونتينيون وأصدقائنا الآخرين، لا يمكنهم أن يكونوا مستقلين إلى حد كبير.

"بالإضافة إلى ذلك، لا يوجد شيء غير معقول بالنسبة للطغاة والمدن الإمبراطورية إذا كان مناسبًا، ولا أحد قريب ما لم يكن متأكدًا؛ لكن الصداقة أو العداوة في كل مكان هي مسألة وقت وظروف. هنا، في صقلية، ليس مصلحتنا إضعاف أصدقائنا، ولكن من خلال قوتهم لإعاقة أعدائنا. لماذا نشك في هذا؟ في اليونان نعامل حلفائنا كما نجدهم مفيدين. يحكم الخيانيون والميثيمينيون أنفسهم ويقدمون السفن؛ معظم الباقي لديهم شروط أكثر صرامة ويدفعون الجزية بالمال؛ بينما الآخرون، على الرغم من كونهم من سكان الجزر ويسهل علينا أسرهم، أحرار تمامًا، لأنهم يشغلون مواقع ملائمة حول البيلوبونيز. لذلك، في توطيننا للدول هنا في صقلية، يجب أن نسترشد بطبيعة الحال بمصلحتنا، والخوف، كما نقول، من السيراقوسيين. إن طموحهم هو أن يحكموكم، وهدفهم هو أن يستخدموا الشكوك التي تثيرها لتوحيدكم، ثم بعد أن نرحل دون أن نحدث أي تأثير، بالقوة أو من خلال عزلتكم، يصبحون سادة صقلية. ولابد وأن يصبحوا سادة إذا اتحدتم معهم؛ لأن قوة بهذا الحجم لن يكون من السهل علينا التعامل معها متحدين، وسوف يكونون أكثر من ند لكم بمجرد رحيلنا.

"إن أي وجهة نظر أخرى للقضية مدانة بالحقائق. فعندما سألتنا لأول مرة، كان الخوف الذي أبديته هو الخطر الذي قد تتعرض له أثينا إذا سمحنا لك بالخضوع لسيطرة سيراكيوز؛ وليس من المناسب الآن أن نشك في نفس الحجة التي زعمت أنها أقنعتنا بها، أو أن نستسلم للشكوك لأننا جئنا بقوة أكبر ضد قوة تلك المدينة. إن أولئك الذين يجب أن لا تثق بهم حقًا هم أهل سيراكيوز. "إننا لا نستطيع البقاء هنا بدونكم، وإذا أثبتنا خيانتنا بما يكفي لإخضاعكم، فلن نتمكن من إبقاءكم في الأسر، وذلك بسبب طول الرحلة وصعوبة حراسة المدن الكبيرة، والواقعة في القارة من الناحية العسكرية: إن أهل سيراقوسة يعيشون بالقرب منكم، ليس في معسكر، بل في مدينة أكبر من القوة التي لدينا معنا، ويتآمرون ضدكم دائمًا، ولا يتركون فرصة تُتاح لهم أبدًا، كما أظهروا في حالة الليونتينيين وغيرهم، والآن لديهم الوجه، تمامًا كما

لو كنتم حمقى، لدعوتكم لمساعدتهم ضد القوة التي تعوق ذلك، والتي حافظت حتى الآن على استقلال صقلية. ونحن، ضدهم، ندعوكم إلى أمان أكثر واقعية، عندما نتوسل إليكم ألا تخونوا الأمان المشترك الذي يتمتع به كل منا في الآخر، وأن تفكروا في أنهم، حتى بدون حلفاء، سيكونون، بأعدادهم، دائمًا الطريق مفتوحًا أمامكم، بينما لن تتاح لكم الفرصة للدفاع عن أنفسكم بمثل هذا العدد الكبير من القوات المساعدة؛ إذا سمحت لهم بالرحيل من خلال شكوكك مرة واحدة دون نجاح أو هزيمة، فسوف ترغب في رؤية عدد قليل منهم مرة أخرى، عندما يمر اليوم الذي يمكن لوجودهم فيه أن يفعل أي شيء لك.

"لكننا نأمل، أيها الكامارينيون، ألا تنجح افتراءات السيراقوسيين سواء معكم أو مع البقية: لقد أخبرناكم بالحقيقة كاملة بشأن الأشياء التي يُشتبه فينا بها، وسنعيد تلخيصها الآن بإيجاز، على أمل إقناعكم. نؤكد أننا حكام في اليونان حتى لا نكون رعايا؛ ومحررون في صقلية حتى لا يؤذينا الصقليون؛ وأننا مجبرون على التدخل في أشياء كثيرة، لأن لدينا أشياء كثيرة يجب أن نحذر منها؛ وأننا الآن، كما في السابق، أتينا كحلفاء لأولئك منكم الذين يعانون من الظلم في هذه الجزيرة، ليس بدون دعوة ولكن بناءً على دعوة. وعليه، فبدلاً من أن تجعلوا من أنفسكم قضاة أو رقباء على سلوكنا، ومحاولة تحويلنا، وهو ما أصبح من الصعب القيام به الآن، بقدر ما يوجد أي شيء في سياستنا التدخلية أو في شخصيتنا يتوافق مع مصلحتكم، خذوا هذا واستخدموه؛ "وتأكدوا أن هذه السياسة، بعيدًا عن كونها ضارة للجميع على حد سواء، مفيدة أيضًا لمعظم اليونانيين. بفضلها، فإن جميع الرجال في جميع الأماكن، حتى حيث لا نكون، الذين يخشون أو يفكرون في العدوان، من احتمال قريب أمامهم، في حالة واحدة للحصول على تدخلنا لصالحهم، وفي الحالة الأخرى، وصولنا الذي يجعل المغامرة خطيرة، يجدون أنفسهم مضطرين، على التوالي، إلى الاعتدال ضد إرادتهم، والحفاظ عليهم دون مشاكل من جانبهم. لا ترفضوا هذا الأمن المفتوح لكل من يرغب فيه،

والذي يُعرض عليكم الآن؛ ولكن افعلوا مثل الآخرين، وبدلاً من أن تكونوا دائمًا في موقف دفاعي ضد السراقوسيين، اتحدوا معنا، وبدوركم في النهاية هددوهم".

"كانت هذه كلمات إيفيموس. وما شعر به الكامارينيون هو هذا. إنهم كانوا يتعاطفون مع الأثينيين، باستثناء ما قد يخشونه من صقلية الخاضعة لهم، وكانوا دائمًا في عداوة مع جارتهم سيراقوسة. ولكن نظرًا لكونهم جيرانهم، فقد كانوا يخشون السيراقوسيين أكثر من غيرهم، ولأنهم كانوا يخشون غزوهم حتى بدونهم، فقد أرسلوا إليهم في المقام الأول القليل من الفرسان المذكورين، وكانوا عازمون في المستقبل على دعمهم في الواقع، وإن كان ذلك بأقل قدر ممكن؛ ولكن في الوقت الحالي، حتى لا يبدو أنهم يستخفون بالأثينيين، وخاصة أنهم نجحوا في الاشتباك، فقد أجابوا الطرفين على حد سواء. وبموافقة على هذا القرار، أجابوا أنه نظرًا لأن كلا الطرفين المتنازعين حليفان لهم، فإنهم يرون أنه من الأكثر انسجامًا مع قسمهم في الوقت الحاضر ألا يقفوا إلى جانب أي منهما؛ وبسبب هذا الرد غادر سفراء أي من الطرفين.

وفي الوقت نفسه، بينما كانت سيراكوزا تواصل استعداداتها للحرب، كان الأثينيون يعسكرون في ناكسوس، ويحاولون من خلال المفاوضات كسب أكبر عدد ممكن من الصقليين. وكان معظم سكان الأراضي المنخفضة، ورعايا سيراكوزا، منعزلين؛ ولكن شعوب المناطق الداخلية التي لم تكن قط مستقلة، باستثناءات قليلة، انضمت على الفور إلى الأثينيين، وجلبت القمح للجيش، وفي بعض الحالات حتى المال. وسار الأثينيون ضد أولئك الذين رفضوا الانضمام، وأجبروا بعضهم على الانضمام؛ وفي حالة الآخرين أوقفهم السيراكوزيون الذين أرسلوا حاميات وتعزيزات. وفي الوقت نفسه، نقل الأثينيون مقارهم الشتوية من ناكسوس إلى كاتانا، وأعادوا بناء المخيم الذي أحرقه السيراكوزيون، وبقوا هناك بقية الشتاء. كما أرسلوا سفينة شراعية إلى قرطاج، مع عروض الصداقة، على أمل الحصول على المساعدة، وأخرى إلى تيرينيا؛ ولقد

عرضت بعض المدن هناك الانضمام إليهم في الحرب من تلقاء نفسها. كما أرسلوا إلى الصقليين وإيجستا، طالبين منهم أن يرسلوا إليهم أكبر عدد ممكن من الخيول، وفي الوقت نفسه أعدوا الطوب والحديد وكل الأشياء الأخرى اللازمة لعملية الالتفاف، وكانوا يعتزمون بدء الأعمال العدائية بحلول الربيع.

وفي الوقت نفسه، حاول المبعوثون السراقسيون الذين أُرسلوا إلى كورنثوس ولاكيدايمون أثناء مرورهم على طول الساحل إقناع الإيطاليين بالتدخل في إجراءات الأثينيين، الذين هددوا إيطاليا تمامًا كما هددوا سرقوسة، وبعد وصولهم إلى كورنثوس ألقوا خطابًا يدعو الكورنثيين إلى مساعدتهم على أساس أصلهم المشترك. صوت الكورنثيون على الفور على مساعدتهم قلبًا وروحًا، ثم أرسلوا مبعوثين معهم إلى لاكيدايمون، لمساعدتهم في إقناعها أيضًا بمواصلة الحرب مع الأثينيين بشكل أكثر صراحة في الداخل وإرسال المساعدات إلى صقلية. بعد أن وصل المبعوثون من كورنثوس إلى لاكيدايمون، وجدوا هناك ألكيبياديس مع زملائه اللاجئين، الذين عبروا على الفور في سفينة تجارية من ثوري، أولاً إلى سيلين في إليس، وبعد ذلك من هناك إلى لاكيدايمون؛ "وبعد أن حصل على إذن من أهل لاكيدايمون، بعد أن خاف منهم بسبب الدور الذي لعبه في قضية مانتينيا، كانت النتيجة أن أهل كورنثوس، وسيراكوزا، وألكيبياديس، الذين ألحوا على نفس الطلب في جمعية لاكيدايمون، نجحوا في إقناعهم؛ ولكن بما أن الأيفور والسلطات، على الرغم من عزمهم على إرسال مبعوثين إلى سيراكوزا لمنع استسلامهم للأثينيين، لم يظهروا أي استعداد لإرسال أي مساعدة لهم، فقد تقدم ألكيبياديس الآن وأثار حفيظة أهل لاكيدايمون وحركهم بقوله:

"أُضطر أولاً إلى التحدث إليك عن التحيز الذي يُنظر إليّ به، حتى لا يجعلك الشك غير راغب في الاستماع إليّ في الأمور العامة. لقد حاولت شخصيًا تجديد الصلة بك باعتبارك وكيلًا لك، والتي نبذها أسلاف عائلتنا بسبب بعض السخط، من خلال

خدماتي الطبية تجاهك، وخاصةً في مناسبة الكارثة في بيلوس. ولكن على الرغم من أنني حافظت على هذا الموقف الودي، إلا أنك اخترت التفاوض على السلام مع الأثينيين من خلال أعدائي، وبالتالي تقويتهم وتشويه سمعتي. لذلك لم يكن لديك الحق في الشكوى إذا لجأت إلى المانتينيين والأرجيفيين، واستغليت فرصًا أخرى لإحباطك وإيذائك؛ وقد حان الوقت الآن لأولئك من بينكم، الذين ربما كانوا في مرارة اللحظة غاضبين مني ظلماً، أن ينظروا إلى الأمر في ضوءه الحقيقي، وأن يتخذوا وجهة نظر مختلفة. "إن أولئك الذين حكموا عليّ بشكل غير مواتٍ، لأنني كنت أميل إلى جانب عامة الناس، لا ينبغي لهم أن يعتقدوا أن كراهيتهم لي لها أساس أفضل. لقد كنا دائمًا معادين للطغاة، وكل من يعارض السلطة التعسفية يُطلق عليه عامة الناس؛ ومن ثم واصلنا العمل كزعماء للجماهير؛ بالإضافة إلى ذلك، بما أن الديمقراطية كانت حكومة المدينة، فقد كان من الضروري في معظم الأمور أن تتوافق مع الظروف القائمة. ومع ذلك، فقد سعينا إلى أن نكون أكثر اعتدالًا من المزاج الفاسق في ذلك الوقت؛ وبينما كان هناك آخرون، سابقًا كما هو الحال الآن، حاولوا تضليل الجماهير - نفس الشخص الذي نفيني - فإن حزبنا كان حزب الشعب بأكمله، وكان عقيدتنا هي القيام بدورنا في الحفاظ على شكل الحكومة الذي تتمتع المدينة في ظله بأقصى قدر من العظمة والحرية، والذي وجدناه موجودًا. أما بالنسبة للديمقراطية، فقد عرف الرجال العقلاء بيننا ما هي، وربما كنت أفضل من أي شخص آخر، حيث لدي المزيد من الأسباب للشكوى منها؛ ولكن ليس هناك ما هو جديد يمكن أن يقال عن هذا السخافة الواضحة؛ وفي الوقت نفسه لم نعتقد أنه من الآمن تغييرها تحت ضغط عدائك.

"لقد كان هذا كل ما في الأمر فيما يتعلق بالتحيزات التي ينظرون إلي بها: يمكنني الآن أن ألفت انتباهكم إلى الأسئلة التي يجب أن تفكروا فيها، والتي ربما تسمح لي المعرفة المتفوقة بالحديث عنها. لقد أبحرنا إلى صقلية أولاً لغزو الصقليين، إن أمكن، وبعدهم الإيطاليين أيضًا، وأخيرًا لمهاجمة إمبراطورية ومدينة قرطاج. في حالة نجاح

كل أو معظم هذه المخططات، كان من المقرر أن نهاجم البيلوبونيز، ونحضر معنا كامل قوة الإغريق التي اكتسبناها مؤخرًا في تلك الأجزاء، ونأخذ عددًا من البرابرة إلى خدمتنا، مثل الإيبيريين وغيرهم في تلك البلدان، والذين يُعترف بأنهم الأكثر حربية، ونبني العديد من السفن الشراعية بالإضافة إلى تلك التي لدينا بالفعل، حيث أن الأخشاب وفيرة في إيطاليا؛ ومع قيام هذا الأسطول بحصار البيلوبونيز من البحر ومهاجمتها بجيوشنا عن طريق البر، والاستيلاء على بعض المدن، وفرض أعمال الالتفاف حول مدن أخرى، كنا نأمل دون صعوبة في تقليصها، وبعد ذلك نحكم الاسم اليوناني بالكامل. وفي غضون ذلك، كان من المقرر توفير المال والذرة لتنفيذ هذه الخطط بشكل أفضل بكميات كافية من الأماكن المكتسبة حديثًا في تلك البلدان، بغض النظر عن عائداتنا هنا في الوطن.

"لقد سمعتم تاريخ الحملة الحالية من الرجل الذي يعرف أهدافنا على وجه التحديد؛ وسوف يقوم القادة المتبقون، إذا استطاعوا، بتنفيذ هذه الأهداف بنفس الطريقة. ولكنني سأوضح الآن أن الدول في صقلية يجب أن تستسلم إذا لم تساعدوها. على الرغم من أن الصقليين، بكل قلة خبرتهم، قد ينجوون الآن إذا توحدت قواتهم، فإن السيراقوسيين وحدهم، الذين هُزموا بالفعل في معركة واحدة بكل شعبهم ومحاصرون من البحر، لن يتمكنوا من الصمود في وجه الأسلحة الأثينية الموجودة هناك الآن. ولكن إذا سقطت سيراكيوز، فسوف تسقط صقلية بأكملها أيضًا، وإيطاليا بعد ذلك مباشرة؛ والخطر الذي تحدثت عنه للتو من تلك المنطقة سوف يلاحقكم قريبًا. لا أحد يحتاج إذن إلى أن يتخيل أن صقلية فقط هي المعنية؛ ستكون البيلوبونيز كذلك أيضًا، ما لم تفعلوا بسرعة كما أقول لكم، وترسلوا على متن السفن إلى سيراكيوز قوات قادرة على تجديف سفنها بنفسها، والعمل كقوات مشاة ثقيلة بمجرد وصولها إلى البر؛ "وأعتقد أن الأمر الأكثر أهمية من القوات هو تعيين قائد إسبرطي لتأديب القوات الموجودة بالفعل وإجبار الرافضين على الخدمة. وبذلك يصبح الأصدقاء الذين لديك بالفعل أكثر ثقة، وسيشجع المترددون على الانضمام

إليك. وفي الوقت نفسه، يجب أن تواصل الحرب هنا بشكل أكثر صراحة، حتى يتمكن أهل سيراقوسة، الذين يرون أنك لا تنساهم، من تعزيز مقاومتهم، وحتى يصبح الأثينيون أقل قدرة على تعزيز أسلحتهم. يجب عليك تحصين ديسيليا في أتيكا، الضربة التي يخافها الأثينيون دائمًا وهي الضربة الوحيدة التي يعتقدون أنهم لم يتعرضوا لها في الحرب الحالية؛ إن الطريقة الأكثر أمانًا لإيذاء العدو هي معرفة ما يخشاه أكثر، واختيار هذه الوسيلة لمهاجمته، لأن كل شخص يعرف بطبيعة الحال نقاط ضعفه ويخاف وفقًا لذلك. إن التحصين المذكور، على الرغم من أنه مفيد لك، سيخلق صعوبات لخصومك، والتي سأتجاوز عنها العديد منها، وسأذكر فقط أهمها. "إن كل ما يوجد من ممتلكات في البلاد سوف يصبح ملكًا لكم، إما بالاستيلاء عليها أو بالاستسلام؛ وسوف يُحرم الأثينيون على الفور من عائداتهم من مناجم الفضة في لوريوم، ومن مكاسبهم الحالية من أراضيهم ومن المحاكم، وفوق كل ذلك العائدات من حلفائهم، والتي سوف تُدفع لهم بشكل أقل انتظامًا، حيث يفقدون رهبتهم من أثينا ويرونكم تتوجهون بقوة إلى الحرب. إن الحماسة والسرعة التي سيتم بها القيام بكل هذا تعتمدان على أنفسكم، أيها اللاكديمونيون؛ أما فيما يتعلق بإمكانية حدوث ذلك، فأنا على ثقة تامة، ولا أخشى أن أخطئ.

"وفي الوقت نفسه، آمل ألا يظن أحد منكم بي سوءًا إذا انضممت الآن إلى ألد أعدائي في مهاجمة بلدي بعد أن كنت حتى الآن محبًا لبلدي، أو يشتبه في أن ما أقوله هو ثمرة حماسة خارج عن القانون. فأنا خارج عن القانون بسبب إثم أولئك الذين طردوني، وليس بسبب خدمتكم، إذا كنتم سترشدونني؛ وألد أعدائي ليسوا أنتم الذين ألحقوا الأذى بأعدائكم فحسب، بل أولئك الذين أجبروا أصدقاءهم على أن يصبحوا أعداء؛ وحب الوطن هو ما لا أشعر به عندما أتعرض للظلم، بل هو ما شعرت به عندما كنت آمنًا بحقوقي كمواطن. والواقع أنني لا أعتبر أنني أهاجم الآن بلدًا لا يزال ملكي؛ بل إنني أحاول استعادة بلد لم يعد ملكي؛ والمحب الحقيقي لوطنه ليس من يوافق على خسارته ظلماً بدلاً من مهاجمته، بل من يتوق إليه كثيرًا لدرجة أنه

سيبذل قصارى جهده لاستعادته. "أما أنا، أيها اللاكديمونيون، فأرجوكم أن تستخدموني بلا تردد في مواجهة الأخطار والمتاعب من كل نوع، وأن تتذكروا الحجة التي يتداولها الجميع، والتي تقول إنني إذا ألحقت بكم ضررًا كبيرًا كعدو، فإنني أستطيع أيضًا أن أقدم لكم خدمة جيدة كصديق، بقدر ما أعرف خطط الأثينيين، بينما كنت أخمن خططكم فقط. أما أنتم فأرجوكم أن تصدقوا أن مصالحكم الأكثر أهمية قيد المداولة الآن؛ وأحثكم على إرسال البعثات إلى صقلية وأتيكا دون تردد؛ فبوجود جزء صغير من قواتكم ستنقذون المدن المهمة في تلك الجزيرة، وستدمرون قوة أثينا الحالية والمستقبلية؛ وبعد ذلك ستعيشون في أمان وتتمتعون بالتفوق على كل اليونان، لا بالاعتماد على القوة ولكن على الموافقة والمودة".

"كانت هذه كلمات ألكيبيادس. لقد أصبح أهل لاكيدايمون، الذين كانوا ينوون في السابق الزحف على أثينا، ولكنهم كانوا لا يزالون ينتظرون وينظرون حولهم، أكثر جدية عندما تلقوا هذه المعلومات الخاصة من ألكيبيادس، واعتبروا أنهم سمعوها من الرجل الذي يعرف حقيقة الأمر أفضل من غيره. وبناءً على ذلك، حولوا انتباههم الآن إلى تحصين ديسيليا وإرسال المساعدة الفورية إلى الصقليين؛ وعينوا جيليبوس، ابن كليندريداس، لقيادة السراقوسيين، وأمره بالتشاور مع ذلك الشعب ومع الكورنثيين وترتيب وصول المساعدات إلى الجزيرة بأفضل طريقة وأسرع طريقة ممكنة في ظل الظروف. طلب جيليبوس من الكورنثيين أن يرسلوا له على الفور سفينتين إلى أسين، وأن يعدوا الباقي الذي يعتزمون إرساله، وأن يعدوهم للإبحار في الوقت المناسب. وبعد أن استقروا على هذا الأمر، غادر المبعوثون لاكيدايمون.

وفي هذه الأثناء وصلت القافلة الأثينية من صقلية، التي أرسلها القادة للحصول على المال والفرسان؛ وبعد أن سمع الأثينيون بما يريدونه، صوتوا على إرسال الإمدادات اللازمة للتسليح والفرسان. وانتهى الشتاء، وانتهت معه السنة السابعة عشرة من الحرب الحالية التي يؤرخ لها ثوسيديديس.

وفي الصيف التالي، في بداية الموسم، انطلق الأثينيون من كاتانا وأبحروا على طول الساحل إلى ميجارا في صقلية، والتي طرد منها السيراقوسيون، كما ذكرت آنفًا، سكانها في عهد طاغيتهم جيلو، واحتلوا المنطقة بأنفسهم. وهناك نزل الأثينيون ودمروا البلاد، وبعد هجوم فاشل على حصن للسيراقوسيين، ذهبوا بأسطولهم وجيشهم إلى نهر تيرياس، وتقدموا إلى الداخل ودمروا السهل وأشعلوا النار في الذرة؛ وبعد أن قتلوا بعض أفراد مجموعة صغيرة من السيراقوسيين الذين واجهوهم، وأقاموا غنائم، عادوا مرة أخرى إلى سفنهم. ثم أبحروا إلى كاتانا وتزوّدوا بالمؤن هناك، وذهبوا بكامل قوتهم إلى سنتوريبا، وهي مدينة في صقلية، واستولوا عليها بالاستسلام، وغادروا بعد أن أحرقوا أيضًا حبوب الإينيسيين والهيبلينيين. وعند عودتهم إلى كاتانا، وجدوا أن الفرسان قد وصلوا من أثينا، وعددهم مائتان وخمسون (مع معداتهم، ولكن بدون خيولهم التي كان من المقرر الحصول عليها من الموقع)، وثلاثين من الرماة على ظهور الخيل وثلاثمائة تالنت من الفضة.

وفي نفس الربيع زحف اللاكيديمونيون ضد أرغوس، ووصلوا إلى كليونا، فحدث زلزال أجبرهم على العودة. وبعد ذلك غزا الأرجيون ثيرياتيد، التي كانت على حدودهم، واستولوا على غنائم كثيرة من اللاكيديمونيين، والتي بيعت بما لا يقل عن خمسة وعشرين تالنتًا. وفي نفس الصيف، بعد فترة وجيزة، شن عامة الناس في ثيسبيان هجومًا على الحزب الحاكم، ولم ينجح الهجوم، لكن المساعدات وصلت من طيبة، وتم القبض على البعض، بينما لجأ آخرون إلى أثينا.

"في الصيف نفسه علم السيراقوسيون أن الأثينيين قد انضم إليهم فرسانهم، وأنهم على وشك الزحف ضدهم؛ ورأوا أنه بدون السيطرة على إبيبولاي، وهي بقعة شديدة الانحدار تقع مباشرة فوق المدينة، لا يستطيع الأثينيون، حتى لو انتصروا في المعركة، مهاجمتهم بسهولة، فقد قرروا حراسة مداخلها، حتى لا يتمكن العدو من الصعود دون أن يلاحظه أحد، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي كان الصعود ممكنًا بها،

حيث أن الباقي عبارة عن أرض مرتفعة، وتقع مباشرة إلى المدينة، ويمكن رؤية كل شيء من الداخل؛ ولأنها تقع فوق بقية المكان، يطلق عليه السيراقوسيون إبيبولاي أو أوفرتاون. "وخرجوا عند شروق الشمس بأعداد كبيرة إلى المرج على طول نهر أنابوس، وكان جنرالاتهم الجدد، هيرموكراتيس وزملاؤه، قد تولوا للتو مناصبهم، وقاموا بمراجعة قوات المشاة الثقيلة، التي اختاروا منها أولاً قوة مختارة من ستمائة جندي، تحت قيادة ديوميلوس، المنفي من أندروس، لحراسة إبيبولاي، والاستعداد للحشد في أي لحظة للمساعدة حيثما كانت هناك حاجة للمساعدة.

وفي الوقت نفسه، كان الأثينيون في نفس الصباح يعقدون استعراضًا، بعد أن استولوا بالفعل على أرض غير مرئية بكل الأسلحة من كاتانا، قبالة مكان يُدعى ليون، على بعد أقل من نصف ميل من إبيبولاي، حيث نزلوا بجيشهم، وأوصلوا الأسطول إلى المرسى في تابسوس، شبه جزيرة تمتد إلى البحر، بها برزخ ضيق، وليست بعيدة عن مدينة سيراكيوز سواء عن طريق البر أو البحر. وبينما أقامت القوة البحرية للأثينيين سياجًا عبر البرزخ وظلت هادئة في تابسوس، انطلق الجيش البري على الفور في هروب إلى إبيبولاي، ونجح في الوصول إلى يوريلوس قبل أن يدركهم السيراقوسيون، أو يتمكن من الخروج من المرج والاستعراض. تقدم ديوميلوس مع ستمائة رجل وبقية رجاله بأسرع ما يمكن، لكن كان عليهم أن يقطعوا ما يقرب من ثلاثة أميال من المرج قبل الوصول إليهم. وبعد أن هاجموا بهذه الطريقة في فوضى كبيرة، هُزم السيراقوسيون في معركة إبيبولاي وانسحبوا إلى المدينة، بعد أن خسروا نحو ثلاثمائة قتيل، وكان من بينهم ديوميلوس. وبعد ذلك أقام الأثينيون غنائمهم وأعادوا إلى السيراقوسيين قتلاهم بموجب هدنة، وفي اليوم التالي نزلوا إلى سيراكيوز نفسها؛ ولم يخرج أحد لملاقاتهم، فصعدوا مرة أخرى وبنوا حصنًا في لابدالوم، على حافة منحدرات إبيبولاي، متطلعين نحو ميجارا، ليكون بمثابة مخزن لأمتعتهم وأموالهم كلما تقدموا إلى المعركة أو للعمل في الخطوط.

وبعد فترة وجيزة، وصل إليهم ثلاثمائة فارس من إجستا، ونحو مائة من الصقليين والناكسيين وغيرهم؛ وهكذا، مع المائتين والخمسين فارسًا من أثينا، الذين حصلوا لهم على خيول من الإجستايين والكاتانيين، بالإضافة إلى خيول أخرى اشتروها، حشدوا الآن ستمائة وخمسين فارسًا في المجموع. وبعد أن نشروا حامية في لابدالوم، تقدموا إلى سيكا، حيث جلسوا وبنوا بسرعة الدائرة أو مركز سورهم المحيط. وقد روع أهل سيراقوسة السرعة التي تقدم بها العمل، فقرروا الخروج لمواجهتهم وخوض معركة ومقاطعة ذلك؛ وكان الجيشان بالفعل في صفوف المعركة، عندما لاحظ القادة السيراقوسيون أن قواتهم واجهت صعوبة كبيرة في الوقوف في الصف، وكانت في حالة من الفوضى، فقادوهم إلى المدينة، باستثناء جزء من الفرسان. وقد بقيت هذه الحواجز ومنعت الأثينيين من حمل الحجارة أو الانتشار إلى مسافة كبيرة، حتى هاجمت قبيلة من المشاة الثقيلة الأثينية، مع كل سلاح الفرسان، وهزمت حصان سيراقوسة ببعض الخسائر؛ وبعد ذلك أقاموا كأسًا لعمل سلاح الفرسان.

وفي اليوم التالي بدأ الأثينيون في بناء السور إلى الشمال من الدائرة، وفي الوقت نفسه جمعوا الحجارة والأخشاب، التي ظلوا يبقونها في اتجاه تروجيلوس على أقصر خط لأعمالهم من الميناء الكبير إلى البحر؛ بينما قرر السيراقوسيون، بقيادة قادتهم، وخاصة هيرموكراتيس، بدلاً من المخاطرة بمزيد من المواجهات العامة، بناء جدار مضاد في الاتجاه الذي كان الأثينيون يعتزمون بناء سورهم فيه. وإذا أمكن إكمال هذا في الوقت المناسب، فسيتم قطع خطوط العدو؛ وفي غضون ذلك، إذا حاول قطعهم بهجوم، فسيرسلون جزءًا من قواتهم لمواجهته، وسيقومون بتأمين الطرق مسبقًا بسياجهم، بينما سيضطر الأثينيون إلى التوقف عن العمل بكامل قوتهم من أجل الاهتمام بهم. وبناءً على ذلك، انطلقوا وبدأوا في البناء، بدءًا من مدينتهم، ومدوا جدارًا عرضيًا أسفل الدائرة الأثينية، وقطعوا أشجار الزيتون وبنوا أبراجًا خشبية. وبما أن الأسطول الأثيني لم يكن قد أبحر بعد حول الميناء الكبير، فقد كان السيراقوسيون

لا يزالون يسيطرون على ساحل البحر، وكان الأثينيون يجلبون مؤنهم عن طريق البر من تابسوس.

"لقد اعتقد السيراقوسيون الآن أن الحواجز والأسوار الحجرية التي يشيدونها في سورهم المضاد قد تقدمت إلى حد كافٍ؛ ولأن الأثينيين، خوفًا من الانقسام وبالتالي القتال في وضع غير مواتٍ، وحرصًا منهم على سورهم الخاص، لم يخرجوا لمهاجمتهم، فقد تركوا قبيلة واحدة لحراسة العمل الجديد وعادوا إلى المدينة. وفي الوقت نفسه، دمر الأثينيون أنابيب مياه الشرب التي ينقلونها تحت الأرض إلى المدينة؛ وراقبوا حتى جلس بقية السيراقوسيين في خيامهم عند الظهيرة، وذهب بعضهم إلى المدينة، وظل أولئك الذين كانوا في السور يحرسون المدينة بلا مبالاة، فعينوا ثلاثمائة رجل مختارين من قبلهم، وبعض الرجال الذين تم اختيارهم من القوات الخفيفة والمسلحين لهذا الغرض، للركض فجأة بأسرع ما يمكن إلى السور المضاد، بينما تقدم بقية الجيش في فرقتين، إحداهما مع أحد القادة إلى المدينة في حالة حدوث هجمة، والأخرى مع القائد الآخر إلى السور عند البوابة الخلفية. هاجم الثلاثمائة رجل السور الذي هجره حاميوه، ولجأوا إلى السور الخارجي حول تمثال أبولو التيميني. وهنا اقتحم المطاردون معهم، وبعد أن دخلوا هزمهم السيراقوسيون، وقتلوا بعض الأرجيين والأثينيين؛ وبعد ذلك انسحب الجيش بأكمله، وبعد أن هدموا السور الخارجي وسحبوا السور، حملوا الأوتاد إلى صفوفهم، وأقاموا نصبًا تذكاريًا.

وفي اليوم التالي، انطلق الأثينيون من الدائرة لتحصين الجرف فوق المستنقع الذي يطل على الميناء الكبير من هذا الجانب من إبيبولاي؛ وكان هذا أيضًا أقصر طريق لعملهم للنزول عبر السهل والمستنقع إلى الميناء. وفي غضون ذلك، خرج السيراقوسيون وبدأوا في بناء سياج ثانٍ، بدءًا من المدينة، عبر منتصف المستنقع، وحفروا خندقًا بجانبه لجعل من المستحيل على الأثينيين حمل جدارهم إلى البحر.

وبمجرد أن أنهى الأثينيون عملهم عند الجرف، هاجموا مرة أخرى سياج السيراقوسيين وخندقهم. وأمروا الأسطول بالإبحار من ثابسوس إلى الميناء الكبير في سيراكيوز، ونزلوا عند الفجر تقريبًا من إيبيبولاي إلى السهل، ووضعوا الأبواب والألواح فوق المستنقع، حيث كان موحلًا وصلبًا، وعبروا عليها، وبحلول الفجر استولوا على الخندق والسياج، باستثناء جزء صغير استولوا عليه بعد ذلك. ثم اندلعت معركة انتصر فيها الأثينيون، ففر الجناح الأيمن من السراقوسيين إلى المدينة، والجناح الأيسر إلى النهر. وسعى الأثينيون الثلاثمائة المختارون إلى قطع طريقهم، فاندفعوا إلى الجسر، ولكن السراقوسيين المذعورين، الذين كانوا معهم معظم فرسانهم، اقتربوا منهم وهزموهم، وألقوا بهم على الجناح الأيمن للأثينيين، فأصيبت القبيلة الأولى بالذعر من هول الصدمة. ولما رأى لاماخوس هذا، هب لمساعدتهم من الجناح الأيسر للأثينيين مع عدد قليل من الرماة والأرجيفيين، وعبر الخندق، وترك وحده مع عدد قليل من الذين عبروا معه، فقُتل مع خمسة أو ستة من رجاله. وتمكن السراقوسيون على الفور من انتزاعهم على عجل وعبور النهر إلى مكان آمن، وانسحبوا هم أنفسهم بينما تقدم بقية الجيش الأثيني.

وفي هذه الأثناء، عندما رأى أولئك الذين فروا في البداية إلى المدينة التحول الذي حدث، تجمعوا الآن من المدينة وشكلوا صفوفهم ضد الأثينيين أمامهم، وأرسلوا أيضًا جزءًا من عددهم إلى الدائرة في إيبيبولاي، والتي كانوا يأملون في الاستيلاء عليها بعد أن خلت من المدافعين عنها. واستولوا على التحصينات الأثينية التي يبلغ ارتفاعها ألف قدم ودمروها، وأنقذ الدائرة نفسها نيسياس، الذي حدث أن بقي فيها بسبب المرض، والذي أمر الخدم بإشعال النار في المحركات والأخشاب التي ألقيت أمام الجدار؛ وكان يعلم أن نقص الرجال جعل كل وسائل الفرار الأخرى مستحيلة. وقد برر هذه الخطوة بالنتيجة، حيث لم يتقدم السراقوسيون بسبب الحريق، بل تراجعوا. وفي الوقت نفسه، كانت المساعدات تأتي من الأثينيين في الأسفل، الذين هزموا القوات المعارضة لهم؛ وكان الأسطول أيضًا، وفقًا للأوامر، يبحر من تابسوس

إلى الميناء الكبير. وعند رؤية ذلك، تراجعت القوات على المرتفعات على عجل، وعاد جيش السراقوسيين بأكمله إلى المدينة، معتقدين أنهم بقوتهم الحالية لن يتمكنوا بعد الآن من منع الجدار من الوصول إلى البحر.

وبعد ذلك أقام الأثينيون غنائمهم وأعادوا إلى السراقوسيين قتلاهم بموجب الهدنة، واستعادوا في المقابل لاماخوس ومن سقطوا معه. وبعد أن كانت قواتهم البحرية والعسكرية كلها معهم، بدأوا من إبيبولاي والمنحدرات وأحاطوا السراقوسيين بسور مزدوج يمتد حتى البحر. ثم تم جلب المؤن اللازمة للتسليح من جميع أنحاء إيطاليا؛ وجاء العديد من الصقليين، الذين كانوا حتى ذلك الحين يتطلعون لمعرفة كيف تسير الأمور، كحلفاء للأثينيين: كما وصلت ثلاث سفن ذات خمسين مجدافًا من تيرينيا. وفي غضون ذلك، سارت الأمور الأخرى على نحو جيد لصالح آمالهم. وبدأ السراقوسيون يائسين من إيجاد الأمان بالسلاح، بعد أن لم تصل إليهم أي مساعدة من البيلوبونيز، وبدأوا الآن يقترحون شروط الاستسلام فيما بينهم وبين نيسياس، الذي أصبح بعد وفاة لاماخوس القائد الوحيد. ولم يتم التوصل إلى قرار، ولكن كما هو طبيعي مع الرجال الذين يواجهون صعوبات ويتعرضون لحصار أشد من ذي قبل، دارت مناقشات كثيرة مع نيسياس وغيره من الناس في المدينة. كما أن المصائب التي حلت بهم جعلتهم يشكون في بعضهم البعض؛ وألقي اللوم في الكوارث التي حلت بهم على سوء حظ أو خيانة القادة الذين وقعت هذه الكوارث تحت قيادتهم؛ فعُزِل هؤلاء القادة وانتخب آخرون، مثل هيراكليدس، ويوكليس، وتيلياس، بدلاً منهم.

وفي تلك الأثناء، كانت السفن اللاكدائية وجليبوس والسفن القادمة من كورنثوس قد وصلت إلى لوكاس، عازمة على الذهاب بكل سرعة إلى صقلية. وكانت التقارير التي وصلتهم من النوع المزعج، وكانت جميعها متفقة على الكذب بأن سرقوسة قد استحوذت عليها بالكامل بالفعل، فتخلى جليبوس عن كل أمل في صقلية، ورغبة

منه في إنقاذ إيطاليا، عبر البحر الأيوني بسرعة إلى تارانتوم مع السفن الكورنثية، وبيثين، واثنتين من السفن اللاكونية، واثنتين من السفن الكورنثية، تاركًا الكورنثيين يتبعونه بعد أن جهزوا، بالإضافة إلى سفنهم العشر، سفينتين من لوكاديا وسفينتين من أمبراسيوت. ومن تارانتوم ذهب جليبوس أولاً في سفارة إلى ثوري، وطالب من جديد بحقوق المواطنة التي تمتع بها والده؛ ولما فشل في إقناع أهل المدينة، رفع المرساة وأبحر على طول إيطاليا. وفي مواجهة خليج تيرينيا، فاجأته الرياح التي كانت تهب بقوة وثبات من الشمال في تلك المنطقة، فحمله إلى البحر؛ وبعد أن واجه طقسًا قاسيًا للغاية، أعاد بناء تارانتوم، حيث سحبها إلى الشاطئ وأعاد تجهيز سفنه التي عانت أكثر من غيرها من العاصفة. سمع نيسياس باقترابه، لكنه، مثل الثوريين، احتقر العدد الضئيل لسفنه، واعتبر القرصنة الهدف الوحيد المحتمل للرحلة، وبالتالي لم يتخذ أي احتياطات في الوقت الحالي.

وفي نفس الوقت تقريبًا من هذا الصيف، غزا اللاكديمونيون أرغوس مع حلفائهم، ودمروا معظم البلاد. وذهب الأثينيون بثلاثين سفينة لنجدة الأرغوس، وبذلك خرقوا معاهدتهم مع اللاكديمونيين على نحو صريح. وحتى ذلك الوقت كانت الغارات من بيلوس، والنزول على ساحل بقية بيلوبونيز، بدلاً من اللاكونيين، هي مدى تعاونهم مع الأرغوس والمانتينيين؛ ورغم أن الأرغوس كانوا يتوسلون إليهم كثيرًا أن ينزلوا، ولو للحظة واحدة، بمشاة ثقيلة في لاكونيا، ويدمروا القليل منها معهم، ويغادروا، فقد رفضوا دائمًا أن يفعلوا ذلك. ولكن الآن، تحت قيادة فيتودوروس، ولايسبوديوس، وديماراتوس، نزلوا في إبيداوروس وليميرا وبراسيا وأماكن أخرى، ونهبوا البلاد؛ وهكذا زودت اللاكيديمونيين بذريعة أفضل لشن حرب ضد أثينا. وبعد أن انسحب الأثينيون من أرغوس بأسطولهم، وكذلك اللاكيديمونيون، قام الأرجيون بغزوة إلى منطقة فليسيد، وعادوا إلى ديارهم بعد أن نهبوا أراضيهم وقتلوا بعض السكان.

الكتاب السابع

الفصل الحادي والعشرون

العامان الثامن عشر والتاسع عشر من الحرب - وصول جليبوس إلى سيراكيوز - تحصين ديسيليا - نجاحات السيراقوسيين

وبعد أن جهزا سفنهما، سارا على طول الساحل من تارانتو إلى لوكريس في إبيزيفريان. وتلقوا الآن معلومات أكثر صحة مفادها أن سرقوسة لم تكن قد استحوذت عليها بالكامل بعد، ولكن كان من الممكن أن يتمكن جيش يصل إلى إيبيبولاي من دخولها؛ وبناءً على ذلك، تشاورا فيما إذا كان ينبغي لهما أن يحتفظا بصقلية على يمينهما ويخاطرا بالإبحار إليها عن طريق البحر، أو أن يتركاها على يسارهما ويبحرا أولاً إلى هيميرا، ويأخذان معهما الهيميرايين وأي شخص آخر قد يوافق على الانضمام إليهما، ويذهبان إلى سرقوسة عن طريق البر. وأخيرًا، قررا الإبحار إلى هيميرا، خاصة وأن السفن الأثينية الأربع التي أرسلها نيسياس أخيرًا، بعد أن سمع أنها في لوكريس، لم تصل بعد إلى ريجيوم. وبناءً على ذلك، قبل أن تصل هذه السفن إلى مواقعها، عبر البيلوبونيزيون المضيق، وبعد أن لامسا ريجيوم وميسينا، وصلوا إلى هيميرا. ولما وصلوا إلى هناك أقنعوا الهيميرايين بالانضمام إلى الحرب، ولم يكتفوا بالذهاب معهم هم أنفسهم بل وتزويد البحارة بالسلاح من سفنهم التي استولوا عليها من شاطئ هيميرا؛ وأرسلوا وحددوا مكانًا للسيلينونتينيين لملاقاتهم بكل قواتهم. كما وعدهم الجيليون وبعض الصقليين ببعض القوات، الذين كانوا الآن على استعداد للانضمام إليهم بنشاط أكبر بكثير، وذلك بسبب وفاة أركونيداس مؤخرًا، وهو ملك صقليين قوي في تلك المنطقة وصديق لأثينا، وأيضًا بسبب القوة التي أظهرها جيليبوس في مجيئه من لاكيدايمون. أخذ جيليبوس معه الآن حوالي سبعمائة من بحارته ومشاة البحرية، وكان هذا العدد مسلحًا فقط، وألفًا من المشاة الثقيلة والجيش الخفيف من هيميرا مع هيئة من مائة فارس، وبعض القوات الخفيفة والفرسان من

سيلينوس، وعدد قليل من الجيليون والصقليين يبلغ عددهم ألفًا في المجموع، وانطلق في مسيرته إلى سيراقوسة.

وفي هذه الأثناء، سارع الأسطول الكورنثي من لوكاس إلى الوصول؛ وكان أحد قادتهم، جونجيلوس، الذي بدأ آخرًا بسفينة واحدة، أول من وصل إلى سيراقوسة، قبل جيليبوس بقليل. ووجد جونجيلوس السيراقوسيين على وشك عقد جمعية للنظر في ما إذا كان ينبغي لهم وضع حد للحرب. لكنه منع ذلك، وطمأنهم بأن المزيد من السفن لا تزال في طريقها، وأن جيليبوس، ابن كليندريداس، قد أرسله اللاكيديمونيون لتولي القيادة. وعند هذا، استجمع السيراقوسيون الشجاعة، وخرجوا على الفور بكل قواتهم لملاقاة جيليبوس، الذي وجدوه الآن قريبًا. وفي هذه الأثناء، استولى جليبوس على إيتاي، وهي حصن من قلاع الصقليين، فشكل جيشه في ترتيب المعركة، وهكذا وصل إلى إبيبولاي، وصعد مع يوريلوس، كما فعل الأثينيون في البداية، وتقدم الآن مع السراقسيين ضد الخطوط الأثينية. وقد صادف وصوله لحظة حرجة. فقد كان الأثينيون قد انتهوا بالفعل من بناء جدار مزدوج يبلغ طوله ستة أو سبعة فيرلنغ إلى الميناء الكبير، باستثناء جزء صغير بجوار البحر، كان لا يزالون مشغولين به؛ وفي بقية الدائرة باتجاه تروجيلوس على البحر الآخر، تم وضع الحجارة جاهزة للبناء لجزء كبير من المسافة، وتركت بعض النقاط نصف مكتملة، بينما تم الانتهاء من نقاط أخرى بالكامل. لقد كان خطر سراقوسة عظيمًا حقًا.

وفي هذه الأثناء، استعاد الأثينيون عافيتهم من الارتباك الذي أصابهم في البداية بسبب اقتراب جليبوس والسراكسيين المفاجئ، فنظموا صفوفهم في المعركة. وتوقف جليبوس على مسافة قصيرة وأرسل إليهم رسولاً ليخبرهم أنه إذا ما أخلو صقلية بأمتعتهم وحقائبهم في غضون خمسة أيام، فإنه على استعداد لعقد هدنة وفقاً لذلك. وتعامل الأثينيون مع هذا الاقتراح بازدراء، وصرفوا الرسول دون أن يجيبوه. وبعد ذلك بدأ الجانبان في الاستعداد للعمل. ولاحظ جليبوس أن

السراقسيين كانوا في حالة من الفوضى ولم يتمكنوا من الاصطفاف بسهولة، فانسحب بقواته إلى الأرض المفتوحة، بينما لم يتقدم نيسياس نحو الأثينيين بل ظل ساكناً عند سوره. وعندما رأى جليبوس أنهم لم يتقدموا، قاد جيشه إلى قلعة حي أبولو التيمينيت، وقضى الليل هناك. وفي اليوم التالي، قاد الجزء الرئيسي من جيشه، وحشدهم في صفوف أمام أسوار الأثينيين لمنعهم من الذهاب إلى أي مكان آخر، وأرسل قوة قوية إلى حصن لابدالوم، واستولى عليه، وقتل كل من وجده فيه بالسيف، حيث لم يكن المكان في مرمى الأثينيين. وفي نفس اليوم، استولى السيراقوسيون على سفينة حربية أثينية كانت راسية قبالة الميناء.

وبعد ذلك بدأ السيراقوسيون وحلفاؤهم في بناء سور واحد، بدءًا من المدينة، في اتجاه مائل حتى إيبيبولاي، حتى لا يتمكن الأثينيون من حصارهم ما لم يتمكنوا من إعاقة العمل. وفي الوقت نفسه، بعد أن أنهوا الآن بناء سورهم حتى البحر، وصلوا إلى المرتفعات؛ ولأن جزءًا من سورهم كان ضعيفًا، أخرج جليبوس جيشه ليلًا وهاجمه. ومع ذلك، استشعر الأثينيون الذين كانوا يخيمون خارج السور الإنذار وخرجوا لملاقاته، وعندما رأوه، قاد رجاله بسرعة مرة أخرى. بنى الأثينيون الآن سورهم أعلى، وفي المستقبل قاموا بحراسة هذه النقطة بأنفسهم، ونشروا حلفائهم على طول بقية الأعمال، في المحطات المخصصة لهم. كما قرر نيسياس تحصين بلميريوم، وهو نتوء يقع مقابل المدينة، ويبرز ويضيق فم الميناء الكبير. "لقد اعتقد أن تحصين هذا المكان من شأنه أن يسهل جلب الإمدادات، حيث سيتمكنون من مواصلة حصارهم من مسافة أقل، بالقرب من الميناء الذي يحتله السراقوسيون؛ بدلاً من الاضطرار، عند كل حركة لأسطول العدو، إلى مهاجمتهم من قاع الميناء الكبير. بالإضافة إلى ذلك، بدأ الآن في إيلاء المزيد من الاهتمام للحرب عن طريق البحر، حيث رأى أن مجيء جليبوس قد قلل من آمالهم عن طريق البر. وبناءً على ذلك، نقل سفنه وبعض قواته، وبنى ثلاثة حصون وضع فيها معظم أمتعته، ورسى هناك للمستقبل السفن الأكبر والسفن الحربية. كانت هذه هي المناسبة الأولى والرئيسية للخسائر

التي تكبدها البحارة. كانت المياه التي يستخدمونها نادرة وكان لابد من جلبها من بعيد، ولم يتمكن البحارة من الخروج للحصول على الحطب دون أن يقطعهم خيول السراقوسيين، الذين كانوا سادة البلاد؛ كان ثلث سلاح الفرسان التابع للعدو متمركزًا في بلدة أوليمبيوم الصغيرة، لمنع غارات النهب من جانب الأثينيين في بلميريوم. وفي الوقت نفسه، علم نيسياس أن بقية الأسطول الكورنثي يقترب، فأرسل عشرين سفينة لمراقبتهم، مع أوامر بالبحث عنهم حول لوكريس وريجيوم والطريق إلى صقلية.

وفي هذه الأثناء، واصل جليبوس بناء السور عبر إيبيبولاي، مستخدمًا الحجارة التي وضعها الأثينيون لبناء سورهم، وفي الوقت نفسه كان يقود باستمرار السيراقوسيين وحلفائهم، وينظم صفوفهم في مواجهة الصفوف، بينما كان الأثينيون يحشدون صفوفهم ضده. وفي النهاية، اعتقد أن اللحظة قد حانت، فبدأ الهجوم؛ ودار قتال بالأيدي بين الصفوف، حيث لم يعد سلاح الفرسان السيراقوسيين مفيدًا؛ وهُزم السيراقوسيون وحلفاؤهم، وأخذوا جثث قتلاهم تحت الهدنة، بينما أقام الأثينيون نصبًا تذكاريًا. بعد ذلك، استدعى جليبوس الجنود، وقال إن الخطأ ليس خطأهم بل خطأه؛ فقد أبقى صفوفهم داخل السور أكثر مما ينبغي، وبالتالي حرمهم من خدمات سلاح الفرسان والرماة. لذلك، سيقودهم الآن للمرة الثانية. وتوسل إليهم أن يتذكروا أنهم في القوة المادية سوف يكونون نداً كاملاً لخصومهم، بينما فيما يتعلق بالمزايا الأخلاقية، سيكون من غير المحتمل أن يشعر البيلوبونيزيون والدوريون بالثقة في التغلب على الأيونيين وسكان الجزر مع الغوغاء المتنوعين الذين رافقوهم، وطردهم من البلاد.

وبعد ذلك استغل الفرصة الأولى التي سنحت له ليقودهم مرة أخرى ضد العدو. وكان نيسياس والأثينيون يرون أنه حتى لو لم يرغب السراقوسيون في خوض معركة، فمن الضروري لهم أن يمنعوا بناء السور المتقاطع، لأنه كان يكاد يتداخل

بالفعل مع النقطة القصوى من سورهم، وإذا امتد إلى أبعد من ذلك فلن يكون هناك فرق من تلك اللحظة سواء خاضوا الكثير من المعارك الناجحة أو لم يقاتلوا على الإطلاق. وبناءً على ذلك خرجوا للقاء السراقوسيين. وقاد جليبوس مشاته الثقيلة إلى مسافة أبعد عن التحصينات مما كان عليه في المرة السابقة، وانضم إلى المعركة؛ ونشر خيوله ورماته على جناح الأثينيين في المساحة المفتوحة، حيث انتهت أعمال السورين. وأثناء الاشتباك هاجم الفرسان الجناح الأيسر للأثينيين، الذي كان يعارضهم، وهزموه؛ ونتيجة لذلك هزم السراقوسيون بقية الجيش الأثيني ودفعوه إلى داخل صفوفهم. وفي الليلة التالية، حمل السيراقوسيون سورهم إلى المباني الأثينية وتجاوزوها، مما جعل من غير الممكن لهم إيقافهم، وحرمهم، حتى لو انتصروا في الميدان، من أي فرصة للسيطرة على المدينة في المستقبل.

وبعد ذلك أبحرت السفن الاثنتي عشرة المتبقية من الكورنثيين والأمبراشيوت واللوكاديين إلى الميناء تحت قيادة إيراسينيدس، وهو كورنثي، بعد أن أفلت من السفن الأثينية التي كانت في الحراسة، وساعد السيراقوسيين في إكمال ما تبقى من السور. وفي الوقت نفسه ذهب جيليبوس إلى بقية صقلية لحشد القوات البرية والبحرية، وكذلك لإحضار أي من المدن التي كانت فاترة في القضية أو التي ظلت حتى ذلك الوقت بعيدة عن الحرب تمامًا. كما تم إرسال مبعوثين من السيراقوسيين والكورنثيين إلى لاكيدايمون وكورنث لإرسال قوة جديدة، بأي طريقة قد تكون متاحة، إما في السفن التجارية أو وسائل النقل، أو بأي طريقة أخرى من المرجح أن تثبت نجاحها، كما كان الأثينيون أيضًا يرسلون للحصول على التعزيزات؛ بينما شرع السيراقوسيون في بناء أسطول وتدريب، وكانوا يعتزمون تجربة حظهم بهذه الطريقة أيضًا، وأصبحوا عمومًا واثقين للغاية.

ولما أدرك نيسياس هذا الأمر، ورأى قوة العدو وصعوباته تتزايد يومًا بعد يوم، أرسل هو أيضًا إلى أثينا. وكان قد أرسل من قبل تقارير متكررة عن الأحداث كما وقعت،

وشعر أنه من الواجب عليه بشكل خاص أن يفعل ذلك الآن، لأنه كان يعتقد أنهم في وضع حرج، وأنهم ما لم يتم استدعاؤهم بسرعة أو تعزيزهم بقوة من الوطن، فلن يكون لديهم أي أمل في السلامة. ومع ذلك، فقد خشي أن الرسل، إما بسبب عدم قدرتهم على الكلام، أو بسبب فشل الذاكرة، أو من الرغبة في إرضاء الحشود، قد لا ينقلون الحقيقة، لذلك رأى أنه من الأفضل كتابة رسالة، لضمان معرفة الأثينيين برأيه الخاص دون أن يضيع في النقل، ويكونوا قادرين على اتخاذ قرار بشأن الحقائق الحقيقية للقضية.

وبناءً على ذلك، غادر مبعوثوه بالرسالة والتعليمات الشفهية اللازمة؛ واهتم بشؤون الجيش، وجعل هدفه الآن البقاء في موقف دفاعي وتجنب أي خطر غير ضروري.

وفي نهاية الصيف نفسه، زحف الجنرال الأثيني أوتيون بالتعاون مع بيرديكاس على رأس جيش كبير من التراقيين ضد أمفيبوليس، وعندما فشل في الاستيلاء عليها، أحضر بعض السفن الحربية إلى نهر ستريمون، وحاصر المدينة من النهر، وجعل قاعدته في هيميرايوم.

لقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء التالي، قام الأشخاص الذين أرسلهم نيسياس، والذين وصلوا إلى أثينا، بتسليم الرسائل الشفوية التي عُهد بها إليهم، وأجابوا على أي أسئلة وُجِّهت إليهم، ثم سلموا الرسالة. ثم تقدم كاتب المدينة وقرأ على الأثينيين الرسالة، والتي كانت على النحو التالي:

"لقد تم إخباركم، أيها الأثينيون، بعملياتنا الماضية من خلال العديد من الرسائل الأخرى؛ والآن حان الوقت لكي تتعرفوا على حالتنا الحالية بنفس القدر، وتتخذوا التدابير اللازمة وفقًا لذلك. لقد هزمنا في معظم اشتباكاتنا معهم السيراقوسيين، الذين أُرسلنا ضدهم، وقمنا ببناء الأعمال التي نشغلها الآن، عندما وصل جيليبوس من لاكيدايمون بجيش تم الحصول عليه من بيلوبونيز وبعض المدن في صقلية. لقد

انتصرنا في معركتنا الأولى معه؛ وفي المعركة التي وقعت في اليوم التالي تغلب علينا عدد كبير من الفرسان والرماة، وأُجبرنا على التراجع داخل صفوفنا. لذلك، فقد أُجبرنا الآن بسبب أعداد المعارضين لنا على التوقف عن عمل الالتفاف، والبقاء غير نشطين؛ لأننا غير قادرين على استخدام كل القوة التي لدينا، حيث يتم امتصاص جزء كبير من مشاتنا الثقيلة في الدفاع عن صفوفنا. وفي الوقت نفسه، تمكن العدو من بناء جدار واحد خلف خطوطنا، الأمر الذي جعل من المستحيل علينا أن نستولي عليه في المستقبل، إلى أن يتم مهاجمة هذا الجدار بقوة قوية والاستيلاء عليه. وبذلك أصبح المحاصر بالاسم، على الأقل من الجانب البري، هو المحاصر في الواقع؛ حيث منعنا فرسانهم من التوغل حتى في الريف.

"بالإضافة إلى ذلك، تم إرسال سفارة إلى البيلوبونيز للحصول على التعزيزات، وذهب جليبوس إلى المدن في صقلية، جزئيًا على أمل حث أولئك الذين هم محايدون حاليًا على الانضمام إليه في الحرب، وجزئيًا لجلب وحدات إضافية من حلفائه للقوات البرية والمواد للبحرية. لأنني أفهم أنهم يفكرون في هجوم مشترك على خطوطنا بقواتهم البرية وأسطولهم عن طريق البحر. يجب ألا يفاجأ أي منكم بأن أقول عن طريق البحر أيضًا. لقد اكتشفوا أن طول الوقت الذي كنا فيه الآن في الخدمة قد أفسد سفننا وأهدر أطقمنا، وأنه مع اكتمال أطقمنا وسلامة سفننا، فقد اختفت الكفاءة البكر لأسطولنا. لأنه من المستحيل علينا سحب سفننا إلى الشاطئ وإمالتها، لأن سفن العدو كثيرة أو أكثر من سفننا، فنحن نتوقع باستمرار هجومًا. في الواقع، يمكن رؤيتهم وهم يتدربون، ويقع على عاتقهم اتخاذ المبادرة؛ ولعدم اضطرارهم إلى فرض الحصار، فإنهم يتمتعون بمرافق أكبر لتجفيف سفنهم.

"إننا لن نكون قادرين على القيام بذلك، حتى لو كان لدينا الكثير من السفن الاحتياطية، وتحررنا من ضرورة استنفاد كل قوتنا في الحصار. فمن الصعب بالفعل نقل الإمدادات بعد سيراقوسة؛ وإذا خففنا من يقظتنا إلى أدنى درجة، فسيصبح ذلك

مستحيلاً. إن الخسائر التي تكبدها طاقمنا وما زالوا يعانون منها تنشأ عن الأسباب التالية. إن حملات الوقود والعلف، والمسافة التي يجب أن يتم جلب المياه منها، تتسبب في قطع طريق بحارتنا بواسطة سلاح الفرسان السيراقوسي؛ إن خسارة تفوقنا السابق تشجع عبيدنا على الفرار؛ إن بحارتنا الأجانب معجبون بالظهور غير المتوقع للبحرية ضدنا، وقوة مقاومة العدو؛ أولئك الذين تم إجبارهم على الخدمة ينتهزون أول فرصة للمغادرة إلى مدنهم؛ إن أولئك الذين أغواهم في الأصل إغراء الأجر المرتفع، وتوقعوا القليل من القتال والمكاسب الكبيرة، يتركوننا إما بالفرار إلى العدو أو بالاستفادة من إحدى التسهيلات المختلفة للهروب التي توفرها لهم مساحة صقلية. حتى أن بعضهم ينخرطون في التجارة ويقنعون القادة بأخذ عبيد هيكاريك على متن السفن بدلاً منهم؛ وبالتالي فقد دمروا كفاءة أسطولنا البحري.

"الآن لا أحتاج إلى تذكيرك بأن الوقت الذي يكون فيه الطاقم في أوج عطائه قصير، وأن عدد البحارة الذين يمكنهم تحريك السفينة في طريقها والحفاظ على التجديف في الوقت المناسب ضئيل. لكن أعظم مشكلة بالنسبة لي هي أنني أشغل المنصب الذي أشغله، ويمنعني الاستسلام الطبيعي للبحارة الأثينيين من وضع حد لهذه الشرور؛ وفي الوقت نفسه ليس لدينا مصدر لتجنيد أطقمنا، وهو ما يستطيع العدو القيام به من العديد من الجهات، لكنه مجبر على الاعتماد على تزويد الأطقم في الخدمة وتعويض خسائرنا على الرجال الذين أحضرناهم معنا. لأن حلفائنا الحاليين، ناكسوس وكاتانا، غير قادرين على إمدادنا. هناك شيء واحد فقط مفقود لخصومنا، أعني فرار أسواقنا الإيطالية. إذا رأوا أنك أهملت إنقاذنا من حالتنا الحالية، وذهبوا إلى العدو، فإن المجاعة ستجبرنا على الإخلاء، وستنهي سيراكوزا الحرب دون ضربة.

"صحيح أنني كنت لأكتب لك شيئًا مختلفًا وأكثر إمتاعًا من هذا، ولكن لا شيء أكثر فائدة بالتأكيد، إذا كان من المرغوب فيه أن تعرف الحالة الحقيقية للأمور هنا قبل اتخاذ إجراءاتك. علاوة على ذلك، أعلم أن من طبيعتك أن تحب أن يُقال لك الجانب

الأفضل من الأمور، ثم تلوم الراوي إذا لم تتحقق التوقعات التي أثارها في أذهانك من خلال النتيجة؛ لذلك اعتقدت أنه من الأفضل أن أخبرك بالحقيقة.

"الآن لا ينبغي لك أن تتصور أن جنرالاتك أو جنودك لم يعودوا قادرين على مواجهة القوات التي كانت تعارضهم في الأصل. ولكن عليك أن تفكر في أن تحالفًا صقليًا عامًا يتشكل ضدنا؛ وأن جيشًا جديدًا متوقع من البيلوبونيز، في حين أن القوة التي لدينا هنا غير قادرة على التعامل حتى مع خصومنا الحاليين؛ ويجب عليك أن تقرر على الفور إما استدعاءنا أو إرسال أسطول وجيش آخر بنفس العدد مرة أخرى، مع مبلغ كبير من المال، وشخص ليخلفني، لأن مرضًا في الكلى لا يصلح للاحتفاظ بمنصبي. أعتقد أن لدي بعض الحق في تسامحك، حيث كنت في أوج عطائي قد قدمت لك الكثير من الخدمات الجيدة في قيادتي. ولكن أياً كان ما تنوي القيام به، فافعله في بداية الربيع ودون تأخير، حيث سيحصل العدو على تعزيزاته الصقلية قريبًا، وتلك القادمة من البيلوبونيز بعد فترة أطول؛ وما لم تنتبه للأمر، فإن الأول سيكون هنا أمامك، بينما سيفلت الثاني منك كما فعلوا من قبل."

كان هذا هو محتوى رسالة نيسياس. فلما سمع الأثينيون باستقالته رفضوا قبولها، بل اختاروا له اثنين من زملائه، فسموا ميناندر ويوثيديموس، وهما ضابطان في مقر الحرب، ليشغلا مكانيهما إلى أن يصلا، حتى لا يُترَك نيسياس وحده في مرضه ليتحمل كل أعباء الأمور. كما صوتوا على إرسال جيش آخر وبحرية، يتألفان جزئيًا من الأثينيين الموجودين في قائمة الجند، وجزئيًا من الحلفاء. وكان الزميلان اللذان اختيرا لنيكياس هما ديموستينس، ابن ألكستينس، ويوريميدون، ابن ثوكليس. وأُرسِل يوريميدون على الفور، حوالي وقت الانقلاب الشتوي، ومعه عشر سفن، ومائة وعشرين تالنتًا من الفضة، وتعليمات بإبلاغ الجيش بأن التعزيزات ستصل، وأنهم سيتولون العناية بها؛ لكن ديموستينيس بقي في الخلف لتنظيم الحملة، وكان ينوي البدء بمجرد حلول

الربيع، وأرسل في طلب القوات من الحلفاء، وفي الوقت نفسه جمع الأموال والسفن والمشاة الثقيلة في الداخل.

كما أرسل الأثينيون عشرين سفينة حول البيلوبونيز لمنع أي شخص من العبور إلى صقلية من كورنثوس أو البيلوبونيز. ذلك أن الكورنثيين، الذين امتلأوا بالثقة من التغيير الإيجابي في شئون صقلية الذي أبلغ عنه المبعوثون عند وصولهم، والذين اقتنعوا بأن الأسطول الذي أرسلوه من قبل لم يكن بلا فائدة، كانوا يستعدون الآن لإرسال قوة من المشاة الثقيلة في سفن تجارية إلى صقلية، بينما فعل اللاكديمونيون الشيء نفسه لبقية البيلوبونيز. كما أرسل الكورنثيون أسطولاً من خمس وعشرين سفينة، بهدف اختبار نتيجة المعركة مع السرب الذي كان يحرس نوباكتوس، وفي الوقت نفسه جعل الأمر أقل سهولة على الأثينيين هناك لعرقلة رحيل سفنهم التجارية، بإلزامهم بمراقبة القوادس التي رتبت ضدهم.

وفي غضون ذلك، استعد اللاكيديمونيون لغزو أتيكا، وفقًا لقرارهم السابق، وبتحريض من السيراقوسيين والكورنثيين، الذين تمنوا غزوًا لوقف التعزيزات التي سمعوا أن أثينا على وشك إرسالها إلى صقلية. كما نصح ألكيبيادس على وجه السرعة بتحصين ديسيليا، ومواصلة الحرب بقوة. لكن اللاكيديمونيين استمدوا معظم التشجيع من اعتقادهم بأن أثينا، التي خاضت حربين بين يديها، ضد أنفسهم وضد الصقليين، سيكون من السهل إخضاعها، ومن اقتناعهم بأنها كانت أول من انتهك الهدنة. "في الحرب السابقة، اعتبروا أن الإساءة كانت من جانبهم أكثر، سواء بسبب دخول الثيبانيين إلى بلاتيا في وقت السلم، أو أيضًا بسبب رفضهم الاستماع إلى عرض أثينا للتحكيم، على الرغم من البند في المعاهدة السابقة الذي ينص على أنه حيثما يُعرض التحكيم لا يجوز اللجوء إلى السلاح. لهذا السبب، اعتقدوا أنهم يستحقون مصائبهم، وأخذوا على محمل الجد الكارثة التي حلت بهم في بيلوس وكل ما حدث لهم. ولكن عندما، بالإضافة إلى الدمار الذي لحق بهم من بيلوس، والذي استمر دون أي انقطاع،

خرجت السفن الأثينية الثلاثين من أرجوس ودمرت جزءًا من إبيداوروس وبراسيا وأماكن أخرى؛ وعندما كان الأثينيون يرفضون دائمًا عروض التحكيم الخاصة بهم عند كل نزاع ينشأ حول تفسير أي نقطة مشكوك فيها في المعاهدة، قرر اللاكيديمونيون أخيرًا أن أثينا ارتكبت الآن نفس الجريمة التي ارتكبتها من قبل، وأصبحت الطرف المذنب؛ "وبدأوا في الحماس للحرب. وقضوا هذا الشتاء في إرسال قواتهم إلى حلفائهم لجلب الحديد، وتجهيز الأدوات الأخرى لبناء حصنهم؛ وفي الوقت نفسه بدأوا في حشد قوة في الداخل، وكذلك من خلال الاستيلاء القسري في بقية بيلوبونيز، لإرسالها في السفن التجارية إلى حلفائهم في صقلية. وهكذا انتهى الشتاء، ومعه السنة الثامنة عشرة من هذه الحرب التي كان ثوسيديديس مؤرخًا لها.

في الأيام الأولى من الربيع التالي، وفي وقت أبكر من المعتاد، غزا اللاكيديمونيون وحلفاؤهم أتيكا، تحت قيادة أجيس، ابن أرشيداموس، ملك اللاكيديمونيين. بدأوا بتدمير الأجزاء المجاورة للسهل، ثم شرعوا في تحصين ديسيليا، وقسموا العمل بين المدن المختلفة. تقع ديسيليا على بعد حوالي ثلاثة عشر أو أربعة عشر ميلاً من مدينة أثينا، وعلى نفس المسافة أو ليس أبعد كثيرًا من بيوتيا؛ وكان الحصن يهدف إلى إزعاج السهل وأغنى أجزاء البلاد، لكونها في مرمى أثينا. بينما كان البيلوبونيزيون وحلفاؤهم في أتيكا منخرطين في أعمال التحصين، أرسل مواطنوهم في الوطن، في نفس الوقت تقريبًا، المشاة الثقيلة في السفن التجارية إلى صقلية؛ وقد أرسل اللاكيديمونيون قوة مختارة من الهيلوتس والنيوداموديين (أو المحررين)، ستمائة من المشاة الثقيلة، تحت قيادة إكريتوس، وهو أسبرطي؛ وأهل بيوتيا ثلاثمائة من المشاة الثقيلة، بقيادة رجلين من طيبة، هما زينون ونيقون، وهيجساندر، وهو ثيسبيان. وكان هؤلاء من أوائل الذين خرجوا إلى البحر المفتوح، بدءًا من تايناروس في لاكونيا. وبعد فترة وجيزة من رحيلهم، أرسل الكورنثيون قوة من خمسمائة من المشاة الثقيلة، تتألف جزئيًا من رجال من كورنثوس نفسها، وجزئيًا من المرتزقة الأركاديين، تحت قيادة أليكسارخوس، وهو كورنثي. كما أرسل السكيونيون مائتي

مشاة ثقيلة في نفس الوقت الذي أرسل فيه الكورنثيون، تحت قيادة سارجيوس، وهو كورنثي. وفي الوقت نفسه، كانت السفن الخمس والعشرين التي كانت تابعة لكورنثوس أثناء الشتاء تواجه السفن الأثينية العشرين في ناوباكتوس، حتى كانت قوات المشاة الثقيلة في السفن التجارية في طريقها من البيلوبونيز؛ وبالتالي تحقيق الهدف الذي تم تجهيزها من أجله في الأصل، والذي كان تحويل انتباه الأثينيين من السفن التجارية إلى السفن الشراعية.

ولم يكن الأثينيون في ذلك الوقت مكتوفي الأيدي. ففي الوقت نفسه الذي بدأوا فيه تحصين ديسيليا، في بداية الربيع، أرسلوا ثلاثين سفينة حول البيلوبونيز، بقيادة خاريكليس، ابن أبولودوروس، مع تعليمات بالتوجه إلى أرغوس والمطالبة بقوة من مشاتهم الثقيلة للأسطول، بما يتفق مع التحالف. وفي الوقت نفسه، أرسلوا ديموستينس إلى صقلية، كما خططوا، ومعه ستين سفينة أثينية وخمس سفن من خيوس، وألف ومائتي جندي من المشاة الثقيلة الأثينيين من قائمة الحشد، وأكبر عدد ممكن من سكان الجزيرة في مختلف المناطق، مستعينين بحلفاء آخرين في الخارج للحصول على كل ما يمكنهم توفيره مما قد يكون مفيدًا للحرب. وصدرت التعليمات إلى ديموستينس أولاً بالإبحار مع خاريكليس والعمل معه على سواحل لاكونيا، وبناءً على ذلك أبحر إلى إيجينا وانتظر هناك بقية أسلحته، وانتظر خاريكليس لإحضار القوات الأرجوفية.

وفي صقلية، وفي نفس الوقت تقريبًا من هذا الربيع، جاء جليبوس إلى سيراكيوز بأكبر عدد ممكن من القوات من المدن التي أقنعها بالانضمام إليه. ودعا أهل سيراكيوز إلى الاجتماع، وأخبرهم أنه يتعين عليهم أن يجهزوا أكبر عدد ممكن من السفن، وأن يجربوا حظهم في معركة بحرية، وكان يأمل أن يحققوا من خلالها ميزة في الحرب لا تقل عن المخاطرة. وانضم إليه هرمقراطس بنشاط في محاولة تشجيع مواطنيه على مهاجمة الأثينيين في البحر، قائلاً إن الأثينيين لم يرثوا براعتهم البحرية ولن يحتفظوا

بها إلى الأبد؛ فقد كانوا من أهل الأراضي بدرجة أكبر من أهل سيراكيوز، ولم يصبحوا قوة بحرية إلا عندما أجبرهم الميديون على ذلك. فضلاً عن ذلك، فإن الأرواح الجريئة مثل الأثينيين قد تبدو الخصم الجريء الأكثر قوة؛ ولقد كان من الممكن أن يستخدم الأثينيون خطة شل حركة جار لا يقل عنهم قوة بهجومهم الجريء ضدهم بنفس القدر من الفعالية. وكان مقتنعاً أيضاً بأن المشهد غير المتوقع الذي سيواجه فيه السيراقوسيون الأسطول الأثيني سوف يسبب الرعب للعدو، وسوف تفوق فوائده أي خسارة قد يلحقها العلم الأثيني بخبرتهم. وبناءً على ذلك، حثهم على التخلص من مخاوفهم وتجربة حظهم في البحر؛ وقرر السيراقوسيون، تحت تأثير جليبوس وهيرموكراتيس، وربما بعض الآخرين، خوض معركة بحرية وبدأوا في تجهيز سفنهم.

ولما أصبح الأسطول جاهزًا، قاد جليبوس الجيش كله ليلًا؛ وكانت خطته أن يهاجم بنفسه الحصون في بلميريوم برًا، بينما تبحر خمس وثلاثون سفينة حربية سيراقوسية وفقًا للخطة المقررة ضد العدو من الميناء الكبير، وتأتي الخمس والأربعون المتبقية من الميناء الأصغر، حيث توجد ترسانتها، من أجل إحداث اتصال مع تلك الموجودة داخل بلميريوم ومهاجمة بلميريوم في نفس الوقت، وبالتالي تشتيت انتباه الأثينيين بمهاجمتهم من جانبين في وقت واحد. وسرعان ما جهز الأثينيون ستين سفينة، واشتبكوا بخمس وعشرين منها مع الخمس والثلاثين من السيراقوسيين في الميناء الكبير، وأرسلوا الباقي لملاقاة أولئك الذين أبحروا من الترسانة؛ ثم تلا ذلك مباشرة عمل أمام مدخل الميناء الكبير، حافظ عليه الجانبان بنفس القدر من الإصرار؛ أحدهما يرغب في إجبارهم على المرور، والآخر يريد منعهم.

وفي هذه الأثناء، بينما كان الأثينيون في بلميريوم في البحر، يحضرون المعركة، شن جيليبوس هجومًا مفاجئًا على الحصون في الصباح الباكر واستولى على الحصون الأكبر أولاً، ثم على الحصتين الأصغر، ولم تنتظره حامياتهما، إذ رأوا أن الحصون الأكبر قد سقطت بسهولة. وعند سقوط الحصن الأول، وجد الرجال الذين نجحوا في اللجوء

إلى قواربهم وسفنهم التجارية صعوبة كبيرة في الوصول إلى المعسكر، حيث كان السيراقوسيون يحظون بأفضلية في المعركة في الميناء الكبير، وأرسلوا سفنًا سريعة الإبحار لملاحقتهم. ولكن عندما سقط الحصنان الآخران، هُزم السيراقوسيون الآن؛ وأبحر الهاربون من هذين الحصنين على طول الشاطئ بسهولة أكبر. شقت السفن السيراقوسية التي كانت تقاتل قبالة مصب الميناء طريقها عبر السفن الأثينية، وكانت تبحر دون أي نظام، ووقعت في اشتباك مع بعضها البعض، ونقلت النصر إلى الأثينيين؛ ولم يكتفوا بهزيمة السرب المذكور، بل هزموا أيضًا السرب الذي هُزموا به في البداية في الميناء، حيث أغرقوا إحدى عشرة سفينة من سفن السيراقوسيين وقتلوا معظم الرجال، باستثناء طاقم ثلاث سفن أسروها. واقتصرت خسارتهم على ثلاث سفن؛ وبعد نقل حطام السفن السيراقوسية إلى الشاطئ وإقامة غنائم على الجزيرة الصغيرة أمام بلميريوم، انسحبوا إلى معسكرهم.

"ومع ذلك، لم ينجح السراقوسيون في البحر، لكنهم استولوا على الحصون في بلميريوم، التي نصبوا لها ثلاث غنائم. وهدموا أحد الحصنين الأخيرين، لكنهم أعادوا ترتيب الحصنين الآخرين وحاصروهم. وفي الاستيلاء على الحصون قُتل عدد كبير من الرجال ووقعوا في الأسر، واستولى على كمية كبيرة من الممتلكات. ولأن الأثينيين استخدموا الحصون كمخزن، فقد كان بداخلها مخزون كبير من البضائع والحبوب للتجار، ومخزون كبير أيضًا يخص القادة؛ كما استولى على صواري وأثاث أربعين سفينة شراعية، بالإضافة إلى ثلاث سفن شراعية كانت قد تم سحبها إلى الشاطئ. والواقع أن السبب الأول والأهم لخراب الجيش الأثيني كان الاستيلاء على بلميريوم؛ حتى أن مدخل الميناء لم يعد آمنًا لنقل المؤن، حيث كانت السفن السراقوسية متمركزة هناك لمنع ذلك، ولم يكن من الممكن إدخال أي شيء دون قتال؛ بالإضافة إلى الانطباع العام بالذهول والإحباط الذي أحدثه في الجيش.

وبعد ذلك أرسل السراقوسيون اثنتي عشرة سفينة تحت قيادة أغاثارخوس السراقوسي. وذهبت إحداها إلى بيلوبونيز مع سفراء لوصف الحالة المأمولة لشئونهم، وحث البيلوبونيزيين على مواصلة الحرب هناك بنشاط أكبر مما كانوا يفعلون الآن، بينما أبحرت الإحدى عشرة سفينة الأخرى إلى إيطاليا، بعد أن علموا أن السفن المحملة بالمؤن كانت في طريقها إلى الأثينيين. وبعد أن هاجموا ودمروا معظم السفن المعنية، وأحرقوا في أراضي كولونيا كمية من الأخشاب لبناء السفن، والتي كانت معدة للأثينيين، توجه السرب السراقوسي إلى لوكري، وأحد السفن التجارية القادمة من بيلوبونيز، بينما كانت راسية هناك، تحمل مشاة ثيسبيان الثقيلة، أخذها على متنها وأبحرت على طول الشاطئ نحو الوطن. كان الأثينيون يراقبونهم بعشرين سفينة في ميجارا، لكنهم لم يتمكنوا إلا من الاستيلاء على سفينة واحدة بطاقمها؛ وأبحرت البقية إلى سرقوسة. ولقد دارت بعض المناوشات في الميناء حول الأكوام التي دقها السيراقوسيون في البحر أمام الأرصفة القديمة، حتى يسمحوا لسفنهم بالرسو في الداخل، دون أن تتعرض للأذى من قبل الأثينيين الذين يبحرون إلى هناك ويدفعونها إلى أسفل. فأحضر الأثينيون إليهم سفينة تزن عشرة آلاف وزنة، مزودة بأبراج خشبية وحواجز، وربطوا الحبال حول الأكوام من قواربهم، فقاموا برفعها وكسرها، أو غاصوا فيها ونشروها إلى نصفين. وفي الوقت نفسه أمطرهم السيراقوسيون بالصواريخ من الأرصفة، فردوا عليها من سفينتهم الكبيرة؛ حتى تمكن الأثينيون في النهاية من إزالة معظم الأكوام. ولكن الجزء الأكثر صعوبة من السياج كان الجزء الذي لا يمكن رؤيته: فبعض الأكوام التي دقها السيراقوسيون لم تظهر فوق الماء، لذا كان من الخطر الإبحار إلى الأعلى، خوفًا من اصطدام السفن بها، تمامًا كما يحدث عند اصطدامها بالشعاب المرجانية، لعدم رؤيتها. ومع ذلك، نزل الغواصون ونشروا حتى هذه الأكوام كمكافأة؛ ولكن السراقوسيين لم يكتفوا بذلك بل لجأوا إلى تكتيكات أخرى لم يكن من الممكن أن تنتهي إلى ما لا نهاية، كما قد يتوقع المرء بين جيشين متعاديين يواجهان بعضهما البعض على مسافة قصيرة، وكانت المناوشات ومحاولات أخرى عديدة تحدث باستمرار. وفي الوقت نفسه، أرسل

السراقوسيون سفارات إلى المدن، تتألف من الكورنثيين والأمبراشيين واللاكيديمونيين، لإخبارهم بالاستيلاء على بلميريوم، وأن هزيمتهم في المعركة البحرية لم تكن بسبب قوة العدو بقدر ما كانت بسبب اضطرابهم؛ ولإخبارهم عمومًا أنهم مملوءون بالأمل، ولرغبتهم في أن يأتوا لمساعدتهم بالسفن والقوات، كما كان متوقعًا من الأثينيين بجيش جديد، وإذا كان من الممكن تدمير الجيش الموجود بالفعل قبل وصول الجيش الآخر، فإن الحرب ستنتهي.

وبينما كانت الأطراف المتنازعة في صقلية منشغلة على هذا النحو، جمع ديموستينس الآن الأسلحة التي كان سيذهب بها إلى الجزيرة، وأبحر من إيجينا إلى بيلوبونيز، وانضم إلى كاركليس والثلاثين سفينة الأثينيين. وأخذوا على متن المشاة الثقيلة من أرجوس أبحروا إلى لاكونيا، وبعد أن نهبوا أولاً جزءًا من إبيداوروس ليميرا، نزلوا على ساحل لاكونيا، مقابل كيثيرا، حيث يوجد معبد أبولو، ودمروا جزءًا من البلاد، وحصنوا نوعًا من البرزخ، حيث يمكن للهيلوتس من اللاكديمونيين الهروب إليه، ومنه يمكن شن غارات نهب كما لو كانت من بيلوس. ساعد ديموستينس في احتلال هذا المكان، ثم أبحر على الفور إلى كورسيرا لضم بعض الحلفاء في تلك الجزيرة، وبالتالي المضي قدمًا دون تأخير إلى صقلية؛ بينما انتظر تشاريكليس حتى انتهى من تحصين المكان، وترك حامية هناك، وعاد إلى وطنه بعد ذلك مع سفنه الثلاثين والأرجيفيين أيضًا.

وفي نفس الصيف وصل إلى أثينا ألف وثلاثمائة من المقاتلين من قبيلة الدي، وكان من المقرر أن يبحروا إلى صقلية مع ديموستينس. ولأنهم وصلوا متأخرين، فقد قرر الأثينيون إعادتهم إلى تراقيا، حيث أتوا؛ لأن الاحتفاظ بهم لحرب ديشليا كان مكلفًا للغاية، حيث كان أجر كل رجل منهم دراخما في اليوم. والواقع أن ديشليا كانت قد حصنت أولاً من قبل جيش البيلوبونيز بأكمله خلال هذا الصيف، ثم احتلتها حاميات المدن لإزعاج البلاد، وكانت تحل محل بعضها البعض على فترات محددة، وكانت

تسبب ضررًا كبيرًا للأثينيين؛ والواقع أن هذا الاحتلال، بما نتج عنه من تدمير للممتلكات وخسارة للرجال، كان أحد الأسباب الرئيسية لخرابهم. في السابق كانت الغزوات قصيرة، ولم تمنعهم من التمتع بأرضهم خلال بقية الوقت: كان العدو الآن متمركزًا بشكل دائم في أتيكا؛ في وقت ما كان الهجوم بالقوة، وفي وقت آخر كان الحامية النظامية تغزو البلاد وتقوم بغارات من أجل بقائها، وكان الملك اللاكديموني، أجيس، في الميدان ويدير الحرب بجد؛ لذلك لحقت أضرار جسيمة بالأثينيين. لقد حُرموا من بلادهم بأكملها: هجر أكثر من عشرين ألف عبد، وكان جزء كبير منهم من الحرفيين، وفقدوا كل أغنامهم وحيوانات الحمل؛ وبينما كان الفرسان يركبون يوميًا في رحلات إلى ديسيليا وحراسة البلاد، كانت خيولهم إما تعرج بسبب العمل المستمر على أرض صخرية، أو تجرح من قبل العدو.

فضلاً عن ذلك فإن نقل المؤن من أوبيا، والذي كان يتم من قبل بسرعة أكبر بكثير عن طريق البر بواسطة ديكيليا من أوروبس، أصبح الآن يتم عن طريق البحر حول سونيوم بتكلفة باهظة؛ حيث كان لابد من استيراد كل ما تحتاجه المدينة من الخارج، وبدلاً من أن تكون مدينة، أصبحت حصنًا. وفي الصيف والشتاء، كان الأثينيون منهكين بسبب اضطرارهم إلى حراسة التحصينات، بالتناوب أثناء النهار، وفي الليل جميعًا، باستثناء الفرسان، عند المواقع العسكرية المختلفة أو على السور. ولكن أكثر ما أزعجهم هو أنهم كانوا يخوضون حربين في وقت واحد، وبالتالي وصلوا إلى ذروة من الجنون لم يكن أحد ليصدق حدوثها لو سمع بها قبل وقوعها. فهل كان أحد ليتصور أنهم حتى عندما يحاصرهم البيلوبونيزيون المتحصنون في أتيكا، فإنهم سيظلون هناك، بدلاً من الانسحاب من صقلية، ويحاصرون بنفس الطريقة سيراكوزا، وهي مدينة (تعتبر مدينة) لا تقل بأي حال من الأحوال عن أثينا، أو أنهم سيقلبون تقدير اليونانيين لقوتهم وجرأتهم إلى حد كبير، بحيث يظهرون بمظهر شعب كان البعض في بداية الحرب يظنون أنه قد يصمد لمدة عام، أو عامين، أو ثلاثة أعوام، إذا غزا البيلوبونيزيون بلادهم، بعد سبعة عشر عامًا من الغزو الأول، وبعد أن عانوا

بالفعل من كل شرور الحرب، ذهبوا إلى صقلية وخاضوا حربًا جديدة لا تقل شأنًا عن تلك التي خاضوها بالفعل مع البيلوبونيزيين؟ لقد تسببت هذه الأسباب، والخسائر الفادحة في ديسيليا، وغيرها من الأعباء الثقيلة التي وقعت عليهم، في إحراجهم المالي؛ وفي هذا الوقت فرضوا على رعيتهم، بدلاً من الجزية، ضريبة قدرها عشرون جزءًا من المائة على جميع الواردات والصادرات عن طريق البحر، والتي اعتقدوا أنها ستجلب لهم المزيد من المال؛ ولم تعد نفقاتهم الآن كما كانت في البداية، بل زادت مع الحرب بينما تدهورت عائداتهم.

وعلى هذا، فقد رفضوا تحمل نفقات باهظة في ظل افتقارهم إلى المال، فأعادوا على الفور التراقيين الذين وصلوا متأخرين عن موعد وصول ديموستينس، تحت قيادة ديتريفيس، الذي أُمر، بما أنهم كانوا سيمرون عبر نهر يوريبوس، باستخدامهم إن أمكن في الرحلة على طول الشاطئ لإلحاق الأذى بالعدو. فأنزلهم ديتريفيس أولاً في تاناغرا واستولى على بعض الغنائم على عجل؛ ثم أبحر عبر نهر يوريبوس في المساء من خالكيذا في أوبيا، ونزل في بيوتيا وقادهم ضد ميكاليسوس. وفي الليل مر دون أن يلاحظه أحد بالقرب من معبد هيرميس، على بعد أقل من ميلين من ميكاليسوس، وعند الفجر هاجم المدينة، وهي ليست مدينة كبيرة؛ كان السكان في حالة من عدم الحذر ولم يتوقعوا أن يأتي أحد إلى هذا الحد من البحر لمضايقتهم، وكان الجدار ضعيفًا أيضًا، وانهار في بعض الأماكن، بينما لم يكن قد بني بأي ارتفاع في أماكن أخرى، وتركوا البوابات مفتوحة أيضًا بسبب شعورهم بالأمان. اقتحم التراقيون ميكاليسوس ونهبوا المنازل والمعابد، وذبحوا السكان، ولم يبق منهم شباب ولا كبار، بل قتلوا كل من وقعوا في شراكهم، واحدًا تلو الآخر، من الأطفال والنساء، وحتى حيوانات الحمل، وكل الكائنات الحية الأخرى التي رأوها؛ كان العرق التراقي، مثل أكثر البرابرة دموية، أكثر دموية عندما لم يكن لديهم ما يخشونه. ساد الفوضى في كل مكان والموت بكل أشكاله؛ وبشكل خاص هاجموا مدرسة للبنين، وهي الأكبر من نوعها في المكان، والتي ذهب إليها الأطفال للتو، وذبحوهم جميعًا. باختصار، كانت

الكارثة التي حلت بالمدينة بأكملها غير مسبوقة في الحجم، ولم يقترب منها أحد فجأة وبرعب.

وفي هذه الأثناء سمع أهل طيبة بالأمر فساروا لإنقاذهم، ولحقوا بالتراقيين قبل أن يبتعدوا، واستعادوا الغنائم ودفعوهم في ذعر إلى نهر يوريبوس والبحر، حيث كانت السفن التي جلبتهم راسية. ووقعت أعظم المذبحة أثناء إبحارهم، لأنهم لم يكونوا يعرفون السباحة، ولما رأى من كانوا في السفن ما كان يحدث على الشاطئ، رسوها من رمي القوس: وفي بقية الانسحاب، قدم التراقيون دفاعًا محترمًا للغاية ضد خيول طيبة، التي هاجمتهم أولاً، فاندفعوا وحاصروا صفوفهم وفقًا لتكتيكات بلادهم، ولم يخسروا سوى عدد قليل من الرجال في ذلك الجزء من الأمر. وقد تم القبض على عدد كبير من الذين كانوا يسعون إلى النهب في المدينة وقتلهم. وبلغ إجمالي عدد قتلى التراقيين مائتين وخمسين من أصل ثلاثمائة وثلاثمائة، وبلغ عدد القتلى من أهل طيبة ومن بقية الذين جاءوا لإنقاذهم حوالي عشرين، من الجنود والمشاة الثقيلة، مع سكيرفونداس، أحد حكام بويوتارش. لقد خسر الميكاليسيون نسبة كبيرة من سكانهم.

وبينما كان ميكاليسوس يعاني من كارثة بسبب اتساعها، لا تقل فظاعة عن أي كارثة أخرى حدثت في الحرب، وجد ديموستينس، الذي أبحرنا معه إلى كورسيرا، بعد بناء الحصن في لاكونيا، سفينة تجارية راسية في فيا في إليس، حيث كان من المقرر أن تعبر بها قوات المشاة الكورنثية الثقيلة إلى صقلية. فدمر السفينة، لكن الرجال فروا، ثم استقلوا سفينة أخرى واصلوا فيها رحلتهم. وبعد ذلك، وصل إلى زاكينثوس وكيفالينيا، وأخذ على متنها مجموعة من قوات المشاة الثقيلة، وأرسل في طلب بعض الميسينيين من ناوباكتوس، وعبر إلى الساحل المقابل لأكارنانيا، إلى أليزيا، وإلى أنكتوريوم التي كانت تحت سيطرة الأثينيين. وبينما كان في تلك الأنحاء، استقبله يوريميدون عائداً من صقلية، حيث أُرسِل، كما ذُكِر، خلال الشتاء، مع المال للجيش،

فأخبره بالأخبار، كما أنه سمع، أثناء وجوده في البحر، أن السيراقوسيين استولوا على بلميريوم. وهنا أيضاً، جاءهم كونون، القائد في ناوباكتوس، حاملاً إليهم أخباراً مفادها أن السفن الكورنثية الخمس والعشرين المتمركزة أمامه، بعيدة كل البعد عن الاستسلام للحرب، كانت تفكر في الاشتباك؛ ولذلك توسل إليهم أن يرسلوا إليه بعض السفن، لأن سفنه الثماني عشرة لم تكن نداً لسفن العدو الخمس والعشرين. وبناءً على ذلك، أرسل ديموستينيس ويوريميدون عشرة من أفضل بحارتهم مع كونون لتعزيز السرب في ناوباكتوس، وفي الوقت نفسه أعدوا لحشد قواتهم؛ "أما يوريميدون، الذي كان الآن زميل ديموستينس، فقد عاد أدراجه بسبب تعيينه، وأبحر إلى كورسيرا ليأمرهم بتجهيز خمس عشرة سفينة وتجنيد المشاة الثقيلة؛ في حين رفع ديموستينس المقاليع والسهام من الأجزاء المحيطة بأكارنانيا.

وفي غضون ذلك، نجح المبعوثون الذين سبق ذكرهم، والذين ذهبوا من سرقوسة إلى المدن بعد الاستيلاء على بلميريوم، في مهمتهم، وكانوا على وشك إحضار الجيش الذي جمعوه، عندما علم نيسياس بذلك، وأرسل إلى سينتوريباي وأليكيا وغيرهم من الصقليين الأصدقاء، الذين يسيطرون على الممرات، لا للسماح للعدو بالمرور، بل للتعاون لمنعهم من المرور، حيث لم يكن هناك أي طريقة أخرى يمكنهم من خلالها حتى محاولة ذلك، حيث لم يسمح لهم الأغريجنتيون بالمرور عبر بلادهم. واستجابة لهذا الطلب، نصب الصقليون كمينًا ثلاثيًا للصقليين أثناء تقدمهم، وهاجموهم فجأة، وهم في حالة غفلة، فقتلوا حوالي ثمانمائة منهم وجميع المبعوثين، باستثناء الكورنثيين فقط، الذين تم نقل ألف وخمسمائة منهم إلى سرقوسة.

وفي نفس الوقت تقريبًا، جاء الكامارينيون أيضًا لمساعدة سيراقوسة بخمسمائة من المشاة الثقيلة، وثلاثمائة من الرماة، ومثلهم من الرماة، بينما أرسل الغيليون طواقم لخمس سفن، وأربعمائة من الرماة، ومائتي فارس. والواقع أن صقلية بأكملها تقريبًا،

باستثناء الأغريجنتيين، الذين كانوا محايدين، توقفت الآن عن مجرد مراقبة الأحداث كما كانت تفعل حتى ذلك الحين، وانضمت بنشاط إلى سيراقوسة ضد الأثينيين.

"في حين أن السراقوسيين بعد كارثة سيكل أرجأوا أي هجوم فوري على الأثينيين، عبر ديموستيني ويوريميدون، اللذان كانت قواتهما من كورسيرا والقارة مستعدة الآن، الخليج الأيوني بكل أسلحتهما إلى الرأس الإيبيجي، وبدءًا من هناك لمسوا جزر تشويراديس الواقعة قبالة إيبيجيا، حيث أخذوا على متنها مائة وخمسين دارتر إيبيجيا من قبيلة ميسابيان، وبعد تجديد صداقة قديمة مع أرتاس الزعيم، الذي زودهم بالدارتر، وصلوا إلى ميتابونيوم في إيطاليا. وهنا أقنعوا حلفاءهم من أهل ميتابونتين بإرسال ثلاثمائة سفينة شراعية وسفينتين حربيتين معهم، ومع هذه التعزيزات، تابعوا رحلتهم إلى ثوري، حيث وجدوا الحزب المعادي لأثينا الذي طردته الثورة مؤخرًا، وبناءً على ذلك بقوا هناك لحشد الجيش بأكمله ومراجعته، لمعرفة ما إذا كان قد تبقى أي جيش خلفهم، وإقناع الثوريين بحزم بالانضمام إليهم في حملتهم، وفي ظل الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها لإبرام تحالف دفاعي وهجومي مع الأثينيين.

وفي نفس الوقت تقريبًا، كان البيلوبونيزيون في السفن الخمس والعشرين المتمركزة قبالة السرب في ناوباكتوس لحماية ممر النقل إلى صقلية قد استعدوا للاشتباك، وجهزوا بعض السفن الإضافية، بحيث لا يقل عددهم عن الأثينيين، ورسوا قبالة إيرينيوس في آخايا في بلاد الريب. ولأن المكان الذي كانوا يرقدون فيه كان على شكل هلال، فقد جاءت القوات البرية التي زودها الكورنثيون وحلفاؤهم في المكان واصطفوا على الرؤوس البارزة على كلا الجانبين، بينما احتفظ الأسطول، تحت قيادة بوليانثيس، الكورنثي، بالمساحة الفاصلة وسد المدخل. أبحر الأثينيون بقيادة ديفيلوس الآن لمهاجمتهم بثلاث وثلاثين سفينة من ناوباكتوس، ولم يتحرك الكورنثيون في البداية، لكنهم ظنوا أخيرًا أنهم رأوا الفرصة، فرفعوا الإشارة وتقدموا

واشتبكوا مع الأثينيين. وبعد صراع عنيد، خسر الكورنثيون ثلاث سفن، ودون أن يغرقوا أيًا منها، عجزوا عن إغراق سبع سفن للعدو، كانت قد أصيبت من مقدمتها إلى مقدمتها، وأحرقت سفنها الأمامية بواسطة السفن الكورنثية، التي كانت قد عززت خدودها لهذا الغرض بالذات. وبعد هذا العمل المتكافئ، والذي كان بإمكان أي من الطرفين أن يدعي النصر فيه (على الرغم من أن الأثينيين أصبحوا سادة السفن المحطمة من خلال الرياح التي دفعت بها إلى البحر، ولم يقم الكورنثيون مرة أخرى بمواجهتهم)، انفصل الطرفان المقاتلان. لم تحدث أي مطاردة، ولم يتم أسر أي من الجانبين؛ وتمكن الكورنثيون والبيلوبونيزيون الذين كانوا يقاتلون بالقرب من الشاطئ من الفرار بسهولة، ولم تغرق أي من سفن الأثينيين. أبحر الأثينيون الآن عائدين إلى ناوباكتوس، وأقام الكورنثيون على الفور غنائم انتصارهم، لأنهم عطلوا عددًا أكبر من سفن العدو. وعلاوة على ذلك، فقد زعموا أنهم لم يُهزموا، لنفس السبب الذي جعل خصمهم يزعم أنه لم يكن منتصراً؛ إذ اعتبر الكورنثيون أنهم فاتحون، إن لم يكونوا قد هُزِموا بشكل حاسم، بينما اعتبر الأثينيون أنفسهم مهزومين، لأنهم لم يكونوا منتصرين بشكل حاسم. ومع ذلك، عندما أبحر البيلوبونيزيون وتشتتت قواتهم البرية، أقام الأثينيون أيضًا غنائم انتصارهم في آخائية، على بعد ميلين وربع الميل من إيرينيوس، محطة كورنثيا.

كانت هذه نهاية المعركة في ناوبكتوس. والعودة إلى ديموستيني وأوريميدون: بعد أن استعد الثوريون للانضمام إلى الحملة بسبعمائة من المشاة الثقيلة وثلاثمائة من القراصنة، أمر القائدان السفن بالإبحار على طول الساحل إلى أراضي كروتوني، وفي الوقت نفسه أجريا مراجعة لجميع القوات البرية على نهر سيباريس، ثم قاداها عبر بلاد ثوريان. وعندما وصلا إلى نهر هيلياس، تلقوا رسالة من الكروتونيين، تفيد بأنهم لن يسمحوا للجيش بالمرور عبر بلادهم؛ وعندها نزل الأثينيون نحو الشاطئ، وخيموا بالقرب من البحر ومصب هيلياس، حيث التقاهم الأسطول أيضًا، وفي اليوم التالي

صعدوا على متن السفينة وأبحروا على طول الساحل ولمسوا جميع المدن باستثناء لوكري، حتى وصلوا إلى بترا في إقليم ريجي.

وفي غضون ذلك، سمع السيراقوسيون باقترابهم، فقرروا القيام بمحاولة ثانية بأسطولهم وقواتهم الأخرى على الشاطئ، والتي كانوا يجمعونها لهذا الغرض بالذات من أجل القيام بشيء ما قبل وصولهم. بالإضافة إلى التحسينات الأخرى التي اقترحتها المعارك البحرية السابقة والتي اعتمدوها الآن في معدات أسطولهم البحري، فقد خفضوا مقدمات السفن إلى بوصلة أصغر لجعلها أكثر صلابة وجعلوا خدودها أكثر سمكًا، ومن هذه الدعامات تركوا في جوانب السفن بطول ستة أذرع من الداخل والخارج، بنفس الطريقة التي غير بها الكورنثيون مقدمات سفنهم قبل الاشتباك مع السرب في ناوباكتوس. اعتقد السيراقوسيون أنهم بذلك سيكونون متفوقين على السفن الأثينية، التي لم تكن مبنية بنفس القوة، وكانت مقدماتها ضئيلة، لأنها كانت معتادة على الإبحار حول جانب العدو ومهاجمته أكثر من مواجهته بمقدمة إلى مقدمة، وأن المعركة كانت في الميناء الكبير، مع عدد كبير من السفن في مساحة صغيرة، كانت أيضًا حقيقة لصالحهم. إن الهجوم من مقدمة إلى مقدمة السفينة سوف يعرقل أقواس العدو، وذلك بضرب أقواس العدو المجوفة والضعيفة بمناقير قوية وقوية؛ وثانياً، سوف يعجز الأثينيون بسبب افتقارهم إلى المساحة عن استخدام مناورتهم المفضلة المتمثلة في كسر الخط أو الإبحار حول السفينة، حيث سيبذل السراقوسيون قصارى جهدهم لمنعهم من القيام بذلك، وسوف يمنعهم الافتقار إلى المساحة من القيام بالأخرى. إن هذا الهجوم من مقدمة إلى مقدمة السفينة، والذي كان يُعتقد حتى ذلك الحين أنه يفتقر إلى المهارة في ربان السفينة، سوف يكون المناورة الرئيسية للسراقوسيين، باعتبارها المناورة التي سوف يجدونها الأكثر فائدة، حيث إن الأثينيين، إذا صُدِموا، لن يتمكنوا من الرجوع إلى الوراء في أي اتجاه باستثناء اتجاه الشاطئ، وذلك لمسافة قصيرة فقط، وفي المساحة الصغيرة أمام معسكرهم. وسوف يكون بقية الميناء تحت سيطرة السراقوسيين؛ ولقد كان

الأثينيون، إذا ما اضطروا إلى التكدس في مساحة صغيرة وفي نقطة واحدة، سيتصادمون مع بعضهم البعض ويسقطون في الفوضى، وهو ما كان في الواقع هو الشيء الذي ألحق الأثينيين أشد الأذى في كل المعارك البحرية، إذ لم يكن لديهم، مثل السراقسيين، الميناء بأكمله للتراجع عبره. أما عن الإبحار في البحر المفتوح، فكان ذلك مستحيلاً، لأن السراقسيين كانوا يمتلكون طريق الخروج والدخول، وخاصة أن بلميريوم كانت ستواجههم بالعداء، ولم يكن مدخل الميناء كبيراً.

وباستخدام هذه الحيل التي تناسب مهارتهم وقدرتهم، وبعد أن أصبحوا أكثر ثقة بعد المعركة البحرية السابقة، هاجم السيراقوسيون برًا وبحرًا في آن واحد. قاد جيليبوس قوة المدينة الأولى قليلاً وقادها إلى سور الأثينيين، حيث كانت تنظر نحو المدينة، بينما تقدمت القوة القادمة من الأوليمبيوم، أي المشاة الثقيلة التي كانت هناك مع الخيول والقوات الخفيفة للسيراقوسيين، ضد السور من الجانب المقابل؛ ثم أبحرت سفن السيراقوسيين وحلفائهم بعد ذلك مباشرة. تصور الأثينيون في البداية أنهم سيتعرضون للهجوم برًا فقط، ولم يكن من دون انزعاج عندما رأوا الأسطول يقترب فجأة أيضًا؛ وبينما كان البعض يتجمعون على الجدران وأمامها لمقاومة العدو المتقدم، وبعضهم يسيرون على عجل لمواجهة أعداد الخيول والفرسان القادمين من الأولمبيوم ومن الخارج، كان آخرون يجهزون السفن أو يهرعون إلى الشاطئ لمقاومة العدو، وعندما تم تجهيز السفن تم إخمادها بخمسة وسبعين شراعًا ضد حوالي ثمانين من السيراقوسيين.

وبعد أن أمضى السيراقوسيون جزءًا كبيرًا من اليوم في التقدم والتراجع والمناوشات مع بعضهم البعض، دون أن يتمكن أي منهما من الحصول على أي ميزة جديرة بالذكر، باستثناء إغراق السيراقوسيين لواحدة أو اثنتين من السفن الأثينية، انفصلوا، وانسحبت القوات البرية في نفس الوقت من الخطوط. وفي اليوم التالي، ظل السيراقوسيون هادئين، ولم يبدوا أي إشارة إلى ما كانوا ينوون فعله؛ ولكن نيسياس،

عندما رأى أن المعركة كانت متكافئة، وتوقع أن يهاجموا مرة أخرى، أجبر القباطنة على إعادة تجهيز أي من السفن التي عانت، ورسو السفن التجارية أمام السياج الذي دفعوه إلى البحر أمام سفنهم، ليكون بمثابة ميناء مغلق بدلاً من ذلك، على بعد حوالي مائتي قدم من بعضها البعض، حتى تتمكن أي سفينة تتعرض لضغوط شديدة من التراجع بأمان والإبحار مرة أخرى في وقت فراغ. وقد شغلت هذه الاستعدادات الأثينيين طوال اليوم حتى حلول الليل.

وفي اليوم التالي بدأ السراقوسيون عملياتهم في وقت أبكر، ولكن بنفس خطة الهجوم البري والبحري. وقضى الطرفان المتنافسان جزءًا كبيرًا من اليوم كما كانا من قبل في مواجهة بعضهما البعض والمناوشات؛ حتى أقنع أريستون، ابن بيرهيكوس، وهو من أهل كورنثوس، وهو أقدر ربان في الخدمة السراقوسية، قادتهم البحريين بإرسال مبعوثين إلى المسؤولين في المدينة، وإخبارهم بنقل سوق البيع بأسرع ما يمكن إلى البحر، وإلزام كل فرد بإحضار ما لديه من طعام وبيعه هناك، وبالتالي تمكين القادة من إنزال الطواقم وتناول العشاء على الفور بالقرب من السفن، وبعد ذلك بوقت قصير، في نفس اليوم، مهاجمة الأثينيين مرة أخرى عندما لم يكونوا يتوقعون ذلك.

"وإذًا بهذه النصيحة، أرسل رسول واستعد السوق، فتراجع السراقوسيون فجأة وانسحبوا إلى المدينة، ونزلوا على الفور وتناولوا عشاءهم في المكان؛ بينما تصور الأثينيون أنهم عادوا إلى المدينة لأنهم شعروا بالهزيمة، فنزلوا على راحتهم وشرعوا في الحصول على عشاءهم والقيام بأشغالهم الأخرى، على اعتقاد أنهم انتهوا من القتال في ذلك اليوم. وفجأة، حشد السراقوسيون سفنهم وأبحروا ضدهم مرة أخرى؛ وصعد الأثينيون على متن السفينة في ارتباك شديد وكان معظمهم صائمين، وبصعوبة كبيرة خرجوا لمواجهتهم. وظل الطرفان لبعض الوقت في موقف دفاعي دون الدخول في اشتباك، حتى قرر الأثينيون أخيرًا ألا يتركوا أنفسهم يرهقون بالانتظار حيث هم، بل أن يهاجموا دون تأخير، وهتفوا، ودخلوا في العمل. "استقبلهم

السيراقوسيون، وهاجموا مقدمتهم إلى مقدمتها كما خططوا، وأطلقوا النار في جزء كبير من سفن الأثينيين بقوة مناقيرهم؛ كما ألحقت السهام على سطح السفن أضرارًا كبيرة بالأثينيين، ولكن الضرر الأكبر كان من قبل السيراقوسيين الذين سافروا في قوارب صغيرة، واصطدموا بمجاديف السفن الأثينية، وأبحروا ضد جوانبها، وأطلقوا من هناك سهامهم على البحارة.

وفي النهاية، وبعد أن قاوموا بشدة على هذا النحو، انتصر السيراقوسيون، واستدار الأثينيون وفروا بين السفن التجارية إلى محطتهم. وطاردتهم السفن السيراقوسية حتى وصلت إلى السفن التجارية، حيث أوقفتهم العوارض المسلحة بالدلافين المعلقة من تلك السفن فوق الممر. واقتربت سفينتان من السيراقوسيين كثيرًا من حماسة النصر فدُمرتا، وأسروا إحداهما بطاقمها. وبعد إغراق سبع سفن أثينية وتعطيل العديد منها، وأسر معظم الرجال وقتل آخرين، انسحب السيراقوسيون وأعدوا غنائم لكلا المواجهتين، واثقين الآن من تفوقهم الحاسم في البحر، ولا ييأسون بأي حال من الأحوال من تحقيق نجاح متساوٍ في البر.

الفصل الثاني والعشرون

السنة التاسعة عشرة من الحرب - وصول ديموستينس - هزيمة الأثينيين في إبيبولاي - حماقة نيسياس وعناده

وفي الوقت نفسه، بينما كان السراقوسيون يستعدون لشن هجوم ثان على العنصرين، وصل ديموستينيس ويوريميدون مع المساعدات من أثينا، والتي كانت تتألف من حوالي ثلاث وسبعين سفينة، بما في ذلك الأجانب؛ وحوالي خمسة آلاف من المشاة الثقيلة، الأثينيين وحلفائهم؛ وعدد كبير من الرماة، اليونانيين والبرابرة، والمقلاعين والرماة وكل شيء آخر على نطاق مماثل. كان السراقوسيون وحلفاؤهم في تلك اللحظة غير مرتاحين قليلاً لفكرة أنه لن يكون هناك نهاية أو نهاية للمخاطر التي يواجهونها، حيث رأوا، على الرغم من تحصين ديسيليا، جيشًا جديدًا يصل تقريبًا بنفس قوة الجيش السابق، وقوة أثينا التي أثبتت عظمتها في كل جانب. من ناحية أخرى، استعاد السلاح الأثيني الأول بعض الثقة في وسط مصائبه. ولما رأى ديموستينس كيف كانت الأمور، شعر بأنه لا يستطيع أن يستمر في التباطؤ والتصرف كما فعل نيسياس، الذي سمح للرعب الذي شعر به عندما وصل في البداية بالتبخر بازدراء، وذلك بقضائه الشتاء في كاتانا بدلاً من مهاجمة سرقوسة على الفور، وأعطى الوقت لجيلبوس للوصول بقوة من البيلوبونيز، والتي لم يكن السرقوسيون ليطلبوها لو هاجمهم على الفور؛ لأنهم تصوروا أنهم ند له بمفردهم، وما كانوا ليكتشفوا ضعفهم إلا بعد أن هزمهم بالفعل، وحتى لو طلبوا المساعدة بعد ذلك، فلن يتمكنوا من الاستفادة من وصولهم على قدم المساواة. وتذكر ديموستينس هذا، وأدرك جيدًا أنه في اليوم الأول بعد وصوله كان أكثر قوة في مواجهة العدو مثل نيسياس، فقرر ألا يضيع الوقت في تحقيق أقصى استفادة من الذعر الذي أحدثه جيشه في تلك اللحظة؛ ولما رأى أن السور المضاد للسراقسيين، الذي كان يمنع الأثينيين من حصارهم، كان واحدًا، وأن من يتولى قيادة الطريق إلى إبيبولاي، ثم قيادة المعسكر هناك، لن

يجد صعوبة في الاستيلاء عليه، حيث لن ينتظر أحد هجومه، سارع إلى محاولة تنفيذ المهمة. واعتبر هذا أقصر الطرق لإنهاء الحرب، لأنه إما أن ينجح ويستولي على سرقوسة، أو يعيد الأسلحة بدلاً من إهدار أرواح الأثينيين المشاركين في الحملة وموارد البلاد بشكل عام.

"أولاً، خرج الأثينيون ودمروا أراضي السيراقوسيين حول أنابوس، وحملوا كل شيء أمامهم كما في البداية عن طريق البر والبحر، ولم يعرض السيراقوسيون مواجهتهم بأي من العنصرين، إلا بفرسانهم ورماة القوس من الأوليمبيوم. بعد ذلك، قرر ديموستينس محاولة بناء السور المضاد أولاً باستخدام المحركات. ولكن لأن المحركات التي أحضرها احترقت بسبب العدو الذي كان يقاتل من السور، وصدت بقية القوات بعد الهجوم في نقاط مختلفة عديدة، فقد قرر ألا يتأخر أكثر من ذلك، وبعد أن حصل على موافقة نيسياس وزملائه القادة، شرع في تنفيذ خطته لمهاجمة إبيبولاي. ولما كان من المستحيل الاقتراب والنهوض في النهار دون أن يلاحظه أحد، أمر بتجهيز المؤن لمدة خمسة أيام، وأخذ جميع البنائين والنجارين، وأشياء أخرى، مثل السهام، وكل ما قد يحتاجون إليه من أجل أعمال التحصين إذا نجحوا، وبعد الحراسة الأولى، انطلق مع يوريميدون وميناندر والجيش بأكمله إلى إبيبولاي، وترك نيسياس في الصفوف. وبعد أن صعدوا إلى تل يوريلوس (حيث صعد الجيش السابق في البداية) دون أن يلاحظهم حراس العدو، صعدوا إلى الحصن الذي كان يملكه السيراقوسيون هناك، واستولوا عليه، وقتلوا جزءًا من الحامية بحد السيف. ومع ذلك، هرب العدد الأكبر على الفور وأبلغوا الإنذار إلى المعسكرات، التي كان هناك ثلاثة منها في إبيبولاي، محمية بتحصينات خارجية، واحدة للسيراقوسيين، وواحدة من الصقليين الآخرين، وواحدة من الحلفاء؛ ولقد كان هذا الهجوم موجهاً إلى ستمائة من أهل سيراقوسة الذين شكلوا الحامية الأصلية لهذا الجزء من إبيبولاي. وقد تقدم هؤلاء على الفور ضد المهاجمين، وانضموا إلى ديموستينس والأثينيين، فهزمهم المهاجمون بعد مقاومة عنيفة، فواصل المنتصرون الهجوم على الفور، حريصين على

تحقيق أهداف الهجوم دون إعطاء الوقت الكافي لتهدئة حماستهم؛ وفي الوقت نفسه، استولى آخرون منذ البداية على السور المضاد للسيراقوسيين، الذي تخلت عنه حاميتهم، وهدموا الأسوار. وتقدم السيراقوسيون وحلفاؤهم، وجليبوس والقوات تحت قيادته، لإنقاذهم من التحصينات الخارجية، لكنهم أصيبوا ببعض الذعر (حيث كان الهجوم الليلي جريئاً لم يتوقعوه قط)، واضطروا في البداية إلى التراجع. ولكن بينما كان الأثينيون، الذين كانوا في غاية السعادة بانتصارهم، يتقدمون الآن بقدر أقل من النظام، راغبين في شق طريقهم بأسرع ما يمكن عبر كامل قوة العدو التي لم تكن منخرطة بعد، ودون تخفيف هجومهم أو منحهم الوقت الكافي للتجمع، قام البويوتيون بأول موقف ضدهم، وهاجموهم، وهزموهم، وأجبروهم على الفرار.

لقد وقع الأثينيون الآن في حالة من الفوضى والحيرة الشديدة، حتى أنه لم يكن من السهل الحصول من أي طرف على أي تقرير مفصل عن الأمر. وبالتأكيد كان لدى المقاتلين فكرة أكثر وضوحًا في النهار، رغم أنهم حتى في ذلك الوقت لم يكونوا على علم بكل ما يحدث، حيث لم يكن أحد يعرف الكثير عن أي شيء لا يحدث في جواره المباشر؛ ولكن في الاشتباك الليلي (وكان هذا هو الاشتباك الوحيد الذي حدث بين جيشين كبيرين أثناء الحرب) كيف يمكن لأي شخص أن يعرف أي شيء على وجه اليقين؟ على الرغم من وجود قمر ساطع، إلا أنهم لم يروا بعضهم البعض إلا كما يفعل الرجال في ضوء القمر، أي أنهم كانوا قادرين على التمييز بين شكل الجسم، لكنهم لم يتمكنوا من معرفة ما إذا كان صديقًا أم عدوًا. كان لدى كل من الطرفين أعداد كبيرة من المشاة الثقيلة تتحرك في مساحة صغيرة. كان بعض الأثينيين قد هُزموا بالفعل، بينما كان آخرون قادمين دون أن يُهزموا لشن هجومهم الأول. كما أن جزءًا كبيرًا من بقية قواتهم إما كان قد نهض للتو، أو كان لا يزال يصعد، بحيث لم يعرفوا إلى أي طريق يسيرون. وبسبب الهزيمة التي لحقت بكل من كان في المقدمة، أصبح كل من كان في المقدمة في حالة من الارتباك، وكان الضجيج يجعل من الصعب التمييز بين أي شيء. وكان أهل سيراقوسة المنتصرون وحلفاؤهم يهتفون

لبعضهم البعض بصيحات عالية، وكانت هذه الوسيلة الوحيدة الممكنة للاتصال في الليل، وكانوا في الوقت نفسه يستقبلون كل من يهاجمهم؛ بينما كان الأثينيون يبحثون عن بعضهم البعض، ويعتبرون كل من أمامهم أعداء، حتى ولو كانوا من أصدقائهم الهاربين؛ وكانوا يسألون باستمرار عن كلمة السر، التي كانت وسيلتهم الوحيدة للتعرف على العدو، لا يتسببون في حدوث ارتباك كبير فيما بينهم فقط من خلال السؤال مرة واحدة، بل إنهم جعلوها معروفة أيضًا للعدو، الذي لم يتمكنوا من اكتشافه بسهولة، لأن أهل سيراقوسة كانوا منتصرين ولم يتشتتوا، وبالتالي كان من الصعب أن يخطئوا في فهمه. وكانت النتيجة أنه إذا وقع الأثينيون في شراك مجموعة من الأعداء أضعف منهم، فإنهم يفلتون من معرفتهم لكلمة السر الخاصة بهم؛ أما إذا فشلوا هم أنفسهم في الإجابة فإنهم يُقتَلون بالسيف. ولكن ما أضرهم بنفس القدر، بل وأكثر من أي شيء آخر، هو غناء التراتيل، من الحيرة التي تسبب فيها كونهم متماثلين تقريبًا على كلا الجانبين؛ فقد أثار الأرجيون والكورسيريون وأي شعوب دوريان أخرى في الجيش الرعب في نفوس الأثينيين كلما رفعوا تراتيلهم، تمامًا كما فعل العدو. وهكذا، بعد أن أُلقي بهم في حالة من الفوضى، انتهى بهم الأمر إلى الاصطدام ببعضهم البعض في أجزاء عديدة من الميدان، أصدقاء مع أصدقائهم، ومواطنين مع مواطنيهم، ولم يكتفوا بإخافة بعضهم البعض، بل وصلوا إلى حد الضربات ولم يكن من الممكن أن يفترقوا إلا بصعوبة. وفي المطاردة هلك كثيرون بإلقاء أنفسهم من المنحدرات، حيث كان الطريق إلى أسفل من إبيبولاي ضيقًا؛ ومن بين أولئك الذين نزلوا بأمان إلى السهل، على الرغم من أن العديد منهم، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى السلاح الأول، فروا بسبب معرفتهم الأفضل بالمكان،فقد بعض الوافدين الجدد طريقهم وتاهوا في أنحاء البلاد، وفي الصباح تم قطع طريقهم على يد سلاح الفرسان السيراقوسي وقتلهم.

وفي اليوم التالي نصب السراقوسيون غنائمهم، واحدة في إبيبولاي حيث تم الصعود، والأخرى في المكان الذي تم فيه أول اختبار من قبل البويوتيين؛ واستعاد الأثينيون

قتلاهم بموجب هدنة. وقُتل عدد كبير من الأثينيين وحلفائهم، على الرغم من أن عددًا أكبر من الأسلحة قد تم الاستيلاء عليه أكثر مما يمكن تفسيره بعدد القتلى، حيث نجا بعض أولئك الذين اضطروا إلى القفز من المنحدرات دون دروعهم بحياتهم ولم يهلكوا مثل الباقين.

وبعد ذلك، استعاد السراقوسيون ثقتهم القديمة في ضربة الحظ غير المتوقعة هذه، فأرسلوا سيكانوس مع خمس عشرة سفينة إلى أجريجينتوم حيث كانت هناك ثورة، لحمل المدينة على الانضمام إليهم إن أمكن؛ بينما ذهب جيليبوس مرة أخرى براً إلى بقية صقلية لإحضار التعزيزات، وكان يأمل الآن في مهاجمة الخطوط الأثينية، بعد نتيجة حادثة إبيبولاي.

وفي غضون ذلك، تشاور القادة الأثينيون بشأن الكارثة التي حدثت، والضعف العام الذي أصاب الجيش. فقد رأوا أنفسهم غير ناجحين في مشاريعهم، وكان الجنود يشعرون بالاشمئزاز من بقائهم؛ حيث تفشت الأمراض بينهم بسبب كون ذلك موسمًا مريضًا من العام، وطبيعة المكان الذي عسكروا فيه مستنقعية وغير صحية؛ وكانوا يعتبرون حالة شئونهم بشكل عام يائسة. وبناءً على ذلك، رأى ديموستينيس أنه لا ينبغي لهم البقاء لفترة أطول؛ ولكن بعد فشل هذه الفكرة، وافق على فكرته الأصلية في المخاطرة بمحاولة الاستيلاء على إبيبولاي، فصوت لصالح المغادرة دون إضاعة المزيد من الوقت، بينما قد يكون من الممكن عبور البحر، وقد تمنحهم التعزيزات المتأخرة التفوق على أي حال في هذا العنصر. كما قال إنه سيكون من الأفضل للدولة أن تستمر في الحرب ضد أولئك الذين كانوا يبنون التحصينات في أتيكا، بدلاً من شن الحرب ضد السيراقوسيين الذين لم يعد من السهل إخضاعهم؛ وبالإضافة إلى ذلك، لم يكن من الصواب إهدار مبالغ كبيرة من المال بلا فائدة من خلال الاستمرار في الحصار.

كان هذا هو رأي ديموستينس. ولم يكن نيسياس راغباً في الاعتراف بضعفهم، أو إبلاغ العدو بأن الأثينيين في مجلسهم الكامل يصوتون علناً لصالح الانسحاب؛ لأنه في هذه الحالة سيكون احتمال انسحابهم أقل كثيراً عندما يريدون ذلك دون أن يكتشفه أحد. فضلاً عن ذلك، كانت المعلومات الخاصة التي حصل عليها لا تزال تمنحه سبباً للأمل في أن شؤون العدو سوف تكون في حالة أسوأ من حالتهم، إذا استمر الأثينيون في الحصار؛ لأنهم سوف يرهقون أهل سيراكوزا بسبب نقص المال، وخاصة مع السيطرة الأوسع على البحر التي منحتهم إياها البحرية الحالية. فضلاً عن ذلك، كان هناك حزب في سيراكوزا كان راغباً في خيانة المدينة للأثينيين، وكان يرسل إليه رسائل ويخبره بعدم رفع الحصار. وعلى هذا، فقد أدرك هذا الأمر، وكان متردداً بين الطريقين، وكان راغباً في أن يرى طريقه بوضوح أكبر، فرفض في خطابه العام في هذه المناسبة أن يقود الجيش، قائلاً إنه واثق من أن الأثينيين لن يوافقوا أبداً على عودتهم دون تصويتهم. أما أولئك الذين سيصوتون على سلوكهم، فبدلاً من الحكم على الحقائق باعتبارهم شهود عيان مثلهم وليس على ما قد يسمعونه من منتقدين معادين، فسوف يسترشدون ببساطة بافتراءات الخطيب الذكي الأول؛ في حين أن العديد من الجنود، بل ومعظمهم، الذين أعلنوا بصوت عالٍ عن خطورة موقفهم، عندما وصلوا إلى أثينا، أعلنوا العكس بصوت عالٍ، وقالوا إن جنرالاتهم تلقوا رشوة لخيانتهم والعودة. لذا، فهو، الذي يعرف مزاج الأثينيين، يفضل أن يغتنم الفرصة ويموت، إذا كان لا بد من ذلك، موت جندي على يد العدو. فضلاً عن ذلك، كان أهل سراقوسة في حالة أسوأ من حالهم. فمع دفع رواتب المرتزقة، والإنفاق على المواقع المحصنة، والآن لمدة عام كامل للحفاظ على أسطول بحري ضخم، كانوا بالفعل في حيرة من أمرهم وسوف يتوقفون قريبًا: لقد أنفقوا بالفعل ألفي تالنت وتكبدوا ديونًا باهظة بالإضافة إلى ذلك، ولم يتمكنوا من خسارة حتى جزء صغير من قوتهم الحالية بسبب عدم دفعها، دون خراب قضيتهم؛ حيث كانوا يعتمدون على المرتزقة أكثر من اعتمادهم على الجنود الملزمين بالخدمة، مثلهم كمثل جنودهم. لذلك قال إنه يجب

عليهم البقاء ومواصلة الحصار، وعدم المغادرة مهزومين من حيث المال، الذي كانوا متفوقين فيه كثيرًا.

ولقد تحدث نيسياس بإيجابية لأنه كان لديه معلومات دقيقة عن الضائقة المالية التي تعاني منها سيراكوزا، وأيضاً بسبب قوة الحزب الأثيني هناك الذي ظل يرسل له رسائل بعدم رفع الحصار؛ فضلاً عن ذلك فقد أصبح أكثر ثقة من ذي قبل في أسطوله، وكان على يقين من نجاحه على الأقل. ولكن ديموستينس لم يستمع ولو للحظة إلى استمرار الحصار، بل قال إنه إذا لم يتمكنوا من قيادة الجيش دون صدور مرسوم من أثينا، وإذا اضطروا إلى البقاء، فعليهم أن ينتقلوا إلى ثابسوس أو كاتانا؛ حيث سيكون لقواتهم البرية مساحة واسعة من البلاد لغزوها، ويمكنهم العيش من خلال نهب العدو، وبالتالي إلحاق الضرر به؛ في حين أن الأسطول سوف يكون له البحر المفتوح للقتال فيه، أي بدلاً من المساحة الضيقة التي كانت كلها في صالح العدو، غرفة بحرية واسعة حيث يمكن لعلمهم أن يكون مفيدًا، وحيث يمكنهم التراجع أو التقدم دون أن يتم حصرهم أو تقييدهم سواء عند خروجهم أو دخولهم. على أي حال، كان يعارض تمامًا بقاءهم حيث هم، وأصر على المغادرة على الفور، بأسرع ما يمكن وبأقل تأخير ممكن؛ وفي هذا الحكم وافق يوريميدون. ومع ذلك، لا يزال نيسياس يعترض، وقد سادهم نوع من الخجل والتردد، مع الشك في أن نيسياس قد يكون لديه بعض المعلومات الإضافية التي تجعله على هذا القدر من اليقين.

الفصل الثالث والعشرون

السنة التاسعة عشرة من الحرب - المعارك في الميناء الكبير - انسحاب الجيش الأثيني وإبادة الجيش الأثيني

وبينما كان الأثينيون يتأخرون على هذا النحو دون أن يتحركوا من حيث كانوا، وصل جيليبوس وسيكانوس الآن إلى سيراقوسة. وكان سيكانوس قد فشل في الاستيلاء على أجريجينتوم، حيث طُردت المجموعة المؤيدة للسيراقوسيين وهو لا يزال في جيلا؛ ولكن جيليبوس لم يصحبه فقط عدد كبير من القوات التي تم جمعها في صقلية، بل وأيضًا المشاة الثقيلة التي أُرسلت في الربيع من البيلوبونيز في السفن التجارية، والتي وصلت إلى سيلينوس من ليبيا. وقد حملتهم عاصفة إلى ليبيا، وبعد أن حصلوا على قوادس ومرشدين من القيروانيين، انحازوا في رحلتهم على طول الشاطئ إلى جانب الإيوسبيريتيين وهزموا الليبيين الذين كانوا يحاصرونهم، ومن هناك تابعوا رحلتهم إلى نيابوليس، وهي مدينة قرطاجية، وأقرب نقطة إلى صقلية، والتي لا تبعد عنها سوى يومين وليلة، وعبروا هناك ووصلوا إلى سيلينوس. وبمجرد وصولهم، استعد السيراقوسيون لمهاجمة الأثينيين مرة أخرى براً وبحراً في آن واحد. ولما رأى القادة الأثينيون جيشاً جديداً يأتي لمساعدة العدو، وأن ظروفهم الخاصة، التي لم تتحسن على الإطلاق، كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وفوق كل ذلك كانوا في حالة من الضيق بسبب مرض الجنود، بدأوا الآن يندمون على عدم رحيلهم من قبل؛ ولم يعد نيسياس يعرض نفس المعارضة، باستثناء الإلحاح على عدم إجراء تصويت علني، وأصدروا أوامر سرية قدر الإمكان للجميع للاستعداد للإبحار من المخيم عند إشارة معينة. وأخيراً كان الجميع مستعدين، وكانوا على وشك الإبحار، عندما حدث كسوف للقمر، الذي كان في ذلك الوقت في اكتماله. وقد تأثر معظم الأثينيين بشدة بهذا الحدث، وحثوا القادة الآن على الانتظار؛ ونيسياس، الذي كان مدمنًا إلى حد ما على العرافة وممارسات من هذا القبيل، رفض منذ تلك اللحظة

حتى أن يأخذ مسألة المغادرة في الاعتبار، حتى انتظروا الثلاثة أيام التسعة التي حددها العرافون.

"وبالتالي فقد حُكِم على المحاصرين بالبقاء في البلاد؛ وعندما علم السراقوسيون بما حدث، أصبحوا أكثر حرصًا من أي وقت مضى على الضغط على الأثينيين، الذين اعترفوا الآن بأنهم لم يعودوا يتفوقون عليهم سواء في البحر أو البر، وإلا لما خططوا أبدًا للإبحار بعيدًا. علاوة على ذلك، لم يرغب السراقوسيون في أن يستقروا في أي جزء آخر من صقلية، حيث سيكون التعامل معهم أكثر صعوبة، لكنهم أرادوا إجبارهم على القتال في البحر بأسرع ما يمكن، في وضع مناسب لهم. وبناءً على ذلك، قاموا بتجهيز سفنهم وتدربوا لأيام عديدة حسب ما رأوا أنها كافية. وعندما حانت اللحظة، هاجموا في اليوم الأول الخطوط الأثينية، وعندما خرجت قوة صغيرة من المشاة الثقيلة والخيول ضدهم من بعض البوابات، قطعوا بعضًا من الأولى وهزموهم وطاردوهم إلى الخطوط، حيث، نظرًا لضيق المدخل، فقد الأثينيون سبعين حصانًا وبعض المشاة الثقيلة.

وبعد أن سحبوا قواتهم لهذا اليوم، خرج السراقوسيون في اليوم التالي بأسطول مكون من ستة وسبعين سفينة، وفي الوقت نفسه تقدموا بقواتهم البرية ضد الخطوط. وأرسل الأثينيون لملاقاتهم ستة وثمانين سفينة، ووصلوا إلى مسافة قريبة، واشتبكوا معهم. وهزم السراقوسيون وحلفاؤهم أولاً المركز الأثيني، ثم أمسكوا بأوريميدون، قائد الجناح الأيمن، الذي كان يبحر من الخط باتجاه البر من أجل تطويق العدو، في جوف الميناء، فقتلوه ودمروا السفن المرافقة له؛ وبعد ذلك طاردوا الأسطول الأثيني بأكمله أمامهم وطردوه إلى الشاطئ.

ولما رأى جليبوس أن أسطول العدو قد هُزم وحُمل إلى الشاطئ خلف حواجزهم ومعسكرهم، ركض إلى حاجز الأمواج مع بعض قواته، من أجل قطع الطريق على الرجال أثناء نزولهم وتسهيل الأمر على السراقوسيين لسحب السفن إلى الشاطئ

باعتباره أرضًا صديقة. ولما رأى التيرانيون الذين كانوا يحرسون هذه النقطة للأثينيين أنهم يأتون في حالة من الفوضى، تقدموا ضدهم وهاجموا عربتهم وهزموها، وألقوا بها في مستنقع ليسيميليا. وبعد ذلك وصلت قوات السراقوسيين وحلفائهم بأعداد أكبر، وخاف الأثينيون على سفنهم أيضًا لنجدتهم واشتبكوا معهم، وهزموهم وطاردوهم إلى مسافة ما وقتلوا بعض مشاتهم الثقيلة. ونجحوا في إنقاذ معظم سفنهم وإسقاطها عند معسكرهم؛ ومع ذلك، استولى السراقوسيون وحلفاؤهم على ثماني عشرة سفينة، وقتلوا جميع الرجال. أما الباقي فقد حاول العدو إحراقه بواسطة سفينة تجارية قديمة ملأوها بحزم الحطب وخشب الصنوبر وأشعلوا فيها النار وتركوها تطير مع الرياح التي كانت تهب بقوة على الأثينيين. ولكن الأثينيين، الذين كانوا في حالة من الفزع على سفنهم، ابتكروا وسائل لإيقافها وإخمادها، وكبحوا النيران واقتراب السفينة التجارية، وبذلك نجوا من الخطر.

وبعد ذلك نصب السراقوسيون نصباً تذكارياً لمعركة البحر وللقوات المشاة الثقيلة التي هزموها عند الخطوط، حيث أخذوا الخيول؛ كما نصب الأثينيون نصباً تذكارياً لهزيمة المشاة الذين دفعهم التيرانيون إلى المستنقع، ولانتصارهم مع بقية الجيش.

لقد حقق السيراقوسيون الآن انتصاراً حاسماً في البحر، حيث كانوا حتى ذلك الحين يخشون التعزيزات التي جلبها ديموستينس، ونتيجة لذلك كان اليأس عميقاً بين الأثينيين، وخيبة أملهم كبيرة، وندمهم أعظم على مجيئهم في الحملة. كانت هذه هي المدن الوحيدة التي واجهوها حتى الآن، والتي تشبه مدينتهم في طابعها، في ظل ديمقراطيات مثلهم، والتي كانت لديها السفن والخيول، وكانت كبيرة الحجم. لقد عجزوا عن تقسيمها واستعادتها من خلال التمسك بآفاق التغيير في حكوماتها، أو سحقها بتفوقهم الكبير في القوة، لكنهم فشلوا في معظم محاولاتهم، ولأنهم كانوا بالفعل في حيرة من أمرهم، فقد هُزموا في البحر، حيث لم يكن من المتوقع أن تهزمهم قط، وبالتالي غرقوا في حرج أعمق من أي وقت مضى.

وفي هذه الأثناء، بدأ السيراقوسيون على الفور في الإبحار بحرية على طول الميناء، وعزموا على إغلاق فمه، حتى لا يتمكن الأثينيون من التسلل في المستقبل، حتى لو أرادوا ذلك. والواقع أن السيراقوسيين لم يعودوا يفكرون في إنقاذ أنفسهم فحسب، بل كانوا يفكرون أيضًا في كيفية إعاقة هروب العدو؛ فقد اعتقدوا، وهم على حق، أنهم أصبحوا الآن أقوى بكثير، وأن هزيمة الأثينيين وحلفائهم براً وبحراً من شأنها أن تكسبهم مجدًا عظيمًا في اليونان. وبهذا فإن بقية اليونانيين سوف يتحررون على الفور أو يتحررون من القبضة، لأن القوات المتبقية في أثينا سوف تصبح من الآن فصاعدًا غير قادرة على تحمل الحرب التي سوف تشن ضدها؛ بينما سوف يُنظَر إليهم، السيراقوسيون، باعتبارهم مؤلفي هذا الخلاص، وسوف يُنظر إليهم بإعجاب كبير، ليس فقط من قبل جميع البشر الذين يعيشون الآن ولكن أيضًا من قبل الأجيال القادمة. ولم تكن هذه الاعتبارات هي الاعتبارات الوحيدة التي أعطت النضال كرامة. "وبهذا فإنهم لن ينتصروا على الأثينيين فحسب، بل سينتصرون أيضًا على حلفائهم العديدين، ولن ينتصروا وحدهم، بل برفقة رفاقهم في السلاح، ويقودون جنبًا إلى جنب مع الكورنثيين واللاسيكيين، بعد أن عرضوا مدينتهم للوقوف في وجه الخطر، وكانوا إلى حد كبير رواد النجاح البحري.

في الواقع، لم يكن هناك قط مثل هذا العدد من الشعوب التي اجتمعت أمام مدينة واحدة، إذا استثنينا المجموع الكلي الذي اجتمع في هذه الحرب تحت قيادة أثينا ولاكيديمون. كانت الدول التالية هي الدول من كلا الجانبين التي جاءت إلى سيراقوسة للقتال من أجل صقلية أو ضدها، للمساعدة في غزو الجزيرة أو الدفاع عنها. لم يكن الحق أو رابطة الدم هي الرابطة التي تربط بينهم، بقدر ما كانت المصلحة أو الإكراه. كان الأثينيون أنفسهم أيونيين ضد الدوريين في سيراقوسة بإرادتهم الحرة؛ وذهب معهم الشعوب التي كانت لا تزال تتحدث الأتيكية وتستخدم القوانين الأثينية، مثل الليمنيين والإمبريين والإيجينيتيين، أي سكان إيجينا آنذاك، باعتبارهم مستعمرين لهم. ويجب أن نضيف إلى هؤلاء أيضًا الهستيينيين المقيمين

في هيستيا في إيبويا. ومن الباقين انضم بعضهم إلى الحملة كرعايا للأثينيين، وآخرون كحلفاء مستقلين، وآخرون كمرتزقة. وكان من بين الرعايا الذين دفعوا الجزية الإريتريون، والخالسيديون، والستيريون، والكاريستيون من أوبيا؛ والقيانيون، والأندريون، والتينيون من الجزر؛ والميليسيانيون، والساميون، والخيانيون من أيونيا. أما الخيانيون فقد انضموا كحلفاء مستقلين، ولم يدفعوا الجزية، بل قدموا السفن. وكان معظم هؤلاء من الأيونيين وينحدرون من الأثينيين، باستثناء الكاريستيين، الذين كانوا من قبائل دريوب، ورغم أنهم كانوا رعايا وملزمين بالخدمة، إلا أنهم كانوا أيونيين يقاتلون ضد الدوريين. وإلى جانب هؤلاء كان هناك رجال من العرق الأيوليكي، وهم الميثيمينيون، وهم رعايا قدموا السفن، وليس الجزية، والتينيديون والأينيون الذين دفعوا الجزية. وقاتل هؤلاء الأيوليون ضد مؤسسيهم الأيوليين، البويوتيون في جيش سيراقوس، لأنهم كانوا ملزمين بذلك، في حين قاتل البلاتيون، وهم البويوتيون الأصليون الوحيدون الذين عارضوا البويوتيين، بسبب شجار عادل. أما الروديون والكيثيريون فقد قاتلوا في صفوف الأثينيين ضد مواطنيهم من اللاكيدايمونيين مع جليبوس؛ بينما اضطر الروديون، وهم من أصل أرجيفي، إلى حمل السلاح ضد السيراقوسيين الدوريين ومستعمريهم من الجيلويين الذين خدموا مع السيراقوسيين. ومن بين سكان الجزر المحيطة ببيلوبونيز، رافق الكيفالينيون والزاكينثيون الأثينيين كحلفاء مستقلين، على الرغم من أن وضعهم الجزيري لم يترك لهم خيارًا كبيرًا في هذا الأمر، بسبب التفوق البحري لأثينا، بينما كان الكورسيرايون، الذين لم يكونوا دوريين فحسب بل وكورنثيين أيضًا، يخدمون علانية ضد الكورنثيين والسيراقوسيين، على الرغم من كونهم مستعمرين من الأول ومن نفس عرق الأخير، تحت ستار الإكراه، ولكن في الحقيقة بدافع الإرادة الحرة بسبب كراهية كورنثوس. وقد أُخذ الميسينيون، كما يُطلق عليهم الآن في ناوبكتوس ومن بيلوس، التي كانت تحت سيطرة الأثينيين آنذاك، معهم إلى الحرب. وكان هناك أيضًا عدد قليل من المنفيين الميجاريين، الذين كان مصيرهم الآن القتال ضد السيلينونتينيين الميجاريين.

كان انخراط بقية القبائل في الحرب طوعياً إلى حد كبير. ولم يكن السبب وراء إقناع الأرجيفيين الدوريين بالانضمام إلى الأثينيين الأيونيين في الحرب ضد الدوريين هو الكراهية التي يكنها الأغريق للساكسونيين والمصلحة الشخصية المباشرة لكل فرد منهم؛ في حين كان المانتينيون وغيرهم من المرتزقة الأركاديين، الذين اعتادوا الذهاب ضد العدو الذي أُشير إليهم في تلك اللحظة، مدفوعين بالمصلحة إلى اعتبار الأركاديين الذين يخدمون مع الكورنثيين أعداء لهم مثلهم كمثل أي عدو آخر. كما خدم الكريتيون والأيتوليون مقابل أجر، وبالتالي وافق الكريتيون الذين انضموا إلى الروديين في تأسيس جيلا على القتال مقابل أجر ضد المستعمرين وليس من أجلهم. وكان هناك أيضًا بعض الأكارنانيين الذين يتقاضون أجرًا مقابل الخدمة، على الرغم من أنهم قدموا في المقام الأول حبًا لديموستينس ومن باب حسن النية تجاه الأثينيين الذين كانوا حلفاء لهم. وكان هؤلاء جميعًا يعيشون على الجانب اليوناني من خليج البحر الأيوني. ومن الإيطاليين كان هناك الثوريون والميتابونتينيون، الذين جرهم إلى الشجار الضرورات القاسية لزمن الثورة؛ ومن الصقليين والناكسيين والكاتانيين؛ ومن البرابرة الإيجيستايين، الذين استدعوا الأثينيين، ومعظم الصقليين، وخارج صقلية بعض أعداء سيراكيوز التيرانيين والمرتزقة اليابيجيين.

"كانت هذه هي الشعوب التي تخدم الأثينيين. وفي مواجهة هؤلاء، كان لدى السيراقوسيين جيرانهم الكامارينيين، والجيلويين الذين يعيشون بجوارهم؛ ثم تجاوزوا الأغريجنتينيين المحايدين، واستقر السيلينونيين على الجانب الأبعد من الجزيرة. وكان هؤلاء يسكنون الجزء من صقلية المطل على ليبيا؛ وجاء الهيمريون من الجانب المتجه نحو البحر التيراني، وكانوا السكان الهيلينيين الوحيدين في ذلك الجزء، والشعب الوحيد الذي جاء من هناك لمساعدة السيراقوسيين. ومن بين الهيلينيين في صقلية انضمت الشعوب المذكورة أعلاه إلى الحرب، جميعهم دوريون ومستقلون، ومن بين البرابرة، انضم الصقليون فقط، أي أولئك الذين لم يذهبوا إلى الأثينيين. ومن بين الهيلينيين خارج صقلية كان هناك اللاكيديمونيون، الذين قدموا

إسبرطيًا لتولي القيادة، وقوة من النيوداموديين أو المحررين، والهيلوتس؛ "الكورنثيون، الذين انضموا وحدهم إلى القوات البحرية والبرية، مع أقاربهم من لوكاديان وأمبراسيوت؛ وبعض المرتزقة الذين أرسلتهم كورنثوس من أركاديا؛ وبعض السكيونيين الذين أجبروا على الخدمة، ومن خارج البيلوبونيز البيوتيون. ومع ذلك، بالمقارنة مع هذه القوات الأجنبية المساعدة، قدمت المدن الصقلية الكبرى المزيد في كل قسم - أعدادًا من المشاة الثقيلة والسفن والخيول، بالإضافة إلى جمع حشد هائل؛ بينما بالمقارنة، مرة أخرى، يمكن للمرء أن يقول، مع كل الباقي مجتمعين، قدم السيراقوسيون أنفسهم المزيد، سواء بسبب عظمة المدينة أو بسبب حقيقة أنهم كانوا في أعظم خطر.

ولقد كانت هذه هي القوات المساعدة التي اجتمعت على الجانبين، والتي انضمت جميعها بحلول ذلك الوقت، ولم تشهد أي من المجموعتين أي انضمام لاحق. لذا فلا عجب أن يعتقد السيراقوسيون وحلفاؤهم أن تحقيق النصر الأخير في المعركة البحرية من شأنه أن يحقق لهم مجداً عظيماً إذا تمكنوا من الاستيلاء على الأسطول الأثيني بأكمله، دون السماح له بالفرار بحراً أو براً. فبدأوا على الفور في إغلاق الميناء الكبير بواسطة القوارب والسفن التجارية والقوادس التي رست على جانب فمه، الذي يبلغ عرضه ميلاً تقريباً، واتخذوا كل الترتيبات الأخرى في حالة مجازفة الأثينيين مرة أخرى بالقتال في البحر. والواقع أن خططهم أو أفكارهم لم تكن بسيطة على الإطلاق.

ولما رأى الأثينيون أنهم يغلقون الميناء وأبلغوهم بخططهم اللاحقة، عقدوا مجلس حرب. واجتمع القادة والعقداء وناقشوا الصعوبات التي واجهوها؛ وكانت النقطة الأكثر إلحاحًا هي أنهم لم يعد لديهم مؤن للاستخدام الفوري (حيث أرسلوا إلى كاتانا ليخبروهم بعدم إرسال أي منها، معتقدين أنهم سيرحلون)، وأنهم لن يكون لديهم أي مؤن في المستقبل ما لم يتمكنوا من السيطرة على البحر. لذلك قرروا إخلاء

خطوطهم العليا، وتطويق مساحة صغيرة بالقرب من السفن بسور متقاطع وحامية، بما يكفي بالكاد لتخزين مؤنهم ومريضهم، وتجهيز جميع السفن، سواء كانت صالحة للإبحار أم لا، بكل رجل يمكن الاستغناء عنه من بقية قواتهم البرية، للقتال في البحر، وإذا انتصروا، فتوجهوا إلى كاتانا، وإلا، لحرق سفنهم، والتجمع في نظام محكم، والتراجع براً إلى أقرب مكان صديق يمكنهم الوصول إليه، سواء كان يونانيًا أو بربريًا. ولم يكد يتم تسوية هذا الأمر حتى تم تنفيذه؛ "نزلوا تدريجيًا من الخطوط العليا وجهزوا جميع سفنهم، وأجبروا كل من كان في سن يسمح له بأي شكل من الأشكال بالصعود على متنها. وبذلك نجحوا في تجهيز حوالي مائة وعشر سفن في المجموع، وصعدوا على متنها عددًا من الرماة والرماة الذين استولوا عليهم من الأكارنانيين ومن الأجانب الآخرين، مع توفير جميع المؤن الأخرى المسموح بها وفقًا لطبيعة خطتهم والضرورات التي فرضتها. كان كل شيء جاهزًا تقريبًا الآن، ولما رأى نيسياس أن الجنود محبطون بسبب هزيمتهم غير المسبوقة والحاسمة في البحر، وبسبب ندرة المؤن الحريصة على القتال في أقرب وقت ممكن، دعاهم جميعًا، وخاطبهم أولاً قائلاً:

"أيها الجنود الأثينيون وحلفاؤهم، إننا جميعًا لدينا مصلحة متساوية في الصراع القادم، حيث تكون الحياة والوطن على المحك بالنسبة لنا تمامًا كما قد تكون بالنسبة للعدو؛ لأنه إذا انتصر أسطولنا في اليوم، فيمكن لكل فرد أن يرى مدينته الأصلية مرة أخرى، أينما كانت تلك المدينة. يجب ألا تفقدوا الأمل، أو تكونوا مثل الرجال الذين ليس لديهم أي خبرة، الذين يفشلون في المحاولة الأولى ثم بعد ذلك ينبئون بخوف بمستقبل كارثي. ولكن دع الأثينيين بينكم الذين لديهم بالفعل خبرة في العديد من الحروب، والحلفاء الذين انضموا إلينا في العديد من الحملات، يتذكرون مفاجآت الحرب، وعلى أمل ألا يكون الحظ دائمًا ضدنا، استعدوا للقتال مرة أخرى بطريقة تليق بالعدد الذي ترون أنفسكم فيه.

"الآن، كل ما كنا نعتقد أنه قد يكون مفيدًا ضد اصطدام السفن في مثل هذا الميناء الضيق، وضد القوة على أسطح العدو، والتي عانينا منها من قبل، تم النظر فيه جميعًا مع قادة الدفة، وبقدر ما تسمح به وسائلنا، تم توفيره. سيصعد عدد من الرماة والرماة على متن السفينة، وعدد كبير لم يكن من المفترض أن نستخدمه في معركة في البحر المفتوح، حيث ستتعطل علومنا بسبب وزن السفن؛ ولكن في القتال البري الحالي الذي نضطر إلى خوضه من على متن السفينة، سيكون كل هذا مفيدًا. لقد اكتشفنا أيضًا التغييرات في البناء التي يجب أن نجريها لمواكبة تغييراتهم؛ وضد سمك خدودهم، الذي ألحق بنا أكبر ضرر، قمنا بتزويدهم بمكاوي الشد، والتي ستمنع المهاجم من التراجع إلى الوراء بعد الهجوم، إذا قام الجنود على سطح السفينة هنا بواجبهم؛ نظرًا لأننا مجبرون تمامًا على خوض معركة برية من الأسطول، ويبدو أن من مصلحتنا ألا نضطر إلى التراجع، ولا أن ندع العدو يفعل ذلك، خاصة وأن الشاطئ، باستثناء الجزء الأكبر منه الذي قد تسيطر عليه قواتنا، أرض معادية.

"يجب أن تتذكروا هذا وتستمروا في القتال لأطول فترة ممكنة، ويجب ألا تسمحوا بأنفسكم بالاندفاع إلى الشاطئ، ولكن بمجرد أن تصلوا إلى الشاطئ يجب أن تقرروا عدم الانفصال حتى تطردوا المشاة الثقيلة من على ظهر العدو. أقول هذا أكثر من أجل المشاة الثقيلة من أجل البحارة، حيث أن هذا هو عمل الرجال على ظهر السفينة؛ وقواتنا البرية هي الآن الأقوى بشكل عام. أنصح البحارة، وفي نفس الوقت أناشدهم، ألا يرهبوا كثيرًا من مصائبهم، الآن بعد أن أصبح لدينا أسطح مسلحة بشكل أفضل وعدد أكبر من السفن. ضعوا في اعتباركم مدى أهمية الحفاظ على المتعة التي يشعر بها أولئك منكم الذين من خلال معرفتهم بلغتنا وتقليدهم لعاداتنا كانوا يعتبرون دائمًا من الأثينيين، حتى لو لم يكونوا كذلك في الواقع، وعلى هذا النحو تم تكريمهم في جميع أنحاء اليونان، وكان لهم نصيبهم الكامل من مزايا إمبراطوريتنا، وأكثر من نصيبهم في احترام رعايانا وفي الحماية من سوء المعاملة. "أنت، إذن، الذي تتقاسم معك وحدك إمبراطوريتنا بحرية، نطلب منك الآن بحق ألا تخون تلك

الإمبراطورية في تطرفها، وفي ازدراء للكورنثيين، الذين هزمتموهم كثيرًا، والصقليين، الذين لم يفترض أي منهم حتى الوقوف ضدنا عندما كانت أسطولنا البحري في أوجها، نطلب منك صدهم، وإظهار أنه حتى في المرض والكوارث فإن مهاراتك أقوى من أن تضاهي ثروة وقوة أي شخص آخر.

"أود أن أضيف مرة أخرى إلى الأثينيين من بينكم هذا التأمل: لم تتركوا وراءكم المزيد من السفن في أرصفتكم، ولا المزيد من المشاة الثقيلة في أوج قوتها؛ إذا فعلتم شيئًا سوى الانتصار، فسوف يبحر أعداؤنا هنا على الفور إلى هناك، وسيصبح من تبقى منا في أثينا غير قادرين على صد مهاجميهم في الداخل، الذين سيعززهم هؤلاء الحلفاء الجدد. هنا سوف تسقطون على الفور في أيدي السيراقوسيين - لست بحاجة إلى تذكيركم بالنوايا التي هاجمتموهم بها - وسيقع مواطنوكم في الوطن في أيدي اللاكديمونيين. وبما أن مصير كل منهما يعتمد على هذه المعركة الوحيدة، فاثبتوا الآن، إن حدث ذلك على الإطلاق، وتذكروا جميعًا أنكم أنتم الذين ستصعدون الآن على متن السفينة تمثلون جيش وبحرية الأثينيين، وكل ما تبقى من دولة أثينا واسمها العظيم، والتي إذا كان لدى أي رجل أي ميزة في الدفاع عنها في المهارة أو الشجاعة، فقد حان الوقت الآن لإظهار ذلك، وبالتالي خدمة نفسه وإنقاذ الجميع."

وبعد هذا الخطاب أصدر نيسياس على الفور أوامره بتجهيز السفن. وفي الوقت نفسه، أدرك جليبوس والسراقسيون من خلال الاستعدادات التي رأوها جارية أن الأثينيين يعتزمون القتال في البحر. كما لاحظوا أيضًا أغلال الشد، التي جهزوها خصيصًا عن طريق شد الجلود فوق مقدمات السفن ومعظم الجزء العلوي من سفنهم، حتى تنزلق الأغلال عند إلقائها دون أن تلتصق بها. وبعد أن أصبح كل شيء جاهزًا، خاطبهم القادة وجليبوس بالعبارات التالية:

"أيها السيراقوسيون وحلفاؤهم، إن الطابع المجيد لإنجازاتنا السابقة والنتائج التي لا تقل مجدًا في المعركة القادمة، كما نعتقد، يفهمها معظمكم، وإلا لما ألقيتم

بأنفسكم أبدًا بمثل هذا الحماس في الصراع؛ وإذا كان هناك أي شخص لا يدرك الحقائق تمامًا كما ينبغي له أن يكون، فسوف نعلنها له. لقد جاء الأثينيون إلى هذا البلد أولاً لإنجاز غزو صقلية، وبعد ذلك، إذا نجحوا، غزو بيلوبونيز وبقية هيلاس، التي تمتلك بالفعل أعظم إمبراطورية معروفة حتى الآن، في العصور الحالية أو السابقة، بين اليونانيين. هنا وجدوا فيكم لأول مرة رجالًا واجهوا بحريتهم التي جعلتهم أسيادًا في كل مكان؛ لقد هزمتموهم بالفعل في المعارك البحرية السابقة، ومن المرجح أن تهزموهم مرة أخرى الآن. عندما يتم تقييد الرجال فيما يعتبرونه تميزهم الخاص، فإن رأيهم في أنفسهم كله يعاني أكثر مما لو لم يؤمنوا في البداية بتفوقهم، والصدمة غير المتوقعة لكبريائهم تجعلهم يتنازلون أكثر مما تستحقه قوتهم الحقيقية؛ وربما هذا هو الحال الآن مع الأثينيين.

"أما نحن فإن الأمر مختلف. لقد تعززت تقديراتنا الأولية لأنفسنا والتي منحتنا الشجاعة في أيام عدم مهارتنا، في حين أن القناعة التي أضيفت إليها بأننا يجب أن نكون أفضل البحارة في ذلك الوقت، إذا كنا قد تغلبنا على الأفضل، قد أعطت قدرًا مضاعفًا من الأمل لكل رجل بيننا؛ وفي الغالب، حيث يوجد أعظم الأمل، يوجد أيضًا أعظم الحماس للعمل. إن الوسائل لمحاربتنا التي حاولوا إيجادها في نسخ أسلحتنا مألوفة في حربنا، وسوف يتم توفيرها بالمؤن المناسبة؛ بينما لن يتمكنوا أبدًا من الاحتفاظ بعدد من المشاة الثقيلة على ظهر سفنهم، على عكس عادتهم، وعدد من رجال الدين (الذين ولدوا في الأراضي، ويمكن للمرء أن يقول، أكارنانيان وغيرهم، يبحرون على متن السفن، ولن يعرفوا كيف يطلقون أسلحتهم عندما يتعين عليهم البقاء ساكنين)، دون إعاقة سفنهم والوقوع جميعًا في ارتباك فيما بينهم من خلال القتال وفقًا لتكتيكاتهم الخاصة. "لأنهم لن يكسبوا شيئًا من عدد سفنهم - أقول هذا لأولئك منكم الذين قد ينزعجون من الاضطرار إلى القتال ضد الصعاب - لأن عددًا كبيرًا من السفن في مساحة محصورة لن يؤدي إلا إلى إبطاء تنفيذ الحركات المطلوبة، وأكثر عرضة للإصابة من وسائل الهجوم لدينا. في الواقع، إذا كنت تعرف

الحقيقة الواضحة، كما أبلغنا بشكل موثوق، فإن زيادة معاناتهم وضرورات محنتهم الحالية جعلتهم يائسين؛ ليس لديهم ثقة في قوتهم، لكنهم يرغبون في تجربة حظهم بالطريقة الوحيدة التي يمكنهم بها، إما بإجبارهم على المرور والإبحار، أو بعد ذلك التراجع عن طريق البر، حيث من المستحيل أن يكونوا أسوأ حالًا مما هم عليه.

"إن مصير أعدائنا الأشداء قد خان نفسه على هذا النحو، ولأن فوضاهم هي ما وصفته، فلنبدأ في الغضب، مقتنعين بأنه لا يوجد بين الخصوم ما هو أكثر شرعية من الادعاء بإشباع غضب الروح بالكامل بمعاقبة المعتدي، ولا يوجد ما هو أكثر حلاوة، كما يقول المثل، من الانتقام من العدو، والذي سيكون من حقنا الآن أن نأخذه. إنكم تعلمون جميعًا أنهم أعداء وأعداء لدودون، لأنهم أتوا إلى هنا لاستعباد بلدنا، وإذا نجحوا فقد احتفظوا لرجالنا بكل ما هو مروع، ولأطفالنا وزوجاتنا بكل ما هو مخزٍ، وللمدينة بأكملها الاسم الذي ينقل أعظم اللوم. لذلك لا ينبغي لأحد أن يتراجع أو يعتقد أنه من المربح أن يرحلوا دون مزيد من الخطر علينا. وهذا ما سيفعلونه تمامًا، حتى لو حصلوا على النصر؛ "وإذا نجحنا، كما قد نتوقع، في تأديبهم، وفي نقل حريتهم القديمة إلى صقلية كلها، بعد أن تعززت وثبتت، فلن نحقق انتصاراً سهلاً. والواقع أن أندر المخاطر هي تلك التي لا يجلب فيها الفشل سوى القليل من الخسائر، بينما يجلب النجاح أعظم الفوائد".

وبعد الخطاب المذكور للجنود من جانبهم، أدرك قادة سرقوسة وجيلبوس الآن أن الأثينيين يجهزون سفنهم، فشرعوا على الفور في تجهيز سفنهم أيضًا. وفي الوقت نفسه، فزعت نيسياس من موقف الأمور، وأدركت عظمة الخطر وقربه الآن بعد أن أصبحوا على وشك الإبحار من الشاطئ، وفكرت، كما يميل الرجال إلى التفكير في الأزمات الكبرى، أنه بعد الانتهاء من كل شيء، لا يزال لديهم شيء يجب القيام به، وعندما قيل كل شيء أنهم لم يقولوا ما يكفي بعد، نادى مرة أخرى القادة واحدًا تلو الآخر، مخاطبًا كل واحد باسم والده وباسمه وباسم قبيلته، وحثهم على عدم إخفاء

شهرتهم الشخصية، أو إخفاء الفضائل الوراثية التي اشتهر بها أسلافهم: ذكرهم ببلدهم، الأكثر حرية من بين الأحرار، وبالحرية غير المقيدة المسموح بها للجميع للعيش كما يحلو لهم؛ "وبعد أن نصحهم بهذه الطريقة، ليس كما كان يظن، بل كما كان يستطيع، انسحب نيسياس وقاد القوات إلى البحر، وحشدها في أطول صف ممكن، من أجل المساعدة قدر الإمكان في دعم شجاعة الرجال على متن السفينة؛ بينما خرج ديموستينس وميناندر وإيثيديموس، الذين تولوا القيادة على متن السفينة، من معسكرهم وأبحروا مباشرة إلى الحاجز عبر فم الميناء وإلى الممر الذي ترك مفتوحًا، لمحاولة شق طريقهم للخروج.

كان السيراقوسيون وحلفاؤهم قد خرجوا بالفعل بنفس عدد السفن التي كانوا قد خرجوا بها من قبل، حيث كان جزء منها يحرس المخرج، والجزء الآخر يحيط ببقية الميناء، من أجل مهاجمة الأثينيين من جميع الجهات في وقت واحد؛ بينما كانت القوات البرية على أهبة الاستعداد عند النقاط التي قد ترسو فيها السفن على الشاطئ. كان الأسطول السيراقوسي بقيادة سيكانوس وأغاثارخوس، وكان لكل منهما جناح من القوة بأكملها، مع بيثين والكورنثيين في الوسط. وعندما وصل بقية الأثينيين إلى الحاجز، تغلبوا على السفن المتمركزة هناك في أول صدمة لهجمتهم، وحاولوا فك الأحزمة؛ وبعد ذلك، عندما هاجم السيراقوسيون وحلفاؤهم من جميع الجهات، انتشر العمل من الحاجز إلى الميناء بأكمله، وكان أكثر إثارة للجدال من أي من الأحداث السابقة. وعلى الجانبين أظهر المجذفون حماسة كبيرة في رفع سفنهم بناءً على أوامر القباطنة، وأظهر القباطنة مهارة كبيرة في المناورة، وتنافسًا كبيرًا مع بعضهم البعض؛ وبينما كانت السفن تقترب من بعضها البعض، بذل الجنود على متنها قصارى جهدهم لعدم السماح للآخرين بالتفوق على الخدمة على سطح السفينة؛ باختصار، سعى كل رجل إلى إثبات أنه الأول في قسمه الخاص. وبما أن العديد من السفن كانت منخرطة في بوصلة صغيرة (لأن هذه كانت أكبر الأساطيل التي تقاتل في أضيق مساحة معروفة على الإطلاق، حيث كانت مجتمعة أقل بقليل

من مائتي سفينة)، كانت الهجمات المنتظمة بالمنقار قليلة، حيث لم تكن هناك فرصة لعودة المياه أو كسر الخط؛ بينما كانت الاصطدامات الناجمة عن فرصة اصطدام سفينة بأخرى، إما بالهروب من سفينة ثالثة أو مهاجمتها، أكثر تكرارًا. طالما كانت السفينة تقترب من الهجوم، كان الرجال على السطح يمطرونها بالسهام والأحجار؛ ولكن بمجرد أن تقترب، حاول المشاة الثقيلون الاستيلاء على سفن بعضهم البعض، والقتال جنبًا إلى جنب. وفي كثير من الأحيان، وبسبب ضيق المكان، كان يحدث أن تهاجم سفينة عدوًا من جانب وتهاجم هي نفسها من الجانب الآخر، وأن تتشابك سفينتان أو أكثر في بعض الأحيان حول إحداهما، مما يضطر قبطان السفينة إلى الاهتمام بالدفاع هنا والهجوم هناك، ليس ضد شيء واحد في وقت واحد، بل ضد العديد من السفن من جميع الجوانب؛ في حين أن الضجيج الهائل الناجم عن اصطدام عدد السفن معًا لم ينشر الرعب فحسب، بل جعل أوامر قبطان السفينة غير مسموعة. كان قبطان السفينة على كلا الجانبين أثناء أداء واجبهم وفي خضم الصراع يصرخون بلا انقطاع بالأوامر والنداءات لرجالهم؛ وحثوا الأثينيين على إجبارهم على الخروج، والآن إذا كان الأمر كذلك، لإظهار شجاعتهم والتمسك بالعودة الآمنة إلى بلادهم؛ وصرخوا إلى السيراقوسيين وحلفائهم بأن منع هروب العدو، والفتح، سيرفع من شأن البلدان التي كانت تابعة لهم. علاوة على ذلك، إذا رأى الجنرالات على أي من الجانبين أيًا منهم في أي جزء من المعركة يتراجع إلى الشاطئ دون أن يضطروا إلى ذلك،"ونادى القائد باسمه وسأله: هل كان الأثينيون يتراجعون لأنهم يعتقدون أن الشاطئ المعادي لهم ثلاث مرات أكثر من البحر الذي كلفهم الكثير من العمل للفوز به؟ هل كان السراقوسيون يفرون من الأثينيين الهاربين، الذين كانوا يعرفون جيدًا أنهم حريصون على الهروب بأي طريقة ممكنة؟"

وفي الوقت نفسه، بينما كان النصر معلقًا في الميزان، كان الجيشان على الشاطئ فريسة للمشاعر الأكثر إيلامًا وتضاربًا؛ كان السكان الأصليون يتوقون إلى المزيد من المجد الذي فازوا به بالفعل، بينما كان الغزاة يخشون أن يجدوا أنفسهم في وضع

أسوأ من ذي قبل. ولأن جميع الأثينيين كانوا منشغلين بأسطولهم، فقد كان خوفهم من الحدث لا يشبه أي شيء شعروا به من قبل؛ بينما كانت وجهة نظرهم للصراع متقلبة بالضرورة مثل المعركة نفسها. بالقرب من مسرح الأحداث ولم يكن الجميع ينظرون إلى نفس النقطة في وقت واحد، رأى البعض أصدقاءهم منتصرين فاستجمعوا الشجاعة وسقطوا في الدعاء إلى السماء ألا تحرمهم من الخلاص، بينما كان آخرون ممن وجهوا أعينهم نحو الخاسرين، يبكون ويصرخون بصوت عالٍ، وعلى الرغم من كونهم متفرجين، فقد كانوا أكثر تغلبًا من المقاتلين الفعليين. وكان آخرون، مرة أخرى، يحدقون في مكان ما حيث كانت المعركة متنازع عليها بالتساوي؛ "وبينما طال أمد الصراع دون التوصل إلى قرار، كانت أجسادهم المتأرجحة تعكس اضطراب عقولهم، وعانوا أسوأ عذاب على الإطلاق، سواء كانوا على وشك الوصول إلى بر الأمان أو على وشك الدمار. باختصار، في ذلك الجيش الأثيني الواحد طالما ظل القتال البحري مشكوكًا فيه، كان يُسمع كل صوت في وقت واحد، صراخ، وهتافات، "لقد فزنا"، و"لقد خسرنا"، وكل التعجبات المتعددة الأخرى التي من المؤكد أن جيشًا كبيرًا سيطلقها في خطر كبير؛ ومع الرجال في الأسطول كان الأمر متشابهًا تقريبًا؛ حتى تمكن السراقوسيون وحلفاؤهم أخيرًا، بعد أن استمرت المعركة لفترة طويلة، من إجبار الأثينيين على الفرار، وبكثير من الصراخ والهتاف طاردوهم في هزيمة مفتوحة إلى الشاطئ. ركضت القوة البحرية، واحدة تلو الأخرى، كل من لم يتم إنقاذه على الماء، إلى الشاطئ واندفعوا من على متن سفنهم إلى معسكرهم؛ في حين لم يعد الجيش منقسمًا، بل انجرف بدافع واحد، وكان الجميع يندبون الحدث ويصرخون ويصرخون، وركضوا إلى هناك، بعضهم لمساعدة السفن، والبعض الآخر لحراسة ما تبقى من سورهم، بينما بدأ الجزء المتبقي والأكثر عددًا في التفكير في كيفية إنقاذ أنفسهم. والواقع أن الذعر الذي ساد اللحظة الحالية لم يتجاوزه أحد من قبل. لقد عانوا الآن ما يقرب من نفس المعاناة التي ألحقوها بهم في بيلوس؛ وكما خسر أهل لاكدامونيون آنذاك أسطولهم أيضًا الرجال الذين عبروا إلى الجزيرة، فقد فقد الأثينيون الآن أي أمل في الهروب برًا، دون مساعدة من حادث غير عادي.

وبعد أن كانت المعركة البحرية شرسة، وخسر الجانبان العديد من السفن والأرواح، جمع السيراقوسيون المنتصرون وحلفاؤهم حطام سفنهم وجثثهم، وأبحروا إلى المدينة وأقاموا فيها غنائم النصر. أما الأثينيون، الذين غمرتهم مصائبهم، فلم يفكروا قط في طلب الإذن بأخذ جثثهم أو حطام سفنهم، بل أرادوا الانسحاب في تلك الليلة بالذات. ولكن ديموستينس ذهب إلى نيسياس وأبدى رأيه في أن يجهزوا السفن التي تركوها ويبذلوا جهدًا آخر لإجبارهم على المغادرة في صباح اليوم التالي؛ وقال إن لديهم سفنًا أكثر صلاحية للخدمة من العدو، حيث بقي لدى الأثينيين حوالي ستين سفينة مقابل أقل من خمسين سفينة من خصومهم. وكان نيسياس على قناعة تامة برأيه؛ ولكن عندما أرادوا تجهيز السفن، رفض البحارة الصعود على متنها، لأنهم كانوا متأثرين تمامًا بهزيمتهم ولم يعودوا يؤمنون بإمكانية النجاح.

وعلى هذا فقد قرروا جميعًا الانسحاب برًا. وفي هذه الأثناء، شكك هيرموقراطس السيراقوسي في نواياهم، وأدرك خطورة السماح لقوة بهذا الحجم بالانسحاب برًا، والتمركز في جزء آخر من صقلية، ومن هناك تجدد الحرب، فذهب وعرض وجهة نظره على السلطات، وأشار إليهم أنه لا ينبغي لهم أن يسمحوا للعدو بالفرار ليلًا، بل يجب على جميع السيراقوسيين وحلفائهم أن يخرجوا على الفور ويغلقوا الطرق ويستولوا على الممرات ويحرسوها. كانت السلطات على رأيه تمامًا، ورأوا أنه يجب القيام بذلك، ولكن من ناحية أخرى كانوا على يقين من أن الناس، الذين استسلموا للابتهاج، وكانوا يرتاحون بعد معركة كبيرة في البحر، لن يتمكنوا بسهولة من طاعته؛ "وإلى جانب ذلك، فقد كانوا يحتفلون بمهرجان، وكانوا في ذلك اليوم يقدمون قربانًا لهرقل، وكان معظمهم في نشوة الانتصار قد سقطوا في الشراب في المهرجان، وربما وافقوا على أي شيء قبل أن يحملوا أسلحتهم ويخرجوا في تلك اللحظة. ولهذه الأسباب، بدا الأمر غير عملي بالنسبة للحكام؛ ولما وجد هيرموقراطس نفسه عاجزًا عن فعل أي شيء آخر معهم، لجأ الآن إلى الحيلة التالية من جانبه. كان ما يخشاه هو أن يتمكن الأثينيون بهدوء من بدء هجومهم بالمرور عبر أصعب الأماكن أثناء الليل؛

"ولذلك أرسل، بمجرد حلول الظلام، بعض أصدقائه إلى المخيم مع بعض الفرسان الذين ركبوا على مسافة قريبة ونادوا على بعض الرجال، وكأنهم يتمنون الخير للأثينيين، وأمرهم بإخبار نيسياس (الذي كان لديه في الواقع بعض المراسلين الذين أبلغوه بما حدث داخل المدينة) بعدم قيادة الجيش ليلاً حيث كان السراقوسيون يحرسون الطرق، بل أن يقوم بإعداداته على راحته وأن ينسحب نهارًا. وبعد أن قال هذا، غادروا؛ وأبلغ سامعوهم القادة الأثينيين، الذين أرجأوا الذهاب تلك الليلة على قوة هذه الرسالة، دون شك في صدقها.

ولما لم ينطلقوا في رحلتهم على الفور، قرروا البقاء في اليوم التالي أيضًا لإتاحة الوقت للجنود لحزم أمتعتهم قدر الإمكان، وترك كل شيء آخر وراءهم، والبدء فقط بما هو ضروري للغاية لمعيشتهم الشخصية. وفي الوقت نفسه، سار السيراقوسيون وجيلبوس وسدوا الطرق عبر البلاد التي من المحتمل أن يمر بها الأثينيون، وحافظوا على الحراسة عند مخاضات الجداول والأنهار، واتخذوا مواقعهم لاستقبالهم وإيقاف الجيش حيث يرون أنه الأفضل؛ بينما أبحر أسطولهم إلى الشاطئ وسحب سفن الأثينيين. أحرق الأثينيون أنفسهم بعضًا منهم كما قصدوا؛ أما الباقي فقد ربطهم السيراقوسيون على راحتهم حيث ألقوا بهم على الشاطئ، دون أن يحاول أحد إيقافهم، ونقلوهم إلى المدينة.

وبعد ذلك، وبعد أن اعتقد نيسياس وديموستينس أن الاستعدادات لم تكن كافية، تم سحب الجيش في اليوم الثاني بعد المعركة البحرية. كان المشهد مؤسفًا، ليس فقط بسبب الظروف الفردية التي كانوا يتراجعون فيها بعد أن فقدوا كل سفنهم، وضاعت آمالهم العظيمة، وأصبحوا هم والدولة في خطر؛ ولكن أيضًا في مغادرة

المعسكر كانت هناك أشياء مؤلمة للغاية لكل عين وقلب للتأمل فيها. كان الموتى ممددين دون دفن، وكان كل رجل عندما يعرف صديقًا بينهم يرتجف حزنًا ورعبًا؛ بينما كان الأحياء الذين تركوهم وراءهم، جرحى أو مرضى، أكثر صدمة للأحياء من الموتى، وأكثر إثارة للشفقة من أولئك الذين لقوا حتفهم. ولقد سقط هؤلاء في التوسل والبكاء حتى لم يعرف أصدقاؤهم ماذا يفعلون، فتوسلوا إليهم أن يأخذوهم، ونادوا بصوت عال على كل رفيق أو قريب رأوه، وعلقوا أعناق رفاقهم في الخيمة في حالة رحيل، وتبعوهم إلى أقصى حد ممكن، وعندما خذلتهم قواهم الجسدية، نادوا مرارًا وتكرارًا على السماء وصرخوا بصوت عالٍ عندما تركوهم وراءهم. حتى أن الجيش بأكمله، وقد امتلأ بالدموع وتشتت انتباهه بهذه الطريقة، لم يجد من السهل عليه المغادرة، حتى من أرض العدو، حيث عانوا بالفعل من شرور أعظم من أن تذرف الدموع، وفي المستقبل المجهول أمامهم كانوا يخشون أن يعانوا أكثر. كما انتشر بينهم اليأس وإدانة الذات. والواقع أنهم لا يمكن مقارنتهم إلا بمدينة جوعى، وهي ليست صغيرة، هربت؛ وكان الحشد بأكمله في المسيرة لا يقل عن أربعين ألف رجل. "كان الجميع يحملون كل ما يستطيعون من الأشياء التي قد تكون مفيدة، وكان المشاة والجنود، على عكس عادتهم، يحملون مؤنهم تحت السلاح، في بعض الحالات بسبب نقص الخدم، وفي حالات أخرى لعدم ثقتهم بهم؛ حيث كانوا قد هجروا الجيش لفترة طويلة والآن يفعلون ذلك بأعداد أكبر من أي وقت مضى. ومع ذلك، لم يحملوا ما يكفي، حيث لم يعد هناك طعام في المعسكر. وعلاوة على ذلك، كان العار الذي شعروا به بشكل عام، ومعاناتهم الشاملة، على الرغم من تخفيفها إلى حد ما بسبب حملهم في صحبة، لا يزالون يشعرون في تلك اللحظة بثقل العبء، وخاصة عندما يقارنون بين روعة ومجد انطلاقهم والإذلال الذي انتهى به الأمر. لأن هذا كان إلى حد بعيد أعظم نكسة حلت بجيش يوناني على الإطلاق. لقد جاءوا لاستعباد الآخرين، وكانوا يغادرون خوفًا من أن يصبحوا هم أنفسهم عبيدًا: لقد أبحروا بالصلاة والترانيم، وبدأوا الآن في العودة مع فأل معاكس تمامًا؛ لقد كان من الصعب على البريطانيين أن يسافروا براً بدلاً من البحر، وكانوا يعتمدون على مشاتهم الثقيلة وليس على

أسطولهم. ومع ذلك فإن عظمة الخطر الذي ما زال وشيكاً جعل كل هذا يبدو محتملاً.

ولما رأى نيسياس أن الجيش محبط ومتغير إلى حد كبير، مر بين صفوفه وشجعهم وواساهم بقدر ما كان ذلك ممكنًا في ظل هذه الظروف، ورفع صوته أعلى فأعلى وهو ينتقل من فرقة إلى أخرى بجدية، وفي قلقه من أن تصل فائدة كلماته إلى أكبر عدد ممكن من الناس:

"أيها الأثينيون وحلفائنا، حتى في وضعنا الحالي، لا يزال علينا أن نأمل في المستقبل، لأن الرجال قد نجوا من محنة أسوأ من هذه؛ ولا ينبغي لكم أن تدينوا أنفسكم بشدة إما بسبب كوارثكم أو بسبب معاناتكم الحالية غير المستحقة. أنا نفسي، الذي لا أتفوق على أي منكم في القوة - في الواقع أنتم ترون كيف أنا في مرضي - والذي أعتقد أنه في مواهب الحظ، سواء في الحياة الخاصة أو غير ذلك، مساوي لأي شخص، أتعرض الآن لنفس الخطر الذي يتعرض له أدنى الناس بينكم؛ ومع ذلك كانت حياتي مليئة بالتفاني تجاه الآلهة، والكثير من العدالة وعدم الإساءة إلى البشر. لذلك، لا يزال لدي أمل قوي في المستقبل، ولا تخيفني مصائبنا بقدر ما قد تخيفني. في الواقع، يمكننا أن نأمل أن تخفف من وطأتها: لقد حظي أعداؤنا بحظ سعيد بما فيه الكفاية؛ وإذا أساء أي من الآلهة في حملتنا، فقد عوقبنا بالفعل بما فيه الكفاية. "لقد هاجم آخرون قبلنا جيرانهم وفعلوا ما يفعله الرجال دون أن يعانوا أكثر مما يمكنهم تحمله؛ ومن حقنا الآن أن نتوقع أن نجد الآلهة أكثر لطفًا، لأننا أصبحنا موضوعًا لشفقتهم أكثر من حسدهم. ثم انظروا إلى أنفسكم، ولاحظوا أعداد وكفاءة المشاة الثقيلة التي تسير في صفوفكم، ولا تستسلموا كثيرًا لليأس، بل فكروا في أنكم أنفسكم مدينة في أي مكان تجلسون فيه، وأنه لا يوجد أي مدينة أخرى في صقلية يمكنها بسهولة مقاومة هجومكم أو طردكم بمجرد تأسيسها. إن السلامة والنظام في المسيرة يجب أن تتطلعوا إليها بأنفسكم؛ والفكرة الوحيدة لكل رجل هي أن المكان الذي قد يضطر

إلى القتال فيه يجب أن يتم غزوه والاحتفاظ به كوطن وحصن له. وفي غضون ذلك، سنسرع في طريقنا ليلًا ونهارًا على حد سواء، لأن مؤننا شحيحة؛ وإذا تمكنا من الوصول إلى مكان ودود للصقليين، الذين لا يزال خوفهم من السراقوسيين يجعلنا مخلصين لهم، فيمكنكم اعتبار أنفسكم آمنين على الفور. "لقد أُرسِلت إليهم رسالة تتضمن توجيهات بلقاءنا بإمدادات من الطعام. باختصار، اقتنعوا أيها الجنود بأنه يجب أن تكونوا شجعانًا، لأنه لا يوجد مكان قريب تلجأ إليه جبانتكم، وأنه إذا هربتم الآن من العدو، فقد تتمكنون جميعًا من رؤية ما ترغب فيه قلوبكم مرة أخرى، بينما سيتمكن الأثينيون من استعادة القوة العظيمة للدولة، على الرغم من سقوطها. إن الرجال هم من يبنون المدينة وليس الأسوار أو السفن بدون رجال فيها."

وبينما كان يلقي هذا الخطاب، سار نيسياس بين صفوف الجيش، وأعاد إلى مكانه أي جندي رآه يتخلف عن الصف؛ بينما فعل ديموستينس الشيء نفسه بالنسبة لقسمه من الجيش، مخاطبًا إياهم بكلمات مماثلة جدًا. سار الجيش في مربع فارغ، وكان يقوده فرقة نيسياس، ويليه فرقة ديموستينس، وكان المشاة الثقيلة في الخارج وحاملو الأمتعة وأغلب الجيش في الوسط. وعندما وصلوا إلى مخاضة نهر أنابوس، وجدوا هناك مجموعة من السيراقوسيين وحلفائهم مصطفين، وهزموهم، وأكملوا طريقهم، وتعرضوا لمضايقات من فرسان السيراقوسيين وقذائف قواتهم الخفيفة. في ذلك اليوم، تقدموا حوالي أربعة أميال ونصف، وتوقفوا ليلًا على تلة معينة. "في اليوم التالي، انطلقوا مبكرًا وواصلوا السير لمسافة ميلين تقريبًا، ونزلوا إلى مكان في السهل وعسكروا هناك، من أجل الحصول على بعض المواد الغذائية من المنازل، حيث كان المكان مأهولًا بالسكان، ولحمل المياه من هناك، لأن المياه لم تكن وفيرة على بعد عدة فيرلونغات في الاتجاه الذي كانوا ذاهبين إليه. وفي هذه الأثناء، واصل السيراقوسيون تقدمهم وحصنوا الممر أمامهم، حيث كان هناك تل شديد الانحدار مع وادٍ صخري على كل جانب منه، يُدعى جرف أكرا. في اليوم التالي، وجد الأثينيون المتقدمون أنفسهم محاصرين بقذائف وهجمات الخيول والسهام، وكلاهما كثير

جدًا، من السيراقوسيين وحلفائهم؛ وبعد قتال طويل، تراجعوا أخيرًا إلى نفس المعسكر، حيث لم يعد لديهم أي مؤن كما كان من قبل، حيث كان من المستحيل عليهم مغادرة موقعهم بسبب سلاح الفرسان.

وفي الصباح الباكر، بدأوا من جديد وشقوا طريقهم إلى التل الذي كان محصنًا، حيث وجدوا أمامهم مشاة العدو وقد رفعوا العديد من الدروع للدفاع عن الحصن، وكان الممر ضيقًا. هاجم الأثينيون العمل، لكنهم واجهوا عاصفة من الصواريخ من التل، والتي كانت ذات تأثير أكبر بسبب انحدارها، ولم يتمكنوا من اقتحام الممر، فتراجعوا مرة أخرى واستراحوا. وفي غضون ذلك حدثت بعض قصف الرعد والمطر، كما يحدث غالبًا في الخريف، مما زاد من تثبيط عزيمة الأثينيين، الذين اعتقدوا أن كل هذه الأشياء كانت فألًا بخرابهم الوشيك. وبينما كانوا يستريحون، أرسل جليبوس والسراقسيون جزءًا من جيشهم لإقامة أعمال في مؤخرتهم على الطريق الذي تقدموا منه؛ ومع ذلك، أرسل الأثينيون على الفور بعض رجالهم ومنعوهم؛ وبعد ذلك تراجعوا أكثر نحو السهل وتوقفوا ليلًا. وعندما تقدموا في اليوم التالي، حاصرهم السيراقوسيون وهاجموهم من كل جانب، وأعاقوا العديد منهم، وتراجعوا إذا تقدم الأثينيون، وهاجموهم إذا تراجعوا، وهاجموا مؤخرتهم بشكل خاص، على أمل إلحاق هزيمة ساحقة بهم، وبالتالي إثارة الذعر في الجيش بأكمله. ولفترة طويلة، استمر الأثينيون على هذا المنوال، ولكن بعد التقدم لمسافة أربعة أو خمسة فيرلونغ توقفوا للراحة في السهل، وانسحب السيراقوسيون أيضًا إلى معسكرهم.

"في أثناء الليل، رأى نيسياس وديموستينس الحالة البائسة لقواتهما، التي كانت الآن في حاجة إلى كل نوع من الضروريات، وأن أعدادًا كبيرة منهم معوقة بسبب الهجمات العديدة للعدو، فقررا إشعال أكبر عدد ممكن من النيران، وقيادة الجيش، ليس بنفس الطريق الذي كانوا يعتزمون اتباعه، بل نحو البحر في الاتجاه المعاكس لذلك الذي يحرسه السيراقسيون. كان هذا الطريق بأكمله يقود الجيش ليس إلى كاتانا

ولكن إلى الجانب الآخر من صقلية، نحو كامارينا وجيلا والمدن اليونانية والبربرية الأخرى في ذلك الجزء. وبناءً على ذلك، أشعلا عددًا من النيران وانطلقا ليلًا. الآن، كل الجيوش، وأعظمها على الإطلاق، معرضة للمخاوف والانزعاج، وخاصة عندما تسير ليلًا عبر بلد العدو والعدو قريب؛ "وبعد أن سقط الأثينيون في فخ من هذا النوع، ظل الفريق الرائد، وهو فريق نيسياس، متماسكًا وتقدم في المقدمة، بينما انفصل فريق ديموستينس، الذي كان يضم أكثر من نصف الجيش، وواصل مسيرته في حالة من الفوضى. ومع حلول الصباح، وصلوا إلى البحر، ودخلوا طريق هيلورين، وواصلوا مسيرتهم حتى وصلوا إلى نهر كاكيباريس، ثم اتبعوا مجرى النهر حتى يصلوا إلى الداخل، حيث كانوا يأملون في أن يقابلهم الصقليون الذين أرسلوا في طلبهم. وعندما وصلوا إلى النهر، وجدوا هناك أيضًا فرقة من السيراقوسيين مشغولة بسد ممرات النهر بجدار وسور، وإجبار هذا الحارس على عبور النهر ومضوا إلى نهر آخر يسمى إيرينيوس، وفقًا لنصيحة مرشديهم.

وفي هذه الأثناء، عندما حل النهار ووجد السيراقوسيون وحلفاؤهم أن الأثينيين قد رحلوا، اتهم معظمهم جليبوس بأنه سمح لهم بالفرار عمدًا، ثم سارعوا بملاحقتهم على عجل على الطريق الذي لم يجدوا صعوبة في اكتشاف أنهم سلكوه، ولحقوا بهم في وقت العشاء. فتقدموا أولاً مع القوات بقيادة ديموستينس، التي كانت في الخلف وتسير ببطء واضطراب إلى حد ما، بسبب الذعر الليلي المشار إليه أعلاه، وهاجموهم على الفور واشتبكوا معهم، حيث أحاط بهم حصان السيراقوسيين بسهولة أكبر الآن بعد أن انفصلوا عن البقية وحاصرهم في مكان واحد. كانت فرقة نيسياس على بعد خمسة أو ستة أميال في المقدمة، حيث قادهم بسرعة أكبر، معتقدًا أن سلامتهم في ظل هذه الظروف لا تكمن في البقاء والقتال، ما لم يُجبروا على ذلك، بل في التراجع بأسرع ما يمكن، والقتال فقط عندما يُجبرون على ذلك. من ناحية أخرى، كان ديموستينس، بشكل عام، يتعرض لمضايقات أكثر استمرارًا، حيث تركه موقعه في المؤخرة معرضًا أولاً لهجمات العدو؛ "وبعد أن وجد أن السيراقوسيين يطاردونه،

أهمل في التقدم، من أجل إعداد رجاله للمعركة، وظل على هذا الحال حتى حاصره مطاردوه، ووضع نفسه والأثينيون معه في موقف محزن للغاية، حيث احتشدوا في منطقة مسيجة محاطة بسور من جميع الجهات، وطريق من هذا الجانب ومن ذاك، وأشجار زيتون كثيرة، حيث كانت الصواريخ تنهال عليهم من كل جانب. وقد تبنى السيراقوسيون هذا الأسلوب في الهجوم لسبب وجيه، مفضلين إياه على القتال عن قرب، لأن المخاطرة بخوض صراع مع رجال يائسين كانت الآن لصالح الأثينيين أكثر من كونها لصالحهم؛ فضلاً عن ذلك، أصبح نجاحهم الآن مؤكدًا لدرجة أنهم بدأوا في توفير أنفسهم قليلاً حتى لا يتم قطعهم في لحظة النصر، معتقدين أيضًا أنهم، كما هو الحال، سيكونون قادرين على إخضاع العدو وأسره بهذه الطريقة.

في الواقع، بعد أن أمطروا الأثينيين وحلفائهم طوال اليوم بالصواريخ من كل جانب، أدركوا أخيرًا أنهم قد أنهكتهم جراحهم ومعاناتهم الأخرى؛ فأصدر جليبوس والسراقسيون وحلفاؤهم إعلانًا يعرضون فيه حريتهم على أي من سكان الجزيرة الذين اختاروا الانضمام إليهم؛ وانضمت بعض المدن. بعد ذلك تم الاتفاق على استسلام الباقين مع ديموستينس، بإلقاء أسلحتهم بشرط ألا يُقتل أحد إما بالعنف أو بالسجن أو الافتقار إلى ضروريات الحياة. عند هذا استسلموا لعدد ستة آلاف في المجموع، ووضعوا كل الأموال التي كانت بحوزتهم، والتي ملأت تجاويف أربعة دروع، ونقلها السراقسيون على الفور إلى المدينة.

وفي تلك الأثناء وصل نيسياس بفرقته في ذلك اليوم إلى نهر إيرينيوس، فعبر النهر، ونشر جيشه على أرض مرتفعة على الجانب الآخر. وفي اليوم التالي لحق به السراقسيون وأخبروه أن القوات بقيادة ديموستينس استسلمت، ودعوه إلى أن يحذو حذوهم. ولم يصدق نيسياس هذه الحقيقة، فطلب هدنة لإرسال فارس ليرى، وعند عودة الرسول بالخبر الذي يفيد أنهم استسلموا، أرسل منادياً إلى جيليبوس والسراقسيين، قائلاً إنه مستعد للاتفاق معهم نيابة عن الأثينيين على إعادة أي

أموال أنفقها السراقسيون على الحرب إذا أطلقوا سراح جيشه؛ وعرض عليهم حتى يتم دفع الأموال أن يسلموا الأثينيين رهائن، واحد مقابل كل تالنت. رفض السراقسيون وجيليبوس هذا الاقتراح، وهاجموا هذه الفرقة كما فعلوا مع الأخرى، ووقفوا حولها وأغرقوها بالصواريخ حتى المساء. كان الطعام والضروريات في حاجة ماسة إلى قوات نيسياس، كما كان الحال مع رفاقهم؛ ومع ذلك فقد انتظروا هدوء الليل لاستئناف مسيرتهم. ولكن عندما حملوا أسلحتهم، أدرك السراقوسيون ذلك ورفعوا ترنيمة النصر، وعندما وجد الأثينيون أنهم قد انكشفوا، ألقوا أسلحتهم مرة أخرى على الأرض، باستثناء حوالي ثلاثمائة رجل شقوا طريقهم عبر الحراس وواصلوا مسيرتهم أثناء الليل قدر استطاعتهم.

"وحالما حل النهار، بدأ نيسياس في تحريك جيشه، فتعرض كما حدث من قبل لهجوم من قبل السيراقوسيين وحلفائهم، وتعرض لقصفهم من كل جانب بقذائفهم، وسقط برماحهم. وواصل الأثينيون هجومهم باتجاه أسيناروس، مدفوعين بالهجمات التي شنها عليهم الفرسان من كل جانب، وحشد من القوات الأخرى، ظانين أنهم سيتنفسون بحرية أكبر إذا عبروا النهر، كما دفعهم إلى ذلك الإرهاق والرغبة الشديدة في الماء. وحالما وصلوا إلى هناك، اندفعوا إلى الداخل، وانتهى كل شيء، حيث أراد كل رجل أن يعبر أولاً، وكانت هجمات العدو تجعل من الصعب على الإطلاق العبور؛ واضطروا إلى التكتل معًا، فسقطوا على بعضهم البعض وداسوا بعضهم البعض، ومات بعضهم على الفور بسبب الرماح، وتشابك آخرون معًا وتعثروا في أمتعتهم، ولم يتمكنوا من النهوض مرة أخرى. وفي الوقت نفسه، كان السيراقوسيون يصطفون على الضفة المقابلة، التي كانت شديدة الانحدار، فأمطروا الأثينيين بالصواريخ، وكان معظمهم يشربون بشراهة، ويتكدسون في فوضى في قاع النهر المجوف. كما نزل البيلوبونيزيون وذبحوهم، وخاصة أولئك الذين كانوا في الماء، الذي فسد على الفور، لكنهم استمروا في شربه على الرغم من كل شيء، بالطين والدماء، حتى أن معظمهم قاتل من أجل الحصول عليه.

"وأخيرًا، عندما تراكمت جثث العديد من الجنود فوق بعضها البعض في النهر، ودُمر جزء من الجيش عند النهر، وقُطعت السبل بالقليلين الذين فروا من هناك بواسطة سلاح الفرسان، استسلم نيسياس لجيلبوس، الذي كان يثق فيه أكثر من أهل سيراقوسة، وأمره هو وأهل لاكيديمون أن يفعلوا به ما يحلو لهم، ولكن أن يتوقفوا عن قتل الجنود. وبعد ذلك، أصدر جيلبوس أوامره على الفور بأسر السجناء؛ فتم جمع الباقين أحياء، باستثناء عدد كبير تم إخفاؤهم من قبل الجنود، وأُرسلت فرقة لملاحقة الثلاثمائة الذين تمكنوا من اختراق الحراسة أثناء الليل، والذين تم القبض عليهم الآن مع البقية. لم يكن عدد الأعداء الذين تم جمعهم كممتلكات عامة كبيرًا؛ ولكن من تم إخفاؤهم كان كبيرًا جدًا، وامتلأت صقلية بأكملها بهم، ولم يتم الاتفاق في حالتهم على أولئك الذين تم القبض عليهم مع ديموستينس. بالإضافة إلى ذلك، قُتل عدد كبير من الجنود على الفور، وكانت المذبحة كبيرة جدًا، ولم يفوقها أي عدد في هذه الحرب الصقلية. وفي المواجهات العديدة الأخرى أثناء المسيرة، سقط عدد غير قليل أيضًا. ومع ذلك، هرب العديد منهم، بعضهم في تلك اللحظة، والبعض الآخر خدم كعبيد، ثم فروا بعد ذلك. ووجد هؤلاء ملاذًا في كاتانا.

"وتجمع السراقوسيون وحلفاؤهم الآن، وجمعوا الغنائم وأسروا أكبر عدد ممكن من الأسرى، وعادوا إلى المدينة. وأودع بقية أسراهم الأثينيين وحلفائهم في المحاجر، وبدا أن هذه هي الطريقة الأكثر أمانًا للاحتفاظ بهم؛ لكن نيسياس وديموستينس ذُبحا، ضد إرادة جيليبوس، الذي اعتقد أن انتصاره سيكون إذا تمكن من أخذ جنرالات العدو إلى لاكيدايمون. وكان أحدهما، كما حدث، ديموستينس، من أشد أعدائها، بسبب قضية الجزيرة وبيلوس؛ بينما كان الآخر، نيسياس، لنفس الأسباب واحدًا من أعظم أصدقائها، بسبب جهوده في تأمين إطلاق سراح الأسرى بإقناع الأثينيين بعقد السلام. ولهذه الأسباب شعر اللاكيدايمونيون باللطف تجاهه؛ وكان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل نيسياس نفسه يثق في نفسه عندما استسلم لجيليبوس. ولكن بعض أهل سراقوسة الذين كانوا يراسلونه كانوا يخشون، كما قيل، أن يتعرض للتعذيب

وأن يزعج نجاحهم بسبب ما كشفه لهم من حقائق؛ وكان آخرون، وخاصة أهل كورنثوس، يخشون أن يهرب، لأنه كان ثريًا، عن طريق الرشوة، ويعيش ليلحق بهم المزيد من الأذى؛ وقد أقنع هؤلاء الحلفاء وحكموا عليه بالموت. وكان هذا أو ما شابه ذلك سببًا في وفاة رجل كان أقل أهل اليونان استحقاقًا لمثل هذا المصير، نظرًا لأن مسار حياته بالكامل كان منظمًا بعناية صارمة للفضيلة.

في البداية، لم يعامل أهل سيراقوسة السجناء معاملة جيدة. فقد كانوا مكتظين في حفرة ضيقة، بلا سقف يغطونهم، وكانت حرارة الشمس وضيق الهواء الخانق يعذبونهم أثناء النهار، ثم كانت الليالي، التي كانت تأتي في الخريف والبرد، تجعلهم مرضى بسبب شدة التغيير؛ فضلاً عن ذلك، كان عليهم أن يفعلوا كل شيء في نفس المكان بسبب نقص المساحة، وكانت جثث أولئك الذين ماتوا بسبب جراحهم أو بسبب اختلاف درجات الحرارة، أو لأسباب مماثلة، تُترك مكدسة فوق بعضها البعض، وكانت الروائح الكريهة تنتشر؛ بينما لم يتوقف الجوع والعطش عن إزعاجهم، حيث كان كل رجل على مدار ثمانية أشهر يحصل على نصف لتر من الماء ونصف لتر من الذرة يوميًا. باختصار، لم يسلموا من أي معاناة يمكن أن يتعرض لها الرجال الذين يُزج بهم في مثل هذا المكان. لقد عاشوا على هذا النحو معًا لمدة سبعين يومًا تقريبًا، وبعد ذلك تم بيع جميع الأسرى باستثناء الأثينيين وأي من الصقليين أو الإيطاليين الذين انضموا إلى الحملة. من الصعب تحديد العدد الإجمالي للأسرى الذين تم أسرهم على وجه التحديد، ولكن لا يمكن أن يكون أقل من سبعة آلاف.

كان هذا أعظم إنجاز يوناني في هذه الحرب، أو في رأيي، في التاريخ اليوناني؛ كان أكثر إنجازات المنتصرين مجدًا، وأكثرها كارثية للمهزومين. لقد هُزموا في كل مكان وبشكل كامل؛ كل ما عانوه كان عظيمًا؛ لقد دُمِّروا، كما يقول المثل، تدميرًا كاملاً،

أسطولهم وجيشهم وكل شيء، ولم يعد إلى ديارهم سوى القليل من الكثيرين. كانت هذه هي الأحداث التي وقعت في صقلية.

الكتاب الثامن

الفصل الرابع والعشرون

العامان التاسع عشر والعشرون من الحرب - ثورة إيونيا - تدخل بلاد فارس - الحرب في إيونيا

وعندما وصلت الأخبار إلى أثينا، ظلوا لفترة طويلة ينكرون حتى أكثر الجنود احترامًا الذين فروا من مسرح الأحداث وأبلغوا عن الأمر بوضوح، وكان الدمار الكامل الذي حدث لا يُعَد معقولاً. وعندما أُجبِروا على الإدانة، غضبوا من الخطباء الذين شاركوا في الترويج للحملة، وكأنهم لم يصوتوا عليها بأنفسهم، وغضبوا أيضًا من رواة العرافين، وكل من تنبأوا بالأحداث في ذلك الوقت الذين شجعوهم على الأمل في غزو صقلية. وبعد ما حدث الآن، أصابهم الخوف والذعر دون أي مثال على الإطلاق. لقد كان الأمر مؤلمًا بما يكفي بالنسبة للدولة ولكل رجل في شخصه أن يخسر الكثير من المشاة الثقيلة والفرسان والقوات القادرة على العمل، وأن لا يرى أحدًا ليحل محلهم؛ ولكن عندما رأوا أنهم لا يملكون ما يكفي من السفن في أرصفتهم، أو المال في الخزانة، أو الطواقم اللازمة للسفن، بدأوا ييأسون من الخلاص. لقد تصوروا أن أعداءهم في صقلية سيبحرون على الفور بأسطولهم ضد بيرايوس، وقد ألهبهم هذا النصر الرائع؛ بينما سيضاعف خصومهم في الداخل كل استعداداتهم، وسيهاجمونهم بقوة عن طريق البحر والبر في الحال، بمساعدة حلفائهم المتمردين. ومع ذلك، وباستخدام الوسائل المتاحة لهم، قرروا المقاومة حتى النهاية، وتوفير الأخشاب والمال، وتجهيز الأسطول بأفضل ما يمكنهم، واتخاذ الخطوات اللازمة لتأمين حلفائهم وقبل كل شيء إيبويا، وإصلاح الأمور في المدينة على أساس أكثر اقتصادا، وانتخاب مجلس من الشيوخ لتقديم المشورة بشأن حالة الشؤون كلما سنحت الفرصة. باختصار، وكما هي طبيعة الديمقراطية، كانوا مستعدين في حالة الذعر في تلك اللحظة ليكونوا حذرين قدر الإمكان.

ولقد تم تنفيذ هذه القرارات على الفور. فقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء التالي، كانت اليونان كلها في حالة تأهب بسبب الكارثة الأثينية الكبرى في صقلية. وشعر المحايدون الآن أنه حتى لو لم تتم دعوتهم، فلا ينبغي لهم أن يقفوا منعزلين عن الحرب، بل يتعين عليهم أن يتطوعوا للزحف ضد الأثينيين، الذين كانوا ليهاجموهم على الأرجح لو نجحت الحملة الصقلية، كما اعتقدوا على نحو منفصل. فضلاً عن ذلك، فقد اعتبروا أن الحرب ستكون قصيرة الآن، وأن مشاركتهم فيها ستكون جديرة بالثناء. وفي الوقت نفسه، شعر حلفاء اللاكديمونيين بقلق أكبر من أي وقت مضى لرؤية نهاية سريعة لأعمالهم الشاقة. ولكن الأهم من ذلك كله، أن رعايا الأثينيين أظهروا استعدادًا للثورة حتى بما يتجاوز قدرتهم، وحكموا على الظروف بحماس، ورفضوا حتى سماع أن الأثينيين قادرون على الصمود حتى الصيف القادم. وفوق كل هذا، كانت لاكيدايمون تشعر بالتشجيع من احتمال انضمام قوات كبيرة إلى حلفائها في صقلية في الربيع، بعد أن اضطرتهم الأحداث مؤخرًا إلى الاستحواذ على أسطولهم البحري. ومع هذه الأسباب التي جعلت أهل لاكيدايمون يثقون في كل جانب، قرروا الآن أن يلقوا بأنفسهم في الحرب دون تحفظ، معتبرين أنه بمجرد انتهاء الحرب بسعادة، سوف يتخلصون أخيرًا من مثل هذه الأخطار التي كانت لتهددهم من أثينا، إذا أصبحت سيدة صقلية، وأن الإطاحة بالأثينيين سوف تجعلهم يتمتعون بهدوء بالسيادة على كل اليونان.

"وبعد ذلك، انطلق ملكهم أجيس على الفور خلال هذا الشتاء مع بعض القوات من ديسيليا، وجمع من الحلفاء مساهمات للأسطول، واتجه نحو خليج مالي، وفرض مبلغًا من المال على الأويتيين بسرقة معظم ماشيتهم انتقامًا لعدائهم القديم، وعلى الرغم من احتجاجات ومعارضة أهل ثيساليا، أجبر الآخيين من فثيوتيس وغيرهم من رعايا ثيساليا في تلك الأجزاء على إعطائه المال والرهائن، وأودع الرهائن في كورنثوس، وحاول جلب مواطنيهم إلى الاتحاد. أصدر اللاكيديمونيون الآن طلبًا إلى المدن لبناء مائة سفينة، وحددوا حصتهم وحصص البويوتيين بخمس وعشرين

سفينة لكل منهم؛ وحصص الفوكيين واللوكريان معًا بخمس عشرة سفينة؛ وحصص الكورنثيين بخمس عشرة سفينة؛ وحصص الأركاديين والبيلينيين والسيوكيين معًا بعشرة؛ وسكان ميجاريا، وترويزينيا، وإبيدوريا، وهيرميونيا مجتمعين أيضًا في الساعة العاشرة؛ وفي الوقت نفسه قاموا بكل الاستعدادات الأخرى لبدء الأعمال العدائية بحلول الربيع.

وفي غضون ذلك لم يكتف الأثينيون بذلك، بل عملوا على توفير الأخشاب خلال هذا الشتاء، كما قرروا، وواصلوا بناء السفن، وحصنوا مدينة سونيوم لتمكين سفنهم المحملة بالقمح من الالتفاف حولها في أمان، وأخلوا الحصن في لاكونيا الذي بنوه في طريقهم إلى صقلية؛ وفي الوقت نفسه، من أجل الاقتصاد، خفضوا أي نفقات أخرى بدت غير ضرورية، وفوق كل ذلك ظلوا يراقبون عن كثب ثورة حلفائهم.

وبينما كان الطرفان منشغلين على هذا النحو، وكانا منشغلين بالاستعداد للحرب كما كانا منشغلين في البداية، أرسل الوابينيون أولاً مبعوثين خلال هذا الشتاء إلى أجيس لمناقشة تمردهم من أثينا. فقبل أجيس مقترحاتهم، وأرسل في طلب ألكامينيس، ابن ستينياليداس، وميلانثوس من لاكيدايمون، لتولي القيادة في وابية. فوصلا على هذا النحو مع نحو ثلاثمائة نيودامودي، وبدأ أجيس في الترتيب لعبورهم. ولكن في هذه الأثناء وصل بعض السحاقيات، الذين أرادوا أيضًا الثورة؛ ولأن هؤلاء السحاقيات يدعمهم أهل بيوتيا، فقد أقنع أجيس بتأجيل التصرف في مسألة وابية، ورتب لثورة السحاقيات، فأعطاهم ألكامينيس، الذي كان من المقرر أن يبحر إلى وابية، حاكمًا، ووعدهم هو بعشر سفن، ووعد أهل بيوتيا بنفس العدد. لقد تم كل هذا دون تعليمات من الوطن، حيث كان أجيس في ديسيليا مع الجيش الذي كان يقوده يتمتع بالسلطة لإرسال القوات إلى أي مكان يشاء، وتجنيد الرجال والمال. خلال هذه الفترة، يمكن للمرء أن يقول، كان الحلفاء يطيعونه أكثر بكثير مما فعلوا مع اللاكيديمونيين في المدينة، حيث كانت القوة التي كان معه تجعله خائفًا في الحال

أينما ذهب. بينما كان أجيس مشغولاً بالسحاقيات، تقدم الخيانيون والإريتريون، الذين كانوا أيضًا على استعداد للثورة، ليس إليه بل إلى اللاكيديمون؛ حيث وصلوا برفقة سفير من تيسافرنيس، قائد الملك داريوس، ابن أرتحشستا، في المناطق البحرية، الذي دعا البيلوبونيزيين للقدوم، ووعد بالحفاظ على جيشهم. كان الملك قد طلب منه مؤخرًا الجزية من حكومته، والتي تأخر عنها، لعدم قدرته على جمعها من المدن اليونانية بسبب الأثينيين؛ "لذلك حسب أنه بإضعاف الأثينيين سوف يحصل على جزية أفضل، وسوف يجتذب اللاكيديمونيين إلى التحالف مع الملك؛ وبهذه الوسيلة، كما أمره الملك، سوف يأخذ حيا أو ميتا أمورجيس، الابن غير الشرعي لبسوثنيس، الذي كان في حالة تمرد على ساحل كاريا.

"وبينما اجتمع الخيانيون وتيسافيرنس لتحقيق نفس الهدف، وصل في نفس الوقت تقريبًا كاليجيتوس، ابن لاوفون، الميجارى، وتيماجوراس، ابن أثيناغوراس، السيزيكى، وكلاهما منفيان من بلدهما ويعيشان في بلاط فارنابازوس، ابن فارناكيس، إلى لاكيدايمون في مهمة من فارنابازوس، للحصول على أسطول إلى الدردنيل؛ وبواسطة هذه المهمة، إذا أمكن، قد يتمكن بنفسه من تحقيق هدف طموح تيسافيرنس وإحداث ثورة المدن في حكومته ضد الأثينيين، وبالتالي الحصول على الجزية، وبواسطة وكالته يحصل للملك على تحالف اللاكيدايمونيين.

وبعد أن ناقش مبعوثا فارنابازوس وتيسافيرنيس الأمر على انفراد، نشبت الآن منافسة شرسة في لاكيدايمون حول ما إذا كان ينبغي إرسال أسطول وجيش أولاً إلى أيونيا وخيوس، أو إلى مضيق الدردنيل. إلا أن اللاكيدايمونيين فضلوا بكل تأكيد الخيانيين وتيسافيرنيس، الذين أيدهم ألكيبياديس، صديق عائلة إنديوس، أحد الأيفور في ذلك العام. والواقع أن هذا هو السبب الذي جعل بيتهم يكتسب اسمه اللاكوني، حيث أن ألكيبياديس هو اسم عائلة إنديوس. ومع ذلك، أرسل اللاكيدايمونيون أولاً إلى خيوس فرينيس، إحدى المناطق التي تقع في بريوسي،

لمعرفة ما إذا كان لديهم عدد من السفن كما قالوا، وما إذا كانت مدينتهم عمومًا عظيمة كما قيل؛ وعندما أخبرهم بأن الخبر قد أُبلِغ لهم، دخلوا على الفور في تحالف مع الخيانيين والإريثريين، وصوتوا لإرسال أربعين سفينة إليهم، وكان هناك بالفعل، وفقًا لبيان الخيانيين، ما لا يقل عن ستين سفينة في الجزيرة. في البداية، كان أهل لاكديمون يعتزمون إرسال عشرة من هؤلاء الأربعين بأنفسهم، ومعهم ميلانخريداس أميرالهم؛ ولكن بعد وقوع زلزال، أرسلوا خالكيديوس بدلاً من ميلانخريداس، وبدلاً من السفن العشر المجهزة، أرسلوا خمس سفن فقط إلى لاكونيا. وانتهى الشتاء، وانتهى معه أيضًا العام التاسع عشر من هذه الحرب التي يؤرخ لها ثوسيديديس.

وفي بداية الصيف التالي، ألح أهل كيا على إرسال الأسطول، خوفًا من أن يكتشف الأثينيون، الذين كانت كل هذه السفارات سرية عنهم، ما كان يحدث، فأرسل أهل لاكيديمون على الفور ثلاثة بحارة إسبرطيين إلى كورنثوس لسحب السفن بأسرع ما يمكن عبر البرزخ من البحر الآخر إلى البحر على جانب أثينا، وإصدار الأمر لها جميعًا بالإبحار إلى كياوس، باستثناء تلك التي كان أجيس يجهزها للتوجه إلى ليسبوس. وكان عدد السفن من الدول المتحالفة تسعة وثلاثين سفينة.

وفي هذه الأثناء لم ينضم كاليجيتوس وتيماجوراس إلى فارنابازوس في الحملة إلى خيوس ولم يعطوه المال -خمسة وعشرون موهبة- الذي أحضروه معهم للمساعدة في إرسال قوة، بل قرروا الإبحار بعد ذلك بقوة أخرى بمفردهم. ومن ناحية أخرى، عندما رأى أجيس أن اللاكيديمونيين عازمون على الذهاب إلى خيوس أولاً، تبنى هو نفسه وجهة نظرهم؛ واجتمع الحلفاء في كورنثوس وعقدوا مجلسًا، قرروا فيه الإبحار أولاً إلى خيوس تحت قيادة خالكيديوس، الذي كان يجهز السفن الخمس في لاكونيا، ثم إلى ليسبوس، تحت قيادة ألكامينيس، وهو نفسه الذي اختاره أجيس، وأخيرًا الذهاب إلى الدردنيل، حيث أُعطي الأمر لكلايرخوس، ابن رامفياس. وفي غضون ذلك، قرروا أن يأخذوا نصف السفن فقط عبر البرزخ أولاً، ثم يسمحوا لها بالإبحار على الفور،

حتى يتمكن الأثينيون من الاهتمام بالأسطول المغادر أقل من الاهتمام بالأسطول الذي سيعبر بعد ذلك، حيث لم يتم اتخاذ أي احتياطات للحفاظ على سرية هذه الرحلة بسبب ازدراء عجز الأثينيين، الذين لم يكن لديهم بعد أسطول ذو قيمة في البحر. واستجابة لهذا القرار، تم نقل إحدى وعشرين سفينة على الفور عبر البرزخ.

"لقد كانوا الآن متلهفين للإبحار، ولكن أهل كورنثوس لم يكونوا على استعداد لمرافقتهم حتى احتفلوا بمهرجان إستميا، الذي كان يوافق ذلك الوقت. وعند هذا اقترح عليهم أجيس أن ينقذوا أنفسهم من تحفظاتهم بشأن كسر الهدنة البرزخية من خلال تولي الحملة على عاتقهم. ولما لم يوافق أهل كورنثوس على هذا، حدث تأخير، وخلال ذلك اشتبه الأثينيون في ما كان يتم تحضيره في خيوس، فأرسلوا أريستوقراطس، أحد جنرالاتهم، واتهموهم بهذه الحقيقة، وبعد أن أنكر أهل خيوس ذلك، أمروهم بإرسال فرقة من السفن معهم، كحلفاء مخلصين. وتم إرسال سبع سفن وفقًا لذلك. وكان سبب إرسال السفن يكمن في حقيقة أن غالبية أهل خيوس لم يكونوا على علم بالمفاوضات، في حين أن القليلين الذين كانوا في الخفاء لم يرغبوا في قطع الاتصال بالحشد حتى يكون لديهم شيء إيجابي يعتمدون عليه، ولم يعودوا يتوقعون وصول البيلوبونيزيين بسبب تأخيرهم.

وفي هذه الأثناء أقيمت الألعاب البرزخية، وذهب الأثينيون الذين دُعوا لحضورها، وبعد أن أدركوا الآن بوضوح أكبر مخططات أهل كيوس، اتخذوا فور عودتهم إلى أثينا التدابير اللازمة لمنع الأسطول من الإبحار من كنخريا دون علمهم. وبعد المهرجان أبحر البيلوبونيزيون بواحد وعشرين سفينة إلى كيوس، تحت قيادة ألكامينيس. وأبحر الأثينيون ضدهم أولاً بعدد مماثل، فسحبوا سفنهم نحو البحر المفتوح. ولكن العدو تراجع قبل أن يلاحقهم بعيدًا، فعاد الأثينيون أيضًا، غير واثقين في السفن السبع في كيوس التي شكلت جزءًا من عددهم، وبعد ذلك حشدوا سبعة وثلاثين سفينة في المجموع وطاردوه أثناء مروره على طول الشاطئ إلى سبيرايوم، وهو ميناء كورنثي

صحراوي على حافة الحدود الإبيداورية. وبعد أن فقدوا سفينة واحدة في البحر، جمع البيلوبونيزيون بقية السفن وأوصلوها إلى المرسى. ولم يهاجم الأثينيون الآن بأسطولهم من البحر فحسب، بل نزلوا أيضًا على الساحل؛ ونشأت معركة من النوع الأكثر ارتباكًا وعنفًا، حيث عطل الأثينيون معظم سفن العدو وقتلوا ألكامينيس قائدهم، وفقدوا أيضًا بعضًا من رجالهم.

وبعد ذلك انفصلوا، وفصل الأثينيون عددًا كافيًا من السفن لمحاصرة سفن العدو، ورسوا مع بقية السفن في الجزيرة المجاورة، ثم شرعوا في المعسكر، وأرسلوا إلى أثينا طلبًا للتعزيزات؛ وانضم إلى البيلوبونيزيين في اليوم التالي للمعركة الكورنثيون، الذين جاءوا لمساعدة السفن، وسكان آخرون في المنطقة بعد ذلك بوقت قصير. ورأى هؤلاء صعوبة الحفاظ على الحراسة في مكان صحراوي، وفي حيرتهم فكروا في البداية في حرق السفن، لكنهم قرروا أخيرًا سحبها إلى الشاطئ والجلوس وحراستها بقواتهم البرية حتى تتاح لهم فرصة مناسبة للهروب. كما أرسل أجيس، عندما أُبلغ بالكارثة، إليهم إسبرطيًا يُدعى ثيرمون. تلقى أهل لاكيدايمون أولاً نبأ انطلاق الأسطول من البرزخ، حيث أمر الحكام ألكامينيس بإرسال فارس عندما حدث ذلك، فقرروا على الفور إرسال سفنهم الخمس تحت قيادة خالكيديوس وألكيبياديس معه. ولكن بينما كانوا متمسكين بهذا القرار، جاءتهم الأخبار الثانية عن لجوء الأسطول إلى سبيرايوم؛ وبسبب إحباطهم من فشل خطوتهم الأولى في الحرب الأيونية، تخلوا عن فكرة إرسال السفن من بلادهم، بل وأرادوا حتى استدعاء بعض السفن التي أبحرت بالفعل.

ولما أدرك ألكيبيادس هذا الأمر، أقنع إنديوس والفرسان الآخرين بمواصلة الحملة، قائلاً إن الرحلة ستتم قبل أن يسمع أهل خيوس بكارثة الأسطول، وأنه بمجرد أن يضع قدميه في إيونيا، فإنه سيطمئنهم بضعف الأثينيين وحماسة لاكيدايمون، ولن يجد صعوبة في إقناع المدن بالثورة، لأنهم سيصدقون شهادته بسهولة. كما عرض على إنديوس نفسه في جلسة خاصة أنه سيكون من المجيد أن يكون الوسيلة لجعل

إيونيا تثور ويصبح الملك حليفًا لاكيدايمون، بدلاً من ترك هذا الشرف لأجيس (يجب أن نتذكر أن أجيس كان عدوًا لألكيبيادس)؛ وبعد أن أقنع إنديوس وزملاؤه بذلك، أبحر في البحر مع السفن الخمس والسفينة لاكيدايمون، وأسرع في الرحلة.

وفي ذلك الوقت تقريبًا، وقعت السفن البيلوبونيسية الست عشرة القادمة من صقلية، والتي خدمت خلال الحرب مع جليبوس، في قبضة السفن العائدة من ليوكاديا، وتعرضت لمعاملة قاسية من جانب السفن الأثينية السبع والعشرين بقيادة هيبوكليس، ابن مينيبوس، التي كانت تراقب السفن القادمة من صقلية. وبعد أن فقدت إحدى السفن، هربت بقية السفن من الأثينيين وأبحرت إلى كورنثوس.

وفي هذه الأثناء استولى خالكيديوس وألكيبياديس على كل ما صادفوه في رحلتهم، لمنع أنباء قدومهم، وتركوهم يذهبون إلى كوريكوس، وهي أول نقطة وصلوا إليها في القارة. وهناك زارهم بعض مراسليهم من خيوس، وحثوهم على الإبحار إلى المدينة دون الإعلان عن قدومهم، ووصلوا فجأة أمام خيوس. واندهش الكثيرون وارتبكوا، بينما رتب القليلون أن يكون المجلس منعقدًا في ذلك الوقت؛ وبعد خطابات من خالكيديوس وألكيبياديس ذكرا فيها أن العديد من السفن تبحر، ولكن لم يذكرا شيئًا عن حصار الأسطول في سبيرايوم، ثار الخيوسيون على الأثينيين، ثم الإريتريين بعد ذلك مباشرة. وبعد ذلك أبحرت ثلاث سفن إلى كلازوميناي، وأثارت ثورة تلك المدينة أيضًا؛ وعبر الكلازوميون على الفور إلى البر الرئيسي وبدأوا في تحصين بوليشنا، من أجل الانسحاب إلى هناك، في حالة الضرورة، من الجزيرة التي كانوا يقيمون فيها.

وبينما كانت كل الأماكن الثائرة منهمكة في تحصين نفسها والاستعداد للحرب، وصلت أنباء خيوس سريعًا إلى أثينا. ورأى الأثينيون أن الخطر الذي يهددهم الآن كبير وواضح، وأن بقية حلفائهم لن يوافقوا على الصمت بعد انفصال أكبر عدد منهم. وفي ذهول اللحظة، رفعوا على الفور العقوبة المفروضة على كل من يقترح أو يطرح للتصويت اقتراحًا باستخدام ألف تالنت التي تجنبوا المساس بها طوال الحرب،

وقرروا استخدامهم لتجهيز عدد كبير من السفن، وإرسال السفن الثماني التي تشكل جزءًا من أسطول الحصار في سبيرايوم، والتي غادرت الحصار وعادت بعد ملاحقة السفن التي كان يقودها خالكيديوس وفشلها في اللحاق بها. وتبعهم بعد ذلك بقليل اثنا عشر سفينة أخرى بقيادة ثراسيكلس، تم انتشالها أيضًا من الحصار. كما استدعوا السفن السبع من خيوس، التي كانت تشكل جزءًا من سربهم الذي حاصر الأسطول في سبيرايوم، وأطلقوا سراح العبيد على متنها، ووضعوا الأحرار في الحبس، وأرسلوا بسرعة عشر سفن جديدة لحصار البيلوبونيزيين بدلاً من كل السفن التي غادرت، وقرروا إرسال ثلاثين سفينة أخرى. لم يكن هناك نقص في الحماسة، ولم يدخروا أي جهد لإرسال الإغاثة إلى خيوس.

وفي هذه الأثناء وصل سترومبيشيدس بسفنه الثماني إلى ساموس، فاستعان بسفينة سامية وأبحر إلى تيوس وطلب منها أن تلتزم الهدوء. كما أبحر خالكيدوس بثلاث وعشرين سفينة إلى تيوس من خيوس، وكانت القوات البرية للكلازومينيين والإريتريين تتحرك على طول الشاطئ لدعمه. وعندما علم سترومبيشيدس بهذا في الوقت المناسب، انطلق من تيوس قبل وصولهم، وبينما كان في البحر، رأى عدد السفن القادمة من خيوس، ففر نحو ساموس، حيث طارده العدو. في البداية، لم يقبل التيانيون القوات البرية، ولكن بعد فرار الأثينيين أخذوهم إلى المدينة. وهناك انتظروا بعض الوقت حتى عاد خالكيدوس من المطاردة، ومع مرور الوقت دون ظهوره، بدأوا هم أنفسهم في هدم السور الذي بناه الأثينيون على الجانب البري من مدينة التيانيين، بمساعدة عدد قليل من البرابرة الذين صعدوا تحت قيادة ستاج، ملازم تيسافيرنيس.

وفي هذه الأثناء، بعد أن طارد خالكيذا وألكيبياديس سترومبيشيدس إلى ساموس، سلّحا طواقم السفن القادمة من بيلوبونيز وتركاها في خيوس، وشغلا أماكنهم ببدلاء من خيوس وعينوا عشرين آخرين، وأبحرا لتنفيذ ثورة ميليتوس. وكانت رغبة

ألكيبياديس، الذي كان له أصدقاء من بين زعماء ميليتوس، هي الاستيلاء على المدينة قبل وصول السفن القادمة من بيلوبونيز، وبالتالي، من خلال التسبب في ثورة أكبر عدد ممكن من المدن بمساعدة القوة الخيانية وخالكيذاديس، لضمان الشرف له ولخالكيذاديس، وكما وعد، لإنديوس الذي أرسلهم. ولم يتم اكتشاف أمرهم إلا بعد اكتمال رحلتهم تقريبًا، فقد وصلوا قبل سترومبيشيدس وثراسيكليس بقليل (الذين وصلوا للتو مع اثنتي عشرة سفينة من أثينا، وانضموا إلى سترومبيشيدس في مطاردتهم)، مما تسبب في ثورة ميليتوس. كان الأثينيون يبحرون على مقربة من ميليتوس بتسع عشرة سفينة، ووجدوا ميليتوس تقترب منهم، فاتخذوا موقعهم في جزيرة لادي المجاورة. وقد تم إبرام التحالف الأول بين الملك واللاكيديمونيين فور ثورة ميليتوس، على يد تيسافيرنيس وخالسيدوس، وكان على النحو التالي:

أبرم اللاكيديمونيون وحلفاؤهم معاهدة مع الملك وتيسافيرنيس على الشروط التالية:

1. كل البلاد أو المدن التي يملكها الملك أو كان يملكها أسلاف الملك تكون للملك. وكل ما جاء إلى الأثينيين من هذه المدن، سواء كان نقوداً أو أي شيء آخر، فإن الملك واللاكيديمونيين وحلفائهم سيعملون معاً على منع الأثينيين من تلقي أي نقود أو أي شيء آخر.

2. يجب أن تشن الحرب مع الأثينيين بشكل مشترك من قبل الملك واللاسيديونيين وحلفائهم: ولن يكون من المشروع عقد السلام مع الأثينيين ما لم يتفق الطرفان، الملك إلى جانبه واللاسيديونيين وحلفاؤهم إلى جانبهم.

3. إذا قام أي تمرد ضد الملك، فسوف يكونون أعداء اللاكيدايمونيين وحلفائهم. وإذا قام أي تمرد من اللاكيدايمونيين وحلفائهم، فسوف يكونون أعداء الملك بنفس الطريقة.

"وبعد ذلك، أرسل أهل كيا على الفور عشرة سفن أخرى وأبحروا إلى أنايا، من أجل الحصول على معلومات عن أهل ميليتوس، وكذلك لإثارة الثورة في المدن. ولكن رسالة وصلت إليهم من خالكيديوس تأمرهم بالعودة مرة أخرى، وأن أمورجيس على وشك الوصول بجيش بري، فأبحروا إلى معبد زيوس، وهناك شاهدوا عشر سفن أخرى تبحر، والتي كان ديوميدون قد بدأ بها من أثينا بعد ثراسيكليس، ففروا، سفينة واحدة إلى أفسس، والبقية إلى تيوس. أخذ الأثينيون أربع سفن فارغة، ووجد الرجال الوقت للهروب إلى الشاطئ؛ ولجأ الباقون إلى مدينة تيوس؛ وبعد ذلك أبحر الأثينيون إلى ساموس، بينما أبحر أهل كيا بسفنهم المتبقية، برفقة القوات البرية، وتسببوا في ثورة ليبيدوس، وبعدها إيراي. وبعد ذلك عادا إلى الوطن، الأسطول والجيش.

وفي نفس الوقت تقريبًا، انطلقت السفن العشرون التابعة للبلوبونيزيين في سبيرايوم، والتي تركناها مطاردة إلى البر ومحاصرة من قبل عدد مماثل من الأثينيين، فجأة وهزمت السرب المحاصر، واستولت على أربع من سفنهم، وأبحرت عائدة إلى كنخريا، واستعدت مرة أخرى للرحلة إلى خيوس وإيونية. وهناك انضم إليهم أستيوخوس كأميرال أعلى من لاكيدايمون، الذي تولى منذ ذلك الحين القيادة العليا في البحر. وبينما كانت القوات البرية تنسحب الآن من تيوس، عاد تيسافرنس إلى هناك شخصيًا مع جيش وأكمل هدم كل ما تبقى من السور، ثم غادر. وبعد فترة وجيزة من رحيله، وصل ديوميدون بعشر سفن أثينية، وبعد أن عقد اتفاقية اعترف بها التيانيون به كما قبلوا العدو، أبحر على طول الساحل إلى إيراي، وبعد أن فشل في محاولة الاستيلاء على المدينة، أبحر عائدًا مرة أخرى.

وفي ذلك الوقت تقريبًا حدثت ثورة عامة الناس في ساموس ضد الطبقات العليا، بالتعاون مع بعض الأثينيين الذين كانوا هناك في ثلاث سفن. فقتل عامة الناس في ساموس نحو مائتي شخص من الطبقات العليا، ونفوا أربعمائة آخرين، واستولوا على أراضيهم ومنازلهم؛ وبعد ذلك أعلن الأثينيون استقلالهم، بعد أن تأكدوا من

إخلاصهم، وحكم عامة الناس المدينة منذ ذلك الحين، واستثنوا أصحاب الأراضي من أي نصيب في الشؤون، ومنعوا أيًا من عامة الناس من تزويج ابنته لهم أو اتخاذ زوجة منهم في المستقبل.

وبعد ذلك، وخلال نفس الصيف، قام الخيانيون، الذين ظل حماسهم نشطًا كما كان دائمًا، والذين وجدوا أنفسهم حتى بدون البيلوبونيزيين بقوة كافية لإحداث ثورة المدن وكانوا يرغبون أيضًا في تعريض أكبر عدد ممكن من الرفاق للخطر، برحلة استكشافية بثلاث عشرة سفينة إلى ليسبوس؛ وكانت التعليمات من لاكيدايمون هي الذهاب إلى تلك الجزيرة بعد ذلك، ومن هناك إلى الدردنيل. وفي الوقت نفسه، تحركت القوات البرية للبيلوبونيزيين الذين كانوا مع الخيانيين وحلفائهم في المكان، على طول الشاطئ إلى كلازومينا وكوما، تحت قيادة إيوالاس، وهو أسبرطي؛ بينما أبحر الأسطول بقيادة دينياداس، أحد البيرويشيين، أولاً إلى ميثيمنا وحثها على الثورة، وترك أربع سفن هناك، ونجح مع الباقي في إثارة ثورة ميتيليني.

وفي هذه الأثناء أبحر أستيوخوس، أميرال لاكيدايمون، من كنخريا بأربع سفن، كما كان ينوي، ووصل إلى خيوس. وفي اليوم الثالث بعد وصوله، أبحرت السفن الأثينية، التي بلغ عددها خمساً وعشرين سفينة، إلى ليسبوس بقيادة ديوميدون وليون، اللذين وصلا مؤخراً بتعزيزات من عشر سفن من أثينا. وفي وقت متأخر من نفس اليوم أبحر أستيوخوس، ومعه سفينة من خيوس أبحر إلى ليسبوس لتقديم المساعدة التي يستطيع تقديمها. ووصل إلى بيرها، ومن هناك في اليوم التالي إلى إريسوس، علم أن الأثينيين قد استولوا على ميتيليني، دون أي ضربة تقريباً، وأبحروا ووصلوا إلى الميناء بشكل غير متوقع، وهزموا سفن خيوس، وتمكنوا من إنزال القوات المعارضة لهم وهزيمتها، وأصبحوا سادة المدينة. ولما علم بذلك الإريسيون والسفن الخيانية التي تركت مع يوبولوس في ميثيمنا، والتي هربت عند الاستيلاء على ميتيليني، والتي انضم إليها ثلاث سفن، واحدة منها استولى عليها الأثينيون، لم

يتابع أستيوخوس طريقه إلى ميتيليني، بل جمع إريسوس وسلحه، وأرسل المشاة الثقيلة من سفنه الخاصة براً بقيادة إيتونيكوس إلى أنتيسا وميثيمنا، ثم سار هو إلى هناك على طول الشاطئ بالسفن التي كانت معه ومع السفن الخيانية الثلاث، على أمل أن يشجع الميثيمينيين عند رؤيتهم لهم على المثابرة في ثورتهم. ولكن بما أن كل شيء كان ضده في ليسبوس، فقد جمع قوته وأبحر عائداً إلى خيوس؛ كما تم نقل القوات البرية على متنها، والتي كان من المقرر أن تذهب إلى الدردنيل، إلى مدنها المختلفة. وبعد ذلك انضمت ست سفن من سفن البيلوبونيز المتحالفة في كنخريا إلى القوات الموجودة في خيوس. "وبعد أن أعاد الأثينيون الأمور إلى حالتها القديمة في ليسبوس، أبحروا من هناك واستولوا على بوليخنا، المكان الذي كان الكلازومينيون يحصنونه في القارة، وأعادوا السكان إلى مدينتهم على الجزيرة، باستثناء مؤلفي الثورة، الذين انسحبوا إلى دافنوس؛ وهكذا أصبحت كلازومينا مرة أخرى أثينية.

وفي نفس الصيف، نزل الأثينيون في السفن العشرين في لادي، التي كانت تحاصر ميليتوس، إلى بانورموس في إقليم ميليتوس، وقتلوا خالكيديوس القائد اللاكديموني، الذي جاء لمواجهتهم برفقة بضعة رجال، وفي اليوم الثالث أبحروا إلى هناك وأقاموا غنائم، ولكن نظرًا لأنهم لم يكونوا سادة البلاد، فقد سلبهم الميليسيون. وفي الوقت نفسه، واصل ليون وديوميدون، مع الأسطول الأثيني القادم من ليسبوس، والقادم من أونوسا، والجزر قبالة خيوس، ومن حصونهم في سيدوسا وبتيليوم في إريثريد، ومن ليسبوس، الحرب ضد الخيانيين من السفن، وكان على متنها مشاة ثقيلون من رولز تم حشدهم للعمل كقوات بحرية. وبعد أن نزلوا في كارداميلي وبوليسوس هزموا الخيانيين الذين هاجموهم بخسائر فادحة، ثم دمروا الأماكن المجاورة، ثم هزموا الخيانيين مرة أخرى في معركة أخرى في فاني، وفي معركة ثالثة في لوكونيوم. وبعد ذلك توقف الخيانيون عن مواجهتهم في الميدان، بينما دمر الأثينيون البلاد، التي كانت غنية بالمحاصيل وظلت سليمة منذ الحروب الميدية. والواقع أن الخيانيين

هم الشعب الوحيد الذي عرفته بعد اللاكيديمونيين الذين عرفوا كيف يتحلون بالحكمة في الرخاء، والذين نظموا مدينتهم كلما ازدادت أمناً كلما ازدادت عظمة. ولم يغامروا بهذه الثورة، التي قد يبدو أنهم أخطأوا في جانب التهور، إلا بعد أن وجدوا العديد من الحلفاء الشجعان لمشاركتهم الخطر، وحتى أدركوا أن الأثينيين أنفسهم بعد الكارثة الصقلية لم يعودوا ينكرون الحالة اليائسة التي وصلت إليها شئونهم. "وإذا ما طُردوا من المدينة بسبب إحدى المفاجآت التي تقلب حسابات البشر، فإنهم يكتشفون خطأهم بصحبة كثيرين غيرهم ممن آمنوا مثلهم بالانهيار السريع للقوة الأثينية. وبينما كانوا محاصرين من البحر ومُنهبين من البر، تعهد بعض المواطنين بإحضار المدينة إلى الأثينيين. ولما علمت السلطات بهذا لم تتخذ أي إجراء، بل أحضرت أستيوخوس، الأدميرال، من إريثراي، مع أربع سفن كان يحملها معه، وفكرت في كيفية وضع حد للمؤامرة بهدوء، إما بأخذ الرهائن أو بأي وسيلة أخرى.

وبينما كان أهل خيوس منشغلين بهذه المعركة، أبحرت نحو نهاية الصيف من أثينا ألف من المشاة الثقيلة الأثينيين وخمسمائة من الأرغوسيين (خمسمائة منهم من القوات الخفيفة المزودة بالدروع من قبل الأثينيين)، وألف من الحلفاء، في ثماني وأربعين سفينة، بعضها كانت سفن نقل، تحت قيادة فرينيخوس وأونوماكليس وسكيرونيدس، ودخلوا ساموس وعبروا وعسكروا في ميليتوس. وعند هذا خرج الميليسيون إلى عدد ثمانمائة من المشاة الثقيلة، مع البيلوبونيزيين الذين جاءوا مع خالكيديوس، وبعض المرتزقة الأجانب من تيسافيرنيس، وتيسافيرنيس نفسه وفرسانه، واشتبكوا مع الأثينيين وحلفائهم. وبينما اندفع الأرجيون إلى الأمام على جناحهم الخاص مع ازدراء غير مبالٍ للرجال المتقدمين ضد الأيونيين الذين لم يتمكنوا أبدًا من الصمود في وجه هجومهم، وهزمهم الميليزيون بخسارة أقل من ثلاثمائة رجل، هزم الأثينيون البيلوبونيزيين أولاً، ودفعوا أمامهم البرابرة وكتلة الجيش، دون الاشتباك مع الميليزيين، الذين تراجعوا بعد هزيمة الأرجيفين إلى المدينة عندما رأوا رفاقهم يهزمون، وتوجوا انتصارهم بغرس أسلحتهم تحت أسوار

ميليتوس. وهكذا، في هذه المعركة، تغلب الأيونيون على الجانبين على الدوريين، حيث هزم الأثينيون البيلوبونيزيين المعارضين لهم، وهزم الميليزيون الأرجيفين. وبعد إقامة الغنائم، استعد الأثينيون لبناء سور حول المكان، الذي كان قائمًا على برزخ؛ معتقدين أنه إذا تمكنوا من الاستيلاء على ميليتوس، فسوف تتقدم المدن الأخرى إليهم بسهولة أيضًا.

وفي غضون ذلك، وصلت إليهم أنباء عند الغسق تفيد بأن السفن الخمس والخمسين القادمة من بيلوبونيز وصقلية قد تصل إليهم على الفور. ومن بين هذه السفن، أرسل الصقليون، الذين حثهم هيرموكراتيس السيراقوسي في المقام الأول على المشاركة في توجيه الضربة القاضية لقوة أثينا، اثنتين وعشرين سفينة - عشرين من سيراكوزا واثنتين من سيلينوس؛ وكانت السفن التي تركناها تستعد في بيلوبونيز جاهزة الآن، وقد عُهد بكلا السربين إلى ثيريمينس، وهو لاكيديموني، ليأخذهما إلى أستيوخوس، الأميرال. والآن، وضعوا أولاً في ليروس الجزيرة قبالة ميليتوس، ومن هناك، اكتشفوا أن الأثينيين كانوا أمام المدينة، فأبحروا إلى خليج ياسيك، من أجل معرفة كيف كانت الأمور في ميليتوس. وفي هذه الأثناء وصل ألكيبياديس على ظهر جواده إلى تيخوسا في أراضي ميليتوس، عند نقطة الخليج التي نزلوا فيها ليلاً، وأخبرهم عن المعركة التي خاضها بنفسه إلى جانب الميليسيين وتيسافيرنيس، ونصحهم، إذا لم يرغبوا في التضحية بأيونيا وقضيتهم، بالفرار لنجدة ميليتوس وإعاقة استثمارها.

وعلى هذا فقد قرروا أن يخففوا عنه في الصباح التالي. وفي الوقت نفسه، تلقى فرينيخوس القائد الأثيني معلومات دقيقة عن الأسطول من ليروس، وعندما أعرب زملاؤه عن رغبتهم في الاحتفاظ بالبحر والقتال، رفض بشكل قاطع أن يبقى هو أو أن يسمح لهم أو لأي شخص آخر بذلك إذا كان بوسعه مساعدتهم. وحيثما أمكنهم بعد ذلك أن يقاتلوا، بعد إعداد كامل وهادئ، بمعرفة دقيقة بعدد أسطول العدو

والقوة التي يمكنهم معارضتها له، فإنه لن يسمح أبدًا لتوبيخ العار أن يدفعه إلى مخاطرة غير معقولة. لم يكن من العار أن يتراجع أسطول أثيني عندما يناسبه ذلك: وبعبارة أخرى، سيكون من العار أن يُهزم، وأن يُعرض المدينة ليس فقط للعار، بل ولأشد المخاطر خطورة. "وبعد المصائب التي حلت به في الآونة الأخيرة، لم يكن من الممكن تبرير قيامه بالهجوم طوعاً حتى مع أقوى قوة، إلا في حالة الضرورة القصوى: ناهيك عن أنه لم يكن من الممكن أن يندفع دون إكراه على المخاطرة بسعيه الخاص. لقد أمرهم بمعالجة جرحاهم بأسرع ما يمكن والقوات والمؤن التي أحضروها معهم، وترك ما أخذوه من بلاد العدو، لتخفيف السفن، والإبحار إلى ساموس، وهناك تركيز جميع سفنهم للهجوم كلما سنحت الفرصة. وكما كان يتحدث، كان يفعل؛ وهكذا، ليس الآن أكثر مما بعد ذلك، ولا في هذا وحده ولكن في كل ما كان عليه أن يفعله، أظهر فرينيخ نفسه رجلاً عاقلاً. وبهذه الطريقة في ذلك المساء نفسه، انفصل الأثينيون عن ميليتوس، تاركين انتصارهم غير مكتمل، وأبحر الأرجيون، الذين شعروا بالخزي من الكارثة التي حلت بهم، إلى ديارهم من ساموس على الفور.

"وبعد أن حل الصباح، انطلق البيلوبونيزيون من تيخوسا ودخلوا ميليتوس بعد رحيل الأثينيين؛ وبقوا يومًا، وفي اليوم التالي أخذوا معهم السفن الخيانية التي طاردها خالكيديوس إلى الميناء، وقرروا الإبحار عائدين إلى تيخوسا. وعند وصولهم، جاءهم تيسافرنيس بقواته البرية وأقنعهم بالإبحار إلى ياسوس، التي كانت تحت سيطرة عدوه أمورجيس. وعلى هذا فقد هاجموا ياسوس فجأة واستولوا عليها، ولم يتصور سكانها قط أن السفن يمكن أن تكون غير أثينية. وكان السيراقوسيون أكثر تميزًا في هذا العمل. فقد أُلقي القبض على أمورجيس، وهو ابن غير شرعي لبسوثنيس ومتمرد على الملك، حيًا وسُلِّم إلى تيسافرنيس، ليحمله إلى الملك، إذا اختار ذلك، وفقًا لأوامره: ونهب الجيش ياسوس، ووجد هناك غنيمة كبيرة جدًا، وكان المكان غنيًا منذ العصور القديمة. "استقبل البيلوبونيزيون المرتزقة الذين كانوا يخدمون مع

أمورجيس وانضموا إلى جيشهم دون أن يلحقوا بهم أي ضرر، لأن معظمهم جاءوا من البيلوبونيز، وسلموا المدينة إلى تيسافيرنيس مع جميع الأسرى، مقيدين أو أحرارًا، مقابل السعر المتفق عليه وهو ستاتر دوريك واحد لكل رأس؛ وبعد ذلك عادوا إلى ميليتوس. أرسلوا بيداريتوس، ابن ليون، الذي أرسله اللاكيديمونيون لتولي القيادة في خيوس، برًا إلى إريثراي مع المرتزقة الذين أخذوهم من أمورجيس؛ وعينوا فيليب ليظل حاكمًا لميليتوس.

لقد انتهى الصيف الآن. وفي الشتاء التالي، وضع تيسافرنيس ياسوس في حالة دفاع، ثم سلم نفسه إلى ميليتوس، ووزع أجر شهر على جميع السفن كما وعد في لاكيدايمون، بمعدل دراخما أتيكية في اليوم لكل رجل. ومع ذلك، فقد قرر في المستقبل ألا يعطي أكثر من ثلاثة أوبولات، حتى يتشاور مع الملك؛ فإذا أمر الملك بذلك، فسوف يعطي الدراخما كاملة، كما قال. ومع ذلك، بناءً على احتجاج القائد السيراقوسي هيرموكراتيس (لأن ثيريمينس لم يكن أميرالاً، بل كان يرافقهم فقط لتسليم السفن إلى أستيوخوس، لم يبد أي مشكلة بشأن الأجر)، تم الاتفاق على أن يتم منح مبلغ أجر خمس سفن بالإضافة إلى الأوبولات الثلاثة في اليوم لكل رجل؛ دفع تيسافرنيس ثلاثين تالنتًا في الشهر مقابل خمسة وخمسين سفينة، ودفع للبقية، مقابل كل عدد من السفن يزيد عن هذا العدد، بنفس المعدل.

وفي نفس الشتاء، انضمت إلى الأثينيين في ساموس خمس وثلاثون سفينة أخرى من بلادهم بقيادة تشارمينوس وسترومبيشيدس ويوكتيمون، واستدعوا سربهم في خيوس وجميع السفن الأخرى، عازمين على حصار ميليتوس بأسطولهم البحري، وإرسال أسطول وجيش ضد خيوس؛ وسحبوا قرعة للخدمات المعنية. ونفذوا هذه النية؛ فأبحر سترومبيشيدس وأوناماكيلس ويوكتيمون ضد خيوس، التي سقطت في نصيبهم، مع ثلاثين سفينة وجزء من ألف من المشاة الثقيلة، الذين كانوا قد ذهبوا

إلى ميليتوس، في عمليات النقل؛ بينما ظل الباقون سادة البحر بأربع وسبعين سفينة في ساموس، وتقدموا نحو ميليتوس.

وفي هذه الأثناء توقف أستيوخوس، الذي تركناه في خيوس لجمع الرهائن المطلوبين نتيجة للمؤامرة، عندما علم بوصول الأسطول مع ثيريمينس، وأن شئون الحلف أصبحت في حالة أكثر ازدهارًا، وأبحر في البحر بعشر سفن بيلوبونيزية ومثلها من سفن خيا، بعد هجوم فاشل على بتليون، وواصل طريقه إلى كلازوميناي، وأمر المجموعة الأثينية بالانتقال إلى الداخل إلى دافنوس، والانضمام إلى البيلوبونيزيين، وهو الأمر الذي انضم إليه أيضًا تاموس نائب الملك في أيونيا. ولما تجاهل أستيوخوس هذا الأمر، هاجم المدينة، التي كانت غير محصنة، ولما فشل في الاستيلاء عليها، حملته عاصفة قوية إلى فوكايا وكوما، بينما رست بقية السفن في الجزر المجاورة لكلازوميناي - ماراثوسا، وبيليه، ودريموسا. هنا احتجزتهم الرياح ثمانية أيام، فنهبوا وأكلوا كل ممتلكات الكلازوميينيين المودعة هناك، ووضعوا الباقي على متن السفينة وأبحروا إلى فوكايا وكوما للانضمام إلى أستيوخوس.

وبينما كان هناك، وصلت رسل من الزنوج الذين أرادوا الثورة مرة أخرى. ونجحوا مع أستيوخوس؛ ولكن أهل كورنثوس والحلفاء الآخرين كانوا يعارضون ذلك بسبب فشلهم السابق، فرفع المرساة وأبحر إلى خيوس، حيث وصلوا في النهاية من أماكن مختلفة، بعد أن تشتت الأسطول بسبب عاصفة. وبعد ذلك وصل بيداريتوس، الذي تركناه يسير على طول الساحل من ميليتوس، إلى إريثراي، ومن ثم عبر بجيشه إلى خيوس، حيث وجد أيضًا حوالي خمسمائة جندي تركهم هناك خالكيديوس من السفن الخمس بأسلحتهم. وفي الوقت نفسه، عرض بعض الزنوج الثورة، فألح أستيوخوس على بيداريتوس والخيوسيين أن يذهبوا بسفنهم وينفذوا ثورة لسبوس، وبالتالي يزيدوا من عدد حلفائهم، أو إذا لم ينجحوا، في كل الأحوال يلحقوا الأذى

بالأثينيين. لكن أهل كيانس لم يستمعوا إلى هذا الأمر، ورفض بيداريتوس رفضًا قاطعًا أن يسلمه أوعية كيانس.

"وبعد ذلك استولى أستيوخوس على خمس سفن كورنثية وواحدة ميجارية، وأخرى من هيرميون، والسفن التي جاءت معه من لاكونيا، وأبحر إلى ميليتوس ليتولى قيادته كأميرال؛ بعد أن أخبر أهل كيا بالعديد من التهديدات أنه لن يأتي لمساعدتهم بالتأكيد إذا احتاجوا إلى ذلك. وفي كوريكوس في إريثراييد، أحضره إلى هناك لقضاء الليل؛ وكانت الأسلحة الأثينية التي أبحرت من ساموس ضد كيوس لا يفصلها عنه سوى تلة، كانت على الجانب الآخر منها؛ لذلك لم يكن أي منهما يدرك الآخر. ولكن رسالة وصلت في الليل من بيداريتوس تقول إن بعض السجناء الإريتريين المحررين قد أتوا من ساموس لخيانة إريثراي، أعادها أستيوخوس على الفور إلى إريثراي، وبذلك نجا من الوقوع في قبضة الأثينيين. وهنا أبحر بيداريتوس للانضمام إليه؛ وبعد التحقيق في الخيانة المزعومة، وجدوا أن القصة كلها كانت ملفقة لضمان هروب الرجال من ساموس، فبرأوهم من التهمة وأبحروا بعيدًا، بيداريتوس إلى خيوس وأستيوخوس إلى ميليتوس كما كان ينوي.

وفي هذه الأثناء، حاصرت السفن الحربية الأثينية التي كانت تبحر حول كوريكوس ثلاث سفن حربية من خيوس قبالة أرجينوس، وطاردتها على الفور. ومع اقتراب عاصفة شديدة، لجأ الخيوسيون بصعوبة إلى الميناء؛ حيث تحطمت السفن الأثينية الثلاث التي كانت في المقدمة في المطاردة وقذفت إلى البحر بالقرب من مدينة خيوس، وقتل البحارة أو أسروا. ولجأ بقية الأسطول الأثيني إلى الميناء المسمى فينيكوس، تحت جبل ميماس، ومن هناك وصل إلى ليسبوس واستعد لأعمال التحصين.

وفي نفس الشتاء أبحر أبقراط اللاكيدي من البيلوبونيز بعشر سفن ثورية تحت قيادة دوريوس ابن دياجوراس واثنين من زملائه، أحدهما لاكوني والآخر سيراكيوسي،

ووصلوا إلى كنيدوس، التي كانت قد ثارت بالفعل بتحريض من تيسافيرنس. وعندما علموا بوصولهم إلى ميليتوس، صدرت إليهم الأوامر بترك نصف سربهم لحراسة كنيدوس، والإبحار مع البقية حول تريوبيوم والاستيلاء على جميع السفن التجارية القادمة من مصر. تريوبيوم هي رأس بحري لكنيدوس ومقدسة لأبولون. وعلم الأثينيون بذلك، فأبحروا من ساموس واستولوا على السفن الست التي كانت تحرس تريوبيوم، وهرب طاقمها. وبعد ذلك أبحر الأثينيون إلى كنيدوس وهاجموا المدينة، التي كانت غير محصنة، وكادوا يستولون عليها؛ وفي اليوم التالي هاجموها مرة أخرى، ولكن بتأثير أقل، حيث عزز السكان دفاعاتهم أثناء الليل، وتعززت قوتهم بالطاقم الذي فر من السفن في تريوبيوم. انسحب الأثينيون الآن، وبعد نهب أراضي كنيديين أبحروا عائدين إلى ساموس.

وفي نفس الوقت تقريبًا وصل أستيوخوس إلى الأسطول في ميليتوس. وكان معسكر البيلوبونيز لا يزال مزودًا بالعتاد الكافي، وكان الجنود ما زالوا يحملون الغنائم الكبيرة التي غنمها جيش إياسوس. كما أظهر الميليون حماسة كبيرة للحرب. ومع ذلك، اعتبر البيلوبونيزيون أن الاتفاقية الأولى التي عقدت مع تيسافيرنيس مع خالكيديوس كانت معيبة وأكثر فائدة له من أجلهم، وبالتالي بينما كان ثيريمينس لا يزال هناك، عقدوا اتفاقية أخرى، وكانت على النحو التالي:

اتفاقية اللاكيدايمونيين والحلفاء مع الملك داريوس وأبناء الملك، ومع تيسافرنيس من أجل معاهدة وصداقة، على النحو التالي:

1. لا يجوز للساكديمونيين ولا حلفاء الساديمونيين أن يخوضوا حربًا ضد أي بلد أو مدينة تابعة للملك داريوس أو كانت تابعة لأبيه أو لأسلافه، ولا يجوز للساكديمونيين ولا حلفاء الساديمونيين أن يفرضوا جزية على مثل هذه المدن. ولا يجوز للملك داريوس ولا لأي من رعايا الملك أن يخوضوا حربًا ضد الساديمونيين أو حلفائهم أو أن يلحقوا بهم ضررًا بأي شكل من الأشكال.

2. إذا احتاج اللاكيديمونيون أو حلفاؤهم إلى أي مساعدة من الملك، أو احتاج الملك إلى اللاكيديمونيين أو حلفائهم، فإنهما سيكونان على حق في القيام بكل ما يتفقان عليه.

3. يجب على كل منهما أن يخوضا الحرب معًا ضد الأثينيين وحلفائهم؛ وإذا عقدا السلام، فيجب على كل منهما أن يفعل ذلك معًا.

4. يتحمل الملك نفقات جميع القوات التي يرسلها الملك إلى بلاد الملك.

5. إذا هاجمت أي من الدول المشاركة في هذه الاتفاقية مع الملك بلد الملك، فإن بقية الدول يجب أن تمنعها وتساعد الملك بكل ما في وسعها. وإذا هاجم أي شخص في بلد الملك أو في البلدان الخاضعة لحكم الملك بلد اللاكديمونيين أو حلفائهم، فإن الملك يجب أن يمنعهم ويساعدهم بكل ما في وسعه.

وبعد هذه الاتفاقية سلم ثيريمينس الأسطول إلى أستيوخوس، وأبحر في قارب صغير، وفقد. وكانت الأسلحة الأثينية قد عبرت الآن من ليسبوس إلى خيوس، وباعتبارها مسيطرة على البحر والبر، بدأت في تحصين دلفينيوم، وهو مكان قوي بطبيعة الحال على الجانب البري، مزود بأكثر من ميناء، وهو أيضًا ليس بعيدًا عن مدينة خيوس. وفي غضون ذلك، ظل الخيانيون غير نشطين. وبعد أن هُزموا بالفعل في العديد من المعارك، أصبحوا الآن أيضًا في خلاف فيما بينهم؛ حيث أعدم بيداريتوس حزب تايديوس، ابن أيون، بتهمة الأتيكية، ثم فرض حكم أوليغاركي بالقوة على بقية المدينة، مما جعلهم يشككون في بعضهم البعض؛ وبالتالي فقد اعتبروا أنفسهم ولا المرتزقة تحت قيادة بيداريتوس نداً للعدو. ولكنهم أرسلوا إلى ميليتوس ليتوسلوا إلى أستيوخوس لمساعدتهم، فرفض، فاتهمه بيداريتوس في لاكيدايمون بالخيانة. وكانت هذه هي حال الشئون الأثينية في خيوس؛ بينما ظلت أساطيلهم في ساموس

تبحر ضد العدو في ميليتوس، حتى وجدوا أنه لن يقبل تحديهم، ثم تراجع مرة أخرى إلى ساموس وظل هادئًا.

وفي نفس الشتاء انطلقت السفن السبع والعشرون التي جهزها اللاكيديمونيون لفارنابازوس عن طريق كاليجيتوس الميجاري وتيماجوراس السيزيسي من البيلوبونيز وأبحرت إلى أيونيا حوالي وقت الانقلاب الصيفي، تحت قيادة أنتيستينس، وهو أسبرطي. ومعهم أرسل اللاكيديمونيون أيضًا أحد عشر أسبرطيًا كمستشارين لأستيوخوس، وكان ليكاس، ابن أركسيلاوس، من بين هؤلاء. وعندما وصلوا إلى ميليتوس، كانت أوامرهم هي المساعدة في الإشراف بشكل عام على حسن سير الحرب؛ وإرسال السفن المذكورة أعلاه أو عدد أكبر أو أقل إلى مضيق الدردنيل إلى فارنابازوس، إذا رأوا ذلك مناسبًا، وتعيين كليرخوس، ابن رامفياس، الذي أبحر معهم، في القيادة؛ وعلاوة على ذلك، إذا رأوا ذلك مناسبًا، تعيين أنتيستينس أميرالًا، وطرد أستيوخوس، الذي تسببت رسائل بيداريتوس في النظر إليه بارتياب. وبعد أن أبحرت من ماليا عبر البحر المفتوح، وصلت الأسطول إلى ميلوس وهناك واجهوا عشر سفن أثينية، أخذوا ثلاثًا منها فارغة وأحرقوها. وبعد ذلك، خوفًا من أن السفن الأثينية الهاربة من ميلوس قد تخبر الأثينيين باقترابهم من ساموس، كما فعلت بالفعل، أبحروا إلى كريت، وبعد أن أطالوا رحلتهم على سبيل الاحتياط، نزلوا في كونوس في آسيا، حيث اعتبروا أنفسهم في أمان، أرسلوا رسالة إلى الأسطول في ميليتوس لإرسال قافلة على طول الساحل.

وفي الوقت نفسه، لم يثنِ تخلف أستيوخوس أهل خيوس وبيداريتوس عن عزمهم، بل استمروا في إرسال الرسل إليه ليأتي بكل الأسطول لمساعدتهم ضد محاصريهم، وألا يترك أعظم الدول المتحالفة في أيونيا لتحاصرها البحر وتغزوها البر وتنهبها. وكان عدد العبيد في خيوس أكبر من أي مدينة أخرى باستثناء لاكيدايمون، ولأنهم كانوا يعاقبون بشدة عندما يرتكبون مخالفات، فإن معظمهم، عندما رأوا الأسلحة الأثينية

راسخة في الجزيرة في موقع محصن، فرُّوا على الفور إلى العدو، وبسبب معرفتهم بالبلاد ارتكبوا أعظم الأذى. ولقد حث أهل الخيانيين أستيوخوس على أن من واجبه أن يساعدهم، ما دام هناك أمل وإمكانية لوقف تقدم العدو، وما دامت دلفينيوم لا تزال في طور التحصين ولم تكتمل، وقبل اكتمال بناء سور أعلى كان يُضاف لحماية معسكر وأسطول محاصريهم. ورأى أستيوخوس الآن أن الحلفاء أيضًا يرغبون في ذلك واستعدوا للمغادرة، على الرغم من نيته العكسية بسبب التهديد المشار إليه بالفعل.

وفي هذه الأثناء، وصلت أنباء من كونوس عن وصول السفن السبع والعشرين التي تحمل المفوضين اللاكيديمونيين؛ فأرجأ أستيوخوس كل شيء إلى واجب قيادة أسطول بهذا القدر من الأهمية، حتى يتمكن من السيطرة على البحر بشكل أفضل، ولضمان سلامة اللاكيديمونيين الذين أرسلوا كجواسيس لمراقبة سلوكه، تخلى على الفور عن الذهاب إلى خيوس وأبحر إلى كونوس. وبينما كان يسير على الساحل، نزل إلى كوس الميروبيد ونهب المدينة، التي كانت غير محصنة والتي دمرتها مؤخرًا زلزال، وهو أعظم زلزال في التاريخ، وبما أن السكان فروا إلى الجبال، فقد اجتاح البلاد ونهب كل ما تحتويه، مع ترك الرجال الأحرار. "وبعد وصوله من كوس في الليل إلى كنيدوس، اضطر بسبب تمثيلات الكنيديين إلى عدم إنزال البحارة، بل الإبحار حيث كان مستقيمًا ضد السفن الأثينية العشرين، والتي كانت مع تشارمينوس، أحد القادة في ساموس، يراقبون السفن السبع والعشرين ذاتها من بيلوبونيز والتي كان أستيوخوس نفسه يبحر للانضمام إليها؛ حيث سمع الأثينيون في ساموس من ميلوس عن اقترابهم، وكان تشارمينوس يراقب سيمي وتشالس ورودس وليسيا، حيث سمع الآن أنهم كانوا في كونوس.

وعلى هذا فقد أبحر أستيوخوس إلى سايم قبل أن يسمع عنه أحد، على أمل اللحاق بالعدو في مكان ما في البحر. ولكن المطر والطقس الضبابي واجهاه، فتسببا في تفكك

سفنه ووقوعها في حالة من الفوضى في الظلام. وفي الصباح انفصل أسطوله عن بقية السفن، وكان معظمها لا يزال يتجول حول الجزيرة، ولم يكن الجناح الأيسر إلا في مرمى شارمينوس والأثينيين، الذين اعتبروه السرب الذي كانوا يراقبونه من كونوس، فسارعوا إلى مهاجمته بجزء فقط من سفنهم العشرين، وهاجموه على الفور وأغرقوا ثلاث سفن وعطلوا سفن أخرى، وكان لهم التفوق في المعركة حتى ظهر الجزء الرئيسي من الأسطول بشكل غير متوقع، فحاصروهم من كل جانب. وعند هذا هربوا، وبعد أن خسروا ست سفن، هربوا مع بقية السفن إلى تيوتلوسا أو جزيرة بيت، ومن هناك إلى هاليكارناسوس. وبعد ذلك وصل البيلوبونيزيون إلى كنيدوس، وانضمت إليهم السفن السبع والعشرون القادمة من كونوس، وأبحروا جميعًا معًا وأقاموا غنائمهم في سايم، ثم عادوا إلى المرساة في كنيدوس.

"وحالما علم الأثينيون بقتال البحر، أبحروا بكل السفن في ساموس إلى سايم، وبدون أن يهاجمهم الأسطول في كنيدوس أو يتعرضوا لهجوم منه، أخذوا السفن إلى اليسار في سايم، ولمسوا لوريمي على البر الرئيسي وأبحروا عائدين إلى ساموس. وفي الوقت نفسه، خضعت السفن البيلوبونيسية، التي كانت كلها الآن في كنيدوس، للإصلاحات اللازمة؛ بينما تشاور المفوضون الأحد عشر من لاكيدايمون مع تيسافيرنيس، الذي جاء لمقابلتهم، حول النقاط التي لم ترضهم في المعاملات السابقة، وحول أفضل وأكثر الطرق فائدة للطرفين لإدارة الحرب في المستقبل. وكان أشد منتقدي الإجراءات الحالية هو ليخاس، الذي قال إن أيًا من المعاهدتين لا يمكن أن تصمد، لا معاهدة خالكيديوس، ولا معاهدة ثيريمينس؛ كان من الوحشي أن يدعي الملك في هذا التاريخ امتلاك كل البلاد التي كانت في السابق تحت حكمه هو أو أسلافه - وهو ادعاء أعاد ضمناً تحت نير جميع الجزر - ثيساليا، ولوكريس، وكل شيء حتى بيوتيا - وجعل اللاكديمونيين يمنحون اليونانيين بدلاً من الحرية سيدًا ميديًا. لذلك دعا الملك تيسافرنس إلى إبرام معاهدة أخرى وأفضل، حيث أنهم بالتأكيد لن يعترفوا

بتلك الموجودة ولم يريدوا أيًا من أجره بمثل هذه الشروط. أغضب هذا تيسافرنس كثيرًا لدرجة أنه غادر في غضب دون تسوية أي شيء.

الفصل الخامس والعشرون

السنوات العشرون والحادية والعشرون من الحرب - مؤامرات ألكيبياديس - سحب الإعانات الفارسية - الانقلاب الأوليغارشي في أثينا - وطنية الجيش في ساموس

قرر البيلوبونيزيون الإبحار إلى رودس، بناءً على دعوة من بعض كبار رجال المدينة، على أمل الحصول على جزيرة قوية بعدد بحارتها وقواتها البرية، كما اعتقدوا أنهم سيتمكنون من الحفاظ على أسطولهم من اتحادهم، دون الحاجة إلى طلب المال من تيسافيرنيس. وبناءً على ذلك، أبحروا على الفور في ذلك الشتاء نفسه من كنيدوس، وأرسوا أولاً بأربع وتسعين سفينة في كاميروس في بلاد رودس، مما أثار قلقًا كبيرًا بين عامة السكان، الذين لم يكونوا على علم بالمؤامرة، فهربوا على إثر ذلك، خاصة وأن المدينة كانت غير محصنة. ومع ذلك، جمعهم بعد ذلك اللاكيديمونيون مع سكان المدينتين الأخريين ليندوس وياليسوس؛ وأقنع الروديونيون بالثورة على الأثينيين وانتقلت الجزيرة إلى البيلوبونيزيين. وفي هذه الأثناء تلقى الأثينيون الإنذار فأبحروا بأسطولهم من ساموس لاستباقهم، ووصلوا إلى مرمى البصر من الجزيرة، ولكنهم تأخروا قليلاً فأبحروا في تلك اللحظة إلى تشالكي، ومن هناك إلى ساموس، وخاضوا بعد ذلك حربًا ضد رودس، انطلاقًا من تشالكي وكوس وساموس.

"وبعد وفاة خالكيديوس ومعركة ميليتوس، بدأ البيلوبونيزيون يشتبهون في ألكيبياديس؛ وتلقى أستيوخوس من لاكيدايمون أمرًا منهم بقتله، لأنه كان عدوًا شخصيًا لأجيس، وكان يعتقد أنه غير جدير بالثقة في جوانب أخرى. وفي خوفه انسحب ألكيبياديس أولاً إلى تيسافرنيس، وبدأ على الفور يفعل كل ما في وسعه معه لإلحاق الضرر بقضية البيلوبونيز. ومنذ ذلك الحين أصبح مستشاره في كل شيء، وخفض الأجر من دراخما أتيكية إلى ثلاثة أوبولات في اليوم، وحتى هذا لم يكن يُدفع بانتظام؛ وأمر تيسافرنيس بأن يخبر أهل البيلوبونيز بأن الأثينيين، الذين كانت خبرتهم البحرية أقدم من خبرتهم، لم يعطوا رجالهم سوى ثلاثة أوبولات، ليس بسبب الفقر

بقدر ما كان ذلك من أجل منع فساد بحارتهم بسبب ثرائهم المفرط، وإلحاق الضرر بصحتهم بإنفاق الأموال على صكوك الغفران المنهكة، كما كانوا يدفعون لبحارتهم بشكل غير منتظم من أجل الحصول على ضمان ضد هروبهم بسبب المتأخرات التي سيتركونها وراءهم. كما أمر تيسافرنيس برشوة قادة المدن، وبالتالي الحصول على تواطؤهم - وهي الوسيلة التي نجحت مع الجميع باستثناء أهل سيراقوسة، حيث كان هيرموقراطس وحده هو الذي عارضه نيابة عن الاتحاد بأكمله. وفي الوقت نفسه، أرسل ألكيبيادس المدن التي طالبت بالمال، وأخبرها باسم تيسافرنيس أن من الوقاحة بمكان أن يتوقع أهل خيوس، أغنى أهل اليونان، الذين لم يكتفوا بالدفاع عنهم من قبل قوة أجنبية، أن يخاطروا بأرواحهم وأموالهم من أجل حريتهم؛ في حين قال إن المدن الأخرى كانت مضطرة إلى دفع مبالغ كبيرة لأثينا قبل تمردها، ولا يحق لها أن ترفض المساهمة بنفس القدر أو حتى أكثر الآن من أجل نفسها. كما أشار إلى أن تيسافرنيس كان يخوض الحرب حاليًا على نفقته الخاصة، وكان لديه سبب وجيه للاقتصاد، ولكن بمجرد أن يتلقى التحويلات من الملك، فسوف يعطيهم رواتبهم كاملة ويفعل ما هو معقول للمدن.

ولقد نصح ألكيبيادس تيسافرنيس بعدم التعجل في إنهاء الحرب، أو السماح لنفسه بإقناعه بجلب الأسطول الفينيقي الذي كان يجهزه، أو توفير المال لمزيد من اليونانيين، وبالتالي وضع القوة البرية والبحرية في نفس الأيدي؛ بل ترك كل من الطرفين المتنازعين في حيازة عنصر واحد، وبالتالي تمكين الملك عندما يجد أحدهما مزعجًا من استدعاء الآخر. لأنه إذا كانت قيادة البحر والبر موحدة في يد واحدة، فلن يعرف إلى أين يتجه طلبًا للمساعدة في الإطاحة بالقوة المهيمنة؛ ما لم يختار أخيرًا أن يقف بنفسه، ويخوض الصراع بتكاليف ومخاطر كبيرة. كانت الخطة الأرخص هي ترك اليونانيين يستنزفون بعضهم البعض، بحصة صغيرة من التكلفة ودون المخاطرة بنفسه. علاوة على ذلك، سيجد الأثينيون أكثر الشركاء ملاءمة في الإمبراطورية لأنهم لم يهدفوا إلى الفتوحات على الشاطئ، وخاضوا الحرب على مبادئ

وممارسة أكثر فائدة للملك؛ كان ألكيبيادس مستعدًا للتعاون لغزو البحر لصالح أثينا، وللملك كل اليونانيين الذين يسكنون بلاده، والذين جاء البيلوبونيزيون، على العكس من ذلك، لتحريرهم. الآن لم يكن من المحتمل أن يحرر اللاكيديمونيون اليونانيين من الأثينيين اليونانيين، دون تحريرهم أيضًا من الميديين البرابرة، ما لم يطيح بهم في غضون ذلك. لذلك حثه ألكيبيادس على استنزافهم في البداية، وبعد إضعاف القوة الأثينية بقدر ما يستطيع، تطهير البلاد على الفور من البيلوبونيزيين. وافق تيسافيرنس بشكل عام على هذه السياسة، على الأقل بقدر ما يمكن تخمينه من سلوكه؛ "فإنه أعطى الآن ثقته لألكيبياديس تقديراً لنصيحته الجيدة، وأبقى البيلوبونيزيين يعانون من نقص الأموال، ولم يسمح لهم بالقتال في البحر، بل دمر قضيتهم بالتظاهر بأن الأسطول الفينيقي سيصل، وأنهم بذلك سيتمكنون من التعامل مع الاحتمالات لصالحهم، وبالتالي جعل أسطولهم يفقد كفاءته، التي كانت رائعة للغاية، والتي كانت عمومًا تكشف عن برودة في الحرب كانت واضحة للغاية بحيث لا يمكن الخلط بينها وبين التهدئة."

ولقد قدم ألكيبيادس هذه النصيحة إلى تيسافرنيس والملك الذي كان معه آنذاك، ليس فقط لأنه كان يعتقد أنها النصيحة الأفضل حقاً، بل لأنه كان يدرس الوسائل التي تمكنه من استعادة بلاده، وكان يعلم تمام العلم أنه إذا لم يدمرها فقد يأمل ذات يوم في إقناع الأثينيين باستدعائه، وكان يعتقد أن أفضل فرصة لإقناعهم تكمن في إعلامهم بأنه يتمتع بحظوة تيسافرنيس. وقد أثبت الحدث صحة ما قاله. فعندما اكتشف الأثينيون في ساموس أنه يتمتع بنفوذ لدى تيسافرنيس، وكان ذلك في الأساس من تلقاء أنفسهم (وإن كان ذلك جزئياً أيضاً من خلال إرسال ألكيبيادس نفسه رسالة إلى كبار رجالهم لإخبار أفضل الرجال في الجيش بأنه إذا كان هناك حكم أوليغاركي في مكان الديمقراطية الفاسدة التي نفاه، فإنه سيكون سعيداً بالعودة إلى بلاده وجعل تيسافرنيس صديقاً لهم)، تبنى القادة وكبار رجال السلاح على الفور فكرة تقويض الديمقراطية.

ولقد طرحت الفكرة في البداية في المخيم، ثم انتقلت إلى المدينة بعد ذلك. وعبر بعض الأشخاص من ساموس وأجروا مقابلة مع ألكيبياديس، الذي عرض على الفور أن يجعل تيسافيرنيس أولاً، ثم الملك، صديقًا لهم، إذا تخلوا عن الديمقراطية وجعلوا من الممكن للملك أن يثق بهم. والآن، أصبحت الطبقة العليا، التي عانت أيضًا من أشد المعاناة من الحرب، تعقد آمالًا كبيرة على وضع الحكومة في أيديها، والانتصار على العدو. وعند عودتهم إلى ساموس، شكل المبعوثون أنصارهم في نادٍ، وأخبروا جماهير السلاح علانية أن الملك سيكون صديقًا لهم، وسيزودهم بالمال، إذا أعيد ألكيبياديس وإلغاء الديمقراطية. ورغم أن هذه المؤامرات أزعجت الحشد في البداية، إلا أنهم ظلوا صامتين بسبب احتمال الحصول على راتب من الملك؛ وبعد أن أبلغ المتآمرون من الأوليجاركيين الشعب بهذا الأمر، أعادوا النظر في مقترحات ألكيبياديس فيما بينهم ومع أغلب رفاقهم. وعلى النقيض من بقية الرفاق الذين اعتبروها مفيدة وجديرة بالثقة، لم يوافق فرينيخوس، الذي كان لا يزال قائداً، على المقترحات بأي حال من الأحوال. فقد اعتقد بحق أن ألكيبياديس لا يهتم بالأوليجاركية أكثر من اهتمامه بالديمقراطية، وأنه لا يسعى إلا إلى تغيير مؤسسات بلاده من أجل أن يستدعي رفاقه؛ في حين أن هدفهم الوحيد بالنسبة لهم هو تجنب الفتنة الأهلية. ولم يكن من مصلحة الملك، عندما أصبح البيلوبونيزيون الآن متساوين معه في البحر، ويمتلكون بعض المدن الرئيسية في إمبراطوريته، أن يخرج عن طريقه ليقف إلى جانب الأثينيين الذين لا يثق بهم، في حين قد يكون من الممكن أن يصادق البيلوبونيزيين الذين لم يؤذوه قط. "أما بالنسبة للدول الحليفة التي عرضت عليها الآن حكم الأقلية الحاكمة، لأن الديمقراطية كانت ستسحق في أثينا، فقد كان يعلم جيدًا أن هذا لن يجعل المتمردين يأتون في وقت أقرب، أو يؤكد ولاء الموالين؛ لأن الحلفاء لن يفضلوا أبدًا العبودية في ظل حكم الأقلية الحاكمة أو الديمقراطية على الحرية في ظل الدستور الذي يتمتعون به بالفعل، أياً كان نوعه. فضلاً عن ذلك، اعتقدت المدن أن ما يسمى بالطبقات الأفضل سوف يثبت أنها قمعية مثل عامة الناس، لأنها كانت منشئة لأفعال العامة الضارة بالحلفاء،

واقترحتها، واستفادت منها في الغالب. والواقع أنه إذا كان الأمر يعتمد على الطبقات الأفضل، فإن الحلفاء سوف يُقتلون دون محاكمة وبعنف؛ في حين أن عامة الناس هم ملاذهم ومعاقبتهم. كان يعلم بالتأكيد أن المدن تعلمت من هذه التجربة، وأن هذا هو رأيها. وبالتالي، فإن مقترحات ألكيبياديس، والمكائد الجارية الآن، لا يمكن أن تلقى قبوله أبدًا.

ولكن أعضاء النادي المجتمعين، موافقين على قرارهم الأصلي، قبلوا ما تم اقتراحه، وأعدوا لإرسال بيساندر وآخرين في سفارة إلى أثينا للعمل على إعادة ألكيبياديس إلى الحكم وإلغاء الديمقراطية في المدينة، وبالتالي جعل تيسافيرنيس صديقًا للأثينيين.

ولقد أدرك فرينيخوس الآن أن هناك اقتراحاً بإعادة ألكيبياديس إلى الحكم، وأن الأثينيين سوف يوافقون عليه؛ وخشي بعد ما قاله ضد هذا الاقتراح أن ينتقم ألكيبياديس منه بسبب معارضته له، فلجأ إلى الوسيلة التالية. فقد أرسل رسالة سرية إلى الأميرال أستيوخوس من لاكيديمون، الذي كان لا يزال في جوار ميليتوس، ليخبره أن ألكيبياديس كان يفسد قضيتهم بجعله تيسافرنيس صديقاً للأثينيين، كما تضمن الخطاب كشفاً صريحاً لبقية المؤامرة، راغباً في أن يُعفى عنه إذا سعى إلى إيذاء عدوه حتى على حساب مصالح بلاده. ولكن أستيوخوس، بدلاً من التفكير في معاقبة ألكيبياديس، الذي لم يعد يجرؤ على الاقتراب منه كما كان من قبل، ذهب إليه وإلى تيسافرنيس في ماغنيسيا، وأبلغهما الرسالة من ساموس، وتحول إلى مخبر، وإذا كان من الممكن الوثوق بالتقرير، فقد أصبح تابعًا لتيسافرنيس، وتعهد بإبلاغه بهذا الأمر وجميع الأمور الأخرى؛ وكان هذا أيضًا هو السبب في أنه لم يحتج بقوة أكبر على عدم دفع الأجر بالكامل. عند هذا أرسل ألكيبياديس على الفور إلى السلطات في ساموس رسالة ضد فرينيخوس، موضحًا ما فعله، وطالب بقتله. شتت انتباه فرينيخوس، ووضعه في أقصى خطر بسبب التنديد، فأرسل مرة أخرى إلى أستيوخوس، ووبخه على سوء حفظ سر رسالته السابقة، وقال إنه مستعد الآن

لمنحهم فرصة لتدمير كل الأسلحة الأثينية في ساموس؛ وقد أعطى وصفًا تفصيليًا للوسائل التي ينبغي له أن يستخدمها، حيث كانت ساموس غير محصنة، وتوسل بأنه، نظرًا لأنه في خطر على حياته بسببهم، فلا يمكن إلقاء اللوم عليه الآن لقيامه بهذا أو بأي شيء آخر للهروب من الدمار الذي سيلحقه به أعداؤه المميتين. وقد كشف أستيوخوس أيضًا عن هذا لألكيبياديس.

وفي الوقت نفسه، كان فرينيخوس قد تلقى في الوقت المناسب إشعارًا بأنه يخدعه، وأن رسالة بهذا الشأن كانت على وشك الوصول من ألكيبياديس، فتوقع بنفسه الأخبار، وأخبر الجيش أن العدو، نظرًا لعدم تحصين ساموس وعدم تواجد الأسطول بالكامل داخل الميناء، يعتزم مهاجمة المعسكر، وأنه يمكنه التأكد من هذه المعلومات، وأنهم يجب أن يحصنوا ساموس بأسرع ما يمكن، وأن يهتموا بشكل عام بدفاعاتهم. ويجب أن نتذكر أنه كان قائدًا، وكان لديه السلطة لتنفيذ هذه التدابير. وبناءً على ذلك، شرع في عمل التحصين، وتم تحصين ساموس في وقت أقرب مما كان من الممكن أن يحدث لولا ذلك. وبعد فترة وجيزة، وصلت رسالة من ألكيبياديس، تفيد بأن فرينيخوس خان الجيش، وأن العدو على وشك مهاجمته. ولكن ألكيبياديس لم يكتسب أي مصداقية، حيث ظنوا أنه كان على علم بمخططات العدو، وحاول إلصاقها بفرينيكوس، وإظهار أنه شريك لهم، بدافع الكراهية؛ وبالتالي، فبدلاً من أن يؤذيه، فقد شهد على ما قاله من خلال هذه المعلومات.

وبعد ذلك شرع ألكيبيادس في العمل على إقناع تيسافرنيس بأن يصبح صديقاً للأثينيين. ورغم خوف تيسافرنيس من البيلوبونيزيين لأن لديهم سفناً في آسيا أكثر من الأثينيين، إلا أنه كان على استعداد لإقناعه إذا استطاع، وخاصة بعد شجاره مع البيلوبونيزيين في كنيدوس بشأن معاهدة ثيريمينس. وكان الشجار قد وقع بالفعل، حيث كان البيلوبونيزيون في ذلك الوقت في رودس؛ وفي ذلك الشجار تم التحقق من الحجة الأصلية التي ساقها ألكيبيادس فيما يتعلق بتحرير جميع المدن من قبل

اللاكيدايمونيين من خلال إعلان ليكاس أنه من المستحيل الخضوع لاتفاقية تجعل الملك سيداً لجميع الولايات التي كانت في أي وقت سابق يحكمها هو أو آباؤه.

وبينما كان ألكيبياديس يحاصر تيسافرنيس بجدية تتناسب مع عظمة القضية، وصل المبعوثون الأثينيون الذين أُرسلوا من ساموس مع بيساندر إلى أثينا، وألقوا خطابًا أمام الناس، وألقوا ملخصًا موجزًا لآرائهم، وأصروا بشكل خاص على أنه إذا تم استدعاء ألكيبياديس وتغيير الدستور الديمقراطي، فيمكنهم الحصول على الملك كحليف لهم، وسيكونون قادرين على التغلب على البيلوبونيزيين. عارضهم عدد من المتحدثين في مسألة الديمقراطية، وصاح أعداء ألكيبياديس ضد فضيحة الاستعادة التي تتم بسبب انتهاك الدستور، واحتج يومولبيداي وسيريس لصالح الأسرار، سبب نفيه، ودعوا الآلهة إلى منع استدعائه؛ "عندما تقدم بيساندر، وسط الكثير من المعارضة والشتائم، وأخذ كل من خصومه جانبًا، سأله السؤال التالي: في مواجهة حقيقة أن البيلوبونيزيين لديهم عدد من السفن يعادل عدد سفنهم في البحر، ومدن أكثر متحالفة معهم، والملك وتيسافيرنيس لتزويدهم بالمال، ولم يتبق للأثينيين أي أموال، هل كان لديه أي أمل في إنقاذ الدولة، ما لم يتمكن شخص ما من إقناع الملك بالانحياز إلى جانبهم؟ عندما أجابوا بأنهم لا يستطيعون، قال لهم بوضوح: "لا يمكننا تحقيق ذلك إلا إذا كان لدينا شكل أكثر اعتدالًا للحكم، ووضع المناصب في أيدي أقل، وبالتالي كسب ثقة الملك، وإعادة ألكيبياديس على الفور، وهو الرجل الوحيد على قيد الحياة الذي يمكنه تحقيق ذلك. إن سلامة الدولة، وليس شكل حكومتها، هي السؤال الأكثر إلحاحًا في الوقت الحالي، حيث يمكننا دائمًا تغيير أي شيء لا نحبه".

ولقد كان الناس في بادئ الأمر منزعجين للغاية من ذكر الأوليغارشية، ولكنهم عندما أدركوا بوضوح من بيساندر أن هذه هي الموارد الوحيدة المتبقية، استشاروا مخاوفهم، ووعدوا أنفسهم ذات يوم بتغيير الحكومة مرة أخرى، واستسلموا. وبناءً

على ذلك، صوتوا على أن يبحر بيساندر مع عشرة آخرين وأن يتوصلوا إلى أفضل ترتيب ممكن مع تيسافرنيس وألكيبياديس. وفي الوقت نفسه، قام الناس، بناءً على اتهام كاذب من بيساندر، بطرد فرينيخوس من منصبه مع زميله سكيرونيدس، وإرسال ديوميدون وليون ليحلوا محلهما في قيادة الأسطول. وكانت التهمة أن فرينيخوس خان ياسوس وأمورجيس؛ وقد جلب بيساندر هذه التهمة لأنه اعتبره رجلاً غير صالح للعمل الذي كان الآن بين يديه مع ألكيبياديس. كما قام بيساندر أيضًا بجولة على جميع الأندية الموجودة بالفعل في المدينة طلبًا للمساعدة في الدعاوى القضائية والانتخابات، وحثهم على التجمع وتوحيد جهودهم للإطاحة بالديمقراطية؛ وبعد أن اتخذ كل التدابير الأخرى التي تتطلبها الظروف، حتى لا يضيع الوقت، انطلق مع رفاقه العشرة في رحلته إلى تيسافيرنيس.

وفي نفس الشتاء قام ليون وديوميدون، اللذان انضما إلى الأسطول في ذلك الوقت، بمهاجمة رودس. ووجدا سفن البيلوبونيزيين راسية على الشاطئ، وبعد أن هبطا على الساحل وهزما الروديين الذين ظهروا في الميدان لمواجهتهما، انسحبا إلى شالسي واتخذا من ذلك المكان قاعدة لعملياتهما بدلاً من كوس، حيث كانا يستطيعان أن يلاحظا ذلك بشكل أفضل من هناك إذا أبحر الأسطول البيلوبونيزي. وفي الوقت نفسه، جاء زينوفانتس، وهو لاكوني، إلى رودس من بيداريتوس في خيوس، حاملاً أخبارًا تفيد بأن تحصين الأثينيين قد انتهى الآن، وأنه ما لم يأت الأسطول البيلوبونيزي بأكمله لإنقاذه، فإن القضية في خيوس سوف تخسر. وعلى هذا قررا الذهاب لمساعدته. "وفي هذه الأثناء قام بيداريتوس، ومعه المرتزقة الذين كانوا معه وكل قوة الكيانيين، بمهاجمة العمل حول السفن الأثينية واستولى على جزء منه، واستولى على بعض السفن التي تم سحبها إلى الشاطئ، عندما خرج الأثينيون لإنقاذهم، وبعد أن هزموا الكيانيين أولاً، هزموا بقية القوة المحيطة ببيداريتوس، الذي قُتل هو نفسه، مع العديد من الكيانيين، وتم الاستيلاء أيضًا على عدد كبير من الأسلحة.

وبعد ذلك، حاصرت قوات خيوس حصارًا أشد من ذي قبل، برًا وبحرًا، وكانت المجاعة في المنطقة شديدة. وفي غضون ذلك، وصل المبعوثون الأثينيون برفقة بيساندر إلى بلاط تيسافرنيس، وتشاوروا معه بشأن الاتفاقية المقترحة. ولكن ألكيبيادس، الذي لم يكن على يقين تام من تيسافرنيس (الذي كان يخشى البيلوبونيزيين أكثر من الأثينيين، فضلاً عن رغبته في استنزاف الطرفين، كما أوصى ألكيبيادس نفسه)، لجأ إلى الحيلة التالية لإفشال المعاهدة بين الأثينيين وتيسافرنيس بسبب ضخامة مطالبه. وفي رأيي أن تيسافرنيس كان يرغب في هذه النتيجة، وكان الخوف هو الدافع وراء ذلك؛ بينما أراد ألكيبيادس، الذي رأى الآن أن تيسافرنيس كان عازمًا على عدم التعامل بأي شروط، أن يعتقد الأثينيون، ليس أنه غير قادر على إقناع تيسافرنيس، ولكن بعد إقناع الأخير واستعداده للانضمام إليهم، لم يقدموا له تنازلات كافية. ولقد كانت مطالب ألكيبياديس، الذي كان يتحدث نيابة عن تيسافرنيس، الذي كان حاضراً، مبالغاً فيها إلى الحد الذي جعل الأثينيين، على الرغم من موافقتهم لفترة طويلة على أي شيء يطلبه، يتحملون مسؤولية الفشل: فقد طالب بالتنازل عن أيونيا بالكامل، ثم الجزر المجاورة، فضلاً عن تنازلات أخرى، وقد مرت هذه التنازلات دون معارضة؛ وأخيراً، في المقابلة الثالثة، طلب ألكيبياديس، الذي كان يخشى الآن أن يتم اكتشاف عجزه بالكامل، السماح للملك ببناء السفن والإبحار على طول ساحله أينما شاء ومع عدد من السفن كما يحلو له. وبناءً على هذا، لم يستسلم الأثينيون أكثر من ذلك، وخلصوا إلى أنه لا يوجد شيء يمكن فعله، لكنهم خدعهم ألكيبياديس، فانصرفوا في غضب وتوجهوا إلى ساموس.

وبعد ذلك مباشرة، في نفس الشتاء، توجه تيسافرنس على طول الساحل إلى كونوس، راغبًا في إعادة الأسطول البيلوبونيزي إلى ميليتوس، وتزويده بالأموال، وعقد اتفاقية جديدة بشروط تمكنه من الحصول عليها، حتى لا يؤدي الأمر إلى خرق مطلق بينهما. كان يخشى أنه إذا تُرِكَت العديد من سفنهم بدون أجر، فسوف يضطرون إلى الاشتباك والهزيمة، أو أن تُترَك سفنهم بدون أيدي، فيتمكن الأثينيون من تحقيق

أهدافهم دون مساعدته. علاوة على ذلك، كان يخشى أن يدمر البيلوبونيزيون القارة بحثًا عن الإمدادات. وبعد أن حسب كل هذا ودرسه، بما يتفق مع خطته للحفاظ على تكافؤ الجانبين، أرسل الآن إلى البيلوبونيزيين وأعطاهم أجرًا، وأبرم معهم معاهدة ثالثة بالكلمات التالية:

في السنة الثالثة عشرة من حكم داريوس، بينما كان ألكسيبيداس إيفورًا في لاكيدايمون، تم عقد اتفاقية في سهل الماياندر بين اللاكيدايمونيين وحلفائهم مع تيسافرنيس وهيرامينس وأبناء فرناكيس، بشأن شؤون الملك واللكيدايمونيين وحلفائهم.

1. تكون بلاد الملك في آسيا ملكاً للملك، ويعامل الملك بلاده كما يشاء.

2. لا يجوز للساكديمونيين وحلفائهم غزو أو إلحاق الضرر ببلاد الملك: ولا يجوز للملك غزو أو إلحاق الضرر ببلاد الساديمونيين أو حلفائهم. وإذا غزا أو ألحق أي من الساديمونيين أو حلفائهم ضررًا ببلاد الملك، فإن الساديمونيين وحلفائهم يمنعون ذلك: وإذا غزا أو ألحق أي شخص من بلاد الملك ضررًا ببلاد الساديمونيين أو حلفائهم، فإن الملك يمنع ذلك.

3. يجب على تيسافرنيس أن يدفع ثمن السفن الموجودة الآن، وفقًا للاتفاقية، حتى وصول سفن الملك: ولكن بعد وصول سفن الملك، يجوز للاكيديمونيين وحلفائهم أن يدفعوا ثمن سفنهم إذا رغبوا في ذلك. ومع ذلك، إذا اختاروا تلقي الأجر من تيسافرنيس، فيجب على تيسافرنيس أن يقدمه: ويجب على اللاكيديمونيين وحلفائهم أن يسددوا له في نهاية الحرب نفس الأموال التي تلقوها.

4. بعد وصول السفن، يجب على سفن اللاكيدايمونيين وحلفائهم وسفن الملك أن تخوض الحرب معًا، وفقًا لما يراه تيسافيرنيس واللاكيدايمونيين وحلفاؤهم أفضل. إذا أرادوا أن يعقدوا السلام مع الأثينيين، فيجب عليهم أن يعقدوا السلام أيضًا معًا.

كانت هذه هي المعاهدة. وبعد ذلك استعد تيسافرنس لجلب الأسطول الفينيقي وفقًا للاتفاق، وللوفاء بتعهداته الأخرى، أو على الأقل رغب في إظهار أنه يستعد لذلك.

كان الشتاء يقترب من نهايته، عندما استولى البويوتيون على أوروبس بالخيانة، رغم أنها كانت تحت سيطرة حامية أثينية. وكان شركاؤهم في هذا بعض الإريتريين والأوروبيين أنفسهم، الذين كانوا يخططون لثورة إيوبوا، حيث كانت المنطقة تقع مقابل إيروبوس تمامًا، وبينما كانت في أيدي الأثينيين كانت بالضرورة مصدر إزعاج كبير لإريتريا وبقية إيوبوا. وبما أن أوروبس في أيديهم، فقد جاء الإريتريون الآن إلى رودس لدعوة البيلوبونيزيين إلى إيوبوا. ومع ذلك، كان هؤلاء الأخيرون عازمون على إغاثة الخيانيين المنكوبين، وبالتالي أبحروا في البحر بكل سفنهم من رودس. قبالة تريوبيوم، شاهدوا الأسطول الأثيني في البحر يبحر من شالسي، ولم يهاجم أي منهما الآخر، ووصل الأخير إلى ساموس، ووصل البيلوبونيزيون إلى ميليتوس، حيث أدركوا أنه لم يعد من الممكن إغاثة خيوس دون معركة. وانتهى هذا الشتاء، وانتهى معه العام العشرين من هذه الحرب التي كان ثوسيديديس مؤرخها.

وفي أوائل الربيع من الصيف التالي، أُرسِل ديرسيليداس، وهو أسبرطي، مع قوة صغيرة برًا إلى مضيق الدردنيل لإحداث ثورة في أبيدوس، وهي مستعمرة ميليتوس؛ وفي حين كان أستيوخوس في حيرة من أمره بشأن كيفية مساعدتهم، اضطر أهل كيا إلى القتال في البحر بسبب ضغط الحصار. وبينما كان أستيوخوس لا يزال في رودس، تلقوا من ميليتوس، كقائد لهم بعد وفاة بيداريتوس، أسبرطيًا يُدعى ليون، خرج مع أنتيستينيس، واثنتي عشرة سفينة كانت في حراسة ميليتوس، خمس منها كانت ثورية، وأربعة سيراقوسية، وواحدة من أنايا، وواحدة من ميليتوس، وواحدة من ليون.

وبناءً على ذلك، سار أهل كيا بأعداد كبيرة واتخذوا موقعًا قويًا، بينما هزمت ست وثلاثون من سفنهم واشتبكت مع اثنتين وثلاثين من الأثينيين؛ وبعد قتال عنيف، كان للكيانيين وحلفائهم الغلبة فيه إلى حد ما، حيث كان الوقت قد أصبح متأخرًا، تقاعدوا إلى مدينتهم.

وبعد ذلك مباشرة وصل ديرسيليداس براً من ميليتوس؛ وثارت عليه أبيدوس في مضيق الدردنيل وفارنابازوس ولامبساكوس بعد يومين. وفور تلقيه هذه الأخبار أبحر سترومبيشيدس على عجل من خيوس على رأس أربع وعشرين سفينة أثينية، وكان من بينها بعض السفن التي تحمل مشاة ثقيلة، وهزم اللامبساكوس الذين خرجوا لمواجهته، واستولى على لامبساكوس، التي كانت غير محصنة، في الهجوم الأول، وغنم العبيد والسلع وأعاد الأحرار إلى ديارهم، واستمر في طريقه إلى أبيدوس. ولكن السكان رفضوا الاستسلام، ولم تنجح هجماته في السيطرة على المكان، فأبحر إلى الساحل المقابل، وعين سيستوس، المدينة الواقعة في خيرسونيس والتي احتلها الميديون في فترة سابقة من هذا التاريخ، مركزاً للدفاع عن مضيق الدردنيل بأكمله.

"وفي الوقت نفسه، كان أهل خيوس يسيطرون على البحر أكثر من ذي قبل؛ وعندما سمع البيلوبونيزيون في ميليتوس وأستيوخوس عن المعركة البحرية ورحيل السرب مع سترومبيشيدس، استجمعوا قواهم من جديد. فسار أستيوخوس بسفينتين إلى خيوس، واستولى على السفن من هناك، ثم تحرك بأسطوله كله إلى ساموس، ولكنه أبحر من هناك عائداً إلى ميليتوس، لأن الأثينيين لم يهاجموه بسبب شكوكهم في بعضهم البعض. ففي هذا الوقت، أو حتى قبل ذلك، تم قمع الديمقراطية في أثينا. وعندما عاد بيساندر والمبعوثون من تيسافرنيس إلى ساموس، عززوا على الفور اهتمامهم بالجيش نفسه، وحرضوا الطبقة العليا في ساموس على الانضمام إليهم في تأسيس حكم الأقلية، وهو الشكل ذاته من أشكال الحكم الذي ثارت مجموعة منهم مؤخراً لتجنبه. "وفي الوقت نفسه، قرر الأثينيون في ساموس، بعد التشاور فيما بينهم،

ترك ألكيبياديس بمفرده، لأنه رفض الانضمام إليهم، فضلاً عن أنه لم يكن الرجل المناسب لحكم الأقلية؛ والآن، بعد أن ركبوا السفينة، كان عليهم أن يروا بأنفسهم أفضل طريقة لمنع خراب قضيتهم، وفي الوقت نفسه دعم الحرب، والمساهمة دون قيد أو شرط بالمال وكل ما قد يتطلبه الأمر من ممتلكاتهم الخاصة، حيث سيعملون من الآن فصاعدًا لأنفسهم فقط.

وبعد أن شجع كل منهما الآخر في هذه القرارات، أرسلا على الفور نصف المبعوثين وبيساندر للقيام بما يلزم في أثينا (مع تعليمات بإنشاء أوليجاركيات في طريقهم في جميع المدن الخاضعة التي قد يلمسونها)، وأرسلا النصف الآخر في اتجاهات مختلفة إلى التبعيات الأخرى. كما أرسل ديتريفيس، الذي كان في جوار خيوس، والذي انتُخِب لقيادة المدن التراقية، إلى حكومته، ووصل إلى ثاسوس وألغى الديمقراطية هناك. ومع ذلك، لم يمر شهران على رحيله حتى بدأ الثاسيون في تحصين مدينتهم، بعد أن سئموا بالفعل من الأرستقراطية في أثينا، وكانوا يتوقعون يوميًا التحرر من لاكيدايمون. في الواقع كان هناك فريق منهم (كان الأثينيون قد نفوا)، مع البيلوبونيزيين، الذين بذلوا مع أصدقائهم في المدينة كل جهد ممكن لإحضار سرب، وتنفيذ ثورة ثاسوس؛ ولقد رأى هذا الحزب على هذا النحو ما أرادوا تحقيقه على وجه التحديد، ألا وهو إصلاح الحكومة دون مخاطرة، وإلغاء الديمقراطية التي كانت لتعارضهم. وهكذا سارت الأمور في ثاسوس على النقيض تماماً مما توقعه المتآمرون الأوليغارشيون في أثينا؛ وفي رأيي كان الأمر نفسه هو الحال في العديد من التبعيات الأخرى؛ فما إن حصلت المدن على حكومة معتدلة وحرية في العمل حتى انتقلت إلى الحرية المطلقة دون أن تغريها على الإطلاق مظاهر الإصلاح التي عرضها الأثينيون.

"لقد ألغى بيساندر وزملاؤه أثناء رحلتهم على طول الساحل، كما كان مقررًا، الديمقراطيات في المدن، كما استعانوا ببعض المشاة الثقيلة من أماكن معينة

كحلفاء لهم، وهكذا أتوا إلى أثينا. وهناك وجدوا أن معظم العمل قد تم بالفعل من قبل رفاقهم. وقد اجتمع بعض الشباب معًا، واغتالوا سرًا أندروكليس، الزعيم الرئيسي للعامة، والمسؤول بشكل رئيسي عن نفي ألكيبياديس؛ وقد تم اختيار أندروكليس لأنه كان زعيمًا شعبيًا ولأنهم سعوا بقتله إلى التوصية بأنفسهم لألكيبياديس، الذي كان من المفترض أن يتم استدعاؤه، وجعل تيسافيرنيس صديقًا لهم. كان هناك أيضًا بعض الأشخاص البغيضين الآخرين الذين تخلصوا منهم سراً بنفس الطريقة. وفي الوقت نفسه، كانت صرختهم في العلن هي أنه لا ينبغي منح رواتب إلا للأشخاص الذين يخدمون في الحرب، وألا يشارك أكثر من خمسة آلاف شخص في الحكومة، وأن يكون أولئك الأكثر قدرة على خدمة الدولة شخصيًا وبالمال.

ولكن هذا كان مجرد شعار للجماهير، كما كان من المفترض أن يحكم مؤلفو الثورة حقًا. ومع ذلك، فقد اجتمعت الجمعية ومجلس بين، على الرغم من أنهما لم يناقشا أي شيء لم يوافق عليه المتآمرون، الذين قدموا المتحدثين وراجعوا مسبقًا ما سيقولونه. كان الخوف، ورؤية أعداد المتآمرين، يسد أفواه الباقين؛ وإذا تجرأ أي منهم على التمرد، كان يتم إعدامه على الفور بطريقة مناسبة، ولم يتم البحث عن القتلة ولا تحقيق العدالة ضدهم إذا اشتبه فيهم؛ لكن الناس ظلوا بلا حراك، وقد خافوا تمامًا لدرجة أن الرجال اعتقدوا أنهم محظوظون بالنجاة من العنف، حتى عندما أمسكوا ألسنتهم. كما أدى الاعتقاد المبالغ فيه بأعداد المتآمرين إلى إضعاف معنويات الناس، الذين أصبحوا عاجزين بسبب ضخامة المدينة، وبسبب افتقارهم إلى الذكاء فيما بينهم، وعدم وجود وسيلة لمعرفة عدد هؤلاء المتآمرين حقًا. ولنفس السبب كان من المستحيل على أي شخص أن يصارح جاره بحزنه وأن ينسق الإجراءات اللازمة للدفاع عن نفسه، لأنه كان عليه أن يتحدث إما إلى شخص لا يعرفه، أو شخص يعرفه ولكنه لا يثق فيه. والواقع أن كل أفراد الشعب كانوا يقتربون من بعضهم البعض في ارتياب، كل منهم يعتقد أن جاره متورط في ما يجري، وكان بين صفوف المتآمرين أشخاص لا يمكن لأحد أن يصدق أنهم قادرون على الانضمام إلى

حكم الأقلية؛ وكان هؤلاء هم الذين جعلوا الأغلبية تشعر بالارتياب، وساعدوا بالتالي في ضمان الإفلات من العقاب للقلة، من خلال تأكيد عدم ثقة عامة الناس في بعضهم البعض.

في هذه اللحظة وصل بيساندر وزملاؤه، ولم يضيعوا الوقت في القيام بالباقي. أولاً جمعوا الشعب، وقرروا انتخاب عشرة مفوضين يتمتعون بصلاحيات كاملة لصياغة دستور، وعندما يتم ذلك، يجب عليهم في يوم محدد أن يعرضوا على الشعب رأيهم بشأن أفضل طريقة لحكم المدينة. بعد ذلك، عندما حل اليوم، حاصر المتآمرون الجمعية في كولونوس، معبد بوسيدون، على بعد أكثر من ميل بقليل من المدينة؛ عندما قدم المفوضون هذا الاقتراح الوحيد، بأن أي أثيني يمكنه اقتراح أي إجراء يشاء دون عقاب، مع فرض عقوبات شديدة على أي شخص يتهمه بالانتهاك، أو يضايقه بأي شكل من الأشكال بسبب ذلك. بعد أن تم إفساح الطريق بهذه الطريقة، تم الإعلان الآن بوضوح عن انتهاء مدة كل فترة تولي المنصب وتلقي الأجور بموجب المؤسسات القائمة، وأنه يجب انتخاب خمسة رجال كرؤساء، يجب عليهم بدورهم انتخاب مائة، وكل من المائة ثلاثة؛ وأن هذا الجسم المكون من أربعمائة عضو يجب أن يدخل قاعة المجلس بكامل الصلاحيات ويحكم بالطريقة التي يراها الأفضل، ويجب أن يدعو الخمسة آلاف عضو إلى الاجتماع متى شاء.

كان الرجل الذي قدم هذا القرار هو بيساندر، الذي كان طوال الوقت الوسيط الرئيسي في إخماد الديمقراطية. لكن الذي دبّر الأمر برمته، ومهد الطريق للكارثة، والذي أعطى أعظم تفكير للأمر، كان أنتيفون، أحد أفضل رجال عصره في أثينا؛ والذي كان يتمتع بعقل قادر على ابتكار التدابير ولسان قادر على التوصية بها، لكنه لم يتقدم طوعًا إلى الجمعية أو إلى أي مكان عام، لأنه كان ينظر إليه الناس باستخفاف بسبب سمعته كموهبة؛ ومع ذلك كان الرجل الوحيد القادر على مساعدة المحاكم، أو أمام الجمعية، الخاطبين الذين طلبوا رأيه. والواقع أنه عندما حوكم بعد ذلك بتهمة المشاركة في

إنشاء هذه الحكومة ذاتها، عندما أطيح بالأربعمائة ولم يقم عامة الناس بمعالجتها، قدم ما يبدو أنه أفضل دفاع معروف حتى وقتنا هذا. كما تجاوز فرينيخوس كل الآخرين في حماسته للحكم الأوليغاركي. ولقد كان يخشى ألكيبياديس، ويثق في أنه ليس غريباً على مؤامراته مع أستيوخوس في ساموس، ولذلك كان يعتقد أنه من غير المرجح أن تعيده أي أوليجاركية إلى الحكم، وبمجرد أن شرع في هذه المغامرة، أثبت أنه أقوى الأوليجاركيين على الإطلاق، حيثما كان الخطر يهدده. وكان ثيرامينيس، ابن هاجنون، أيضاً من أبرز المخربين للديمقراطية . رجل قادر على المجلس كما هو قادر على المناقشة. ولقد سارت هذه المغامرة، على الرغم من عظمتها، على نحو طبيعي؛ رغم أنه لم يكن من السهل حرمان الشعب الأثيني من حريته، بعد مرور ما يقرب من مائة عام على خلع الطغاة، حيث لم يكن خاضعاً لأي طاغية طيلة تلك الفترة فحسب، بل اعتاد خلال أكثر من نصفها على حكم رعاياه.

"لقد صدقت الجمعية على الدستور المقترح، دون أي صوت معارض واحد، ثم انحلت؛ وبعد ذلك تم إحضار الأربعمائة إلى قاعة المجلس بالطريقة التالية. بسبب العدو في ديسيليا، كان جميع الأثينيين دائمًا على الجدران أو في صفوف في المواقع العسكرية المختلفة. في ذلك اليوم سُمح للأشخاص الذين لم يكونوا في السر بالعودة إلى ديارهم كالمعتاد، بينما صدرت الأوامر لشركاء المتآمرين بالتسكع، دون أي مظاهرة، على مسافة صغيرة من المواقع، وفي حالة أي معارضة لما كان يجري، للاستيلاء على الأسلحة وإلقائها. كان هناك أيضًا بعض الأندريين والتينيين، وثلاثمائة كاريستي، وبعض المستوطنين في إيجينا جاءوا بأسلحتهم الخاصة لهذا الغرض بالذات، والذين تلقوا تعليمات مماثلة. وبعد إتمام هذه الترتيبات، ذهب الأربعمائة، كل واحد منهم يحمل خنجرًا مخفيًا حول شخصه، برفقة مائة وعشرين شابًا يونانيًا، استخدموهم حيثما كانت هناك حاجة للعنف، وظهروا أمام مستشاري بين في قاعة المجلس، وأمروهم بأخذ أجورهم والرحيل؛ فأحضروها هم أنفسهم طوال ما تبقى من فترة ولايتهم، وأعطوها لهم عندما خرجوا.

وبعد أن انسحب المجلس بهذه الطريقة دون أن يبدي أي اعتراض، ولم يبد بقية المواطنين أي حركة، دخل الأربعمائة قاعة المجلس، واكتفوا في الوقت الحالي بسحب القرعة على حكامهم، وتقديم صلواتهم وتضحياتهم للآلهة عند توليهم مناصبهم، ولكنهم بعد ذلك انحرفوا على نطاق واسع عن النظام الديمقراطي للحكم، وباستثناء أنهم لم يستدعوا المنفيين بسبب ألكيبياديس، حكموا المدينة بالقوة؛ فقتلوا بعض الرجال، وإن لم يكن كثيرين، ممن رأوا أنه من المناسب إبعادهم، وسجنوا ونفوا آخرين. كما أرسلوا إلى أجيس، ملك لاكيدايمونيا، في ديسيليا، ليخبروه أنهم يرغبون في إحلال السلام، وأنه قد يكون أكثر ميلاً إلى التعامل معهم الآن بعد أن أصبح عليه التعامل معهم بدلاً من عامة الناس غير المستقرين.

ولكن أجيس لم يكن يؤمن بالهدوء الذي يسود المدينة، أو أن عامة الناس سوف يتخلون عن حريتهم القديمة في لحظة، بل كان يعتقد أن رؤية قوة لاكيديمونية كبيرة سوف تكون كافية لإثارة حماسهم إذا لم يكونوا قد بدأوا بالفعل في حالة من الاضطراب، وهو ما لم يكن متأكدًا منه بأي حال من الأحوال. وبناءً على ذلك، قدم لمبعوثي الأربعمائة إجابة لا تحمل أي أمل في التوصل إلى تسوية، وبعد فترة وجيزة أرسل تعزيزات كبيرة من البيلوبونيز، برفقة هذه التعزيزات وحاميته من ديسيليا، ونزل إلى أسوار أثينا ذاتها؛ على أمل أن تساعد الاضطرابات المدنية في إخضاعهم لشروطه، أو أنه في حالة الارتباك المتوقع داخل المدينة وخارجها، قد يستسلمون حتى دون توجيه ضربة لهم؛ وفي كل الأحوال، كان يعتقد أنه سينجح في الاستيلاء على الأسوار الطويلة، خالية من المدافعين عنها. ومع ذلك، رأى الأثينيون أنه يقترب، دون أن يثير أدنى اضطراب داخل المدينة؛ وبعد أن أرسلوا فرسانهم وعددًا من المشاة الثقيلة والقوات الخفيفة والرماة، أطلقوا النار على بعض جنوده الذين اقتربوا كثيرًا، واستولى على بعض الأسلحة والقتلى. وبعد ذلك اقتنع أجيس أخيرًا، فقاد جيشه مرة أخرى، وظل مع قواته في الموقع القديم في ديسيليا، وأعاد التعزيزات إلى الوطن، بعد بضعة أيام من الإقامة في أتيكا. بعد ذلك، أرسل الأربعمائة المثابرون

سفارة أخرى إلى أجيس، وبعد أن لقوا استقبالًا أفضل، أرسلوا بناءً على اقتراحه مبعوثين إلى لاكيدايمون للتفاوض على معاهدة، راغبين في عقد السلام.

ولقد أرسلوا عشرة رجال إلى ساموس لطمأنة الجيش، ولتوضيح أن الأوليجاركية لم تنشأ لإلحاق الأذى بالمدينة أو المواطنين، بل لإنقاذ البلاد ككل؛ وأنهم كانوا خمسة آلاف، وليس أربعمائة فقط، مع أن الأثينيين، بسبب بعثاتهم وأعمالهم في الخارج، لم يجتمعوا قط لمناقشة مسألة مهمة بما يكفي لجمع خمسة آلاف منهم معًا. كما أُبلغ المبعوثون بما يجب عليهم قوله بشأن جميع النقاط الأخرى، وأُرسلوا على الفور بعد إنشاء الحكومة الجديدة، التي خشيت، كما اتضح بحق، أن غالبية البحارة لن تكون راغبة في البقاء تحت حكم الأوليجاركية، وأن البداية الشريرة هناك قد تكون الوسيلة للإطاحة بها.

في الواقع، كانت مسألة الأوليغارشية قد دخلت بالفعل في ساموس مرحلة جديدة، حيث وقعت الأحداث التالية في الوقت الذي كان فيه الأربعمائة يتآمرون. ذلك الجزء من سكان ساموس الذي ذُكِر أنه ثار ضد الطبقة العليا، وكان الحزب الديمقراطي، قد انقلب الآن، واستسلم لإغراءات بيساندر أثناء زيارته، والأثينيين في المؤامرة في ساموس، وتعهدوا بالولاء لعدد الثلاثمائة، وكانوا على وشك الهجوم على بقية مواطنيهم، الذين اعتبروهم بدورهم الحزب الديمقراطي. وفي الوقت نفسه، أعدموا أحد الأثينيين يدعى هيبيربولوس، وهو رجل خبيث تم نبذه، ليس خوفًا من نفوذه أو منصبه، ولكن لأنه كان وغدًا وعارًا للمدينة؛ ولقد ساعدهم في ذلك تشارمينوس، أحد القادة، وبعض الأثينيين الذين كانوا معهم، والذين أقسموا لهم الصداقة، والذين ارتكبوا معهم أعمالاً أخرى من هذا القبيل، فقرروا الآن مهاجمة الشعب. وقد علم هذا الأخير بما كان قادماً، فأخبر اثنين من القادة، ليون وديوميدون، اللذين كانا بسبب الثقة التي يتمتعان بها بين عامة الناس، مؤيدين غير راغبين للحكم الأوليغاركي؛ كما أخبرهم أيضاً ثراسيبولوس وثراسيلوس، الأول قائد سفينة شراعية، والثاني يخدم

مع المشاة الثقيلة، إلى جانب بعض الآخرين الذين كان يُعتقد أنهم الأكثر معارضة للمتآمرين، وحثهم على ألا يشاهدوا تدميرهم، وخسارة ساموس، المعقل الوحيد المتبقي من إمبراطوريتهم، أمام الأثينيين. "وبعد سماعهم لهذا، قام الأشخاص الذين خاطبوهم الآن بالتجول حول الجنود واحدًا تلو الآخر، وحثوهم على المقاومة، وخاصة طاقم البارالوس، الذي كان يتألف بالكامل من الأثينيين والأحرار، وكان منذ زمن بعيد أعداء الأوليغارشية، حتى عندما لم يكن هناك شيء من هذا القبيل موجودًا؛ وترك ليون وديوميدون وراءهما بعض السفن لحمايتهما في حالة إبحارهما إلى أي مكان. وبناءً على ذلك، عندما هاجمت الثلاثمائة الناس، هرع كل هؤلاء لإنقاذهم، وفي مقدمتهم طاقم البارالوس؛ وحقق عامة الناس في ساميا النصر، وقتلوا حوالي ثلاثين من الثلاثمائة، ونفوا ثلاثة آخرين من زعماء العصابة، وأصدروا عفوًا عن الباقين، وعاشوا معًا في ظل حكومة ديمقراطية في المستقبل.

كانت السفينة بارالوس، وعلى متنها خيرياس، ابن أركستراتوس، وهو أثيني شارك بنشاط في الثورة، قد أُرسلت الآن دون إضاعة للوقت من قبل الساميين والجيش إلى أثينا لإبلاغهم بما حدث؛ ولم تكن حقيقة أن الأربعمائة كانوا في السلطة معروفة بعد. وعندما أبحروا إلى الميناء، ألقى الأربعمائة القبض على اثنين أو ثلاثة من البارالبيين على الفور، وأخذوا السفينة من الباقين، ونقلوهم إلى سفينة نقل جنود وأوكلوا إليهم مهمة حراسة جزيرة إيفيا. ومع ذلك، تمكن خيرياس من الاختباء بمجرد أن رأى كيف كانت الأمور، وعاد إلى ساموس، ورسم صورة للجنود للأهوال التي حدثت في أثينا، حيث كان كل شيء مبالغًا فيه؛ قائلين إن الجميع عوقبوا بالجلد، وأنه لا يمكن لأحد أن يقول كلمة واحدة ضد أصحاب السلطة، وأن زوجات الجنود وأطفالهم شعروا بالغضب، وأن الهدف كان الاستيلاء على أقارب جميع أفراد الجيش في ساموس الذين لم يكونوا من طريقة تفكير الحكومة وحبسهم، حتى يتم إعدامهم في حالة عصيانهم؛ إلى جانب مجموعة أخرى من الاختراعات الضارة.

"وبعد سماع هذا، كان أول ما خطر ببال الجيش هو إلقاء اللوم على كبار مؤلفي الأوليغارشية وعلى كل من هم على صلة بها. ولكنهم في النهاية تراجعوا عن هذه الفكرة على الرجال ذوي الآراء المعتدلة الذين عارضوها وحذروهم من إفساد قضيتهم، مع اقتراب العدو واستعداده للمعركة. وبعد ذلك، أراد ثراسيبولس، ابن ليكوس، وثراسيلوس، الزعيمان الرئيسيان في الثورة، الآن على نحو علني للغاية تغيير الحكومة في ساموس إلى ديمقراطية، فربطوا جميع الجنود بأشد اليمين، وأولئك الذين ينتمون إلى الحزب الأوليغارشي أكثر من أي شيء آخر، بقبول حكومة ديمقراطية، والتوحد، ومواصلة الحرب بنشاط مع البيلوبونيزيين، وأن يكونوا أعداء الأربعمائة، وأن لا يتواصلوا معهم. كما أدى نفس اليمين جميع الساميين البالغين؛ وشارك الجنود الساميين في جميع شؤونهم وفي ثمار مخاطرهم، وكانوا مقتنعين بأنه لا يوجد طريق للهروب بالنسبة لهم أو بالنسبة لهم، وأن نجاح الأربعمائة أو العدو في ميليتوس يجب أن يكون سببًا في خرابهم.

"لقد كان الصراع الآن بين الجيش الذي يحاول فرض الديمقراطية على المدينة، وبين الأربعمائة رجل الذين يفرضون حكم الأقلية على المعسكر. وفي غضون ذلك، عقد الجنود على الفور جمعية، حيث عزلوا القادة السابقين وأي من القادة الذين اشتبهوا فيهم، واختاروا قادة وجنرالات جدد ليحلوا محلهم، إلى جانب ثراسيبولوس وثراسيلوس، اللذين كانا قد اختاراهم بالفعل. كما وقفوا وشجعوا بعضهم البعض، ومن بين أمور أخرى حثوهم على عدم اليأس لأن المدينة ثارت عليهم، حيث كان الحزب المنشق أصغر حجمًا وأقل مواردًا من مواردهم. وكان لديهم الأسطول بأكمله لإجبار المدن الأخرى في إمبراطوريتهم على إعطائهم المال تمامًا كما لو كانت قاعدتهم في العاصمة، حيث كانت لديهم مدينة في ساموس، والتي لم تكن تفتقر إلى القوة، وكانت في حالة الحرب على وشك حرمان الأثينيين من السيطرة على البحر، بينما فيما يتعلق بالعدو، كانت لديهم نفس قاعدة العمليات كما كانت من قبل. ولقد كان الأسطول في أيديهم أكثر قدرة على تزويد أنفسهم بالإمدادات من الحكومة

في الداخل. وكان موقعهم المتقدم في ساموس هو الذي مكن السلطات المحلية من السيطرة على مدخل بيرايوس؛ وإذا رفضوا إعادة الدستور إليهم، فسوف يجدون الآن أن الجيش في وضع يسمح لهم بطردهم من البحر أكثر من وضعهم في طرد الجيش. فضلاً عن ذلك، لم تكن المدينة ذات فائدة تُذكَر أو لا فائدة تُذكَر لتمكينهم من التغلب على العدو؛ ولم يخسروا شيئًا بفقدان أولئك الذين لم يعد لديهم المال لإرسالهم (حيث كان على الجنود أن يجدوا ذلك بأنفسهم)، أو المشورة الجيدة، التي تمنح المدن الحق في توجيه الجيوش. بل على العكس من ذلك، حتى في هذا الصدد، أخطأت الحكومة المحلية بإلغاء مؤسسات أسلافها، في حين حافظ الجيش على المؤسسات المذكورة، وحاول إجبار الحكومة المحلية على القيام بذلك أيضًا. وعلى هذا، حتى في مجال المشورة الجيدة، كان لدى المعسكر مستشارون جيدون مثل المدينة. وعلاوة على ذلك، لم يكن عليهم سوى أن يمنحوه الأمن لشخصه ودعوته، وكان ألكيبياديس سعيدًا جدًا بحصولهم على تحالف الملك. وفوق كل شيء، إذا فشلوا تمامًا، فبفضل الأسطول الذي يمتلكونه، كان لديهم عدد كبير من الأماكن للانسحاب حيث يمكنهم العثور على المدن والأراضي.

وبعد أن تناقشوا وتعزوا أنفسهم بهذه الطريقة، واصلوا إجراءات الحرب بنشاط كما كانوا دائمًا؛ وظل العشرة مبعوثون الذين أرسلهم الأربعمائة إلى ساموس، بعد أن علموا بالوضع بينما كانوا لا يزالون في ديلوس، هادئين هناك.

وفي ذلك الوقت، ارتفعت صيحة في أسطول بيلوبونيز عند ميليتوس مفادها أن أستيوخوس وتيسافرنس يفسدان قضيتهم. لم يكن أستيوخوس راغباً في القتال في البحر. سواء قبل ذلك، حين كانا لا يزالان في كامل قوتهما وكان أسطول الأثينيين صغيراً، أو الآن، حين كان العدو، كما أُبلغوا، في حالة من الفتنة ولم تتوحد سفنه بعد . لكنه جعلهم ينتظرون الأسطول الفينيقي من تيسافرنس، الذي لم يكن له وجود إلا اسمي، على الرغم من خطر الضياع في الخمول. ولم يكن تيسافرنس يكتفي بعدم

إثارة مسألة الأسطول المذكور، بل كان يدمر أسطولهم البحري من خلال المدفوعات غير المنتظمة، وحتى في تلك الحالة لم يتم سدادها بالكامل. لذلك، أصروا على ألا يتأخروا أكثر من ذلك، بل يجب أن يخوضوا معركة بحرية حاسمة. وكان السيراقوسيون هم الأكثر إلحاحاً من بين كل الأساطيل الأخرى.

"لقد أدرك الحلفاء وأستيوخوس هذه الهمهمات، فقرروا في مجلسهم خوض معركة حاسمة؛ وعندما وصلت إليهم أخبار الاضطرابات في ساموس، أبحروا بكل سفنهم، التي بلغ عددها مائة وعشر سفن، وأمروا الميليسيين بالتحرك براً نحو ميكالي، وأبحروا إلى هناك. كان الأثينيون مع اثنتين وثمانين سفينة من ساموس راسين في ذلك الوقت في جلاوس في ميكالي، وهي نقطة تقترب منها ساموس بالقرب من القارة؛ وعندما رأوا الأسطول البيلوبونيزي يبحر ضدهم، تراجعوا إلى ساموس، لأنهم لم يعتقدوا أنهم أقوياء عددياً بما يكفي للمراهنة بكل قوتهم على معركة. علاوة على ذلك، فقد علموا من ميليتوس برغبة العدو في الاشتباك، وكانوا يتوقعون أن ينضم إليهم من مضيق الدردنيل سترومبيشيدس، الذي أُرسل إليه رسول بالفعل، مع السفن التي انطلقت من خيوس إلى أبيدوس. وعلى هذا انسحب الأثينيون إلى ساموس، ونزل البيلوبونيزيون في ميكالي، وعسكروا مع القوات البرية للميليسيين وأهل المنطقة المجاورة. وفي اليوم التالي كانوا على وشك الإبحار إلى ساموس، عندما وصلتهم أنباء عن وصول سترومبيشيدس مع السرب من الدردنيل، فسارعوا على الفور إلى الإبحار عائدين إلى ميليتوس. وبعد أن تعززت هذه القوة، أبحر الأثينيون بدورهم إلى ميليتوس بمائة وثماني سفن، راغبين في خوض معركة حاسمة، ولكنهم لم يخرج أحد لملاقاتهم، فأبحروا عائدين إلى ساموس.

الفصل السادس والعشرون

السنة الحادية والعشرون من الحرب - استدعاء ألكيبياديس إلى ساموس - ثورة إيوبية وسقوط الأربعمائة - معركة سينوسيما

"في الصيف نفسه، بعد ذلك مباشرة، رفض البيلوبونيزيون القتال بأسطولهم، لأنهم لم يعتقدوا أنهم ند للعدو، وكانوا في حيرة من أمرهم من أين يبحثون عن المال لمثل هذا العدد من السفن، وخاصة أن تيسافيرنيس أثبت أنه سيئ للغاية كمسؤول دفع، فأرسلوا كلياركوس، ابن رامفياس، مع أربعين سفينة إلى فارنابازوس، بناءً على التعليمات الأصلية من البيلوبونيز؛ دعاهم فارنابازوس وكان مستعدًا لتقديم الأجر، بالإضافة إلى إرسال بيزنطة عروضًا للثورة إليهم. ولقد أبحرت هذه السفن البيلوبونيسية في عرض البحر، هربًا من مراقبة الأثينيين، ولما فاجأتها عاصفة، دخلت أغلبها مع كلياركوس إلى ديلوس، ثم عادت بعد ذلك إلى ميليتوس، حيث اتجه كلياركوس برًا إلى مضيق الدردنيل لتولي القيادة؛ ولكن عشرة من هذه السفن، بقيادة هيليكسوس ميجاري، نجحت في عبور مضيق الدردنيل، وأشعلت ثورة بيزنطة. وبعد ذلك، أُبلغ القادة في ساموس بالأمر، فأرسلوا سربًا لمهاجمتهم لحراسة مضيق الدردنيل؛ ووقعت مواجهة أمام بيزنطة بين ثماني سفن على كل من الجانبين.

وفي هذه الأثناء، اجتمع زعماء ساموس، وخاصة ثراسيبولوس، الذي ظل منذ اللحظة التي غيّر فيها الحكومة مصمماً على استدعاء ألكيبياديس، في النهاية في جمعية جمعت جماهير الجنود، وبعد أن صوتوا لصالح استدعائه والعفو عنه، أبحروا إلى تيسافيرنيس وأحضروا ألكيبياديس إلى ساموس، مقتنعين بأن فرصتهم الوحيدة للخلاص تكمن في إعادة تيسافيرنيس من البيلوبونيزيين إليهم. ثم انعقدت جمعية اشتكى فيها ألكيبياديس من سوء حظه الشخصي وندد به في نفيه، وتحدث بإسهاب عن الشؤون العامة، مما أثار آمالهم في المستقبل، وضخم نفوذه بين تيسافيرنيس إلى حد كبير. كان هدفه من هذا هو جعل الحكومة الأوليغارشية في أثينا تخاف منه،

والتعجيل بحل الأندية، وزيادة مصداقيته لدى الجيش في ساموس وزيادة ثقتهم بأنفسهم، وأخيراً إثارة حفيظة العدو قدر الإمكان ضد تيسافرنيس، وتحطيم الآمال التي كانوا يعقدونها. وبناءً على ذلك، قدم ألكيبياديس للجيش وعودًا باهظة مثل: أن تيسافرنيس أكد له رسميًا أنه إذا استطاع أن يثق في الأثينيين فلن يفتقروا أبدًا إلى الإمدادات طالما كان لديه أي شيء متبقي، لا، حتى لو اضطر إلى سك سريره الفضي، وأنه سيحضر الأسطول الفينيقي الموجود الآن في أسبندوس إلى الأثينيين بدلاً من البيلوبونيزيين؛ ولكن لا يمكنه أن يثق في الأثينيين إلا إذا تم استدعاء ألكيبياديس ليكون أمنه لهم.

"ولما سمع الأثينيون هذا وغيره الكثير، انتخبوه على الفور قائدًا عامًا مع سابقيه، ووضعوا كل شئونهم بين يديه. فلم يعد هناك رجل في الجيش يستطيع أن يستبدل آماله الحالية في السلامة والانتقام من الأربعمائة بأي اعتبار مهما كان؛ وبعد ما قيل لهم، أصبحوا الآن ميالين إلى احتقار العدو الذي يواجههم والإبحار فورًا إلى بيرايوس. وعارض ألكيبيادس خطة الإبحار إلى بيرايوس، تاركًا وراءه أعدائه الأقربين، برفض قاطع، على الرغم من الأعداد التي أصرت على ذلك، قائلاً إنه بعد انتخابه قائدًا عامًا، سيبحر أولاً إلى تيسافرنيس ويتفق معه على التدابير اللازمة لمواصلة الحرب. وبناءً على ذلك، غادر على الفور بعد مغادرته هذه الجمعية لكي يظن أن هناك ثقة كاملة بينهم، وأيضًا راغبًا في زيادة احترامه لتيسافرنيس، ولإظهار أنه انتُخب الآن قائدًا عامًا وأنه في وضع يسمح له بفعل الخير أو الشر كما يشاء؛ وهكذا تمكن من تخويف الأثينيين بتيسافيرنيس وتيسافيرنيس بالأثينيين.

وفي الوقت نفسه سمع البيلوبونيزيون في ميليتوس باستدعاء ألكيبياديس، فشعروا بعدم الثقة في تيسافرنيس، وأصبحوا الآن أكثر اشمئزازًا منه من أي وقت مضى. والواقع أنه بعد رفضهم الخروج ومحاربة الأثينيين عندما ظهروا أمام ميليتوس، أصبح تيسافرنيس أكثر تباطؤًا في دفع رواتبهم من أي وقت مضى؛ وحتى قبل ذلك،

بسبب ألكيبياديس، كانت شعبيته في ازدياد. فتجمع الجنود وبعض الأشخاص ذوي المكانة إلى جانب الجنود، كما حدث من قبل، وبدأوا يدركون أنهم لم يتلقوا رواتبهم كاملة حتى الآن؛ وأن ما حصلوا عليه كان ضئيلاً في الكمية، وحتى ما حصلوا عليه كان يتم دفعه بشكل غير منتظم، وأن طاقم السفن سوف ينسحب ما لم يخوضوا معركة حاسمة أو ينتقلوا إلى مكان ما حيث يمكنهم الحصول على الإمدادات؛ وأن كل هذا كان خطأ أستيوخوس، الذي كان يراعي تيسافرنيس من أجل مصلحته الشخصية.

"كان الجيش منهمكًا في هذه التأملات، عندما وقع الاضطراب التالي حول شخص أستيوخوس. كان معظم البحارة السراقسيين والثوريين من الأحرار، وكان هؤلاء أكثر أفراد الطاقم حرية في التسليح هم أيضًا الأكثر جرأة في مهاجمة أستيوخوس والمطالبة بأجورهم. أجاب الأخير بصرامة إلى حد ما وهددهم، وعندما تحدث دوريوس لصالح بحارته، ذهب إلى حد رفع عصاه ضده؛ وعندما رأى ذلك، اندفعت مجموعة الرجال، على طريقة البحارة، في غضب لضرب أستيوخوس. ومع ذلك، رآهم في الوقت المناسب وهرب إلى مذبح للاحتماء به؛ وهكذا انفصلوا دون أن يُضرب. وفي الوقت نفسه، فاجأ الميليسيانيون الحصن الذي بناه تيسافرنيس في ميليتوس، واستولىوا عليه، وخرجت الحامية الموجودة فيه من الخدمة . وهو التصرف الذي لاقى استحسان بقية الحلفاء، وخاصة السيراقوسيين، ولكنه لم يلق استحساناً لدى ليكاس، الذي قال علاوة على ذلك إن الميليسيانيين وبقية سكان بلاد الملك لابد أن يظهروا خضوعاً معقولاً لتيسافرنيس وأن يلتقوا به حتى تنتهي الحرب على خير. وقد غضب الميليسيانيون عليه بسبب هذا وغيره من الأمور المشابهة، وعندما توفي بعد ذلك بسبب المرض، لم يسمحوا له بأن يُدفن حيث أراد اللاكديمونيون مع جيشهم.

ولقد بلغ استياء الجيش من أستيوخوس وتيسافيرنيس هذا الحد، عندما وصل ميندروس من لاكيدايمون ليخلف أستيوخوس في منصب الأميرال، وتولى القيادة.

فأبحر أستيوخوس الآن عائداً إلى وطنه؛ وأرسل تيسافيرنيس معه أحد المقربين منه، وهو غوليتس، وهو كاري، يتحدث اللغتين، ليشكو من الميليسيين بشأن قضية الحصن، وفي الوقت نفسه ليدافع عن نفسه ضد الميليسيين، الذين كانوا، كما كان يعلم، في طريقهم إلى أسبرطة لإدانة سلوكه بشكل رئيسي، وكان معهم هرموكراتيس، الذي اتهم تيسافيرنيس بالانضمام إلى ألكيبياديس لإفساد قضية البيلوبونيز ولعب لعبة مزدوجة. والواقع أن هرموكراتيس كان على عداوة معه على الدوام بسبب عدم إعادة الأجر بالكامل؛ وفي النهاية، عندما نُفي من سيراكوزا، وخرج القادة الجدد -بوتاميس، وميسكون، وديماركوس- إلى ميليتوس على متن سفن السيراقوسيين، ضغط تيسافيرنيس عليه أكثر من أي وقت مضى في منفاه، ومن بين التهم الأخرى الموجهة إليه اتهمه بأنه طلب منه المال ذات مرة، ثم أعلن نفسه عدوًا له لأنه فشل في الحصول عليه.

وبينما أبحر أستيوخوس والميليسيانيون وهيرموكراتيس إلى لاكيدايمون، كان ألكيبياديس قد عبر الآن عائداً من تيسافرنيس إلى ساموس. وبعد عودته، أرسل مبعوثو الأربعمائة، كما ذكرنا آنفاً، لتهدئة الأمور وشرحها للقوات في ساموس، التي وصلت من ديلوس؛ وعقد اجتماع حاولوا فيه التحدث. لم يسمعهم الجنود في البداية، وصرخوا لإعدام المخربين للديمقراطية، ولكن في النهاية، بعد بعض الصعوبة، هدأوا وأعطوهم فرصة للاستماع. عند هذا، شرع المبعوثون في إبلاغهم أن التغيير الأخير قد تم لإنقاذ المدينة، وليس لتدميرها أو تسليمها للعدو، لأنهم أتيحت لهم بالفعل فرصة القيام بذلك عندما غزا البلاد أثناء حكمهم؛ وأن جميع الخمسة آلاف سيكون لهم نصيبهم المناسب في الحكومة؛ ولقد كان من حسن حظ ألكيبياديس أن قدم للدولة خدمة عظيمة، وكان ذلك عندما قرر الأثينيون في ساموس الإبحار ضد مواطنيهم، وفي هذه الحالة كان من المؤكد أن أيونيا ومضيق الدردنيل سوف يقعان في قبضة العدو، وكان ألكيبياديس هو الذي منعهم من ذلك. وفي تلك اللحظة، عندما لم يكن بوسع أي رجل آخر أن يكبح جماح الحشود، أوقف الحملة المزمعة، ووبخ

وصرف الاستياء الذي شعر به المبعوثون لأسباب شخصية. لقد طردهم بإجابة من نفسه مفادها أنه لا يعترض على حكومة الخمسة آلاف، ولكنه أصر على عزل الأربعمائة وإعادة مجلس الخمسمائة إلى السلطة: وفي الوقت نفسه، قوبل أي تخفيضات في الإنفاق من أجل الاقتصاد، والتي قد يكون من الأفضل من خلالها إيجاد أجر للأسلحة، بموافقته الكاملة. وبشكل عام، أمرهم بالصمود وإظهار وجه جريء للعدو، لأنه إذا تم إنقاذ المدينة، فهناك أمل كبير في أن يتمكن الطرفان من المصالحة ذات يوم، بينما إذا تم تدمير أي منهما مرة واحدة، فلن يكون هناك من يمكن المصالحة معه في ساموس أو أثينا. وفي الوقت نفسه، وصل مبعوثون من أرجيفس، مع عروض بالدعم لعامة الأثينيين في ساموس: شكرهم ألكيبياديس، وطردهم وطلب منهم الحضور عندما يُطلب منهم ذلك. كان الأرجيفيون برفقة طاقم البارالوس، الذين تركناهم في سفينة نقل جنود من قبل الأربعمائة بأوامر للإبحار حول إيفيا، والذين تم تعيينهم لنقل بعض المبعوثين الأثينيين الذين أرسلهم الأربعمائة إلى لاكيدايمون - ليزبودياس، أريستوفون،"وعندما أبحروا بالقرب من أرغوس، وضع ميليسياس يديه على المبعوثين، وسلمهم إلى الأرغوس باعتبارهم المخربين الرئيسيين للديمقراطية، وبدلًا من العودة إلى أثينا، أخذوا المبعوثين الأرغوس على متن السفينة، وجاءوا إلى ساموس في السفينة التي أوكلت إليهم."

في نفس الصيف الذي وصلت فيه عودة ألكيبياديس إلى ذروتها مع السلوك العام لتيسافرنيس، حيث لم يعد لدى البيلوبونيزيين أي شك في انضمامه إلى الأثينيين، كان تيسافرنيس راغبًا، على ما يبدو، في تبرئة نفسه لهم من هذه الاتهامات، واستعد لملاحقة الأسطول الفينيقي إلى أسبندوس، ودعا ليكاس للذهاب معه؛ وقال إنه سيعين تاموس ملازمًا له لتوفير أجرة الأسلحة أثناء غيابه. تختلف الروايات، وليس من السهل التأكد من النية التي ذهب بها إلى أسبندوس، ولم يحضر الأسطول بعد كل شيء. من المؤكد أن مائة وسبعة وأربعين سفينة فينيقية وصلت إلى أسبندوس؛ لكن سبب عدم وصولها قد تم تفسيره بشكل مختلف. "يعتقد البعض

أنه ذهب في سبيل تنفيذ خطته لإهدار موارد البيلوبونيز، حيث أن تاموس، ملازمه، لم يكن أفضل منه على الإطلاق، بل أثبت أنه أسوأ منه في الدفع. ويرى آخرون أنه أحضر الفينيقيين إلى أسبندوس لانتزاع المال منهم مقابل تسريحهم، ولم يكن ينوي أبدًا توظيفهم. ويرى آخرون أنه فعل ذلك في ضوء الصراخ ضده في لاكيدايمون، حتى يمكن القول إنه لم يكن مخطئًا، بل إن السفن كانت مأهولة بالفعل وأنه ذهب بالتأكيد لإحضارهم. ويبدو لي من الواضح جدًا أنه لم يجلب الأسطول لأنه كان يرغب في استنزاف القوات اليونانية وشل حركتها، أي إهدار قوتها بالوقت الضائع أثناء رحلته إلى أسبندوس، والحفاظ على توازنها من خلال عدم إلقاء ثقله في أي من الميزانين. ولو كان يرغب في إنهاء الحرب، لكان بإمكانه فعل ذلك، على افتراض أنه ظهر بطريقة لا تترك مجالًا للشك بالطبع؛ ولقد كان من الواضح أن تيسافرنس كان سيحقق النصر للفينيقيين من خلال إرسال الأسطول، حيث كان أسطولهم البحري، على الرغم من ذلك، يواجه الأثينيين باعتبارهم مساوين له وليس أدنى منه. ولكن ما أدانه بوضوح هو العذر الذي ساقه لعدم إرسال السفن. فقد قال إن عدد السفن التي تم جمعها كان أقل مما أمر به الملك؛ ولكن من المؤكد أنه كان من الممكن أن يعزز سمعته لو أنفق القليل من أموال الملك وحقق نفس الغاية بتكلفة أقل. وعلى أية حال، أياً كانت نيته، فقد ذهب تيسافرنس إلى أسبندوس ورأى الفينيقيين؛ وأرسل البيلوبونيزيون بناءً على رغبته رجلاً لاكيدايمونيًا يُدعى فيليب مع سفينتين حربيتين لإحضار الأسطول.

ولما علم ألكيبيادس أن تيسافرنيس قد ذهب إلى أسبندوس، أبحر إلى هناك برفقة ثلاث عشرة سفينة، ووعد بتقديم خدمة عظيمة ومؤكدة للأثينيين في ساموس، إما بإحضار الأسطول الفينيقي إلى الأثينيين، أو على الأقل منع انضمامه إلى البيلوبونيزيين. ومن المرجح أنه كان يعلم منذ فترة طويلة أن تيسافرنيس لم يكن ينوي إحضار الأسطول على الإطلاق، وكان يرغب في تعريضه للخطر قدر الإمكان في

نظر البيلوبونيزيين من خلال صداقته الظاهرة له وللأثينيين، وبالتالي بطريقة تجبره على الانضمام إلى جانبهم.

وبينما كان ألكيبياديس يرفع المرساة ويبحر شرقًا مباشرة إلى فاسيليس وكونوس، وصل المبعوثون الذين أرسلهم الأربعمائة إلى ساموس إلى أثينا. وبمجرد أن سلموا الرسالة من ألكيبياديس، التي أمرهم فيها بالصمود وإظهار جبهة حازمة للعدو، وقال إنه لديه آمال كبيرة في التوفيق بينهم وبين الجيش والتغلب على البيلوبونيزيين، تعززت على الفور عزيمتهم إلى حد كبير، وكان أغلب أعضاء الأوليغارشية، الذين كانوا بالفعل ساخطين وميالين إلى التخلي عن العمل بأي طريقة آمنة يمكنهم القيام بها. ثم اجتمع هؤلاء معًا وانتقدوا الإدارة بشدة، وكان قادتهم من بعض القادة والرجال الرئيسيين في مناصب الأوليغارشية، مثل ثيرامينيس، ابن هاجنون، وأرستقراطيس، ابن سكلياس، وآخرين؛ "وعلى الرغم من أنهم كانوا من أبرز أعضاء الحكومة (خوفًا، كما قالوا، من الجيش في ساموس، وخاصة ألكيبياديس، وأيضًا من أن المبعوثين الذين أرسلوهم إلى لاكيدايمون قد يلحقون بعض الأذى بالدولة دون سلطة الشعب)، دون الإصرار على الاعتراضات على التركيز المفرط للسلطة في أيدي قِلة، إلا أنهم حثوا على إثبات وجود الخمسة آلاف ليس فقط بالاسم ولكن في الواقع، ووضع الدستور على أساس أكثر عدالة. ولكن هذه كانت مجرد صرخة سياسية لهم؛ حيث كان معظمهم مدفوعين بطموح شخصي إلى خط السلوك القاتل بالتأكيد للأوليجاركيات التي تنشأ عن الديمقراطيات. فكل واحد يتظاهر في وقت واحد بأنه ليس متساوٍ فحسب، بل كل رئيس وسيد رفاقه؛ بينما في ظل الديمقراطية يقبل المرشح المخيب للآمال هزيمته بسهولة أكبر، لأنه لا يعاني من الإذلال الناتج عن هزيمته من قبل نظرائه. ولكن ما شجع الساخطين بشكل واضح هو قوة ألكيبياديس في ساموس، وعدم إيمانهم باستقرار الأوليغاركية؛ وأصبح الأمر الآن سباقًا بينهم حول من سيصبح أولًا زعيمًا للعامة.

وفي الوقت نفسه، كان زعماء وأعضاء الأربعمائة الأكثر معارضة لنظام الحكم الديمقراطي. فرينيخوس الذي كان قد تشاجر مع ألكيبياديس أثناء قيادته لساموس، وأرستارخوس العدو اللدود للعامة، وبيساندر وأنتيفون وآخرون من الزعماء الذين أرسلوا مبعوثين من جماعتهم إلى لاكيدايمون بمجرد وصولهم إلى السلطة، ثم مرة أخرى عندما انفصل الجيش في ساموس عنهم وأعلن تأييده للديمقراطية، وبذلوا قصارى جهدهم من أجل السلام، وبنوا السور في إيتونيا. ضاعفوا جهودهم الآن عندما عاد مبعوثوهم من ساموس، ورأوا ليس فقط الشعب بل وأيضًا أقرب رفاقهم الموثوق بهم ينقلبون ضدهم. وقد فزعوا من حالة الأمور في أثينا كما كانت في ساموس، فأرسلوا على عجل أنتيفون وفرينيخوس وعشرة آخرين مع أوامر بإبرام السلام مع لاكيدايمون بأي شروط، مهما كانت، يمكن تحملها على الإطلاق. وفي الوقت نفسه، واصلوا العمل بنشاط أكبر من أي وقت مضى لبناء الجدار في إيتونيا. وكان الغرض من هذا الجدار، وفقًا لثيرامينيس وأنصاره، ليس منع جيش ساموس من الدخول إلى بيرايوس، بل السماح لأسطول وجيش العدو بالدخول متى شاءوا. لأن إيتونيا كانت بمثابة حصن تابع لبيرايوس، بجوار مدخل الميناء مباشرة، وقد تم تحصينها الآن فيما يتصل بالجدار الموجود بالفعل على الجانب البري، بحيث يتمكن عدد قليل من الرجال الموجودين فيه من السيطرة على المدخل؛ الجدار القديم على الجانب البري والجدار الجديد الذي يجري بناؤه الآن داخله على جانب البحر، وكلاهما ينتهي بأحد البرجين اللذين يقفان عند مدخل الميناء الضيق. كما قاموا بإغلاق أكبر رواق في بيرايوس والذي كان متصلاً مباشرة بهذا الجدار، واحتفظوا به في أيديهم، وأجبروا الجميع على تفريغ الذرة التي تأتي إلى الميناء، وما لديهم في المخزون هناك، وإخراجها من هناك عندما يبيعونها.

ولقد أثارت هذه التدابير همهمات ثيرامينيس لفترة طويلة، وعندما عاد المبعوثون من لاكيدايمون دون أن يفرضوا أي تهدئة عامة، أكد أن هذا الجدار من شأنه أن يثبت خراب الدولة. وفي هذه اللحظة، كان سكان إيوب قد دعوا اثنين وأربعين سفينة من

البيلوبونيز، بما في ذلك بعض السفن الصقلية والإيطالية من لوكري وتارينتوم، وكانت هذه السفن قد انطلقت بالفعل من لاس في لاكونيا استعدادًا للرحلة إلى إيوبوا، تحت قيادة أجيساندريداس، ابن أجيساندر، وهو أسبرطي. وأكد ثيرامينيس الآن أن هذا السرب لم يكن مقدرًا له أن يساعد إيوبوا بقدر ما كان مقدرًا للفرقة التي تحصن إيتونيا، وأنه ما لم يتم اتخاذ الاحتياطات بسرعة فإن المدينة سوف تفاجأ وتضيع. ولم يكن هذا مجرد افتراء، فقد كان هناك بالفعل خطة من هذا القبيل لدى المتهمين. وكانت رغبتهم الأولى هي أن يكون لديهم حكم الأقلية دون التخلي عن الإمبراطورية؛ وإذا فشلوا في ذلك، فإنهم يحتفظون بسفنهم وأسوارهم ويكونوا مستقلين؛ في حين أنه إذا حُرموا من هذا أيضًا، قبل أن يكونوا أول ضحايا الديمقراطية المستعادة، فقد قرروا استدعاء العدو وإحلال السلام، والتخلي عن أسوارهم وسفنهم، والاحتفاظ بملكية الحكومة بأي ثمن، إذا كانت حياتهم مضمونة لهم.

"ولهذا السبب، سارعوا إلى بناء أعمالهم، مع وضع بوابات ومداخل ووسائل لإدخال العدو، وكانوا حريصين على الانتهاء منها في الوقت المناسب. وفي غضون ذلك، اقتصرت الهمهمات ضدهم في البداية على عدد قليل من الأشخاص واستمرت سراً، حتى بعد عودة فرينيخوس من السفارة إلى لاكيدايمون، نصب أحد أفراد قبيلة بيريبولي كمينًا له وطعنه في ساحة المعركة، فسقط ميتًا قبل أن يبتعد عن قاعة المجلس. وهرب القاتل؛ لكن شريكه، وهو أرغوسي، قبض عليه رجال الأربعمائة وعذبوه، دون أن يتمكنوا من انتزاع اسم صاحب عمله منه، أو أي شيء آخر غير أنه يعرف العديد من الرجال الذين اعتادوا التجمع في منزل قائد قبيلة بيريبولي وفي منازل أخرى. وهنا سُمح بإسقاط الأمر. وقد شجع هذا ثيرامينيس وأرستقراط وبقية أنصارهم في قبيلة الأربعمائة وخارجها، حتى قرروا الآن التحرك. "ففي ذلك الوقت كانت السفن قد أبحرت حول لاس، ورسوت في إبيداوروس، واجتاح إيجينا؛ وزعم ثيرامينيس أنه، بما أنهم كانوا متجهين إلى إيبويا، فلن يبحروا إلى إيجينا ويعودوا إلى إبيداوروس، ما لم يُدعوا للمساعدة في تحقيق الخطط التي كان يتهم الحكومة دائمًا

بتنفيذها. وبالتالي أصبح المزيد من التقاعس الآن مستحيلًا. وفي النهاية، وبعد الكثير من الخطب التحريضية والشكوك، شرعوا في العمل بجدية حقيقية. فقد وضع المشاة الثقيلون في بيرايوس الذين كانوا يبنون سور إيتونيا، ومن بينهم أرستقراطوس، العقيد، مع قبيلته، أيديهم على أليكسيليس، وهو جنرال في ظل حكم الأوليغارشية والمخلص للمؤامرة، واقتادوه إلى منزل واحتجازه هناك. وقد ساعدهم في ذلك هرمون، قائد بيريبولي في ميونيشيا، وآخرون، وكان معهم فوق كل شيء الجزء الأكبر من المشاة الثقيلون. وبمجرد أن وصلت الأخبار إلى الأربعمائة، الذين صادف أنهم كانوا جالسين في قاعة المجلس، أراد الجميع، باستثناء الساخطين، الذهاب على الفور إلى المواقع التي كانت فيها الأسلحة، وهددوا ثيرامينيس وحزبه. دافع ثيرامينيس عن نفسه، وقال إنه مستعد للذهاب على الفور للمساعدة في إنقاذ أليكسيليس؛ ثم أخذ معه أحد القادة المنتمين إلى حزبه، ونزل إلى بيرايوس، وتبعه أريستارخوس وبعض الشباب من سلاح الفرسان. كان كل شيء الآن في حالة من الذعر والارتباك. تصور أولئك في المدينة أن بيرايوس قد تم الاستيلاء عليها بالفعل وأن السجين قد أعدم، بينما توقع أولئك في بيرايوس في كل لحظة أن يتعرضوا للهجوم من قبل الحزب في المدينة. ومع ذلك، منع الرجال الأكبر سناً الأشخاص من الركض ذهابًا وإيابًا في المدينة والتوجه إلى منصات الأسلحة؛ "فتقدم ثوسيديديس الفارسالي، حاكم المدينة، وألقى بنفسه في طريق الفصائل المتنافسة، وناشدهم ألا يدمروا الدولة، بينما كان العدو لا يزال في متناول اليد ينتظر فرصته، وهكذا نجح في النهاية في تهدئتهم وإبعاد أيديهم عن بعضهم البعض.وفي هذه الأثناء نزل ثيرامينيس إلى بيرايوس، وكان هو نفسه أحد القادة، وثار وهاجم المشاة الثقيلة، بينما كان أريستارخوس وخصوم الشعب غاضبين بشدة. ومع ذلك، واصل معظم المشاة الثقيلة العمل دون تردد، وسألوا ثيرامينيس عما إذا كان يعتقد أن الجدار قد تم بناؤه لأي غرض جيد، وما إذا كان من الأفضل هدمه. أجاب على هذا أنه إذا رأوا أنه من الأفضل هدمه، فإنه من جانبه يوافقهم. عند هذا، نهض المشاة الثقيلة وعدد من الناس في بيرايوس على الفور إلى الحصن وبدأوا في هدمه. الآن كانت صرختهم إلى

الحشد أن ينضم الجميع إلى العمل الذين أرادوا أن يحكم الخمسة آلاف بدلاً من الأربعمائة. فبدلاً من قولهم بكل هذه الكلمات "كل من أراد أن يحكم عامة الناس"، ظلوا متنكرين تحت اسم الخمسة آلاف؛ "خوفًا من أن يكون هؤلاء موجودين حقًا، وأنهم قد يتحدثون إلى أحد أفرادهم ويتورطون في مشاكل بسبب الجهل. في الواقع، كان هذا هو السبب وراء عدم رغبة الأربعمائة في وجود الخمسة آلاف، أو أن يعرفوا أنهم غير موجودين؛ حيث رأوا أن منح أنفسهم العديد من الشركاء في الإمبراطورية سيكون ديمقراطية صريحة، في حين أن الغموض المعني من شأنه أن يجعل الناس يخافون من بعضهم البعض.

وفي اليوم التالي اجتمعت أربعمائة رجل في قاعة المجلس، رغم انزعاجهم، بينما انطلقت قوات المشاة الثقيلة في بيرايوس، بعد أن أطلقت سراح أسيرها أليكسيليس وهدمت الحصن، إلى مسرح ديونيسوس، بالقرب من مونيشيا، وعقدت هناك جمعية قررت فيها الزحف إلى المدينة، وتوقفت في أناسيوم عند انطلاقها. وهناك انضم إليهم بعض مندوبي أربعمائة رجل، فناقشوهم واحدًا تلو الآخر، وأقنعوا أولئك الذين رأوا أنهم الأكثر اعتدالاً بأن يلتزموا الصمت، وأن يبقوا في الداخل؛ قائلين إنهم سيعلنون عن خمسة آلاف رجل، وسيختارون أربعمائة رجل بالتناوب، كما يقرر الخمسة آلاف، وفي الوقت نفسه ناشدوهم ألا يدمروا الدولة أو يدفعوها إلى أحضان العدو. وبعد أن تحدث عدد كبير من الناس وتم التحدث إليهم، أصبح كل جسم المشاة الثقيل أكثر هدوءًا من ذي قبل، مستغرقًا في مخاوفهم على البلاد ككل، واتفقوا الآن على عقد اجتماع في يوم محدد في مسرح ديونيسوس لاستعادة الوفاق.

ولما حان يوم الاجتماع في المسرح، وكانوا على وشك التجمع، وصلتهم أنباء تفيد بأن السفن الاثنتين والأربعين بقيادة أجيساندريداس تبحر من ميجارا على طول ساحل سلاميس. وظن الناس الآن أن ما قاله ثيرامينس ورفاقه مراراً وتكراراً هو أن السفن تبحر إلى الحصن، وخلصوا إلى أنهم أحسنوا صنعاً بهدمه. ولكن برغم أنه ربما

كان من الممكن أن يكون أجيساندريداس قد حام حول إبيداوروس والمناطق المجاورة لها بناء على موعد مسبق، فإنه كان من الطبيعي أيضاً أن يظل هناك على أمل أن تسنح له الفرصة من جراء الاضطرابات في المدينة. وعلى أية حال، فقد هرع الأثينيون فور تلقيهم للأنباء إلى بيرايوس بأعداد كبيرة، إذ رأوا أن العدو يهددهم بحرب أسوأ من حربهم فيما بينهم، ليس على مسافة بعيدة، بل على مقربة من ميناء أثينا. فصعد بعضهم على متن السفن التي كانت عائمة بالفعل، بينما أطلق آخرون سفناً جديدة، أو ركضوا للدفاع عن أسوار وفم الميناء.

وفي هذه الأثناء كانت السفن البيلوبونيسية تبحر، وتدور حول سونيوم وترسي بين ثوريكوس وبراسيا، ثم وصلت بعد ذلك إلى أوروبس. وبسبب الثورة التي شهدتها المدينة، وعدم رغبة الأثينيين في إضاعة لحظة واحدة في إنقاذ أهم ممتلكاتهم (لأن أوبيا كانت كل شيء بالنسبة لهم الآن بعد أن تم إغلاق أتيكا أمامهم)، اضطروا إلى الإبحار على عجل ومعهم طواقم غير مدربة، وأرسلوا ثيموخاريس مع بعض السفن إلى إريتريا. وعند وصولهم، مع السفن الموجودة بالفعل في أوبيا، بلغ عدد السفن ستة وثلاثين سفينة، واضطروا على الفور إلى الاشتباك. فبعد أن تناول أجيساندريداس العشاء، انطلق من أوروبس، التي تبعد حوالي سبعة أميال عن إريتريا عن طريق البحر؛ وعندما رأى الأثينيون أنه يبحر، بدأوا على الفور في تجهيز سفنهم. ولكن البحارة لم يكونوا بجوار سفنهم كما تصوروا، بل ذهبوا لشراء المؤن لوجبتهم في البيوت الواقعة على أطراف المدينة؛ فقد رتب الإريتريون ألا يكون هناك أي شيء معروض للبيع في السوق، حتى يتمكن الأثينيون من تجهيز سفنهم لفترة طويلة، وإذا فاجأهم هجوم العدو، فقد يضطرون إلى الإبحار كما كانوا. كما تم رفع إشارة في إريتريا لإخطارهم في أوروبس بموعد الإبحار. وأُجبر الأثينيون على الإبحار وهم غير مستعدين، فاشتبكوا مع العدو قبالة ميناء إريتريا، وبعد أن صمدوا لبعض الوقت، تم إجبارهم في النهاية على الفرار وطُردوا إلى الشاطئ. أما أولئك الذين لجأوا إلى إريتريا، التي افترضوا أنها صديقة لهم، فقد وجدوا مصيرهم في تلك المدينة، حيث

ذبحهم السكان؛ في حين تم إنقاذ أولئك الذين فروا إلى الحصن الأثيني في إقليم إريتريا، والسفن التي وصلت إلى خالكيذا. وبعد أن استولى البيلوبونيزيون على اثنتين وعشرين سفينة أثينية، وقتلوا أو أسروا أفراد الطاقم، أقاموا غنائم، وبعد فترة وجيزة قاموا بثورة في كل جزيرة أوبيا (باستثناء أوريوس، التي استولى عليها الأثينيون أنفسهم)، وتوصلوا إلى تسوية عامة لشئون الجزيرة.

وعندما وصلت أنباء ما حدث في جزيرة أوبيا إلى أثينا، عمَّ الذعر في المدينة على نحو لم يسبق له مثيل. فلم تكن الكارثة التي حلَّت بجزيرة صقلية، على عظمتها في ذلك الوقت، ولا أي كارثة أخرى قد أزعجتهم إلى هذا الحد. فقد كان معسكر ساموس في حالة ثورة؛ ولم يعد لديهم المزيد من السفن أو الرجال ليقودوها؛ وكانوا في خلاف فيما بينهم وقد ينشب بينهم قتال في أي لحظة؛ وكانت كارثة بهذا الحجم على رأس كل ذلك، فخسروا بسببها أسطولهم، وكان الأسوأ من ذلك كله أن تقع كارثة في جزيرة أوبيا، التي كانت أكثر قيمة بالنسبة لهم من أتيكا، ولا يمكن أن تقع دون أن تقذف بهم في أعمق حالات اليأس. وفي الوقت نفسه كانت أعظم مشاكلهم وأكثرها إلحاحًا هي احتمال أن يتجه العدو، الذي تشجع بانتصاره، نحوهم ويبحر نحو بيرايوس، التي لم يعد لديهم سفن للدفاع عنها؛ وكانوا يتوقعون وصوله في كل لحظة. ولقد كان بوسعه أن يفعل ذلك بسهولة لو تحلى بقليل من الشجاعة، وفي هذه الحالة كان ليزيد من حدة الخلافات في المدينة بحضوره، أو كان ليجبر الأسطول الذي خرج من أيونيا، رغم عدوه للأوليغارشية، على النجدة في بلادهم وأقاربهم، وكان ليتمكن في الوقت نفسه من السيطرة على مضيق الدردنيل، وإيونيا، والجزر، وكل شيء حتى جزيرة إيوبوا، أو بعبارة أخرى، على الإمبراطورية الأثينية بأكملها. ولكن هنا، كما حدث في مناسبات أخرى عديدة، أثبت أهل لاكيدايمون أنهم أكثر الناس ملاءمة في العالم لخوض الحرب معهم من قِبَل الأثينيين. ولقد أثبت الفارق الشاسع بين الشخصيتين، وبطء أهل لاكيدايمون ونقص نشاطهم مقارنة بالاندفاع والمغامرة لدى خصومهم، أنه كان يقدم أعظم الخدمات، وخاصة لإمبراطورية بحرية مثل أثينا.

ولقد أثبت أهل سيراقوسة هذا بالفعل، فقد كانوا أشبه بالأثينيين في شخصيتهم، وكانوا الأكثر نجاحاً في محاربتهم.

ولكن الأثينيين، بعد أن تلقوا الخبر، حشدوا عشرين سفينة، ودعوا على الفور إلى عقد أول جمعية في بينيكس، حيث اعتادوا أن يجتمعوا من قبل، وعزلوا الأربعمائة وصوتوا على تسليم الحكومة إلى الخمسة آلاف، وكان من المفترض أن يكون كل من قدم بدلة من الدروع عضوًا في هذه الجمعية، وقرروا أيضًا ألا يتلقى أي شخص أجرًا مقابل أداء أي منصب، وإلا فيُعتبر ملعونًا. وعُقدت العديد من الجمعيات الأخرى بعد ذلك، حيث تم انتخاب المشرعين واتخاذ جميع التدابير الأخرى لتشكيل دستور. ويبدو أن الأثينيين تمتعوا بأفضل حكومة على الإطلاق خلال الفترة الأولى من هذا الدستور، على الأقل في زمني. فقد تم دمج الأعلى والأدنى بحكمة، وهذا هو ما مكن الدولة لأول مرة من رفع رأسها بعد الكوارث العديدة التي حلت بها. كما صوتوا على استدعاء ألكيبياديس وغيره من المنفيين، وأرسلوا إليه وإلى معسكر ساموس، وحثوهم على تكريس أنفسهم بقوة للحرب.

وعند اندلاع هذه الثورة، انسحبت مجموعة بيساندر وأليكسيليس وزعماء الأوليجاركيين على الفور إلى ديسيليا، باستثناء أريستارخوس، أحد القادة، الذي استولى على عجل على بعض أكثر الرماة همجية وسار إلى أونوي. كانت هذه قلعة للأثينيين على حدود بيوتيا، في تلك اللحظة حاصرها الكورنثيون، منزعجين من خسارة مجموعة عائدة من ديسيليا، والتي قطعتها الحامية. كان الكورنثيون قد تطوعوا لهذه الخدمة، وطلبوا من البيوتيين مساعدتهم. بعد الاتصال بهم، خدع أريستارخوس الحامية في أونوي بإخبارهم أن مواطنيهم في المدينة قد اتفقوا مع اللاكيدايمونيين، وأن أحد شروط الاستسلام هو أنه يجب عليهم تسليم المكان للبيوتيين. لقد صدقه أفراد الحامية لأنه كان قائدًا عسكريًا، كما أنهم لم يكونوا على

علم بما حدث بسبب الحصار، ولذلك أخلو الحصن بموجب هدنة. وبهذه الطريقة استولى أهل بيوتيا على أونوي، وانتهت الأوليغارشية والاضطرابات في أثينا.

"العودة إلى البيلوبونيزيين في ميليتوس. لم يكن هناك أجر من أي من الوكلاء الذين أرسلهم تيسافرنيس لهذا الغرض عند رحيله إلى أسبندوس؛ لم تظهر أي علامات على ظهور الأسطول الفينيقي ولا تيسافرنيس، وكتب فيليب، الذي أُرسل معه، وأسبرطي آخر، هو هيبوقراط، الذي كان في فاسيليس، رسالة إلى ميندروس، الأدميرال، بأن السفن لن تأتي على الإطلاق، وأن تيسافرنيس يسيء معاملتها بشكل صارخ. وفي الوقت نفسه، كان فارنابازوس يدعوهم للمجيء، ويبذل قصارى جهده للحصول على الأسطول، ومثل تيسافرنيس، لإحداث ثورة في المدن في حكومته التي لا تزال خاضعة لأثينا، ووضع آمالًا كبيرة على نجاحه؛ حتى في نهاية المطاف، في حوالي فترة الصيف التي وصلنا إليها الآن، استسلم ميندروس لإلحاحه، وبنظام عظيم وفي لحظة، من أجل التهرب من العدو في ساموس، رفع المرساة بثلاث وسبعين سفينة من ميليتوس وأبحر إلى الدردنيل. كان هناك ست عشرة سفينة سبقته في نفس الصيف، واجتاحت جزءًا من خيرسونيز. ولأن ميندروس وقع في عاصفة، اضطر إلى الركض إلى إيكاروس، وبعد احتجازه هناك لمدة خمسة أو ستة أيام بسبب ضغوط الطقس، وصل إلى خيوس.

وفي هذه الأثناء سمع ثراسيلوس بخروجه من ميليتوس، فأبحر على الفور بخمس وخمسين سفينة من ساموس، مسرعًا للوصول قبله إلى الدردنيل. ولكن عندما علم أنه في خيوس، وتوقع أن يبقى هناك، أرسل كشافة في ليسبوس والقارة المقابلة لمنع الأسطول من التحرك دون علمه، وأبحر بنفسه إلى ميثيمنا، وأصدر أوامره بإعداد الطعام وغيره من الضروريات، من أجل مهاجمتهم من ليسبوس في حالة بقائهم لفترة من الوقت في خيوس. وفي الوقت نفسه، قرر الإبحار ضد إريسوس، وهي مدينة في ليسبوس ثارت، وإذا استطاع، فسيستولي عليها. ولقد كان بعض المنفيين

الرئيسيين في ميثيمنا قد نقلوا نحو خمسين من المشاة الثقيلة، وكان رفاقهم المخلصون من كوما، واستأجروا آخرين من القارة، بحيث بلغ عددهم ثلاثمائة، واختاروا أنكساندرا، وهو طيبي، ليقودهم، نظرًا لوجود رابطة الدم بين الطيبيين والسحاقيات، وهاجموا ميثيمنا أولاً. ولكنهم أحجموا عن محاولتهم هذه بسبب تقدم الحراس الأثينيين من ميتيليني، وصدوا مرة أخرى في معركة خارج المدينة، ثم عبروا الجبل وأحدثوا ثورة إريسوس. وبناءً على ذلك، قرر ثراسيبولوس الذهاب إلى هناك بكل سفنه ومهاجمة المكان. وفي غضون ذلك، سبقه ثراسيبولوس إلى هناك بخمس سفن من ساموس، وبمجرد أن سمع أن المنفيين قد عبروا، ووصل متأخرًا جدًا لإنقاذ إريسوس، واصل سيره ورسوا أمام المدينة. وهنا انضمت إليهم أيضًا سفينتان في طريقهما إلى الوطن من مضيق الدردنيل، وسفن الميثيمنيين، ليصبح المجموع الكلي سبعة وستين سفينة؛ وكانت القوات على متن السفينة جاهزة الآن بالمحركات وكل الوسائل الأخرى المتاحة للقيام بكل ما في وسعها لمهاجمة إريسوس.

وفي هذه الأثناء، بعد أن أخذ ميندروس والأسطول البيلوبونيزي في خيوس مؤنًا تكفي ليومين، وحصلوا على ثلاث قطع نقدية من خيوس عن كل رجل من الخيوسيين، انطلقوا في اليوم الثالث على عجل من الجزيرة؛ ولكي يتجنبوا الاصطدام بالسفن في إريسوس، لم يتجهوا إلى البحر المفتوح، بل أبقوا ليسبوس على يسارهم، وأبحروا إلى القارة. وبعد أن رسوا في ميناء كارتيريا في فوكيد وتناولوا العشاء، تابعوا رحلتهم على طول ساحل كوما وتناولوا العشاء في أرجينوسا، على القارة مقابل ميتيليني. ومن هناك واصلوا رحلتهم على طول الساحل، على الرغم من أن الليل كان متأخرًا، ووصلوا إلى هارماتوس على القارة المقابلة لميثيمنا، وتناولوا العشاء هناك؛ ومرروا بسرعة بكتم ولاريسا وهامكسيتوس والمدن المجاورة، ووصلوا قبل منتصف الليل بقليل إلى رويتيوم. وهنا كانوا الآن في مضيق الدردنيل. كما رست بعض السفن في سيجيوم وفي أماكن أخرى مجاورة.

وفي غضون ذلك، كانت إشارات التحذير من إطلاق النيران والزيادة المفاجئة في عدد النيران على شاطئ العدو بمثابة إنذار للسفن الأثينية الثماني عشرة في سيستوس باقتراب الأسطول البيلوبونيزي. وفي تلك الليلة ذاتها، أبحرت السفن على عجل كما كانت، ولحقت بشاطئ خيرسونيس، ثم سارت على طول الساحل إلى إيليوس، من أجل الإبحار إلى البحر المفتوح بعيدًا عن أسطول العدو.

وبعد أن مرت السفن الست عشرة في أبيدوس دون أن يلاحظها أحد، والتي كانت قد تلقت تحذيرات من أصدقائها الذين اقتربوا منها بضرورة التأهب لمنعها من الإبحار، رأوا عند الفجر أسطول ميندروس، الذي طاردهم على الفور. ولم يكن لدى الجميع الوقت للفرار؛ ومع ذلك هرب العدد الأكبر إلى إمبروس ولمنوس، بينما لحق بهم أربعة من السفن المتأخرة قبالة إيليوس. وقد تقطعت السبل بأحدها مقابل معبد بروتيسيلاوس وأخذته مع طاقمه، وسفينتان أخريان بدون طاقمهما؛ وترك العدو السفينة الرابعة على شاطئ إمبروس وأحرقها.

وبعد ذلك انضم إلى البيلوبونيزيين السرب القادم من أبيدوس، والذي بلغ مجموع أسطوله ستًا وثمانين سفينة؛ وقد أمضوا اليوم في حصار إيليوس دون جدوى، ثم أبحروا عائدين إلى أبيدوس. وفي الوقت نفسه، حاصر الأثينيون إيريسوس بهدوء، بعد أن خدعهم كشافوهم، ولم يخطر ببالهم قط أن أسطول العدو سينجو دون أن يكتشفه أحد. وبمجرد أن سمعوا الخبر، تخلوا عن إيريسوس على الفور، وتوجهوا بكل سرعة إلى مضيق الدردنيل، وبعد أن استولوا على سفينتين من سفن البيلوبونيز اللتين تم جرهما بعيدًا في البحر المفتوح في حماسة المطاردة، وسقطتا الآن في طريقهم، وفي اليوم التالي، ألقوا مرساة في إيليوس، وأعادوا السفن التي لجأت إلى إمبروس، واستعدوا لمدة خمسة أيام للمعركة القادمة.

وبعد ذلك، انخرط الأثينيون في معركة على النحو التالي: تشكل الأثينيون في صفوف وأبحروا بالقرب من الشاطئ إلى سيستوس؛ وعندما أدركوا ذلك، انطلق

البيلوبونيزيون من أبيدوس لملاقاتهم. وأدرك الطرفان أن المعركة أصبحت وشيكة الآن، فوسع كل منهما جناحه؛ الأثينيون على طول نهر خيرسون من إيدكوس إلى أرهياني بستة وسبعين سفينة؛ البيلوبونيزيون من أبيدوس إلى داردانوس بستة وثمانين سفينة. احتل السيراقوسيون الجناح الأيمن من البيلوبونيز، وكان ميندروس هو من يتولى الجناح الأيسر منهم، وكان ثراسيبولوس هو من يتولى الجناح الأيسر من الأثينيين، وكان ثراسيبولوس هو من يتولى الجناح الأيمن من الأثينيين، وكان القادة الآخرون في أجزاء مختلفة من الأسطول. سارع البيلوبونيزيون إلى الاشتباك أولاً، وحاصروا بجناحيهم الأيسر والأثيني الأيمن في محاولة لمنعهم، إن أمكن، من الإبحار خارج المضيق، ودفع مركزهم نحو الشاطئ، الذي لم يكن بعيدًا. وعندما أدرك الأثينيون نيتهم، مدوا جناحهم وتفوقوا عليهم في الإبحار، بينما تجاوز جناحهم الأيسر في ذلك الوقت نقطة سينوسيما. ومع ذلك، فقد أرغمهم هذا على تقليص وإضعاف مركزهم، خاصة وأن سفنهم كانت أقل من سفن العدو، وأن الساحل حول نقطة سينوسيما شكل زاوية حادة منعتهم من رؤية ما كان يحدث على الجانب الآخر منها.

"هاجم البيلوبونيزيون الآن مركزهم، وطردوا سفن الأثينيين إلى الشاطئ، ونزلوا لمتابعة انتصارهم. ولم يكن في وسع سرب ثراسيبولوس على اليمين أن يقدم أي مساعدة للمركز، سواء بسبب عدد السفن التي هاجمته، أو سرب ثراسيلوس على اليسار، الذي كان يخفي عن نقطة سينوسيما ما كان يحدث، والذي أعاقه أيضًا خصومه من السيراقوسيين وغيرهم، الذين كان عددهم مساويًا تمامًا لعدده. ومع ذلك، في النهاية، بدأ البيلوبونيزيون واثقين من النصر في التشتت في مطاردة سفن العدو، وسمحوا لجزء كبير من أسطولهم بالاضطراب. وعندما رأى سرب ثراسيبولوس هذا، أوقف حركته الجانبية، وهاجم السفن المعارضة وهزمها، ثم هاجم بعنف السفن المتفرقة للفرقة البيلوبونيزية المنتصرة، وأجبر معظمها على الفرار دون ضربة. وكان السيراقوسيون أيضًا قد تراجعوا في هذا الوقت أمام سرب ثراسيلوس، والآن فروا علانية عند رؤية هروب رفاقهم.

لقد اكتملت الهزيمة الآن. ففر معظم البيلوبونيزيين إلى نهر ميديوس أولاً، ثم إلى أبيدوس. ولم يستولي الأثينيون إلا على عدد قليل من السفن؛ وذلك لأن ضيق مضيق الدردنيل جعل العدو غير مضطر إلى الذهاب بعيداً حتى يكون في مأمن. ومع ذلك، لم يكن هناك ما هو أكثر ملاءمة لهم من هذا النصر. فحتى ذلك الوقت كانوا يخشون الأسطول البيلوبونيزي، بسبب عدد من الخسائر الصغيرة والكارثة التي حلت بصقلية؛ ولكنهم الآن لم يعودوا يثقون في أنفسهم أو يتصورون أن أعداءهم جيدون في أي شيء في البحر. وفي الوقت نفسه، استولوا على ثماني سفن من العدو، وخمس سفن من كورنثوس، وسفينتين من أمبراسيوت، وسفينتين من بويوتيا، وسفينة واحدة من لوكاديا، ولاسيدايمونيا، وسيراكوزا، وبيلينيا، وخسروا خمس عشرة سفينة من سفنهم. وبعد أن أقاموا غنائمهم على نقطة سينوسيما، وأمنوا حطام السفن، وأعادوا جثث أعدائهم بموجب هدنة، أرسلوا سفينة شراعية إلى أثينا تحمل خبر انتصارهم. وكان وصول هذه السفينة حاملة أخبارها الطيبة غير المأمول، بعد الكوارث الأخيرة التي حلت بجزيرة أوبيا، وفي الثورة التي اندلعت في أثينا، سبباً في إضفاء الشجاعة على الأثينيين، وجعلهم يعتقدون أنهم إذا ما بذلوا قصارى جهدهم فإن قضيتهم قد تنتصر.

وفي اليوم الرابع بعد المعركة البحرية، أبحر الأثينيون في سيستوس، بعد أن أعادوا تجهيز سفنهم على عجل، ضد سيزيكوس التي ثارت. ورصدوا قبالة هارباغيوم وبريابوس السفن الثماني القادمة من بيزنطة، وأبحروا وهزموا القوات على الشاطئ، واستولوا على السفن، ثم تابعوا طريقهم واستعادوا مدينة سيزيكوس التي كانت غير محصنة، وفرضوا النقود على المواطنين. وفي غضون ذلك، أبحر البيلوبونيزيون من أبيدوس إلى إيليوس، واستعادوا السفن التي استولوا عليها والتي لم تلحق بها أضرار، بعد أن أحرق الإيليوسيون بقية السفن، وأرسلوا أبقراط وأبيكليس إلى إيفيا لإحضار السرب من تلك الجزيرة.

وفي نفس الوقت تقريبًا عاد ألكيبياديس بسفنه الثلاث عشرة من كونوس وفاسيليس إلى ساموس، حاملاً نبأ أنه منع الأسطول الفينيقي من الانضمام إلى البيلوبونيزيين، وأنه جعل تيسافرنيس أكثر ودية للأثينيين من ذي قبل. ثم جهز ألكيبياديس تسع سفن أخرى، وجمع مبالغ كبيرة من المال من الهاليكارناسيين، وحصن كوس. وبعد أن فعل ذلك ووضع حاكمًا في كوس، أبحر عائدًا إلى ساموس، وكان الخريف قد اقترب. وفي الوقت نفسه، عندما سمع تيسافرنيس أن الأسطول البيلوبونيزي قد أبحر من ميليتوس إلى الدردنيل، انطلق مرة أخرى عائدًا من أسبندوس، وأبحر بالكامل إلى إيونيا. وبينما كان البيلوبونيزيون في الدردنيل، نقل الأنتاندريون، وهم شعب من أصل أيولي، عن طريق البر عبر جبل إيدا بعض المشاة الثقيلة من أبيدوس، وأدخلوهم إلى المدينة؛ كان أرساكيس، الملازم الفارسي لتيسافيرنيس، قد أساء معاملته. وكان أرساكيس نفسه، بحجة وجود خلاف سري، قد دعا كبار رجال ديلس إلى الخدمة العسكرية (وهؤلاء كانوا ديلس الذين استقروا في أتراميتيوم بعد أن طردهم الأثينيون من ديارهم من أجل تطهير ديلوس)؛ وبعد أن أخرجهم من مدينتهم كأصدقاء وحلفاء له، نصب لهم كمينًا عند العشاء، وحاصرهم وتسبب في إطلاق النار عليهم من قبل جنوده. وقد جعل هذا الفعل سكان أنتاندريا يخشون أن يتسبب لهم في أذى ذات يوم؛ ولأنه فرض عليهم أيضًا أعباءً ثقيلة لا يمكنهم تحملها، فقد طردوا حاميته من قلعتهم.

"ولما سمع تيسافرنس بهذا الفعل الذي قام به البيلوبونيزيون بالإضافة إلى ما حدث في ميليتوس وكنيدوس، حيث طُردت حامياته أيضًا، رأى الآن أن الخلاف بينهم كان خطيرًا؛ وخشي أن يلحق بهم المزيد من الأذى، وكان منزعجًا أيضًا من فكرة أن فارنابازوس سيستقبلهم، وربما ينجح في وقت أقل وبتكلفة أقل ضد أثينا مما فعل، فقرر العودة إلى مضيق الدردنيل، من أجل الشكوى من الأحداث التي وقعت في أنتاندروس والاعتذار قدر استطاعته عن الأسطول الفينيقي والاتهامات الأخرى الموجهة إليه. وبناءً على ذلك، ذهب أولاً إلى أفسس وقدم التضحيات لأرتميس..."

[عندما ينتهي الشتاء بعد هذا الصيف، ستكون السنة الحادية والعشرون من هذه الحرب قد اكتملت.]

النهاية



واحد من أهم الأعمال التاريخية في التاريخ اليوناني. يتناول الكتاب الحروب البيلوبونيسية، وهي سلسلة من الصراعات بين اليونان وبلاد فارس بين عامي 499 و448 قبل الميلاد.

الكتاب يعتبر مصدراً رئيسياً لفهم العلاقات السياسية والعسكرية بين الحضارتين، ويقدم رؤية شاملة للأحداث والشخصيات المهمة في تلك الفترة. يعتبر ثوسيديديس من أوائل المؤرخين الذين استخدموا المصادر الموثوقة والمراجع الأولية لتوثيق الأحداث التاريخية بدقة.

الفصول الأولى تركز على الأحداث التي أدت إلى الحرب بين أثينا وأسبرطة، بما في ذلك التوترات المتصاعدة والتحالفات السياسية. الفصول الوسطى تقدم وصفاً مفصلاً للمعارك الرئيسية، التكتيكات العسكرية المستخدمة، والخسائر التي تكبدها الطرفان. الفصول الأخيرة تتناول تأثير الحرب على المدن اليونانية المختلفة، بما في ذلك الدمار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي نتج عن النزاع. يتعمق ثوسيديديس في تحليل أسباب الحرب، مع إشارة إلى الانقسامات الداخلية والخيانة. يقدم الكتاب نظرة نقدية على كيفية تأثير الحرب على الحضارة اليونانية ككل، وما يمكن تعلمه من هذه الأحداث.

إنه كتاب غني بالتفاصيل والاستراتيجيات العسكرية، إلى جانب تقديم رؤية معمقة للحالة الإنسانية خلال الحرب.

